

اتحاف السادة المنقذين بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأتاه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه
فتتبعاً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة
بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الأحياء للأستاذ الفاضل
العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس بأعلوي
قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحياء
تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على
بعض مواضع من الاحياء وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومنت
الاحياء بآخره وفصل بينها مجلية .

المجلد التاسع

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسسة التلايح العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر الجدة الذي جعل الجدة مفتاحا
لذكره * ومصباحا يهتدى به من وفق لشكره * وسببا للمزيد من فضله ونعمته * ودليلا على آلائه
وعظمته * أحده على ما أخذ وأعطى * وعلى ما أبلى وأبلى * الباطن لكل خفيه * الحاضر لكل
سريه * العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون * وتخفي الظنون * وأسأله الصبر على بلوائه
والشكر على نعمائه * وأشهد أن لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه * ولا
محجود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * ونقلت موازينه * وأشهد
أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفه وخطبه ونجيه وحبيبه * وبعينه ونجيبه المختار من
خلائقه * والمفتاح لشرح حقائقه * والمختص بفضائل كراماته والصافي لأكرام رسالاته شهادة وافق
فيها السر الاعلان * والقلب اللسان * صلى الله عليه وعلى آله الانجم الهداة * وأصحابه السادة
الكرام النقات * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فهذا شرح (كتاب الصبر والشكر) وهو
الثاني من الربع الرابع والثاني والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام علم الائمة
الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره وضاعف بره * ونفع بأسرار علومه ومتع
أبصار العارفين في رياض معارفه وفهمه سلكه فيه منهاج الايضاح والبيان * والافصح والبيان
لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان * وضبط قواعد فوائده المهدية المؤسسة الاركان * مع كشف
العويصات * وتنبية الى الاشارات * وعز والاختبار الى الرواة * والانتار الى الوعاة وتوجيه الاقوال عن
الثقات * متجنباً عن الاعتساف والتطويل * ما تلاعن تكثر القول والقليل * متوكلاً على المولى المنعم الجليل
في التيسير والتسهيل * سائله ان ينفعه قارنه وكاتبه والناظر فيه * وان يبلغنا من فضله واحسانه

* (كتاب الصبر والشكر)
وهو الكتاب الثاني من
ربع المختار من كتب
احياء علوم الدين *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله أهل الحمد والثناء
المتفرد برداء الكبرياء
المتوحد بصفات المجد والعلاء
المؤيد صفوة الاولياء بقوة
الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء
والصلاة على محمد سيد
الانبياء وعلى أصحابه سادة
الاصفياء وعلى آله قادة
البررة الاتقياء صلاة
محروسة بالدوام عن الفناء
ومصونة بالتعاقب عن
النصرم والانقضاء (أما
بعد) فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف
شكر كما وردت به الآثار
وشهدت له الاخبار وهما
أيضا وصفان من أوصاف
الله تعالى واسمان من
أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه
صبوراً وشكوراً فالجهل
بحقيقة الصبر والشكر
جهل بكلا شطري الايمان
ثم هو غفلة عن وصفين من
أوصاف الرحمن ولا سبيل
الى الوصول الى القرب من
الله تعالى الا بالايمان وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان
دون معرفة مآبه الايمان
ومن به الايمان والتقاعد
عن معرفة الصبر والشكر
تقاعد عن معرفة من به
الايمان وعن ادراك مآبه
الايمان فما أحوج كلا
الشطرين الى الايضاح
والبيان ونحن نوضح كلا
الشطرين في كتاب واحد
لارتباط أحدهما بالآخر
ان شاء الله تعالى

* (الشرط الاول) في الصبر

مانوئله وزنجبه * انه ولي ذلك والقادر عليه لاله الا هو عليه توكلت واليه أنيب * قال رحمه الله تعالى
(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء) أصل الثناء من الشئ وهو العطف ومنه الائتان
لعطف أحدهما على الآخر والثناء لعطف المناقب في المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة
بينهما في أول كتاب العلم ومعنى كونه أهلاً لهما أي مستحقاً لهما لكمالهما في ذاته وصفاته فلا يليق بهما
ولا يستحقهما الا هو جل ذكره وثناؤه (المتفرد) وفي نسخة المتفرد (برداء الكبرياء) أي العظمة والجلال
وفيه تلميح الى الحديث القدسي قال الله تعالى الكبرياء ردائي وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم
الكبر والعجب وسبق الكلام على الانفراد والتفرد في كتاب قواعد العقائد (المتوحد بصفات المجد
والعلاء) المجد السعة في الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أي هو تعالى مختص بتلك
الصفات فلا يشاركه فيها أحد (المؤيد صفوة الاولياء) أي خاصتهم (بقوة الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء) والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى
الاختبار والامتحان واختيار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المنحة
والمنحة بلاء فالمنحة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحق الصبر أي سمر من القيام بحق
الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين (والصلاة على) سيدنا (محمد سيد الانبياء) أي رئيسهم وزعيمهم
وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالاخبار الصحيحة (وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء
صلاة محروسة بالدوام عن الفناء) أي تدوم أبداً لا يباد فلا تنفني (ومصونة) أي محفوظة (بالتعاقب)
أي التوالي والتكرار (عن النصرم والانقضاء) أي الانقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام
تقدم البحث فيه في أول كتاب العلم (أما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به
الآثار وشهدت له الاخبار) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن
أنس ويزيد ضعيف اه قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب ولكن بلفظ نصف في الصبر ونصف في
الشكر (وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه صبوراً
وشكوراً) فالصبر هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه بل ينزل الامور بقدر
معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكامل ولا يقدمها على أوقاتها
تقديم مستعجل بل يودع كل شئ في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي وكل ذلك في غير مقاساة
داع على مضادة الارادة والشكور هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام
معدودة نعيم في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة باضعافها يقال انه شكور بتلك الحسنة ومن
اثني على المحسن أيضا فيقال انه شكور فان نظرت الى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق
الا هو سبحانه لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة وان نظرت الى معنى الثناء فناء كل مثن على
فعل غيره والرب تعالى اذا اثني على أعمال عباده فقد اثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه وان
كان الذي أعطى فائني شكوراً فالذي أعطى واثني على المعطى أحق بان يكون شكوراً فثناء الله على
عباده عطية منه (فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن) معرفة
(وصفين من أوصاف الرحمن) جل وعز (ولا سبيل الى القرب من الله تعالى الا بالايمان) به (وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة مآبه الايمان) وهو الصبر والشكر (ومن به الايمان) وهو
الصبر والشكر (والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك مآبه
الايمان فما أحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن) بحمد الله تعالى (نوضح كلا الشطرين في
كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى) أي فلم يفرد لكل واحد منهما كتابا كما فعله غيره
من المتكلمين على مقامات اليقين

* (الشرط الاول في الصبر) *

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميها باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان (٤) الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل

على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واذضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة فقال عز من قائل وجعلناهم من أئمة يهدون بامرنا الماصرين وقال تعالى وتمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فاما من قر به الا وجرها بتقوى وحساب الا الصبر فقد أوجب الجزاء للمتعصف به بغير حساب وحدود ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا آخري به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا آخري به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فأضافه الى نفسه) انشر يفاله (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعدا الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار من الله تعالى انه معهم ومن كان معه الله غاب بكن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعوان والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر) فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشتراط الصبر والتقوى لامتداده بجنده ونصره وتأيدده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور ثلاثة) لم يجمعها غيرهم (وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى) (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التذلل (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها * فن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا واصبروا وقوله واصبروا واصبروا * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين (وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميها باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى)

(بيان فضيلة الصبر)

من الكتاب والسنة اعلم انه (قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف) جليلة (وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا) وعن الامام أحمد انه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعا بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف انى الله عليه في كتابه (وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها) أى تلك الدرجات والخيرات (ثمرة له) ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعا * الاول انه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وان بالصبر واليقين ينال الامانة في الدين (فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا الماصرين) وكانوا باياتنا يوفون قال ابن عيينة في هذه الآية أخذوا برأس الامر فجعلهم الله رؤساء * النوع الثاني انه تمم عليهم كلمة الحسنى في الدين (و) منه (تمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) * النوع الثالث ايجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم (و) منه (قال) تعالى (وليجزين الذين صبروا وأجرهم بأحسن مما كانوا يعملون) * النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل (و) منه (قال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) * النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلائهم بانه ولاحد (و) منه (قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فاما من قر به الا وجرها بتقوى وحساب الا الصبر) فقد أوجب الجزاء للمتعصف به بغير حساب وحدود ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا آخري به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا آخري به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فأضافه الى نفسه) انشر يفاله (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعدا الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار من الله تعالى انه معهم ومن كان معه الله غاب بكن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعوان والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر) فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشتراط الصبر والتقوى لامتداده بجنده ونصره وتأيدده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور ثلاثة) لم يجمعها غيرهم (وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى) (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التذلل (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها * فن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا واصبروا وقوله واصبروا واصبروا * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

تعالى

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها غيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول

تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لا تقول لهم الادبار فان تولية الادبار ترك الصبر والمصابرة * النوع الحادى عشر الثناء على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين فى البأساء والضراء وخين الباس وأولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ونظائره كثيرة * النوع الثانى عشر ايجاب محبته لهم كقوله تعالى والله يحب الصابرين * النوع الثالث عشر اخباره بان الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله وان تصبروا فهو خير لكم * النوع الرابع عشر اطلاق البشرى لاهل الصبر كقوله تعالى وبشر الصابرين * النوع الخامس عشر الاخبار بان أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى ولئن صبرتم وغفر ان ذلك لمن عزم الامور * النوع السادس عشر الاخبار بانه ما يلقى الاعمال الصالحة جزاها الا أهل الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون وقوله وما يلقاها الا الذين صبروا * النوع السابع عشر الاخبار بان الفوز بالطلب والنجاة من المارهب ودخول الجنة انما آتوا به بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (وأما الاخبار) الواردة فى فضيلة الصبر (فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة واليقين الايمان كله وقد تقدم (على ما سأتى وجه كونه نصفاً) وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم كذا فى النسخ وفى القوت ان أقل ما أوتيتم (اليقين وعزيمة الصبر) من أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا والآية) تقدم هذا الحديث فى كتاب العلم مختصراً وذكر العراقى انه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا فى القوت وعزاه الى أبى امامة الباهلى من رواية شهر بن حوشب عنه وسأتى بتسامه فى آخر كتاب الزهد فى الفصول التى نلقتها بخطته (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان) ماهو (فقال) هو (الصبر والسماحة) قال صاحب القاموس وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوجه لمقامات الايمان من أولها الى آخرها فان النفس يرادها شيطان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهى عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اه وقد سبقه البيهقى بهذا فقال يعنى بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمع بأداء ما افترض عليه انتهى وتبعهما امام الطائفة الحسن البصرى فقال يعنى الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض قال العراقى رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اه قلت وذكر صاحب القوت انه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله فى يوسف انه ضعيف هو قول النسائى وروى الذهبى عنه انه قال فيه انه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو غير بن واقد اللبثى له حجة فاخرجه البخارى فى التاريخ باللفظ أفضل الايمان الصبر والسماحة ورواه الديلمى هكذا فى مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار وعزاه صاحب القاموس الى كتاب الادب المفرد للبخارى باللفظ المصنف (وقال) صلى الله عليه وسلم (الصبر كنز من كنوز الجنة) قال العراقى غريب لم أجده اه قلت وبما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث على رضى الله عنه أنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكنمان المصيبة وصلة الرحم وقول لاحول ولا قوة الا بالله وهذا لان كنمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بدل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصرى الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله

وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر من أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا وأجرهم الآتية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضاً الصبر كنز من كنوز الجنة

الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والانبيا في هذا الانحصى (وأما الآثار) فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عليه السلام بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر

الالعبد كريم عنده (وسئل) صلى الله عليه وسلم (مرة ما الإيمان فقال الصبر) أي بجميع أنواعه الآتي ذكرها فنهاتهم مراتب الإيمان وقد أحاله العراقي على حديث علي الآتي ذكره للمصنف في الآثار ولفظه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا يخفى أنهم جاهدوا ثبات متغابرين فتأمل (وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة) وقد تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج أي معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان (وقال أيضا) صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس) هكذا هو في القوت واستطرد ذكره في كتاب التوبة فقال ثم على التائب أن يعمل في قطع معتاد إن كان ثم يصبر على مجاهدة النفس في الهوى إن بلي به ثم قال فهذه الخصال من أفضل أعمال المرادين وأزكاها ومعهات لهم النفس الماطنة رشدها وتقواها وهاجها تخرج من وصف الامارة بالسوء إلى وصف الماطنة إلى اخلاق الإيمان وهذا أحد المعاني في الخبر المشهور أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار اجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق لأن محبة الحق من أفضل الأعمال اه وقال العراقي لأصل له مرفوعا وانما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذارواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام) يا داود (تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور) نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاقي الله تعالى والتخلي بمعاني صفاته وإيمانه بقدر ما يتصور في حقه ليصير بذلك ربا يبار فيه قبالا للأعلى من الملائكة على بساط القرب وسما في الكلام على ذلك (وفي حديث عطاء) بن أبي رباح التابعي المكي الثقة (عن ابن عباس) رضي الله عنه قال (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم أو كان جالسا معهم اذ ذلك فاجاب نباهة عنهم وقال (نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء) أي الرخصة والسعة (ونصبر على البلاء) أي الاختبار والشدة (ونرضى بالقضاء) فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون أنتم ورب الكعبة هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف ابن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء اه (وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير) ولفظ القوت أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون) ولفظ القوت إلا بالصبر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين) قال العراقي رواه الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي اه قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريق صحيح بن دينار البلدي عن المعاني بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعاني (والاخبار في هذا) الباب (بما لا تحصى) لكثرة ما ومن ذلك ما رواه الديلمي بلا إسناد من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه ما الصبر مفتاح الفرج والزهد غني البذور والقضاء من حديث ابن عمر وابن عباس انتظار الفرج بالصبر عبادة وروى الطبراني في الكبير من حديث الحكم بن عمار التميمي الصبر والاحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحب الجنة بغير حساب (وأما الآثار) في الصبر (فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه أرسلها إليه حين كان واليا بالبصرة (عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر) رواه إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن والده أدريس بن عبد الله عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه وكان أبو موسى قد

أوصى إلى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها إليه (وقال على رضي الله عنه بنى الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل) ولفظ القوت وقد جعل على رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الإيمان وقربه بالجهد والعدل والايقان فقال بنى الإيمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهد والعدل اه قلت وقد روي ذلك من حديث على مرفوعا قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن السدي حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا معمر بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاص بن عمر وقال كحلوسا عند علي بن أبي طالب اذا تأه رجل من خراعة فقال بأمر المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الاسلام قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بنى الاسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهد والعدل الحديث وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاص بن عمر ومرفوعا وخالف الرواة عن علي فقال الاسلام ورواه الاصمعي بن نباتة عن علي فقال الإيمان ورواه الحرث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اه قلت ولفظ الإيمان موقوفا رواه صاحب نهج البلاغة (وقال) على رضي الله عنه (أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له) كذا في القوت ولكن بلفظ إنما الصبر من الإيمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب باسناده إليه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال على رافعا صوته اما انه لا إيمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال على رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم بها أباط الأبل لكنت لذلك أهلا لا رجوت أحد منكم إلا ربه ولا تخافن الأذنبة ولا يستحيين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد اذا لم يتعلم الشيء أن يتعلم وعليكم بالصبر فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه انتهى وقد روي أوله مرفوعا من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول نعم العبدان) مني العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الحبل زنة ومعنى اذ كل منهم ما عدل للآخر قال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالقض ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشيء بالكسر مثله من جنسه ومقداره (ونعمت العلاء للصبرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء) بالكسر (ما يحمل فوق العدلين على البعير) فيكون كعدل ثالث وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الاداة والسفرة والجمع علاوي (أشار إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) كذا في القوت وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في الغزاة عن عمر بن الخطاب قال نعم العبدان ونعم العلاء الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا الله وانا لله واجمعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون نعم العلاء (وكان حبيب بن أبي حبيب) البجلي أبو عمر والبصري نزيل الكوفة صدوق يخطئ روى له الترمذي (اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب) يعني داود عليه السلام (بكي وقال وأعجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه) والرب اذا أثني على أعمال عباده فقد أثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قال حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والاخلص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من

وقال على كرم الله وجهه بنى الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العبدان يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب بكي وأعجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثنى وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف
فلنذكر حقيقة ومعناه وبالله التوفيق (٨) (بيان حقيقة الصبر ومعناه) اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة
فلا تحصل قبل معرفة الموصوف) فلا بد من معرفة الموصوف الذي هو حقيقة الصبر (فلنذكر حقيقة
ومعناه وبالله التوفيق) * (بيان حقيقة الصبر ومعناه) *

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الصبر مقام) شريف (من مقامات الدين) وهو ثاني مقام من مقامات اليقين
(ومنزل) منيف (من منازل السالكين) في طريق الحق لا يستغنى عنه سالك ألبتة الا رجل انسلخ
من غفلته الى حضرة ربه فان هذا المنزل لا يعرف ولا يدور حوله الى أن يرجع الى بشريته وانسانيته
(و جميع مقامات الدين انما تنظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال) وذلك لان المقامات كلها من
الايمان بالله وبالله كما دل عليه قوله تعالى فليس تحصيوا الى وليه ومنوا بي ولا يمان بالله وبالله عقود كثيرة لانهاية
لها على ما أشرنا اليه في أول كتاب التوبة وكل عقد من هذه العقود أصل ولذلك الأصل فرع والفرع ثمرة
(فالمعارف هي الاصول) الثابتة في القلوب بآمرها الله بهما من النظر والاعتبار (وهي ثورث الاحوال)
أي ان تلك الاصول فروعات تنشأ عنها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبله عليه من محبة سعادتها
وكمالها (والاحوال ثمرات الاعمال) أي ان لذلك الاحوال ثمارا هي الاعمال الناشئة عن أحوال القلوب وبها
النجاة والكمال فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وألله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد
والعمل هو ما تنشأ المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (فالمعارف كالاشجار) فانها ثابتة في
القلوب ثبوت الاشجار في الارض (والاحوال كالاغصان) فانها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الاغصان
عن الاشجار (والاعمال كالثمار) فانها تنشأ من تلك الاحوال تنشأ الثمار من الاغصان وقد بين ذلك
قوله تعالى ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وتقدمت الاشارة اليه أول كتاب
التوبة (وهذا ما طرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف) فقط
التي هي الاصول (وتارة يطلق على الكل) أي عليها مع ما ينشأ منها ويثمر منها (كأذا كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر) من جملة عقود الايمان بالله وبالله (لا يتم الا بمعرفة
سابقة وبحالة قائمة) تنشأ عن تلك المعرفة هي كالفرع لها (فالصبر على التحقيق عبارة عنهما) عن تلك المعرفة
والحالة (والعمل هو كالثمره يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين) الموجودات
(والملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس) أي مخصوص بنوع الانسان لتركبه من طرفي
مشابهة الملائكة والبهائم (فلا يتصور ذلك في البهائم والملائكة أما) عدم تصوّره (في البهائم فلنقصانها)
وتسفل درجتها في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفي ادراك الهميمة نقص وفي
فعلها نقص أما ادراكها فنقصانها انه مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء
الاجماسة أو يقرب منها فالحس معزول عن الادراك ان لم يكن مماسة ولا قرب فان اللمس والنوق
يحتاجان الى المماساة والسمع والبصر والشم يحتاجون الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب
فالحس معزول عن ادراكه في هذه الحالة وأما فعلها فسيأتي في سياق المصنف قريبا (وأما) عدم تصوّره
(في الملائكة فلنكاليها) وعلود درجتها (و بيان ان البهائم سلط عليها الشهوات وصارت مسخرة) أي
منقادة (لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا) وهو اشارة الى نقصانها في فعلها
(وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم
تسلط عليهم شهوة صارقة صادرة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن) مطالعة (حضرة الجلال بجند

منازل السالكين وجميع
مقامات الدين انما تنظم
من ثلاثة أمور معارف
وأحوال وأعمال فالمعارف
هي الاصول وهي ثورث
الاحوال والاحوال ثمر
الاعمال فالمعارف كالاشجار
والاحوال كالاغصان
والاعمال كالثمار وهذا
مطرد في جميع منازل
السالكين الى الله تعالى
واسم الايمان تارة يختص
بالمعارف وتارة يطلق على
الكل كأذا كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في
كتاب قواعد العقائد وكذلك
الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة
وبحالة قائمة فالصبر على
التحقيق عبارة عنها والعمل
هو كالثمره يصدر عنها ولا
يعرف هذا الا بمعرفة كيفية
الترتيب بين الملائكة
والانس والبهائم فان الصبر
خاصية الانس ولا يتصور
ذلك في البهائم والملائكة أما
في البهائم فلنقصانها وأما
في الملائكة فلنكاليها وبيان
أن البهائم سلط عليها
الشهوات وصارت مسخرة
لها فلا باعث لها على
الحركة والسكون الا الشهوة
وليس فيها قوة تصادم
الشهوة وتردها عن مقتضاها
حتى يسمى ثبات تلك القوة
في مقابلة مقتضى الشهوة
صبرا وأما الملائكة عليهم السلام
فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية
والابتهاج بدرجة القرب منها ولم
تسلط عليهم شهوة صارقة صادرة
عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها
عن حضرة الجلال بجند

آخر يغلب الصوارف وأما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبابة فاصمائل الهيمة لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر فقام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم ولكن الله تعالى بفضل له وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة (٩) البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر

يقويه فميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كإمان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الإيعان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله

آخر يغلب الصوارف) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب الى الله تعالى (وأما الانسان) فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكانه مركب من هيمة وملكية (فانه خلق في ابتداء الصبي ناقصا مثل الهيمة) أي في الادراك اذ ليس له منه أولا الا الحواس التي يحتاج في الادراك بها الى طلب القرب في المحسوس بالسعي والحركة الى ان يشرق عليه نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والارض من غير الحاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب أو محاسن المدرك له بل مدركه الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان (لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه) فهي مستولية عليه (ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة) وفي أثناء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب وبحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون اتبعاته (ثم شهوة النكاح على الترتيب) الى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات (وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر فقام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم) يدعو الى أفعال ملائمة لشهوته (ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده) وكرمه (أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم) اذ قد خصهم بالكمال في الادراك وفي العقل (فوكل به) أي بكل واحد منهم (عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر يقويه فميز بمعونة الملكين عن) رتبة (البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله) الثانية (معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة) يقال للامرغب بالكسر ومغبة أي عاقبة (ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها) من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كإمان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الإيعان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله

(٢ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) بجند لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد (كإمان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن وان تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهة عمل بغيره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث (١٠) الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعد اوة الشهوات ومضادتها لاسباب

السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين لكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجنتين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسما له فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تتفاد العبد بكرهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

وخزبه وهذا الايمان واجب لا يستغنى عنه سالك لطريق الله تعالى (فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أي باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن) وأترله الله في جواره ومتعه بالنظر الى وجهه (وان تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين) وسم عليه بمسمى الابعاد عن حضرة رب العالمين (فاذا ترك الافعال المشتهة عمل بغيره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعد اوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال) الصادرة عنه (على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها) والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة القوية له الى ان يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ولولم يكن الاقوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وان تغافل وتلاشى في أمره ولم يستعجز يا امن الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره قال الله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لا ملائكة جنة من الجنة والناس أجمعين (وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجنتين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين) جملة (الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين) قال الله عز وجل كلاب تكذبون بيوم الدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى ابن جرير عن ابن عباس قال جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وروى البزار عن حديث ابن عباس ان الله ينهاكم عن التعري فاستحبوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم الا عند احدي ثلاث حالات الغائط والجنبانة والغسل فان اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بحزم حائط أو بغيره وفيه حفص بن سليمان ابن الحديث وروى ابن مردويه عن حديث ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فرأى رجلا يغتسل بغلاة من الارض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم الا عند احدي منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لانهم كرام كما سماهم الله فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بحزم حائط أو بغيره فافهم لا ينظرون اليه (واذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسما له) موكولا اليه (فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه عنه) سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تتفاد العبد بكرهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

كما

ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تتفاد العبد بكرهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما تعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة (١١) الصغرى ومرة في القيامة الكبرى

وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمراً لا آحاداً واليهول الاول هو هول القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلاً فان أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم أن الزلزلة اذا زلزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضى مخلوق من التراب وحظك الخاص في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضى مخلوق من التراب

كلوصفهم الله تعالى بذلك وهم كلوصفوا (وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات) في صحائف أعمال العباد (وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب) أي باطنه (ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما تعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم) وانما تدركه البصائر الصافية المصقولة بانوار العرفان (ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى) وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته (قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت وعند ابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي من حديث أنس اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة وروى العسكري في الامثال من حديث أنس أكثر واذكر الموت فانكم ان ذكركم في غنى كثره عليكم وان ذكركم في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر وفيه داود بن المهبر كذاب عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك منهم عن محمد بن زاذان قال البخاري لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ أكثر واذكر الموت فان ذلك تحبص للذنوب وترهق في الدنيا الموت القيامة وعند ابن أبي الدنيا فانه يحبص الذنوب وترهق في الدنيا وسنده ضعيف جدا وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته (وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى) أي افراداً (كما خلقناكم أول مرة) أي في وقت الولادة (وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أي حاسباً (ما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق) من الاول الى الآخر (فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق) ورؤس الاشهاد (وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمراً لا آحاداً) كجدل عليه قوله تعالى وسبق الذين اتقوا بهم الى الجنة زمراً الآية (والهول الاول هو هول القيامة الصغرى) يعني به هول (الموت وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فان للقيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلاً) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها (فان أرضك الخاصة بك يدلك تزلزل في الموت) أي تضارب وترج (فانك تعلم ان الزلزلة اذا زلزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان واعلم انك ارضى مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب يدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان (لحلولك فيه) وانما تخاف من زلزلة ان يترزّل بدنك بسببه والا فالهوى أبدام تزلزل وأنت لا تخشاه ولا تعني به (اذ ليس يترزّل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترباك الخاص بك وعظامك جبال أرضك) أي بمنزلة الصلابتها بالاضافة الى سائر أجزاء البدن (وأطرافك أشجار أرضك) لارتفاعها كارتفاع الاشجار (ورأسك سماء أرضك) لعلوها كعلو السماء (وقلبك شمس أرضك) أي بمنزلة الشمس في السماء في تنويرها (وسمعتك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة بنجوم

وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان وانما تخاف من زلزلة أن يترزّل بدنك بسببه والا فالهوى أبدام تزلزل وأنت لا تخشاه اذ ليس يترزّل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترباك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وسمعتك وبصرك وسائر حواسك بنجوم

سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا انهم دم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحم فقد جلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشقت دماغك فقد انشقت السماء انشقا فاذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى

سمائك) أى بمنزلة العرق من بدنك بحر أرضك) أى بمنزلة في أسالة الفوهات (وشعورك) النبات في البدن (نبات أرضك) أى بمنزلة في النمو (وهكذا الى جميع أجزائك) وقد أشار اليه المصنف في كيمياء السعادة فقال ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب (فاذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها) أى اضطرابها المقدرها (فاذا انفصلت العظام واللحم) من بعضها (فقد جلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا أرميت العظام) أى بليت وتخرت (فقد نسفت الجبال نسفا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويستألفك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وفي نسخة فقد بسطت الجبال بسا (فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا) أى لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف مشروعا فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره (فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا) أى أظلمت وانقضت (فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقا) أى صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام (فاذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك) وذلك عند الموت فان الجبين لا تعرق الا عند معاناة الاهوال ولاهول أعظم من الموت (فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى سابقك بالآخرى وهما مطينك فقد عطلت العشار تعطيل) أى تركت مهملة والعشار هى النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشاء (فاذا فارقت الروح الجسد فقد جلت الارض فدت) أى بسطت بان زلزال جبالها وأكامها (حتى ألقت ما فيها) أى فى جوفها (وتخلت) أى تكلفت فى الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى بطنها (ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاهوال وليكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى) وتعابن أهوالها (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يحصل بل ما يخص غيرك) أيضا (فان بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا يفعل وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى) الذى ذهب بصره (يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت فى حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماءه اذ انشقت عبارة عما يلي جهة الرأس) لسموه أى علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الاعتبار (فن لا رأس له لاسماء له فن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هى القيامة الصغرى) المشار اليها فى الحديث المذكور (والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى) أى المصيبة العظمى تطعم على السكل وتم (وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض) وحجيت آثارها (ونسفت الجبال) نسفا فصارت هباء منبثا (وتعت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا فى وصفها فانالم نذكر عشر عشر أوصافها بالنسبة الى القيامة الكبرى) وهى (كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى) فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو فى الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله فى كتابه العزيز (وله فى سلوكه الى الكمال منازل) يسلكها (وأطوار) ينتقل اليها (من نطفة وعلقته ومضغة

سمائك) أى بمنزلة العرق من بدنك بحر أرضك) أى بمنزلة في أسالة الفوهات (وشعورك) النبات في البدن (نبات أرضك) أى بمنزلة في النمو (وهكذا الى جميع أجزائك) وقد أشار اليه المصنف في كيمياء السعادة فقال ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب (فاذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها) أى اضطرابها المقدرها (فاذا انفصلت العظام واللحم) من بعضها (فقد جلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا أرميت العظام) أى بليت وتخرت (فقد نسفت الجبال نسفا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويستألفك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وفي نسخة فقد بسطت الجبال بسا (فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا) أى لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف مشروعا فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره (فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا) أى أظلمت وانقضت (فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقا) أى صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام (فاذا انفجرت من هول الموت عرق جبينك) وذلك عند الموت فان الجبين لا تعرق الا عند معاناة الاهوال ولاهول أعظم من الموت (فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى سابقك بالآخرى وهما مطينك فقد عطلت العشار تعطيل) أى تركت مهملة والعشار هى النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشاء (فاذا فارقت الروح الجسد فقد جلت الارض فدت) أى بسطت بان زلزال جبالها وأكامها (حتى ألقت ما فيها) أى فى جوفها (وتخلت) أى تكلفت فى الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى بطنها (ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاهوال وليكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى) وتعابن أهوالها (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يحصل بل ما يخص غيرك) أيضا (فان بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا يفعل وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى) الذى ذهب بصره (يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت فى حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماءه اذ انشقت عبارة عما يلي جهة الرأس) لسموه أى علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الاعتبار (فن لا رأس له لاسماء له فن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هى القيامة الصغرى) المشار اليها فى الحديث المذكور (والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى) أى المصيبة العظمى تطعم على السكل وتم (وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض) وحجيت آثارها (ونسفت الجبال) نسفا فصارت هباء منبثا (وتعت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا فى وصفها فانالم نذكر عشر عشر أوصافها بالنسبة الى القيامة الكبرى) وهى (كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى) فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو فى الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله فى كتابه العزيز (وله فى سلوكه الى الكمال منازل) يسلكها (وأطوار) ينتقل اليها (من نطفة وعلقته ومضغة

وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وبنت الاهوال واعلم وغيرها أن هذه الصغرى وان طولنا فى وصفها فانالم نذكر عشر عشر أوصافها وهى بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو فى الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله فى سلوكه الى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقته ومضغة

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء (١٣) الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم

بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين واليه الإشارة بقوله تعالى وتتشكّم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمساكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والجهل والضلال واغواء العدو الحيل (فلا تكفلك دالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كني بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كني بالموت واعظا وكني بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا باللفظ كني بالموت واعظا وكني باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالتبثا لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كني بالدهر واعظا بالموت مفرقا ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسل كني بالموت مفرقا وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسل كني بالموت مره في الدنيا ومره في الآخرة (أو ما سمعت بكبره صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أهني على سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطائك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يغمضون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيطون بها اللهم أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتيهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يعظون (ويأتيهم الشيب رسولاً منهم) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بان يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أم روا) أي ألم يعلموا (كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلاكنا من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم) وسعته (فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى) قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين) الاولى والثانية (واليه الإشارة بقوله تعالى وتتشكّم فيما لا تعلمون بالقيامتين) الصغرى والكبرى (مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمساكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين) عالم الملك فقط (وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والجهل والضلال) اذ هو مسوخ العين البني كالأوردة في الاخبار (فما أعظم غفلتك يا مسكين وكنا ذلك المسكين) قد ضربت الغفلة على بصائرنا حجابا (وكيف تغفل وبين يدك هذه الاهوال) والمصائب والاهوال (فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال) واغواء العدو الحيل (فلا تكفلك دالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كني بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كني بالموت واعظا وكني بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا باللفظ كني بالموت واعظا وكني باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالتبثا لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كني بالدهر واعظا بالموت مفرقا ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسل كني بالموت مفرقا وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسل كني بالموت مره في الدنيا ومره في الآخرة (أو ما سمعت بكبره صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أهني على سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطائك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يغمضون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيطون بها اللهم أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتيهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يعظون (ويأتيهم الشيب رسولاً منهم) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بان يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أم روا) أي ألم يعلموا (كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلاكنا من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

الى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذرا من الموت فلا يتزحرون ويأتهم الشيب رسولاً منهم فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون أفيظنون انهم في الدنيا خالدون أولم يروا كم أهلكا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون أم

(14)

أن يكتب على الصبي شيئاً وحده
بالضرب فكل ولي هذا سمته في
الملائكة فيكون مع النبيين والم
الكرمين صلى الله عليه وسلم

أَنْ يَكْتُبَ عَلَى الصَّبِيِّ سِتِّينَ وَحَسَنَةً عَلَى صِحْفَةٍ قَلْبِهِ فَيَكْتُبُ عَلَيْهِ بِالْخَطِّ ثُمَّ يَنْشُرُهُ عَلَيْهِ بِالتَّعْرِيفِ ثُمَّ يَعْذِبُهُ عَلَيْهِ الْمَعَارِفُ بِالضَّرْبِ فَكُلُّ وَلِيٍّ هَذَا سَمِعْتَنِي فِي حَقِّ الصَّبِيِّ فَقَدُورُ أَخْلَاقِ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي حَقِّ الصَّبِيِّ فَيُنَالُ بِهِمُ أَدْرَجَةُ الْقَرَبِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَلِمَاتُهُ الْمَلَائِكَةُ فَيَكُونُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالْمُقَرَّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَآلِهِمُ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّكَ أَكْفَلُ النَّبِيِّمُ كَهَاتَيْنِ فَمَا لَجَنُوتُوا أَشَارَ إِلَى أَصْبَعِهِ الْكَرِيمَتَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * (بَيَانُ كَوْنِ الصَّبِيِّ نَصْفَ الْإِيمَانِ) * أَعْلَمُ الْإِيمَانَ ثَلَاثَةٌ يَخْتَصُّ فِيهِ بِالْإِطْلَاقِ بِالتَّصْدِيقَاتِ بِأَصُولِ الدِّينِ

وتارة يختص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليها جميعا والمعارف أبواب ولا أعمال أبواب ولا شتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا (١٥) فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد

باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول

المعارف (وتارة) يختص في اطلاقه (بالاعمال الصالحة الصادرة عنها) أي عن تلك التصديقات (وتارة) يطلق عليها جميعا والمعارف والاعمال أبواب كثيرة (ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها) بالاطلاق الثالث (كان الايمان نيفا وسبعين بابا) كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي الايمان بضع وسبعون بابا فادناها ما ملأ الله عز وجل القلوب من العلم والدين وقال حسن صحيح وعند ابن حبان الايمان سبعون أو ثمانون وسبعون بابا أرفعه لاله الا الله وأدناه ما ملأ الله الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان وقد تقدم (واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات) فليراجع هناك (ولكن الصبر نصف الايمان) كما ورد في الخبر (باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق) الايمان (على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما (أي اليقين والصبر) فقال ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث (الخ من رواية شهر بن حوشب عن أبي امامة مرفوعا وقد تقدم قريبا وهذا الاعتبار أيضا يكون اليقين نصف الايمان لانه أحد ركنيه ويقرر كون الصبر نصف الايمان بوجه آخر هو انه كما سيأتي ان الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات لان الاوقات الداخلية على الطاعات من جملة المعاصي لان العدو وحظا في دخول الاوقات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على تلك المعصية الا الصديقون والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي اذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محلك الايمان ولان الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد والصبر على المصائب في الغالب لا يكون الا عن مشاهدة انقضاء القدر والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعيد والوعيد من الايمان بالله وما نشأ عن الايمان بالله تعالى كان أفضل وبشرف الصبر بشرف المصبور وفيه المصبور لاجله وبه يعرف سر قوله الصبر نصف الايمان لان النصف الاول هو العلم والنصف الثاني هو العمل (الاعتبار الثاني أن يطلق) الايمان (على الاحوال المثمرة للاعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما ان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهذا النظر قال ابن مسعود) رضي الله عنه (الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في القوت وقدرناه البيهقي نحوه (وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بشتات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذات والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر) كما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بشتات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذات والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

الاعتبار وبيع الايمان فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان فإن اسم الايمان يطلق (١٦) على وجوه مختلفة * (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

الاعتبار وبيع الايمان) وباعتبار ان الصبر لا يتم الا بعمل يثمره وعمل هو غرته يكون الصبر الايمان كله كما في الحديث وباعتبار ان مدار اليقين على الايمان بالله وبقضائه وقدره وما جاء به رسله مع الثقة بوعده ووعيده فهو متضمن لكل ما يجب الايمان به يكون اليقين الايمان كله كفي ثمة خبرا بن مسعود السابق ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهد بن يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الاشعري عند الحكيم وابن عساكر ومن ثم قالوا اليقين الايمان بالقدر والسكون اليه (فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة) واعتبارات شتى

* (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الصبر) في اللغة الحبس والكف فيضيق ومنه قتل فلان صبرا اذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية أي احبس نفسك معهم وهو (ضربان ضرب بدني) ويقال له الجسمي أيضا وذلك (كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها) على قدر قوة البدن ونهايته معلومة وأكثرها النوى الجسموم الخسنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله * صبرا بالملك وليس بالاجسام

(وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا حتى تسقط قوته (أو من غيرها) كالشيء الكثير ورفع الحجر الثقيل (واما بالاحتمال) وهو الانفعال (كالصبر على الضرب الشديد) بالمقارع (والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون مجودا اذا وافق الشرع) نصا أو قياسا أو تحببا (ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي) وذلك بان يكف النفس (عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى) وبه تتعلق الفضيلة (ثم هذا الصبر) ضربان (ان كان صبرا عن) تناول (شهوة البطن والفرج سمي عفة) فالعفة لا تتعلق بالا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية الا بالملل والحيوانية وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الالوان الحسنة والالوان الطيبة والاشكال المنتظمة والعفة أس الفاضل وانما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد ما يكون جالبا للبغى والعدوان ونماها يتعلق بحفظ الجوارح (وان كان عن احتمال مكروه) وهو الضرب الثاني وهذا قد (اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر) وأخصر (من ذلك اختلفت أساميته بحسب اختلاف مواقفه فان كان) ذلك (في) نزول (مصيبة اقتصر) به (على اسم الصبر) ولم يتعده هذا الاسم (وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع) والجزع (وهو اطلاق دواعي الهوى يستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود) ولهم الصدور (وشق الجيوب وغسبها) مما يشا كلها (وان كان) ذلك (في احتمال الغنى) فقد (سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر) وقال بعضهم ضبط النفس في الاشياء الملهة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما في الاسماء المترادفة على معنى واحد (وان كان) ذلك (في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم) هو امساك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلسا ويضاده التذمر) بالذال المعجمة (وان كان في بذل المال وانفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير وان كان) ذلك (في نائبة من نواب الزمان مضرة) أي مقلقة (سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام) وامساكه في الضمير (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتما) ويضاده الافشاء (وان كان من فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

اعلم ان الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون مجودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان عن احتمال مكروه اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق دواعي الهوى ليستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلسا ويضاده

على

التذمر وان كان في نائبة من نواب الزمان مضرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتما وان كان من فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحجة عرفة وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن أن هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى (١٧) الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق

المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولاً فيطالع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل وإلى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن عشي مبكا على وجهه أهدي أمن عشي سويًا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الاجل هذه الانعكاسات نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه * (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) * اعلم ان باعث الدين الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى ويصدمه مرة (فلا تبقى له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلاً (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصنهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله أنزلنا ربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهوتهم) أي غلبتهم وجعلتهم كالارقاء (وغلبت عليهم شقوتهم) وسوء حظهم (فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضغة العثمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره) محرقة (فاكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال هو الصبر) كما تقدم قريلاً لأنه أكثر أعماله وأعزها (كما قال) صلى الله عليه وسلم (الحجة عرفة) تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج (وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبراً) في آية واحدة (فقال والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة) فهذا صبر عام ولما كان أشق شيء على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الأمور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمالهم فقال (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها) فاختلقت الاسامي لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته في نفسه وأنه مقصود لذاته (ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة) وهذا نظر قاصر (والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله) مما أفيض به على بصيرته (يلحظ المعاني أولاً فيطالع على حقائقها) الأصلية (ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل) قدمه (والى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن عشي مبكا) بعثر كل ساعة ويحجر (على وجهه أهدي) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قاله بقوله (أمن عشي سويًا) فأنما سال من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة (فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الاجل هذه الانعكاسات) فكان سبيل العثارهم (نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه آمين)

* (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) *

(اعلم) هداية الله تعالى (ان باعث الدين بالإضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى) ويصدمه مرة (فلا تبقى له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلاً (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصنهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله أنزلنا ربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهوتهم) أي غلبتهم وجعلتهم كالارقاء (وغلبت عليهم شقوتهم) وسوء حظهم (فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضغة العثمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

(٣ - اتحاف السادة المتقين) - تاسع) واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * (الحالة الثانية) * أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو لاعلمهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظا قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى (١٨) توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية الشهوة فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحبل

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفتهم) وبارت تجارتهم (وقيل لمن قصد ارشادهم) بلسان الوحي (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق) ونهاية الجهل (كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي ملكها (وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله) الاماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية) أي ملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحبل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في بدشهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه) أي يستخدمونه (في رعاية الخنازير وحفظ الخجور وجلها) من موضع الى موضع (ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لان تفاخس جنائته سببه انه سخراً ما كان حقه ان لا يستخزروه وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فلهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر) أي جعله رقيقاً (بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه) المحسن له (فأخذ أعز أولاده وسلمه الى) يد بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته (أي استحقاقه) لنقمته لان الهوى ابغض الاله عبد في الارض عند الله تعالى) وقدرى ذلك من حديث أبي امامة بالفظ ابغض الاله عبد عند الله في الارض هو الهوى هكذا رواه الطبراني في الكبير باسناد ضعيف (والعقل أعز موجود خلق في الارض) وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم (الحالة الثالثة ان يكون الحرب بجبالاً) ودولا (بين الحندين فتارة له اليد) أي الغلبة والتفهر (عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين) قال الله تعالى فيهم وآخرون (اعترفوا بذنوبهم خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) ان الله غفور رحيم (هذا باعتبار القوة والضعف وتطرق اليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه) لا يتخلو (اما ان يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض) فالحالة الاولى للسابقين والثانية للظالمين والثالثة للمعتصدين (وتنزيل قوله تعالى) وآخرون اعترفوا بذنوبهم (خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله

التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في بدشهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخجور وجلها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لانه بفاحس جنائته يشبه أنه سخراً ما كان حقه ان لا يستخزروه وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فلهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه الى أبغض أعدائه

غفور

فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته لنقمته لان الهوى ابغض الاله عبد في الارض عند الله

تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الارض (الحالة الثالثة) أن يكون الحرب مجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خطوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خطوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً

على من عجز عن بغض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا إذا البهيمة لم
تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقا المديبر يقينا ولذلك قيل
ولم أرفى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر أيضا باعتبار (١٩) اليسر والعسر إلى ما يشق على

النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى ومثال هذه القسمه قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بآدنى جهلة وأيسر قوة بحيث لا يلقيه في مصارعه أعباء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهل ودورق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى تيسر الصبر بطول الموانعة وأورث ذلك مقام الرضا وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسيافى فى آخر كتاب الرضا) أن شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) أن شاء الله تعالى (أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي لأحداث على الأعمال فانظر فليس الخبر كالعيان أن السبيل لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومداغة العدو الداعى إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

غفور رحيم (على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى) من تنزله على الحالة الثانية (والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطاه) أى أهمله (فهو الناقص حقا المديبر يقينا ولذلك قيل) (ولم أرفى عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام)

وفى نسخة نقصا بدل شيئا فإنه قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنسانا أو إنسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا وأن يرضى بقنينة معارة وحياة مستردة وله أن يتخذ قنينة مخلدة وحياة مؤبدة (وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا) وصاحبه متصبر أى متكلف الصبر وحامل نفسه عليه (والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر) وإلى ما يكتب الصبر ويتلى به ويخص ذلك باسم الاصطبار فالمراتب ثلاثة وهى فى الوصف والكيف وهنالك مرتبتان أخريان فى القدر والكم وهما الصبور والصابر فالصبور العظيم الصبر الذى صبره أشد من صبر غيره والصابر الشديد الصبر فكملة المراتب خمسة وأعمها الصابر (وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر) وسهل عليه (ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) فتيسره للحالة اليسرى هو ادامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه (ومثال هذه القسمه قدرة المصارع على غيره فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بآدنى جهلة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقيه فى مصارعه) إياه (اعياء ولا لغوب) أى تعب (ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر) أى لا ينقطع نفسه من الضعف (ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهل ودورق جبين) وهو كناية عن الشدة (فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى) أى غلب وقهر (وتيسر الصبر بطول الموانعة أو رث ذلك مقام الرضا) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسيافى فى آخر كتاب الرضا) أن شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) أن شاء الله تعالى (أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي لأحداث على الأعمال فانظر فليس الخبر كالعيان أن السبيل لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومداغة العدو الداعى إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكرر خبر كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين * وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين * وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين فى كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر

وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم * فالصبر عن المحظورات فرض (٢٠) وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يذوله وهو يصبر عليه

ساكنا أو كمن يقصد حرمه بشهوة محذورة فتتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محل الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة * (بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال) * اعلم أن جميع ما يليق العبد في هذه الحياة لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر (النوع الاول) ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجته ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى في كتابه العزيز زرد علان كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضمير من لواحد قاله البياض (حتى قال بعض العارفين بالبلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

واهتمام وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ونشاط ولو بذل روحه ما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتي ذكرها بعد (وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا) لاني صبر عام شامل لجميع افراده فقد روى عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر على المصائب وقد روى ذلك من حديث ابن عباس الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية الحديث فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر (واعلم أن الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يذوله وهو يصبر عليه ساكنا أو كمن يقصد حرمه بشهوة محذورة فتتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع) وهذا يدل أن الصبر لا يراد لذاته ولفظ القوت الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا واجبا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا ونذبا فالصبر عليه أو عنه نذوب وفضل (فليكن الشرع محل الصبر) فما كان المصبر عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل (فيكون الصبر نصف الايمان ولا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد منه) أي من الصبر المحمود (أنواع من الصبر مخصوصة) وقال القطب الجليلي قدس سره في فتوح الغيب لابد للعبد من أمر يفعله ونهى يجتنبه وقد يصبر عليه وذلك متعلق بطرفين طرف من جهة الرب وطرف من جهة العبد فالاول هو ان له سبحانه على عبده حكمين كوني قدرى وشري ديني فالكوني متعلق بخلقه والشري بامر به فالاول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر والثاني لا يتم الا به فرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور وترك المحذور وفعل المأمور وأما الطرف الثاني فان العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضا ولا يسقط عنه ما بقي التكليف فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوى الاعليه كالاتسوى السنبلة الاعلى ساقها وهذه الثلاثة قد وقعت الاشارة اليها بآية أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك * (بيان مظان الحاجة الى استعمال الصبر) *

في الطاعات وغيرها (وان العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال اعلم) وفقه الله تعالى (ان جميع ما يليق العبد في هذه الحياة الدنيا لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة من الآفات (والمال والجاه وكثرة العشرة) من بنه وبنى عمه (واتساع الاسباب) المحصلة لذلك (وكثرة الاتباع) من المال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجته ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى في كتابه العزيز زرد علان كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضمير من لواحد قاله البياض (حتى قال بعض العارفين بالبلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفطنة الضراء فصبرنا وابتلينا (٢١) بفطنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر

الله عباده من فطنة المال
والزوج والولد فقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم
أموالكم ولا أولادكم عن
ذكر الله وقال عز وجل ان
من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم
وقال صلى الله عليه وسلم
الولد مخيلة مجبنة مخزنة وما
نظر عليه السلام إلى ولده
الحسن رضي الله عنه يتعثر
في قميصه زل عن المنبر
واحتضنه ثم قال صدق الله
انما أموالكم وأولادكم
فطنة في المارأيت ابني يتعثر
لم أملك نفسي أن أخذه
ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار
فالرجل كل الرجل من صبر
على العافية ومعنى الصبر
عليها أن لا يركن إليها ويعلم
أن كل ذلك مستوفع عنده
وعسى أن يسترجع على
القرب وأن لا يرسل نفسه
في الفرح بها ولا ينهمك في
التعم واللذة واللهو واللعب
وأن يرعى حقوق الله في
ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل
المعونة للخلق وفي لسانه
ببذل الصدق وكذلك في
سائر ما أتم الله به عليه وهذا
الصبر متصل بالشكر فلا
يتم إلا بالقيام بحق الشكر
كإسائي وأما كان الصبر
على السراء أشد لانه مقرون
بالقدرة ومن العصمة أن
لا تقدر والصبر على الحماة
والفصا اذا قولا غيرك أبسر

السلام (و) كذلك (لما فتحت أموال الدنيا) من سائر البلاد (على الصحابة رضي الله عنهم) وذلك في
خلافه عمر رضي الله عنه فقالوا من العيش واتسعوا (قالوا ابتلينا بفطنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفطنة
السراء فلم نصبر) فعظموا الاختبار بالسراء وهو ماسر على الاختبار بالضراء وهو ماضر قال الطبراني
حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة عن أبيه عن الزهري عن إبراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف قال قال عبد الرحمن بن عوف بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر (وكذلك
حذر الله عباده من فطنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله) لأن فيها ما يسر فيشغل عن ذكر الله تعالى (وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم) لأن في الأزواج والأولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف بوجه المولى
فصار وأعداء في العقبي لما يؤول اليه من شأنهم (وقال صلى الله عليه وسلم الولد مخيلة مجبنة مخزنة) رواه
أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ الولد مخيلة مجبنة مخزنة وقد تقدم ورواه أحمد
وابن سعد والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري الولد مخيلة مجبنة وان آخر وطأة وطأة فوج وتقدم
أيضا (ولما نظر صلى الله عليه وسلم إلى ولده الحسن) رضي الله عنه (يتعثر في قميصه زل عن المنبر واحتضنه
وقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فطنة في المارأيت ابني) هذا (يتعثر) في قميصه (لم أملك نفسي
أن أخذه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي
حسن غريب انتهى قلت واه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة
وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفعه قال صدق الله
ورسوله انما أموالكم وأولادكم فطنة نظرت إلى هذين الصبيين عشرين ويعثران فلم أصبر حتى قطعت
حديثي ورفعتهما وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين
يستبقان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال الولد مخيلة مجبنة وروى العسكري في الامثال
والحاكم في صححه من طريق معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الاسود بن خلف عن أبيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال ان الولد مجبنة مخيلة وأحسبه قال مجبلة وتقدم وروى
العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة دخولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج وهو محتضن حسنا وحسينا وهو يقول انكم لتجنبن وتجهلون وانكم لمن ربحان الله (ففي
ذلك عبرة لأولي الأبصار وقد جمع الله بين ماسر وضر) وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالاحسان
معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين (فالرجل كل الرجل من صبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها
ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة وعسى أن يسترجع على القرب) إلى المودع (وان
لا يرسل نفسه في الفرح بها) والركون إليها (ولا ينهمك في التمتع واللذة واللهو واللعب وان يؤد حقوق
الله تعالى في ماله بالانفاق منه) في المواضع الثلاثة (وفي بدنه ببذل المعونة للخلق) على قدر استطاعته
(وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أتم الله به عليه) وقال صاحب القوت ومن الصبر صبر على
العوافي ان لا يجربها في مخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذل في الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين
بها على معصية فحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبة بالصبر عليها حاجته ومطالبة بالصبر على
المكاره والفقر والصبر على الشدائد والضراء (وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق
الشكر كما سأتى) ان شاء الله تعالى (واما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة) والتمكن
(ومن العصمة ان لا تقدر) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم والمشهور على الاسمة ان لا تجحد (والصبر
على الحماة والفصا اذا قولا غيرك أبسر من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء* (النوع الثاني)* ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخفى لو امان ارتباط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنواب أولا يرتبط باختياره وليسكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام* (القسم الاول)* ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان (الضرب الاول) الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتي الربوبية (٢٢) ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهى مضجرة ما أظهره فروعون من قوله أنار بكم

الاعلى ولكن فروعون وجد له محالا وقبولا فإظهاره اذا استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان متمتعا من اظهاره فان استشاطته وغبطه عند تقصيرهم في خدمته واستعباده ذلك ليس يصدر الا عن اضمحار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبر يا فاذ العبودية شاقة على النفس مطلقا من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسبب الجهاد كالخروج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد وبحاجة المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر

الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة (المشتهة) (وقدر عليها) من غير مانع حقيقى أو حكمى (فلهذا عظمت فتنة السراء* النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع) ولا يلائمه (وذلك لا يخلو امان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنواب أولا يرتبط) (باختياره) ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد (وفيه مشقة) لان النفس بطبعها تنفر عن (العبودية) وتشتي (عز الربوبية) ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهى مضجرة ما أظهره فروعون من قوله أنار بكم الاعلى ولكن فروعون وجد له محالا وقبولا فإظهاره) ما كان مضرا في قلبه (اذا استخف قومه) أى وجدهم اخفاء العقول (فأطاعوه) وامتثلوا له (وما من أحد الا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان متمتعا من اظهاره) بلسانه (فان امتعاضه) أى احتقاره (وغبطه عند تقصيرهم في خدمته واستعباده ذلك ليس يصدر الا عن اضمحار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء) يشير الى الحديث القدسي المتقدم بذكر من نازعني رداها لكبرياء قسمته (فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسبب الجهاد) فانهم اعماد ايمان مشركان في المال والبدن (فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد وبحاجة المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الاولى قبل الطاعة) أى قبل الشروع فيها (وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الاخلاص وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص) على ما سبأني بيانه في كتاب الاخلاص (وآفات الرياء ومكاييد النفس) على ما تقدم في كتاب ذم الرياء (وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى) متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال) جل ذكره (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أشار اليه صاحب القوت وهذا يسمى الصبر لله (الحالة الثانية حالة العمل كالباطل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسنته ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ) منه ويتأني ويترك الجملة حتى ينقضي صحيح الاركان كامل السن والهيئات (وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أحوال العاملين الذين صبروا أى صبروا الى تمام العمل) وهذا يسمى الصبر مع الله (الحالة الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه) لغيره (و) عن (التظاهره للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال

الشد يد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات* الحالة الثانية حالة العمل كالباطل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسنته ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أحوال العاملين الذين صبروا أى صبروا الى تمام العمل* الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهره للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال

تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المال والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليه ما جيعا وقد جعها الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروءة وصله الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثاني) (٢٣) المعاصى فما أخرج العبد الى

الصبر عنها وقد جع الله تعالى أنواع المعاصى في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصى مقتضى باعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الأزرار والاستحقاق وذكر الموتى والقدر فيهم (ومناسبتهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس) ومذبح لها (فلنفس فيه شهوتان احدهما انى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها) أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومسير ذلك معتاد فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يرنى

تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة على المال والاذى فقد أبطل عمله) وأحبط أجره وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكنهه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والادلال به على الله بل رؤية المنه والفضل وما أخرج العبادة الى الصبر فى عدم دخول هذه الآفات عليها وهذا القسم يسمى الصبر بالله واليه الاشارة بقوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله (والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليها جميعاً وقد جعها الله تعالى فى قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروءة وصله الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثانى) المعاصى فما أخرج العبد الى الصبر عنها وقد جع الله أنواع المعاصى فى قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وقال صاحب القوت ومن الصبر كفاف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله تعالى والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب بالاقرب وهذا مقام المقر بين يدخل فى قوله تعالى وايتاعذى القربى ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآتية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن ثلاث منها الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود يقول هذه الآتية اجمع آية فى كتاب الله لا مروءة (وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه) قال العراقى رواه ابن ماجه بالشطر الاول والنساقى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جدين وقد تقدم (والمعاصى مقتضى باعث الهوى) وفى نسخة بواعث الهوى (وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً للطبع) (بالعادة) واعناد عليهم أو انس بها (فان العادة) كما قالوا (طبيعة خامسة) زائدة على الطباع الاربعة (فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها) وازالتها (ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس) وأشد (كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الأزرار والاستحقاق وذكر الموتى والقدر فيهم) (ومناسبتهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس) ومذبح لها (فلنفس فيه شهوتان احدهما انى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها) أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومسير ذلك معتاد فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يرنى

احداهما فى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التى هى فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية ولا اجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومسير ذلك معتاد فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقبحاها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا

ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فوجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيهم غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة (٢٤) الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان

فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقد تقدم في آفات اللسان (ومن لم يملك لسانه) وفي نسخة نفسه (في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد) عن الناس (فلا ينجيهم) من ذلك (غيره) فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة (معهم) وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان (حركة الخواطر) من الباطن (باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا) الإبان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والافان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور وفور الوسواس عنه (القسم الثاني) ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأودى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كان بعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى (ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كان بعد إيمان من لم يؤذ فحتمل الأذى) يصبر عليه إيمانا وقد فعل الله ذلك قال اختبار أو اختبار ذلك ليس منه عذابا وإنما هو فتنة بل من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار راحة للأودى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا وإنما هو راحة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ابتلاه فقد رزقه فيقول ربني إهانت كذا أي لم أهلك بالفقر كالم أكرم الآخر بالنعيم أكرما وعلى هذا خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فالصبر على ما يقولون وإذا كر عبدنا داود وسلامه وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكل على المولى (قال) الله (عز وجل ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وهذا صبر أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة مأر يدها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجرت وجنتاه ثم قال رحم الله أخي موسى لقد أؤذى بأكثر من هذا فبصره) قال ذلك يوم حنين إذا عطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل إن هذه القسمة مأر يدها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشحان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذا هم وتوكل على الله وقال تعالى فالصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جيلا) بعد قوله فاتخذوه وكذا في مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الأذى وهو أول مقام الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبطلن في أموالكم وأنفسكم (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر والتقوى جماع كل خير كان الصبر داخل في كل خير وبر في جميعها أوتى عزائم الأمور وكان من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الأذى (والمكافأة) وتتقوا عند الابتلاء والمكاره وكذلك قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولئن انتصرت بعد

حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا الإبان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والافان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور وفور الوسواس عنه (القسم الثاني) ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأودى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كان بعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى (ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كان بعد إيمان من لم يؤذ فحتمل الأذى) يصبر عليه إيمانا وقد فعل الله ذلك قال اختبار أو اختبار ذلك ليس منه عذابا وإنما هو فتنة بل من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار راحة للأودى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا وإنما هو راحة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ابتلاه فقد رزقه فيقول ربني إهانت كذا أي لم أهلك بالفقر كالم أكرم الآخر بالنعيم أكرما وعلى هذا خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فالصبر على ما يقولون وإذا كر عبدنا داود وسلامه وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكل على المولى (قال) الله (عز وجل ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وهذا صبر أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة مأر يدها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجرت وجنتاه ثم قال رحم الله أخي موسى لقد أؤذى بأكثر من هذا فبصره) قال ذلك يوم حنين إذا عطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل إن هذه القسمة مأر يدها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشحان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذا هم وتوكل على الله وقال تعالى فالصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جيلا) بعد قوله فاتخذوه وكذا في مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الأذى وهو أول مقام الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبطلن في أموالكم وأنفسكم (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر والتقوى جماع كل خير كان الصبر داخل في كل خير وبر في جميعها أوتى عزائم الأمور وكان من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الأذى (والمكافأة) وتتقوا عند الابتلاء والمكاره وكذلك قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولئن انتصرت بعد

هجر اجيلا وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور وأي تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

طلبه فاولئك ما عليهم من سبيل الآية ثم قال ولمن صبر وغفران ذلك ان عزم الامور فالاول عن به المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثاني هو الصبر والعفو من الاحسان والفضل وهو أحسن ومن ذلك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية فاستماع القول هو العدل واتباع الاحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين قيل هم الذين لا يظلمون فاذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو بالاخبات وهو الخشوع والطمأنينة الى الجزاء من الله في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك) رواه ابن البخار من حديث علي بن الغضا صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك وقل الحق ولو على نفسك وقد تقدم (ورأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم) يعني في التوراة وغيره من كتب السماء (من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن أخذ زرادعك فاعطه ازارك ومن سخر لك لتسير معه ميا فسر معه مبلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر) وقد تقدم انه أول مقام من مقامات الرضا (لانه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعي العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر) وهو ثاني مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أكثر الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله سبحانه في المجمل ولربك فاصبر ثم فسر في الكلام المفسر فقال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا (قال ابن عباس) رضى الله عنهما (الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه) باعتبار متعلقه (صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة) أي منزلة عالية في الجنة (وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة) ولفظ القوت وروى عن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله وصبر على محارم الله وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فن صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة اه قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديث علي رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وأبو الشيخ في كتاب الثواب والديلي في مسند الفردوس كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن زكريا عن عمر بن علي عن عمر بن يونس الهباني عن مدرك بن محمد السدوسي عن رجل يقال له علي عن علي رضي الله عنه رفعه الصبر ثلاثة فصر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فن صبر على المصيبة حتى ردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كباين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين وهذا صريح في ان الصبر على المقدور أدنى المراتب ثم الصبر على المأمور ثم عن المحذور وله وجه وذلك لان الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختيارا أو اضطرارا والصبر على الاوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات فان الاوامر أكثرها محبوب للنفس لما فيها من العدل والاحسان والاخلاص والبر والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وجملة على خير طبعها وهو أشق شيء واصعب والصبر عن المعاصي التي أكثرها محاب للنفس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى ولا يصبر على ذلك الا الصديقون وهذه الثلاثة محاب النفوس الزكية الفاضلة قالوا والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وحيثما قوام داعي التناول وقوله خطب مهول ولهذا

كان باب قربان النهي مسدودا و باب الامر مقيدا بالمستطاع ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حدا معينا وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فله أيضاً وجه وقد أشار إليه المصنف بقوله (وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس) وذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق مانعه وهذا يحتاج الى تفسير لم يقصد ابن عباس ان الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على اداء الفرائض لان الصبر في ذلك من مزيد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين فانما فضل المقام في اليقين على المقام في الاسلام (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا الدنيا) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وقد تقدم في كتاب الدعوات (فهذا صبر مستند حسن اليقين) وأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس خزا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا وأكثرهم حبال الدنيا ومثله ما رواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه من ترك المراء وهو يحق بنى الله له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له في ريع الجنة فقد علمت ان ترك الكذب والمراء مبطالا فرض وواجب فنبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد يحق صادق ثم لا عار في زهدا في الظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا المتقون وهم خصوص المؤمنين فقامه من اليقين والزهد واثار الصمت والنجول على الكلام والشهرة أفضل فهو اليقين فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمراء وان كان أقرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه يقال من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فكأنه يقال كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشتراط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل ٧ صغرها وفي صدقة القاب أول ما يبعثه الشيء فينظر الى نظر الله عز وجل فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى فانك باعنا ناه هذا مقام المتوكلين على الله تعالى كل هذا السياق في كتاب القوت وقال بعض من اختصر الاحياء وزاد عليه مانعه اما آداب الصبر فقد تقدم ان حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته فليبدأ في ذلك بالاهم فالاهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فالبداهة بترك المحظورات وهو واجب ثم بالمكروهات وهو مستحب ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الارض والسماوات وهي قربة فان قيل لم فرقت بين المستحب والقربة وهو ما واحد فأقول بينهما عند التحقيق فرق وذلك ان الله تعالى بمنه وفضله انا بناعلى كل حسنة ثوابا عاجلا وثوابا آجلا ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فاذا تركت مكروها لله انا بك الله عليه بترك مكروه هو ادق منه في الرتبة واذا تركت مباحا شاغلا ففتح قلبك بسببه بابا اليه لحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فيترك فضول المباحات بسبب ذلك ويعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها فان كنت من أهل الذوق والا فالتصديق به واجب تدايم البداة بالواجب من الطاعات ويقدم الاوجب على الواجب وما يلهو على ما يلهو وهذا واجب ثم يقدم أفضل الفضائل فافضلها ويترك الفاضل للافضل اذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين ثم الصبر على المصائب بالثبات

وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا فهذا صبر مستند حسن اليقين

عند الصدمة الاولى لان كل شئ يوجد صغيرا ثم يأخذ في النماء والزيادة الا المصيبة فانها تبعد وعظيمة ثم
تصغر وتأخذ في النقصان وهذا واجب فان غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه
واسترجاعه توبة له وقد قلنا ان التوبة تصح من كل ذنب ويدخل في هذا النوع الصبر على الآمن ومكافأة
الجاني بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم اجابته عنه وان تألم في
باطنه ولكن ترك المكافأة عليه في الظاهر فهو أحسن حالا من الاول ولا يدخل في نهى التحريم لان
الآلم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكاف العباد ولا يؤاخذهم الا بما يدخل تحت اختيارهم
ويستحب علاج الآلم وتكسبه الى أن يستوى عند القلب وجود الآلى وعدمه كما تكسب الطاعة والمشقة
ويجتنب المعاصي فان فرح بالجناية ودعا للجاني فهذه هي القرية الصديقة ولا يحصل هذا الا لعبد فزع
نورا التوحيد قلبه فارفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالافعال ويعرفه إيمانه ان سيده
اختاره ذلك ليزكي قلبه وينمي له نوره الى هنا كلامه (وكان أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى
(يقول والله ما نصبر على ما تحب فكيف نصبر على ما تكره) نقله صاحب الرسالة قال سمعت الشيخ أبا
عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عباسا يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى
يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال ذكره (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى
عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا أو أنشرله ديوانا) قال العراقي رواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اه قلت
وكذلك رواه الحكيم في النوادر والديالى في مسند الفردوس (وقال صلى الله عليه وسلم انتظروا
الفرج بالصبر عبادة) رواه القضاى في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا
في الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر وكذا رواه أبو سعيد المالبني في مسند الصوفية
من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم
في الدعوات انتهى قلت ومن رواه دون قوله بالصبر ابن عدى والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف
ورواه الترمذى وحسنه من حديث ابن مسعود في أثنا حديث وقد روى من حديث علي بمثل لفظ القضاى
رواه ابن عبد البر والبيهقى وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر من حديث علي بلفظ انتظار الفرج عبادة
ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن
أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واعقبني
خيرا منها الا فعل الله به ذلك) قال العراقي رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى قلت لفظ مسلم ما من
عبد يصيب مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا آجره الله
في مصيبتى واخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سامة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخلف الله خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أحمد عن أم سلمة قالت اتاني أبو سامة يوما من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به قال
لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيستر جمع عند مصيبتى ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي
خيرا منها الا فعل الله به ذلك أم سلمة حفظت ذلك منه فلما توفي أبو سامة استرجعت وقلت اللهم أجرني
في مصيبتى واخلف لي خيرا منه ثم رجعت الى نفسى وقلت من أين لي خيرا من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي
سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطيالسي وأبو نعيم في الحلية بلفظ ما من عبد يصاب
بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احسبت مصيبتى فآجرني منها واعقبني منها خيرا الا
أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح الى
ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى هذه وعوضني خيرا منها الا آجره

وقال أبو سليمان والله
ما نصبر على ما تحب
فكيف نصبر على ما تكره
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبد من عبيدى
مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده
ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحيت منه يوم القيامة أن
انصب له ميزانا أو أنشرله
ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج بالصبر عبادة
وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد مؤمن أصيب
بمصيبة فقال كما أمر الله
تعالى انا لله وانا اليه راجعون
اللهم أجرني في مصيبتى
وأعقبني خيرا منها الا فعل
الله به ذلك

الله في مصيبيته وكان قنأ أن يعوضه الله منها خيرا منها وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن علي مامن مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا لاجله الله له عند ذلك فاعطاه مثل آخرها يوم أصيب (وقال أنس) رضي الله عنه (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة (أي عينيه ويقال للعين كريمة) لكونها مكرمة عند صاحبها (قال) جبريل (سبحانك لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال) الله عز وجل (جزاء الخلود في داري والنظر الى وجهي) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من رواية أبي ظلال القسبي واهله هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدتي بحبيبتها فصبر عوضته منها الجنة ورواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمة عبدك أرض له ثوابا دون الجنة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف انتهى قلت وروى الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب بلفظ ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمة عبد في الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة ورواه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح بلفظ يقول الله عز وجل من أذهب حبيبتها فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه هناد كذلك وروى الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة وابن عساكر من حديث أبي أمامة ان الله تعالى يقول يا ابن آدم اذا أخذت منك كريمة فصبرت واحتسبت عند الصدمة الاولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة ورواه أحمد وابن ماجه مثله بلفظ يقول الله تعالى يا ابن آدم وروى عبد بن حميد ورواه ابن عساكر من حديث أنس قال الله عز وجل وعزني لأقبض كريمة عبدتي فصبر لحكمي وبرضتي بقضائي فارضى له بثواب دون الجنة وحديث أنس عند البخاري ورواه أيضا أحمد وزاد يعني عينيه ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث جبري في لفظه من حديثه قال الله عز وجل من سلبت كريمة عوضته منها الجنة وروى ابن حبان والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية قال الله عز وجل اذا سلبت من عبدتي كريمة وهوها ضنين لم أرض له بها ثوابا دون الجنة اذا جدني عليهما ورواه الطبراني وحده من حديث أبي أمامة نحوه بلفظ قال ربكم وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس قال ربكم من أذهب كريمة ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ يقول الله لا أذهب بصفتي عبد فارضى له ثوابا دون الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لخير من الجنة ورواه ماخيرا من لجهود ماخيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة قال سبحانك لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لخير من لجهود ماخيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمته فانتزعها منه (٢٩) وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه

منها أفضل مما انتزع منها
وقرأ النماز في الصبر ون
أجرهم بغير حساب وسئل
فضل عن الصبر فقال هو
الرضا بقضاء الله قبل وكيف
ذلك قال الرضا لا يتمنى
فوق منزلته وقيل حبس
السبيل رحمه الله في المارستان
فدخل عليه جماعة فقال
من أنتم قالوا أجبائك جارك
زائر بن فخذ برهمهم بالحجارة
فأخذوا بهرون فقالوا
كنتم أجبائك لصبرتم على
بلائي وكان بعض العارفين
في جيبه رقعة بخرجه كل
ساعة ويطلعها وكان فيها
فأصبر لحكم ربك فانك
باعتنا ويقال ان امرأه فتح
الموصلى عثرت فانقطع
ظفرها فضحك فقيل
لها ما تجد من الوجع فقالت
ان لذة ثوابه أزالته عن قلبي
مرارة وجعه وقال داود
لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المؤمن
بثلاث حسن التوكل فيما
لم ينل وحسن الرضا فيما
قد نال وحسن الصبر فيما
قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من أجل الله
ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعلك ولاند كرمصيتك
و روى عن بعض الصالحين
انه خرج يوما في كفة صرة
فاثقلها فاذا هي قد أخذت
من كفة فقال بارك الله فيها
لعله أحوج اليها مني وروى

روحه في الارواح قال اللهم فاجزاء من يعزى خزينا ابتغاء مرضاتك قال ان ألبسه لباس التقوى
واستره به من النار فأدخله الجنة الحديث (وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى في خطبته ما أنعم الله
على عبد نعمته فانتزعها منه وعوض منها الصبر الا كان ما عوضته منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى
النماز في الصبر ون أجرهم بغير حساب) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار
حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمته
ثم انتزعها منه فاعاضه مما انتزع منه الصبر الا ما كان عاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية النماز في
الصبر ون أجرهم بغير حساب وقد نقله كذلك صاحب العوارف (وسئل فضيل بن عياض رحمه الله
تعالى عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قبل وكيف ذلك قال الرضا لا يتمنى فوق منزلته) وكانه يشير
الى ثاني مقام من مقامات الصبر الذي هو درجة الزاهدين واليه يشير ما رواه الحكيم والديلي وابن
عساكر من حديث أبي موسى الأشعري الصبر الرضا وفي لفظ الصبر رضى يعني ان التحقق بالصبر هو
الذي يقض الوصول الى مقام الرضا (وقيل حبس السبيل رحمه الله تعالى) وقتنا (في المارستان) هو دار
المرضى (فدخل عليه جماعة فقال) لهم (من أنتم قالوا أجبائك جارك زائر بن فخذ برهمهم بالحجارة)
اختبارا لمحببتهم له (فأخذوا بهرون منه فقال) لهم (لو كنتم أجبائك) صادقين (لصبرتم على بلائي)
اعتبارا بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان ونسبته الى الجنون وليس بمجنون نقله القشيري
في الرسالة (وكان بعض العارفين في جيبه رقعة بخرجه كل ساعة ويطلعها) أى يقرأ ما فيها (وكان
فيها وأصبر لحكم ربك فانك باعينا) ولفظ القشيري في الرسالة وقال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقهرا طاف
بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومروا كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثل
ذلك فيوما من الايام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها
وأصبر لحكم ربك فانك باعينا (وقيل ان امرأه فتح) بن شحرف (الموصلى) وكانت من العارفات (عثرت)
أى وقعت برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها) أما تجد من ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالته عن
قلبي مرارة وجعه) أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالا به على الصبر على البلاء ومعلوم ان المستدل
بالبنية لا بعد صبرا حقيقة ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبر فقال تعالى انا وجدناه صابرا
ولم يقل صبرا الكونه كان يستدل ما تزل به بعض أحيائه (وقال داود لسليمان عليهما السلام) يجتنبه
بم يستدل على تقوى المؤمن فقال (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث) خصال الاولى (حسن التوكل فيما
لم ينل و) الثانية (حسن الرضا فيما قد نال و) الثالثة (حسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من أجل الله ومعرفته حقه ان لا تشكو وجعلك ولاند كرمصيتك) قال العراقي لم أجده
مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من
الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تترك نفسك انتهى قلت وقال صاحب القوت وقد روينا عن
النبي صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس والصبر عن شكوى
المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله خبره وشه (و روى عن بعض الصالحين انه خرج يوما الى السوق
فساوم شيئا من الطعام (و) كانت (في كفة صرة) فيها دراهم فاراد ان يدفع لصاحب الطعام منها فضرب
بيده عليها (فاثقلها فاذا هي قد أخذت من كفة) أى اختلست أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم
(فقال بارك الله فيها لعله أحوج اليها مني) فهذا من الصبر على المصيبة وعدم اظهار الجزع وقد دفع
مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه (و روى عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة) بن
عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وكان من أكثرهم قرآنا (في القتلى) وكان
معه لواء المهاجرين روى ابن المبارك في كتاب الجهاد انه قال حينئذ بش حامل القرآن انابني ان فررت

عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى

وبه رمق فقلت له أسبقك ماء فقال جري قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فمكدا كان صبر
سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى (٣٠) فان قلت فيما تناول درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو

فقطعت عنه فاخذه بيساره فاعتنقه الى ان صرع فقال لاصحابه ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه قبل قتل قال
فاضجعوني بجنبه (وبه رمق) أي بقية الروح (فقلت أسبقك ماء فقال جري قليلا الى) جهة (العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته) ومات على حالته ولم يشرب الماء فارسل
عمر ميراثه الى مولاه نبيته (فهكذا كان صبر سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فيما تناول
تناول درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبي فان كان المراد به ان لا تكون
في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابر بالجزع وشق
الجوب وضرب الحدود والمبالغة في الشكوى والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغير
العادة في اللبس والمفرش
والطعم وهذه الامور داخله
تحت اختياره فينبغي أن
يجنب جميعها يظهر الرضا
بقضاء الله تعالى ويبقى
مستترا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان ودعة
فاستر جعت كما روى عن
الرميصاء أم سليم رحمها الله
انها قالت توفي ابن لي وزوجي
أبو طلحة فغاب فقمت
فسميت في ناحية البيت
فقدم أبو طلحة فقمت
فهيأت له افطاره فجعل
ياكل فقال كيف الصبي
فقلت باحسن حال بحمد
الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى باسكن منه الليلة ثم
تصنعت له أحسن ما كنت
اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب
مني حاجته ثم قلت ألا تعجب
من جبرائيل قال ما لهم قلت
أعبروا عارية فلما طلبت
منهم واسترجعت جزعوا
فقال بش ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه

فقطعت عنه فاخذه بيساره فاعتنقه الى ان صرع فقال لاصحابه ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه قبل قتل قال
فاضجعوني بجنبه (وبه رمق) أي بقية الروح (فقلت أسبقك ماء فقال جري قليلا الى) جهة (العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته) ومات على حالته ولم يشرب الماء فارسل
عمر ميراثه الى مولاه نبيته (فهكذا كان صبر سالكى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فيما تناول
تناول درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبي فان كان المراد به ان لا تكون
في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابر بالجزع وشق
الجوب وضرب الحدود والمبالغة في الشكوى والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغير
العادة في اللبس والمفرش
والطعم وهذه الامور داخله
تحت اختياره فينبغي أن
يجنب جميعها يظهر الرضا
بقضاء الله تعالى ويبقى
مستترا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان ودعة
فاستر جعت كما روى عن
الرميصاء أم سليم رحمها الله
انها قالت توفي ابن لي وزوجي
أبو طلحة فغاب فقمت
فسميت في ناحية البيت
فقدم أبو طلحة فقمت
فهيأت له افطاره فجعل
ياكل فقال كيف الصبي
فقلت باحسن حال بحمد
الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى باسكن منه الليلة ثم
تصنعت له أحسن ما كنت
اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب
مني حاجته ثم قلت ألا تعجب
من جبرائيل قال ما لهم قلت
أعبروا عارية فلما طلبت
منهم واسترجعت جزعوا
فقال بش ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه

اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رأيت والنسائي
لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة

وقد قيل الصبر الجبل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج عنه حد الصابر بن توجع القلب ولا يفيض العين بالدمع اذ يكون من جميع الحاضر بن لاجل الموت سواء ولأن البكاء توجع القلب (٣١) على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا

يفارق الانسان الى الموت ولذلك لمات ابراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتمنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرجاء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الجحامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه بالدمع (اذ اعظم ألمه وسأني في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى) وما لا يخرج من حد الصابر من أيضا حكاية المصيبة للتداوي وللعالم يتعلم منه الصبر والرضا والصديق يعرف الحال لا على قصد الشكوى لان هذا مما تم به البلوى (وكتب ابن أبي نجيم) هكذا هو في النسخ أبو سار المديني الثقي مولا همام وأبو نجيم كعظيم اسمه يسار روى له الجماعة وفي نسخة القوت ابن أبي يحيى وهو عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى الاسلمي لقبه سحبل وقد ينسب الى جده روى له أبو داود (يعزى بعض الخلفاء فكتب ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاء واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فليكن واعلم ان أجر الصابر فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذ دفع الكراهة بالتفكير في ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاء واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فليكن واعلم ان أجر الصابر فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذ دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابر بن نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والادجاع والصدقة) ففي اظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفقود للأجر وكتمان رأس الصبر وقد شكك الاحنف بن قيس الى عمه وجع ضرره وكدره فقال له لقد ذهبت عني منذ أربعين سنة فما شكوتها لاحد فكتمان هؤلاء الثلاثة كثير خير لصاحبه اليوم فاتمه لا يطلع على ثوابه ملك ولا يدفع الى خصمائه بل يعرضهم الله من باقي أعماله أو خزان فضله ليقب له كثره وذلك اذا كان صبرا منه ورضا عن ربه وحيا منه ان يشكو أو يستغنى باحد من خلقه وهذا قد روى مرفوعا وانما تتبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه فقد رواه أبو نعيم في الحلية وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه ثم قال أبو نعيم غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز بن زانتهى وقال الذهبي زافر بن سليمان قال ابن عدى لا يتابع على حديثه وعبد العزيز بن أبي رواد يروي عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى الطبراني من حديث أنس ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة ورواها الطبراني أيضا وابن عساكر من حديثه ثلاث من كنوز البر الخطاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصر الحديث وقد تقدم قريباً وهذا ظهران الحديث له أصل وراي ابن الجوزي اياه في الموضوعات فيه نظر (فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال) لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل (فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن) أبدا (وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منها هو مقدر) من الازل (فهو كيفما كان تضييع زمان) فاي

الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منها هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان

وآله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينارعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس (٣٢) في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية

قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جنودان جند طير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطير والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من الصلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطعم من سبب حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا فرغ يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فغاض الخطاب نعم ان سجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنال من أسجده وهو حي فكيف أسجده وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلة) فانقياده بالاذعان سجد منه فهو روح السجود ومعناه في الباطن (وانما وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكحاح بين يدي) الرجل (المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب والممكنات (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك كلها هم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك ولا يتمكن منك مادمت كذلك كذلك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

فائدة في شئ فان لم يمكن تلافيه أم أي فائدة في شئ هو غيب لا يدري كيف يكون واليه أشار التامل ماضى فات والمآمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها (وآله العبد قلبه وبضاعته عمره) وكل منهما نفيس (فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى) ويحظى بمزيد القرب منه (فهو مغبون) أي خسر (هذا اذا كان فكره ووسواسه في المباحات) الشرعية (وكان ذلك مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل) وأنواع الخداع (لقضاء الشهوات) النفسية (اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينارعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور رامرة) أي علامة (له منه) تدل على ذلك (بل يقدر المخالفة من اخلص في حبه) وأحبه اليه (حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له) في أمره أو غرضه (ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته) فيطول الحال ويكثر الاشتغال (ولا يزال في شغل دائم) لا ينتهي الى حد (فالشيطان جنودان جند طير وجند يسير والوسواس) العارض منه (عبارة عن حركة جنده الطيارة والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من الصلصال كالفخار) كما هو نص الكتاب العزيز (والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين) اذ لا يكون فخارا يصلصل الا بدخوله في النار (والطين طبيعته السكون) والاستقرار والبرودة (والنار طبعها الحركة) والاضطراب والحرارة (فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطعم من سبب حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين) وان النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف (فاذا حث لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده) وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب علي فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فغاض الخطاب نعم ان سجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنال من أسجده وهو حي فكيف أسجده وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلة) فانقياده بالاذعان سجد منه فهو روح السجود ومعناه في الباطن (وانما وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكحاح بين يدي) الرجل (المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب والممكنات (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك كلها هم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك ولا يتمكن منك مادمت كذلك كذلك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

وانقياده بالاذعان سجد منه فهو روح السجود وانما وضع الجهة على الارض علامته الدالة عليه بالاصطلاح هذا ولو جعل وضع الجهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قبه عالم الشهادة بالكتابة عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

هذا اللعين ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان أردت ان يخلو
القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك
القلب المشغول بفكرهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والافن غفل (٢٢) عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك

اللحظة قرب من الا الشيطان
ولذلك قال تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقبض له
شيطانا فهو له قرين وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يبغض الشاب الفارغ
وهذا لان الشاب اذا تعطل
عن عمل يشغل باطنه بمباح
يستعين به على دينه كان
ظاهرة فارغاً ولم يبق قلبه
فارغاً بل يعشش فيه
الشيطان ويبيض ويفرخ
ثم تزوج أفرأخه أيضاً
وتبيض مرة أخرى وتفرخ
وهكذا يتوالد نسل
الشيطان توالداً أسرع من
توالد سائر الحيوانات لان
طبعه من النار واذا وجد
الحلفاء اليابسة كنمو توالده
فلا يزال تتوالد النار من النار
ولا تنقطع البتة بل تسرى
شيئاً فشيئاً على الاتصال
فالشهوة في نفس الشاب
للشيطان كالحلفاء اليابسة
لنار وكما لا تبقي النار اذا لم
يبق لها قوت وهو الحطب
فلا يبق للشيطان مجال اذا
لم تكن شهوة فاذا تأملت
علت أن أعدى عدوك
شهوتك وهي صفة تفلسك
ولذلك قال الحسين بن
منصور الحلاج حين كان
يصلب وقد سئل عن

هذا اللعين) كافي الكتاب العزيز (ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم
مجري الدم) كافي الخبران الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه أحد الشيخان من حديث أنس
وقد تقدم ذكره وتقدم أيضاً الاختلاف فيه انه هل هو على حقيقته بان جعل له قوة وقدره على الجري
في باطن الانسان في مجاري دمه أو على الاستعارة لكثرة اغوائه وسوسته وانه لا يبارق الانسان كما
لا يبارقه دمه (وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان أردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله
بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فذلك القلب
المشغول بفكرهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين) فيه (والافن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة
فليس له في تلك اللحظة قرب من الا الشيطان ولأنك قال) الله (تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي
يغفل عنه ولم يمتد الى طريقه (نقبض له شيطانا فهو له قرين) أي مقارن له لا يفارقه في أحواله
(وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ) قال العراقي غريب لم أجده قلت روى
صاحب الحلية في ترجمة ابن مسعود انه قال اني لا أكره ان أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في آخره وفي
لفظ له اني لا مقت الرجل ان أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (وهذا لان الشاب
اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهراً فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يعشش
فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزوج أفرأخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل
الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كنمو توالده
فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئاً فشيئاً) وقليلاً فقليل (على الاتصال فالشهوة
في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقي النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق
للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة) ولذلك قالوا النولاً كل نفس هان لم تجد ماتاً كله (فاذا اذا تأملت
علت أن أعدى عدوك شهوتك وهي صفة تفلسك) ففي الخبر أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك وفي
رواية زوجتك التي تضامك وروى العسكري عن سعيد بن أبي هلال مرسل ليس عدوك الذي ان قتلته
كان لك نوراً وان قتلته دخلت الجنة ولكن أعدى الأعداء لك نفسك التي بين جنبيك (ولذلك قال)
أبو المغيث (الحسين بن منصور) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح بن عبد الله
ابن أبي أيوب الانصاري (الحلاج) محب الجنيد والثوري وغيرهما واختلف الناس فيه فاقى كثير
من العلماء باباحة دمه فقتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ (حين كان يصلب)
وذلك ببغداد (وقد سئل عن التصوف فقيل) له ماهو (فقال هو نفسك ان لم تشغلها) بالذكر والفكر
(شغلتك) بما يبعدك عن حضرة الله (فاذا حقيقته الصبر وكما له الصبر عن كل حركة مذمومة) ذمها
الشارع (وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك) لما فيه من الوسواس والخطرات (وهذا صبر دائم لا يقطعه
الاموت) نسأل الله حسن التوفيق بمهنة وكرمه

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء) روى أبو نعيم في الطب من
حديث أبي هريرة ان الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء ورواه ابن السني والحاكم بلفظ ان الذي أنزل
الداء أنزل الشفاء (فالصبر وان كان شاقاً) على النفس (أو تمتنعاً فتحصيله ممكن بمجهود) مركب من

(٥ - اتحاف السادة المتقين) - ناسع (التصوف ماهو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقته الصبر وكما له
الصبر عن كل حركة مذمومة متحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الاموت نسأل الله حسن التوفيق بمهنة وكرمه) (بيان
دواء الصبر وما يستعان به عليه)* اعلم ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء فالصبر وان كان شاقاً أو تمتنعاً فتحصيله ممكن بمجهود

العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركيب الادوية لأمراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر
وكان أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المختلفة والعلل المختلفة العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك
مما يطول والى كنعرف الطريق في بعض (٢٤) الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس

(العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منهما تركيب الادوية) النافعة (لأمراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكان أقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها) لان النفس ان كانت زكية طاهرة مهيبة الاخلاق فينبغي أن يسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفاء لها فان كانت ناقصة عادمة الكمال والصفاء وجب العلاج بضد العلة المطلوب زوالها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل بالسخاوة ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكافؤ واستيفاء ذلك مما يطول ولا يمكن معرف الطريق في بعض الامثلة فتقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه (في حال يقظته ونومه) أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه (بالتطلع) أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذا تزل تحدثنه في سره (بمقتضيات الشهوة) ويصرفه ذلك عن الواجبة على الذكرو الفسكو (والمراقبة) (والاعمال الصالحة فتقول) في علاجه (قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنان يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الاتقوية من أردنان تكون له البدا العلية) أي العلية (وتضعيف الآخر فلهذا مناهاها تنقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسيبدل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها ان تنظر الى مادة قوتها وهي الاغذية العلية اللذيذة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها باليوم الدائم مع الاتصاف عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جنسه فيحترز عن تناول اللحم في المأكولات (و) عن (الاطعمة المهيجة للشهوة) في طبعها أو بجلابسة الازهار (الثاني قطع أسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذا النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة) ومن ذلك قولهم من ادارنا طره اتعب خاطره (وهذا يحصل) علاجه (بالعزلة) عن الناس مرة (والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور) الجيلة (المشتهاة) بالطبع (والفرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظارة سهم مسموم من سهام ابليس) رواه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة بافظ النظارة سهم من سهام ابليس مسمومة فمن تركها من خوف الله اصابه ايما ناجد خلاوته في ذنبه وروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث علي بن النضر الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس فمن صرف بصره عنها رقه الله عبادة يحد خلاوته وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر انظر المؤمن في محاسن المرأة سهم من سهام ابليس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها وقد تقدم ذكر هذا الحديث مرارا (وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه) ويتنرس به (الاتغميض الاجفان والهرب من صوب رمية) وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة يقول الله تعالى يا ابن آدم انك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعتك عليه بطبعين فاطبقهما عليه الحديث (فانه يرى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه) وامنت من شره (الثالث تسليمة النفس بالمباحات من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح) مع حليته (فان كل ما يشتهيه الطبع في المباحات من جنسه ما يغني عن المحظور منه وهذا هو العلاج الانفع) والدواء

في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباه
فن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجوح وعن
الكب الضاري ليضعف قوته والثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب (٢٥) وتغيب الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك

بواطنها بسبب مشاهدتها
والثالث يضاهي تسليتها
بشي قليل مما يبسل اليه
طبعها حتى يبقى معها من
القوة ما تصبر به على
التأديب وما تقوية باعث
الدين فانما تكون بطريقين
أحدهما اطعماعه في فوائد
المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا وذلك بان يكثر فكره
في الاخبار التي أوردناها في
فضل الصبر وفي حسن
عواقبه في الدنيا والآخرة
وفي الاثران ثواب الصبر على
المصيبة أكثر مما فات وأنه
بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة
اذفاته ما لا يبقى معه الامدة
الحياة وحصل له ما يبقى بعد
موته أبد الدهر ومن أسلم
خسيسا في نفيس فلا ينبغي
أن يحزن لغفوات الخسيس
في الحال وهذا من باب
المعارف وهو من الايمان
فتارة يضعف وتارة يقوى
فان قوى قوى باعث الدين
وهيجته تهيجها شديدا وان
ضعف ضعفه وانما قوة
الايمان يعبر عنها باليقين
وهو المحرك لعزيمة الصبر
وأقل ما أوتي الناس الصبر
وعزيمة اليقين والثاني ان
يعود هذا الباعث مصارعة

الاكبر (في حق الاكثر فان قطع الغذاء) معالفا (يضعف عن سائر الاعمال) الصالحة التي تستدعي
القوة (ثم قد لا تقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) يا أيها الناس (عليكم
بالباهة) أي التكاثر (فان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) رواه الطبراني في الاوسط والضياء من
حديث أنس وقد تقدم في كتاب التكاثر (فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي
قطع العلف عن البهيمة الجوح) أي العاصية عن التأديب (وعن الكب الضاري) أي اللهيج
يا كل لحم الصيد (ليضعف فتسقط قوته و) العلاج (الثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب وتغيب
الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها) بالعين والخس (و) العلاج (الثالث
يضاهي تسليتها بشي قليل مما يبسل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التأديب) والرياضة
(وأما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين أحدهما اطعماعه في فوائد المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا) والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأته من البواعث الحادثة المقوية له الى أن
يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له (وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل
الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثران ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وأنه بسبب
ذلك مغبوط بالمصيبة اذفاته ما لا يبقى معه الامدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر) كانه يشير الى
أثر ابن عباس المتقدم ان من صبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعة عشر درجة تبعها صاحب القوت
وقد تقدم الكلام عليه وان المروي من حديثه على خلاف ذلك (ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن
يحزن لغفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان) بالتعريض والترهيب والقضاء
والقدر وخبره وشهره وحلوه ومره من الله تعالى والايمان بهذا واجب والشرعية طاعة بهذا والقرآن
من فأنتم الى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير به اللبيب فاذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والاصغاء
أحضر قلبه وتفكر في مراتب الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوى اعانته
ويقينه واليه أشار المصنف بقوله (فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها
شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس
الصبر وعزيمة اليقين) كجاء في ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه وقد تقدم ذكره
واذا قوى يقينه انهم زعم كيد الشيطان وخزيه واذا قوى يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله وان
اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضا عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله
تعالى (والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدبر بحاجته قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها
فيستجري عليها وتقوى منته) أي قوته (في مصارعتها فان الاعتناء والممارسة للاعمال الشاقة تؤكده
القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين) للاعمال الثقيلة (والفلاحين) لمعاونة
أعمال الاعراض (والمقاتلين) في الحروب (وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة
الحياطين والعطارين) وهم الصيادلة (والفقهاء) في المدارس (والصالحين) في الزوايا (وذلك لان
قواهم لم تتأكد بالممارسة) والمزاولة (فالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلمعة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة) والانعام (كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى) عليه السلام

باعث الهوى تدبر بحاجته قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتناء والممارسة للاعمال الشاقة
تؤكده القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على
قوة الحياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة ففالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلمعة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى

حيث قال وانكم اذا ان المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصباح حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيمنته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباها ما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشد ذلك على من تفرغ له بان تقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق (٢٦) كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم

(حيث قال وانكم اذا المن المقربين و) العلاج (الثاني أيضا يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك) منذ زمن الصبا (حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباها ما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس) وتوارد الهواجس على الخواطر (وانما يشد ذلك على من تفرغ له) به منته بالسكينة (بان تقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة) والانفراد عن الخلق (وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب) وتحول بينه وبين شغله (وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء) والاقارب والمعارف (ثم الاعتزال) عنهم (الى زاوية) من زوايا البلد (بعد احراز قدر يسير من القوت) يقيم به صلبه (وبعد القناعة به) واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله (ثم ترك ذلك كما لا يكفي مالم تصير الهوم هما واحد هو الله تعالى) فلا يكون له هم الا هو ولا شغل الا به (ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك مالم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا يجنبه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب بالباطن (فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) الجارية على اللسان في منزلة حديث النفس (ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا) أي بالشرط المذكور (اذلا يخلو في جميع أوقاته من حوادث تتحدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداع من اناس وطغيان من مخالط اذلا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة) بحسب الضرورة الطارئة (فهذا أحد الانواع الشاغلة) عن الذكر والفكر (وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيبه ذلك أيضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه) يشغله عما هو بصدده (وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) في بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملة زواجة) من ملات الدهر وقائعه (وفي تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذا كرو يراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق) وذلك الانكشاف لاحدله فيقف عليه (والانتهاء الى هذا) المقام (هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي مالم تصير الهوم هما واحد هو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك مالم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا يجنبه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب بالباطن (فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا اذلا يخلو في جميع أوقاته من حوادث تتحدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداع من

انسان وطغيان من مخالط اذلا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الانواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيبه ذلك أيضا يحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) في بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملة زواجة) من ملات الدهر وقائعه (وفي تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذا كرو يراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاؤ الى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

بالاكتساب والجهـد فإمامة قادري ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق فتدقيل الجهد ويجعل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الخط والمقول وراع هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازى أعمال النملين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك (٢٧) الجذبة بأن يقطع عن قلبه جوازب الدنيا فان المجذوب الى

أسفل سافلين لا يجذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو مجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى يسر الله تعالى أسباب الرزق فاعلمنا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة بلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الارض وينقبها من الحشيش ويث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر الهوى والارادة والانحلاص

بالاكتساب والجهـد) بقدر الطاقة البشرية (فاما مقدار ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله في الأعمال والأحوال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق) المقسوم (فتدقيل الجهد ويجعل الصيد) أي يعظم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (وقد يطول الجهد ويقل الخط) فلا ينال مقدار جهده (والمقول وراع هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازى أعمال النملين) وعلى هذا بنا على الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره وهو شيخ المصنف فالجذب عنده مقدم على السلوك واليه ذهب بعض الشيوخ في الطريقة العلية النقشبندية ومن يتيسر له هذا الحال أولا يامرونه بمراقبة الجلالة ثم يذكر النفي والاثبات وذهب بعضهم الى ان السلوك مقدم على الجذب وان الجذب نتيجة السلوك فن قال بذلك بأمر المرید أولاً لا يذكر النفي والاثبات ثم بمراقبة الجلالة (وليس ذلك باختيار العبد) أي حصول الجذبة الالهية لتكون من ارادات الحق (نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جوازب الدنيا) فيختل عنها فيكون حراً بورود الجذبة الالهية اليه (فان المجذوب الى أسفل السافلين لا يجذب الى أعلى عليين وكل مهموم على الدنيا) حريص على تحصيلها (فهو مجذب اليها) لا يلوي على غيرها (فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) رواه الطبراني في الكبير وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بطحا فتعرضوا لعله ان دعيتكم نفحة منها فلا تشقون بعده أبدا وقد تقدم في الجمعة والمراد بالنفحات هنا التجليات القربان والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الكد والارادة والطلب منه في كل وقت فانه لا يدري في أي وقت يكون فتح خزان المني (وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون) والرزق رزقان ظاهر وهما الاقوات والاطعمة وذلك الظاهر وهما الابدان وباطن وهما المعارف والمكاشفات وذلك القلوب والاسرار (وهذا من أعلى أنواع الرزق) وأشرها فان ثمرته حياة الابد وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى بخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين (والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى يسر الله تعالى أسباب الرزق) المعنوي (فما علمنا الا تفريغ المحل) عن المشغلات (والانتظار لنزول الرحمة) فيه (وبلواغ الكتاب أجله) أي منتهاه الذي قدره (كالذي يصلح الارض وينقبها من الحشيش ويث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه) وفي نسخة لا ينفعها (الاجطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر) كما جرت سنة (فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات) الالهية (ونفحة من النفحات) الرحمانية (فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذراة الارادة والانحلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة ولا يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كل في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان) فان هذه أيام شريفة وأوقات منيفة تجتمع فيها الهموم وتوجه القلوب بحضورها الى الله تعالى فانظروا النفحات الالهية يكون قويا (فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرا) اخلاق (رحمته) وفيوضاته (حتى) انه (تستدرجها) أي بالهمم والانفاس (الامطار في أوقات الاستسقاء) عند حصول الجذب (وهي لاستدرا) أمطار المكاشفات) الالهية (ولطائف المعارف) السبحانية (من خزان الملكوت) الغيبية (أشد مناسبة وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كل في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رحمة حتى تستدرجها الامطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزان الملكوت أشد مناسبة

وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كل في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رحمة حتى تستدرجها الامطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزان الملكوت أشد مناسبة

منها الاستدراك قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقمار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما أنت مشغول عنها
بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب
واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل (٣٨) وأقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب

ومنسبيا بالشغل عنه سمي
الله تعالى جميع معارف
الايان تذكري فقال تعالى
اننا نحن نزلنا الذكر واناله
لحافظون وقال تعالى
وليتذكر أولو الالباب وقال
تعالى ولقد يسرنا القرآن
لذكري فهل من مدكر فهذا
هو علاج الصبر عن الوسوس
والشواغل وهو آخر درجات
الصبر وانما الصبر عن
العلائق كلها مقدم على
الصبر عن الخواطر قال
الجنيدي رحمه الله السير من
الدنيا الى الآخرة سهل على
المؤمن وهجران الخلق في
حب الحق شديد والسير من
النفس الى الله تعالى صعب
شديد والصبر مع الله أشد
فذكر شدة الصبر عن
شواغل القلب ثم شدة
هجران الخلق وأشد
العلائق على النفس علاقة
الخلق وحب الجاه فان لذة
الرياسة والغلبة والاستعلاء
والاستبغاع أغلب اللذات
في الدنيا على نفوس العقلاء
وكيف لا تكون أغلب
اللذات ومطلوبها صفت من
صفات الله تعالى وهي
الربوبية والربوبية محبوبة
ومطلوبة بالطبع للقلب
لما فيه من المناسبة لأمور

منها الاستدراك قطرات الماء) عن السماء (واستجرار الغيوم من أقطار البحار والجبال بل الاحوال
والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها
فلا تحتاج) الى شئ من خارج (الا الى ان تنكسر الشهوة) والشبق (ورفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف)
المتنوعة (من باطن القلب) مما يلي عالم الملكوت (واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل وأقرب من
استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها) وأولى بوصف الدوام والثبات لحصول الامدادات
التي لا تنقطع اذ المستنزل من المكان الآخر قد ينقطع ولا يثبت (ولكونه حاضرا في القلب ومنسبيا
بالشغل عنه سمي الله تعالى جميع معارف الايان) ذكر (وتذكر) وتذكر (وتذكر) (فقال تعالى
اننا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون) والمراد به القرآن لكونه يذكر باللسان وبالقلب (وقال تعالى
وليتذكر أولو الالباب) أي ليتعظوا (وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن لذكركم) (فقد ذكر) ولا
يكون الذكر الا بعد النسيان وقال تعالى ان في ذلك تذكرة وقال تعالى ان في ذلك لذكرا (فهذا هو علاج
الصبر عن الوسوس والشواغل) الجاذبة من طريق الحق (وهو آخر درجات الصبر) وأشدّها على
السالكين وفيها تزل أقدام الاقوياء فضلا عن الضعفاء (وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن
الخواطر) فاذا فرغ منها استقبله هذا الباب العظيم الهائل فان وجد شيئا كاملا فليعصم به ولا يفارقه
وهو بعد هذا المنزل اماهالك أو مالك لانه يرى الخواطر تأتيه كامواج البحر تبهر أبصار القلوب رؤيتها
فكيف التوسط في لججها ومن أجل هذه (قال الجنيدي) قدس سره (السير من الدنيا الى الآخرة سهل)
هين (على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد
والصبر مع الله أشد) هكذا روى القشيري في الرسالة سمعا عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت
الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيدي يقول فذكره والمعنى ان المسير من الدنيا
سهل وان كان فيه صعوبة تام من حيث فراق محبوبه وذلك لكمال الجزاء وهجران الخلق في طاعة الله
شديد لمخالفته هو النفس من حظوظها والسير من النفس بعدم الالتفات لهواها الى الله تعالى بالعمل
المحض أمره شديد للمخالفة المذكورة والصبر مع الله حتى لا يرجع الصابر الى الالتفات لهواها أشدّ مما
ذكر (فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق) فانظر فما أغزر علمه فانه ليس في
الطريق عائق رابع اما العائق الاول للدنيا والعائق الثاني اقبال الخلق على المريد والعائق الثالث حوم
الشياطين بين القلب وبين الملكوت وليس له علاج الا الاعتماد على الله ثم الاعتصام بالشئ المفيد ثم
الاقبال على معاني الذكر بكنه الهممة فمن كان الله كان الله له ثم تخفيفه العلائق ما استطاع فانه لا مطمع في
الورع قبل القناعة ولا في الزهد قبل الورع ولا في فراغ القلب قبل الزهد ولا في الفكر قبل المعرفة ولا في
المعرفة قبل الفكر ولا في المحبة قبل المعرفة (وأشدّ العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة
الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستبغاع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أعلى
اللذات ومطلوبها صفت من صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما
فيه من المناسبة لأمور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وليس القلب مذموم
على حب ذلك وانما هو مذموم على غلط وقوعه بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من
(عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله وأغواه) عن طريق الرشد (وكيف يكون

مذموم

الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي

وليس القلب مذموم على حب ذلك وانما هو مذموم على غلط وقوعه بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من
عالم الامر فاضله وأغواه وكيف يكون

في الدنيا وملاك مخلد دائم
 لا يشوبه كدر ولا ألم ولا
 يقطعه قاطع ولكنه أجل
 وقد خلق الانسان عجولا
 راعبا في العاجلة فجاء
 الشيطان ونوسل اليه
 بواسطة العجلة التي في طبعه
 فاستغواء بالعاجلة وزين
 له الخاضرة ونوسل اليه
 بواسطة الحق فوعده بالغرور
 في الآخرة ومناه مع ملك
 الدنيا ملك الآخرة كما قال
 صلى الله عليه وسلم والحق
 من أتبع نفسه هواها وغنى
 على الله الاماني فانخدع
 المخدول بغروره واشتغل
 بمطالب عز الدنيا وما اكها
 على قدر ما كانه ولم يندل
 الموفق بنجل غروره اذ علم
 مداخل مكره فاعرض عن
 العاجلة فعبر عن المخدولين
 بقوله تعالى كلاب تحبون
 العاجلة ونذرون الآخرة
 وقال تعالى ان هؤلاء يحبون
 العاجلة وينذرون وراءهم
 يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض
 عن قولي عن ذكرنا ولم يرد
 الا الحياة الدنيا اذ لك مبلغهم
 من العلم ولما استطار مكر
 الشيطان في كافة الخلق
 ارسل الله الملائكة الى
 الرسل وأوحوا اليهم ما من

على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقى عن الملك الحجازى الذى لا أصل له
فيهم يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انظروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض ارضيت بالحياة الدنيا من
الآخرة الا قليلا فالتوراة والانجيل والزيور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل الا الله
والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة أما ملوك الدنيا فالزهد فهم والعناية باليسر منها

وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخره ضرران ولعله بان الدنيا لاتسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتحول عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهمما تسلم وتم الأسباب ينقضى العمر حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه (٤٠) الرياح والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى

(وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس) يشير الى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (والشيطان قديدهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخره ضرران) أي بمنزلة ان أرضيت احدهما سخطت الاخرى وهكذا مثلهما على رضى الله عنه وتقدم في كتاب العلم (ولعله بان الدنيا لاتسلم له أيضا) لانه يفارقها عن قرب (ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتحول عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه) والرياسات (ثم مهمما تسلم وتم الأسباب) لما يوافق راحته وهواه (ينقضى العمر) وينتهي (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصدا) أي محصدا منكسرا (كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما) أي يابس منكسرا (تذروه الرياح) وكان الله على كل شيء مقتدرا (والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه) أي منعه (ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينتقد ان لباعث الدين ولاشارة الايمان) فلا يتحالفان مقتضاهما (وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا) كاملا (وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه ويطنه وسائر أغراضه) ومهمماته (فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنته) أي حلقومه (الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة) مكابلى وجهه (ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة) لك اليها (قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك قال) كيف ذلك (قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ويطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخمدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا (فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط) والاشتباه (في ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبسه) ونحده ومكره (فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والاعراض عنهم والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها ان يهرب عن موضع

الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينتقد ان لباعث الدين ولاشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه ويطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنته الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبيدى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ويطنك وقد ملكك هؤلاء

كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخمدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه بيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

الجاء حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر
نعمة الله في سعة الأرض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثاني ان يكاف نفسه في أعماله أفعالا تتخالف ما اعتاده
فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء
بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بقاضاها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من (٤١) قبل باعتياد ضده فلامعنى للمعالجة الا

المضادة * الثالث ان يرمى

في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدرج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقع في الصلوات التي رسخت فيه والى هذا التدرج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته الله تعالى فان المنبت وهو من انقطع به في السهر وعطبت راحلته (لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) أى فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به رواء أحد والبرار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقدرى تختصرا من حديث أنس ان هذا الدين متين فاعغلوا فيه برفق رواء هكذا أحد والضياء وروى ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تنكره وعبادة الله الى عبادته فان المنبت لا يقطع سفرأولا يستبق ظهره رواء البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته ر بلك فان المنبت لا سفرأقطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا همرأواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولة ومرسلات فواعلموا وقوا فيه اضطراب ورع البخاري في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تسادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه) رواء البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان يشاده هذا الدين أحد الاغلبة فسددوا وقاربوا وقد تقدم ايضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذة دستوروك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الأحاديث طول ومن راعى التدرج) والتلطف (برقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

الجاء حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر
الحسان (المحركة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض اذ قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكاف نفسه في أعماله افعالا تتخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل) وهو خلاف التصون (وزى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بما يناقضها) وفي نسخة بنقاؤها (حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما قدر رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلامعنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يرمى في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل) وترك التكلف (فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الا بالتدرج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقع في الصلوات التي رسخت فيه والى هذا التدرج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين (أى صلب شديد) فاعغل فيه برفق) أى سرفيه من غير تحمل مالا تطيق والايغال السير الشديد والوعول الدخول في الشيء (ولا تبغض الى نفسك عبادته الله تعالى فان المنبت) وهو من انقطع به في السهر وعطبت راحلته (لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) أى فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به رواء أحد والبرار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقدرى تختصرا من حديث أنس ان هذا الدين متين فاعغلوا فيه برفق رواء هكذا أحد والضياء وروى ان هذا الدين متين فاعغل فيه برفق ولا تنكره وعبادة الله الى عبادته فان المنبت لا يقطع سفرأولا يستبق ظهره رواء البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك عبادته ر بلك فان المنبت لا سفرأقطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا همرأواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولة ومرسلات فواعلموا وقوا فيه اضطراب ورع البخاري في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تسادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه) رواء البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان يشاده هذا الدين أحد الاغلبة فسددوا وقاربوا وقد تقدم ايضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذة دستوروك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الأحاديث طول ومن راعى التدرج) والتلطف (برقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

(٦ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الاحاديث طول ومن راعى التدرج ترقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عنده مشريا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

العارفين انه سال) أبابكر (السبلي) قدس سره (في الصبر بأنه أشد فقال الصبر في الله) وهو الصبر على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بأنواع الطاعات (فقال لا قال الصبر لله تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في كل ما يرد منه راض بذلك (قال لا قال الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة (قال لا قال فابش) أى أى شئ هو (قال الصبر عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تفرقه اليه فيسلازم الباب ويتمرغ في التراب (فصرخ السبلي صرخة كادت روحه) ان (تتلف) لان قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر مذموم وهذا قد أورد القشيري في الرسالة سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت علي بن عبد الله البصري يقول وقف رجل على السبلي فقال أى صبر أشد على الصابر بن فذكره وقال بعضهم الصبر لله ما كان في أول العبادات والصبر مع الله ما كان في اثنائها والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها (وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبر وصابر وابطوا أى اصبر وافي الله) تعالى أى في طاعته (وصابر وابالله) تعالى أى بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أى بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المراقبة وقيل اصبر وابنفوسكم على طاعة الله وصابر وابقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها رباطك ومادون الله تعالى اعداؤك فاحسن المراقبة في رباط حالك وقيل المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيجوز الصبر عن الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا كل ذلك نقله القشيري (وقيل الصبر لله غناء) أى مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) أى عون منه (والصبر مع الله وفاء) لما اتعص به (والصبر عن الله جلاء) أى بعدو اعراض عنه نقله القشيري وزاد بعد قوله بقاء والصبر في الله بلاء أى اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر (والصبر عنك فذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود)

نقله القشيري وأورد أيضا

وكيف الصبر عن حل منى * بمنزلة البين من الشمال

إذا لعب الرجال بكل شئ * رأيت الحب يلعب بالرجال

(وقيل أيضا) (والصبر بمحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد)

أورد القشيري بعد قوله وقال يحيى بن معاذ الرازي صبرا للمحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجبها كيف يصبرون وأنشد فذكره وقال الشيخ عبد الله الانصاري ومن أضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة وفوقه الصبر بالله وهو صبر المرادين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه ان صبر العامة لله أى رجاؤه وخوف عقابه وصبر المرادين بالله أى بقوة الله ومعونته بهم لا يرون لانفسهم صبرا ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بالاحول والاقوة الابالله علما ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أى على أحكامه هذا تقر بكلامه قال صاحب البصائر والصواب ان الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شأنافان الصبر لله متعلق بالالهية والصبر به متعلق برؤيته وماتعلق بالالهية أكمل وأعلى مما يتعلق برؤيته ولان الصبر له عبادة والصبر به استعانة والاستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها ولان الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به وأما الصبر به فخر له الانبياء والرسل والصديقين ولان الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب مرضى لديه والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح فابن هذا من هذا وأما تسمية الصبر على أحكامه صبرا عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم (هذا آخر ما أردنا نشره في علوم الصبر واسراره) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر اليها المصنف

العارفين انه سأل السبلي عن الصبر بأنه أشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال فابش قال الصبر عن الله فصرخ السبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبر وصابر وابطوا في الله وصابر وابالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جلاء والصبر في الله بلاء والصبر عنك فذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل أيضا الصبر بمحمد في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد هذا آخر ما أردنا نشره من علوم الصبر واسراره

مساهو في كتب الشيوخ قال القشيري في الرسالة قال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله واصبرك الا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك الى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة الى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك أحياء وبك أموت وقال ذو النون المصري الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واطهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقبل هو الغنى في البلاء بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذي عود نفسه المحجوم على المكروه وقبل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصلابة كالمقام مع العافية وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستغانة بالله وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنشدني أبو بكر الرازي قال أنشدني ابن عطاء لنفسه

صأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الصبر كاسمه وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وقال أبو محمد الحريري الصبران لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان انقال المحنة وأنشد بعضهم

صبرت ولم اطع هوالك على صبري * وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة ان يشكوى صميري صابتي * الى دمعتي سرا فتجري ولا أدري

وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيداً وان أحيالك عز يزاول الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج وفي بعض الاخبار بعيني ما يتحمل المتحملون لاجلي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر يعبرين لم أبال أهما ركبت وكان ابن شبرمة اذا نزل به بلاء قال هابة ثم تنقش وسئل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فذب على رجله عقرب وهي تضربه بابرها ضربات كثيرة وهو ساكن فقبل له لم لم تنحاف فقال استحييت من الله تعالى ان أتكلم في الصبر ولا لي صبر وفي بعض الاخبار الفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله الى بعض أنبيائه أنزلت بعدي بلائي فدعاني فخالطته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرجلك من شيء به أرجلك وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ان الصبر حده ان لا تعترض على التقدير فاما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب مع ما أخبر عنه انه قال مسني الضر وسمعت يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله مسني الضر ليكون منفصلاً عن هذه الامة وسمعت يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه مسني الضر الآية لحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرجم الراحمين ولم يصح بقوله أرجمني * واعلم ان الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدین أحسنه أن يكون محظوظاً وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفي معناه أنشد

تبين يوم البين ان اعترامه * على الصبر من احدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا علي يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أي فشاني صبر جميل ثم لم يمض حتى قال يا أسفا على يوسف الى هنا كله كلام القشيري وقال صاحب العوارف لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر تجري الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم وظاهره باطن العلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يهتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما

و بالصبر تحامل على النفس و بالعلم ترقى الى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل ووجه الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما الى الآخر أعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلي في أشد الصبر كما تقدم ذكره ثم قال وعندى في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون في أنخص معاملة المشاهدة ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالاً وتنطق بصبره خجلاً وذو باناً ويتخير في مفاوز استكائته وتخفيه لاحتساسه بعظيم أمر التجلي وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تتكحل بصبرتها باسعة نور الجلال وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك الا بالله الى هنا كلام صاحب العوارف وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر قال بعض الصحابة ما اذا جعل الله من الشفاء والفضل في التقوى والصبر قلت وهذا تصفيف من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسي قال انما هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم وماذا في الامر من من الشفاء النقاء والصبر يعني بالنقاء حب الرشاد والصبر هو المزمع قال صاحب القوت وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصابرون في الصالحين قليل جعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاماً في الصدق في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية على ان الواو للجمع والصبر ينقسم الى عمليين أحدهما لاصلاح الدين الابه والثاني هو أصل فساد الدين ثم ينشوع الصبر فيكون صاراً على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه ويكون صابراً على الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر شيء واحد ثم قال فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبه من حقيقة الدين وقدر ويناوئى بأشكر أهل الارض فيجزيه جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الارض فيقال أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعت لك الاجر عليه فيعطى أضغاف جزاء الشاكرين وجاء في الخبر ان لايوباب الجنة مصراعين يأتى عليها زحام الاباب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وللصبر معنيان أحدهما ممنوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا باصاحبه فن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات اذا لا تقي هو الاكرم عند الله والاكرم عند الله هو الافضل وقيل لسفيان الثوري ما أفضل الاعمال قال الصبر عند البلاء وقال بعض العلماء لا يطعن طامع في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فصبره ولا يطعن أحد في حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك من أخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبداً أَرْضَى عَمَلَهُ مَدَحَهُ وَوَضَعَهُ فَن ابْتَلَاهُ بِكَرَاهَةٍ وَمَشَقَّةٍ أَوْ

هوى أو شهوة فصر بذلك أو صبر عن ذلك فإنه تعالى يمدحه ويشني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير واحداً من المدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق له من صالح العمل وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمخالسة والاصغاء اليه وعكوف الهمم عليه وقوة الوجد به وهذا لخصوص المقربين أو جباة أوجباله أو تسليمه له أو تطويعاً اليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه إن الله يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الأحكام عن الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القدر ويقال من علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين والصبر أيضاً على اظهار الكرامات وهي الأخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات وهذا في معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب الجسد والملح والرياسة وقدر وينافي خبر مقطوع الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خبره وشهره * واعلم أن أكثر معاصي الخلق في شئتين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر عما يكرهون وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو الصبر وهو أول فرضة مثل أول الاخلاص والصبر أيضاً حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن لك إلا الصبر عليه ولأن الشئ إذا كان لا يأتيك إلا قليلاً قليلاً وأنت تحتاج اليه لم يكن لك إلا الصبر عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرته لأنه لو قوى يقينه كان الاجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً لحسن صبره لقوة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد إلا لأجل معينين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام اصحاب اليمين أو النظر إلى المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غنى بالصبر ومن نظر إلى المعوض حله النظر والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو العمل للصبر بمنزلة التزهد وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام إلى هنا كلام صاحب القوت وقال صاحب البصائر نقلاً عن بعض المشايخ كان صبر يوسف عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على لقاء اخوته إياه في الحب وبيعهم وتفريقهم بينه وبين أبيه فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسبه له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر وأما صبره عن المعصية فصر اختياراً ورضاً ومحاربة للنفس ولا سيما مع أسباب تقوى معاهدات المواقفة فإنه كان شاباً وداعية الشاب البهاقوية وكان عز باليس له ما يعوزه وبرشهوته وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله ويحسبونه مملوكاً والمملوك ليس وازعه كوازع الحر والمرأة جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهي الداعية لها إلى نفسها والحرصة على ذلك أشد الحرص ومع ذلك توعدته بالسجن إن لم يفعل ففعل هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله من هذا من صبره في الحب على ما ليس من كسبه والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات فان مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية * واعلم أن الشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبي إذا وعد لا يخلف ثم قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وكذلك أنوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجدته صابراً مع قوله منسى الضر وأنت أرحم الراحمين وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا

(الثاني) في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة
(الثالث) في بيان الافضل من الشكر والصبر
(الركن الاول في نفس الشكر)

(بيان فضيلة الشكر)
اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذا ذكرني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاحابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء

الشكوى الى الله كما روى بعضهم يشكوا الى آخر فاقة وضرورة فقال يا هذا تشكرون من يرزقكم الى من لا يرزقكم ثم أنشد واذا عترتك بلية فاصبر لها * صبر الصبريم فانه بك أرحم واذا شكركم الى ابن آدم لا كما * تشكروا الرحيم الى الذي لا يرزقكم والله أعلم
(الشطر الثاني من الكتاب في الشكر) وهو المقام الثالث من مقامات اليقين (وله أركان ثلاثة الاول في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه الثاني في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة الثالث في بيان الافضل من الشكر والصبر الركن الاول في نفس الشكر) وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه
(بيان فضيلة الشكر)

(اعلم) وفق الله تعالى (ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه) العز يز وأمر به (مع انه) تعالى عظيم الذكركم حيث (قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذا ذكرني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) فصار الشكر أكبر لا تترانه به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذا ذكرني أذكركم واشكروا لي خرج في لفظ المجازاة لتحقيق الامر وعظيم الشكر لان الغاء للشرط والجزاء والكاف المقدمة للتمثيل فتقوله تعالى فاذا ذكرني متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذا ذكرني واشكروا لي والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى (وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجوههم العذاب (وقال تعالى وسنجزي الشاكرين) وقال أيضا وسنجزي الله الشاكرين (وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو) طريق (الشكر) هذا أحد الوجوه في الآية نقله صاحب القوت وقال فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل الى الله تعالى لماعمل العدو في قطعه (ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين) فلولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك (و) كذلك (قال تعالى وقليل من عبادي الشكور) كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس غنه فاتبعوه الا فرى ايمان المؤمنين وفي الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الاعلى اثنين قال في وصف ابراهيم عليه السلام شاكر الانعمه وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا (وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكر ولم يستثن) فيه (فقال) واذا تأذن ربكم (لئن شكرتم لازيدنكم) ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاحابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء

وهو خلق من أخلاق الى بوبية اذ قال تعالى والله شكور حلیم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخروا هم أن الحمد لله رب العالمين

من الآيات قوله تعالى اعلموا آل داود شكرا واختلف فيه فقيل هو منصوب على التمييز والمعنى اعلموا ما تعملونه شكر الله وقيل هو مفعول لقوله اعلموا ولم يقل اشكروا والنبه على التزام الانواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وساير الجوارح وقال الله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى والله اخرجكم من بطون أمماتكم الى قوله لعلمكم تشكرون وقال تعالى ان في ذلك لآية لكل صبار شكور وقال تعالى وان تشكروا يرضه لكم فجعل رضاه عن عباده مشروطا بالشكر وهي منقبة عظيمة (وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) قال العراقي علقه البخاري وأسند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي أسنده اختلاف اه قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ولفظ الترمذي حسن غريب وأما لفظ ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الاسلمى وله حجة الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر وقد رواه كذلك أحمد والدارمي والبخاري والطبراني والضياء وسنة ضبطه بالفق على الصواب وقد أشار الحافظ الى الاختلاف الواقع في سنده في الاصابة فراجع (تنبيه) * قال الطبري قد تقرر في علم المعاني ان التشبيه يستدعي جهة جامعة والشكر نتيجة النعمة كما ان الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر * وجوابه انه ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم ان ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم فازيل توهمه به يعني هماسيان في الثواب ولان الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى وجس نفسه على محبة المنعم بالقلب واظهارها باللسان فالدرجة الصابر فالتشبيه واقع في جس النفس بالمحبة والجهة الجامعة جس النفس مطلقا (وروى عن عطاء بن أبي رباح) فيما أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أبو الحسن الصفار حدثنا الاسقاطي حدثنا مخاب حدثنا يعلى عن أبي جناب عن عطاء (قال دخات علي عائشة رضي الله عنها) مع عبيدين عمر (فقلت) يا أم المؤمنين (أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شئ من (شأنه لم يكن عجبا) انه (أمانى لبلة قد دخل معي في فراشي أوقالت في لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة) قال يا ابنة أبي بكر ذرينى (أعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك منى) ثم وافقته في مطلوبه (لكنى أو نهو الـ فاذا نزلته) فيه (فقام الى قرية) من (ماء) وكانت معلقة خلفها (فتوضأ) منها فلم يكثر (صب الماء) أى توضأ وضوء أخفيا ولفظ الرسالة فاكثر صب الماء أى على أعضائه فاحسن وضوءه (ثم قام يصلى فبكى) وهو قائم (حتى سالت صموه على صدره ثم ركع فبكى) وهو راكع (ثم رفع رأسه فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذا نزل) بالمد أى أعلمه (بالصلاة) أى صلاة الفجر (فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك) أى أبكى (وقد أنزل الله على ان في خلق السموات والارض الآية) قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزي وفيه ابن جناب واسمه يحيى بن أبي حمية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء دون قوله أو أى شأنه لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث اه قلت لقد ابعد الشيخ النجعة وهذا قد أخرجه عبيد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكير وابن حبان في صحيحه وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال قلت لعائشة أخبريني الحديث وفي آخره ثم قال ويل ان قرأها ولم يتفكر فيها ولفظ الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن حجر في شرح الشمايل وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم في سبب تحمله المشقة في العبادة ان سببها ما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم ان لها سببا آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لها مع المغفرة واجزال

(وأما الانجيل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أنا في ليلة قد دخل معي في فراشي أوقالت في لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذرينى أعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك لكنى أو نهو الـ فاذا نزلته فقام الى قرية ما فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت صموه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فاذا نزل بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان في خلق السموات والارض الآية

صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يحبره من النار فاجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالخجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء فقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ

النعمة وهو اعنى الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل الجهود فن آدم ذلك كان شكورا وقيل ما هم ولم يغز أحد بكل هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الانبياء عليهم السلام وانما ألزموا بذلك في الجدة في العبادة وعظيم الحسنة لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلا ومنه من غير سابقة توجب استحقاقها اداء بعض الشكر والاحقوقه تعالى أعظم من ان يقوم بها أحد من خلقه (وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع أبداً والى هذا السريشير ما روى) في بعض الاخبار (انه من بعض الانبياء) من بنى اسرائيل (بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه) لمخالفة العادة (فانطقه الله تعالى) معه فسأله عن سبب ذلك (فقال منذ سمعت قوله) تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وقودها الناس والحجارة) فاما أبكى من خوفه) أي من خوفى اياه ان يجعلنى من تلك الحجارة قال (فسأله) تعالى (ان يحبره من النار فاجابه) بوحى منه اليوم علم الجبر بذلك (ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك) الحال (فقال لم تبكى الآن) وقد غفر الله لك بدعائى (فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور) هكذا نقله القشيري في الرسالة وأشدوا في المعنى هجم السرور على حتى انتى * من فرط ما قد سرى أبكافى

يا عين صار الدمع عندى عادة * تبكين في فرح وفى أحزان

و يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (وقاب العبد كالخجارة) أى فى شدته وييسه (أو أشد قسوة) منها وذلك بنص القرآن (ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا) فانه يلينه ويزيل صلابته (وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون) أى كثيرى الجدة لله تعالى على نعمه (فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل) يا رسول الله (ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء) قال العراقى رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس بالفظ أول من يدعى الى الجنة الجادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اه قلت لفظ الطبراني أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الجادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه (وقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن) هكذا هو في القوت وقال العراقى لم أجده أصلا وفي الصحيح الكبير ما عداؤه وقد تقدم في العلم (وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل) هكذا هو في القوت قال وقد روى في أخبار أيوب عليه السلام ان الله سبحانه أوحى اليه فذكره (وأوحى الله اليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم) نقله صاحب القوت فقال وروى في مناقبة أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه في صفة الصابر فذكره وهذا غاية الفضل (ولما نزل في الكنوز ما نزل) وهو قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة الآتية (قال عمر رضى الله عنه فأى المال نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا فافهم باقتناء القلب الشاكر) واقتناؤه مالا في الآخرة (بدلا عن المال) في الدنيا وشكر القلب هو مشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة عذبة منه وانعطاء عنه لأن الشكر عند انشاكرين معرفة القلب وصفه لا وصف اللسان كذا في القوت وقد عزاه الى ثوبان وعمر رضى الله عنهما قلت رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذا كرا ووجه مؤمنة تعين على أمر الآخرة وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (الشكر نصف الايمان) وقد روى من حديث أنس مرفوعا الايمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر رواه الديلمي والبيهقى وقد تقدم قريبا من الاخبار الواردة في الشكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعاذنى أحبك فلا تنس ان تقول في دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفي الترمذى من بعض دعائه المشهور

* (بيان حد الشكر وحقيقته) * اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو الفرح بالحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود بالمنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع (٤٩) ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما

قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه (فالاصل الاول) العلم وهو علم ثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم وجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما في حق الله تعالى فلا يتم الابان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة راء التوحيد والتقدس اذ دخل التقديس اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الاعمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد) وهي الرتبة الثانية (ثم يعلم ان كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي افاض الوجود عليه (بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الاعمان (اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الاذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لان الجدا على من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتخربه كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر انتهى قلت ورواه كذلك الحاكم وعند البيهقي وابن النجار أفضل الدعاء لا اله الا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شيء من الاذكار نضاعف ما نضاعف الحمد لله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي قال يقال ان الجدا أكثر الكلام تضعيفا (ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان به هذه

ربا جعلني لك شكارا لك ذكراك رها بالك مطواعا لك محبا باليك أوأها منياد في حديث عمر الجدا على النعمة أمان لزو الهاد في حديث ابن عمر والجدا رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمد

* (بيان حد الشكر وحقيقته) *

(اعلم) انهم قد اختلفوا في الفرق بين الجدا والشكر أمهما افضل وفي الحديث المتقدم الجدا رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والفرق بينهما ان الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والجدا أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الاسباب ومعنى هذا ان الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة وباللسان ثناء واعترافا والجوارح طاعة وانقيادا ومتعلقة النعم دون الاوصاف الذاتية فلا يقال شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على احسانه وعمله والشكر يكون على الاحسان والنعم فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الجدا من غير عكس وكل ما يقع به الجدا يقع به الشكر من غير عكس فان الشكر يقع بالجوارح والجدا باللسان فاذا عرفت ذلك فاعلم (ان الشكر من جملة مقامات السالكين) وهو الثالث من مقامات اليقين (وهو أيضا) كما تقدم (ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل) وبه ينضج الفرق بين المقامات والاحوال وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة (أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم وأما الحال فهو الفرح بالحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود بالمنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر) على ما سبقت بيانه (قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه فالاصل الاول العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم وجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى (والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة راء التوحيد والتقدس اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الاعمان التقديس) وأعني به تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها (ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد) وهي الرتبة الثانية (ثم يعلم ان كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي افاض الوجود عليه (بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الاعمان (اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الاذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لان الجدا على من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتخربه كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر انتهى قلت ورواه كذلك الحاكم وعند البيهقي وابن النجار أفضل الدعاء لا اله الا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شيء من الاذكار نضاعف ما نضاعف الحمد لله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي قال يقال ان الجدا أكثر الكلام تضعيفا (ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان به هذه

(٧ - (اتحاف السادة المتقين) - ناسع) بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرين حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف مثل ما يضاعف الحمد لله ولا تظن ان هذه الحسنات باراء تحريك اللسان بهذه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوز يره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه ولا كما غدا الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما (٥٠) بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل

والخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال وانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم اليه شيئا فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس (اذا التسبيح لغة التقديس) والتزنية يقال سبحت الله أي زهته عما يقوله الجاحدون (ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد) اذ معناها لا معبود بحق الا الله (والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق) لا غيره وهو المنعم المطلق (فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين) ومنها يدخل اليهما (واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوز يره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه) فيتوزع (أي ينقسم) فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك في الحقيقة (نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل أو الخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال فانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته) لو خالفه (لما سلم شيئا) من تلك النعمة (فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده) أي قليلا من النعمة (فهو مضطر) لا محالة (اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي) والبواعث (والتي في نفسه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما أعطاك وان الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد ان خلق الله هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولولم يعلم ان منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها في نفسه) وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم ان كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا) نقله القشيري في الرسالة ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسل بلفظ قال موسى يارب كيف

الدواعي والتي في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد أن خلق الله هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولولم يعلم أن منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

فإذا لا تشكر الابان تعرف أن الشكر منه فان خال جـك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة بشكر ولكن انما يكون شكراً اذا كان حاوياً شرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً فنقول الملك الذي يريد ان يخرج الى سفر فانه يفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة (٥١) أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من

حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظه في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجد في صحراء فاحذه لكان فرحة مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بحاجته حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائاه عن الفرس أو لاستحقاقه له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل (في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساو يعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظراً صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذبذبة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

شكره قال علم ان ذلك منى فكان ذلك شكره (فإذا لا تشكر الابان تعرف ان الشكر منه فان خال جـك ريب) أي داخلك شك (في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع) وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع (وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده) أي بغيره (كما ان المعرفة بشكر) بغيره (وانما تكون) تلك الحالة (شكراً اذا كان جامعاً لشرطه) أي الشكر (وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً) ليتضح لك به فهم المقصود (فنقول الملك الذي يريد ان يخرج الى سفر فانه يفرس) من افراسه المتريفة (على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس) للفرس والفر (وهذا فرح من لاحظه في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجد في صحراء) مجازاً (فاحذه لكان مثل ذلك الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بحاجته حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائاه عن الفرس أو لاستحقاقه له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل) أي المتزلة (في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساو يعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظراً صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذبذبة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضاً بل يريد من الوزارة مشاهدة الملك (في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساو يعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لان نظراً صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذبذبة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنع (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بعنايته التي تسخه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ويعينه عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأن النعمة كالم يرد صاحب (٥٢) الفرس الفرس لأنه جواد ومهم لم يل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه

التي إليها انتهى الآمال والأمانى (وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ومعينة عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه) أي تشغله (عن ذكر الله تعالى وتصدده) أي تمنعه (عن سبيله فإنه ليس يريد النعمة لأن النعمة) وموافقة لطبعه (كالم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد) وأصيل (ومهم لم يل) أي سرب السيف في الركض (بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه) ومكانته لديه (ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى الشكر روية النعم لا روية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشراب وشكر الخاصة على إيراد القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البعان والفرج ومدركات الخواص من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة وإلقائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الملوثة (حتى قيل) فأله المتنبى

مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر روية النعم لا روية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشراب وشكر الخاصة على إيراد القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البعان والفرج ومدركات الخواص من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة وإلقائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الملوثة (حتى قيل) فأله المتنبى

(ومن يك ذا فم من مريض * يجد مرابه الماء الزلالا)

فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن أبل فعزى (وهو جار مجرى الأمثال) (فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بأن يفرح بالنعمة لأن من حيث أنها نعمة بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به (أما) الدرجة (الاولى) فخارجة عن كل حساب) وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث أنها نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه * الأصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير والصالح (واضماره لكافة الخلق) أي عامتهم (وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه) بأي صيغة كانت (وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله في طاعته والتوفى من الاستعانة بها على معصيته) قال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعالي يقول سمعت المرتضى يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري العب وأما ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصى الله تعالى بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد فلا تزال أتكى على هذه الكلمة التي قالها السري (حتى أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراهم سلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه) ولفظ الرسالة وقيل شكر العينين أن تستر عيبا تراهم بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيبا تسمعه فيه (فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء) وهو بيان لشكر هذه الأفعال وقال صاحب القوت وأما شكر الحوارج للمنعم

ومن يك ذا فم من مريض * يجد مرابه الماء الزلالا فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن أبل فعزى (وهو جار مجرى الأمثال) (فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بأن يفرح بالنعمة لأن من حيث أنها نعمة بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به (أما) الدرجة (الاولى) فخارجة عن كل حساب) وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث أنها نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه * الأصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل

من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير وضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوفى من الاستعانة بها على معصيته حتى أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراهم سلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء

ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فبجحة من أهل الدين وكيف لا يتقبح الشكوى من ملك الملوك ويبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد أن يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واطهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين ندعون من دون الله عبادة أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز برزحه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير فقال تأمر المؤمنين

لو كان الامر بالسنة لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال يكلم فقال اسنا وقد الرغبة ولا وقد الرغبة أما الرغبة فقد أوصى بها اليها فضلك وأما الرغبة فقد آمننا منها عدلنا وانما نحن وقد الشكر جنبنا لك بالشكر ونصرف

فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع (٥٤) حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع

على ما نحن عليه من فضلك وامتنك نقله القشيري في الرسالة ولفظه وقيل قدم وقد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبير الكبر فقال الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن فذكره وفائدة ذلك التأكيدي في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه فإذا كان المنعم حاضرا والنعم متواليبة والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرا (فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) نقله القشيري في الرسالة ولفظه وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره (فهو نظري في فعل اللسان مع بعض أحوال القلب) فالاعتراف من جملة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان وهو أيضا سبب للشكر لانفسه وقد ذكر القشيري أيضا ان الشكر ينقسم الى ثلاثة أقسام شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو اوصاف بالوفاء والخدمة وسماي ذكر القسم الثالث (وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه) ولفظ الرسالة ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه له (نظر الى مجرد عمل اللسان) لان الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة (وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على ساط الشهود) أي حضور الفضل ورؤيته (بادامة حفظ الحرمة) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كافي الرسالة وحقيقة الشكر انما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الامكان وهو (جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان) الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنع وحفظ الحرمة ولكن هذا سبب للشكر لانفسه وليس بجامع كالقول السابق (وقول جدون القصار) وهو أبو صالح جدون بن أجد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامية بنيسابور رحمه الله آثارا بالخشب ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين (شكر النعمة ان ترى نفسك في الشكر طفيليا) نقله القشيري أي تضيف النعمة الى فاعلها وتبرأ من اضافتها اليك وهو (اشارة الى ان معنى المعرفة من معاني الشكر فقط) كأنه يرجع الى الاعتراف بالنعمة واصافتها بالمنعم ويقرب منه قول بعضهم الشكر اضافة النعم الى موليا بنعت الاستكانة وهذا أيضا يرجع الى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر (وقول الجنيد) قدس سره (ان الشكر ان لا ترى نفسك أهلا للنعمة) نقله القشيري أي لان من لم بذلك ورأى ان النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله ان يكون شكره جزاء عليها لانه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج الى شكر فهو يتبرأ من ان يكون شاكرًا أبدًا وهو (اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص) ويقرب منه قول يحيى بن معاذ لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التعبير (وهؤلاء) السادة (أقوالهم تعرب) أي تفصح (عن أحوالهم) التي هي غرات أعمالهم (فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين) مختلفتين (لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الراهنة) أي الثابتة في الحال (الغالبية عليهم) في الوقت (اشغالًا بآعمالهم بآعمالهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا على ذكر ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحنها كانوا يسكرون ونابل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان) الذي هو الكشف والاطهار (هل يشمل جميع المعاني) المذكورة (أو يتناول بعضها مقصودا) بالذات (وبقية المعاني تكون

فهو نظري في فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر كراهيانه نظري في مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على ساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان وقول جدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيليا اشارة الى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص وهو لا أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين لانهم لا يتكلمون الا عن حالهم الراهنة الغالبية عليهم اشغالًا بآعمالهم بآعمالهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا على ذكر ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحنها كانوا يسكرون ونابل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في

من توابعه ولوازمه ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الموفق برحمته (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى) اعلمك يحظر بذلك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانما يشكر المملوك اما بالثناء ليزيد مجاهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثل بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزعه عن الخطوط والاعراض مقدس (٥٥) عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن

نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثل بين يديه ركهما سجد افشكرنا يا اياه بالاحاط له فيه بضاهاى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع اذا لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى في أفعاله كلها الوجه الثاني أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الاول مقابل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكره يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ان لا يتناهى (ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به) فانه قد ثبت كل من تقديس الله تعالى عن الخطوط والاعراض وتنزيهه عن الاحتياج الى الاعانة وتكثير السواد وان جميع حركاتنا وسكنا تنام خلق الله تعالى ومن نعمه علينا (فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخطر قد خطر لدواعي السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الابنعمة ثانية من نعمك) وفي القوت وفي اخبار موسى وداد عليه السلام يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك الابنعمة ثانية من نعمك (وفي لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعم منى) فقد (رضيت منك بذلك شكرا) هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكركى لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الا ان قد شكرتني (فان قلت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم جوابا بالسؤالهم) فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر (وان قبول الخلعة الثانية

من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء) والله الموفق برحمته * (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى) * اعلم انه (اعلمك يحظر بذلك) وبسبق الى ذهالك (ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر) ينتفع به (فانما يشكر المملوك اما بالثناء ليزيد مجاهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثل بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم) أى جماعتهم (وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما ان الله تعالى منزعه عن الخطوط والاعراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء) في المدح (ومن تكثير سواد الخدم بالمثل بين يديه راكعا وساجدا افشكرنا يا اياه بالاحاط له فيه بضاهاى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع اذا لاحظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها) لغناه عنها (والوجه الثاني ان كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر له وركبناه وأعطانا مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الاول مقابل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الابنعمة أخرى فيؤدى الى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين) أما الوجه الاول فظاهر وأما الثاني فلانه يستلزم ان لا يتناهى (ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به) فانه قد ثبت كل من تقديس الله تعالى عن الخطوط والاعراض وتنزيهه عن الاحتياج الى الاعانة وتكثير السواد وان جميع حركاتنا وسكنا تنام خلق الله تعالى ومن نعمه علينا (فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخطر قد خطر لدواعي السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الابنعمة ثانية من نعمك) وفي القوت وفي اخبار موسى وداد عليه السلام يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك الابنعمة ثانية من نعمك (وفي لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعم منى) فقد (رضيت منك بذلك شكرا) هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكركى لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الا ان قد شكرتني (فان قلت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم جوابا بالسؤالهم) فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر (وان قبول الخلعة الثانية

ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخطر قد خطر لدواعي السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الابنعمة ثانية من نعمك) وفي لفظ آخر وشكركى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر (٥٦) عن ذلك السرفيه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن ذلك السرفيه (لذته وغرضه) فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا (وهي أعلى علوم المعاملة) لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها (ولكننا نشير الى ملاح) وإشارات (ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعانه الشاكر وانه المشكور) فاما كونه المشكور فظاهر وأما كونه الشاكر فانه هو الموفق لعبيده لان يشكروا وهو الذي ألهمهم على ألسنتهم وقلوبهم الشاء له فهذا الاعتبار يسمى شاكرا (فانه المحب وانه المحبوب) كما يشير لذلك قوله تعالى يحبهم ويحبونه (وهذا انظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا) وهذا النظر لمن رقى من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكمل معراجة فرأى بالمشاهدة العيانة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازل وأبدا لا يتصور الا كذلك (لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير) ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته (فلا وجود له بل هو) عدم محض و (محال ان يوجد) واذا اعتبر من الوجه الذي يسرى اليه الوجود من الاول روى موجودا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه وجه الى ربه فهو باعتبار وجهه عدم وباعتبار وجهه الله موجود فاذا الوجود اذ الله ووجهه فاذا كل شيء هالك الا وجهه ازل وأبدا وقد اشار اليه المصنف بقوله (اذا الموجود المحقق هو القائم بنفسه) أو بذاته (وماليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم) وبيان ذلك ان الاشياء تنقسم الى مالا يقوم بنفسه ويفتقر الى محل كالأعراض والادوات فيقال فيها ما انها ليست قائمة بانفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال قائم بنفسه كالجواهر الان الجوهر وان استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده ويكون شرط في وجوده فلا يكون قائم بنفسه لانه محتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يتحج مع ذلك الى محل فان كان موجودا يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور الا لاشياء وجوده ولا دوام وجوده لانه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) الفرد الاحد جل شأنه (فان نظرت من هذا المقام عرفت ان السكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب) فانك ان نظرت الى معنى الشاء فتشاء كل من على فعل غيره والله تعالى اذا انى على أعمال عباده فقد انى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان الذي أعطى فائتي شكورا فالذى أعطى واثني على المعطى أحق أن يكون شكورا (ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب) البجلي البصري أبو عمر تزيل الكوفة تقدم ذكره (حيث قرأ) قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني) فهذه اثناء الله على عباده وهو (إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الحسن (الميهني) صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري مات بمهنة وهي بكسر الميم وسكون المشاء الختيسة وهاء مفتوحة ونون قرية بخباران بين سرخس

قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملاح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعانه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا لان الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد الموجود المحقق هو القائم بنفسه وماليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور الا لاشياء وجوده ولا دوام وجوده لانه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) فان نظرت من هذا المقام عرفت أن السكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني

وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني

حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقاك فلا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنيعه فان أحبه فما أحب الا نفسه واذا لم يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبير (٥٧) الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى

فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى ففى لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أوطال من الخبز فيضلك عليهم الجهال لجهلهم بعانى كلامهم وضروفة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وآلية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم غدا أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا أحد النظرين النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون المحببون بمحض الظلمة وعماهم فى كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم المطلق (الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلوا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم) ولادوام لوجودهم بل (لا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلي الموجد (لامن حيث وجدوا وافرقت بين الوجود) بنفسه (وبين الموجد) بإيجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجد واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقيوم والموجد

وأبيورد سنة ٣٣٠ (حيث قرئ بين يديه) قوله تعالى (يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم) ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه) فهو قد (أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب) وفى تقديم يحبهم اشارة الى انه لولا سبق محبته لنالوا أحبيته (وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقاك فلا يخفى عليك ان المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنيعه) بيد قدرته وبديع حكمته (فان أحبه فما أحب الانفسه) بهذا الاعتبار (فاذا لا يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب) وهو يفتح بابا عظيما من علوم المكاشفة (وهذا كله نظر بعين التوحيد) المحض وهو الذى أشار اليه حبيب بن أبى حبيب وأبو سعيد الميمنى (وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى) وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه فيغيب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره وارادته فلا يرى للغير وجودا الا بالحق (ففى لا يفهم هذا) ولا يدركه (ينكر عليهم) يجمود ذهنه (ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم عدة أوطال من الخبز) ويشرب كذا وكذا من الماء (فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بعانى كلامهم) وغفلتهم عن أحوالهم (وضروفة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين) أى يكونوا من يضحك عليهم (والية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون (واذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمزون بعضهم بعضا وبشرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أى ملتذين بالسخرية (واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون) فنسبهم الى الضلال (وما أرسلا عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (ثم بين ان ضحك العارفين عليهم أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذ لا هم مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم أخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم (على الارائك ينظرون) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (وكذلك أمة نوح عليه السلام) لما أراد الله اهلا كههم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة (كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة) ويستهزئون به (فقال) عليه السلام (ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا أحد النظرين) المذكورين (النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون المحببون بمحض الظلمة وعماهم فى كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم المطلق (الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلوا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم) ولادوام لوجودهم بل (لا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلي الموجد (لامن حيث وجدوا وافرقت بين الوجود) بنفسه (وبين الموجد) بإيجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجد واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقيوم والموجد

(٨ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلوا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وافرقت بين الوجود والوجود ليس فى الوجود الا موجد واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقيوم والموجد

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان فلا يبق الا وجهه ر بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عها لم يصبرها فاعا غير الموجود الحق فاثبت وجوده آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذى قبله جاحد تحقيقا فان جاز زحدا العمى الى العمش ادرك تفاوت بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت (٥٨) والبعض من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كل بصره بما يزيد في

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان (فلا يبق الا وجهه ر بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عها لم يصبرها فاعا غير الموجود الحق فاثبت وجوده آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا) لانه اشرك مع الله تعالى موجودا آخر (كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا) لانه جحد ما هو الحق الثابت (فان جاز زحدا العمى الى العمش) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع (ادرك تفاوت بين الموجودين فاثبت عبدا وربا) وقسم الموجود الى واجب ويمكن (فهذا القدر من اثبات التفاوت) بين الموجودين (وبالعوض من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد) أى أوائله (ثم ان كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عشه) وسيلان دمه (وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يقضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين) وتختلف مشاربهم وأذواقهم (وكتب الله المنزلة على رساله هى الكحل الذى تحصل به أنوار الابصار) وبهذا الاعتبار سميت أنوارا (والانبياء) عليهم السلام (هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله) الدالة على التوحيد (ومعناه) فى الحقيقة (أن لا يرى الا الواحد الحق) قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (والواصلون الى كمال التوحيد الاقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولوا ضعيفا) هم هذا الخيال القائم فى اذهانهم (والمستوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفع بصيرته فى بعض الاحوال) والاحيان (فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف) يذهب سريعاً (لا يثبت) فهو أشبه شئ بالاحوال (وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا) فيكون أشبه شئ بالمقامات (ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز) كما قبل (لكل الى شأ والعلا حركات * ولكن عز نرى الرجال ثبات)

أنواره فيقل عشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يقضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على أسنة رساله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له (كلا لا تطعموه) اسجد واقترب (أى دم على سجودك وتقرّب من ربك وقال مجاهد أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول اسجد واقترب أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولماسجد) قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك ومرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه مسلم من حديث عائشة بلغها أعوذ بمرضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك والباقي سواء وقد تقدم (فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بنفسه عنه عن فعله) وهذا قسم من الفناء المطلق وهو ان يتجلى الحق لعبده بطريق الافعال ويسلب عنه اختياره

وارادته

دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفع بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأواله الحركات * ولكن عز نرى الرجال ثبات ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له واسجد واقترب قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بمرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بنفسه عنه من فعله

ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهماصفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترّب ورتى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ (٥٩) بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية

فعل وصفة ولكنه رأى نفسه

فارا منه اليه ومستعيذا

ومثليا ففني عن مشاهدة

نفسه اذ رأى ذلك نقصانا

واقترّب فقال لأحصى ثناء

عليك أنت كما أثبتت على

نفسك فقوله صلى الله عليه

وسلم لأحصى خبر عن فناء

نفسه وخروج ع-ن

مشاهدتها وقوله أنت كما

أثبتت على نفسك بيان انه

المثني والمثنى عليه وان

الكل منه بدا واليه يعود

وأن كل شيء هالك الا وجهه

فكان أول مقاماته نهاية

مقامات الموحدين وهو أن

لا يرى الا الله تعالى وافعاله

فيستعيذ بفعل من فعل

فانظر الى ماذا انتهت نهايته

اذا انتهى الى الواجد الحق

حتى ارتفع من نظره

ومشاهدته سوى الذات

الحق ولقد كان صلى الله

عليه وسلم لا يرى من رتبة

الى أخرى الا يرى الاولى

بعد الاضافة الى الثانية

فكان يستغفر الله من

الاولى ويرى ذلك نقصا في

سلوكه وتقصيرا في مقامه

واليه الاشارة بقوله صلى

الله عليه وسلم انه ليغان على

قلبي حتى استغفر الله في

اليوم والليلة سبعين مرة

فكان ذلك لترقيته الى سبعين

وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا بالحق (ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما) أى الرضا والسخط (صفتان) من صفات الله تعالى (ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترّب فرقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارار منه اليه ومستعيذا ومثليا ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترّب فقال أنت كما أثبتت على نفسك لأحصى ثناء عليك) أى انى لا أطبق بمحامدك وصفات الهيئك وانما أنت المحيط بهم اوجدك (فقوله لأحصى خبر عن فناء نفسه وخروج وجهه عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثبتت على نفسك بيان انه المثني وهو المثني عليه) وهو الذى أشار اليه الصديق رضى الله عنه حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك (وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه) وانه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة (فكان أول مقامه) صلى الله عليه وسلم (نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى) في الوجود (الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواجد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق) وهذا المقام غاية ما ينتهى اليه من تله مقام الفناء المطلق (ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة الى أخرى الا يرى الاولى بعدا) من الله تعالى (بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه) وهو من باب حسنات الارباب سيئات المقرين (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث الاغربين بشار المزني بلفظ انه ليغان على قاي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقد تقدم في كتاب التوبة وقبله في كتاب الدعوات (فكان ذلك لترقيته الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكنه كان نقصا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك) وقد تقدم الكلام عليه (ولما قالت عائشة رضى الله عنها) للنبي صلى الله عليه وسلم (قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فهاذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا) رواه أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبله - ذا تسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وهو كذلك في الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبه وقوله أفلا أفياء لاسيما من محذوف أى أعترك تلك الكافة نظرا الى تلك المغفرة فلا أكون عبدا شكورا لابل ألزمها وان غفر لي لا أكون عبدا شكورا فالمعنى ان المغفرة سبب ذلك التكلف شكر فكيف أتركه بل أفعله لا أكون مبالغيا في الشكر بحسب الامكان البشرى ومن ثم أتى بلفظ العبودية لانها أخص أوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا ذكرها تعالى في أعلى المقامات وأفضل الاحوال اذ هي مقتضى النسبة المستلزمة للقيام باعلى الخدمة وهو الشكر اذا العبد اذا لاحظ كونه عبدا وان ماله كمع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو (معناه) أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال لمن شكرتم لازيدنكم) وقد تقدم قريبا وقبل تقدير الكلام اذا أنعم على بالانعام الواسع أفلا أكون عبدا شكورا أى أيصير هذا الانعام سببا لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والاستغفار لانكار سببية مثل هذا الانعام لعدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه ويصح أن يكون التقدير غفر لي ما تقدم وما تأخر لعله بانى أكون مبالغيا في عبادته فاكون عبدا شكورا

مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكنه كان نقصا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضى الله عنها أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهاذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا معناه أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لمن شكرتم لازيدنكم

واذ تغافلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يدين بعلم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثل فاقول يمكن ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه كروبا وملبوسا ونقد الاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له (٦٠) عناية في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد

في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تعنى فيه غناء وغنيته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به فنزل العبد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بحسب رد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمته التي ارادها الملك منه وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لان نفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لان نفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقرّبهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

فلا أكون كذلك وهذا قريب من الاول (واذ قد تغافلنا في بحار) علوم (المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يدين بعلم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه) آتفا (ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله) من أوله الى آخره (تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثل) يضرب لك (فأقول يمكن ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه كروبا وملبوسا ونقد) من المال (لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم) ذلك العبد (ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تعنى فيه غناء وغنيته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وابتغاه في منزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى) لتزجيه عن الافتقار والاحتياج الى معين (والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بحسب رد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمته التي ارادها الملك منه وأما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لان نفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لان نفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقرّبهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

الزاد لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لان نفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لان نفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته اذا أهملها وعطّلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقرّبهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأوفقه بحجة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها

في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة ولكن لا تشتملها المحبة والكره بل رب مراد محبوب ورب مراد مكر وه ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحله إذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن لا مشكور وحظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراتم وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك وهو الذي أعطى وهو الذي أنى كيبينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى الشكر على كل حال وأنت محمل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجوده كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محمل له) ومظهر لتجابه (وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء) لثبوتك في الاعيان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت في الازل) طامنا لنفسك شبيهة من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الاعيان (فأنت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهيئ ومصرف لاصرف ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنف فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فقد وقعدنا حوله ومعهم مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرتهم ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فيبين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجارى قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأوفقه بحجة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة (ولكن لا تشتملها المحبة والكره بل رب مراد محبوب ورب مراد مكر وه) وقد تقدم شئ من ذلك في كتاب قواعد العقائد (ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه) وانه روى الطبراني من حديث ابن مسعود اذا ذكر القدر فامسكوا وسامئى قريبا (وقد انحله هذا) الذي أورده (الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور) حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الاشكال (الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله) تعالى (فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله) تعالى (فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك وهو الذي أعطى وهو الذي أنى كيبينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محمل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجوده كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محمل له) ومظهر لتجابه (وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء) لثبوتك في الاعيان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت في الازل) طامنا لنفسك شبيهة من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الاعيان (فأنت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهيئ ومصرف لاصرف ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنف فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فقد وقعدنا حوله ومعهم مخضرة فنكس وجعل ينكت بمخضرتهم ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فيبين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجارى قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محمل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شبيهة لك وأنت شيء اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ اذ كنت أنت طامنا لنفسك شيئا من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له يا رسول الله فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجارى قدراته تعالى ومحمل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خالق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم (٦٢) شرط لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هو شرط

ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهراً ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجود لغيره بل معمد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى عجلوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما الدنيا شيء فكيف نذم وانما السلك الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى فمن سبق له في الازل السعادة الموعودة يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة وفي نسخة الى الخير ويعبر عن مثله بأن كلامه ليسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشياطين فاذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعذبا البخاري بحب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعذبا أي نعم في الحلية عجب من أقوام يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ الا انه قايساقون (فما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه واما من يخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا فاهراً الا الواحد القهار ولا قادراً الا

والمعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهراً ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجود لغيره بل معمد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى عجلوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما الدنيا شيء فكيف نذم وانما السلك الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلامه ليسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله

تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا الملائكة واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشياطين وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فاما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه واما من يخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقون يساقون الى الجنة قهراً والمجرمون يقادون الى النار قهراً ولا فاهراً الا الواحد القهار ولا قادراً الا

استعمال نعمته تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما ترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة تذبذب تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه في العالم الاخرى في خلق شيئاً في العالم الاخرى حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحسوب وتلك الحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بعرفة ما يحبه) الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر استعماله نعمة في محابه) ومراضيه قال القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنييد يقول كان السري اذا اراد ان ينفعني سألتني فقال لي يوما يا أبا القاسم ايش الشكر فقلت ان لا يستعان بشئ من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من محالستك (ومعنى الكفر نقيض ذلك) اذ حقيقة ستر نعمة المنعم فترك أداء شكرها (اما ترك الاستعمال) فيدعها معطلة (أو باستعماله) ايها (في مكارهه) ومساخته (ولتمييز ما يحبه الله تعالى) عما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والانباء من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير) صعب المثال (وهو لاجل ذلك عزيز) الوجود (فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا) لعدم احاطته بجميع الاحكام (وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذا خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا أي طرفا للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحصيل المعيشة أوحياة يبعثون فيها عن النوم (والليل لباسا) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء (فتبسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم فيها بل في أحكام أخرى كثيرة دقيقة) لا يطلع عليها الا أهل البصيرة (وكذلك معرفة الحكمة في الغيم) وهو السحاب المحضرين السماء والارض (وزول الامطار) منه وذلك (كانشق الارض بانواع النبات مطعمها للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي تحتملها انعام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى في ترداد النعم الخارجية فلينظر الانسان الى طعامه (اناصينا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبنا وقصبا) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلا الآية) ونعامها وحداث غلبا وفاكهة وأبا

الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستنار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم وزول الامطار وذلك لان شتات الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي تحتها ما فهم الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صيبنها الماء صبا ثم شققنا الارض شققا فنشقها جوارح وعبد الآلة

فدقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبها قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانها ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جل بركبه ومن يملك الجل وبما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير راد لا يبذل صاحب الجل جل به بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشباب أو عبدًا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت

المازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجل يسوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد في الاغرض في اعيانها ولو كان في اعيانها ما غرض بها اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقه الله تعالى لتداولهما لا يدى ويكونا حاكين بين الاموال بالسوية (والحكمة اخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها مشايخ عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فقط) فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلا فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صح كاف الكيس فالحل حاصل * (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون) عندهم مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعانى في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(فمقول من) جملة (نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبها قوام الدنيا) وملاكها (وهما حجران) كسائر الحجارة (لا منفعة في اعيانها) ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه (ومسكنه) (وسائر حاجاته) (اللازمة) (وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جل بركبه ومن يملك الجل وبما يستغني عنه) (في بعض الاحيان) (ويحتاج الى الزعفران) لحاجة دعته اليه (فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير) (يرجع اليه) (اذ لا يبذل صاحب الجل جل به بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجل حتى يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشباب أو عبدًا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جدا) (وبشبهه أمرها) (فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل) (وسط) (فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت الممازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما) (في المعاملات) (فيقال هذا الجل يسوي مائة مثلا وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما متساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد في الاغرض في اعيانها ولو كان في اعيانها ما غرض بها اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقه الله تعالى لتداولهما لا يدى ويكونا حاكين بين الاموال بالسوية (والحكمة اخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها مشايخ عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فقط) فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلا فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صح كاف الكيس فالحل حاصل * (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون) عندهم مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعانى في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(٩ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) اعيانها ما ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكها فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فلوا احتاج الى طعام بما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلا فاحتج الى شئ هو في صورته كانه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لامعنى له في نفسه وتظهر به المعانى في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

إذا كثرت فمضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خالفت الدراهم والدنانير ليدخاها ولا العمر وخاصة إذا لغرض إلا حاد في أعينها فأنهم ما جحرا وأما خلق التداولهما إلا يدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حروف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أن حسيهم هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يعجزوا عن إدراكه فقال تعالى والذين يكفرون الذهب (٦٦) والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير

إذا كثر فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لي يد خاصة ولا لعمرو وخاصة
إذا لغرض إلا لحاد في أعيانهم ما فأنهما حيران وانما خلقا للتداول ولهما لا يدي فيكونا حاكين بين الناس
وعلا من معرفة المقدار وممة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الالهية المكتوبة
على صفحات الموجودات بخط الهى لا حرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بعين البصر (الظاهر بل بعين
البصيرة) الباطنة (أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله) المرسل اليهم (حتى وصل اليهم
بواسطة الحرف والصوت المعنى الذى يعجزوا عن ادراكه) وفهم معناه (فقال والذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم) وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة
(وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر)
ولم ينطق (لان مثال هذا مثال من استخرجوا كم البلد في الحياكة والكسوة) وغيرهما من (الاعمال
التي يقوم بها الخساء الناس) وادباؤهم (والحبس أهون منه وذلك ان الخرف والحديد والرصاص
والنحاس) وغيرهما من المنطوقات (ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدد) أى تتفرق
(وانما) تتخذ (الاولى لحفظ المائعات) والحفظ يحصل بغيرهما (ولا يكتفي الخرف والحديد) والرصاص
(في المقصود الذى أريد به النقود) في الغالب وان كان يتعامل ببعضها في بعض الاقطار لكن على سبيل
التبعية لهما (فن لم ينكشف له هذا) المعنى (كشف له بالترجمة الالهية وقيل انه من شرب في آنية من
ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم) لم يصرح المصنف بكونه حديثا وهو منفق عليه من حديث
أم سلمة كما قاله العراقي والفظ مسلم من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار من جهنم
وروى البيهقي في المعرفة والخطيب وابن عساكر من حديث ابن عمر من شرب في آنية من ذهب أو فضة أو آنية
فيه شئ من ذلك فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم وروى ابن ماجه من حديث عائشة من شرب في آنية من ذهب
فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم (وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وتوالم)
أى تعدى ووضع الشئ في غير موضعه (لانهم ما خلقا لغيرهما لانهما لا يتنفسهما إذا لغرض في عنهما فاذا التجرفي
عنهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة) الالهية (اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن
معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادوية اذ لم يبيع الطعام والادوية بالثوب
فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فأنهما وسيلتان الى الغير لا لغرض في
أعيانهم ما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف في الكلام كما قاله الخويون ان الحرف هو الذى جاء لعنى
في غيره) كما عرفه ابن الحاجب في كافيته (وكوقع المرأة من اللون فاما من معه نقد فلو جازله أن يبيعه
بالنقد فيتحذ التعامل على النقد غاية علمه فيبقى النقد منقيد اعنده ويتزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم
والبريد الموصل الى الغير ظلم كان جسسه ظلم فلامعنى لبيع النقد بالنقد الاتخاذ النقد مقصودا لا ذخارا
وهو ظلم فان قلت فلم يجاز بيع أحد النقيدين بالآخر) أى يبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب متفاضلين

ولا تقدمه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادابة اذ ربما لا يباع الطعام والادابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر
يحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهم ما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهم ما وموقعهم ما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كقال
الخوبون ان الحرف هو الذي جاء لعني في غير موقع المرأة من الالوان فاما من معه نقد فلوجار له أن يبيعه بالنقد فيتحذا التعامل على النقد غاية
عمله فيبقى النقد منقيداً عندهم ينزل منزلة الكنوز وتقييد الحالكه والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد
الا اتخاذ النقد مقصود الادخار وهو ظلم (فان قلت) فلم جازي بيع أحد النقدين بالآخر

ولم جاز يبيع الدرهم بمثل له فاعلم أن أحد النقيدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد تبسر التوصل بأحد هاهنا حيث كثرت كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منها ما يشوش المقصود الخاص به وهو تبسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم بمائته بخلاف من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى لا يشتغل به بأجر فانه عبث يجزى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذ به بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقافهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذ به بعينه فلا نزع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذا صاحب الجيد لا يرضى بمثل له من الرديء فلا (٦٧) ينظم العقود وأن طلب زيادة في الرديء

ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة (٦٨) ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيها هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم

الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنخلق هذا بطن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردها في الخلافات وبهذا يوضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات أذلو دخل الحص فيه كانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملع لكان مذهب مالك رحمه الله أنوم المذاهب فيه إذ خصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبطا محد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم فترأى الشرع التحديد بحس المطعم أخرى لكل ماهو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحبط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعوا الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس وفي نسخة بحكمة الجسم لها (كما دخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية فهذه أمثال واحد

بعضها ببعض الامثال يمثل يد ويد مع جوازه يكون غائبا) ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات يضطر إليها الانسان أبدا والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة) الذي هو الغذاء (ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيها هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا) وقد أشار الى نحو ذلك القفال في محاسن الشريعة (وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن) الاشتغال في (فن الفقه) وذلك عند خروجه من دار السلام بعداد (فلنخلق هذا بطن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردها في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله تعالى) على غيره (في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات أذلو دخل الحص فيه لكان الثياب والدواب أولى بالدخول فيه ولولا الملع لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه إذ خصه بالاقوات) وتفصيل ذلك أنهم اختلفوا في علة جريان الربا المحرم في غير الاعيان الستة المنصوص عليها فقال أبو حنيفة وأحمد العلة في الذهب والفضة الوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه إذا باعه متفاضلا كالذهب والفضة ثم يتعدى منها الى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبههم وقال مالك والشافعي العلة في الذهب والفضة الثمنية فلا يجزى الربا عندهما في الحديد والنحاس وما أشبههما وقال أبو حنيفة في أظهر الروايات عنه وهي اختيار الخرقى من الحنابلة وشيوخ أصحابه العلة في الاعيان الاربعة الباقية الكيل والجنس فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت إذا بيع متفاضلا كالخلفة والشعير والنورة والحص والاشنان وما أشبهه وعن أحمد رواية ثانية في علة الاعيان الاربعة انهم أكل مكيل أو مأكول موزون فعلى هذه الرواية لا ريب في ما يؤول كل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا في غير المأكول مما ياكل ويوزن كالنورة والحص والاشنان وعنه رواية ثالثة في علة الاعيان الاربعة انه مأكول جنس فعلى هذه الرواية يحرم ما كان ما كولا خاصة ويدخل في التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولا وقال مالك العلة في الاعيان الاربعة كونها مقنات وما يصلح للقوت في جنس مدخر فيدخل تحريم الربا في ذلك كله كالاقيات المدخرة واللحوم والالبان والخلول والزيتون والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر وقال الشافعي في الجديدان العلة في الاعيان الاربعة انها مطعومة جنس فعلى هذا يجزى الربا عنده في الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد وقال في القديم مطعومة مكيلة أو موزونة فعلى هذا لا يجزى الربا بمجرد الطعم في المطعومات ذكر ذلك كله الوزر في الافصاح وتقديم في كتاب آداب الكسب (ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبطا محد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت) كذهب اليه مالك (وكان ممكنا بالمطعم) كذهب اليه الشافعي (فترأى الشرع التحديد بحس المطعم أخرى) أى أشمل (لكل ماهو ضرورة البقاء) ودوام العيش (وتحديدات الشرع قد تحبط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن تعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعوا الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس (كما دخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية فهذه أمثال واحد

يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجد شرع عيسى بن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعوا الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجله الاصلية فهذه أمثال واحد

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولو الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظر والى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفلك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة (٦٩) وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب

القلوب موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد بحانه في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كاخذ المحبف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأهو خسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخاق سعة العالم لانه خاق الجهات لتكون متسك في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واستماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمياه الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخنطة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدايس) أي

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة) وأتى من بابها (ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يشير الى قوله تعالى ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات) ومقارها (وملاعب الشياطين) ومحال وسواسها (بل لا يتذكر الا اولو الالباب) أشار به الى تمام الآية المذكورة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظر والى ملكوت السماء) رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم (واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه) لا يتخلو (اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفلك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس) وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة (بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب القلوب) وهم المشتغلون بعلوم الآخرة (موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى) وهي اليمين وهذا هو الاغلب فلا يناقضة الا عسر وهو الذي يسره أقوى من اليمين لنسبوره (فاستحق الاقوى بمزيد بحانه في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل) لقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان (ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كاخذ المحبف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأهو خسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخاق سعة العالم لانه خاق الجهات لتكون متسك في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واستماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمياه الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخنطة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدايس) أي

ما شرفها بأن وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه استماله لقلبك اليه ليتقديه بقلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلر جل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل وهذا عند العارفين كبيرة وان سمياه الفقيه مكرها وها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الخنطة وكان يتصدق بها فاستل عن سببه فقال لبست المدايس

مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريدان أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لانه مسكين بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة اليها فقبج أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح يساره فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ بالسار ومن باع خمر في وقت النداء يوم الجمعة فقبحج أن يقال خان من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبحج أن يذكر تركه الأدب (٧٠) في قضاء الحاجة من حيث انه لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض

النعمل (مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا) من غير اختيار (فأريدان أكفره بالصدقة) ولعله وجد الخطئة عزرة فلذلك اختار التصديق بها أول كونها مما يبيع النفع بها أكثر من غيرها (نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لانه مسكين بل) أي امتحن (بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام) في بلادهم وحوصهم (وهم مغمسون) وفي نسخة مغموسون (في ظلمات) وهمية (أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة اليها فقبحج أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح يساره فقد تعدى) الحد الشرعي (من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ بالسار ومن باع خمر) وفي نسخة خمر (في وقت النداء) وهو الأذان الثاني (يوم الجمعة فقبحج أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الخمر) وفي نسخة الخمر (والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبحج أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض) في القبح (فينمحق بعضها) ويضمحل (في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكايه في نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب) الظاهرة (وتساجنا فيه في الفقه مع العوام فسيب هذه الضرورة والافضل هذه المكارة عدول من العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغ للبعد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزل وبهضا يخرج بالسكينة عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين كما ان عالم القرب هو مستقر الملائكة) وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد أما البذر فأنهم لم يخلقوا لتخلق العبيث بها بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليها أي الى عروقها (الماء) من باطن الارض (وخلق فيها قوة الاغذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده) بظلاله وغره (فكسره قبل منتهى نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده بخالفة المقصود بالحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذا الشجر والحيوان جعل) كل منهما (فداء لاغراض الانسان فانهم جميعا فانيان هالكان وافناء الاخس) رتبة (في بقاء الاشرف مدة تأقرب الى العدول من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم في السموات وما في الارض جميعا منتهى نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وان كان محتاجا اليه (لان كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منهما من غير ربحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد) والخدمة في غوه ونشأته (فهو أولى به من غيره فترج جانبه بذلك فان نبت في موات الارض) من نفسه (لا بسبق آدمي

فيه محقق بعضه هائي جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكايه في نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتساجنا فيه في الفقه مع العوام فسيب هذه الضرورة والافضل هذه المكارة عدول من العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغ للبعد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزل وبهضا يخرج بالسكينة عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد أما البذر فأنهم لم يخلقوا لتخلق العبيث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فأنما خلقه

الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى اختص نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده بخالفة المقصود بالحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذا الشجر والحيوان جعل فداء لاغراض الانسان فانهم جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة تأقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم في السموات وما في الارض جميعا منتهى نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منهما من غير ربحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترج جانبه بذلك فان نبت في موات الارض لا بسبق آدمي

اختص بغفره أو بعرضه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل هو أن يكون أولى به وغير
الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا للملك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في
نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد أذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة
لعبيده فن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه بوجهه فباعه عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم (٧١) يمكن منه لان اللقمة صارت ملكا له

بالاخذ باليد فان اليد
وصاحب اليد أيضا مملوك
ولكن اذا كانت كل لقمة
بعينها لا تفي بحاجة كل
العبيد فالعدل في التخصيص
عند حصول ضرب من
الترجيح والاختصاص
والاخذ اختصاصا بفردية
العبد فنع من لا يدلي بذلك
الاختصاص عن مزاجته
فهكذا ينبغي ان تفهم أمر
الله في عبادته ولذلك نقول
من أخذ من أموال الدنيا
أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه وفي عباد الله من
يحتاج اليه فهو ظالم وهو
من الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله وانما سبيل الله
طاعته وراذ الخلق في
طاعته أموال الدنيا اذ بها
تدفع ضروراتهم وترتفع
حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في
حرفناوى الفقه لان مقدار
الحاجات خفيفة والنفوس
في استشعار الفقر في
الاستقبال مختلفة وأواخر
الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى
تكليف الصبيان الوفاق

اختص بغفره) أى منبته بالملكية (أو بغفره) بان وضع يده في تلك الارض وتعهده بالسبق (فلا بد من
طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل ان يكون هو أولى به) وهو
ترجيح في حقه (وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو) في الحقيقة (مجاز محض) أى خالص لا شوب
للحقيقة فيه (اذ لا ملك) حقيقة (الملك المملوك) جل شأنه (الذى له ما في السموات والارض) وما في يد
العبد فهو مستعار مردود (وكيف يكون العبد مالكا) هو (في نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره)
لان وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت
ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقى
ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض (نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله) المفروشة (وقد أذن
لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده) فهم شمر كاهنها (فن أخذ لقمة
بيمينه واحتوت عليها بوجهه) أى مفاصل أصابعه (فباعه عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم يمكن منه لان
اللقمة صارت ملكا له) بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت لقمة بعينها لا تفي
بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاصا
بفردية العبد فنع من لا يدلي) أى لا يتقرب (بذلك الاختصاص عن مزاجته) وانتراع اللقمة منه
(فهكذا ينبغي ان تفهم أمر الله في عبادته ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه) ولم ينفقه (وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم) ولو أدى زكاة ما كنزه وهو أحد الوجوه في
الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى في حقهم والذين (يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله) فبشرهم بعذاب أليم (وانما سبيل الله طاعته وراذ الخلق في الطاعة) وفي نسخة في طاعته (أموال
الدنيا اذ بها) تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم هذا لا يدخل في حد فتاوى الفقه لان مقدار الحاجات
خفيفة (لا تدرك) والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوفاق والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم يحكم
نقصانهم) في عقولهم (لا يطيقونه فتركوا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وابتاعوا ذلك اياهم لا يدل على
ان الله واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات
لضرورتهما جبالا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق) والى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاة فليس
بكنز (وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم) أى يبالغ في سؤالكم حتى لا تبقوا
منها شيئا الا وقد صرفتموه في سبيل الحق (تبخلوا) وذلك بمقتضى الجلية (بل الحق الذى لا كدورة فيه
والعدل الذى لا ظلم فيه ان لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر راد الزكاة) كما ورد ذلك في
الحبر بلفظ ولكن زاد أحدكم من الدنيا مثل زاد الزكاة أى فان الزكاة لا يحمل من الزاد الا قدر كفايته
فقط (فكل عباد الله ركابا لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان) وسنوهم منازلهم (فنى أخذ زبادة عليه
ومنع عن ركاب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو يحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركوا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وابتاعوا ذلك اياهم لا يدل
على أن الله واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكاة لضرورتهما جبالا عليه من البخل لا يدل
على انه غاية الحق وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم تبخلوا بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه أن لا
يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر راد الزكاة فكل عباد الله ركابا لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فن أخذ زبادة عليه ثم منعه
عن ركاب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل وانما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجعت الى هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة (٧٢) وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل) لكثرة أنواع الموجودات فتكثر الحكم (وانما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور) تعلم (فرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا) الذى أوردناه (كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة) وهى لسان العرب (وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير) فان التفسير بيان لظاهر اللفظ والمعنى هو ما يكون بيانا لباطنه (فان قلت فقد رجعت حاصل الكلام الى ان الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافعها سبق الى تلويحات) أى اشارات (بمبادئها) أى أوائلها (ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة) مختصرة (عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجدها من عجز عن الإيضاح) أى الاسراع (فى السير فضلا عن ان يجول فى جو المليكوت جولان الطير فنقول ان الله تعالى فى جلالة وكبرائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها) التى هى هى من حيث هى (فلم تكن لها عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات من ان عند طرف فهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش) جمع خفاش طائر معروف (عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف أبصار الخفافيش) فانها لا تحتل نورها (فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها الى ان يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعار والها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة) وهى معنى يكون الفعل مرادوا وهى أعم من وجهه من

وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافعها سبق الى تلويحات بمبادئها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجدها من عجز عن الإيضاح فى السير فضلا عن أن يجول فى جو المليكوت جولان الطير فنقول ان الله عز وجل فى جلالة وكبرائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها فى العالم الارادة عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات من أن يمتد طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها الى ان يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعار والها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة وهى معنى يكون الفعل مرادوا وهى أعم من وجهه من

وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها فى العالم الارادة عبارة لعلوا شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات من أن يمتد طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لاغموض فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها الى ان يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعار والها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مضافة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة

فهى توهم منها أمر الجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عبادته الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك (٧٣) قهرا فى حقهم - بتسليط الدواعى

والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة بهم - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف) ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر (فهى توهم أمرا جملا) فى ايجاد معدوم أو اعدام موجود (عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلاف واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عبادته الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له فى المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة بهم - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف) ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

(١٠ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)

ان ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلم بالبصر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد

ولفظ القدر يازاء التفصيل المتماضى الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسم لما إذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم (٧٤) العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الامر

والاحتواء على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكنوا فاما لهذا خلقتهم لا يستل عما يفعل وهم يستلون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زينهم أولاً صافياً يكاد يضيء ولولم تمسه نار فاستل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنون بين أيديهم بنور ربهم فأدركوا الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكنوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للعبطان آذاناً وجو اليكم ضعف الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحييها به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحييها حياة المتردين في كمال نور الشمس وكونوا كن قبل لهم

الازل الى الابد (ولفظ القدر يازاء التفصيل المتماضى الى غير نهاية) فالقضاء أخص من القدر (وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر) وقال المصنف في المقصد الاسنى معنى الحكمة ترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وهو تعالى الحكيم المطلق لانه سبب كل الاسباب جللتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الاسباب لتتوجه الى المسببات هو حكمه واجباده للاسباب السكينة الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تتحول ولا تزول الى وقت معلوم ووضعها اياها ونصبها لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدره المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاولى الكلى والامر الازلى الذى هو كبح البصر والقضاء هو الوضع الكلى للاسباب السكينة الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلى بحركاتها المقدره المحسوبة الى مسبباتها المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ولذلك لا يخرج شئ عن قضاؤه وقدره (خطر لبعض العباد أن القسم لما إذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره) لا يطبق ملاحظة كنه هذا الامر (والاحتواء) أى الاشتمال وفى نسخة الاحتراز من الحوز والمعنى واحد (على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته) وهى معظم الماء (بلجام المنع وقيل لهم) بلسان الحال (اسكنوا فاما لهذا خلقتهم) فلا تخوضوا فيه قال الله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) ففيه اشارة الى هذا الاجام (وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى) المنتشر ضياؤه (في السموات والارض) يشير الى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية والمشكاة هى الكوة فى الخائط يوضع فيها المصباح (وكان زينهم) وهو الاستعداد (أولاً صافياً) من كدورات الاوهام (يكاد يضيء) أى يشعل لسكال صفائه (ولولم تمسه نار) بعد (تمسه نار فاستل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنون) وهو عالم الغيب المختص (بين أيديهم بنور ربهم) يشير الى قوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربهم (فأدركوا الامور كلها كما هي عليها) بكنهها وحقيقتها (فقيل لهم تأدبوا بأداب الله واسكنوا واذا ذكر القدر فامسكوا) وهو بعض حديث ابن مسعود روى الطبرانى وأبو نعيم وابن صبرى فى أماليه وحسنه بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكرن النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا ورواه الطبرانى أيضاً من حديث ثوبان وابن عدى من حديث عمر ولم يصرح المصنف بكونه حديثاً وقد تقدم فى كتاب العلم (فان للعبطان آذاناً) وهو مثل مشهور (وجو اليكم ضعف الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش) فانهم لا يطبقون (فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى) وتحلوا بمعاني صفاته وأسماؤه بقدر ما يتصور فى حقكم (وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل فيحييها به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحييها حياة المتردين فى كمال نور الشمس وكونوا كن قبل لهم

(شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب)

(* شربنا وأهرقنا على الارض فضلة *) أى سكبنا عليها ما فضل منها

(*) والارض من كاس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وأخوه فلا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له واذا كنت أهلاً له (وساعدتك العناية) تحت العين وأبصرت (الطريق) فلا تحتاج الى قائد يقودك (وهو

شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب وهو شربنا وأهرقنا على الارض فضلة * والارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان أول هذا الامر وأخوه ولا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له واذا كنت أهلاً له فتح العناية وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك

والاعبى يمكن أن يقادوا لكن إلى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجروا به أعبى وإذا ذاق المجال ولطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا به آخر فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال (٧٥) جواهر الخلق كنسبة المشي على الماء

إلى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أفهام الخلق اذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويغضب الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين ثم أحال الارشاد إلى جبريل فقال قل (وهو اللعين المنظر) أي المطرود الممهمل (إلى يوم الدين) ثم أحال الارشاد إلى جبريل فقال قل (يا محمد) تزل روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وأحال الارشاد إلى ابليس فقال لبضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أبغضه وفي نسخة غضب عليه (والارشاد) هو (سبيلهم إلى الغاية) فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة مثلاً فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يستب الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات (والاوساخ) وكان له عبيدان فلا بد من تنظيف الأقباح وأحسهما ولا يفوق حل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما) وجهاً (كلهما)

وهو المرشد (والاعبى يمكن أن يقادوا لكن إلى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه) لكن لم يقدر على أن يستجروا به أعبى لضيق الطريق (وإذا ذاق المجال ولطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا به) رجلاً (آخر) لعدم قوته أو خوفه من الهلاك (فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جواهر الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة) على الماء (يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء) قال العراقي هذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبينهم فقبل لهم توجه نحو البحر فأنطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء وروى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على الجور ولزالت بدعائكم الجبال انتهى قلت وروى ابن أبي الدنيا أيضاً وابن عساکر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم بأي شيء تمشي على الماء قال بالآيمان واليقين قالوا فأنأمنأ كما أمنت وأيقنأ كما أيقنت قال فامشوا إذا قمشوا معكم فاء الموح ففرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال ألا خفتم رب الموج فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض منها فاذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر فقال أيهما أحلى في قلوبكم قالوا الذهب قال فانهما عندي سواء (فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أفهام الخلق اذ عرف (أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه) وذلك في قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر) تعالى (أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين) وقد ذكر بهذه الأسماء في القرآن جبريل سر يأنقعه عنه عبد الله وسمى روح القدس لأن الروح مابة حياة الأنفس وأضيف إلى القدس لثراسته وصفاء اثره وسمى الأمين لآمانته في تبليغ وحى الله تعالى إلى رساله (وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين) قال تعالى مطاع ثم أمين (ويغضب الآخر واسمه ابليس) افعيل من البلس وهو التحير (وهو اللعين المنظر) أي المطرود الممهمل (إلى يوم الدين) ثم أحال الارشاد إلى جبريل فقال قل (يا محمد) تزل روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى تزل روح القدس والأمين وأيدناه روح القدس (وأحال الارشاد إلى ابليس فقال لبضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أبغضه) وفي نسخة غضب عليه (والارشاد) هو (سبيلهم إلى الغاية) فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة مثلاً فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يستب الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات (والاوساخ) وكان له عبيدان فلا بد من تنظيف الأقباح وأحسهما ولا يفوق حل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما) وجهاً (كلهما)

الإغواء على ابليس فقال تعالى لبضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد سبيلهم إلى الغاية فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة مثلاً فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يستب الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبيدان فلا بد من تنظيف الأقباح وأحسهما ولا يفوق حل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما) وجهاً (كلهما)

وأحبهم ما إليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتصافا للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلتك وعلك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والممكنات فذلك تضيفه الى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر (٧٦) ليد الى لعب المشعبذ الذى يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وترزق وتقوم وتقع

وهي مؤلفة من خرق لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بخرك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعملون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثر من الا عارفون والعلماء الراصون فانهم أدركوا بحدّة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من

عقلا (وأحبهم ما إليه فلا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك) جهلا منك (بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتصافا للعدل فانه تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفعاله) بل كل ما في الوجود هو من أفعال الله تعالى (فداعيتك وقدرتك وعلتك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة) ولين يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد فهم ذلك فليحط علما بأفعال الله تعالى كلها وليتقن في معرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتشفها من الاجسام (الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والممكنات فذلك تضيفه الى نفسك) وتنسى ترتيب الاسباب وتوجهها الى المسببات باقضى وجوه العدل (وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر ليد الى لعب المشعبذ) ويقال المشعوذ من الشعبذة والسعوذة وهو ان يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة وقد بينه بقوله (الذى يخرج صوراً) مختلفة الاشكال (من وراء حجاب) رفيع (ترقص وترزق وتقوم وتقع) وتسمى وتقف (وهي مؤلفة من صور لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب) وراء حجاب (عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء) المميزون (فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بخرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلم المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعملون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثر من الا عارفون والعلماء الراصون فانهم أدركوا بحدّة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون) وقال وما ننزله الا بقدر معلوم (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وقال تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمراً (وهذه أمور)

السماء متشبثة الاطراف باشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر والقدر فخلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وهذه أمور

لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بالعلوم لاختتمها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ينزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرف من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان السلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى (٧٧) مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة

الشكر الى كون العبد مستعملا في انعام حكمه الله تعالى فاشكر العباد أحبهم الى الله وأقربهم اليه وأقربهم الى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ومنازلهم الاولى مقام معلوم وأعلىهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام وانما لودر جنتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصح الله تعالى بهم الانبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الارض وبلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتتم بهم حكمته وأعلىهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم إذا كمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم أصلحوادنيا الخلق كما أصح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام (فانه كمل الله به صلاح دينهم ودنياهم) ومعاشرهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روي أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحو دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمه الله بهم الا فيهم) فهؤلاء كذلك لهم درجة تافى القرب (ومن عدا هؤلاء فهم رعا) لا يعجبهم (واعلم ان السلطان) المتولى لامور المملكة أعم من أن يكون

(لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم) بتعليم الله اياهم وتفهم الامور الالهية بالامور العرفية عسير جدا وانما ذكر الامثلة لاجل التنبيه عليها (وعبر ابن عباس) رضي الله عنه (عن اختصاص الراسخين في العلم بالعلوم لاختتمها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى ينزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرفه) وفي نسخة ما عرفت فيه (من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر) وذلك لان افهامهم قاصرة لا تحتمل المعاني الدقيقة من أسرار الربوبية واليه يشير ما ورد افشاء سر الربوبية كقوله (ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان السلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في انعام حكمه الله تعالى فاشكر العباد) أي أكثرهم شكرا (أحبهم الى الله تعالى وأقربهم اليه وأقربهم الى الله تعالى الملائكة) وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من هذه الصفة والمخلوق بها يصير رفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الله تعالى (ولهم) أي للملائكة (أيضا ترتيب ومنازلهم الاولى مقام معلوم) في بساط القرب وكلهم مقر بون ودرجات قربهم متفاوتة (وأعلىهم في رتبة القرب اسرافيل عليه السلام) وهو صاحب الصور وقال المصنف في مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملوكوتية انما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل فان فيهم الاقرب بقرب درجتهم حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كترتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم وانهم كلوصفوا به انفسهم اذ قالوا وما من الااله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون (وانما لودر جنتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصح الله بهم الانبياء) بايصال الوحي اليهم (وهم) أي الانبياء (أشرف مخلوق على وجه الارض وتلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق) الى ما فيه نجاتهم وعملهم (وتتم بهم حكمته) في الخلق (وأعلىهم رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم إذا كمل به الدين) الذي ارتضاه (وختم به النبيين) والمرسلين كما يشير الى كل منهم ما قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقوله تعالى وخاتم النبيين (ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء) ورثوا منهم علما وحكمة (فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق) بارشادهم اياهم الى طريق الحق (ودرجة كل واحد بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم يليهم) أي يلي درجة الانبياء (السلاطين بالعدل لانهم أصلحوادنيا الخلق كما أصح العلماء دينهم) فكل من العلماء والسلاطين في درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين (ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء) عليه السلام (فانه كمل الله به صلاح دينهم ودنياهم) ومعاشرهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روي أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحو دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمه الله بهم الا فيهم) فهؤلاء كذلك لهم درجة تافى القرب (ومن عدا هؤلاء فهم رعا) لا يعجبهم (واعلم ان السلطان) المتولى لامور المملكة أعم من أن يكون

الانبياء فانه كمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحو دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمه الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهم رعا واعلم أن السلطان

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتشكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فلهم الوزر وعليكم الشكر أم سلمة تستعمل عليكم أمراء فيعرفون ويشكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون أمراء وقال حسن صحيح وللبراز بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ الا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكر واسيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله اصبروا فان جورا ماكم خمسين سنة خير من هرج سنة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر حديثا فيه الامارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به انتهى قلت بل هو في حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه سليمانكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر في عمل منهم بطاعة الله فلهم الاجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فلهم الوزر وعليكم الصبر واهكذا البيهقي في الشعب وأبو نعيم في العادلين وابن الجار في التاريخ وقد نبه على ذلك الحافظ السخاوي في هامش المغني مختصرا ووجدت بعض سياق المصنف في حديث أبي هريرة سليمانكم بعدى ولاية فيليكم البربره ويليككم الفاجر بفجورهم فاصبروا فلهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق واصلوا وراهم فان أحسنوا فلكم ولهم وان أساءوا فلكم وعليهم رواه ابن جرير والدارقطني وابن الجار باسناد ضعيف وفي خبر آخر سيكون من بعدى أمراء فادوا اليهم طاعتهم فان الامير مثل الجن يتقي به فان صلحوا واتقوا أمرؤكم بخير فلكم ولهم وان أساءوا أمرؤكم به فلهم وأنتم منه برآء وان الامير اذا ابتغى الريية في الناس أفسدهم رواه الطبراني في الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرني جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمر بن الاسود والمقدام بن معدى كرب وأبو امامة (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل) أيضا (أي الناس خير فقال السلطان فقيل له) انا كذا ترى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفة فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاها نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتقدم أمورا كلية تجري القوانين في معرفة النعم ثم تشتغل بذكر الاحاد والله الموفق للصواب) (بيان حقيقة النعمة وأقسامها) *

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان كل خير ولنة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر) أي مختار (فانه يسمى نعمة ولكن النعمة هي السعادة الاخروية) واليه الاشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا فاني الجنة الآتية

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتشكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساءوا فلهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كذا ترى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفة فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاها نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتقدم أمورا كلية تجري القوانين في معرفة النعم ثم تشتغل بذكر الاحاد والله الموفق للصواب) (بيان حقيقة النعمة وأقسامها) *

وتسمية ما سواها نعمته وسعاده اما غلط واما مجاز كسمية السعادة الدنياوية التي لا تعين على الآخرة نعمته فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخرى به اصدق فكل سبب يوصل الى السعادة الآخرة ويعين عليها ما هو واسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمته صحيحة وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة والذات المسماة نعمته نشرحها بتقسيمات * (القسم الاول) * ان الامور كلها بالاضافة اليها تنقسم الى (٧٩) ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا

كالمعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالطة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالمعلم وحسن الخلق والضرر فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوى البصائر ونظنه لجهال نعمته ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سبق اليه فيجتنبه (والضرر في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوى الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع) أى الكريه (في الحال المرذوقه) أى طعمه (الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كف شره ظنه بلاء) سبق اليه (والعاقل) الكامل (بعده نعمة ويتقلد المنعمين بهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه) ويجتنبه (فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامه) في البلاد الحارة (والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلح العاقبة) أى المآل (والام لفرط حبها) له (وقصورها) في عقلها (تلحظ الحال) دون المآل (والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه ويأنس بها) ويميل (الى شفتها) ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق) فهو كما قال القائل

اذا امتحن الدنيا ليبي تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(لان منعها اياه) أى ولداه (من الحجامه) في الوقت المحتاج (يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامه) فيما بعد (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو ربما يصد عنه كثير مما يعاديه (وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو) حتى العاقل ان يعرف تلك الامور بمحققاتها حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في منحرفاتها طال خبر وهارب من شركا قال الشاعر

ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامه والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلح العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه يأنس بها والى شفتها ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامه يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامه ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو

(قسمة ثمانية) اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضرة أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان أكثر فينتفع في سبيل الله ويصرفه (٨٠) الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا ذل

لا يزال مستصغرا له شاكا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه *(قسمة ثالثة)* اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهوم مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولا لغيره * فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كاذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بهم السككات هي والخصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها صارت عند الجهال محبوبة في نفسهم حتى يجمعوها ويكثروها ويتصارفوا عليها بالربا ويطنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيجب بسببه رسوله الذي يجمع بينهم وبينه ثم ينسى في محبة الرسول (محبوبة الاصل) الذي هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال الثالث) من الاقسام ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى وهو قصد العارفين (اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

كل يحاول حيلة بروجوبها * دفع المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرف حاله * فلربما اختار العناء على الدعة لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورمو يقدر في الشيء انه رزق نافع وحشوه سم نافع فلذلك يحق على العاقل أن يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقة لئلا يكون كمن يريد جلبا ينطق به فرأى حبة فظنها مبتغاه فاخذها فادغته *(قسمة ثمانية)* (اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم ذلك الى مانعة أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير) (الزائد في الكفاية) (والجاه الواسع) عند ذوى الاموال (والى ما يكافئ) أى يقابل (ضرره نفعه وهذه أمور تختلف باختلاف الأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان أكثر فينتفع في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه) (ورب انسان يستضر بالقليل) من المال (أيضا ذل لا يزال مستصغرا له) (أى مستحقرا) (شاكا من ربه) في خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له (طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان) وقلة التوفيق (بلاء في حقه) فحق العاقل أن يتحرى في تلك الامور ويعطى النعم استحقاقها *(قسمة ثالثة)* (اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهوم مؤثر لذاته والى ماهوم مؤثر لغيره) (لا لذاته والى ماهوم مؤثر لذاته ولغيره) معا (فالاول) من الاقسام (ما يؤثر لذاته لا لغيره) وهو (كله النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه) وكذلك السعادة النفسية (وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني) من الاقسام (ما يقصد لغيره ولا غرض أيضا في ذاته) وهذا (كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بهم السككات هي والخصباء بمثابة واحدة) (لكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها) كإقال القائل

إذا كنت في حاجة مرسلا * فارس رسولا هو البرهم (صارت عند الجهال محبوبة في أنفسهم (يجمعونها ويكثرونها) ويتقاتلون عندها (ويتصارفون عليها بالربا ويطنون انها مقصودة) لذاتها (ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيجب بسببه رسوله الذي يجمع بينهم وبينه ثم ينسى في محبة الرسول) الذي هو الواسطة (محبوبة الاصل) الذي هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال الثالث) من الاقسام (ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى) وهو قصد العارفين (اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته

الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال * الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى اوليتوصل بهم الى استيفاء لذات الدنيا وتقصدها أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكأن وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة (قسيمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع

والذي وجب له ولا الذي الذي تترك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجلب هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم واما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد عنعه الحسد والكبر (بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد عنعه الحسد والكبر) واثار الراحة والدعة وغيرهما من (الشهوات البدنية من التعلم فيتحاذيه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجذع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك النار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة تخاف الغرق فلقى متاعه في الماء فتخلعت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبضاده الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبضادها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبضادها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول) في الرتبة (فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكأن وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة) (قسيمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع والذين وجب له ولا الذي الذي تترك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجلب هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم واما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد عنعه الحسد والكبر (بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد عنعه الحسد والكبر) واثار الراحة والدعة وغيرهما من (الشهوات البدنية من التعلم فيتحاذيه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جبع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجذع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك النار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة تخاف الغرق فلقى متاعه في الماء فتخلعت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبضاده الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبضادها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبضادها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول أي المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

(١١ - (انحاف السادة المتقين) - تاسع)

بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى أن يحين وقت هلاكه (ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما

البنة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصهراء فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه (قسيمة خامسة)
اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذية والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة
مع بعض الحيوانات وبدنية (٨٢) مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس يستلذهما السمع

ألبنة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا وهو الذي قد يدور غيره مسده (كالسكنجبين مثلا في تسكين
الصهراء فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه) وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه
مبلغا الى ذلك والله أعلم * (قسيمة خامسة) *

(اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذية والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته
لغيره ثلاثة انواع) لذة (عقلية و) لذة (بدنية) وهى على قسمين اما (مشتركة مع بعض الحيوانات
و) اما (بدنية مشتركة) مع جميع الحيوانات (أما) اللذة (العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس
يستلذهما السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها
بالعقل وهذه أقل الذات وجودا وهى أشرفها أما قلتهما فلان العلم لا يستلذهما الاعمال والحكمة لا يستلذهما
الاحكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسعين باسمهم والمتسعين برسومهم وأما شرفها فلانها
لازمة لا تزول أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالتعام يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ
منها فتستقل) ولأنه لا يمل منها (والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستقل) فحق العاقل أن
يرغب الى الله في أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه الى اكتسابه وأن يبذل جهده مستعينا بالله
في اكتساب ما له كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف (ومن قدر على الشريفة
الباقى أبدأ بالآباد اذ ارضى بالخسيس الغنى في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وإدباره)
ومن ضيع أنفوس المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دنى في الهمة راض بخسيس الحال (وأقل أمر فيه
ان) كلاما من (العلم والعقل) اذا حصل لا يغيب و (لا يحتاج) في حفظه (الى أعوان وحفظه بخلاف
المال) وغيره من المقتنيات الحالية (اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال
ينقص بالانفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدي السراق بالاخذ ولا أيدي
السلطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا) وتقدم
الكلام على ضده المجمع تفصيلا في كتاب العلم (ثم العلم نافع ولذي وجيل) عاجلا وأجلا ومطلقا (في
كل حال أبدا) أى في كل زمان وكل مكان ولذا كان أفضل الفضائل النفسية (والمال) وكذا الجاه
وهما من الخيرات المتوسطة (تارة يجذب الى الهلاك) اذا كان مع الجهل (وتارة يجذب الى النجاة)
اذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشرف
فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل السعيد
هو الخير العاقل غنيا كان أو فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سمى خيرا في مواضع) كقوله تعالى ان
ترك خيرا ولو كنهه فديكون خيرا لبعض الناس وشر لبعضهم فعلم انه كان شرا لمن قال تعالى فيه الذى
جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخله (وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فاما
لعدم الذوق) وهوتا أول الشئ بالفهم لادراك الطعم هذا هو الاصل (ومن لم يذق لم يعرف ولم يشفق اذ
الشوق تبس للذوق) واليه الاشارة بقول القائل

ولو يذوق عاذى صبايتى * صبايتى لكنه ما ذاقها

(واما الفساد امر جتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات) فان لها تاثيرا ظاهرا في تغيير الامرجة

والبصر والشم والذوق ولا
البطن ولا الفرج وانما
يستلذهما القلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه
أقل الذات وجودا وهى
أشرفها اما قلتهما فلان العلم
لا يستلذهما الاعمال والحكمة
لا يستلذهما الاحكيم وما أقل
اهل العلم والحكمة وما
أكثر المتسعين باسمهم
والمترسين برسومهم وأما
شرفها فلانها لازمة لا تزول
أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة
ودائمة لا تمل فالتعام
يشبع منه فيمل وشهوة
الواقع يفرغ منها فتستقل
والعلم والحكمة قط لا يتصور
أن تمل وتستقل ومن قدر
على الشريفة الباقى أبدأ
الآباد اذ ارضى بالخسيس
الغنى في أقرب الآماد فهو
مصاب في عقله محروم
لشقاوته وإدباره وأقل
أمر فيه ان العلم والعقل
لا يحتاج الى أعوان وحفظه
بخلاف المال اذ العلم
يحرسك وأنت تحرس
المال والعلم يزيد بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق
والمال يسرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه
أيدي السراق بالاخذ ولا

أيدي السلطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف
أبدأ ثم العلم نافع ولذي وجيل في كل حال أبدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في
مواضع وان سمى خيرا في مواضع وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشفق اذ الشوق تبس
الذوق واما الفساد امر جتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات

(كالربض

كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها وما القصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمك ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ الذئبة ولا استعابته اللبن يدل على انه أذا الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اقسام لم يحى باغته كالطفل وامامن مات بعد الحياة باتباع الشهوات وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان

(٨٣)

فرحين وان كانوا موتى بالابدان * الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات * الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهو أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج امتلاء حب الرياضة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياضة وأما سره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه

(كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها) كما قال المتي ومن يك ذا فم مريض * يجد مرآة الماء الزلالا (واما لقصور فطرتهم) التي فطر واعلمها (اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمك ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ الذئبة ولا استعابته اللبن يدل على انه أذا الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اقسام لم يحى باغته كالطفل وامامن مات بعد الحياة باتباع الشهوات) فانه غير متهيئ لذلك (وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات) فانه غيبت القلوب (وامامن مرض بسبب اتباع الشهوات) ولم يمت بعد فكل هؤلاء قاصرون عن درك لذة المعنوية (وقوله تعالى) في حق المنافقين (في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من حي حياة باطنه) وليس المراد به الحياة الظاهرة (وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي) أي يعد منهم (وان كان) هو (عند الجهال) يعد (من الاحياء ولذلك كان الشهداء) في سبيل الله (احياء عند ربهم يرزقون فرحين) كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى (وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء) والقهر (وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات) من السباع والوحوش (الثالثة ما يشاركها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أخسها) رتبة (ولذلك اشترك فيها كل مادب) على الارض (ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين) وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا (ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياضة من القلب وآخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياضة) كما قاله سهل رحمه الله تعالى (وأما سره البطن والفرج فكسره) وقهره (مما يقوى عليه الصالحون) من عباد الله تعالى (وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها) وفي نسخة قهرها (الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر) اذ لا بد من معاودة في بعض الاحوال بمقتضى ما جبل عليه البشر (ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة) بالعقل (لا تقوى على حمل النفوس على العدول عن) منهج (العدل) المأثور به (وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يجب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله والتلذذ

الصالحون وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يجب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله سبحانه والتلذذ

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثر به في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثر به في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول فان كان ممكناً الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طامخة به وأما الثالث والرابع فوجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريية من أعصار (٨٤) الانبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثر به في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثر به في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول وان كان ممكناً في الوجود (لا يستحيله العقل) فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طامخة به (أي ممتلئة) وأما الثالث والرابع فوجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا (قليل الوجود) وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريية من أعصار الانبياء عليهم السلام) لكثرة الانوار فيها (فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة) ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثر في الملك لا يكون الفائت في الملك والجمال الا نادرا أو أكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا امرأة الآخرة (فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) المختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كإن الصورة في المرأة تابعة لصورة الناطق في المرأة والصورة في المرأة هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وتري صورتك في المرأة أو لا تعرف صورتك التي هي قائمة بك نائما على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس) ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محال لعالم الغيب والممكن (وفي هذا العالم عجائب تستحق اليها بالاضافة الى عالم الشهادة وهو بالاضافة الى عالم المكنوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أئمن آنا ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم المكنوت والمشي لا يخلو من موازاة الشبيه ومحاكاة نوعا من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرجة الالهية عالم الشهادة على موازاة عالم المكنوت فمما شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من المكنوت وربما كان للشئ الواحد من المكنوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ما ناله نوعا من الماثلة وطابقه نوعا من المطابقة (فن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك) والشهادة (الاو يعبر به الى عالم المكنوت فسمى عبوره) ذلك (عبرة) وهو بالكسر من الاعتبار (وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا) أو قدها الله تعالى (شأنها ان تطلع على الاقدرة) أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها (الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها) فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك (الالم) (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة

ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثر في الملك لا يكون الفائت في الملك والجمال الا نادرا أو أكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا امرأة الآخرة (فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) المختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كإن الصورة في المرأة تابعة لصورة الناطق في المرأة والصورة في المرأة هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وتري صورتك في المرأة أو لا تعرف صورتك التي هي قائمة بك نائما على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس) ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محال لعالم الغيب والممكن (وفي هذا العالم عجائب تستحق اليها بالاضافة الى عالم الشهادة وهو بالاضافة الى عالم المكنوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أئمن آنا ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم المكنوت والمشي لا يخلو من موازاة الشبيه ومحاكاة نوعا من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرجة الالهية عالم الشهادة على موازاة عالم المكنوت فمما شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من المكنوت وربما كان للشئ الواحد من المكنوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ما ناله نوعا من الماثلة وطابقه نوعا من المطابقة (فن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك) والشهادة (الاو يعبر به الى عالم المكنوت فسمى عبوره) ذلك (عبرة) وهو بالكسر من الاعتبار (وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا) أو قدها الله تعالى (شأنها ان تطلع على الاقدرة) أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها (الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها) فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك (الالم) (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة

والجماعة

الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك الاو يعبر به الى عالم المكنوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق

به تعالى فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس محموله نار من شأنها ان تطلع على الاقدرة الان بينه وبين ادراكها ما يحجبها فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم

الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمها العفة والمراد بالعدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقداماً واحكاماً بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى أن لا تأمروا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر (٨٦) والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما

العدل أن يتجاوزنه وتقديره
عن الطغيان والخسران
فتعادل به كفتا الميزان فإذا
الفضائل الخاصة بالنفس
المقربة الى الله تعالى أربعة
علم مكاشفة وعلم معاملة
وعقصة وعدالة ولا يتم هذا
في غالب الامر الا بالانواع
الثاني وهو الفضائل البدنية
وهي أربعة الصحة والقوة
والجمال وطول العمر
ولا تنبأ هذه الامور الأربعة
الا بالانواع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيعة بالبدن
وهي أربعة المال والاهل
والجاه وكرم العشيرة ولا
ينفع بشئ من هذه الاسباب
الخارجة والبدنية الا
بالانواع الرابع وهي الاسباب
التي تجمع بينها وبين
ما يناسب الفضائل النفسية
الداخلية وهي أربعة هداية
الله ورشده وتسديده
وتأييده فمجموع هذه
النعم ستة عشر اذ قسمناها
الى أربعة وقسمنا كل واحدة
من الأربعة الى أربعة وهذه
الجملة يحتاج البعض منها الى
البعض اما حاجة ضرورية

الى قسمين) أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمها (العفة) والثاني (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقداماً واحكاماً بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى (ألا تأمروا في الميزان) أي لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الاتفاق (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه (فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان) فان كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة (ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان) واعتدى (وانما العدل) الحقيقي الذي به قامت السموات والارض (ان يتجاوزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعادل به كفتا الميزان) على السواء (فإذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعقصة وعدالة) فكمال علم المكاشفة العلم وكمال علم المعاملة المجاهدة وكمل العفة الورع وكمال العدالة الانصاف وهي المعبر عنها بالدين (ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالانواع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة) أشياء (الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الامور الأربعة الا بالانواع الثالث وهي النعم الخارجة المطيعة بالبدن وهي أربعة) أشياء (المال والاهل والجاه) ومنهم من ذكر العز بده (وكرم العشيرة ولا ينفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية) ولا سبيل الى تحصيلها (الا بالانواع الرابع) الذي هو توفيق الله عز وجل (وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة) أشياء (هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الأربعة الى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو بنفسه فقط ثم أشار المصنف الى حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض فقال (وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية) بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر (أو) حاجة (نافعة) بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر (أما الحاجة الضرورية) فكما حاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق) وهي الفضائل النفسية (اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة) الحقيقية (التي لا يهملها) أي باكتسابها (فليس للانسان الاماسي) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاول (وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا) ولذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فبين ان لا مطمع لمن أراد الوصول اليها الا بالسعي (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم) النافعة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (الى صحة البدن وقوته ضرورية) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما الحاجة النافعة على الجملة فكما حاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المطيعة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة فانها لا تغني عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك (ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة) وحصول سعادتها (الى النعم الخارجة) المطيعة بالبدن (من المال والاهل

واولها
او نافلة أما الحاجة الضرورية فكما حاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بها فليس للانسان الاماسي وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة فكما حاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة (فان قلت) فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل

والجاء والعشيرة) وما نفعها في بلوغها (فاعلم أن هذه الأسباب جارية تجري الجناح) للطائر (المبلغ) لحاجته (و) بمنزلة (الالة المسهلة للمقصود) وإن لم تكن الحاجة إليها في بلوغ ذلك ضرورة (فاما المال فالفقير) المعدم (في طلب العلم والكمال) وتجرى المكارم (وليس له كفاية) هو (كساع الى الهيجاء بغير سلاح) والهيجاء ميدان الحرب في سعي إليها بغير سلاح فأحرى به أن يخفق سعيه وهو مصراع بيت (وكبار روم الصيد بلا جناح) فكيف يصطاد وفضله مغطى كما تحت أرض وباركامة في شجر وما أصدق ما قال الشاعر والمرء برفعه الغنى * والفقر منقصة وذل وقال آخر فلاجدى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل محمده (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (نعم العون على تقوى الله المال) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر رواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلًا ومن طريقه رواه القضا في مسند الشهاب هكذا مرسلًا انتهى قلت ورواه أيضا ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث جابر (كيف ومن عديم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهية اللباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض بسبب قلة المال (لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر) والمراقبة (ولا تندفع الاصلاح المال ثم مع ذلك) بفقدان المال يشكل بلوغ الفضائل فمن ذلك انه (يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات) وكثيرا من القرب (وقال بعض الحكماء) قد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قبل زنا قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له قبل زنا قال الشاب فاني رأيت الهرم لا يعيش له (نقله صاحب القوت) لانه زاد بعد العافية قبل زنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا يعيش له وقال في آخره قبل زنا قال لأجد مزيدا ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قبل الشباب وقيل الهراغ ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكرنا من اشارة الى نعيم الدنيا واسكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنأى سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها) هكذا أو رده صاحب القوت وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السباق ولم يقل بحذافيرها في آخره يادور رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سامة بن عبد الله بن نعيم الطحطحي عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنأى سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما في الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل فيضها الله ليزرع فيها زرعها كما قال تعالى نسأوكم حرث لكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجده اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر والدنيا امتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة قلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو نعيم وابن عساكر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحاثر بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفسه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

أما المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكبار روم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عديم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات وفي تهية اللباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الاصلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قبل زنا قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له قبل زنا قال الشاب فاني رأيت الهرم لا يعيش له (نقله صاحب القوت) لانه زاد بعد العافية قبل زنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا يعيش له وقال في آخره قبل زنا قال لأجد مزيدا ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قبل الشباب وقيل الهراغ ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكرنا من اشارة الى نعيم الدنيا واسكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنأى سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها) هكذا أو رده صاحب القوت وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السباق ولم يقل بحذافيرها في آخره يادور رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سامة بن عبد الله بن نعيم الطحطحي عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنأى سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش (وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما في الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل فيضها الله ليزرع فيها زرعها كما قال تعالى نسأوكم حرث لكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجده اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر والدنيا امتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة قلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو نعيم وابن عساكر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحاثر بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفسه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة قال صلى الله عليه وسلم في الولد اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

في دينه ماله وانفرد به لاطال
شغله وكل ما يفرغ قلبك
عن ضرورات الدنيا فهو
معين لك على الدين فهو اذا
نعمة وأما العز والجاه فبه
يدفع الانسان عن نفسه
الذل والضم ولا يستغنى
عنه مسلم فانه لا ينفك عن
عدو يؤذيه وظالم يشوش
عليه علمه وعمله وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله
وانما تدفع هذه الشواغل
بالعز والجاه ولذلك قيل
الدين والاساطان توأمان
قال تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولا معنى
للجاه الاملاك القلوب كالا
معنى للغي الاملاك الدراهم
ومن ملك الدراهم تسخرت
له أرباب القلوب لدفع الاذى
عنه فكما يحتاج الانسان
الى سقف يدفع عنه المطر
وجبة تدفع عنه البرد وكل
يدفع الذئب عن ماشيته
فيحتاج أيضا الى من يدفع
الشربة عن نفسه وعلى هذا
القصص كان الانبياء الذين
لاملك لهم ولاسلطنة يراعون
السلطين ويطلبون
عندهم الجاه وكذلك علماء
الدين لاعلى قصد التناول
من خزانهم والاستئثار
والاستكثار في الدنيا
بمتابعتهم ولا تظن أن نعمة
الله تعالى على رسوله صلى
الله عليه وسلم حيث نصره
وأكمل دينه وأظهره على

النكاح) فلترجع هنالك (وأما الاقارب) فتم العون على بلوغ السعادة (فهم ما كثر أولاد الرجل
وأقاربه) ونالصوه (كانوا مثل الاعين) والآذان (والايدي فيتمسره بسببهم من الامور الدنيوية
المهمة في دينه ماله وانفرد به لاطال شغله) وقد قال تعالى حاكما عن لوط عليه السلام لو ان لي بكم
قوة أو آوى الى ركن شديد وقال الشاعر

ألم تر أن جمع القوم يخشى * وان حريم واحدهم مباح
(وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم) ويتأني عن تحملها ومن لا عز له لا يمكنه
أن يذود عن حريمه (ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك) في دهره (عن عدو يؤذيه) (ان لم يكن له عدو
فلا يخلو عن (ظالم) غشوم (يشوش عليه علمه وعمله وفراغه) (من المعلوم ان (قلبه رأس
ماله) الذي يتجر به (وانما تدفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والاساطان) اخوان
(توأمان) وقريبان مؤتلغان ومؤيدان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أيضا الدين أس والسلطان
حارس ومالأس له فهدوم ومالاحارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها وأولى البصائر
(قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الاملاك القلوب)
كما تقدم في كتاب ذم الجاه (كلام معنى للغي الاملاك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب
القلوب لدفع الاذى عنه) فاذا الجاه تبسغ للعالم (فكبححتاج الانسان) في تغيثه (الى سقف) يظله
من حواله الشمس و (يدفع عنه المطر) الى (جبتو) هي المقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذا لبسها
(وكلب يدفع الذئب) العمدى (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشي (فيحتاج أيضا الى من يدفع
الشربة عن نفسه) ويحكى ان الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات
منها واتخذ لنفسك جاها للثلاث طالك الاراذل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لاملك
لهم ولاسلطنة يراعون السلطين ويطلبون عندهم الجاه) لتمشية أمورهم الدينية (وكذلك علماء
الدين) سافوا وخلفا (لاعلى قصد التناول من خزانهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم) حاشاهم
الله عن ذلك (ولا تظن ان نعمة الله) تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل
دينه) وأتم عليه نعمته (وأظهره على جميع اعدائه وممكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت)
تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة) من محل مولده
قال العراقي روى الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد
من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبدالمطلب
الحديث والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت
في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون مابين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الاثنى
يواريه ابط بلال قال الترمذي يعني هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال وللبخاري
عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت
عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا
فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبخاري وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر ينادي ويلكم أقتلوا رجلا أن يقول ربنا الله واسناده صحيح
على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة
الحسب والشرف والشرف أخص ما ترثه الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف (ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم الاثمة من قريش) قال العراقي روى النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

جميع اعدائه وممكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة (فان قلت) كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم أم لا (فاقول) نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثمة من قريش

قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي ورواه أيضا من حديث علي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي برزة زيادة في آخره ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء من حديث أنس أيضا زيادة في آخره ورواه الحاكم من حديث علي زيادة في آخره (ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم) الأرومة بالضم الأصل قال العراقي وهذا اليوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا أن الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية الترمذي أن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه أن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس أن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً وللبراز من حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله لانا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً وعلم أن الاخلاق نتائج الامزجة ومزاج الاب كثير ما يتأدى الى الابن كاللون والخلق والصور (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخير والنطفكم) وانكحوا (الاكفاء) وانكحوا اليهم رواه ابن ماجه من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب النكاح وفي لفظ اطلبوا مواضع الاكفاء لنطفكم فان الرجل ربما أشبه أخواله (وقال) صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) رواه الدارقطني في الافراد والراهمري والعسكري في الامثال وابن عدي والقضاعي والخطيب في ايضاح المتنبس والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضا في كتاب النكاح (فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأزباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أئمة العلماء والى الصالحين الابرار المتوسمين بالعلم والعمل) ومن الناس من لا بعد شرف الاصل فضيلة وقال كيا بأتى للمصنف بعد المرء بنفسه لا بابيه واستدل بقول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مجوده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر **بجد كل جدد لا بجدد * وهل جدد بلا جدد** بجدد

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كما ظن لان كرم الأعمام والاخوان مخيلة لكرم المرء ومظنته فالفرع وان كان قد يفسد أحيانا فاعلم ان أصله يورثه الفضيلة والريزية وانه لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ولذلك قال الشاعر

ومايك من خير أقوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطمي الاوشحة * وتغرس الافى منابتها النخل

ان السرى اذا سرى فبنفسه * وابن السرى اذا سرى اسراهما

وقيل وماذ كرم من نحو قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه فحث للناس على اقتباس العلم ونحوه عن الاقتصار على ما تراث الآباء فان المآثر الموروثة قليلة الفناعمال بضامها فضيلة النفس لان ذلك انما يحمد لسكى بوجد الفرع مثله ومتى اختلف الفرع وتختلف فانه يخبر باحد شيتين اما بتكذيب من يدعى الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيه ما حظ لمختار فالحمود أن يكون الاصل في الفصل راجعا والفرع به شاخا كما قال الشاعر

زانوا قدعهم بحسن حديثهم * وكرم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الامر ان فلان يكون المرء شريف النفس دنى الاصل أولى من أن يكون دنى النفس شريف الاصل قال الشاعر

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم تخير والنطفكم الاكفاء وقال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأزباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أئمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل

(فان قلت) فما معنى الفضائل البدنية فاقول لانخفاض بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحق من جلته امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجلال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفسه فيها وأما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال والجاه اذهو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس

فما الشرف الموزون لادر دره * بمعتب الا بالآخر مكتسب اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثرات اعتده الناس في الخطب

ومتى كان عنصره في الحقيقة سديا وهو في نفسه دنيا فذلك آت امان اهماله نفسه وشؤمها واما التعمد عادات قبيحة وصحبة اشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيئا واحدا (فان قلت فما غناء الفضائل البدنية) وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت انه لا سبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بها وانما لا تغنى عنها فاغناؤها (فأقول لانخفاض بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بها) أي بهذه الثلاثة فلما الحاجة الى الاولين فواضع وأما طول العمر فلولا لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها المائتات السعادات الاخرية (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله) وفي بعض النسخ افضل السعادة طول العمر في عبادة الله قال العراقي غريب بهذا اللفظ والترمذي من حديث أبي بكر بن رجلا قال بارسل الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح اه قات ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي وفي آخره زيادة وشرا الناس من طال عمره وساء عمله والجملة الاولى فطر واهما أيضا عبد الله بن بسر مرفوعا أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب والطبراني والبيهقي والضياء واعلم انه قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء أن يكون صحيح البدن بريئا عن الامراض الشاغلة عن تحري الفضائل العقلية وليس كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللتين بهما صار صانعا وربا وجميع أجزاء البدن بالقول المجمع أربعة العظام التي تجري للبدن مجرى الألواح للسفينة والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الألواح واللحم الذي يجري مجرى الحشول للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشاء لجمعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان تعادل فيها القوى الاربعة وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمى ذلك الصحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به وأما القوة فهي جودة تركيب هذه الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسمى والتصرف في أمور الدنيا والآخرة (وانما يستحق من جاته) أي من جملة هذا النوع (امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن) صحيحا قويا (سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات) والفضائل النفسية (ولعمري الجلال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال والجاه اذهو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن (على هيأت البدن) وفزعوا اليها (أولا فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن) أي تظهر فيها آثار النفس كما مرآة يستدل بها عليها (ولذلك يظهر فيه) أي في كل من الوجه والعين والاولى فيه مما يرجع الضمير اليهما (اثر الغضب والسرور والغم) والرضا والسخط ولذلك عبر بالوجه عن الجملة وعن أنفس القوم فقيل فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وكون الوجه المقبول في دلالة على فضيلة النفس وان لم يكن حكما لازما فهو على الاعم والاكثر (ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس) وقيل صورة حسنة تتبعها لمس رديئة فنفس الخواص تبين

الطين (وقيل مافي الارض قبج الاوجهه أحسن مافيه) حكاه (استعرض المأمون) هو عبد الله
ابن هرون العباسي (جيشا فعرض عليه رجل قبج) الوجهه (فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه)
أى أمر باسقاطه (من الديوان) أى من جريدة الخراج (وقال ان الروح ان أشرفت على الظاهر
فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا) أراه (ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) قال العراقي رواه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عباس عن جبرة بنت محمد
ابن سباع عن أمها عن عائشة وجبرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من
حديثها ورواه البزار والطبراني وابن عدى وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن
عمر وله طرق كلها ضعيفة اه قلت وجدت بخط تلميذه الخافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه جبرة
بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال مشهورة وهى من اتباع التابعين والحديث المذكور أخرجه
أبو يعلى والدارقطنى في الموثلف في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق اسمعيل بن عباس عنها عن
أبيها محمد بن ثابت وليس لامها في هذا الحديث رواية وكأنه وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تصحيف أبيها
فصار عن أمها وأمها غير مروفة كما قال شيخنا وقول الذهبي ان جبرة مشهورة يريد رواية الحديث لانها
معروفة بالتوثيق اه قلت ورواه البخارى في التاريخ فقال حدثني ابراهيم هو المذخر حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي بكر المدينى عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة والمدينى صدوق
لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه مما لا يثبت حتى قيل انه متروك ولكنه لم يتهم بالكذب بل يوسع فرواه
أبو يعلى في مسنده فقال حدثنا داود بن رشيد حدثنا اسمعيل عن جبرة به ومن طرق هذا الحديث ما رواه
تمام والطبراني والبيهقي والخطيب من طريق سفيان الثوري عن طلحة بن عمار عن أبي رباح عن
ابن عباس رفعه اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ تمام النساء وطلحة متروك الحديث الا انه لم يتهم
بكذب وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس الا ان ذلك أثبت وأخرج الطبراني حديث ابن
عباس من طريق مجاهد عنه وقال أراه رفعه ورواه موقوفون الاعبد الله بن خواس بن حوشب مع
ان ابن حبان وثقه ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره وبما ذكرنا ظهر انه لا يثبت الحكم على المتن بالوضع
كما أشار اليه الخافظ ابن حجر ومن طرق هذا الحديث ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن خصيفة عن
أبيه عن جده مرفوعا بلفظ التمسوا وكذا هو عند أبي يعلى وله طرق عن أنس وجابر وابن عمر ويزيد
المستملى وأبي بكرة وأبي هريرة ولفظ أكثرهم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ المستملى اذا طلبتم
الحاجات فاطلبوها الى الحسان الوجوه فحديث أنس أخرجه ابن عساكر وحديث جابر أخرجه الطبراني
في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وحديث ابن عمر رواه ابن عدى وحديث أبي بكرة رواه تمام في
فوائده وحديث أبي هريرة رواه تمام والخطيب في رواية مالك وفي لفظ اطلبوا الخواص الى حسان الوجوه
رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر ورواه الخرائطى في اعتلال القلوب وتمام عن جابر ورواه الطبراني
في الاوسط من حديث أبي هريرة ورواه الخرائطى من حديث عائشة وروى من الزيادة على لفظ الباب
وتسموا بخياركم واذا أنا كم كريم قوم فاهم رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف
وعند ابن أبي الدنيا في قضاء الخواص عن عمرو بن دينار مرسلا اطلبوا الخواصكم عند حسان الوجوه فان
قضى حاجتك فضاها بوجه طليق وان ردك ذلك بوجه طليق فرب حسن الوجه ذميمة عند طلب الحاجة
ورب ذميمة الوجه حسنة عند طلب الحاجة ونحوه قيل لابن عباس كم من رجل قبج الوجه قضاء للحوارج
قال انما نعى حسن الوجه عند الطالب (وقال عمر رضى الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه
حسن الاسم) وقد روى معنى ذلك مرفوعا رواه البزار من حديث قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه
رفعه اذا أبرئتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لا تعلم رواه بهذا الاسناد الاقتادة وله

وقيل مافي الارض قبج
الاوجهه أحسن مافيه
واستعرض المأمون جيشا
فعرض عليه رجل قبج
فاستنطقه فاذا هو الكن
فاستقط اسمه من الديوان
وقال الروح اذا أشرفت
على الظاهر فصباحة أو على
الباطن ففصاحة وهذا
ليس له ظاهر ولا باطن وقد
قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند حسان
الوجوه وقال عمر رضى الله
تعالى عنه اذا بعثتم رسولا
فاطلبوا حسن الوجه حسن
الاسم

وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة وقال تعالى تمتا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولستنا نغني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أئونة وانما نغني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه (فان قلت) فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها انعمت مع كونها مذمومة شرنا * فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

أيضاً من حديث عمر بن أبي خشم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه اذا بعثتم الى رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ومن الاشعار القديمة في معنى الحديث السابق ما روى عن ابن عباس انه أنشد قول الشاعر

ابن شرط النبي اذ قال يوما * اطلبوا الخير في صباح الوجوه
ولا بن راحة أو حسان تكرواه العسكري في الأمثال
قد سمعنا نبينا قال قولا * هولن يطلب الخواشج راحه
اغتدوا واطلبوا الخواشج من * زين الله وجهه بصباحه
وأنشد ابن عائشة أبياتاً منها

دل على معروفه وجهه * يدرك هذا هادياً من دليل

ومنها يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه احدى الشواهد

(وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين) في الاقرأ والاعلم والاصح (فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة) فكل من كان أكل فهو أفضل لان المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفرو في سياق كتب أصحابنا الاحق بالامامة الاعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن فان استووا في السن فاحسنهم خلقاً فان استووا فاصحهم وجهها (وقال تعالى تمتا بذلك) ان الله اصطفاه عليكم (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال وزاده في الخلق بسطة فكذلك هذا من البيان في فضل كمال الجسم (ولستنا نغني بالجمال) ههنا (ما يحرك الشهوة) أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء (فان ذلك أئونة) وفي بعض النسخ أئونة (وانما نغني به) معنيين آخرين أحدهما (ارتفاع القامة) وامتدادها (على الاستقامة) الذي يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء الجسم الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان أطاب للعلو في منبته كان أشرق في جنسه ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله

كان دروز القنطرية علفت * علائقها فيه يجزع مقوم

وقول الآخر اشم طويل الساعدين كأنما * نياط نجادا سيفه بلواء

والثاني أن يكون مقدداً أقوى العصب طويل الأطراف الذراع ممتداً رجب (مع الاعتدال في اللحم) والشحم بان لا يكون مثقلاً بهما ولا فارغاً عنهما (وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه) كما قال الشاعر

فتى قد قد السيف لامتضائل * ولادهل لبانه ومبادنه

(فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم) وجعلتها من الخيرات والفضائل (وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال صلى الله عليه وسلم ما ذبان جائران أرسلنا في غنم بافسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والدارمي والطبراني من حديث كعب بن مالك وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والخيل (وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون و) قال أيضاً (قيمة كل امرئ ما يحسنه) رواه الشريفي الموسوي في نهج البلاغة وهما من جوامع كلامه (وقيل المرء بنفسه لا بابيه) ومثله قول الآخر الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من اسجاع الحريري * تباله فخر * بعظم فخر (فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعاً فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك الامور على ماهي عليه ثم تنزل النقل على وفق مظهره بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

الآخرة لا سبيل الى مجدها الا ان فيها فتناو مخاوف فثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم نافع فان أصاب المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمته وان أصاب السوادى الغرقى عليه بلا عو ولا هو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللاآت فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة (٩٣) وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر

عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمته وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسمها خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاء ولكن المنقول في مدحها قليل والمنقول في ذم المال والجاء كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاء اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاء ملك القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا قول ذلك لان الناس أمة كثرهم جهال بطريق الرقية الحية المال وطريق الغوص في المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره) ولو كانا في أعينهم مأمومين بالاضافة الى كل أحد لما تصور أن ينضاف الى النبوة الملك الذي لا يتم الا بالمال والجاء (كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن ينضاف اليها) أي الى النبوة (الغنى) فانه كناية عن وفرة المال (كما كان لسليمان عليه السلام فالتناس كلهم) في هذه الدار (صبيان) مغفلون (والاموال حيات) أي بمنزلتها (والانبياء) عليهم السلام (والعارفون) من علماء الآخرة (معزومون) أي أصحاب عزائم ورفق (فقد يضرب الصبي ملا يضر المعزم) لمعرفة ماله وعليه فهو لا اذا تناول المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها وضررها وأمن سمها وشرها فيتحرون الوجه الذي ينتفعون به وينفع غيرهم وبغيرهم ليس كذلك فأسرع الهلاك اليه فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف ينفع الحية أن يقتدى بالراقى في تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدى بالعارفين في تناول اعراض الدنيا (نعم المعزم لو كان له ولد يديقه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا رآها يلعب بها فيهلك وله غرض في) تحصيل (الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر على الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره هلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها ويرى ذلك

الآخرة لا سبيل الى مجدها) وانكارها (الا ان فيها فتناو مخاوف فثال المال) اذا نظرت اليه (مثال الحية التي فيها ترياق نافع) وذلك في لجها معداد أسها وذنبها (وسم نافع) وذلك في اطرافها (فان أصابها المعزم) أي صاحب العزيمة (الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها) ويتقيه (و) يعرف (طريق استخراج ترياقها النافع) بان يسكنها من محل رقبته فيجمع بينه وبين ذنبها فيقطعهم ابسكين حادة في ضربة واحدة ثم يستقر ما بقى من لجها فها هو الذي يدخل في الترياق (كانت نعمته) في حقه لانه يقاوم السمومات كلها (وان أصابها السوادى الغرقى) بكسر الغين المعجمة أي الغبي الجاهل بطرق عزائها وامساكها (فهى عليه بلاء وهلاك) فانه لا يأمن أن تطوى عليه فتشبهه (وهو) أيضا (مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللاآت) فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص فيه (وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر) من حيوان وغيره (فقد ظفر بنعمته) وهى حوز الجواهر واللاآت (وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك) أي عرض نفسه للهلاك (فلذلك مدح الله تعالى المال) في مواضع من كتابه العزيز (وسمها خيرا) وذلك قوله تعالى ان ترك خيرا ووقد ذكر المفسرون ان المراد به المال (ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى) وقد تقدم قريبا (وكذلك مدح الجاه والعزاذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق) أجمعين (و) هذا (هو المعنى) أي المقصود (بالجاء ولكن المنقول في مدحها) أي العز والجاء (قليل والمنقول في ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب) والاجتلاب والملك قريبان (وانما كثر هذا) يعني ذم المال والجاء (وقل ذلك) يعني مدح العز والجاء (لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية الحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره) أي الاطلاع والاخذ (ولو كانا في أعينهم مأمومين بالاضافة الى كل أحد لما تصور أن ينضاف الى النبوة الملك الذي لا يتم الا بالمال والجاء) كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن ينضاف اليها) أي الى النبوة (الغنى) فانه كناية عن وفرة المال (كما كان لسليمان عليه السلام فالتناس كلهم) في هذه الدار (صبيان) مغفلون (والاموال حيات) أي بمنزلتها (والانبياء) عليهم السلام (والعارفون) من علماء الآخرة (معزومون) أي أصحاب عزائم ورفق (فقد يضرب الصبي ملا يضر المعزم) لمعرفة ماله وعليه فهو لا اذا تناول المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها وضررها وأمن سمها وشرها فيتحرون الوجه الذي ينتفعون به وينفع غيرهم وبغيرهم ليس كذلك فأسرع الهلاك اليه فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف ينفع الحية أن يقتدى بالراقى في تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدى بالعارفين في تناول اعراض الدنيا (نعم المعزم لو كان له ولد يديقه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا رآها يلعب بها فيهلك وله غرض في) تحصيل (الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر على الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره هلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها ويرى ذلك

البها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالتناس كلهم صبيان والاموال حيات الانبياء والعارفون معزومون فقد يضرب الصبي ملا يضر المعزم ذم المعزم لو كان له ولد يديقه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا رآها يلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر على الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره هلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها

و يشير على الصبي بالهرب ويقع صورته في عينه ويعرفه ان فيها ما انا لا يخومنه أحد ولا يحدته أصلاً فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير علم (٩١)

للصبي (ويشير على الصبي بالهرب) من بين يديها (ويقع صورته في عينه ويعرفه) انها عدوة ابن آدم
 (ان فيها مآفات لا ينجو منه أحد) ولا يقبل دواء (ولا يحدثه أصلاً بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما
 يغره) أي يوقعه في الغرور (فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر
 برأي من ولده لاتبعه) وسلك طريقه (أو هلك فوجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر)
 ويعرفه ان السلامة في الساحل (فان كان لا يتزحزح الصبي بمجرذ الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل
 فواجب عليه أن يبعد عن الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه) أصلاً فيكون زجره كلاً (فكذلك
 الامة في جبر الانبياء عليهم السلام كالصبيان والاعبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل
 الولد لولده) أي في الشفقة والرحمة واردة الخبر رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد
 تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم انكم تنهاقون على النار فابتغوا الفرائض وأنا آخذ بحجزكم) قال
 العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس ولفظ مسلم ومثل أمي كمثل رجل
 استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فانا آخذ بحجزكم وأنتم تقعون فيه ولمسلم من حديث
 جابر وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقعون من يدي اه قلت حديث أبي هريرة رواه أيضاً أحمد والترمذي
 وفي لفظ بعضهم مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن
 في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقعن فيها وحديث جابر رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وأوله
 مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الفراش والجناد يقعن فيها وهو يذهب عنهما (وحظهم
 الاوفر في حفظ أولادهم من المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا
 جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل) عنه (فلم يسكوه بل انفقوه) في سبيله (فان الاتفاق فيه هو
 الترياق) وفيه الشفاء (وفي الامساك السم) وفيه الهلاك (ولو قبح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه
 لما لو الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الاتفاق ولذلك قبح الاموال والمعنى به تقبض امساكها
 والحرص عليها لا استكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا) والميل الى اعراضها
 (ولذاتها) الخاصة (فاما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفضل) منها (الى الخيرات) الدينية (فليس
 بمذموم وحق كل مسافر) في طريق بعيدة (ان لا يحمل الا بقدر) ما يكفيه من (زاده في السفر اذا صمم
 العزم على ان يختص بما يحمله) لا يشركه فيه غيره (فاما ان سمحت نفسه باطعام يطعمه) الغير
 (وقوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار) منه (وقوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلاغ أحدكم من
 الدنيا كزاد الراكب) قال العراقي رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة ومال
 مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد قلت هو من رواية سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه عهد
 الى ان يكني أحدكم مثل زاد الراكب اه قلت ورواه كذلك أحمد وابن سعد وهناد وأبو يعلى وابن أبي
 الدنيا والرويانى والبعوى والطبرانى وابن حبان والبيهقي وابن عساكر والاضياء كلهم من حديث سلمان
 زادوا حتى يلقاني ورواه ابن عساكر من حديث عمرو بن أبي الدرداء وفي لفظ لابن ماجه وابن حبان والطبرانى
 من حديث سلمان ليكيف الرجل منكم زاد الراكب وقد أخرجه أبو نعيم في الحلمة ونوع طرقه قال حدثنا
 عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن شعيب الناجر حدثنا محمد بن عيسى الدامغانى حدثنا جريح عن الاعمش
 عن أبي سفيان عن جابر قال دخل سعد على سلمان يعوده فقال ابشر بأعبد الله توفى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو راض عنك قال كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتكن بلغة أحدكم
 من الدنيا مثل زاد الراكب كذا رواه الدامغانى عن جريح عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال أبو

معاوية

معاوية وغيره عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله بن
شبرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه أن سعد بن
أبي وقاص دخل على سلمان بعوده فسكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال ما يبكي جزعاً من الموت
ولاحصاً على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا فقال ليكن بلغه أحدكم من الدنيا مثل زاد
الراكب وهذه الأساور وحولى وإنما حوله مطهرة أو أجانه ونحوها فقال له سعد عهد علينا عهداً تأخذ
به بعدك فقال له أذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قصمت رواه
مورق العجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعاصم بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبي حدثنا زكريا
الساجي حدثنا هبة بن خالد حدثنا جاد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وجدة عن مورق العجلي أن سلمان
لما حضرته الوفاة بكى فقبل له ما يبكيك فقال عهد عهد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ
أحدكم كزاد الراكب قالاً فلما مات نظر وافي بيته فلم يروا في بيته إلا كافاً ووطاء ومناقوشاً نحواً من عشرين
درهماً ومن رواه عن الحسن السري بن يحيى والربيع بن صبيح والفضل بن دهلهم ومنصور بن راذان وغيرهم
عن الحسن حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوزر حدثنا بشر بن موسى حدثنا عبد الصمد بن حسان
حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي فقبل له يا أبا عبد الله ما يبكيك أليس
فارق رسول الله وهو عنك راض فقال والله ما بجزع الموت ولكن رسول الله عهد الينا عهداً فقال ليكن
متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحديث سعيد بن المسيب حدثنا أبي قال حدثنا زكريا الساجي
حدثنا هبة بن خالد حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبد الله بن
مسعود دخلا على سلمان بعودانه فسكى فقالا ما يبكيك أبا عبد الله فقال عهد عهد النبى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحديث عاصم بن عبد الله حدثنا أبو
عمرو بن جردان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حملة بن يحيى حدثنا ابن وهب قال أخبرني أبو هانئ عن أبي
عبد الرحمن الفيلى عن عاصم بن عبد الله عن سلمان الخبيرة حين حضره الموت عرفناه بعض الجزع فقالوا
ما يبجزعك أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازى حسنة
وفتوحاً عظيماً فقال يحزننى أن حبيبى محمداً صلى الله عليه وسلم عهد الينا حين فارقنا فقال ليكيف المؤمن كزاد
الراكب فهذا الذى أحرزنى قال فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً قال عاصم بن عبد الله ديناراً
واتفق الباقيون على بضعة عشر درهماً ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر
حدثنا أحمد بن عمرو البراز حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن
سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان فقالت له لم تبكى فقال إن رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد إلى عهدى أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن
عبد الله الحضرمي حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الجدةاني حدثنا عتاب بن بشير عن علي بن بزيمة قال يبيع
متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً (معناه لانفسكم خاصة والافتقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل
به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويقرقها في موضعه ولا يمسك منها حاجة) وكأنه يشير إلى ما رواه أبو
نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا أسباط حدثنا جعفر
حدثنا هشام حدثنا الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً
من المسلمين وكان يخطب الناس في هبابة يفتش بعضها ويلبس بعضها وإذا خرج عطاؤه أمضاه يوماً كل من
سقط فيه وروى أحمد في الزهد من طريق عبد الله بن بريدة قال كان سلمان يعمل بيديه فإذا أصاب شيئاً
اشترى به لحماً أو سمكاً ثم يدهو المجذمين فيأكلونه معه (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء

معناه لانفسكم خاصة والا
فقد كان فيمن يروى هذا
الحديث ويعمل به من
يأخذ مائة ألف درهم في
موضع واحد ويقرقها في
موضعه ولا يمسك منها حاجة
ولما ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن الأغنياء

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما عليه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة بقدام مزج داؤها بدائها ورجوها بخوفها ونفعها بضرها فن وثق بصيرته وكال معرفته فله ان يقرب منها متقيادها ومستخر جادها وانها ومن لا يثق بها فالبعد (٩٦)

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) وكان من اغنياء الصحابة (في ان يخرج من جميع ما عليه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف الحديث) قال العراقي رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد قلت كلا فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا اه قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا جعفر بن محمد الفرابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحنا فاقض الله يطلق لك قدميك قال ابن عوف وما الذي أقرض الله قال تتبرأ مما أمسيت فيه قال من كاه أجمع يا رسول الله قال نعم فخرج ابن عوف وهو بهم بذلك فاتاه جبريل فقال مرابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه (فاذا النعم الدنيوية مشوبة بقدام مزج داؤها بدائها ورجوها بخوفها ونفعها بضرها فن وثق بصيرته وكال معرفته فله ان يقرب منها متقيادها ومستخر جادها وانها ومن لا يثق بها فالبعد والبعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كاهم الامن عصمه الله تعالى وهذا الطريقة فان قلت فامعنى النعم التوفيقية التي لا تحصل الفضائل الخارجية الا بها (وهي الراجعة الى) أربعة أشياء (الهداية والرشد والتأيد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد) وفعاله (وبين قضاء الله وقدره) والاتفاق ومطابقة التوفيق يقال اتفاق جيد واتفاق ردي فالنوفيق وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصلح استعماله فيه - ما جميعا (ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة) فقط (من جهة قضاء الله وقدره كما ان الاتحاد في الاصل (عبارة عن الجبل) ومنه المهدى في القبر (نقص عن جبل الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد) وأشباههما) ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق) كما قال الحكيم الذي لا يستغنى الانسان عنه في كل حال التوفيق (ولذلك قيل)

(اذالم يكن عون من الله للفتي * فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده)

وأما الهداية فلا سبب لاحد الى طلب السعادة) ولا الى شيء من الفضائل (الاجها) أي بهداية الله ورجته ويجب على كل انسان ان يعلم ذلك (لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فن أين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية) فهي مبدأ الخيرات ومنتهىها كما (قال) الله (تعالى) ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (وقال تعالى) مخاطبا للناس (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد ابدأ ولكن الله يزك من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا بركة الله تعالى أي بهدائيه فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا) تنبيه على انه لو توهمت رحمة مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة ان يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله بفضله ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخل الجنة

البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كاهم الامن عصمه الله تعالى وهذا الطريقة فان قلت فامعنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأيد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو سقاة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جهة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الاتحاد بين المبل ونقص عن مال الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل

اذالم يكن عون من الله للفتي

فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان

قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذالم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فن أين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد ابدأ ولكن الله يزك من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة الا بركة الله تعالى أي بهدائيه فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا

والهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى (٩٧) وهديناك النجى وقد انعم الله تعالى به على

كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما محمد فهديناهم فاستجبوا للهدى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقل وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمى القلوب وان كانت لاتعمى الابصار قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جملة المعصيات الالف والعادة وحب استصحابها ما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة الا آية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لازل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشرا منا واحدا ننبهه فهذه المعصيات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراعهذه الهداية العامة وهي التي يد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة في هدى

الحديث واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم انتهى قلت وتما حديث أبي هريرة عند الشيخين فسددوا وقاربوا ولا يأتين أحدكم الموت اما محسن فلهه يزداد خيرا واما مستي فاعله يستعقب وفي لفظ لهما ان ينبغي أحدا منكم عمله قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأنا الا ان يتعمدني الله برحمته ولكن سدودا وقاربوا واغدا واوروحوا وشئ من الدجلة والقصد القصد تبلغوا وروى ابن قانع والطبراني والضياع من حديث شريك بن طارق ان يدخل الجنة أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتعمدني الله من برحمة وفضل وفي لفظ للطبراني ما من أحد يدخل الجنة بعمل وقال الاربعة منه وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد ان يدخل أحد الجنة الاربعة الله قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتعمدني الله (وله داية ثلاث منازل) في الدنيا (الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليها بقوله تعالى وهديناك النجى) هذاهو المشهور في التفسير وقيل طريق الثواب والعقاب وقيل طريق العقل والشرع وقال مجاهد الذين وكذلك قوله تعالى انا هديناه السبيل وقوله تعالى وهديناك ما الصراط المستقيم (وقد انعم الله به على كافة عباده) المكافين (بعضه بالعقل) والفتنة والعارف الضرورية نعم به كل مكلف بل كل شئ حسب احتماله كما قال تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى فهذه القسم الاول من المتزلة الاولى وأشار الى القسم الثاني بقوله (وبعضه على لسان الرسل) أى الهداية التي جعلت للناس بدعائه اياهم على أسنسة الانبياء والرسل وانزال القرآن (ولذلك قال الله تعالى) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفا من المعروف وتعريفا في المعروف وبهما تتم الهداية والتعليم فانه متى حصل البذل من الهادى والمعم ولم يصح القبول صح ان يقال لم يهتد ولم يعلم اعتبارا بعدم القبول وصح ان يقال هدى وعلم اعتبارا ببذله وعلى الاعتبار الثاني ينزل قوله تعالى (وأما محمد فهديناهم فاستجبوا للهدى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول) التي هي مبدأ الهداية (وهي مبذولة) لهم (ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمى القلوب) أى تغطي على بصيرتها (وان كانت لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وعمى عين القاب الباطنة أشد من عمى العين الظاهرة واليه الاشارة بقوله تعالى أم على قلوب اقفا لها (ومن جملة المعصيات الالف والعادة) بالشئ (وحب استصحابها ما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة) وانا على آئهم مقتدون وكذا قوله صلى الله عليه وسلم حبل الشئ يعمى ويصم (وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لازل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد تقدم الكلام عليه (وقوله تعالى أبشرا منا واحدا ننبهه) انا اذ انى ضلال وسعر فكل ذلك منشؤه التكبر على المؤمنين والخاسد على ما أعطاهم الله تعالى (فهذه هي المعصيات التي منعت الاهتداء) وأشد صاحب الدنيا فانه رأس كل خطيئة (والهداية الثانية وراعهذه الهداية العامة) التي هي الاولى (وهي التي يد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال بحسب استزادته) من العلم والعمل الصالح وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى (وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى) وآئهم تقواهم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يمد قلبه (والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة في هدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به) وعبر بعضهم عن هذه الهداية بنور الولاية التي هي في أفق نور النبوة واعل هذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف (وهو الهدى المطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

(١٣) (تحاف السادة المتقين) - (تاسع) بعد كمال المجاهدة في هدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى (٩٨) الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا

له نور اعشى به في الناس والمعنى بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتريه عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتبه عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبير بحفظ المال وطرق التجارة والاستثمار ولكنه مع ذلك يبذروا ولا يريد الاستئمان لا يسمى رشدا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة * وأما التسديد فهو توجيهه حركته الى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليستد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية مجرد هالات كفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى (٩٨) فأضاف ذلك الى لفظ الله تعظيما له بقوله بيت الله ثم قال هو الهدى فجعله الهدى المطلق وكذلك قوله تعالى هدى للمتقين فالهدى والهداية في موضوع اللغة واحد ولكن قد خص الله لفظ الهدى بما قولاه وأعطاء واختص هو به دون ما هو الى الانسان (وهو المسمى حياة في قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نور اعشى به في الناس و) نورا (بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وبقوله تعالى يا أيها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقا نأى نورا تفرقون به بين الحق والباطل وتخرى هذه المنازل الثلاثة يتوصل الى الهداية للجنة في الآخرة وهي المذكورة في قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فمن لم يحصل له الاولى لا يحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة والانسان لا يقدر ان يهدي أحدا الا بالدعاء أو تعريف الطريق دون سائر الهدايات والى سائر الهدايات أشار بقوله انك لا تهتدى من أحببت وكل هداية بذكر الله فيها انه منع الكافرين والظالمين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق الذي يختص به المهتدون والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وادخل الجنة المشار اليها بقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد اعانهم الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وكل هداية فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهي ماعدا المختص به من الدعاء وتعريف الطريق وذلك كأعطاء العقل والتوفيق وادخل الجنة والى هذا المعنى أشار بقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله ومن يهدي الله فهو المهتدأى طالب الهدى ومخبره هو الذي يوفقوه يهديه الى طريق الجنة لا من ضاده فتخرى طريق الضلالة والكفر بقوله والله لا يهدي القوم الكافرين وقوله ان الله لا يهدي من هو كاذب كغفار الكاذب الكفار هو الذي لا يقبل هدايته فان ذلك راجع الى هذا وان لم يكن موضوعا لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهتدأ ما قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقد قيل عن به الهداية العامة التي هي العقل واللسنة الانبياء وأمرنا بان نقول ولكن بالسنتنا وان كان قد فعل ليعطينا ثوابا كما أمرنا ان نقول اللهم صل على محمد وان كان قد صلى عليه بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وقيل ان ذلك دعاء بحفظنا من اعتواء الغواية واستهواء الشهوات وقبل هو سؤال للتوفيق الموعود في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى (وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان) في أموره (عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه) كذا في النسخ ونص الذريعة فتقربه بما فيه (صلاحه وتفتريه) أي تكسله (عما فيه فساده و) أكثر ما (يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتبه عالمين) وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم أو فسحه واليه توجه قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه (فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبير بحفظ المال وطرق التجارة والاستثمار) أي كيفية نمو المال (ولكنه مع ذلك يبذره تبذيرا ولا يريد الاستئمان لا يسمى رشدا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره وأعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة من النعم التوفيقية (وأما التسديد فهو توجيهه حركته الى صوب الغرض) المطلوب وتيسرها عليه (بان تقوم ارادته وحركته نحوه) (ليستد في صوب الصواب) ويهجم عليه (في أسرع وقت) يمكن الوصول فيه اليه وهو المراد بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم في أحد الوجوه (فان الهداية بمجرد هالات كفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض

التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريلك الاعضاء في صوب السداد وأما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل اذ يدعك روح القدس وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهى يسبح في الباطن يقوى (٩٩) به الانسان على تحرى الخير وتجنب

الشر حتى يصير كما نفع من باطنه غير محسوس ويايه عني بقوله تعالى ولقد هدته الى صراط مستقيم وهم به الوالان رأى برهان ربه فهذه هي مجاميع النعم ولن تثبت الا بما يحوله الله من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعى والمعلم الناصح والمسال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرة والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعدا ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى أن تنتهى بالآخرة الى دليل المخيرين ومجلى المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وباللغة التوفيقية وهو حسبي ونعم الوكيل

النوفيق
* (بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها

التعريف) والدلالة بالاطاف (والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريلك الاعضاء في صوب السداد) والنصرة من الله تعالى معونة للانبياء والاولياء وصالحى العباد بما يؤدى الى صلاحهم عاجلا وآجلا وذلك تارة يكون من خارج بمن يقضه الله تعالى فيعينه وتارة من داخل بان يقوى قلوب الاولياء أو يلقى رعبا في قلوب الاعدا على ذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا والآخرة وقوله تعالى ولقد حسبقت كلمتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدول والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله في وصف النقي كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم (وأما التأييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ يدعك روح القدس) وهو مثال الاول (وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهى) أى فيض من فيوضاته (يسبح في الباطن) أى يعرض فيه (يقوى به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كما نفع) له (من باطنه غير محسوس) أى وان لم يكن منع محسوسا (ويايه عني بقوله تعالى ولقد هدته الى صراط مستقيم وهم به الوالان رأى برهان ربه) وقدرى ان يوسف عليه السلام رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو عاض على اجهامه فأجهم وليس ذلك بمائع ينافى التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فان ذلك كان تصوراً منه وتذكر المساكين قد حذر منه وعلى هذا قال لنصرف عنه السوء والفحشاء الآية ومن عصمته تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل لآخذنا منة بالبين ثم لقطعنا منه الوتين (فهذه هي مجاميع النعم وان تستثبت الان بما يحوله الله) أى بنعمه (من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعي) لما يحفظه (والقلب البصير المتواضع المراعى) تقييض (المعلم الناصح) له والتوفيق الموافق (و) امداداه من (المسال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرة) هكذا في النسخ ولفظ الذريعة وامداداه من المسال بما لا يقدره عن مغزاه قلته ولا يشغله عنه كثرته (و) من العشيبة (و) العز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعدا وعن الغرض منه من جهة الاغنياء وان يحوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التشوق للمنازل الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية (ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى أن تنتهى بالآخرة الى دليل المخيرين ومجلى المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب) جل جلاله وعم نواله (واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها) أى طلب نهايتها (فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وباللغة التوفيقية وهو حسبي ونعم الوكيل)

* (بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء) * اعلم اننا جعنا النعم في ستة عشر ضربا (انا جعنا) فيما تقدم (النعم) الموهوبة والمكتسبة (في ستة عشر ضربا) من ضرب أربعة في أربعة فالاربعة أصول ولكل أصل أربعة (وجعلنا صحة البدن) وسلامته من الاسقام (نعمته من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة) لانها من جملة الفضائل البدنية المكملة للفضائل النفسية (فهذه النعمة الواحدة لو أردنا ان نستقصى الاسباب التي بها تمت هذه النعمة) أى نطلب نهايتها (لم نقدر عليها ولكن الا كل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تمت نعمة الاكل

عن الحصر والاحصاء) * اعلم اننا جعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمته من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا ان نستقصى الاسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تمت نعمة الاكل

فلا يخفى أن الكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو أنها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة الحركة ولا بد من علم بالمراد والنتيجة ولا بد لكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلذلك أسباب الادراك ثم أسباب الارادات (١٠٠) ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لآعلى سبيل الاستقصاء* (الطرف

الاول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك)*
اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمحي ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الارض وهي له آلات بها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تغط أصولها ثم تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب الى عروق شجرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ويمس أصله جف وليس له مكانه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بعرفة المطالب وبالانتقال اليها النبات عاجز عن ذلك فمن نعم الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمته الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فأولها حاسة اللمس ولها خصلتها

ولا يخفى ان الكل فعل) لانه هيئة حاصلة للكل بسبب كونه آكلا (وكل فعل من هذا النوع فهو حركة) لانه خروج من الفعل الى القوة بالتدريج (وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك) وتكون تلك الحركة عارضة لذاته والجسم ماله طول وعرض وعمق (هو) أي ذلك الجسم (ألتها ولا بد لها) أي لتلك الحركة (من قدرة على الحركة ولا بد لها من إرادة للحركة ولا بد) مع ذلك (من علم بالمراد) وادراك له ولا بد للكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل وجوده (ولا بد له من صانع يصلحه) وبه يشهد لكل (فلذلك أسباب الادراك أولا ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح) والاشارة (لآعلى سبيل الاستقصاء) والاحاطة

* (الطرف الاول)* (في) بيان (نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات) وهو ما يخرج من الارض من النباتات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم لكن خصه عرفا بما لا ساق له (وهو) أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي تنمو (نموا) ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التي هي (في) باطن (الارض وهي له آلات بها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغط أصولها) وهي منابت الاوراق (ثم تنشعب وتتفرق ولا تزال تستدق وتنشعب) أي تنقسم (الى عروق) دقيقة (شجرية) أي مثل الشعر في الدقة (تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال) بالاضافة الى الجواهر المذكورة (ناقص فانه لو أعوزه) أي أحوج (غذاء يساق اليه ويمس أصله جف وليس) وذبيت نضارته (ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون لعرفة المطالب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك) أي لا قدرة له على الانتقال من موضعه (فمن نعم الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمته الله تعالى في خلق الحواس الخمس) الظاهرة (التي هي آلة الادراك) وتحقيق المقام ان الافعال الصادرة انما تصدر عن القوى لآعن الجسم فان الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التي فيه أو بقوة متعلقة به فالقوة مبدأ الفعل وكل فاعل اما قوة أو ذوق أو تفعل بقوته فالفاعل هو القوة والجسم آلة في الافعال فاستعماله على الوجه الالهي تستكمل اذا عرفت هذا فاعلم ان النفس قد عرفت مجردها وكونها في أول انشائها ناقصة محتاجة الى الاستكمال بالاجسام ولم يمكنها معرفة الجسم وما فيه من المعاني من غير آلة جزئية لخلق الباري جل جلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الاجسام وعوارفها المكتسبة من الفيض العقلي بحسب استعدادها من الالوان والاشكال والطعوم والروائح وغير ذلك وحواس باطنية تدرك بها أنواعا أخرى من المعارف وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها في مهماتها ومقاصدها ويحصل لها شعور بالمحسوسات بواسطتها فالحواس الظاهرة خمسة (فأولها حاسة اللمس) وهي قوة منبثة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال به (وانما خلقت لك) هذه القوة (حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان) ولذلك قالوا الحيوان جسم نام حساس متحرك (وأقصد درجات الحس ان يحس بما يلامسه ويماسه) ويتصل به (فان الاحساس بما يلامسه منه احساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرزت فيها بريرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

النبات

لك حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور

حيوان الا يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان وأقصد درجات الحس أن يحس بما يلامسه ويماسه فان الاحساس بما يبعده منه احساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرزت فيها بريرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

النبات يقطع فلا ينقبض الا بحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الالهذا الحس لكنت (١٠١) ناقصا كالذودة لا تقدر على طلب الغذاء من

حيث يبعد عنك بل ما عسى
بدنك فتحس به فتجذبه الى
نفسك فقط فافتقرت الى
حس تدرك به ما بعد عنك
تخلق لك الشم الا انك تدرك
به الرائحة ولا تدري انها
جاءت من أى ناحية فتحتاج
الى أن تطوف كثيرا من
الجوانب فرمما تعثر على
الغذاء الذى شممت ريحه
ورمما تعرف فتسكون في
غاية النقصان لو لم يخلق لك الا
هذا خلق لك البصر لتدرك
به ما بعد عنك وتدرك جهته
فتقصده تلك الجهة بعينها الا
انه لو لم يخلق لك الالهذا لكنت
ناقصا اذ لا تدرك هذا ما وراء
الصدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب
وتبصر عدو الاحجاب بينك
وبينه وأماما بينك وبينه
حجاب فلا تبصره وقد لا
يتكشف الحجاب الا بعد
قرب العدو فتجزع عن الهرب
تخلق لك السمع حتى تدرك
به الاصوات من وراء
الصدران والحجب عند
جريان الحركات لانك
لا تدرك بالبصر الاشياء حاضرا
وأما الغائب فلا يمكنك
معرفة الابكلام ينظم من
حروف وأصوات تدرك
بحس السمع فاشتدت اليه
حاجتك لتخلق لك ذلك
وميزت بفهم الكلام عن
سائر الحيوانات وكل ذلك
ما كان يغنيك لو لم يكن لك
حس الذوق اذ يصل الغذاء

النبات يقطع فلا ينقبض الا بحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الالهذا الحس لكنت ناقصا كالذودة لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما عسى بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس آخر (تدرك به ما بعد عنك تخلق لك الشم) وهي قوة مودعة في الزائدين النابتين في مقدم الدماغ الشبهتين بحلمتى الندى بهما تدرك الروائح بطريق وصول الهواء المتكثف بكيفية ذى الرائحة الى الخيشوم (الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من أى ناحية فتحتاج ان تطوف كثيرا من الجوانب فرمما تعثر على الغذاء الذى شممت ريحه ورمما تعرف فتسكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الالهذا خلق لك البصر) وهي قوة مودعة في العصبين المجوفتين اللتين يلتقيان ثم يفترقان تتأدى الى العين بهما الاضواء والالوان والاشكال (لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصده تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك هذا ما وراء الصدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدو الاحجاب بينك وبينه وأماما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا يتكشف الحجاب الا بعد قرب العدو) منك (فتجزع عن الهرب) من بين يديه (تخلق لك السمع) وهو قوة مودعة في القصب المفروش في مقعر الصمناخ به تدرك الاصوات بطريق وصول الهواء المتكثف بكيفية الصوت الى الصمناخ (حتى تدرك به الاصوات) والنبغات اللذيذة واللبشة الحاصلة من تصادم الاجسام (من وراء الصدران عند جريان الحركات) بواسطة الروح المودعة في العصب على حد مخصوص من القرب والبعد وشدة الصوت ورفعته (لانك لا تدرك بالبصر الاشياء حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الابكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك لتخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام من سائر الحيوانات) وقاعدة تشكّل الهواء بمقاطع الحروف غير صحيحة لكون الهواء غير حافظ للشكل لانه سريع الالتئام ثم يتشوش ما عند أذنه من الهواء ينبغي ان لا يسمع شيئا لتشوش التوجّات واضطرابها وقول القائل بان الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه غير سديد فانه اذا تشوش الهواء المجاور للأذن بالكتابة لا يبق للبعث قوة النفوذ والامتياز عن الباقي وأماما قيل ان الصوت متعلق بقلع أو قرع لا كيف اتفق بل عند حركة من الهواء بعنف فلا ينبغي ان تفهم كون ما داخل في حقيقة الصوت بقاء الصوت بعد الفراغ عنهما والصواب ان الصوت لا يعرف بشئ أصلا وكذا بساط جميع المحسوسات فان التعريفات لا بد وان تنتهي الى معلومات مستغنية عن التعريف لكون التسلسل باطلا واذا وجبت النهاية ولا شئ أظهر من المحسوسات لان جميع علومنا منزعجة منها وهي المعلومات الأولية وبها تعرف حركاتها حقيقة الصوت لا تعرف لمن لا يسمع له وكذلك الضوء لمن لا يبصر له ومن كان له فهو مستغن عن التعريف فالصوت أمر بسيط صورته في العقل كصورته في الحس وحقيقته انه صوت فقط وكذا اللون وسائر المحسوسات وأما ان سبب الصوت قلع أو قرع وان الهواء شرط واذا لم يكن على سبيل حصول المقاطع كان على وجه آخر شرط طافو بحث آخر لا مدخل له في حقيقة الصوت والله أعلم (وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق) وهي قوة منبهة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية وبسائط الطعوم هي الحرارة والمرارة والحوضة والعفوصة والقبض والحرافة والمالوحة والدسومة وواحد لا طعم له ويسمى التفه (اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك أو يخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها) أى يبسها وليست النفس دراية بمجرده هذه الا لان بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمرجة مخصوصة اذا وصل اليها الروح النفساني اللطيف وجال فيها استعداد ذلك لان تفيض النفس عليه هيئة مستعدة بتلك الهيئة لان يكون مرآة للنفس تشهد بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسى وخواصه لمناسبة ما بين النفس وذلك الروح الذى حصل له بتردده في تلك الآلة هيئة مخصوصة تقتضى ان تشاهده النفس عند الاستعمال نوعا من المعلومات

اليك فلا تدرك انه موافق لك أو يخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها

ثم كل ذلك لا يكفينا لولم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حساً مشتركاً يتأدى اليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه اطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرّاً يخالفك فتركته فاذا رأيت مرة أخرى فلا تعرف انه مضر مالم تذوقه ثانياً لولا الحس المشترك اذا العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق

يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى اذا أدرك الصفرة حكم بأنه مرفق تمتنع عن تناوله ثانياً وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للسان هذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هذا الكنت ناقصاً فان البهيمة تبحثال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخلص لذاتها وقد تبقى نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثانی الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتهم في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبع الاطعمة وتآلفها واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أشرف من الكل في معرفة الله تعالى بطريق أسمائه وصفاته (و) معرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه (و) عند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقل فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها (أي من تلك الحواس) بامر مختص بها دون غيرها (فواحدة منها) موكلة (بأخبار الألوان) والأشكال والمقادير وغيرها وهي حاسة البصر فان النفس تشعر بما ذكر اذا وقعت العين في مقابلة الشيء (والاخرى بأخبار الاصوات) الثقيلة والخفيفة الحاصلة عن تصادم الاجسام وهي حاسة السمع (والاخرى بأخبار الروائح) الطيبة والكريهة بواسطة انتقال الهواء الواصل الى الانف من الجسم ذي الرائحة وهي حاسة الشم (والاخرى بأخبار الطعوم) من الحلاوة والمرارة والجوضة والعفوصة والقبض والخراقة والملوحة والدسومة وهي حاسة الذوق (والاخرى بأخبار الحر والبرد) والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الاربع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

(ثم كل ذلك لا يكفينا لولم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حساً مشتركاً يتأدى اليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه) وهذا على رأي المشائين فانهم يزعمون ان الحواس الباطنة أيضاً خمسة أولها الحس المشترك وهو الذي تجتمع عنده مثل جميع الحسوسات الظاهرة فيدركها مشاهدة والصور التي يراها النائمون والمحرورون فيه يمثل على رأيهم ومحلها البطن المقدم من الدماغ والثانية الخيال وهي خزانة الحس المشترك ومحلها البطن المقدم أيضاً لكنه يميل الى اليسار قليلاً والثالثة الوهم ومحلها البطن الاوسط من الدماغ والرابعة الحافظة وهي خزانة الوهم ومحلها في البطن المؤخر منه والخامسة المدركة ومحلها البطن الاوسط منه أيضاً وأما الاشراقيون فلا يثبتون ادراك شيء منها الا المتخيلة فقط وقد تقدم الكلام عليه (ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرّاً يخالفك فتركته فاذا رأيت مرة أخرى فلا تعرف انه مضر مالم تذوقه ثانياً لولا الحس المشترك اذا العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً حتى اذا أدرك الصفرة حكم بأنه مرفق تمتنع من تناوله ثانياً وكل ذلك على رأي المشائين وأما افلاطون وجاعة من الاقدمين فقد أقاموا دلائل ابطالوا بها الحافظة والخيال وانطباع الاشباح في العين وهي بعينها تبطل الحس المشترك أيضاً وكل صورة في الدماغ فلا تبقى الا المتخيلة وهي بعينها المتوهمة التي حكمها الايخالف حكم المتوهمة (وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للسان هذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هذا الكنت ناقصاً فان البهيمة تبحثال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تخلص لذاتها قد تأكل نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثانی الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فيترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتهم في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبع الاطعمة وتآلفها واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو أشرف من الكل في معرفة الله تعالى بطريق أسمائه وصفاته (و) معرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه (و) عند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقل فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها (أي من تلك الحواس) بامر مختص بها دون غيرها (فواحدة منها) موكلة (بأخبار الألوان) والأشكال والمقادير وغيرها وهي حاسة البصر فان النفس تشعر بما ذكر اذا وقعت العين في مقابلة الشيء (والاخرى بأخبار الاصوات) الثقيلة والخفيفة الحاصلة عن تصادم الاجسام وهي حاسة السمع (والاخرى بأخبار الروائح) الطيبة والكريهة بواسطة انتقال الهواء الواصل الى الانف من الجسم ذي الرائحة وهي حاسة الشم (والاخرى بأخبار الطعوم) من الحلاوة والمرارة والجوضة والعفوصة والقبض والخراقة والملوحة والدسومة وهي حاسة الذوق (والاخرى بأخبار الحر والبرد) والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الاربع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس وهي أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

(وهذه

افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقل فتكون الحواس الخمس

كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بامر مختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والاخرى بأخبار الاصوات والاخرى بأخبار الروائح والآخرى بأخبار الطعوم والاخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها

مقدمة الدماغ مثل صاحب
القصص والكتب على باب
الملك يجمع القصص
والكتب الواردة من نواحي
العالم فيأخذها وهي محتومة
ويسلمها اذ ليس له الا
أخذها وجعلها وحفظها
فاما معرفة حقائق ما فيها
فلا ولكن اذا صادف القلب
العاقل الذي هو الامير
والملك سلم الانهاآت اليه
محتومة فيفتشها الملك ويطالع
منها على أسرار المملكة
ويحكم فيها باحكام عجبية
لا يمكن استقصاؤها في هذا
المقام وبحسب ما يلوح له
من الاحكام والمصالح يحرك
الجنود وهي الاعضاء مرة
في العليل ومرة في الهرب
ومرة في اتمام التدبيرات
التي تعين له فهذه سياقة نعمة
الله عليك في الادراكات
ولا تظن اننا استوفيناها فان
الحواس الظاهرة هي بعض
الادراكات والبصر واحد
من جملة الحواس والعين آلة
واحدة له وقد ركبت العين
من عشر طبقات مختلفة
بعضها طرية وبعضها
أغشية وبعض الأغشية
كانها نسج العنكبوت
وبعضها كالشمية وبعض
تلك الرطوبات كأنه بياض
البين وبعضها كأنه الجد
واكل واحدة من هذه
الطبقات العشر صفة وصورة
وشكل وهيئة وعرض

(وهذه البرد) بضمين جمع برید الرسول (والجواسيس يقتضون الاخبار) أي يتبعونها (من اقطار
المملكة) واطرافها (ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب
القصص والكتب) الواردة (على باب الملك يجمع القصص والكتب) الواردة من نواحي العالم فيأخذها من
يد الجواسيس (وهي محتومة ويسلمها) الى الملك (اذ ليس له الاأخذها وجعلها وحفظها) الى وقت الحاجة
(وأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاآت)
وهو رفع القصص لانه يذكر فيها دائما وانهي البسه كذا وكذا (اليه محتومة فيفضها الملك) وفي نسخة
فيفتشها (وبدائع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجبية لا يمكن استقصاؤها) في هذا المقام
وقد يفض صاحب الاخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشا وارفح الباقي صافيا الى حضرة الملك
فيميزه ويرفعه ويعرف مضاره ومنافعه ويسلمه الى خازنه وهي القوة الحافظة الى وقت حاجته فينشد يتقدم
بإخراجه (وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في
الهرب ومرة في اتمام تدبيرات تعين له) أي تعرض (فهذه سياقة نعمة الله) تعالى (عليك في الادراكات ولا
تظن اننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة) الحس (هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس
والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها طرية وبعضها أغشية وبعض
الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالشمية وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه
الجدول كل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض ونور وبرق كيب لو اختلفت طبقة
واحدة من جملة العشر أوصلة واحدة من صفات كل طبقة لا تحتل البصر وعجز عنه الاطباء والكهالون كلهم)
وبيان ذلك ان كلا من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهي العصب والعضل والعروق
وقد سمي المصنف الكل طبقات وفيه تسامح لا يضر وكيفية تركيبها ان العصب المجوفة التي هي أول العصب
الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى قعر العين وعليها غشاء آنه - ما غشاء الدماغ فاذا برزت عن العين
وصارت في جوف عظم العين فارقتها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباسا على عظم العين ويسمى هذا الغشاء
الطبقة الصلبة ثم يفارقتها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباسا بعد الصلبة وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها
بالمشيمة لانها ذات عروق كثيرة ثم تصير هذه العصبية نفسها الى المجوفة عريضة ويصير منها غشاء بعد
الاولين ويسمى الطبقة الشبكية ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب
وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير الان في جانبه
الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه اشباح المراتب وفي جانب الداخل تنو ليتوصل بالعصب المجوفة كما ينبغي
وتسمى الرطوبة الجليدية تشبهها بالجليد في صفاته ويسمى البردية أيضا لشبهها بالبردية في شكلها واصفائها
وشبهها ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف وبعلا النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت
شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلا هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض
وقوامه يسمى الرطوبة البيضاء يعلا البيضاء جسم رقيق يحمل الداخل أماس الخارج ويختلف لونه
في الابدان فربما كان شديدا السواد وربما كان دون ذلك في وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع
ويضيئ في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة
ويسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة الغنية في خلل باطنها وملاسة بظاهرها والثقب الذي في
وسطها وبعضهم يقول ان لون هذه الطبقة هو الاسمانجوني ليكون نورا الباصرة فيها معتدلا لا ذالون
أنسب وأوفق لنور الباصرة من هذا لان لون السواد يقبض النور المذكور والبياض يفرقه وهذا
اللون متوسط بين السواد والبياض ولا نجد في الالوان ما هو في حاق الوسط بينهما مثل هذا اللون ويعلا هذه
الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه محيطة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير

ونور وبرق كيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر أوصلة واحدة من صفات كل طبقة لا تحتل البصر وعجز عنه الاطباء والكهالون كلهم

فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جلته لا تزيد على جورة صغيرة (١٠٤) فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامى إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات)
اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تترك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنزع الأشياء عنه وقد سقطت شهوته فلا يتناول فيه في البصر الإدراك معطلا في حقه فاضطرت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفوة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فتخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وساطها عليك وكهايلك كالتقاضى الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغذى فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أشرفت وأهلكك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدريه مرة ويقطع عنه الماء آخرى حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدريه مرة ويقطع عنه الماء آخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك

أنهم يتناولون الطبقة التي تحتها المسماة بالعينية كما إذا الصق وراء جام من زجاج شئ ذلول فيخيل ذلك المكان من الزجاج بلون ذلك الشئ ولو أنها تختلف في الناس ففي بعض يكون زرقاء وفي بعض يكون شهلاء وفي بعض يكون سوداء ويعلم هذه الطبقة ويعشها كهايل إلى موضع سواد العين جسم أبيض اللون صلب يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجدار الذي على الفتح من خارج وجوهره من لحم أبيض دسم وقدامترج بعضه العين وأحكم على القرنية فلهذا يسمى بالملتحمة ونبات القرنية من الصامية ونبات العينية من المشيمة ونبات العنكبوتية من الشبكية هكذا ترتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات أعني جعل الأول الطبقة الصلبة ثم الطبقة المشيمية ثم الطبقة الشبكية ثم الرطوبة الجليدية ثم الطبقة العنكبوتية ثم الرطوبة البيضية ثم باقي الطبقات وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية لباخذ الغذاء من الزجاجية وتدفع البيضية عنها أشعة الشمس وتجعل الطبقات الأربع أعني العنكبوتية والعينية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتتالية وأشرف أجزاء العين إنما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لأجل مصحتها فالزجاجية والطبقات الثلاث المتصلة بها قد أحاطت بنصفها الآخر من جانب الرطوبة البيضية والطبقات الأربع المتصلة بها محيطتها بنصفها الآخر من جانب أخرى موضوع في الوسط صيانة لها وحرا (فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس) ومن أعجب ما في حاسة السمع أن في داخلها فضاء موضوعا مجزأ فذا تغير يؤدي إليه نفقة وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس المذكور على محيط ذلك الفضاء كأنه ساط الجلد على الطبل وبهذا الغشاء يكون السمع عند ما يقرعه الصوت لأن في ذلك الفضاء هواء راكداف كما وصل الهواء الخارج إلى المخرج إلى العصب حرك الهواء الداخل فيصدمان في العصب مع ما يدرك الصوت (بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته) المذكورة (في مجلدات كثيرة) قد تكفل ببيان بعضها أهل التشريح (مع أن جلته لا تزيد على جورة صغيرة) أي في القدار (فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه) التي ركبها الله تعالى فيه (فهذه مرامى) أي إشارات (إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات) والله أعلم *(الطرف الثاني)* (في) بيان (أصناف النعم التي في خلق الإدراكات) اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تترك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنزع الأشياء عنه وقد سقطت شهوته فلا يتناول فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطرت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك (الذي يضطرك) إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفوة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فتخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وساطها عليك وكهايلك كالتقاضى (الذي يضطرك) أي يلجئك (إلى التناول) منه (حتى تتناول وتغذى فتبقى بالغذاء وهذا) القدر (عما يشاركك فيه الحيوان دون النبات) ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة (أشرفت) وتجاوزت (وأهلكك نفسك) فخلق الله سبحانه لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدريه مرة ويقطع عنه الماء آخرى حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدريه مرة ويقطع عنه الماء آخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك

محائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية خلق الاثني عشر والعروق السالكة اليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأمن الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكّل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتشكّل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في أطوار خلقها مضغوطة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ويد ورجل وبطن وظهور وساير الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكالسنائر يد أن نتعرض الانعم الله تعالى في الاكل وحده كي (١٠٥) لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام

أحد ضرور الارادات وذلك لا يكفيل فانه تأتيل المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضا لك ولا توافق لبقيت عرضة للاثبات ولا خذ منك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضا لك ولا توافقك ثم هذا لا يكفيل اذا الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضرون وينفع في الحال وأما في المبال فلا يكفي فبه هذه الارادة خلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادرالك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة (قد أفردت بها عن البهائم) وميزت بها عنها (اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب) التي هي من خواص العقل (وقد سميناهذه الارادة باعدادينا وفضلناه في كتاب الصبر اوفى من هذا) فراجعوا والله أعلم

محائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية خلق الاثني عشر والعروق السالكة اليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأمن الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكّل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتشكّل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في أطوار خلقها مضغوطة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ويد ورجل وبطن وظهور وساير الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكالسنائر يد أن نتعرض الانعم الله تعالى في الاكل وحده كي (١٠٥) لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام

(١٤ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الارادة أفردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سميناهذه الارادة باعدادينا وفضلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا * (الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك) وقد تقدم ان كل حاسة لها الادراك الخاص (والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او) الى (الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكيف من زمن) وهو المرض الذي يطول به المرض زمانا طويلا (مشتاق الى شئ بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه ان عشي اليه لفقدر جله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقديده أو لفلج وخدر فيهما) خاصة مع صحة الجسم (فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا

الاعضاء التي تنظر الى
ظاهرها ولا تعرف أسرارها
فإنها ماهو للطالب والهرب
كل رجل للانسان والجنح
للطير والقوائم للدواب ومنها
ماهو ولا يدفع كالأسلحة
للانسان والقرون للحيوان
وفي هذا تختلف الحيوانات
اختلافا كثيرا فإنها ما يكثر
اعداءه ويعد غذاؤه فيحتاج
الى سرعة الحركة تخلق له
الجنح لطير بسرعة ومنها
ما خلق له أربع قوائم ومنها
ماهو رجلا ومنها ما يدب
وذكر ذلك بطول فلنذكر
الاعضاء التي بهائم الاكل
فقط ليعلم عليها غيرها
فنقول رؤيتك الطعام من
بعد وحركتك اليه لا تكفي
مالم تتمكن من ان تأخذه
فانقرت الى آلة باطشة
فأنعم الله تعالى عليك بخلق
اليدين وهما طويلتان
ممتدتان الى الاشياء
ومشتملتان على مفاصل
كثيرة لتحرك في الجهات
فتمتد وتنثني اليك فلا تكون
تكشبة منصوبة ثم جعل
رأس اليد عريضا يخلق
الكف ثم قسم رأس الكف
بخمسة أقسام هي الاصابع
وجعلها في صفتين بحيث
يكون الابهام في جانب ويدور
على الاربعة الباقية ولو
كانت مجمعة أو متراكمة لم
يحصل بها تمام غرضك
فوضعها وضعا ان بسطتها

فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها) وما خلقت له (فإنها ماهو
للطالب والهرب كالرجل للانسان) فانه بما يطلب ما يريد وبهرب عما لا يريد (والجنح للطير والقوائم
للدواب ومنها ماهي للدفع) عنه (كلاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات
اختلافا كثيرا فإنها ما يكثر اعداؤه ويعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة تخلق له الجنح لطير بسرعة
لتحصيل غذاؤه ولئلا يدركه الطالب (ومنها ما خلق له أربع قوائم) ولا زيادة عليها وما وجد في بعضها من
زيادات الارجل فهي بمنزلة الزائدة أو المعينة (ومنها ماهو رجلا) كبنى آدم والطيور (ومنها ما يدب) على
بطنه كالحيات وما أشبهها (وذكر ذلك بطول) ولم يخلق للحيات ما يكون بمنزلة السلاح لها فعوض عنها
بالهبة فلا تخرج على جماعة الا ويتفرقون من هيبتها (فلنذكر الاعضاء التي بهائم الاكل فقط ليعلم
عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي مالم تأخذه) وفي نسخة مالم تتمكن من
أخذه (فانقرت) لالحالة (الى آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الى
الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك) بسهولة (فلا تكون تكشبة
منصوبة) تمتد ولا تنثني (ثم جعل رأس اليد عريضا يخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي
الاصابع وجعلها في صفتين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجمعة
أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها) الحكيم تعالى شأنه (وضعا ان بسطتها كانت لك مجرزة
وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتهما كانت آلة لضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض)
وبيان ذلك ان الساعدين أربعة عظام لكل اثنان هما الزندان وطولهما من المرفق الى الرسغ أحدهما
كبير وموضوع في الاسفل يلي الخنصر ويقال له الزند الاسفل ويسمى باسم جله الساعد ذراعاً وثانيهما
صغير وموضوع فوق ما يلي الابهام ويقال له الزند الاعلى وانما جعل كذلك لان الحامل يجب أن يكون أقوى
من المحمول وقولنا فوق وأسفل انما هو عند ما يكون الساعد منصوبا بحيث يقبل باطنه وباطن الكف
على البدن وانما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه الى مفصلين ينسبط وينقبض باحدهما وهو المفصل
الملتئم بين الزند الاسفل وذلك لان الزند الاسفل له في أعلاه رأسان فيهما يدينهما خشيبة بسني اليونان هكذا
(<) فينبسط الساعده انبساطا يصير جله اليد مدودة وتنقبض بحيث يلحق الكف الكف فاذا أريد
البسط دخل رأس الزند الاسفل الذي هو من خلف في نقره مهيأة في طرف الخزن العضد من خلف واستقر
فيها فبفتح الساعد ان ينثني الى خلف واذا أريد القبض دخل رأس الزند الاسفل من قدام في نقرة أخرى
في طرف ذلك الخزن قدام فاستقر فيها فلا تنقبض اليد ولا ينثني أكثر من ذلك وينكب بالمفصل الآخر
على وجهه وينقلب على قفاه وهو المفصل الملتئم بين الزند الاعلى والعضد اذا الطرف الوحشي من طرف
العضد مما يلي الساعد يدخل في نقرة فيها طرف الزند الاعلى فيدور الزند عليه وأما عظام رسغ اليدين فهي
ستة عشر لكل ثمانية وهي عظام صلبة صلبة عددها المخرج سبعة منها انضدت صفتين فالصنف الاعلى من الثلاثة
والاسفل من أربعة وذلك لان أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطarf ليس بين عظميه في هذا الجانب
درجة أعنى الساعد وأسفله بعضو عريض أعنى مشط الكف وأما الشامن فلما خلق لحفظ عصبة هناك
تأتى الكف للرسغ خاصة والرسغ مفصلان أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة العليا في حفرة في طرف
الساعد فيطوّر في رأس الزدين جميعا وبهذا المفصل يكون انقباض الرسغ وانبساطه والثاني صغير يلتئم
بدخول زائدة في طرف الزند الاسفل مما يلي الخنصر في نقرة العظم الذي في هذا الموضع من عظام الرسغ
فيدور الرسغ على تلك الزائدة وبهذا المفصل ينكب الرسغ وينقلب وأما عظام الكف فهي ثمانية لكل
أربعة وهي كالمستوي بين أربعة الرسغ والاصابع الاربع سوى الابهام وطرفها الذي يلي الرسغ متصل
به اتصالا كجبار بطته وتبقى بحيث لا تظهر فيه حركة ورؤس العظام في هذا الطرف متصل بعضها

كانت لك مجرزة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتهما كانت لك آلة لضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض بعض

ثم خلق لها أظفار وأسند
 إليها رؤس الأصابع حتى
 لا تتفتت وحتى تلتقط بها
 الأشياء الدقيقة التي لا
 تحويها الأصابع فتأخذها
 برؤس أظفارها ثم هب
 تلك أخذت الطعام باليد
 فمن أين يكفيل هذا ما لم
 يصل إلى المعدة وهي في
 الباطن فلا بد وان يكون
 من الظاهر دليل إليها حتى
 يدخل الطعام منه فجعل
 الفم منفذا إلى المعدة مع ما
 فيه من الحكم الكثيرة
 سوى كونه منفذا للطعام
 إلى المعدة ثم ان وضعت
 الطعام في الفم وهو قطعة
 واحدة فلا يتيسر ابتلاعه
 فتحتاج إلى طاحونة تطحن
 بها الطعام فخلق لك اللعجين
 من عظمين وركب فيهما
 الاسنان وطبق الاضراس
 من العليا على السفلى لتطحن
 بهما الطعام طحنا ثم الطعام
 نارة يحتاج إلى الكسر
 ونارة إلى القطع ثم يحتاج
 إلى طحن بعد ذلك فقسم
 الاسنان إلى عريضة
 وطواحين كالاضراس وإلى
 حادة قواطع كالرباعيات
 وإلى ما يصلح للكسر كالانياب
 ثم جعل مفصل اللعجين
 متخللا بحيث يتقدم الفك
 الأسفل ويتأخر حتى يدور
 على الفك الأعلى دوران
 الرمح ولولا ذلك لما تيسر إلا
 ضرب أحدهما على الآخر
 مثل تصفيق اليدين مثلا
 وبذلك

بعض أيضا اتصالا شديدا بعظام الرسغ حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة ببعض
 وصولها عن الحس وأما رؤس التي في الطرف الآخر فيبينها فخرج ما دامت الأصابع منفرجة وهي تنضم
 بانضمام الأصابع وأما عظام الأصابع اليدين فهي ثلاثون لكل خمسة عشر وكل أصبع مؤلف من
 ثلاثة عظام تسمى الانامل والسلاميات يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة تربط وكذا الانامل الان العظام
 الأول منه مربوط بالرسغ بالمشط كالاربعة الاخر وقيل هو متصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس
 لانه يحتاج إلى حركة واسعة ليلقي به الأصابع الرابع (ثم خلق لها أظفار) وهي امام العظام واما
 أجسام عظمية موصولة بالسلاميات الاخيرة من الأصابع مربوطة مع اللحم والجلد برباطات من جنس
 الاوتار وقد بصير اليها عصب ووريد وشرائيات يؤدي إليها الحياة والغذاء (وأسند اليها رؤس الأصابع
 حتى لا تتفتت) ولانهم عند الشد على الشيء هذا أحد منافع الاظفار (و) الثانية من منافعها (حتى تلتقط
 بها الأشياء الدقيقة) الصغيرة (التي لا تحويها الا الأصابع فتأخذها برؤس أظفارها) والمنفعة الثالثة
 ان تتمكن من الحلق والتنقية والرابعة ان تكون سلاحا في بعض الاوقات واليه يشير ما ورد في الخبر
 وأما الظفر فدى الحبشة والثلاثة الأولى أولى بنوع الانسان والرابعة يبيع بعض الحيوانات ولذا وردت السنة
 في تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الاطراف من عظام لينية لتتطامن تحت ما يصا كلها فلا تنصدع
 وخلقت نائمة دائما وفي كل ذلك حكم خفية لا يعلمها الا الراسخون في العلم (ثم هب انك أتخذت الطعام
 باليد فمن أين يكفيل هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دليل إليها حتى
 يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا للطعام إلى المعدة مع ما فيه (من الحكم الكثيرة) ما بين
 ظاهرة وخفية (سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة) وأجلها النطق الذي هو سبب السعادات كلها
 (ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو) أي الطعام (قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه) لضيق المدخل
 (فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللعجين من عظمين) هذا على الاجال وبالنفصيل فعظام
 اللحي الأعلى أربعة عشر ستة في العيين لكل ثلاثة واثنتان في الوجنتين وهما كبيران (وركب فيهما)
 أكثر (الاسنان) سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنتان صغيران وفيهما ثعبتان من المخربين إلى الفم
 واثنتان في طرف اللحي وفيهما بقية الاسنان واثنتان في الانف وأما عظام اللحي الأسفل فطرف كل
 منهما من أسفل في موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوقه شعبتان (وطبق الاضراس من العليا على
 السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام نارة يحتاج إلى الكسر ونارة إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن
 بعد ذلك فقسم الاسنان إلى عريضة وطواحين كالاضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح
 للكسر كالانياب) اعلم ان الاسنان اثنتان وثلاثون وفي كل لحي ست عشرة أربعة من قدام وهي الثنيتان
 والرباعيتان ويقال لها القطاعة اذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين وهي عراض حادة الرؤس واثنتان
 من جانبي الاربعة ويقال لهما الثنايان وهما حادة الرؤس عريضة الاصول يكسرها ما ماصلب من الطعام
 ولكل من هذه الست أصل واحد وخمس في كل من الجانبين وهي عراض خشنة الرؤس وتسمى الاضراس
 والطواحين لانها تطحن الطعام وتسحق ولكل منها اذا كان من فوق ثلاثة أصول وقد يكون لاقصاها
 أربعة وان كان من أسفل أصلا وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول وانما جعل أصول الاضراس أكثر
 لشدة عملها ودوامه وانما جعل أصول الوجوانية منها أكثر من أصول الثنيتان لتعلقها ورجوعها
 النواجز منها في بعض الناس وهي الاربعة الطرفانية فتكون اسنانه ثمانية وعشرين والنواجز ذنبت
 في الأكثر في وسط زمان النمو وهو بعد البلوغ إلى الوقوف وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك
 تسمى أسنان الختم (ثم جعل مفصل اللعجين متخللا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على
 الفك الأعلى دوران الرمح ولولا لما تيسر الا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

لا يتم الطعن في عمل اللحي الأسفل من غير حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحي صنعه الخلق
 فثبت منه الحجر الأسفل ويدور (١٠٨) الأعلى الا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى اذ يدور ومنه الأسفل على الأعلى فسبحانه

لا يتم الطعن في عمل اللحي الأسفل من غير حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك (أي ان الثنايا
 والرباعيات تنماس وتتلاقى في حالة العض ولولم يكن كذلك لم يتم العض على الاشياء وذلك يكون بجذب
 الفك الى قدام حتى يلاقى بعضها بعضاً وعند المضغ والطعن يرجع الفك الى مكانه فتدخل الثنايا
 والرباعيات السفليات الى داخل وتعيد عن موازاة العالية فيتم بذلك للاضراس وقوع بعضها على بعض
 وذلك لانه لا يمكن عن تلاقى الثنايا والرباعيات التي في اللحي الأعلى وفي اللحي الأسفل ان تتلاقى الاضراس
 (فانظر الى عجيب صنع الله تعالى) وبديع حكمته (فان كل رحي صنعه الخلق فثبت منه الحجر الأسفل
 ويدور الأعلى) ولو تحرك الأسفل لفسد (الا هذا الرحي الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الأسفل على
 الأعلى) وسر ذلك ان الله تعالى قد وضع خزائن الحواس في اللحي الأعلى فلودار الفك الأعلى خفيف من
 تطرق الخلل والفساد على تلك الخزائن وقد استثنى مما ذكر التماسح فقد قالوا كل حيوان يتحرك فكفه
 الأسفل عند المضغ الا التماسح (فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك وضعت
 الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ماتحت الاسنان أو كيف تستجبره الاسنان الى نفسها وكيف
 ينصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان) وركبه من لحم وعروق وشريانات
 وعصب حساس وغشاء متصل بغشاء المريء (فانه يطوف في جوانب الفم وبرد الطعام من الوسط الى
 الاسنان بحسب الحاجة) الى طعن أو كسر أو مضغ (كالجحفة التي ترد الطعام الى الرحي) وذلك ان
 جوهره لحم أبيض رخو مجمل بالغشاء المذكور وقد التففت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمر لونه
 وتحت عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم (هذا مع ما فيه من فائدة
 الذوق) اذ موضع قوته العصب المفرش عليه (وبجانب قوة النطق) وهي القوة الانسانية التي يكون
 بها الكلام (والحكم التي لسانا تطب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر
 على الابتلاع) والازداد (الابان يتزلق الى الخلق) وهو الفضاء الذي في أقصى الفم وفيه مجريان أحدهما
 قصة الرئتين والثاني المريء ولا يكون التزلق الا (بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان
 عينا يفيض اللعاب منها) وهما فوهتان وهما ساكنتا اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله الندادة
 الطبيعية (و) هذا اللعاب (ينصب بقدر الحاجة حتى يتجنب به الطعام فانظر كيف مخرها له هذا الامر
 فانك ترى الطعام من بعد فيشور الحنك للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداً فك الطعام بعد
 بعيد عنك ثم هذا الطعام المطعون المنجمن من بوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا
 في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هباً الله تعالى المريء والخجيرة) فالمرء هو منفذ الطعام
 والشراب متصل بالخلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأغشية والخجيرة مؤلفة
 من غضاريف ثلاثة (وجعل على رأسها طبقات) منها داخلية وهي شبيهة بالأغشية ومنها خارجة وهي
 أكثر جسمية (تنفتح لاختذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطة فتتهوى الى المعدة في دهليز
 المريء) واعلم ان في الخجيرة رطوبة دسمة لزجة كائنة في تضاعيف غضاريف الخجيرة بها يكون الصوت
 صافياً فاذا عرض لاحد حتى محرقه تحترق تلك الرطوبة فلا يقدر على اخراج الصوت وكذا من تكلم كثيراً أو
 سافر في هواء حار يابس فانهم لا يقدر ان على التكلم الا اذا بلال حلقهم بالماء أو بشئ آخر رطب (فاذا)
 ورد (طعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لهما وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل

ما أعظم شأنه وأعز سلطانه
 وأتم برهانه وأوسع امتنانه
 ثم هب انك وضعت الطعام
 في فضاء الفم فكيف يتحرك
 الطعام الى ماتحت الاسنان
 أو كيف تستجبره الاسنان
 الى نفسها وكيف يتصرف
 باليد في داخل الفم فانظر
 كيف أنعم الله عليك بخلق
 اللسان فانه يطوف في
 جوانب الفم وبرد الطعام
 من الوسط الى الاسنان
 بحسب الحاجة كالجحفة
 التي ترد الطعام الى الرحي
 هذا مع ما فيه من فائدة
 الذوق وبجانب قوة النطق
 والحكم التي لسانا تطب
 بذكرها ثم هب انك قطعت
 الطعام وطحنته وهو يابس
 فلا تقدر على الابتلاع الا
 بان يتزلق الى الخلق بنوع
 رطوبة فانظر كيف خلق
 الله تعالى تحت اللسان
 عينا يفيض اللعاب منها
 وينصب بقدر الحاجة
 حتى يتجنب به الطعام فانظر
 كيف سخرها لهذا الامر
 فانك ترى الطعام من بعد
 فيشور الحنك للخدمة
 وينصب اللعاب حتى تتحلب
 أشداً فك الطعام بعد
 بعيد عنك ثم هذا الطعام
 المطعون المنجمن من بوصله
 الى المعدة وهو في الفم ولا

تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هباً الله تعالى المريء والخجيرة وجعل
 على رأسها طبقات تنفتح لاختذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطة فيتهوى الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على
 المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لهما وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل

لابد وأن يطبخ طبخا تاما تشابه اجزائه نخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابس فيها حتى يتم الهضم والنضج اعلم ان المعدة جسم مستدير الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين وهي مؤلفة من طبقتين والطبقة الظاهرة الحية وكلما بعدت المعدة عن المريء اتسعت وصار المريء كالعنق ولها من أسفل ثقب أضيق من فيها يسمى البواب وعند اشتغال المعدة على الغذاء وانضمامها يتغلق البواب بحيث لا يخرج عنه أصلا حتى المساء الى أن يتم الهضم ثم ينفتح ليصير ما في المعدة الى الامعاء الاثنى عشر ويبقى مفتوحا الى أن يتم فعل الدافعة ومبدأ الاتساع يسمى فم المعدة وهو عندما ينقطع عظام القص وهو عار عن اللحم وباقيه هو العضو المسمى بالمعدة وموضعها فوق السرة وهي مربوطة مع الطقار ومع غيرها من الاحشاء باربطة وثيقة تمسكه وكذا يجتمع الاحشاء قد أحكم ربطها ودعائها بقدر ثمرتها وشدة الحاجة اليها والحواف عليها فاذا ورد الغذاء في البطن ثم ضمه الطبيعة هضمها أربعة أي تعدده لان يصير جزأ من البطن وابتداء الهضم الاول عند المضغ بسبب ان سطح الفم متصل بسطح المعدة بل لانها مسطح واحد وفيه منه قوة هاضمة فاذا لاقى المضغ حاله حاله تاما ويبقى على ذلك الريق المستفيد بالنضج الواقع فيه حرارة غريزية ثم اذا ورد على المعدة انضم الهضم التام الاول لبحرارة المعدة وحدها بل (وبالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة) ايضا (اذ من جانبها الايمن الكبدة ومن الايسر الطحال) فان الطحال قد يسخن به لاجوره بل بالشرايين والاوردة الكثيرة التي فيه (ومن قدام التراب) الشحمي القابل للحرارة المؤديها الى المعدة (ومن خلف لحم الصلب) أي العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة ومن فوق القلب بتوسط تسخينه للحجاب لانه حاجز بين القلب والمعدة فهو يسخن الحجاب ثم يسخن الحجاب المعدة ومن تحت المراتة بما فيها من الصغراء (فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير) بذاته في كثير من الحيوان كجوارح الصيد والجل والحية من غير شرب ماء ومعونة ما يتخالطه من المشروب في أكثره (ماتعاشا بها) أي كياوسا وهو جوهري سبال (يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير) وهو الكشك الشخين (في تشابه اجزائه وهو بعد لا يصلح للتغذية) اعلم ان جسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات احدها يأخذ ليفة طولا والثانية يأخذ ليفة عرضا والثالثة يأخذ ليفة ورابا وليس في المريء ليف موزن لعدم الاحتياج الى المساكسة هنالك ويوجد اللحم في الطبقة الخارجة عند فم المعدة أكثر ليكون أسخن فيجود الهضم وذلك ان قعرها بعيد عن القلب والكبد المسخنين بالمجاورة فاحتيج الى فضل تسخين وقد وصل الى فم المعدة شعبة من عصب الحس وانبط فيه وبواسطته يدري ألم الجوع والحاجة الى الغذاء ولهذا لا يحس بالمجوع الا في فم المعدة والشريان والاحجوف قد أتيامن القلب والكبد الى محدد المعدة ونسجت شعرا بعضها ببعض وأصل الشرب وهو عضو مؤلف من طبقتين غشائيتين يراكب احدهما على الاخرى وتخلل بينهما شحم كثير وشعب دقاق في العروق والشرايين اذ هو يتدنى من فم المعدة ويمر منها الى المعاء قولون وانه كجراب لواعى شبا سبالا لاسكه وتتمسح طبقاته من الصفاق ومن شطاي العروق والشرايين ثم تترشح اليها رطوبة لزجة دهنه هي الشحم وهو كبطانة للصفاق وظهارة للمعدة ومنفعتها تقوية الاحشاء وتسخينها وفوق الشرب غشاء قوي يسمى الصفاق يحفظ الامعاء على أوضاعها وفوق الصفاق تكون عضلات البطن المسماة بالمرق والصفاق والمرق يحفظان حرارة الاحشاء وقد نبت أصل الصفاق من فوق الحجاب ثم انبسط الى الاضلاع من داخل البطن ثم نزل الى أسفل المثانة وهناك يوجد فيه منفذان ضيقان تنفذ فيهما العروق والرياطات النازلة الى الاثني عشر وقد ظن بعض الناس ان المعدة تغذى من الكيلوس وهو خطالان الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير الى الكبد وينضم فيها ويستحيل الى الدم وباقي الانحلال ثم يختر الم عنهما كما فيكون غذاء للاعضاء

لابد وأن يطبخ طبخا تاما
حتى تشابه اجزائه نخلق
الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فيقع فيها الطعام
فتحتوى عليه وتغلق عليه
الابواب فلا يزال لابس فيها حتى
يتم الهضم والنضج بالحرارة
التي تحيط بالمعدة من الاعضاء
الباطنة اذ من جانبها الايمن
الكبد ومن الايسر الطحال
ومن قدام التراب ومن خلف
لحم الصلب فتتعدى الحرارة
اليها من تسخين هذه
الاعضاء عن الجوانب حتى
ينطبخ الطعام ويصير مائعا
متشابها يصلح للنفوذ في
تجاويف العروق وعند ذلك
يشبه ماء الشعير في تشابه
اجزائه ورقته وهو بعد
لا يصلح للتغذية

خلق الله تعالى بينهما وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد (يشير إلى أن ذلك الكبد ليس بقلب بل كبد) ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد ودافعة المعدة والأمعاء من أواخر المعدة ومن الأمعاء فيندفع من طريق العروق المسماة بأساريقا وهي عروق دقاق صلاب متصلة بالأمعاء كلها وتأخذ المعدة إلى العروق المسمى بباب الكبد وينفذ في الكبد في أجزاء وفروع للباب داخله متصغرة متضائلة كالشعر ملازمة لفوهات أجزاء أصل العروق الطالع من هدية الكبد (والكبد جسم) مركب من اللحم والعروق والشرايين والغشاء الذي يسترها ويحفظها على وضعها وليس لها في نفسها حس لكن أغشائها حس كثير (مجموع من طينة الدم) أي لونه ولجه شبيه بالدم الجاسم (حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد) فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له قضيح آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء الآن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلان كما يتولد في جميع ما يطبخ وهو الغذاء أولا (والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء) أي في كل انطباخ مثل هذا الكبد يحصل شيء كالرغوة وشئ كالرسوب وربما كان منهما ما ينشأ إلى الاحتراق أن أفرط الطبخ أو شئ كالقبح أن قصر الطبخ فالرغوة هي الصفراء والرسوب هو السوداء وهما طبيعيتان والمحترق لطيفة صفراء محترقة وكثيفة سوداء ردية وهما غير طبيعيتين وأما الشئ المتصفي من هذه الجملة فتخرجها وهو الدم ثم الصفراء أما طبيعيتان وهي رغوة الدم حرارة اللون ناصعته بحيث تضرب إلى صفرة كشر الزعفران فإذا تولدت في الكبد انقسمت قسمين قسم يذهب مع الدم ليخالط الدم في تغذية الأعضاء التي يستحق أن يكون في غذائها جزء صالح من الصفراء مثل الرئة ويأطف الدم لينفذ المسالك الضيقة وقسم يتصفي إلى المرارة ليخلص البدن من الفضل ويغذى المرارة وإن ينصب منه قسط من المرارة إلى الأمعاء ليغسلها من الثفل والبليغ اللزج وإلى عضل المعدة ليحس بالحاجة إلى التبرز وأما غير طبيعية أما اختلاطها بالبليغ الغليظ وهي الحمية وأما الاحتراقها في نفسها وهي الرمادية وهذان الصنفان يعرفان بالصفراء المحترقة والثاني منهما ينقسم إلى كراش وزنجارى ولكل منهما أحكام وهما إنما يتولدان في المعدة غالبان وقد ينصبان من العروق والكبد إلى المعدة نادرا (ولم تفضل عنهما الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عناقيد ودوا إلى الكبد داخل في تحويه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداء فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لافيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

والله أشار المصنف بقوله (خلق الله تعالى بينهما وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد) يشير إلى أن ذلك الكبد ليس بقلب بل كبد) ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد ودافعة المعدة والأمعاء من أواخر المعدة ومن الأمعاء فيندفع من طريق العروق المسماة بأساريقا وهي عروق دقاق صلاب متصلة بالأمعاء كلها وتأخذ المعدة إلى العروق المسمى بباب الكبد وينفذ في الكبد في أجزاء وفروع للباب داخله متصغرة متضائلة كالشعر ملازمة لفوهات أجزاء أصل العروق الطالع من هدية الكبد (والكبد جسم) مركب من اللحم والعروق والشرايين والغشاء الذي يسترها ويحفظها على وضعها وليس لها في نفسها حس لكن أغشائها حس كثير (مجموع من طينة الدم) أي لونه ولجه شبيه بالدم الجاسم (حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد) فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له قضيح آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء الآن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلان كما يتولد في جميع ما يطبخ وهو الغذاء أولا (والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء) أي في كل انطباخ مثل هذا الكبد يحصل شيء كالرغوة وشئ كالرسوب وربما كان منهما ما ينشأ إلى الاحتراق أن أفرط الطبخ أو شئ كالقبح أن قصر الطبخ فالرغوة هي الصفراء والرسوب هو السوداء وهما طبيعيتان والمحترق لطيفة صفراء محترقة وكثيفة سوداء ردية وهما غير طبيعيتين وأما الشئ المتصفي من هذه الجملة فتخرجها وهو الدم ثم الصفراء أما طبيعيتان وهي رغوة الدم حرارة اللون ناصعته بحيث تضرب إلى صفرة كشر الزعفران فإذا تولدت في الكبد انقسمت قسمين قسم يذهب مع الدم ليخالط الدم في تغذية الأعضاء التي يستحق أن يكون في غذائها جزء صالح من الصفراء مثل الرئة ويأطف الدم لينفذ المسالك الضيقة وقسم يتصفي إلى المرارة ليخلص البدن من الفضل ويغذى المرارة وإن ينصب منه قسط من المرارة إلى الأمعاء ليغسلها من الثفل والبليغ اللزج وإلى عضل المعدة ليحس بالحاجة إلى التبرز وأما غير طبيعية أما اختلاطها بالبليغ الغليظ وهي الحمية وأما الاحتراقها في نفسها وهي الرمادية وهذان الصنفان يعرفان بالصفراء المحترقة والثاني منهما ينقسم إلى كراش وزنجارى ولكل منهما أحكام وهما إنما يتولدان في المعدة غالبان وقد ينصبان من العروق والكبد إلى المعدة نادرا (ولم تفضل عنهما الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عناقيد ودوا إلى الكبد داخل في تحويه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية وتجذب الطحال العكر السوداء فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لافيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا إلى الأعضاء

الغليظة بواسطة الحدة وأما الطحال فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان يخفف اللحم كد اللون وهو وعاء السوداء وبالوعته وموضع في الجانب الايسر من ضلوع الخلف والمعدة ويلزم المعدة من جانب وضلع الخلف من آخره تحت المعدة وقدر يطرأ بط متصلة بالغشاء الذي عليه وجعل متخللا يستقر السوداء المتجذب اليه في تضاعفه وجعل فيه الشرايين الكثيرة وينبت عنه قناتان احدهما عن طرفه ويتصل بالكبد عند تقعره والثانية من داخله وتتصل بالمعدة وبها يتدفق شئ من السوداء الى المعدة لتنبيه شهوة الطعام ثم ان الدم بعد ما دام في الكبد يكون ارق مما ينبغي لفضل المائية المحتاج اليها الترقيق الكيلوس وتنفيذه في المسالك الضيقة وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فيجذب عنه في عرق نازل الى السكيتين واليه أشار المصنف بقوله (خلق الله سبحانه السكيتين وأخرج من كل واحدة) منها (عقفا طويلا الى الكبد) وكل منهما مركب من لحم مكثرت صلب قليل الحرة وعروق وشرايين وهما موضوعتان عن جنبتي خرز الصاب بالقرب من الكبد اليمنى وشكلهما كمنصف دائرة ومجدهما الى طرف خرز الظهر ليمتكن الانسان من الانحناء بسهولة وجوهرهما من دمج صلب ثلاثينغذ فيهما لا الماء الرقيق ومزاجهما ميل الى البرودة والرطوبة بسبب الاوردة والشرايين فيهما وتتكسر بذلك حدة الصفراء النازلة اليهما مع الماء فلا تحرق المثانة اذا نزلت اليها ولا حس لهما كالثلاثي يحس الصغراء المزوجة بالماء النازل اليهما فيحفظ الماء ريثما ينطج فينضم قدروا من الدم المخاط لذلك ايضا بحيث يصلح لان يكون غذاء لهما (ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخل في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد) وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره (حتى يجذب مائتيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة) الشعرية (التي في الكبد اذلا يجذب قبل ذلك لغاظ ولم يخرج من العروق) فيغذي السكيتين الدسومة والدموية من تلك المائية ويندفع باقيا الى المثانة والاحليل (فاذا انفصلت منه المائية) الفضلية عن الدم عند خروجه من الكبد (فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيان كل ما يفسد الغذاء) وصارت المائية الى هذين المنفذين فتجذبهما السكيتان فيكون الغذاء الواصل الى الاعضاء بلامائية فضلية والثاني من كل منهما يمر مستقلا حتى يصل بالمثانة وينسجمان الحالبين وهما مجرى البول وانما جعل السكيتان اثنتين لان أكثر أعضاء البدن زوج والدماع ينقسم بقسمين وكذا الاعصاب والعضلات والعروق والشرايين فكان البدن بدنان وان كان في الحقيقة واحدا فجعل السكيتين اثنتين ليعمل كل منهما عمله من جانب ولما كان القلب أشرف الاعضاء وكذا الزئفة لانها خادمة للقلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وانضج من غذاء جميع الاعضاء فلها قدر الخالق تعالى شأنه ان العرق الذي يصل غذاء هذين العضوين اليهما نزل من الكبد الى السكيتين ونفذ فيهما ثم خرج منهما ورجع الى فوق لتجذب السكيتان بقوتهما المصاصة المائية المصاحبة للدم الذي فيهما الغذائية هذين العضوين الشريفيين ولينضج الدم المذكور في هذه المسافة الطويلة ويتصل غذاؤهما اليهما صافيا نضجا (ثم ان الله تعالى اطاع من الكبد عروقاً قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم يشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها) بعد اندفاعه في العرق العظيم الطالع من حدة الكبد المسمى بالاجوف فيسلك في الاوردة المتشعبة منه ثم في جداول الاوردة ثم في سواقي الجداول ثم في راض السواقي ثم في العروق الشعرية الكثيفة فينضم بالهضم الثالث (ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية) أي كهية الشعر في الدقيقة (كعروق الاوراق) الظاهرة فيها (والاشجار) المستبطانة في الارض (بحيث لا تدرك بالابصار) لدقتها وخفائها (فصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء) فيحصل لتصيب كل عضو عنده هضم رابع (ولو حل بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصغراوية) وذلك بان يتفق قصور في جذب الصفراء من الكبد بدم الكبد

خلق الله سبحانه السكيتين
وأخرج من كل واحد
منهما عقفا طويلا الى
الكبد ومن عجائب حكمة
الله تعالى أن عنقهما ليس
داخل في تجويف الكبد
بل متصل بالعروق الطالعة
من حدة الكبد حتى
يجذب مائتيها بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التي في
الكبد اذلا يجذب قبل
ذلك لغاظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه
المائية فقد صار الدم صافيا
من الفضلات الثلاث نقيان
من كل ما يفسد الغذاء ثم ان
الله تعالى اطاع من الكبد
عروقاً قسمها بعد الطلوع
أقساما وشعب كل قسم
يشعب وانتشر ذلك في البدن
كله من الفرق الى القدم
ظاهرا وباطنا فيجري الدم
الصافي فيها ويصل الى سائر
الاعضاء حتى تصير العروق
المنقسمة شعرية كعروق
الاوراق والاشجار بحيث
لا تدرك بالابصار فيصل منها
الغذاء بالرشح الى سائر
الاعضاء ولو حل بالمرارة آفة
فلم تجذب الفضلة الصفراوية
فسد الدم وحصل منه
الامراض الصغراوية

كالهق والجذام والمالبخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلال حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمه الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الخسيسة أما المرارة فانها تجذب باحد عنقها وتنفذ بالآخر الى الامعاء ليحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلفة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق وتكون صفرة لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه جحوضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهاو يشيرها ويخرج الباقي مع الثفل وأما الكلى فانها تغذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي أعدت للاكل ولود كرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والذماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق اضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من

فترتفع الصفراء في الكبد فحدثت الجيمات الحادة وان اتفق دفعها الى اعضاء البول قبل الوقت اللائق بذلك حدثت قرحة المثانة وحرقتها وان تفرقت في جميع البدن حدثت امراض (كالبرقان) وهو محرقة تغير فاحش في اللون الى صفرة أو سواد أو هماما بجريان الخلط الى الجلد (البثور) وهي من جنس الاورام وهي أنواع ومنها صفراوية كالنملة (والجرمة) والنار القارسية وان نزلت الى الامعاء تولد السجج والاسهال الصفراوى (وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداء) الحمامض العفص لضعفه (حدثت الامراض السوداء) في البدن (كالهق) الاسود (والجذام والمالبخوليا وغيرها) كالقوبا والدوالي وداء الفيل وان قصر في الجذب فلم يستوف ما ينبغي جذبته تولد ورم الكبد وسقوط شهوة الطعام وان اندفع الى المعدة أكثر مما ينبغي تولد الشهوة السكبية وان كان فيما يجذب الى المعدة جحوضة من غير عفوصة تولد الغثيان فان كان كثيرا تولد القيء وان نزل ذلك أى الحمامض من المعدة الى الامعاء تولد السجج السوداء المهلك (وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره) من الامراض اذا الماء لا يصلح للغذائية بل هو مركب الغذاء أعنى الدم فاذا انفصل عن الدم زالت الحاجة اليه وكل شئ زالت الحاجة اليه اذا بقي في البدن يتولد منه مرض (ثم انظر الى حكمه الفاطر الحكيم) جل شأنه (كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة) وهي الصفراوية والسوداوية والبالغمية (فاما المرارة) التي هي وعاء الصفراء فانها تجذب باحد عنقها وتنفذ بالآخر الى آخر الامعاء قد تقدم ان المرارة عضو عصباني ذو طبقة واحدة وله منفذان أحدهما هو الجاذب للصفراء والثاني ينقل فيه الصفراء ثم يصير الى الامعاء الاثني عشر ثم الى الامعاء الاخر (فيحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلفة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق) وتنظف الامعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة (وتكون صفرة لذلك) وقد سمي المصنف هذين المنفذين عنقين وهما عند اطباء منفذان قالوا في بعض النامس يوجد منفذ آخر صغير منها الى فم المعدة ينقل فيه بعض من الصفراء فيدخل المعدة وقد يكون هذا المنفذ في بعض الناس كبيرا حتى يكون أكبر من المنفذ المتصل بالمعى المذكور فهذا السبب ينصب في المعدة صفراء كثيرة وصاحبه يكون دائما مبتلى بمرارة الظم وسوء الهضم وفساد الغذاء في المعدة والدوار وبؤسة الطبع والغثيان (وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه جحوضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهاو يشيرها) أى يحركها (ويخرج الباقي مع الثفل وأما الكلى فانها تغذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة) من الحالبين ويسميهما الاطباء ابرنجين ثم في الغذاء جوهرا صالحا لان يتشبه بالغذاء وجوهرا غير صالح له وهو الفضلة ففي كل هضم يحصل فضلة فضلة الهضم الاول تندفع الى طريق الامعاء وهي البحر وفضلة الهضم الثاني يندفع أكثرها بالبول وباقيها من الطحال والمرارة وفضلة الهضمين الآخرين يندفع بالتحلل الذي لا يحس بالعرق والوسخ الخارج من منافذ طبيعية محسوسة كالانف والاذن وغير محسوسة كالسسام أو خراجة عن الطبع كما في الاورام المنفجرة والبثرات والجدرى وبما ينبت من زوائد البدن كالشعر والظفر (ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي أعدت للاكل ولود كرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والذماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وكل ذلك محتاج اليه لا كل ولا مورا آخر سواه) ومجل القول في العروق ان الكبد مقر الباطن محجب الظاهر ويطلع من مجده عرق عظيم يسمى الاجوف لسعة تجويفه بالنسبة الى تجاوز ما سار يقاود ذلك

يسهل نفوذ الدم فيه وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جدا كالشعر مستقر فاذا طلع ليس يمر كبشر حتى ينقسم قسمين الاول وهو الاعظم يأخذ نحو أعالي البدن ليسقى الاعضاء العالية فيمر حتى يلاصق الجنب وينقسم منه هالك عرقان يتفرقان ثم ينفذ الجنب فاذا نفذت انقسمت منه عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بقسمين وبغلاف القلب وبالقوة المسماة بالغوثة وتفرقت فيها ثم يتشعب فيها شعبة عظيمة تتصل بالاذن اليمنى من اذن القلب وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام واذا جاوز القلب مر على استقامته الى ان يجاوز الترقوتين وينقسم حينئذ في مسلكه هذا شعب صغير في كل واحد من الجانبين يسقى ما يحاذيها ويخرج منها شعب الى خارج فيسقى العضل وعند محاذاته لا يبط يخرج منه الى خارج شعبة عظيمة يأبى اليد من ناحية الابط وهو المسمى بالباسليق فاذا حاذى الترقوتين الوسط منهما موضع اللبة انقسم قسمين قسم أخذ الى ناحية اليمين وقسم أخذ الى ناحية اليسار وانقسم كل منهما الى قسمين أحدهما ركب الكتف وجاء الى اليد من الجانب الوحشي وهو العرق المسمى بالقيغال والثاني انقسم الى قسمين في كل جانب وهما الوداج الغائر والوداج الظاهر ولا يتم ذبح الحيوان الا بقطع هذين ويتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغير ويسقى ظاهر العضد ومن الابطى شعب صغير يسقى باطنه فاذا قارب بمفصل المرفق انقسما فيكون منهما العرق المسمى بالاكل ومن الابطى العرق الذي بين البنصر والخنصر المسمى بالاسيلم والقسم الثاني من الاجوف يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الظهر أخذ الى الاسفل ويتشعب منه شعب يأبى لفائف الكل وأعشيتها ثم شعبتان يصيران الى الاثنين فاذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين أحدهما أخذ نحو الرجل اليمنى والثاني نحو اليسرى حتى اذا بلغا منشالركبة انقسم ثلاثة أقسام منها المابض والصافن وعرق النساء ويتشعب من كل منها شعب كثيرة فهذه معرفة العروق السواكن المسماة بالاوردة وأما الضواريب المسماة بالشرابين فنبتها التجويف الابر من القلب ويخرج من هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدي والثاني كبير جدا ويسمى الابهروفي الاوردة عرق مضاعف يسمى الوريد الشرياني وهو شعبة من الاجوف متصلة بالاذن اليمنى من أذن القلب كما تقدم ذكرها وهي أعظم عروق القلب لان سائر عروقه توصل اليه نسيم الهواء وهذا الوصل اليه الغذاء والابهروفي عند طلوعه يتشعب منه شعبتان احدهما تأخذ نحو أعالي البدن ويتشعب منها شعب صغير في العضد والثانية تصعد الى ظاهر الوجه والرأس وتتفرق فيما هنالك من الاعضاء الظاهرة وقد يظهر بعض هذه القسم خلف الاذن من الصدغ وأما الاعضاء فهى أجسام كثيفة متكونة من الرطوبات المحمودة وهي امامفردة أو مركبة فالمفردة هي التي أي جزء محسوس أخذت منها كان مشاركا لكل في الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاعضاء وهي العظام ثم الغضروف ثم الوتر ثم العصب ثم الوتر ثم الرباط ثم الاوردة وهي العروق السواكن ثم الاغشية ثم اللحم ثم الشحم ثم المنخ ثم الجلد ثم الشعر والمركبة هي التي تكون فيها أجزاء محسوسة متخالفة بالطبع والمزاج وتركبها اما ان يكون أوليا كالعضل لانه مركب من الاعضاء المفردة التي هي العصب والرباط واللحم والغشاء أو ثانيا كالعين لانها مركبة من الاعضاء المركبة التي هي الطبقات أو ثالثا كالوجه لانه مركب من الانف والحد وغيرهما وكل واحد منهما مركب ثانيا أو رابعا كالرأس فانه مركب من الدماغ والوجه والاذن ومن الاعضاء المركبة الاعضاء الرئيسة وهي القلب والدماغ والكبد والاثنين وأما العظام فحملتها مائتان وعثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظام الشبيهة باللام وسوى العظام الذي في القلب فانها عند بعض الناس من جنس الغضروف (بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته) على ما هو مودع في كتب التشريح (ولاشئ منها الا وفيه حكمة) واحدة (أو اثنتان أو ثلاث أو أربع الى عشرة وزيادة)

بل في الآدمي آلاف من
العضلات والعروق
والاعصاب مختلفة بالصغر
والكبر والدقة والغلظة
وكثرة الانقسام وقلته
شئ منها الا وفيه حكمة
اثنتان أو ثلاث أو أربع
الى عشرة وزيادة

وكل ذلك نعم من الله تعالى عليه لما لو سكن من جلتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتتوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه الا الاكل وهو أحسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والجار أيضا علم انه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي (١١٤) فيجامع ويستنفض فينفض ويرجع فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الجار فكيف تقوم بشكر نعمة

الله عليك بهذا الذي رزقنا اليه على الاجاز فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجال ما أهم لنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من تارة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك شئ من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكها وقواها بخار لطيف يتصاعد من البطن الاربع ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق والضراب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة وحس وادراك وقوة حركة أو غيرها اعلم ان الروح الاطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه وفائدة وجوده في البدن ان يكون حاملا للقوى حتى ينتقل ويحرق في البدن بتوسطه لان القوى لكونها من الاعراض لا تنقل بدون المحال ولذلك صار أصنافها كاصنافها فان الروح اذا تولد في القلب يسمى روحا حيوانيا لكونه عاملا للقوة الحيوانية فينفذ في الشرايين الى الاعضاء فيغذيها الحياة وخرصه صالح من هذا الروح يصعد الى الدماغ فيغيره الى مزاج أحذب بصر به روحا نفسانيا أي روحا صالحا لان يكون مر كبا للقوى النفسانية فتصير أفعالها عنه وخره ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني بصيرا الى جانب الكبر فيغيره تغيرا بصير به روحا طبيعيا أي روحا يستعد له بول القوى الطبيعية قصدا لأفعال منه وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني ثم يمكن ان يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس أحدها القوى الطبيعية والثانية القوى النفسانية والثالثة القوى الحيوانية ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفه لاجل الشخص وهي الغذائية والنامية ومنها ما هي متصرفه لاجل النوع وهي قوتان المولدة والمصورة والغاذية فتخدمها قوى أربع الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وأما القوى النفسانية فمنها حركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة وأما القوة الحيوانية فهي مبدؤ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروي اللطيف الى الاعضاء فهي (كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب ثم يحول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والغذاء كالبزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

الله عليك بهذا الذي رزقنا اليه على الاجاز فطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجال ما أهم لنا من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من تارة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك شئ من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكها وقواها بخار لطيف يتصاعد من البطن الاربع ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق والضراب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة وحس وادراك وقوة حركة أو غيرها كالمسرجة الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب ثم يحول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والغذاء كالبزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

جعل السراج سبيله بحكمته وهذا الخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب ثم يحول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفئيلة والغذاء كالبزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذو نور (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكان الفئيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تثبت به هذا البخار في القلب قد يحترق بفراط حرارة القلب فينطفئ من جود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تثبت النار به وكأن السراج نارة تنطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه ونارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساد القتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبته يكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب (١١٥) فكذلك انطفاء الروح وكان

السراج اذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيد منها من الروح وهي أنوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وبغائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مداداً لكتبت ربوبي لئن البحر قبيل أن تنفذ كلمات ربى الآيه (فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقاً لمن كفر بنعمته سحقاً) فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح (وكان السائل له عنه طائفة من اليهود) فلم يزدان قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم (على هذا الوجه) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القاب (فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح تطلق لمعان كثيرة لا تطيل بدكرها) وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب (ونحن انما وصفنا من جلتها جسمها لطيفاً) بخار ياتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه (تسميه الاطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به) وقسموه الى حيوانى ونفسانى وطبيعى (حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل ينظرون) منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة) فيزول الخدر (فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء) على الوجه الذى تقدم ذكره (وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل) الدرجة (وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن وذلك سر من أسرار الله تعالى) المكتومة التي لا يطلع عليها الا هو (لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها) ولا تختملها (بل تعبر فيها عقول

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تثبت به هذا البخار في القلب قد يحترق بفراط حرارة القلب فينطفئ من جود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تثبت النار به وكأن السراج نارة تنطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه ونارة بسبب من خارج كريح عاصف (بسبب من خارج كريح عاصف) أو باطفاء انسان (فكذلك الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساد القتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبته يكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب (١١٥) فكذلك انطفاء الروح وكان البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيد منها من الروح وهي أنوار الاحساسات (الظاهره والباطنة) (والقدر) وهي القوى (والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضاً رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وبغائب صنعته وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مداداً لكتبت ربوبي لئن البحر قبيل أن تنفذ كلمات ربى الآيه (فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقاً لمن كفر بنعمته سحقاً) يقال تعسا من حدثت به في نفسه فهو تعس ويقرأ هذا بالحركة وبالهمزة فيقال تعسا الله وأتبعه والسحق بالضم البعد يقال في الدعاء سحقاً له وبعداً) فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح (وكان السائل له عنه طائفة من اليهود) فلم يزدان قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم (على هذا الوجه) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القاب (فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح تطلق لمعان كثيرة لا تطيل بدكرها) وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب (ونحن انما وصفنا من جلتها جسمها لطيفاً) بخار ياتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه (تسميه الاطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به) وقسموه الى حيوانى ونفسانى وطبيعى (حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل ينظرون) منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة) فيزول الخدر (فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء) على الوجه الذى تقدم ذكره (وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل) الدرجة (وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن وذلك سر من أسرار الله تعالى) المكتومة التي لا يطلع عليها الا هو (لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها) ولا تختملها (بل تعبر فيها عقول

وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يففع السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما ترقى اليه معرفة الاطباء قاصره سهل نازل وأما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن وذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تعبر فيها عقول

أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتترزّل في ذكر مبادئ وصفها معاد العقول المقيدة بالجواهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل بشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية تنسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكل يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها ليحفظ جناب الحق بنور (١١٦) الايمان واليقين وذلك المشرب أعز من أن يكون شربة لسلك وارد بل لا يطالع عليه الا

واحد بعد واحد ولبجاب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رجب وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحفاظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا في خزنة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة الى هذا الامر الرباني كالسكره التي يحركها صولجان الملك بالإضافة الى الملك فمن عرف الروح الطي فظن انه أدرك الامر الرباني كان كمن رأى السكره التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في أن خطاه فاحش وهذا الخطأ أخف منه جدداً ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف يوم تترك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر

أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات) فانه من ادراكات السمع والبصر قاصرة عنه (وتترزّل في ذكر مبادئ وصفها معاد العقول المقيدة بالجواهر والعرض المحبوسة في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل بشرق ذلك في عالم النبوة والولاية) به تنكشف حقائقه (ونسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً) مختلفة (فلا يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها ليحفظ جناب الحق) تعالى (بنور الايمان واليقين) ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوة الايمان وضعفها (وذلك المشرب أعز من أن يكون شربة لسلك وارد بل لا يطالع عليه الا واحد بعد واحد) وفي نسخة الا واحد بعد واحد (ولجناب الحق) تعالى (صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رجب) أى واسع (وعلى أول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحفاظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل الى الميدان) وأن يكون من رجا له (فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه) معرفة كاية (لم يعرف ربه) وهو المفهوم من قولهم من عرف نفسه عرف ربه (وانى يصادف هذا في خزنة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى الذي يسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة الى هذا الامر الرباني كالسكره) في الميدان (التي يحركها صولجان الملك بالإضافة الى الملك فمن عرف الروح الطيبي وظن انه ادراك الامر الرباني كان كمن رأى السكره التي يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك في انه خطأ فاحش وهذا الخطأ أخف منه جدداً ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبم تترك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم) كما ورد ذلك في الخبر (ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى) قل الروح (من أمر ربى وأما فعله فقد ذكره في قوله تعالى) يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتى ولنرجع الا ان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آيات الاكل) والله التوفيق

(الطرف الرابع) (في) بيان (نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتضير صالحة لان يصلحها الاذى بعد ذلك بصنعتهم) ومعالجته (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الاطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه) أى متابعه (لا تنهاى) وذلك في كل طعام مما يطول) بيانه (فان الاطعمة) لا تتخلو (أما أدوية وأما فواكه وأما أغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل)

لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى من أمر ربى وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى ولنرجع الا ان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آيات الاكل (الطرف الرابع) في نعم الله تعالى في الاصول التي يحصل منها الاطعمة وتضير صالحة لان يصلحها الاذى بعد ذلك بصنعتهم) * اعلم أن الاطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متواليه لا تنهاى وذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما أدوية وأما فواكه وأما أغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل

ولنأخذ من جملة حاجته من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلوأكلتها فزيت وبقيت جافة فما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتريد وتضاعف حتى تنفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الخنطة من القوى ما يغذي به كإخلاق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغذية لانه يغذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم ترد لانه ليس يحيط بها الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم ترد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم ترد بل (١١٧) لا بد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه

بالارض فيصير طينا واليه
الاشارة بقوله تعالى فليستظر
الانسان الى طعامه أنا
صينا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبثقا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ثم
لايكفي الماء والتراب اذ لو
ترك في أرض ندية صلبة
مراكم لم تنبت لفقد الهواء
فيحتاج الى تركها في أرض
رخوة متخلخلة يتغلغل
الهواء اليها ثم الهوا
يتحرك اليها بنفسه فيحتاج
الى ريج تحرك الهواء
وتضربه بهور وعنف على
الارض حتى ينفذ فيها
والله الاشارة بقوله تعالى
وأرسلنا الرياح لواقح
القاحها في ايقاع الازدواج
بين الهواء والماء والارض
ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان
في برد مفرط وعشما شات
فتحتاج الى حرارة الربيع
والصيف فقد بان احتياج
غذائه الى هذه الاربعة
فانظر الى ماذا يحتاج كل

في قوام الابدان (ولنأخذ من جملة حاجته من البر) وهو أشرف الحبوب (ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلوأكلتها فزيت وبقيت جافة فما أحوجك الى أن تنمو الحبة في نفسها وتريد وتضاعف حتى تنفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حب الخنطة من القوى ما تغذي كإخلاق فيك) من تلك القوى (فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغذية لانه يغذي بالماء ويجذب الى باطنه بواسطة العروق) كما تغذي أنت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل لو أنك تركتها في البيت لم ترد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم ترد أيضا (بل لا بد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالارض فيصير طينا) رخوا (والله الاشارة بقوله تعالى) في جملة تعدد النعم (انما صينا الماء صبا) أي من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) ونسبة الشق اليه مجاز (فانبتنا فيها حبا وعنبا) وقضبا وزيتونا ونخلنا وحداثا قلوبا وكهوتا (ثم لايكفي الماء والتراب اذ لو تركت في أرض ندية) بالماء لكنها صلبة مراكم لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتخلل الهواء اليها ثم الهوا لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريج تحرك الهواء وتضربه بهور وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح أي ذات لقاح وقد اتفقت الريح السحاب (وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط أو شتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذا احتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها لغور العيون والانهار في الارض (فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار العالم وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة) اليه (وانظر كيف خلق الجبال حاظلة للمياه تتفجر منها العيون ندر يحافلون جت دفعة لغرق البلاد وهاك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما يزدان طبعها (فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقتها مع بعدها عن الارض) اذ هي في الفلك الرابع (مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد) يحصل (الحر عند الحاجة الى الحر فلهذا احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في القواكه انعقاد وصلابة

واحد اذا احتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار الارض وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حاظلة للمياه تتفجر منها العيون ندر يحافلون جت دفعة لغرق البلاد وهاك الزرع والمواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما يزدان فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقتها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فلهذا احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في القواكه انعقاد وصلابة

فتنقر إلى رطوبة تنبجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الغاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظلمتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف رأسك بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكم يرطب رأسك (١١٨) يرطب الفاكهة أيضا ولا تطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء

فتنقر إلى رطوبة تنبجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها أي يلونها ألوانا مختلفة (بتقدير الفاطر الحكيم) جل جلاله فالشمس طباخ والقمر صباغ (ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة) لا ينتفع بها (حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظلمتها شجرة كبيرة) حتى ان بعض أغصانها البارزة إلى السماء أحسن وتور من التي تحت الظلال (وتعرف ترطيب القمر بان تكشفه رأسك بالليل) عند نومك (فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام) وهو عندهم عبارة عن تحلب فضول رطبة من بطن الدماغ المقدمين إلى المخبرين (فكم يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا تطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخرنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا لم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا لعبين وكيانه ليس في أعضائك عضو الا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وأحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله (في أمور جعلت أسبابا بحكم الحكمة) الالهية (مخالف للشرع كما ورد فيه من المنهي عن تصديق المنجمين) روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أموراً كأنها صنعتها في الجاهلية كأنني الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث قال ابن الاثير في النهاية ان منهم من كان يسمى الطيب والمنجم كاهنا قلت وبهذا يتم الاستدلال بالحديث (وعن علم النجوم) روى أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند صحيح والبيهقي من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ولطبراني من حديث ابن مسعود وثوابان اذا ذكر النجوم فامسكوا واسنادهما ضعيف وقد تقدم قريبا في كتاب العلم (بل المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لا آثارها مستقلة بها وانما ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر) والآخر ان تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الانبياء قبل هوادريس وقيل هو دانيال (عليهم السلام) ثم اندرس ذلك العلم (وانما يحى بانقطاع نبوته وقد ورد مثل ذلك في الخطر روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله اني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالاسلام الى أن قال ومنار جال يحطون فقال كان نبي من الانبياء يحط فنوافق خطه فذلك (فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لا آثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل هو الحق) عند أهل الحق (ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين) اذ قد سد بابها بموت ذلك النبي الذي كان ذلك علما على

فقد سخرنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا لم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا لعبين وكيانه ليس في أعضائك عضو الا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وأحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من المنهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لا آثارها مستقلة بها وانما ليست مسخرة تحت تدبير مدبر

خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها نبوته لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك لعلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لا آثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قاذحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين

ولذلك اذا كان معك ثوب غسسته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغيير وجه الانسان فقال قرعتنى الشمس فى الطريق فاسود وجهى لم يلزمك تكذيبه بذلك وقسم هذا سائر الاثار الا ان الاتار بعضها (١١٩) معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز

دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطولع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى وهذا انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتلنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعهناه أن يترك أو يترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن فتح منتهى معرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته فله تعالى فى ملكوت السموات والآفاق والانس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال يطلب تصانيفه ليزداد بهز يد مشغولا بالوقوف على عجائب علمه فكل ذلك الامر فى

نبوته (وكذلك اذا كان معك ثوب غسسته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغيير وجه الانسان) أى عن انقلاب لونه (فقال قرعتنى الشمس) أى ضربتني بحرها أو أناسالك (فى الطريق) فأثرت (فاسود وجهى) وفيه يقول الشاعر جاء الحبيب الذى أهوى من السفر * والشمس قد أثرت فى وجهه أثرا

(لم يلزمك تكذيبه وقسم هذا سائر الاثار الا ان الاتار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ولا القول بحس ونحوه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطولع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر) عند تعرية الرأس (فان الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا الآية ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته) بحركة وهو ما أسبل من اللحية (ومعناه أن يقرأ أو يترك التأمل) فيها (ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن فتح منتهى معرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته) قال العراقي رواه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو خباب يحيى بن أبي سية ضعيف اه قلت ورواه عبد بن حديد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا فى التفكر وابن حبان فى صحيحه وابن عساكر من رواية عطاه قال قلت لعائشة أن خبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وقد تقدم ذكره قريبا فى بيان فضيلة الشكر وفى آخره ولم لأفعل وقد أنزل الله على هذه الآية أن فى خلق السموات والارض الآية ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقد أشار العراقي هناك أنه أخرجه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزى وروى الديلمي من حديث عائشة ويل لمن قرأ هذه الآية ثم لم يتفكر فيها يعنى ان فى خلق السموات والارض الآية وروى ابن أبي الدنيا فى التفكر عن سفیان رفته من قرأ آخر سورة آل عمران فلم يتفكر فيها ويله فعد بأصابه عشر اقبل للادعاء ما غاية التفكر فيه قال يقرؤه وهو يعقله (فله تعالى فى ملكوت السماء والآفاق والانس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبوب لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بهز يد الوقوف على عجائب علمه) وغرائبه (حباله فكل ذلك الامر فى عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه) وتركيبه على أبداع نظام (بل تصنيف المصنفين) من عباده (من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده) فانه الذى الهم ذلك وأرشده اليه (فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيده) وتوفيقه (وتعريفه) اياه ولولا ذلك لما تم له التصنيف (كما إذا رأيت لعب) بضم ففتح جمع لعبة (المشعوذ) وهى التى تعمل من خرق على هيئة بنى آدم (ترقص وتتحرك) وتقوم وتقع (حركة موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها خرق بحركة) يحركها غيرها (لا متحركة) بانفسها (ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحرك لها برابط) شعرية (دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركزوزة فيها ولا تتم الا بالافلاك الجبركانها

العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسيده وتعريفه كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها خرق بحركة ولا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ بالحرك لها برابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركزوزة فيها ولا تتم الا بالافلاك الجبركانها

ولا تتم حركاتها الا بملأئكة سماء وية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركا ذكرها تنبيه بما ذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات (الطرف الخامس) في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة فيتحول بينهم بينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون فاما (١٢٠) أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطع الطريق أو يعمون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين

ولا تتم حركاتها الا بملأئكة سماء وية يحركونها) بامر الله سبحانه (وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب) آخر (بعيدة) يتوقف عليها (تركها ذكرها تنبيه بما ذكرناه على ما أهملناه) أي تركها (ولنقتصر على هذا) القدر (من ذكر اسباب غذاء النبات) وبالله التوفيق

* (الطرف الخامس) * (في) بيان (نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم) أرشدك الله تعالى (ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض) شرقها وغربها وشمالها وجنوبها (وقد تبعد عنهم الاطعمة) ولا يمكنهم تحصيلها (وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شي بل يجمعون فاما أن تغرق بها) أي بتلك الاطعمة (السفن) ان كانوا في البحر (أو تنهبها قطع الطريق) ان كانوا في البر (أو يعمون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين) ظلموا وعدوانا (وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لوعرفوا) فانهم يمتنون موته لاجل المال (فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح وركبو الاخطار) أي الامور الصعبة (ويغرر وبالارواح في ركوب البحر فيعملون الاطعمة) أنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الجار كيف جعل صبوراً على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الاعباء أي الاحمال (الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليعملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج) ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعباً شديداً (وتحمل ما تحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاه ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها) الآن (طلبه لا يحجز) وبالله التوفيق

* (الطرف السادس) * (في) بيان (اصلاح الاطعمة اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخرى لا تخص واستقامة ذلك في كل طعام بطول فلنعين رغبة ما واحد ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستد برو يصلح لكل من بعد القاء البذر في الارض فأقول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان) وهو

وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لوعرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح وركبو الاخطار و يغرروا بالارواح في ركوب البحر فيعملون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الجار كيف جعل صبوراً على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوى المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليعملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج اليه الحيوانات

من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاه ذلك الخشب غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلباً لا يحجز * (الطرف السادس) في اصلاح الاطعمة اعلم أن الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخرى لا تخص واستقامة ذلك في كل طعام بطول فلنعين رغبة ما واحد ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستد برو يصلح لكل من بعد القاء البذر في الارض فأقول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان

وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناعات في إصلاح آلات الحرائث والطحن والخبز من نجار وحداد (١٢١) وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر

كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فشت علمت أن رغبوا واحداً لا يستدبر بحيث يصلح لكل واحد ما يمكنه ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدأر طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى أن الآلة التي هي آلة صغيرة فأنشأتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديد تصلح للآلة إلا بعد أن تمر على يد البري خمسة وعشرين مرة ويتعامل في كل مرة منها عمل فلولم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافترقت إلى عمل المنجل الذي تحصده البر مثلاً بعد نبأه أن فلان يرى كيف يهدي الله عبده الذي خلقه من نطفة قدرة أي متغيرة (لأن يعمل هذه الأعمال الجببية والصناعات الغريبة) وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحى إلهي من الملائكة والحق أو بالهام من الله تعالى في قلبه (فانظر إلى المقرض مثلاً وهو جليان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينتج الشئ معاً يقطعانه بسرعة) وأصل الجلم القطع ومنه الجلم محرك المقرض ويقال له أيضاً الجلمان بالتنبيه كما يقال فيه المقرض والمقرضان والقلم والقلمان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلم اسم واحد على إعلان كالشرطان والديوان وتجعل النون حرف إعراب ويجوز أن يبقيا على ما هما في إعراب المثني (ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ بعضه وكرمه لمن قبلنا) من أهل الحكمة (واقفنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر) بالآلة (والتي تحصل الآلات التي بها يعمل المقرض وغير

الخشب الذي يوضع على عنق الثورين (وجميع أسبابه) وآلاته (ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة معلومة (ثم تنقية الأرض من الحشيش) الذي ينبت في أصول الزرع فإن تركه مما يضعف قوة الزرع وقوة الأرض (ثم الحصاد) بالمناجل (ثم الفرك) حتى تخلص الحبة من قشرها (والتنقية) مما يجاوره (ثم الطحن) بين الحجرين (ثم العجن) بالماء (ثم الخبز) في النور (فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناعات في إصلاح آلات الحرائث والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس) منفرداً ومجموعاً (وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن) التي يستخرج منها كل ما ذكر (وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة فإن فشت علمت أن رغبوا واحداً لا يستدبر بحيث يبين يديك (يصلح لكل واحد ما يمكنه ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى (أي يسوق) (السحاب لينزل الماء) على الأرض التي أمر بها (إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدأر طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات التي بها تتم مصلحة الخلق) ويكمل نظامهم وقد تقدم أن أصول الصناعات التي لا قوام للعالم دونها أربعة الزراعة والحياكة والبناء والسياسة ومنها ما هي مرشحة لكل واحد وحده كالحداثة للزراعة والقضارة للحياكة ويدخل تحت كل قسم من ذلك أنواع لا تحصى وفي القوت يقال إن الرغيف لا يستدبر حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صنعة من السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض والأفلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصناعاتهم والبهائم ومعادن الأرض وأهلها ميكائيل الذي يكبل الماء من الخزائن فيطرقه على السحاب ثم السحاب التي تحملها وترسله ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق والمكان الذي يسوق السحاب وآخرها الخبز فإذا استدأر رغبه طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناعات فهذه كلها تتم في حضور رغبه فكيف يعمد إليه بما ورأه (حتى أن الآلة التي هي آلة صغيرة فأنشأتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك) في الوقت الشاق (لا تكمل صورتها من حديد تصلح للآلة إلا بعد أن تمر على يد البري) بكسر الهمزة ففتح منسوب إلى البر جمع الآلة (خمس وعشرين مرة ويتعامل في كل مرة منها عملاً) مستقلاً (فلولم يجمع الله تعالى البلاد) وفي نسخة العباد (ولم يسخر العباد وافترقت إلى عمل المنجل) بكسر الميم (الذي تحصده البر مثلاً بعد نبأه) وتنبهته لأن يحصد (لفد عمر) أي في ذهاب (وعجزت عنه أفلا ترى كيف يهدي الله عبده الذي خلقه من نطفة قدرة أي متغيرة (لأن يعمل هذه الأعمال الجببية والصناعات الغريبة) وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحى إلهي من الملائكة والحق أو بالهام من الله تعالى في قلبه (فانظر إلى المقرض مثلاً وهو جليان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينتج الشئ معاً يقطعانه بسرعة) وأصل الجلم القطع ومنه الجلم محرك المقرض ويقال له أيضاً الجلمان بالتنبيه كما يقال فيه المقرض والمقرضان والقلم والقلمان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلم اسم واحد على إعلان كالشرطان والديوان وتجعل النون حرف إعراب ويجوز أن يبقيا على ما هما في إعراب المثني (ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ بعضه وكرمه لمن قبلنا) من أهل الحكمة (واقفنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر) بالآلة (والتي تحصل الآلات التي بها يعمل المقرض وغير

(١٦) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) نطفة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال الجببية والصناعات الغريبة فانظر إلى المقرض مثلاً وهو جليان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فينتج الشئ معاً يقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذ بعضه وكرمه لمن قبلنا واقفنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقرض وغير

الواحد منا عرفه وأوفى أكمل القول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فاسبحان من ألحق ذوى البصار بالعميان وسبحان من منع التبين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلل بلدك عن الطعان مثلاً وعن الحداد أو عن الخجاء الذى هو أنس الأعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصنائع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فاسبحان من سخّر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنخرج القول فى هذه الطبقة أيضاً فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

(الطرف السابع فى اصلاح المصلحين) (١٢٢) اعلم أن هؤلاء الصنائع المصلحين لا طعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنازعت

طباعهم - تنافس طباع الوحش لتبديدوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يجوبهم مكان واحد ولا يجتمعهم غرض واحد فانظر كيف ألفت الله تعالى بين قلوبهم مواسط الانس والمحبة عليهم ولو أنفقت مائى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا واتلفوا وبنوا المدن والبلدور تبنوا المساكن والدور متقاربة متجاورة) بعضها يقرب بعض (ورتبوا الاسواق) لمعاملتهم (والخانات) اسكنى من يرد عليهم (وسائر أصناف البقاع) كالحمامات وغيرها (مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة) قد تزول باغراض يتزاحون عليها ويتنافسون فيها فى جبله الانسان الغيظ والحسد (والانفة) والمنافسة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتناظر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين (والمالوك والامراء) وأمدهم بالقوة (الظاهرة والعدة من السلاح وغيره) (والاسباب) والآلات (والتي رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً) ولم يخالفهم فيما يأمرهم (و) انظر (كيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء) وهم الامراء (والقضاة والشحن) جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد (وزعماء الاسواق) والمحلات وهم رؤساؤها (واضطروا الخلق) أى ألجؤهم (الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجاء ينتفع بالحراث والحراث بالخمير وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعله كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء) والرسل عليهم السلام (حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم) وترتيبهم (وكشفوا من أحكام الامامة

الواحد منا) دهر طويلا مثل (عمر فوح) عليه السلام (وأوفى اكمل القول لقصر عمره عن استنباط الطريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها) ويقال ان الحكيم الذى استنبط طريق عمل المقراض لما أتم عمله مات فرحاً (فسبحان من ألحق ذوى البصار بالعميان وسبحان من منع التبين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلل بلدك عن الطعان مثلاً وعن الحداد أو عن الخجاء الذى هو أنس الأعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصنائع ماذا يصيبك من الأذى) والتعب (وكيف تضطرب عليك أمورك كلها) ولا ينتظم حالك (فسبحان من سخّر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنخرج القول فى هذه الطبقة أيضاً فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء) وبالله التوفيق

(الطرف السابع) (فى بيان (اصلاح المصلحين اعلم) هذا الله تعالى (ان هؤلاء الصنائع المصلحين لا طعمة) خصوصاً (وبغيرها) عموماً (لوتفرقت آراؤهم وتنازعت طباعهم تنافس طباع الوحش لتبديدوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يجوبهم مكان واحد ولا يجتمعهم غرض واحد فانظر كيف ألفت الله تعالى بين قلوبهم) مع اختلاف أشكالهم وأجناسهم (وسائط الانس والمحبة عليهم ولو أنفقت مائى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا واتلفوا) وبنوا المدن والبلدور تبنوا المساكن والدور متقاربة متجاورة) بعضها يقرب بعض (ورتبوا الاسواق) لمعاملتهم (والخانات) اسكنى من يرد عليهم (وسائر أصناف البقاع) كالحمامات وغيرها (مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة) قد تزول باغراض يتزاحون عليها ويتنافسون فيها فى جبله الانسان الغيظ والحسد (والانفة) والمنافسة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتناظر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين (والمالوك والامراء) وأمدهم بالقوة (الظاهرة والعدة من السلاح وغيره) (والاسباب) والآلات (والتي رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً) ولم يخالفهم فيما يأمرهم (و) انظر (كيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء) وهم الامراء (والقضاة والشحن) جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد (وزعماء الاسواق) والمحلات وهم رؤساؤها (واضطروا الخلق) أى ألجؤهم (الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجاء ينتفع بالحراث والحراث بالخمير وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعله كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء) والرسل عليهم السلام (حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم) وترتيبهم (وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة

قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد

حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل وألزمهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الخجاء ينتفع بالحراث والحراث بالخمير وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجعله كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالجبار يخبر العجيب والطمعان يصلح الحب بالطمع والحرث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات الحرث والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصانع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم (١٢٣) والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا عن أن نطلع بعين الطمع الى الاحاطة بكنهه نعمه لتسوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عز لنناجكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تسكنا فبإذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانافي كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالجدة الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصح الله الانبياء بالملائكة وكيف أصح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى وهو اسرافيل عليه السلام (فالجبار يخبر العجيب والطمعان يصلح الحب بالطمع والحرث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات الحرث والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصانع) بعدله فهم (والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم) لما ورد العلماء ورثة الانبياء (والعلماء يصلحون السلاطين) كما قال القائل ان الملوك ليحكمون على الوري * وعلى الملوك لتحكم العلماء ونجمل القول في بيان السياسة أربعا ضرب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثاني سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة ودون باطنهم والثالث الحكم على حكمهم على باطن الخواص والرابع الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (والملائكة يصلحون الانبياء) عليهم السلام وهكذا الامر (الى أن ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب) جل شأنه (ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا) أي لاجلنا (لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمه الله تعالى ولولا عزله ايانا عن أن نطلع بعين الطمع الى الاحاطة بكنهه نعمه لتسوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء) وطلب الغايات (ولكنه تعالى عز لنناجكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تسكنا فبإذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانافي كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وهو اشارة الى مقام العارفين الذين ترقوا من حضيض المجاز الى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فراءوا بالمشاهدة العيانة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شئ هالك الاوجه ولم يبق غير هؤلاء الى قيام القيامة ليسمعوا النداء المذكور بل هؤلاء لا يفارق سمعهم أبدا (فالجدة الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار) وبالله التوفيق

(الطرف الثامن) * (في) بيان (نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) اعلم انه (ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهذايتهم وتبليغ الوحي اليهم) بالامانة (ولا تظن انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر) يقال اقصر واقتصر بمعنى واحد (بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسمائية وجملة العرش) قال المصنف في مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملائكية وجدت على ترتيب بعضها أعلى من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل عليهم السلام وان فيهم الاقرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم (فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء

نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام) * ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهذايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظن انهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسمائية ويوجه العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء

الذي ذكرناه دون ما يجاور ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى إلا بان يוכל به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبمائه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر ثم يصير لحما وعظما وأصارا لحما وعظما ثم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها بمجرد الطبع لا يكفي في تردها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خميرا ثم خبزا مستديرا ثم خبورا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة (١٢٤) وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار

الذي ذكرناه دون ما يجاور ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى إلا بان يוכל به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبمائه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الأمر) وذلك بعد الهضوم الأربعة على الترتيب الذي ذكرناه آنفا (ثم يصير ذلك الدم الحاصل من الغذاء) لحما وعظما ثم اغتذاؤك واللحم والدم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها بمجرد الطبع لا يكفي في تردها في أطوارها) السبعة (كما أن البر بنفسه لا يصير دقيقا ثم عجينا ثم خميرا ثم خبزا مستديرا ثم خبورا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعرقا وعصبا ومخا إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة) وقد اختلف في تفسير النعم الظاهرة والباطنة على أقوال وأشار إليها التاج السبكي في مفيد النعم وألف فيها الجلال السيوطي رسالة ذكر فيها ما أورده السبكي وزاد (فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه بل لا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يتخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسو صورة اللحم والعرق والعظم) والعصب (ولا بد من خامس يدفع الفضل الفضل عن حاجة الغذاء) إلى مخارج البراز (ولا بد من سادس يلقى ما كتسب صفة العظم بالعظم وما كتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرى المقادير في الاصاق فيلحق بالمستدبر ما لا يبطل استدارته وبالعرض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على نفسه لكبر أنفه وبطل تجويفه) اللائق به (وتشوهت) لذلك (صورته) الظاهرة فإن الجمال في الأنف (بل ينبغي أن يسوق إلى الاجتنان مع رقتها وإلى الخدقة مع صفاتها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يابق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والابطال الصورة) المعهودة (وربما) أي كبر وعظم (بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لولم يراع هذا الملك) الموكل (العدل في القسمة والتقسيم) بأن يعطي كل جزء قسطه الحقيقي به (فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الاحدى الرجلين مثلا لبعيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع به البتة فراعاه هذه الهندسة في بيان القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة ولا تظن ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه) كما ذهب اليه الطبائعيون (فإن محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول) فالقول له باطل كالقول بالتولد (فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يتخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسو صورة اللحم والعرق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلقى ما كتسب صفة العظم بالعظم وما كتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرى المقادير في الاصاق فيلحق بالمستدبر ما لا يبطل استدارته وبالعرض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على نفسه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقه بل ينبغي أن يسوق إلى الاجتنان مع

رقتها وإلى الخدقة مع صفاتها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يابق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والابطال الصورة ور ب بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لولم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الاحدى الرجلين مثلا لبعيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فراعاه هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم

على ترتيب معلوم لا يحيط
بكنهه الا الله تعالى وممدد
الملائكة لسماوية من
جملة العرش والمنعم على
جلتهم بالتأييد والهداية
والنسيب المهيمن القدوس
المنفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت جبار
السموات والارض مالك
الملك ذوالجلال والاكرام
والاخبار الواردة في الملائكة
الموكلين بالسموات والارض
واجزاء النبات والحيوانات
حتى كل قطرة من المطر
وكل سحاب ينجر من جانب
الى جانب أكثر من أن
تحصى فلذلك تركنا
الاستشهاد به فان قلت
فهلا فوضت هذه الافعال
الى ملك واحد ولم اقرر الى
سبعة أملاك والخطة أيضا
تحتاج الى من يطحن أولا
ثم الى من يميز عنه الفخالة
ويدفع الفضلة نائما ثم الى
من يصب الماء عليه الثالث
الى من يجبر رابعاهم الى من
يقطعه كرات مدورة
خامسهم الى من يرقها رغفانا
عريضة سادسهم الى من
يلصقها بالنور سابعا
ولكن قديولى جميع ذلك
رجل واحد وبسته قل به
فهلا كانت أعمال الملائكة
باطنا كاعمال الانس
ظاهرا فاعلم أن خلقه

تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يعملون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزاءك التي لاتعجز حتى يفقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددوهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حلة العرش فانهم المقربون لقربهم من النور الاقصى وهم على ترتيب كذلك (والنعم على جلالهم بالتأييد والهداية والتسديد) الملك (المهين القدوس المتفرد بالملك والمكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام) جل شأنه (والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل صهاب ينجر من جانب الى جانب أكثر من ان تحصى فلذلك ترك الاستشهاد به) قال العراقي في الصحيحين من حديث أبي ذرقة الاسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افخض فيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افخض الحديث ولهما من حديث أبي هريرة ان الله ملائكة يطوفون في الطرق وللناس في حديث ابن مسعود ان الله ملائكة سياحين يبلغوني من أمي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه على ابن عبد ياليل فناداني ملكا الجبال ان شئت ان أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس ان الله وكل بالرحمة ملكا الحديث وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الاسلمي ما من نبت ينبت الا ويحفه ملك موكل به حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو الحسن البكري واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف والطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف ان الله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحبسون الكلال عن دواب الغزاة الادابة في عنقها حرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود يا أبا القاسم خبرنا عن الرعد قال ملك موكل بالسحاب واسلم من حديث أبي هريرة بينما رجل بفلاة من الارض سمع من سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة الحديث انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي وحديث بريدة الاسلمي تمامه فاعلم امرئ وطئ ذلك النبت يا عنه ذلك الملك وحديث ابن عباس في الرعد لفظه عند الترمذي الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذي تسمعون زجره بالسحاب اذ ازرعه حتى ينتهي الى حيث أمره وحديث أبي هريرة عند مسلم لفظه عنده وعند أحمد حديثنا رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فاذا شرجه من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتنبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بسحباته فقال له يا عبد الله ما سمعك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي قال اني سمعت صوتا في السحابة التي هذا ماؤها يقول اسق حديقة فلان لاسمك فاستضع فيها قال أما ذقلت هذا فاني أنظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وبعالي ثلثا وأردفها ثلثا (فان قلت فهذا فرضت هذه الافعال) كلها (الى ملك واحد ولم اقتصر الى سبعة أملاك والخطة أيضا تحتاج الى من يطعن أولا ثم الى من يميز عنه الخلة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه) ثالثا (ثم الى من يعجن رابعاً ثم الى من يقطعه كرامدة ثم خامساً ثم الى من يرققها رغباً ثم رابعة سادساً ثم الى من يلبسها بالنور سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهذا كانت أعمال الملائكة باطناً كإعمال الانس ظاهراً فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس ومامن واحد منهم الا وهو وحده في الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الافعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى) حكاية عنهم

الملائكة تخالف خلقة الانس ومامن واحد منهم الا وهو وحده في الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون

واحد واليه الاشارة بقوله تعالى

وما من الا اله مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الخواص الخمس فان البصر لا تراحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم تراحمها ولاهما ينارعا في السمع وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتراحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتراحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والجحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول (١٢٦) عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة

فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان بطبع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسجدون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم رাকع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لاختلاف في أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جازمت الارادة بفتح الجفان لم يكن الجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجهه لكن يخالفه من وجهه اذا جفن لاعلمه بما يصدر منه من الحركة فتحا وطباقا

اذ وصفوا به أنفسهم اذ قالوا (وما من الا اله مقام معلوم) أي فلا تتعداه (فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله مثال الخواص الخمس فان البصر لا تراحم السمع في ادراك الاصوات) فانه ليس من ادراكه (ولا الشم تراحمها) فيما خصه به (ولاهما ينارعا في السمع) فيما يخص به (وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتراحم به اليد) فان الرجل انما وضعت لمشيها وليس من خواصها البطش وانما هو لليد (وقد تضرب غيرك برأسك فتراحم اليد التي هي آلة الضرب) كما هو عادة المغاربة (ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والجحن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول) أي الصرف (عن) طريق (العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان بطبع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم) هم كلوصفهم الله تعالى في كتابه العزيز (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) كقوله تعالى (يسجدون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم رাকع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم منهم قائم أبدا لا يختلج النومة من شأنه بل هو يقظ دوابها وما هو في سجدتها) وقد روى أبو الشيخ في العظمة والبهيق والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة ان الله ملائكة ترعد فرأتهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعته الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفة وقالم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا اليه وقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك وروى الديلمي من حديث ابن عمر ان الله ملائكة في السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحان ذي الملائكة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة في السماء الثانية متركوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة في السماء السادسة سجودا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جازمت الارادة بفتح الجفان لم يكن الجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبه من وجهه لكن يخالفه من وجهه اذا جفن لاعلمه بما يصدر منه من الحركة فتحا وطباقا

ولللائكة احياء عالون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليكم في الملائكة الارضية والسمائية يذروا وحاجتك اليهم في غرض الا كل فقطدون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانما لم نطوّل بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وبجميع الطبقات لا يمكن احداؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت جميع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال (وذروا ظاهر الاثم وباطنه)

فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضممار الشر للناس الى غير ذلك من آنام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظر يفة واحدة بان فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه (١٢٧) الله تعالى حتى الملائكة والسموات

والارض والحيوانات

والنبات بحملته نعمة على

كل واحد من العباد قد تم

به انتفاعه وان انتفع غيره

أيضاً به فان الله تعالى في كل

نظر يفة بالجفن نعمتين

في نفس الجفن اذ خلق

تحت كل جفن عضلات

ولها أو تارور باطات متصلة

بأعصاب الدماغ بها يتم

انخفاض الجفن الاعلى

وارتفاع الجفن الاسفل

وعلى كل جفن شعور سود

ونعمة الله تعالى في سوادها

انها تجمع ضوء العين اذ

البياض يفرق الضوء

والسواد يجمعه ونعمة الله

في ترتيبها صفواً واحداً أن

يكون مانعاً للهوام من

الديب الى باطن العين

ومتشبيهاً للاقذاء التي تنشا

في الهواء وله في كل شعرة

منها نعمتان من حيث لين

أصلها ومع اللين قوام نصها

وله في اشباك الاهداب

نعمة أعظم من السكل وهو

أن غبار الهواء قد يمنع من

فتح العين ولو طبق لم يصير

فيجمع الاجفان مقدار

ما تشباك الاهداب فينظر

من وراء شبك الشعر

فيكون شبك الشعر مانعاً

من وصول القذى من

يذر واطاهر الاثم شكر الظاهر النعم ويذر وباطن الاثم شكر الباطن النعم (فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة) المخالفة (واضممار الشر للناس الى غير ذلك من آنام القلوب) مما تقدم ذكرها (هو الشكر للنعم الباطنة) مثل معافاة القلوب وسلامة العنود (وترك الاثم الظاهر بالجوارح) من معاني حظوظ النفوس (شكر للنعمة الظاهرة) مثل عوافي الاجسام ووجود الكفايات من الاموال (بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في نظر يفة واحدة بان فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما) فما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بحملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضاً به فان الله تعالى في كل نظر يفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أو تارور باطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل اعلم ان منفعة العضل ان الانسان اذا أراد ان يقرب عضواً من آخر حرك العضل فتشجبت وزاد في عرضها ونقص من طولها واذا أراد التباعد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص في عرضها فحصل المقصود والعضو الذي يحرك عضواً كبيراً يكون كبيراً كالذي في الفخذ والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جداً وليس لها أو تار فاذا علمت ذلك فلعين أربع وعشرون عضلة ثلاثة تحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين وترها يميز في وسط طي الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفقه والثانية والثالثة موضوعتان في موقف العين مدفورتان في حفرها وترهما يأتیان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يعضضان العين باطباقهما الجفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلاً فان نال احدهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحاً واحدة وقبل ثنتان وقبل ثلاثة قد عدم العصبه المحيطة التي يكون بها البصر وتشبهت حتى لاتالهـ ما بسبب لينها عند التحديق الشديدين تنقطع وست عضلات تحرك العين أربعة الى الاستقامة الواحدة تميلها الى فوق والثانية تحفظها الى أسفل والثالثة تحركها بمنى والرابعة تحركها بمنى واثنتان على الاستدارة فهذه عشرة وأحدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين ولاخرى مثلها (وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه) أى الشعر الاسود (يجمع ضوء العين اذا البياض يفرق الضوء والنسواد يجمعه) فلا لون نسب وأوفق لنور الباصرة من السواد (ونعمة الله في ترتيبها صفواً واحداً أن يكون مانعاً للهوام من الديب الى باطن العين ومتشبيهاً للاقذاء التي تنشا في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصها) وله في منابت الشعر نعمة أخرى وهو ان جعل بين كل شعرة فاصلاً لا يلتصق مع بعضه (وله في اشباك الاهداب نعمة أعظم من السكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصير فيجمع الاجفان مقدار ما تشباك الاهداب فينظر من وراء شبك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غباراً قد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقه على الحدقة كالمصقلة للمرأة فيطبقة مامرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان) وبقيت الحدقة صافية (والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين) زائدتين (فتراه على الدوام معهما حدقته ليصقلها عن الغبار) وهذا أحسن الوجوه وقبل انما يفعل ذلك لكونه لم يقع على جسد النبي صلى الله عليه وسلم فهو أبداً يلطم وجهه وفيه نظار (واذ

خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غباراً قد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقه على الحدقة كالمصقلة للمرأة فيطبقة مامرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام معهما حدقته ليصقلها عن الغبار واذا

تركها الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقتارها الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنفله كتاباً مقصوداً فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه بحاثب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الاحضان ولا تقوم الاحضان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك (١٢٨) الا بالسماوات ولا السماوات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه

تركها الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقتارها الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنفله كتاباً مقصوداً فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه بحاثب صنع الله تعالى (وقد حقق الله تعالى مأمواه ويسر له تأليفه وقد عده ابن السبكي في جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك في مقدمة كتاب العلم) فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين في حيث لا يحل (نعمة الله تعالى في الاحضان ولا تقوم الاحضان الا بعين ولا العين الا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسماوات ولا السماوات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن ببعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد الا ويا عنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلغهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي لم أجده أصلاً (وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) (وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الملائكة لتلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لايه وأمه اه قات وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصي ولو بتاريفة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الآن يتبع السيئة بحسنة تمحوها) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر وأتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) بفضل وكرمه وورد في بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب مامن عبد لي من الآدميين الاومعه ملكان فاذا شكركني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعماء على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً) وزدهم شكرًا وزدهم من النعماء (فكني بالشاكرين) يا أيوب (علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآن تارتبكي عليهم) فكن لي يا أيوب شاكرًا ولا تاتي إذا كرا ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقهم واقبضتهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكرني الا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورد بكتابه صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منها ما اثنتا عشرة ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولفظ القوت ويقال ان تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وفي جسم الانسان ثلاثمائة

بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جاد الا ويا عنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلغهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي لم أجده أصلاً (وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) (وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ان الملائكة لتلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لايه وأمه اه قات وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصي ولو بتاريفة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الآن يتبع السيئة بحسنة تمحوها) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر وأتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) بفضل وكرمه وورد في بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب مامن عبد لي من الآدميين الاومعه ملكان فاذا شكركني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعماء على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً) وزدهم شكرًا وزدهم من النعماء (فكني بالشاكرين) يا أيوب (علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآن تارتبكي عليهم) فكن لي يا أيوب شاكرًا ولا تاتي إذا كرا ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقهم واقبضتهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكرني الا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي الا في وقت عقوبته كذا أورد بكتابه صاحب القوت (وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منها ما اثنتا عشرة ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولفظ القوت ويقال ان تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة وفي جسم الانسان ثلاثمائة

أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً فكني بالشاكرين علو رتبة عندى اني أشكر شكرهم وملائكتي يستون يدعون لهم والبقاع تحبهم والآن تارتبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعماء كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينسط وينقبض نعمتين اذ بان بساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلاك وبانقباضه يجمع الروح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا

ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهى كيف أشكرك وفى كل شعرة من جسدى نعمتان ان ليبت أصلها وان طمست رأسها وكذا ورد فى الأثر أن من لم يعرف نعم الله الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه فى (١٢٩) العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجوده الا

ويتحقق أن الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطعم * (بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر) * اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة بالخلق عن شكر النعمة الا بالجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها انهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة فى تمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصولها تبين المعرفتين الاغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يحلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة (ولو أخذ يفتقهم) هو محل القلادة من العنق لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ما تناولوا وجسوا فى بيت حلم فيه هواء حار ولا منفذ له (أوفى بترفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما كانوا غافا ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

وستون مفصلا وكذلك العظام وفى كل طرفة نعمتان وفى كل نفس نعمتان وفى كل دقيقة تأتى عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزءا من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزءا من ساعة والانسافس أربعة وعشرون ألف نفس فى اليوم والليلة (ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهى كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان أن ليبت أصلها وان طمست رأسها) نقله صاحب القوت (وكذلك ورد فى الأثر من لم يعرف نعم الله) عليه (الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه) نقله صاحب القوت وهو فى الخلية من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا نونس بن عبيد عن الحسن قال أبو الدرداء من لم يعرف نعم الله عليه الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه ومن لم يكن غنيا فى الدنيا فلا دين له قال صاحب القوت ويقال ان فى باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التى فى ظاهره وان فى القلب من النعم أضعاف ما فى الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله والعلم واليقين أضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصىها الا من أنعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتزايد بان أدخل منها وأخرج اذاه وبقي فى الجسم قواه وبان طبيب مدخله ويسر خرجه وبقي منفعة وما أحال من صورته وغيره من صفته لا تهدى والنم والاعتبار والتذكر أيضا نعم (وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه فى العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجوده الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطعم) وبالله التوفيق * (بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر) *

(اعلم) هذا الله تعالى (انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا بالجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها) اذن لم يعرفها كيف يقوم بشكرها فالشكر فرع المعرفة فاذا جهل النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيدي فهو فى نقصان ما ادعى وايضا فان لم يشكر النعم لجهله بها كفرها فان كفرها فان كفرها العذاب الشديد الا ان تداركه نعمة من ربه (ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها) مجرد (أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله) من غير فهم معنى ما يقول (ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة فى تمام الحكمة التى أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصولها تبين المعرفتين) الاولى معرفة النعمة والثانية معرفة معنى الشكر عليها (الاغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان) عليه (أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها ان الناس يحلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم فى جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم فى جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء) هو برودته (ولو أخذ يفتقهم) هو محل القلادة من العنق لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ما تناولوا وجسوا فى بيت حلم فيه هواء حار ولا منفذ له (أوفى بترفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما كانوا غافا ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

(١٧) - (انخاف السادة المتقين) - (تاسع) ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ يفتقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ما تناولوا وجسوا فى بيت حلم فيه هواء حار وأوفى بترفيه هواء ثقيل برطوبة الماء ما كانوا غافا ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

النعمه ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمه في جميع الاحوال أولى بان تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عنه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمه ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعد الجاهل نعمه وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دأتما حتى اذا ترك ضربه ساعة تغلبه منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطور وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقله وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما يشكوا بعضهم فقره الى بعض أبواب البصائر (١٣٠) وأظهر شدة اغتمامه به فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا اقبل

(النعمة) برهة (ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر من النعمة في بعضها فلا يرى البصير يشكر صحة بصره الى ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه) نوره (أحسن به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق) وكل من السعة والعموم من مقتضيات هذه الصفة (وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمة) ففعلوا عن الشكر عليها (وهذا الجاهل مثل العبد السوء فقهه أن يضرب دأما) لمخالفة سيره في أوامره ونواهيه (حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطور وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المبال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم) في سائر أحوالهم (كماش - كما بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به) ولفظ القوت وحدثت عن رجل شكك الى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه (فقال له الرجل أيسرك انك أعصى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا فقال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا فقال أما تستحي ان تشكروا ولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا) قال صاحب القوت وهذا كما قال لان في الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح وزيادة من المال لانها ديات جوارحه لو قطعت (وحكى ان بعض القراء) أي العلماء ولفظ القوت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض القراء المقربين (اشتد به الفقر حتى) أخرجه (ضاق به ذرعا) قال (فرأى في المنام كان قائلا يقول له تود انما أنسبناك من القرآن سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سوراتم قال ففعل قيمة مائة ألف دينار) هكذا في القوت وفي بعض نسخ الكتاب قيمة ما يبلغ آلافا (وانك تشكو) الفقر (فاصبح وقد سرى عنه همه) أي انكشف وزال (ودخل) محمد بن صبيح (بن السمال) الواعظ البغدادي تقدمت ترجمته مرارا (على بعض الخلفاء) العباسية (وبنده كوزما يشربه فقال له عظمي فقال لولم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع أموالك والا بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لولم تعط الابل كك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بذلك لا بسوى شربة ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة) المبذولة للخلق كلهم (فلندكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولوا من النظر في أحواله) وتأمل بصفى بصيرته (رأى من الله تعالى نعمة أو نعمنا كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما) يتفق انه (لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم اما العقل فاما من عبد الله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله بعتقدانه أعقل الناس و) لذا (فلما يسئل الله العقل) ومن المعلوم (أن من شرف العاقل أن يفرح به الخلق عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لانه

أيسرك أنك أخوس ولك
عشرة آلاف درهم فقال لا
فقال أيسرك أنك اقطع
اليدين والرجلين ولك
عشرون ألفا فقال لا فقال
أيسرك أنك مجنون ولك
عشرة آلاف درهم فقال
لا فقال أما تستحي أن
تشكو مولا وله عندك
عروض بخمسين ألفا
وحكى أن بعض القراء اشتد
به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فرأى في المنام كأنه قال
يقول له تود أن أيسبك من
القرآن سورة الانعام وان
لك ألف دينار قال لا قال
فسورة هود قال لا قال فسورة
يوسف قال لا فعدد عليه
سورا ثم قال فذلك قيمة مائة
ألف دينار وأنت تشكو
فأصبح وقد سرى عنه ودخل
ابن السمال على بعض
الخلفاء فبيده كوز ماء يشربه
فقال له عطشني فقال لولم تعط
هذه الشربة الا يبذل جميع
أموالك والا بقيت عطشان
فهل كنت تعطيه قال نعم
فقال لولم تعط الا بملكك كله
فهل كنت تتركه قال نعم
قال فلا تفرح ملك لا يساوي

شربة ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطبايع ماثلة الى اذا
اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة فتدكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو معن النظر في
أحواله رأى من الله نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا تشاكره فيها الناس كافة بل يشاكره عدد يسير من الناس ورر بما لا يشاكره فيها أحد وذلك يعترف
به كل عبد في ثلاثة أمور في العقل والخلق والعلم أما العقل فامن عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه أعقل الناس وقيل من يسأل
الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخلق عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه

ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فن وضع كثر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ اكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي وأما الخلق فسامن عبد لا يرى من غيره عيبا يكرهها واخلاقا فيذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه برياً عنها فاذا لم يشغل بذم الغير فينبغي أن يشغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ وأما العلم فسامن أحد الا يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره (١٣١) ماهو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق

اذا كان كذلك في حقيقة الامر (فالشكر واجب عليه وان لم يكن) كذلك (ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فن وضع كثر تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ اكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي) فكذلك العقل فانه بمنزلة اكثر المذقون (وأما الخلق فسامن عبد الا يرى من غيره عيبا يكرهها واخلاقا فيذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه برياً عنها) خالص منها (فان لم يشغل بذم الغير فينبغي أن يشغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ) ففيه نعمتان عليه ما شكر ان فتحسب كل ما وجه الى غيرك من المدام نعماً عليك بمثل ما وجه اليك من المحاسن لان النفوس كنفوس واحد والمشيئة والقدرة واحدة فقد رجت بانك من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك (وأما العلم فسامن أحد الا يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ماهو منفرد به ولو انكشف الغطاء) و زال الحجاب (حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا فتضح) حاله عنده (فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجهه مساويه فاطهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد) فلا تدري أي النعمتين أعظم اظهار الجليل أو ستر القبيح وقد مدح الله سبحانه بهم في الدعاء المأثور يا من أظهر الجليل وستر القبيح (فهذه ثلاث من النعم خاصة بعترف بها كل عبد امام مطلقا واما في بعض الامور فلان تنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فتقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رقيقه أو أكاربه أو عزه أو في سائر محابه (الدينية (أمور) أو ألب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جاداً وانساناً لا بهيمة وذكر الأتني وجميع الامور بسلبها لا بمعيباتها فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم أيضاً فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض به (وفي القوت وأول نعمة عقلاها ان جعلنا موجد من دون سائر المحدثات ثم جعلنا حيواناً دون سائر الموات ثم جعلنا بشر ادون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكور ادون الاناث ثم تصورنا في أحسن تقويم ثم عوفاً القلب من الزيف عن السنة ومن الميل الى دواعي النفس الامارة بالسوء ثم خفف الستر ثم حسن الكفاية للحاجات ثم صنوف ما أظهر من الزواج والاوقات (بل له أمور لا يبدلها باحوال الادميين أيضاً وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الا كثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصاً يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في أمر خاص فاذا الله تعالى نعم ليست له على أحد من عباده سواء وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليست الى عدد المعبودين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من هو فوقه اي يحقر (نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي

لا فتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجهه مساويه فاطهر الجليل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة بعترف بها كل عبد امام مطلقا واما في بعض الامور فلان تنزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فتقول ما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رقيقه أو أكاربه أو عزه أو في سائر محابه (الدينية (أمور) أو ألب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جاداً وانساناً لا بهيمة وذكر الأتني وجميع الامور بسلبها لا بمعيباتها فان كل هذه خصائص وان كان فيها

عموم أيضاً فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها باحوال الادميين أيضاً وذلك اما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الا كثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره واذا كان لا يعرف شخصاً يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في أمر خاص فاذا الله تعالى نعم ليست له على أحد من عباده سواء وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليست الى عدد المعبودين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من هو فوقه ليردري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي

لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظري في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبته الله صابرا وشاكرا ومن نظري في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبته الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفنش عما خص به وجدلته تعالى على نفسه نعمنا كثيرة لاسيما من خص بالسنة والاعمال والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قيل

من شاء عيشا رحيما يستطيل به في دينه ثم في دنياه اقبالا فلينظرن الى من فوقه ورعا فلينظرن الى من دونه مالا وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام ان القرآن هو الغني الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهنأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس

دنياه بدينه أليس هو (اذا لامته نفسه) وعاقبته (على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر أبدأ في الدين الى من دونه لاني من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر) وفي القوت وفي الشكر مقامات عن مشاهدين أعلاهما الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللاواء والمقام الثاني ان ينظر الى من هو دونه فمن فضل هو عليه في أمور الدنيا وفي أحوال الدين فيعظم نعمة الله عليه بسلامة قلبه وعاقبته مما ابتلى الآخر به ويعظم نعمة الدنيا عليه لما أغناه الله وكفاه فيها أحوال الجاه فليشكر على ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه في الدين عن فضل عليه بعلم الايمان وبحسن اليقين فيمقت نفسه ويبري عليها وينافق في مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه فيرغب فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم المدوحين (ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظري في الدنيا الى من هو دونه ونظري في الدين الى من هو فوقه كتبته الله صابرا وشاكرا ومن نظري في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبته الله لاصبرا ولا شاكرا) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه المثنى ابن الصباح ضعيف انتهى قلت ورواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أنس لكن بتقديم الجملة الثانية على الاولى وروى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فهو أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم أما البخاري فرواه من طريق الأعرج والباقيون من طريق همام وأبي صالح ثلاثهم عن أبي هريرة وفي لفظ لمسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل من فضل عليه ولا جد وابن حبان في أثناء حديث عن أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي وعند هناد والبيهقي اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم (فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفنش عما خص به وجدلته تعالى على نفسه نعمنا كثيرة لاسيما من خص بالسنة والاعمال والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك) (ثم الفراغ والصحة والامن) وبكل من هذه الثلاثة الاخيرة فسر قوله تعالى أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا (وغير ذلك) كنعمة الغنى والشباب (ولذلك قيل من شاء عيشا رحيما يستطيل به * في دينه ثم في دنياه اقبالا فلينظرن الى من فوقه ورعا * فلينظرن الى من دونه مالا)

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله) هكذا في القوت وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ (وهذا) ان صح فهو (اشارة الى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القرآن هو الغني الذي لا غنى بعده ولا فقر بعده) قال العراقي رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه قال الدارقطني رواه أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلا وهو أشبه بالصواب انتهى قلت ورواه محمد بن نصر والبيهقي والخطيب بلفظ القرآن بدون ان وسنده ضعيف (وقال) صلى الله عليه وسلم (من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهنأ بآيات الله) قال العراقي رواه البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وظن ان أحدا أول منه فقد صغر أعظم النعم ورجاء مختلف في صحته ورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة وقد تقدم في فضل القرآن انتهى قلت ورواه البيهقي كذلك ولفظه من أعطاه الله ورواه ابن حبان وقال رجاء تابعي ثقة يروي المرائيل وأورده صاحب القوت وقال وفي لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله (وقال صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى) قال العراقي رواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقفا عليه وقد تقدم انتهى وأورده صاحب القوت

وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة ان عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه
وعما في يداخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا ما القوت يأتيك * كذا الصحة والامن وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن بل أرشق
العبارة وأفصح الحكامات كلام أفصح من نطق بانضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه
عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت للناس كلهم وجدتهم (١٣٣) يشكون ويتألمون من أمور ورعاء هذه

الثلاث مع انها وبال عليهم
ولا يشكرون نعمة الله في
هذه الثلاث ولا يشكرون
نعمة الله عليهم في الايمان
الذي به وصولهم الى النعيم
المقيم والمالك العظيم بل
البصير ينبغي أن لا يفرح الا
بالمعرفة واليقين والايامن
بل نحن نعلم من العلماء من
لو سلم اليه جميع ما دخل
تحت قدمه ملك الارض
من المشرق الى المغرب من
أموال واتباع وانصار وقيل
له خذها عوضا عن علمك
بل عن عشر عرش - بر علمك لم
يأخذها وذلك لرجائه ان نعمة
العلم تقضى به الى قرب الله
تعالى في الآخرة بل لو قيل
له لك في الآخرة ما ترجوه
بكله فخذ هذه اللذات في
الدنيا بدلا عن الآخرة
بالعلم في الدنيا وفرحك به
لكان لا يأخذ العلم بان لذة
العلم دائمة لا تنقطع وباقية
لا تسرق ولا تغصب ولا
ينافس فيها وانما صافية
لا كدورة فيها ولذات الدنيا
كلها ناقصة مكدر مشوشة
لا يفي مرجوها بمخوفها ولا
لذتها بالمها ولا فرحها بغمها

وقال القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا أغنيته عن ثلاث لقد أتممت
عليه نعمتي) أغنيته (عن سلطان يأتيه) أي جعلته غنيا (و) أغنيته (عن طبيب يداويه) أي جعلته
صحيحا سليما (و) أغنيته (عما في يداخيه) أي جعلته قانعا بما في يده نقله صاحب القوت (وعبر الشاعر
عن هذا فقال
اذا لقوت تأتي لك الصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن)
كذا هو في القوت وفي بعض نسخ الكتاب اذا ما القوت يأتي لك وفي أخرى اذا القوت يأتيك كذا الصحة
(بل أرشق العبارة وأفصح الحكامات كلام أفصح من نطق بالاضاد) يشير الى ما اشتهر على اللسان أنما أفصح
من نطق بالاضاد قال ابن كثير معناه صحيح ولكن لا أصل له (حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى
فقال من أصبح آمنا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) تقدم
الكلام عليه غير مرة (ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور ورعاء هذه
الثلاث) وهي الامن والصحة والقوت (مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي
به وصولهم الى النعيم المقيم والمالك العظيم) الذي لا يفي (فان البصير) أي صاحب البصيرة (ينبغي ان
لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايامن) فانها من أفضل النعم الباطنة (بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم
اليه جميع ما دخل تحت قدمه ملك الارض من المشرق الى المغرب من أموال) وأعراض (وأتباع
وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك) ومعرفتك (بل عن عشر عرش علمك لم يأخذها) ولم يقبله (وذلك
لرجائه ان نعمة العلم تقضى به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة) وما ذكر في عرضه فكأنه فان
ولا يقرب به الى جوار الله تعالى (بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن
الآخرة) بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذ العلم بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها وانما صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدر مشوشة لا يفي
مرجوها بمخوفها ولا ألمها بلذتها ولا فرحها بغمها) فانها ان حلت أوجلت أو حلت أو كست
أو كست (هكذا روي) من أول الزمان (الى الآن وهكذا يكون ما بقي الزمان) ودار الملوك (اذما خلقت
لذات الدنيا اللذات التي تلج بها العقول الناقصة وتتخذ حتى اذا اتخذت وتقبلت بها أبت عليها) وامتنعت
(واستعصت) فهي (كل امرأة الجميل طاهرها تزين للشباب الشبق) الكثير الشهوة (الغبي) الغافل
عن العواقب (حتى اذا تقيد بها قلبه) وعلق بها باطنه (استعصبت عليه) وجمعت (واحتجبت عنه)
ولم توصله (فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لا غتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل
وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره) في ماله وعرضه وجسده (فهكذا وقعت أرباب الدنيا في
شباك الدنيا وجبا تلها) وخذعها (ولا ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل
عليها أيضا متألم بالصبر عليها) على (حفظها وتحصنها) والصبر عليها (والمعرض عنها وتألم المعرض) عنها
(يقضى الى لذة في الآخرة) وهي القرب من جوار الله تعالى (وتألم) المقبل عليها (يقضى الى ألم في

هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان اذما خلقت لذات الدنيا اللذات التي تلج بها العقول الناقصة وتتخذ حتى اذا اتخذت
وتقبلت بها أبت عليها واستعصت كل امرأة الجميل طاهرها تزين للشباب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا
يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لا غتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا
وقعت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وجبا تلها ولا ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها
وحفظها وتحصنها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يقضى الى لذة في الآخرة وتألم المقبل يقضى الى الألم في

الآخرة فليقر المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تنهوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعمامة فان قلت فاعلاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر فاقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيمارضنا اليه من أصناف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتعد النعمة (١٣٤) نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسيبيله أن ينظر أبدأ الى من دونه ويفعل ما كان

يفعله بعض الصوفية اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصيته من الجنائات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصي الله فليزداد وطاعة فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غيبي اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات وأما العاصي فغيبه طاهر فاذا شاهد المقابر وعلم أن

الآخرة) وهو البعد عن جوار الله تعالى (فليقر المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تنهوا) أي لاتضعفوا (في ابتغاء القوم) أي طلبهم ومقاتلتهم لاعلاء كلمة الحق (ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون) وهو اشارة الى تلك اللذة (فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعمامة) وانسداد طريق الشكر حرموا طريق المزيد وأورثهم ذلك النقصان أبدا (فان قلت فاعلاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر فاقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيمارضنا اليه من أصناف نعم الله تعالى العامة) المبذولة على الخلق (وأما القلوب) الجامدة (البليدة التي لاتعد النعمة نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسيبيله ان ينظر أبدأ الى من هو دونه) في أمور الدنيا (ويفعل ما كان يفعله بعض) السادة (الصوفية اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى) وهي المارستان (والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود) الشرعية (فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته) من تلك البلايا (فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض) كان يحضر المواضع التي تقام فيها الحدود (يشاهد الجنة) هم الجانون على أنفسهم (الذين يقتلون) قصاصا (وتقطع أطرافهم) في السرقة (ويعذبون بأنواع العذاب) في حد الخمر والقذف وغير ذلك أو من طريق السياسة (ليشكر الله تعالى على عصيته) وحفظه (من الجنائات) الشرعية (ومن تلك العقوبات) ويشكر الله تعالى على نعمة الامن) حيث لا يطالبه أحد بدم أو ذمة أو غير ذلك (و) كان (يحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا) كما ورد ذلك في الاخبار (أما من عصي الله فليزداد وطاعة وان يوم القيامة) هو (يوم التغابن) كما سماه الله تعالى في كتابه ذلك يوم التغابن (فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غيبي) وخسارتي (اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات) وأما العاصي فغيبه طاهر) يرى غيره يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره في الغفلة والعصيان فلا أغيب منه (فاذا شاهد المقابر وعلم ان أحب الاشياء اليهم) أي الى أصحاب المقابر (ان يكون قد بقي لهم من العمر ما يليق له فيصرف ببقية العمر الى ما يشتهى أهل القبور والعود) الى الدنيا (لاجله ليكون ذلك معارف لنعم الله تعالى في بقاء العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين (فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر وكان الربيع بن خثيم) الثوري الكوفي الفقيه الزاهد (مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة) الحاصلة (له فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلافه عنقه و ينام في لحده ثم يقول) هذه الآية (رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول) مخاطبا لنفسه (ياربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وما ينبغي ان تعالج به

احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما يليق له فيصرف ببقية العمر الى ما يشتهى أهل القبور والعود لاجله ليكون ذلك معارف لنعم الله تعالى في بقاء العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى ففساها تشكر وقد كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلافه عنقه و ينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول ياربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد وما ينبغي ان تعالج به

القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بملزمة الشكر على النعم فقل نعمت زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية تقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد الاكثر حوائج الناس اليه فن تهافت بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن * (الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر (١٢٥) والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر) *

القلوب البعيدة عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم (نقله صاحب القوت) وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر (نقله صاحب القوت) وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الاكثر حوائج الناس اليه فنهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ الاعظمت مؤنة الناس اليه فن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال انه موضوع على حجاج الاور انتهى قلت حديث معاذ رواه أيضا أبو سعيد السهماني في مشيخته وأبو اسحق المستملي في مجمعه والبيهقي وضعفوا الخطيب وابن النجار وفيه أحد بن معدان العبدى قال أبو حاتم مجهول والحديث الذي رواه باطل ورواه الشيرازي في الالقاء عن عمر بن الخطاب موقوفاً ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة بلفظ الاشتدت عليه مؤنة الناس وتقدم في كتاب ذم الخلل والمال بلفظ من عظمت وتقدم الكلام عليه هناك فراجع (وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمته ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الاسباب بعشيقته وحكمته (فهذا تمام هذا الركن) الثاني وبالله التوفيق

*** (الركن الثالث) *** (من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر)

*** (بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد) ***

(اعلم) أيها السالك (لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له أصلاً فامعنى الصبر اذا وان كان البلاء موجوداً فامعنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون ان الشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي الماء والشكر يستدعي فراهما يتضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما وجدته نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول بانبات النعمة يوجب القول بانبات البلاء لانهم متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة معالقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالزول والقرب (في جوار الله تعالى) وأما في الدنيا فبالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه) آخر ولذا قدم الخبرات المتوسطة (فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى امامة) من الزمن (وأما أبدأ وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما البلاء (المقيد) فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤثر ما يصبر عليه فان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذلك المعصية بل حق الكافر

بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجهه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجهه ويفسده من وجهه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعث من الله تعالى امامة وأما أبا وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تقضي الى البلاء المطلق وأما المقيد فكما الفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطاعة أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤثر بالصبر عليه لان الكفر بلا عمل معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر

أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غير هافلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس الى العبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور (١٣٦) أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب الهلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل اولاده والصحة أيضاً كذلك فسامن نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخسيرة في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحصى أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور

ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها مما يذهل العقل فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فانه لا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس للعبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن تجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل اولاده وانصاره ويؤخذ منه ذلك المال والصحة أيضاً كذلك فسامن نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء من البلاء التي تصيب العبد الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى وتجاوز الحدود (قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) ولكن ينزل بقدر ما يشاء (وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فجعل الطغيان ثمرة الاستغناء (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحصى أحدكم مريضه) الطعام والشراب يخاف عليه وراه أحد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد بلفظ كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ورواه كذلك الحاكم من حديث أبي سعيد وروى الديلمي من حديث أنس ان الله ليحصى المؤمن من الدنيا نظراً وشفقة عليه كما يحصى المريض أهله الطعام وروى الروياني وأبو الشيخ في الثواب يحصى المريض أهله الطعام وقد تقدم (وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه من الاقسام الستة عشر من النعم) من ضرب أربعة في أربعة (سوى الايمان وحسن الخلق فانها تتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى) باعتبار كونها مرادفة للعلم (ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقد هانعة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش) أي تذكر (وطال بذلك غمه) ولم يتهن في أحواله فاجامه من النعم اللطيفة (وكذلك جهله بما يضره الناس) أي يخفونه (عليه) في قلوبهم (من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر) وانكشف الحال (واطلع عليه اطلال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام) منهم ليشقى غيظه فيهم (وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها) بما فيه (أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالأعلى في الدنيا والآخرة) اما في الدنيا فلا يشتغاله بأبغاضه وتضييع أوقاته وأما في الآخرة فلما يترتب عليه من المؤاخذات (بل جهله بالخصال في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان الله لاجماله أعظم فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف القوت ومن كثرت النعم ثلاث من جهلها أضع الشكر عليها ومعرفة شكر العارفين أولها استنار الله عز وجل

حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل اولاده والصحة أيضاً كذلك فسامن نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة الى حاله فرب عبد تكون الخسيرة في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحصى أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضرارها اذا نجا في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور

بلاء ويكون فقد هانعة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه اطلال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالأعلى في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المذمومة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان الله لاجماله أعظم فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف

ومنها إجماع الله تعالى أمر
القيامه وإجماعه ليله القدر
وساعة يوم الجمعة وإجماعه
بعض الكبار فكل ذلك
نعمه لأن هذا الجهل يوفر
دواعيكم على الطلب
والاجتهاد فهذه وجوه نعم
الله تعالى في الجهل فكيف
في العلم وحيث قلنا أن الله
تعالى في كل موجود نعمة
فهو حق وذلك مطرد في
حق كل أحد ولا يستثنى
عنه بالظن إلا الآلام التي
يخلقها في بعض الناس وهي
أيضا قد تكون نعمة في حق
المتألم بها فان لم تكن نعمة
في حقه كالآلام الحاصل من
العصية كقطعها يد نفسه
ووسمه بشرته فانه يتألم به
وهو عاص به وألم الكفار
في النار فهو أيضا نعمة ولكن
في حق غيرهم من العباد لا
في حقهم لأن مصائب قوم
عند قوم فوائد ولولا أن الله
تعالى خلق العذاب وعذب
به طائفة لما عرف المنتعون
قدر نعمه ولا كفر فرحهم بها
ففرح أهل الجنة إنما
يتضاعف إذا تفكروا في
آلام أهل النار أما ترى
أهل الدنيا ليس يشتد
فرحهم بنور الشمس مع
شدة حاجتهم اليها من حيث
انها عامة مبذولة ولا يشتد
فرحهم بالنظر إلى زينة
السماء وهي أحسن من
كل بستان لهم في الأرض
يحتجئون

بقدرته وعزته عن الإصرار ولوطهر للعباد العيان لكأن معاصيهم كفر الانهم لم يكونوا ينتقصون من
المعاصي المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولأنه تعالى كان يظهر بوصف لا يمنعون مع من المعاصي ووراء
هذا سائر الغيوب إلا أنهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم في الإيمان
من عظيم درجات بحق اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم بالنعمة الثانية إخفاء القدر والآيات عن
عموم الخلق لأنهم من سر الغيب وصالح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولوطهورت لهم لكأن خطاياهم
الصغائر كباثر مع معاني الآيات ولما ضعفت لهم على أعمالهم الحسان كمضاعفتها الآن للإيمان بالغيب
والنعمة الثالثة تغيب الآجال عنهم اذ لو علموا إجماع المسالك كانوا يزدادون ولا ينتقصون من أعمالهم الخير والشر
ذرة فكان ذلك مع علمهم بالأجل أشد مطالبة لهم وأوقع للعبث عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من
حيث لا يعلمون وأطفا بهم ونظر اليهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من أمانات النعم ثم هول ستره لهم
اختجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم
ولو أظهر علمهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطال
ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم في محب ذلك وستره ما عمل
العاقلون لهم في الخير والشر على الزجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات
المؤذين لهم عن المعالجة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم في ستره هذا نعم عظيمة على
الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنهم ونعم جليلة على المتشككين لحرمتهم المصغرين لشعائر
الله من أجلهم اذا كانوا ساروا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما
جاء في الخبر يقول الله تعالى من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم ان المشاير لولي يكون مثل
ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره انه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره
وزر من انتهك حرمة نبي قد كان أعلمه انه نبي الله اعظم حرمة النبوة وروينا عن جعفر الصادق وغيره من
السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في احسانها قال ان الله تعالى خبائلا ثانيا في ثلاث رضاء في طاعته
فلا تحقرها منها شيئا لعل رضاء فيه وخيا سخطه في معصيته فلا تحقرها منها شيئا لعل غضبه فيها وخبا ولايته في
عباده المؤمنين فلا تحقرها منهم أحد العله ولي الله عز وجل اه (ومنها إجماع الله تعالى أمر القيامه) متى
تقوم (وابهامه ليلة القدر) في أي ليلة من ليالي شهر رمضان (وابهامه ساعة الجمعة) التي لا يوافقها عبد
مسلم ودعا الله بشئ إلا استجيب له (وابهامه بعض الكبار) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة (فكل ذلك نعمة
لأن هذا الجهل يوفر دواعيكم على الطلب والاجتهاد) وقد زيد على ما ذكر الصلاة الوسطى فان الله تعالى
أخفاهما كذلك لطفه ومنه لتوفير الدواعي على الاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في
العلم وحيث قلنا ان الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق (ولا خطأ فيه) وذلك مطرد في حق كل أحد (اطرادا
شائعا) ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم
بها فان لم تكن نعمة في حقه كالآلام الحاصل من العصية كقطعها يد نفسه ووسمه بشرته (بالنار أو النبل) فانه يتألم
به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب
قوم عند قوم فوائد (وهو نصف مصرع بيت (ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة) من العباد (لما
عرف المنتعون قدر نعمه ولا كفر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار)
وسمعوا تضاعفهم فيها فيحمدون الله تعالى على ما هم فيه من النعم ويشد فرحهم (أما ترى أهل الدنيا
ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة) ولا بضوء القمر كذلك
(ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء) الدنيا (وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يبتعدون

في عمارته ولكن زينة السماء لم تحت لم يشعر واهل لم يفرحوا بسببها فاذا قد صرح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عبادته او على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتي او على غير المبتي فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان كانت فيهما متضادان فكيف يجتمعان اذا صبر الاعلى غم ولا شكر الاعلى فرح (١٣٨) فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجهه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث

الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتنصرون ان يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تنتهي فلو ضاعفها الله تعالى وزادها ما كان برده ويحجزه فليشكر اذ لم تكن أعظم منها في الدنيا * الثاني انه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضى الله وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ما ذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني وقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى على فيه أربع نعم اذ لم يكن في ديني واذا لم يكن أعظم منه واذا لم أحرم الرضا به واذا رجوا الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب

في عمارته (واكن زينة السماء لم تحت) على الخلق (لم يشعر واهل لم يفرحوا بسببها فاذا قد صرح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة) اما طاهرة واما باطنية (ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عبادته او على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتي) به (او على غير المبتي فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا) فهذا وجه اجتماعهما في محل واحد (فان كانت فيهما متضادان فكيف يجتمعان اذا صبر الاعلى غم ولا شكر الاعلى فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجهه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور) ولغز القوت ويقال ما من مصيبة الا والله تعالى فيها خمس نعم اه (ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها أحدها ان كل مصيبة ومرض فيتنصرون ان يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تنتهي فلو ضاعفها الله تعالى وزادها ما كان برده ويحجزه) عن ذلك (فليشكر اذ لم تكن أعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه) حتى انه (قال رجل لسهل) بن عبد الله التستري رضى الله تعالى (دخل اللص بيتي وأخذ متاعى) فقال له على وجه التذكير بما فوق ذلك من البلاء (اشكر الله لو دخل) اللص الذي هو (الشيطان قلبك فافسد عليك) (التوحيد ما ذا كنت تصنع) عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه فان بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أو رده القشيري في الرسالة (ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني) أى لانها أعظم من مصيبة الدنيا (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما ابتليت ببلاء الا وكان الله تعالى على فيه أربع نعم) أولها (اذ لم يكن ذلك البلاء في ديني) الثانية (اذ لم يكن أعظم منه) الثالثة (اذ لم أحرم الرضا به) الرابعة (اذ أرجوا الثواب عليه) قبل (كان لبعض أرباب القلوب صديق) فابتلى بكذب عليه أو بغيره (فحبسه السلطان فارسل اليه) أى الى صاحبه بذلك (فقال) له صاحبه أى كتب اليه (اشكر الله تعالى فضر به) السلطان فكتب اليه بخبره (فقال) أى فكتب اليه (اشكر الله تعالى فجاء) اليه في الحبس (بمجموعى فحبس عنده وكان مبعوطا فقيده وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة من رجليه هذا (في رجل المجوسى) بحيث لا يشي أحدهما الا يشي الآخر (فارسل اليه) يخبره بخبره (فقال) أى فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فكان المجوسى يحتاج أن يقوم) بسبب بطنه لبيت الخلاء (مرات) عديدة بالليل (وهو) أى هذا الصديق (يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته) ثم يرجع ما كانهما (فكتب اليه بذلك فقال) أى فكتب اليه في الجواب (اشكر الله تعالى فقال) أى فكتب اليه (الومنى) تقول (هذا) يعنى قولك اشكر الله (وأى بلاء أعظم من هذا) البلاء (فقال) أى فكتب اليه يقول (لوجعل الزنار الذى في وسطه على وسطك) كوضع القيد الذى في رجليه ورجلكم الزنار كمران علامة الشرك (ما ذا كنت تصنع) نبيه بذلك على انه ما من بلاء الا فوقه ما هو أعظم منه من بلاء الدين والدنيا وعلى ان كل ذلك بقضائه وقدره وقد سلك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك أو رده القشيري في الرسالة وفي القوت

وذلك

صديق فكتبه السلطان فأرسل اليه يعلم ويشكر اليه فقال له اشكر الله فضر به فارسل اليه يعلم ويشكر

اليه فقال اشكر الله فجى بمجموعى فحبس عنده وكان مبعوطا فقيده وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة في رجل المجوسى فأرسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج الى أن يقوم مران وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا أو أى بلاء أعظم من هذا فقال لوجعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ما ذا كنت تصنع

فاذا ما من انسان قد أصيب ببسالة الاولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك ان يقطع يدك فترك احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه (١٣٩) طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقبل له ما هذه

السجدة فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقصر على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتسبت الامطار فقال أنتم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الحرج فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد نسي له ما هو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما أغنى لهم ليزدادوا غمما وأما المعاصي فمن أين تعلم ان في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى اذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين) لانقطاع الاحساب والانساب (ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا) اذ الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به قاله أعدل من أن يشي عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذي من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عباد بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث اه قلت وتعام الحديث عند الترمذي ومن أصاب حدا فستره الله عليه قاله أكرم من أن يعود في شيء

وكذلك اذ رأيت مبتلي في دينه بصفات المنافقين أو مبتلي بنفسه باخلاق المتكبرين أو منهم كما فيما عليه من أفعال الفاسقين عدت جميع ذلك نعم عليك من الله تعالى اذ لم يجعل لك ذلك لانك قد كنت أنت ذلك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ما وجه الى غيرك من الشر أو صرف عنه من الخير نعم عليك بمثل ما وجه به من الخير اليك وصرف من الشر عنك لان النفوس كنفوس واحدة في الامر بالسوء والمشيئة والاقادة واحدة فقد درجتك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك (فاذا ما من انسان قد أصيب ببسالة الاولو تأمل حق التأمل في سوء أذبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة) مثلا (فهو مستحق للشكر) كذا (من استحق عليك ان يقطع يدك جميعا (فترك احداهما فهو مستحق للشكر) ولو ضربك مائة سوط كاملا أو قطع يدك جميعا ماذا كنت تصنع (ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر) ولم يتغير حاله الذي كان عليه (فقبل له) أي قال له أصحابه الذين شاهدوا ذلك منه (ما هذه السجدة) في هذه الحالة (فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقصر على الرماد نعمة) هذا نظر العارفين بالله حيث جعل صب الرماد عليه مصالحة عن النار التي كان يستحقها (وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتسبت الامطار فقال أنتم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الحرج) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا الوعر وعثمان بن محمد العثماني حدثنا اسمعيل بن علي حدثنا هرون بن جندب حدثنا سيار حدثنا جعفر قال قالنا مالك بن دينار ألا تدعوك فاريا تقرأ قال ان الشكوى لا تحتاج الى ناشئة فقلنا له ألا تستسقي قال أنتم تستبطلون المطر لكني أستبطل الحجرة (فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد نسي له ما هو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما أغنى لهم ليزدادوا غمما) وقال تعالى وأمل لهم ان كيدى منين (وأما المعاصي فمن أين تعلم ان في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر) يخطر (بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته) ما هو (أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى اذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين) لانقطاع الاحساب والانساب (ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا) اذ الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به قاله أعدل من أن يشي عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذي من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عباد بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث اه قلت وتعام الحديث عند الترمذي ومن أصاب حدا فستره الله عليه قاله أكرم من أن يعود في شيء

وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا تسلي عنها باسباب آخرتهم مصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا تسلي لي تخفيفها بالتسلي اذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء في الدنيا قاله أكرم من أن يعذبه ثانيا

* الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة * الخامس ان (١٤٠) نوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه

الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان بمنع ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سبباً لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سبباً لهلاكه فالمحذرة غداً يتبنون لو كانوا مجانبين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فمان شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البليات اذ ارأوا ثواب الله على البليات كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استأذنه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب

قد عفا عنه وقال حسن غريب ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي وقد روى ذلك أيضاً من حديث خزيمة بن ثابت ولفظه من أصاب منكم ذنباً ما نسي الله تعالى عنه فاقم عليه حده فهو كفارة ذنبه ورواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم وفي لفظه من أصاب ذنباً فاقم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته ورواه أحمد والدارمي وابن جرير والدارقطني والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياع ورواه ابن النجار بلفظ من أذنب ذنباً ورواه أحمد وابن جرير وصححه من حديث علي بلفظ من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فانه أعدل من ان يثنى عقوبته على عبده الحديث (الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب) لا محالة (وكان لابد من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة) ان تأملت فيها (الخامس ان نوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة) نقله صاحب القوت وذلك (من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب كان بمنع ذلك عن العلم والادب) أي عن تحصيلهما (فكان يخسر جميع عمره) ويندم على جهله (فكذلك المال والاهل والاقارب) ففي الخبر سيأتي زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده (والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سبباً لهلاك الانسان في بعض الاحوال) اذ لم يفهم الحرام (بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سبباً لهلاكه فالمحذرة) الخارجون عن عقائد الجماعة (غداً يتبنون ان لو كانوا مجانبين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله عز وجل فان الذي أمأهم من زيغ عقائدهم انما هو من تغليبهم جهة العقل على النقل) فمان شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البليات) والمصائب التي أصابتهم في الدنيا (اذا رأوا ثواب البلاء) مضاعفاً (كما يشكر الصبي بعد) زمان (العقل والبلوغ) الى مراتب الرجال (استأذنه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب) والضرب وهو العلم والمعرفة (وبالبلاء من الله تعالى) على عبادته (تأديب) لهم (وعنايته بعبادته) ثم وأمر من عنايته الآباء بالاولاد فقد روى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شئ قضاء عليك قال العراقي ورواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زياد في أوله وفي اسناد ابن لهيعة (ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسل) عن ضحكك (فقال عجب لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراة ورضي وكان خيراً له) قال العراقي ورواه مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء وضحكك عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراة شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ولانسائي في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجب من قضاء الله للمؤمن ان أصابه خير جدد ربه وشكر الحديث انتهى قلت حديث صهيب ورواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان وعند الطبراني عجب من قضاء الله للمسلم كله خيراً ان أصابته سراة فشكر آجره الله عز وجل وان أصابته ضراء فصبر آجره الله عز وجل فكل قضاء قضاء الله للمسلم خير وأما حديث سعد بن أبي وقاص فتمامه وان أصابته مصيبة جدد ربه وصبر يوجب للمؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى امرأته ورواه كذلك أحمد وعبد بن حنيد والبيهقي في الضياء وفي لفظ للطائفة عجب للمسلم اذا أصابته مصيبة احتسب وصبر واذا أصابه خير جدد الله وشكر ان المسلم يورث في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى فيه ورواه كذلك عبد بن حنيد

وعنايته بعباده أم وأمر من عنايته الآباء بالاولاد فقد روى ان رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شئ قضاء عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسل فقال عجب لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراة ورضي وكان خيراً له وان قضى له بالضراء ورضي وكان خيراً له

* الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة الخجاف بالقلب عن دار الغرور وموادة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طعنا نينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت سجناء عليه وكانت نجاة منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من (١٤١) أعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة

الدنيا ورضى بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الخفين الى الخروج منها والكافر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشبهة الخفي بل الواحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التالم فهو ضروري وذلك بظاهري فرحك عند الحاجة الى العجامة فمن يتولى حجامته سلك حجامنا أو يسقى دواء نافعا بشعنا حجامنا فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنضارة من دخل دار ملك للنضارة وعلم انه يخرج منها لاجالة فرأى وجهها حسنا لا يخرج معها من الدار كان ذلك وبالبلاء عليه فرأى وجهها حسنا لا يخرج معها من الدار كان ذلك وبالبلاء عليه لانه تورث الانس بمنزلة الملك فيعذبه فأسابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه يجب مقابلاتها بالشكر (والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنفسهم بالانزاع فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر على المصيبة) وبه اتضح معنى الوجه الخامس (وحكى ان اعرابيا عجز ابن عباس على أبيه) رضى الله عنهما (فقال) ولفظ القوت وحدث ان العباس لما توفي فعد عبد الله للتغزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فبين دخل اعرابي فانشا يقول

(اصبر نسكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنفسهم بالانزاع فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنفسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكى ان اعرابيا عجز ابن عباس على أبيه فقال اصبر نسكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجزل بعده

والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ماعزاني

أحد أحسن من تعزيتي

والاخبار الواردة في الصبر

على المصائب كثيرة قال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم من برد الله به خيرا

يصب منه وقال صلى الله

عليه وسلم قال الله تعالى

اذا وجهت الى عبد من

عبيدي مصيبة في بدنه أو

ماله أو ولده ثم استقبل ذلك

بصبر جميل استجبت منه

يوم القيامة أن أنصبه

ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال

عليه السلام ما من عبد

أصيب بمصيبة فقال كما أمره

الله تعالى أنا لله وأنا اليه

راجعون اللهم أجرني

في مصيبتى وأعقبني خيرا

منها لا فعل الله ذلك به وقال

صلى الله عليه وسلم قال الله

تعالى من سلمت كرىمته

فجزاؤه الخلود في داري

والنظر الى وجهي وروى

أن رجلا قال يا رسول الله

ذهب مالي وسقم جسمي

فقال صلى الله عليه وسلم

لا خير في عبد لا يذهب ماله

ولا يسقم جسمه وإن الله إذا

أحب عبد ابتلاه وإذا ابتلاه

صبره وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم إن الرجل

لتكون له الدرجة عند الله

تعالى لا يبلغها بعمل حتى

يتلى ببلاء في جسمه فيبلغها

بذلك

خير من العباس أجزل بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس (ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي) واستحسن ذلك ثم قال صاحب

القوت وعندنا في قوله تعالى إن الإنسان لظالم كفار قيل ظالم بالخطأ كفار بالنعم وفي قوله تعالى إن

الإنسان لربه لكونه قبيلا وهو الذي يشكو المصائب وينسى النعم ولوعلم أن مع كل مصيبة عشر نعم

بمذاثم أو زيادة قلت شكواه وبدلها شكرا ثم إن المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى

أما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين أو تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين وللابرار

أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين فتجمل العقوبة في الدينار حسنة ونعمة ومعرفة هذه النعم

طريق للشاكرين (والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة) منها (قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من برد الله به خيرا يصب منه) أي ينبل منه بالمصائب ويتلبس بها قال العراقي رواه البخاري من

حديث أبي هريرة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا

الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ولده ثم

استقبل ذلك بصبر جميل استجبت منه يوم القيامة أن أنصبه ميزانا أو أنشر له ديوانا) رواه الحكيم في

النوادر والذيلي في مسند الفردوس من حديث أنس وقد أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من

عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأعقبني خيرا

منها لا فعل الله ذلك) رواه الطيالسي وأحمد وأبو نعيم في الحلية من رواية أم سلمة عن أبي سلمة بألفاظ ما من

عبد يصاب بمصيبة فيقول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى فأجرني فيها وأعقبني منها

خيرا إلا أعطاه الله ذلك ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرغ الى ما أمره الله

به من قول أنا لله وأنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى هذه وعرضي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبتيه

وكان قنات يعرضه الله خيرا منها وقد أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلمت

كرىمته فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي) رواه الطبراني في الكبير والوسط من حديث جرير

بلفظ عوضته عنهما الجنة ورواه أبو يعلى وابن حبان والضايع من حديث ابن عباس قال الله تعالى إذا

أخذت كرىمته عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة وقد تقدم الكلام عليه وأغفله العراقي

(وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد لا يذهب

ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بأسناده لين انتهى قلت الجملة الأولى قد رويت

من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي بلفظ لا خير في مال لا يرزأ وجسد لا ينال منه والجملة الثانية تروى

نحوها من حديث أبي عتبة الخولاني بلفظ إن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه قالوا

يا رسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا رواه الطبراني وابن عساكر وروى البيهقي من حديث أبي

هريرة أن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ليسمع صوته وعند هذا ليسمع نصره وعن الحسن مرسل أن الله إذا

أحب قوما ابتلاهم رواه البيهقي وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد أن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم

فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى

لا يبلغها بعمل حتى يتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك) قال العراقي رواه أبو داود في روايه ابن داسة وابن

العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في روايه الأوثري ورواه أحمد وأبو يعلى

والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو الملقح الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يرو عن خالد إلا

ابنه محمد وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده العلاج بن حكيم فأنه أعلم وعلى هذا فإنه خالد بن العلاج

هو غير خالد بن العلاج العامري ذلك مشهور وروى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في

الصحابه من رواية عبد الله بن أبي اياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية ابراهيم السلمي عن أبيه عن جده قاله أعلم انتهى ورواه كذلك هناد بن السري من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وتعقب وقال الحافظ في الاصابة روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي الملقح الرقي حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم عن أبيه عن جده سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان لا عبد عند الله درجة لم ينله اياها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة قال وقد رواه ابن منده في ترجمة اللجلاج بن حكيم السلمي وزعم انه أخو الخفاف بن حكيم وانه في أهل الجزيرة وساق حديثه من طريق أبي الملقح أيضا الا أنه لم يسم والد خالد بل قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسمة عنه في السنن ولم أر والد خالد سمي الا في رواية ابن شاهين وقال البغوي في الكنى أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد ثم أورده هذا الحديث من طريق أبي الملقح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الاصابة في ترجمة أبي فاطمة الضمري قال البخاري قال ابن أبي أويس حدثني أخى عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقين دنخات على عبيد رابن أبي اياس بن أبي فاطمة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدى قال اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب ان يصح فلا يسقم الحديث وفيه ان الله لينبئ المؤمن وما ينبله الا لكرامته عليه أو لعل له فان له منزلة عنده فلا يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور ووقع ابن يعقوب في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو جواد عن مسلم بن عقيل عن عبد الله بن أبي اياس عن أبيه عن جده قال ابن منده رواه رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبد الله قال الحافظ الا انه سمي أباه أنسابا بدل اياس كذا قال وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين فيقال اياس فلعل الوهم من النسخة (وعن خباب بن الارت) بتشديد المنة بن جندب بن سعد بن خزيمة التميمي ويقال الخراعى أبو عبد الله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهيدا وما بعدها ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف على من صفين عن ثلاث وستين سنة (قال أنينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله ألا تدعوا الله تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفره في الأرض حفرة ويحما بالمشارف فيوضع على رأسه فيجعل فرقتهين ما يصرفه ذلك عن دينه) قال العراقي رواه البخاري فقلت ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن جعفر بن اسحق الموصلي حدثنا محمد بن أحمد بن المنثري حدثنا جعفر بن عون حدثنا معمر بن أبي خالد عن قيس عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع في برده في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعوا الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شئ أو عشط بامشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شئ ولين الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تجلون (وعن علي كرم الله وجهه قال اعما رجل حبسه السلطان فقات فهو شهيد فان ضربه فقات فهو شهيد) هذا أثر أورده في خلال الاخبار (وقال صلى الله عليه وسلم من احلال الله ومعرفة حقها لا تشكوا وجعل ولا تذكر مصيبتك) تقدم الكلام عليه وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال ثلاث من ملاء أمر ابن آدم لا تشك مصيبتك ولا تحدث برجعك ولا ترك نفسك لسانك (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (تولدون للموت وتعمرون للغراب وتعمرون على ما يفتى وتذرون ما يبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قسدة قال قال أبو

وعن خباب بن الارت قال
أتبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد
برائه في ظل الكعبة
فشكونا اليه فقلنا يا رسول
الله ألا تدعوا الله تستنصره
فجلس محمرا لونه ثم قال
ان من كان قبلكم ليؤتى
بالرجل فيحفره في الأرض
حفرة ويحما بالمشارف فيوضع
على رأسه فيجعل فرقتهين ما
يصرفه ذلك عن دينه وعن
على كرم الله وجهه قال أعما
رجل حبسه السلطان فلما
قات فهو شهيد وان ضربه
فقات فهو شهيد وقال عليه
السلام من احلال الله
ومعرفة حقها أن لا تشكوا
وجعل ولا تذكر مصيبتك
وقال أبو الدرداء رضى الله
تعالى عنه تولدون للموت
وتعمرون للغراب وتعمرون
على ما يفتى وتذرون ما يبقى
ألا حبذا المكروهات
الثلاث الفقر والمرض
والموت

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أو أراد أن يصابه صيب عليه البلاء صبا وثب عليه ثوبا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه نائبا فقال يارب قال الله تعالى ليس بك عبدى وسعديك لا تسألنى شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندى ما هو أفضل منه فاذا (١٤٤) كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة

والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيؤد أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاربى لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما قال شكاني من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويحتجب بمعاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويحتجرك دليلك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العبادى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاها فاجزه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له الرزق وأزوى عنه البلاء فاجزه بحسناته في الدنيا حتى يلقاها فاجزه بسبائته وروى انه لما نزل

الدرء ثلاث أحبهن ويكرههن الناس الفقر والمرض والموت ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن شيخ عن أبي الدرداء قال أحب الموت اشتياقا لى ربي وأحب الفقر تواضعا لى ربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي ومن طريق سعيد بن أبي هلال ان أبا الدرداء كان يقول يامعشر أهل دمشق ألا تستحيون تجمعون مالا تاكلون وتبنون مالا تسكنون وتاملون مالا تبلغون الحديث (وعن أنس) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أو أراد أن يصابه صيب عليه البلاء صبا وثب عليه ثوبا فاذا دعاه صوت معروف فان دعاه نائبا فقال يارب قال الله تعالى ليس بك عبدى وسعديك لا تسألنى شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير أو أدخرت لك عندى ما هو أفضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كانوا يصب عليهم البلاء صبا فيؤد أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاربى لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشى عن أنس اخبر منه دون قوله فاذا كان يوم القيامة الخ وبكر بن خنيس والرقاشى ضعيفان ورواه الأصمبهاى فى الترغيب والترهيب بنسائه وأدخل بين بكر وبين الرقاشى ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف اه قلت وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أنس اذا أحب الله عبد اصاب عليه البلاء صبا وثب عليه ثوبا وروى البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسل اذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء فان الله يريد أن يصابه وروى الديلمى من حديث على اذا رأيت العبد ألم به الفقر والمرض فان الله يريد أن يصابه وروى ابن النجار فى تاريخه من حديث عمر بن الخطاب اذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط ويصب عليهم الأجر صبا وروى العياشى من حديث ابن عباس يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فينصب عليهم الأجر صبا حتى ان أهل العافية فى الدنيا الذين فى الموقف ان أجسادهم قرئت بالمقاربى من حسن ثواب الله لهم (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال شكاني من الانبياء) يعنى من بنى اسرائيل (الى ربه فقال يارب المؤمن يطيعك ويحتجب بمعاصيك تزوى عنه الدنيا) أى تصرفها عنه (وتعرض له البلاء) من الفقر والمرض (ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويحتجرك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء) أى تصرفه عنه (وتبسط له الدنيا فاوحى الله اليه ان العبادى والبلاء لى وكل يسبح بحمدى) كما قال تعالى فى كتابه العزيز زوان من شئ الا يسبح بحمده (فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاها فاجزه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له الرزق وأزوى عنه البلاء فاجزه بحسناته فى الدنيا حتى يلقاها فاجزه بسبائته) وهذا أيضا تراوده فى خلال الاخبار (وروى انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوا يحزه قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن فهذا ما تتحزون به يعنى ان جميع ما يصيبك من المرض والاذى والحزن (يكون كفارة لذنوبك) قال العراقي رواه أحمد من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذى من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له اسناد صحيح وقال البرقطنى وروى

قوله تعالى من يعمل سوا يحزه قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن فهذا ما تتحزون به يعنى أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك

وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب (١٥٠) وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك

استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة أي فجأة قال العراقي رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (وعن الحسن بن يسار) البصري رحمه الله تعالى أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكامها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي فصدمه حائط فأتى وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أجل له عقوبة ذنبه في الدنيا) قال العراقي رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن بن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا وصله الطبراني أيضا من رواية الحسن بن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اه قلت ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن إذا أراد الله بعد خير أجل له عقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعد شرا أخر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كانه غيره فيطره في النار ورواه الحاكم من حديث أنس وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إذا أراد الله بعده الخير أجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعده الشر أسهل عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وحديث الحسن بن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقي (وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال المصنف في الدنيا يكسب الأوزار أي بسبب ارتكابها (فاذا عاقبه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة) تقدم قريبا حديث علي من رواية الترمذي بلفظ من أصاب في الدنيا ذنبا عاقبه والله أعدل من أن ينشئ عقوبته على عبده ومن أصاب حدا فبستره الله عليه وعفاه عنه فآله أكرم من أن يعود في شيء قد عفاه عنه ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال من أصاب حدا فجعل عقوبته في الدنيا فآله أعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي (وعن أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظردها بحلم) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة) من (خطوة إلى صلة الرحم) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة ما قطرت في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اه قلت وروى ابن أبي الدنيا في دمع الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبدا كظمها عبد الاملاء الله حوفة إيماناً وروى حديث ابن عمر بلفظ ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في دمع الغضب والطبراني والبيهقي وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسل ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

أيضاً من حديث عمر ومن حديث الزبير قال ليس فيها شيء ثبت (وعن عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل يعطي الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج وقرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني لما تركوا ما أمروا به) فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة أي فجأة قال العراقي رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (وعن الحسن بن يسار) البصري رحمه الله تعالى أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكامها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت إليها وهو عشي فصدمه حائط فأتى وجهه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعد خير أجل له عقوبة ذنبه في الدنيا) قال العراقي رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن بن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا وصله الطبراني أيضا من رواية الحسن بن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اه قلت ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن إذا أراد الله بعد خير أجل له عقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعد شرا أخر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كانه غيره فيطره في النار ورواه الحاكم من حديث أنس وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إذا أراد الله بعده الخير أجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعده الشر أسهل عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وحديث الحسن بن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقي (وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال المصنف في الدنيا يكسب الأوزار أي بسبب ارتكابها (فاذا عاقبه الله في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة) تقدم قريبا حديث علي من رواية الترمذي بلفظ من أصاب في الدنيا ذنبا عاقبه والله أعدل من أن ينشئ عقوبته على عبده ومن أصاب حدا فبستره الله عليه وعفاه عنه فآله أكرم من أن يعود في شيء قد عفاه عنه ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال من أصاب حدا فجعل عقوبته في الدنيا فآله أعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي (وعن أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظردها بحلم) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة) من (خطوة إلى صلة الرحم) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة ما قطرت في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اه قلت وروى ابن أبي الدنيا في دمع الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبدا كظمها عبد الاملاء الله حوفة إيماناً وروى حديث ابن عمر بلفظ ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في دمع الغضب والطبراني والبيهقي وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسل ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

وعن أبي الدرداء قال توفي ابن سليمان بن داود عليه السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكا فغشيا بين يديه في رضى الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه الطريق ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال فلم

(١٤٦)

مشاهرا رجل الى صف يسده وتعام حديث أبي امامة عند الديلمي بعد قوله سواد الليل من خشية الله لا يراه أحد الا الله عز وجل (وعن أبي الدرداء) رضى الله عنه (قال توفي ابن سليمان بن داود عليه السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكا فغشيا بين يديه في رضى الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال سليمان للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة) أى شارع الطريق الذى يسلكه الناس (فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام) للرجل المدعى (ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال) الرجل (فلم تحزن على ذلك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة) لا بد للناس من المروء عليها (فتاب سليمان) عليه السلام (الى ربه) لما نبهه على ذلك (ولم يحزع على ذلك بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز) الاموى رجه الله تعالى (على ابن له مريض) قبل هو عبد الملك (فقال) له (يا بني لان تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون فى ميزانك فقال يا أبت لان يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (و) بروى (عن ابن عباس) رضى الله عنه (انه نعى اليه ابنته له) أى أخبر بموتها (فاسترجع) أى قال انا لله وانا اليه راجعون وصبر (وقال عورة سترها الله تعالى (ومؤنة كفها الله تعالى (وأجر ساقه الله تعالى (ثم نزل) عن سريره (فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (و) يحكى (عن ابن المبارك) عبد الله رجه الله تعالى (انه مات ابن له فعزاه مجوسى يعرفه فقال له ينبغي للعالم ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام) يعنى الصبر (فقال ابن المبارك) لا صحابه (اكتبوا عنه هذه) القولة أى فانهم من الحكم (وقال بعض العلماء ان الله عز وجل ليتلى العبد بالبلاء حتى يمشى على الارض وماله ذنب) ومضى هذا فى الحديث المرفوع روى الطبرانى من رواية محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه ان الله ليتلى عبده بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب وروى الحاكم وتعام وابن عساكر من حديث أبي هريرة ان الله ليتلى عبده المؤمن بالسقم حتى يخفك ذلك عنه كل ذنب (وقال الفضيل) بن عياض رجه الله تعالى (ان الله عز وجل ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الرجل أهله بالخير) وقد روى نحو ذلك فى المرفوع روى الرويانى وأبو الشيخ والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة ان الله ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الوالد ولده بالخير الحديث (وقال حاتم الاصم) رجه الله تعالى (ان الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق باربعة أنفس على أربعة أجناس على الاغنياء بسليمان بن داود (وعلى الفقراء بالمسح) عيسى بن مريم (وعلى العبيد) أى الارقاء (بيوسف) بن يعقوب (وعلى المرضى) بأبواب صلات الله عليهم) أجمعين (وروى ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بنى اسرائيل) لما أحس منهم الشر (واختفى فى الشجرة) فانما انشقت بنصفين فدخل فى بطنها ثم التأمت (فعر فوذلك) وذلك ان ابليس أمسك طرفا من ثوبه فبقى بارزا فلما جاء بنو اسرائيل يتقشون عليه فاخبرهم انه فى بطن الشجرة فلم يصدقوه فاراهم طرف ثوبه فعر فوه (فجىء بالمشارق فشرحت الشجرة حتى بلغ المشار الى رأس زكريا) عليه السلام (فأن منه أنه) أى من ألم مالى من المشار (فاوحى الله تعالى اليه) ان (يا زكريا لن نعبد منك أنه ثانية للاحولك من ديوان النبوة فعوض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشرطين) ولم يثن ويقال انه كان يذكر حين وصل المشار الى حلقة الشريف فزال يذكر من

تحزن على ذلك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يحزع على ذلك بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون فى ميزانى أحب الى من أن أكون فى ميزانك فقال يا أبت لان يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب وعنه ابن عباس رضى الله عنه ما نعى اليه ابنته فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك انه مات له ابن فعزاه مجوسى يعرفه فقال له ينبغي للعالم أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليتلى العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشى على الارض وماله ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاذه عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاذه الرجل أهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله

حلقه

عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق باربعة أنفس على أربعة أجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأبواب صلات الله عليهم وروى ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بنى اسرائيل واختفى فى الشجرة فعر فوذلك فجىء بالمشارق فشرحت الشجرة حتى بلغ المشار الى رأس زكريا فان منه أنه فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا لن نعبد منك أنه ثانية للاحولك من ديوان النبوة فعوض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشرطين

خلقه حتى نشر وسماه هذا الذ كرز كرم المشاور وهو من أذكار اتباع القطب باباً أحد الميسوي قدس سره
 (وقال أبو مسعود البجلي) رحمه الله تعالى (من أصيب بمضمية فزق ثوباً وضرب صدره فكان كما أخذ
 رجماً يريد أن يقتل به ربه عز وجل) هكذا في النسخ وأبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيئاً في بعض النسخ
 ابن مسعود فليحمر (وقال لقمان) رحمه الله تعالى (لابنه يابني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح
 يجرب بالبلاء وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) يستأنس لاشطار
 الأول بما رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي امامة إن الله يجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما
 يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريق فذلك الذي جاء الله من الشبهات ومنهم من
 يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد
 اقتتن قال الحاكم صحيح وقد تعقب بعضه بن معدان وهو ضعيف وأما الشطر الثاني فقد رواه الطبراني في
 الأوسط والبيهقي والضياء من حديث أنس إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ورواه أحمد في الزهد عن وهب بن
 منبه مرسل وروى أحمد والبيهقي من حديث مجاهد بن لبيد إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر
 ومن جزع فله الجزع (وقال) أبو بحر (الأحنف بن قيس) بن معاوية التميمي السعدي البصري وكان
 أحنف الرجلين جميعاً واسمه مخزومة ما مود قليل الحديث (أصبحت يوماً اشتكى ضرسى فقلت لعمي)
 صفعة بن معاوية بن حصين التميمي له صحبة (مائت البارحة من وجع الضرس حتى قلته أنا فقال
 أكثر من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد) قال الزبير بن
 بكار حدثني محمد بن سلام عن الأحنف بن قيس أنه قال لأصحابه أتعجبون من حلي وخلق وانما هذائى
 استفدته من عبي صفعة بن معاوية شكوت اليه وجعا في بطني فاسكنني مرتين ثم قال لي يا ابن أخي
 لا تشك الذي نزل بك إلى أحد فان الناس رجالان أما صديق فيسوءه وأما عدو فيسره ولكن اشك الذي
 نزل بك إلى الذي ابتلاك ولا تشك قط إلى مخلوق مثلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الذي نزل بك
 يا ابن أخي إن لي عشرين سنة لا أرى بعيني هذه سهلاً ولا جبلاً فاشكوت ذلك لزوجتي ولا غيرها اه
 وروى المزي في تهذيب الكمال عن الأحنف قال ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها لأحد (وأوحى
 الله إلى عزير عليه السلام) يا عزير (إذا نزل بك بلية فلا تشكني إلى خلقي كالأشكوك إلى ملائكتي
 إذا صعدت بمساويك وفضائلك) رواه الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ أوحى الله تعالى إلى أنبي العزير
 إن أصابك مصيبة فلا تشكني إلى خلقي فقد أصابني منك مصائب كثيرة ولم أشكك إلى ملائكتي يا عزير
 اعصني بقدر طاقتك على عذابي ولساني حوائجك على مقاديرك لي ولأنما من مكري حتى تدخل جنتي فاهتز
 عزير يركي فأوحى الله تعالى إليه لا تبك يا عزير فان عصيتني بجهلك غفرت لك بحلمي لاني كريم لا أجعل
 بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين

(بيان فضل النعمة على البلاء)

(لعلك تقول) ان (هذه الاخبار) التي سقتها باسمها (تدل على ان البلاء خير في الدين من النعم) لما
 يترتب عليه من الثواب الجزيل (فهو لما نزلت نزل الله بالبلاء) لحوز ذلك الثواب الموعود (فاقول لوجه
 لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعبد في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة) قال
 العراقي رواه احمد من حديث بسر بن أبي أرطاة بلفظ أجراً من خزي الدنيا وعذاب الآخرة واسناد جيد
 ولا يداود من حديث عائشة اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس
 ورواه بالنعنة اه قلت حديث بسر بن أبي أرطاة رواه أيضاً بن حبان والبارودي وابن قانع وابن أبي
 عاصم والطبراني والحاكم والضياء ولفظه اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها وأجر من خزي الدنيا
 وعذاب الآخرة وفي لفظ الطبراني اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها وأجر من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك (وكان يقول هو والانباء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آتنا الحديث ولابي داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركعتين ربنا آتنا الحديث اه قلت عند الشيخين بزيادة فناء ذاب النار وكذلك رواه أحمد وأبو داود وأما دعوة الانبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم في كتاب الحج (وكأنوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيره) رواه أحمد والنسائي والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر واللهم اني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء وقد تقدم في كتاب الدعوات (وقال علي كرم الله وجهه) في مرضه (اللهم اني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما قال سمع رجلا وله والنسائي في اليوم والليلة من حديث علي كنت شاكرا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه من كان بلاء فصبر في فصر به برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (وروى) أبو بكر (الصدیق رضی الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين) أو رده صاحب القوت الا انه قال فما أعطى عبد وقال العراقي رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة باسناد جيد وقد تقدم قلت ورواه أحمد والجيسدي والعوفي في مسانيدهم والترمذي وحسنه والضياء بلفظ سلوا الله العفو والعافية فان أحد الميعط بعد اليقين خيرا من العافية ورواه ابن أبي شيبة وأحمد أيضا والحاكم بلفظ سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فانه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرا من العافية ورواه البيهقي في الشعب بلفظ سلوا الله اليقين والعافية (وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن) ولفظ القوت بعدا يراد حديث أبي بكر رضي الله عنه فضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فاليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من العلل والاسقام واليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان يستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعمة من الملائكة وأقوى المعاني في قوله عز وجل الامن أتى الله بقلب سليم أي سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعاني وبوجود عافية اليقين في القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال في قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضا من الكثرة كما قال تعالى فيطعمهم الذي في قلبه مرض يعني الرضا (وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى الخير الفخري لا شرف فيه العافية مع الشكر) والصبر عند المصيبة (فكم من منعم عليه غير شاكر) وكم من مبتلى غير صابر نقله صاحب القوت وروى نحوه عن مطرف بن عبد الله انه كان يقول نظرت ما خيرا لا شرف فيه ولا آفة ولا كل شيء آفة فواجبته الا ان يعافى عبد فيشكر (وقال مطرف بن عبد الله) بن الخير البصري رحمه الله تعالى من ثقات التابعين تقدمت ترجمته (لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر) أي لان مقام العوافي أقرب الى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال أهل البلاء كذا في القوت وهذا القول رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة قال قال مطرف لان أعافى فذكره (و) معنى ذلك فيما (قال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب الى) كذا في القوت قال العراقي رواه ابن الجوزي في السيرة في دعائه يوم خرج الى الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلًا ورواه أبو عبد الله بن منده من

وكان يقول هو والانباء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية وروى الصدوق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين وأشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شرف فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك أحب الى

فتمنعه فقال ما الذي يمنعه عني ولو أردت أن ألقب لك الكونين مع ملك سليمان ظهر البطن لعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا بني الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقال الشاعر أريد وصاله وريد هجرى * فترك ما أريد لما يريد وهو أيضاً محال ومعناه انى أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرد به بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين

الفساد (فتمنعه) منه (فقال) لها (ما يمنعه عني) ولو أردت أن ألقب لك ملك سليمان ظهر البطن لعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام (لانه كان قد أوتى منطق الطير) فاستدعاه وعاتبه فقال يا بني الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال (ومن هذا القبيل كلام الليل يحويه النهار) (وقول الشاعر) (أريد وصاله وريد هجرى * فترك ما أريد لما يريد)

(هو أيضاً محال ومعناه انى أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر الذى لم يرد به) ولا يبعد عنه أراد ان لا تكون له ارادة بدون ارادة الله وان تكون ارادته تابعة لارادته وصللاً أو هجراً قرراً أو بعداً وفيه قال أبو زيد قدس سره لما قيل له ما تريد أريد أن لا أريد * واعترضه صاحب منازل السالكين فقال هذه أيضاً ارادة وفوقها بانها ارادة مطلوبة وبأنها داخلية في قوله لا أريد * والحاصل انه من باب كمال الرضا (بل لا يصدق في هذا الكلام الابتأويلين أحدهما أن يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسبه رضاء الذى يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصول الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبية فيكون مثاله مثال محب المال اذا أسلم درهمين في درهمين فهو محب الدرهمين بترك الدرهم في الحال الثانية ان يصير رضاء عنده مطلوباً بمن حيث انه رضاء فقط وتكون له لذته في استنساخه رضاء محبوبية منه تريد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استنساخهم رضاء الله تعالى عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لاء اذا قدر وارضاه في البلاء صار البلاء أحب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب (ولكنها لا تثبت) بل تزول وتنقل وهكذا شأن الاحوال (وان ثبتت مثلاً فهي حالة صحيحة) مستقلة (أم حالة اقتضت حالة أخرى وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر) ومحل تأمل والذي يظهر ان الحق القول الثاني وانما تنشأ عن حالة أخرى ترد على القلب (وذكر تحقيقه) بالتفصيل (لا يليق بمناحن فيه) لانه من علوم المكاشفة (وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين) * (بيان الافضل من الصبر والشكر) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر) وهم الاكثرون وظاهر الكتاب والسنة يدلان عليه (وقال آخرون الشكر افضل) من الصبر وقد ذهب اليه بعض العارفين ورجموه بسبع ترجيحات وسيأتى ذكرها في آخر الباب (وقال آخرون هما سبيان) أى مستويان في الدرجة والمقام (لافضلية لاحدهما على الآخر) اذ كل منهما مقام وليس يمكن الترتيب بين مقامين لان في كل مقام طبقات متفاوتة وهذا مذهب القدماء من العلماء اذ سئل بعضهم عن عبيد بن ابى ربيعة أحد هما فصبر وأنعم على الآخر فذكر فسر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى أثنى على عبيد بن ابي ربيعة الصبر والآخر الشكر بشيء واحد فقال في وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أتوب وقال في وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أتوب وهذا المذهب مرجوح كما سيأتى بيانه (وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال) وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون انه لا يجتمع عبيدان في مقام بالسواء لا بد أن يكون أحدهما بعل أو علم أو وجد أو مشاهدة لتفاوت أوجه بمشاهدات وان كان الصواب والقصد واحداً وقال

أحدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسبه به رضاء الذى يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا وسيلة الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبية فيكون مثاله مثال محب المال اذا أسلم درهمين في درهمين فهو محب الدرهمين بترك الدرهم في الحال * الثاني ان يصير رضاء عنده مطلوباً بمن حيث انه رضاء فقط ويكون له لذته في استنساخه رضاء محبوبية منه تريد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى أن صارت لذتهم في البلاء مع استنساخهم رضاء الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لاء اذا قدر وارضاه في البلاء صار البلاء أحب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب وليكنها لا تثبت وان ثبتت مثلاً فهي حالة صحيحة أم حالة اقتضت حالة أخرى

وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بمناحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين * (بيان الافضل من الصبر والشكر) * اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وقال آخرون هما سبيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال

واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلامعنى للتطوير بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان * (المقام الاول) * البيان على سبيل التسهيل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتحقيق بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من (101) الكلام الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ

اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظواهر المشقة لا ينبغى ان تصلح الصبي الطافل بالطيور السمات وضروب الخلاوات بل باللين اللطيف وعلما ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذى هو عليه في بنيتة فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله (فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل) اما من الكتاب فكقوله تعالى أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا فالتساكر يؤتى أجره مرة فاشبه مقام الصبر بمقام الخوف واشبه مقام الشكر بمقام الرجاء وقد قال تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الساكر من قر به ومن السنة (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعز الصبر) ومن أوتي خصلته منهن ما يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه في محبت الصبر بقرب الصبر باليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارترفاع الاعمال وعلاوا العلوم به (وفي الخبر يؤتى بالشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الساكرين ويؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له امانرضى ان تجزيك كما جزينا هذا الساكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكره وابتليتك فصبرت لضعفك لاجل) عليه (فيعطى اضعاف جزاء الساكرين) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وقد) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر وهو ان الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس اشق (قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والساكر يؤتى أجره بحساب لانه انما هو تحقيق الوصف ونفى ما عداه وقد رفع على رضى الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال في حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب اليمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق والزهد والتقريب فن اشفق من النار رجوع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه ويحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه (وأما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الساكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

الله تعالى ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا قيل اقصدوا أقرب طريقا (واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطوير بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل التسهيل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتحقيق بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من (101) الكلام الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظواهر المشقة لا ينبغى ان تصلح الصبي الطافل بالطيور السمات وضروب الخلاوات بل باللين اللطيف وعلما ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذى هو عليه في بنيتة فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة في فضله (فاذا أضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل) اما من الكتاب فكقوله تعالى أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا فالتساكر يؤتى أجره مرة فاشبه مقام الصبر بمقام الخوف واشبه مقام الشكر بمقام الرجاء وقد قال تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الساكر من قر به ومن السنة (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعز الصبر) ومن أوتي خصلته منهن ما يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه في محبت الصبر بقرب الصبر باليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارترفاع الاعمال وعلاوا العلوم به (وفي الخبر يؤتى بالشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الساكرين ويؤتى بالصبر أهل الارض فيقال له امانرضى ان تجزيك كما جزينا هذا الساكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكره وابتليتك فصبرت لضعفك لاجل) عليه (فيعطى اضعاف جزاء الساكرين) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وقد) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر وهو ان الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس اشق (قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والساكر يؤتى أجره بحساب لانه انما هو تحقيق الوصف ونفى ما عداه وقد رفع على رضى الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال في حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب اليمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق والزهد والتقريب فن اشفق من النار رجوع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه ويحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه (وأما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الساكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

أضعاف جزاء الساكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأما قوله الطاعم الساكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحق بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولاه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل قال العراقي رواه
الحري بن أبي اسامة في مسنده بالشرط الاول من حديث أبي موسى بسند ضعيف والطبراني بالشرط الثاني
من حديثه بسند ضعيف أيضا ان امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من
الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ما جزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث اه قلت وروى
الشرط الاول أيضا ابن زنجويه في ترجمته والقضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر وفي لفظ للآخرين
الفقراء بدل المساكين وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس جهاد المرأة حسن التبعل لزوجهما
وجهاد الضعفاء الحج (وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) قال العراقي رواه ابن ماجه من
حديث أبي هريرة بلفظ مدمم من الخبر ورواه بلفظ شارب الخمر الحري بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمرو
وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي ان حديث أبي هريرة اخطأ فيه محمد بن سليمان بن الاصماني اه قلت
ورواه بلفظ المصنف البزار من حديث عبد الله بن عمرو وفي سنده قطر بن خليفة صدوق وثقه أحمد وابن
معين ورواه بلفظ مدمم البخاري في تاريخه وابن حبان من حديث أبي هريرة ومن رواية محمد بن عبد الله
عن أبيه (وأبدا المشبه به أعلى رتبة) من المشبه والا لما حسن وجه التشبيه (فكذلك قوله) صلى الله عليه
وسلم (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي من حديث ابن مسعود وقد تقدم (لا يدل على
ان الشكر مثله وهو كقوله) صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث
أبي هريرة وقد تقدم (فان كل ما ينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفًا وان كان بينهما تفاوت) في الدرجات
(كما يقال الايمان هو العلم والعمل) وروى ابن النجار من حديث عبد الله بن أبي أوفى الايمان قول وعمل
وروى ابن ماجه والطبراني وهمام والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي الايمان عقد بالقلب
وقول بالايمان وعمل بالاركان (فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم) وقد اتفق
أهل المعرفة على ان العلم أفضل من العمل ثم أشار المصنف الى نوع آخر من الاستدلال على تفضيل الصبر بحال
سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وفي أثناء ذلك الاشعار بالرد على من يقول
انهما سيان وبيان ذلك انه قد تقدم قول من قال ان الصبر والشكر سيان لا ترجح لاحدهما على الآخر
وانه استدلل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أنثى عليهما بشاة واحدة وفي هذا غفلة عن لطائف
الافهام وذهاب عن حقيقة نذر الكلام اذ بين ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على
ثنائه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى وشرك سليمان عليه السلام بعد ذلك في وصفين آخرين
وأفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه واذا كرهه كلمة مباهاة
باهي بأيوب عليه السلام عند رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه وفضله بقوله تعالى واذا كره
يا محمد فامر به ذلك والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد
والبلاء منهم أيوب عليه السلام فرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناسير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم
واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم كقوله تعالى واذا كره في الكتاب ابراهيم وكقوله
واذا كره عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل
البصائر واليقين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله ساقية صلى الله عليه وسلم ثم ذكره اياه
وذكر به ثم قال عبادنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام تعرف فيقول
عبادنا فالحق بنظر انهم من أهل البلاء واذا كره عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل البلاء
الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فاضاف أيوب اليهم في حسن الثناء وفي لفظ
التذكير به في الثناء ثم قال نادى ربه فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين فوصله بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة فظهر له بوصف الرجعة فاستراح اليه فناداه

في الشكر وهو كقوله
صلى الله عليه وسلم
الجمعة حج المساكين وجهاد
المرأة حسن التبعل
وكقوله صلى الله عليه وسلم
شارب الخمر كعابد الوثن
وأبدا المشبه به ينبغي أن
يكون أعلى رتبة فكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم
الصبر نصف الايمان لا يدل
على ان الشكر مثله وهو
كقوله عليه السلام الصوم
نصف الصبر فان كل ما ينقسم
قسمين يسمى أحدهما
نصفًا وان كان بينهما
تفاوت كما يقال الايمان هو
العلم والعمل فالعمل هو
نصف الايمان فلا يدل ذلك
على ان العمل يساوي العلم

فشكك اليه واستغاث به فأشبهه بمقام موسى ويونس عليهما السلام في قولهما أتيت اليك وفي قول
 الآخر لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهير فنظر الواجبة ثم وصفه بالاستجابة
 له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سبباً لتنفيذ قدرته ومكانا لمجاري حكمته ومقتضا لفتح اجابته
 ثم قال بعد ذلك كله وهبنا له أهله فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف اذ كان بين من وهب لاهله
 وبين من وهب له أهله فضل في المدح لانه قال في وصف سليمان وهبنا لداود سليمان فاشبهه بفضل أيوب
 في ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون عليهم السلام لانه قال في فضل موسى عليه السلام وتفضيله
 على هرون عليه السلام وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال في مدح داود وهبنا لداود سليمان
 فهو بـموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبهه بمقام أيوب في المباحاة والتذكيرة به بمقام داود عليه السلام
 لانه قال أيضا في وصفه لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال في نعت
 أيوب واذا كر عبدنا أيوب فقد شبه أيوب بـداود وموسى عليهما السلام في المعنى ورفع الله في المقام وهما
 في نفوسنا فضل من سليمان عليه السلام فاشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام
 وعلم الله المقدم ولكن هذا ألقى في قلوبنا والله أعلم ثم قال بعد ذلك راحة مناذ كرفسه ووصفه عند عبده
 تشرى بظله وتعتظيما ثم قال وذكرنا في الابواب فجعله اماما لالعقلاء وقدة لاهل الصبر والبلاء وتذكيرة
 وسلوقة من المكر وبـللاصفياء ثم قال عز وجل انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه ذكرا ثانيا لبعده ووصل
 اسمه باسمه سبحانه وقربا منه لان النون والالف في وجدناه اسمه تعالى والهاء اسم عبده أيوب ثم قال صابرا
 فوصفه بالصبر فظهر مكانه في القوة ثم قال في آخر أوصافه نعم العبد انه أواب فهذا أول وصف سليمان
 وآخره ههنا شركه في الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء وذلك من قوله تعالى
 واذا كر عبدنا أيوب الى قوله أواب وجعل في أول وصف سليمان بانه وهبه لابيه داود فصار حسنة من
 حسنات داود وأشمل قوله نعم العبد انه أواب على أول وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليهم السلام
 أجمعين (و) قد جاء (في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه قال (آخر الانبياء دخول الجنة سليمان
 ابن داود) عليهما السلام (لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه)
 هكذا أورده صاحب القوت ويعني الشطر الاول حديث معاذ الآتي ذكره بعد بحديث وروى البراز من
 حديث أنس آخر من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله
 العراقي (وفي خبر آخر) ولفظ القوت وفي لفظ آخر (يدخل سليمان بن داود الجنة) (بعد الانبياء
 باربعين خريفا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار
 الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكرو وروى الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل
 يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما وقال لم يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة
 (وفي الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان الابواب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء امامهم
 أيوب عليه السلام) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا ولا في الاحاديث الواردة في
 مصارع أبواب الجنة مفرقة ثم قال صاحب القوت وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بموم هذه
 الامارة لانه سيد أهل البلاء وتذكيرة وعبرة لاولي النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ثم أشار المصنف
 الى تفصيل آخر في تفصيل الصبر فقال (وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال
 الفقر والشكر حال الغنى) فن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر وليس هذا
 مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقتوا النفوسهم بذلك وطرقتوا للخلق الى نفوسهم
 من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفي
 هذا تفصيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفصيل أبناء الدنيا على أبناء

وفي الخبر عن النبي صلى
 الله عليه وسلم آخر الانبياء
 دخول الجنة سليمان بن
 داود عليهما السلام لمكان
 ملكه وآخر أصحابي دخول
 الجنة عبد الرحمن بن عوف
 لمكان غناه وفي خبر آخر
 يدخل سليمان بن داود
 باربعين خريفا وفي الخبر
 أبواب الجنة كلها مصراعان
 الابواب الصبر فانه مصراع
 واحد وأول من يدخله أهل
 البلاء امامهم أيوب عليه
 السلام وكل ما ورد في
 فضائل الفقر يدل على
 فضيلة الصبر لان الصبر حال
 الفقر والشكر حال الغنى

فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم - والتعريف لما فيه صلاح دينهم * (المقام الثاني) * وهو البيان الذي نعتد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمرين مهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الإيهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن الموازنة بين الجلة والجللة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال (١٥٤) وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض

منها البعض لاح للنظرين في الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الافضل وأما رباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لاحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة فتأثيرها اصلاح العمل واتخاذها العلم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر

الآخرة (فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم - والتعريف لما فيه صلاح دينهم) اذ ليس فيه صرف عن طواهر الكتاب والسنة (المقام الثاني) وهو البيان الذي نعتد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والايضاح) والتبيين والافصاح (فنقول فيه كل أمرين مهمين) أي غير معلوم الحقائق (لا يمكن الموازنة بينهما مع وجود الإيهام) فيها (مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما) فيرتفع الإيهام (وكل مكشوف) معلوم بحقيقته (يشتمل على أقسام) متنوعة (لا يمكن الموازنة بين الجلة والجللة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان) وبه يتوصل الى الموازنة بين الجلة والجللة (والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة) كما تقدم ذكرها (فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا) في كتاب التوبة (ان هذه المقامات) التسعة من مقامات اليقين (تنظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال) فالعلوم هي الاصول والاحوال ما تنشأ عنهما من الواجيد والاعمال ما تنشأ عنها الواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (والشكر والصبر وسائر المقامات) مما ذكر ومما سيذكر (هي كذلك) لا بد في انتظامها الى الأمور المذكورة (وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها البعض لاح للنظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هي الأفضل) فهذا نظر أرباب الظواهر (وأما رباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال) عندهم (انما تراد للاحوال والاحوال) انما تراد للعلوم (فالأفضل العلوم) وهي المعارف في كل مقام (ثم الاحوال) الناشئة عن مواجيد تلك المعارف (ثم الاعمال) على هذا الترتيب (لان كل مراد لغيره فذلك الغير لاحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال وآحاد المعارف) أي اذا أضيف بعضها الى بعض (وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع) رتبة (من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة) نفسها (فانها) أي تلك العلوم (تراد للمعاملة فتأثيرها اصلاح العمل واتخاذها العلم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه) على الشكل (فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر) وأذا عرفت ذلك (فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى) وعظمته (في ذاته وصفاته وأفعاله) فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه (في ذاته وصفاته وأفعاله) (وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها) وهي القرب من جوار الله تعالى (بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة) فهي المعرفة بالحرة التي لا قيد عليها فلا تنقيد بغيرها) وجعلها حرة نظرا الى انفسكا كها عن ربة التقيد بالغير (وكل ما عداها من المعارف) بمنزلة (عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها) لالذاتها (ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب كنفها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

اما فتنة وفائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة بالحرة التي لا قيد عليها فلا تنقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض

اما بواسطة أو بواسطة كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفته تعالى أقل فهي أفضل وأما الاحوال فنعني بها احوال القلب في
تصفية وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا ظهر وصفا تضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح
القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكان تصغير المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها أقرب الى
الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لاحتالة بسبب القرب من المقصود
وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل (١٥٥) عمل امان يجلب اليه حالة مانعة

من المكاشفة وموجبة لظلمة
القلب جاذبة الى زخارف
الدنيا واما ان يجلب اليه
حالة مهينة للمكاشفة وموجبة
لصفاء القلب وقطع علائق
الدنيا عنه واسم الاول
المعصية واسم الثاني الطاعة
والمعاصي من حيث التأثير
في ظلمة القلب وقساوته
مفتاوتة وكذا الطاعات في
تنوير القلب وتصفية
فدرجاتها بحسب درجات
تأثيرها وذلك يختلف
 باختلاف الاحوال وذلك
 انا بالقول المطلق وبما نقول
 الصلاة النافذة أفضل من
 كل عبادة نافذة وان الحج
 أفضل من الصدقة وان قيام
 الليل أفضل من غيره ولكن
 التحقيق فيه ان الغنى الذي
 معه مال وقد غلبه البخل
 وحب المال على امساكه
 فخراج درهم له أفضل من
 قيام ليل وصيام أيام لان
 الصيام يليق بمن غلبته
 شهوة البطن فاراد كسرها
 أو منعه الشبع عن صفاء

اما بواسطة واحدة (أو بواسطة كثيرة فكما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي
أفضل) فهذه معرفة الموازنة في العلوم والمعارف (وأما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفية
وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا ظهر وصفا) عنها (اتضح له حقيقة الحق) وهذا انما
ينشأ من مواجيد المعارف (فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده)
أي نهشته (لان تحصل له علوم المكاشفة) التي هي المرادة لذاتها (وكان تصغير المرآة) عن الكدورات
(يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها أقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال
القلب فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لاحتالة بسبب القرب من المقصود) فهذا معرفة
الموازنة في الاحوال (وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب) وطهارته من الادناس
(وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة وموجبة لظلمة القلب جاذبة الى
زخارف الدنيا) وبمجانها (واما ان يجلب اليه) حالة مهينة للمكاشفة وموجبة لصفاء القلب وقطع
علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة (والمعاصي) بأسرها (من حيث التأثير في ظلمة
القلب وقساوته مفتاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفية فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها
وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق وبما نقول الصلاة النافذة أفضل من كل عبادة
نافذة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره) وهو على اطلاقه صحيح (ولكن التحقيق
فيه ان الغنى الذي معه مال كبير وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فخراج درهم له أفضل من قيام
ليال وصيام أيام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها) بريضة الصوم (أو منعه الشبع
عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع) لينفض له باب المعرفة في الله تعالى (فاما
هذا المدبر ان لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشغول بنوع فكير يمنعه الشبع
منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالريض الذي يشكو وجع البطن لذا استعمل
دواء الصداغ لم ينتفع به) لاختلاف العلتين (بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه) وغلب طبعه
(والشبع المطاع) وهو الذي يكون هو مغلوبا له وذلك كما عليه بمنزلة الامير المطاع فيعمل بموجب أوامره
ولا يطيع باحث الدين أبدا وهو (من جملة المهلكات) كما ورد ذلك في الخبر ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
الحدث وقد تقدم في كتاب ذم البخل (ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة) منه لانفكاك
الجهتين (بل لا يزاله الاخراج المال) عن ملكه (فعليه ان يتصدق بتمامه) هذا هو الافضل في حقه
(وتفصيل هذا انما ذكرناه في ربيع المهلكات فليرجع اليه) فانه مهم (فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف
وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب
حق الا ان الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعا فليُنظر الى الاغلب فان كان العطش

الفكر من علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذ لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو
مشغول بنوع فكير يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل
دواء الصداغ لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشبع المطاع من جملة المهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة
منه ذرة بل لا يزاله الاخراج المال فعليه ان يتصدق بتمامه وتفصيل هذا انما ذكرناه في ربيع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال
يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق الا أن الخبز للجائع
أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعا فليُنظر الى الاغلب فان كان العطش

هو الاغاب فالماء افضل وان كان الجوع أغلب فالخبز افضل فان تساوى فافهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجين أفضل أم شراب اللينوفر لم يصح الجواب عنه مما قلنا أصلاً نعم لو قيل لنا السكنجين أفضل أم عدم الصفرأة فنقول عدم الصفرأة لان السكنجين مرادله وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وينتهي القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفته تعالى وحبه فالأفضل المعروف دونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حدث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله (١٥٦) من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل

والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا أتني على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً فهو كبرص على وجهه من لامة مع فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستخفه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك وبما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى في ذهنه (محفوظاً لقال انه محفوظ ولا حاجة الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن فقط) وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم قدرا (وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد راعاه دون تكليفه) بان يكاف به غيره (واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ بهذا الخيال طائفة ممن خفت عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

(هو الاغاب فالماء أفضل فان تساوى فافهما متساويان) لافضلية لاحدهما على الآخر (وكذا اذا قيل السكنجين أفضل أم شراب اللينوفر) وفي نسخة اللينوفر وهو نبات يخرج في البرك والانهار عند زيادة الماء وله زهر اسماجوني والشراب المتخذ منه مبرد مرطب نافع للدعال والشوصصة وذات الجنب مقل للقلب مسكن للعطش مزيل للسهل السكائن من الحرارة ملين للطبيعة نافع من الصداع وهو مع حلاوته لا يستعمل صفرأة بخلاف سائر الاشربة الحلوة (لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً نعم لو قيل لنا السكنجين أفضل أم عدم الصفرأة فنقول عدم الصفرأة) أفضل (لان السكنجين مرادله وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وينتهي القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفته تعالى وحبه فالأفضل المعروف دونها الحال ودونها العمل) على هذا الترتيب (فان قلت فقد حدث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) وقال تعالى (ويأخذ الصدقات) وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة (فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا أتني على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً) خفائه عنا (فهو كبرص على وجهه من لامة مع فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستخفه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك وبما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى في ذهنه (محفوظاً لقال انه محفوظ ولا حاجة الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن فقط) وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم قدرا (وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد راعاه دون تكليفه) بان يكاف به غيره (واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ بهذا الخيال طائفة ممن خفت عقولهم (وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

من ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فر بما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشك كل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقد زع عليه دون تكليفه به واعلم انه لا نقصان لابي بفقه هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن فر بما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري وقد اتخذ بهذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا أى معنى لقوله

من ذا الذي يرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لا طعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار
 واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا لو يشاء الله أطعمهم وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
 كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به
 كثيرا فهو لا علم لمنظروا أنهم استخدموا لاجل المساكين والفقراء أولا جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا
 سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كهلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل (١٥٧) العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات
 صفة العلم في نفسه وتأكده

في قلبه حتى يكون ذلك سبب
 سعادته في الدنيا وانما كان
 ذلك من الوالد تلافاه في
 استجراؤه الى ما فيه سعادته
 فهذا المثال يبين لك ضلال
 من ضل من هذا الطريق
 فاذا المسكين اتخذ المال
 يستوفي بواسطة المال
 خبث الخيل وحب الدنيا
 من باطنك فانه مهلك فهو
 كالجمام يستخرج الدم منك
 ليخرج بخروج الدم العلة
 المهلكة من باطنك فالجمام
 خادم لك لا أنت خادم للجمام
 ولا يخرج الجمام عن كونه
 خادما بان يكون له غرض في
 أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت
 الصدقات مطهرة للبواطن
 ومزكية لها عن خبائث
 الصفات امتنع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من
 أخذها وانتهى عنها كما
 نهى عن كسب الجمام
 وسماها أوساخ أموال
 الناس وشرف أهل بيته
 بالصيانة عنها والمقصود
 ان الأعمال مؤثرات في
 القلب كما سبق في ربيع

من ذا الذي يرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين أطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا
 اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا لو يشاء الله أطعمهم
 أنطعم من لو يشاء الله أطعمهم ان أنتم الا في ضلال مبين (وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
 كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به
 كثيرا ويهدي به كثيرا) يعني القرآن (فهو لا علم لمنظروا أنهم استخدموا لاجل
 المساكين والفقراء أولا جل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو
 أمسكنا هلكوا كهلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود
 ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد
 تلافاه في استجراؤه الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق) واستولى الشيطان
 على عقله (فاذا المسكين اتخذ المال يستوفي بواسطة المال خبث الخيل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك
 لك فهو كالجمام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك) الحاصلة من تبسيع الدم
 (فالجمام خادم لك لا أنت خادم للجمام ولا يخرج الجمام عن كونه خادما) لك (بان يكون له غرض في ان
 يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات) لقوله تعالى خذ من
 أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها الآية (امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها
 كما نهى عن كسب الجمام) رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وسماها) أى الصدقات
 (أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها) قال العراقي رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة ان
 هذه الصدقة لا تحل لنا انما هي أوساخ الناس وانما التحل لمحمد ولآل محمد وفي رواية له أوساخ الناس اه
 قلت ورواه ابوداود والنسائي بلفظ ان هذه الصدقات انما هي أوساخ الناس وانما التحل لمحمد ولآل محمد
 (والمقصود ان الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربيع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول
 الهداية ونور المعرفة فهذه القول الكلي والقانون الاصل الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل
 الاعمال والاحوال والمعارف فلترجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل
 واحد منهما معرفة وحال وعمل) اذ تقدم ان المقامات لا تتنظم الا بهؤلاء الثلاثة (فلا يجوز ان تقابل المعرفة في
 أحدهما بالحال والعمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر
 الفضل) والترجيح (ومهما قو بلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر بمار جمعا الى معرفة واحدة اذ معرفة
 الشاكر ان يرى نعمة العينين مثل ما من الله تعالى) فيشكر (ومعرفة الصابر ان يرى العبي من الله) فيصبر
 (وهما معرفتان متلازمان متساويتان هذا ان اعتبرته في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون عن
 الطاعة وعن المعصية وفيهما يتخذ الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة) هو عين شكر الطاعة (لان الشكر

المهلكات والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذه القول الكلي والقانون الاصل الذي ينبغي ان يرجع اليه في
 معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف ولترجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال
 وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب
 يظهر الفضل ومهما قو بلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر بمار جمعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثل ما من الله
 تعالى ومعرفة الصابر ان يرى العبي من الله (وهما معرفتان متلازمان متساويتان هذا ان اعتبرته في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون
 على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتخذ الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصبر عيه باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهم اعتبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجازى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنجاة ما ان تقع ضرورة كالعينين مثلا وما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العي في بعض المعاصي وشكر

البصير عليهما من حيث العمل بامر من أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يتخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكر النعمة العينية وان اتبع النظر كفر نعمة العينية فقد دخل الصبر في شكره وكذا اذا استعان بالعينية على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو مقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى) ومقاومته (فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصبر عيه باعث الشهوة) اي يقهر ويكسر (فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهم اعتبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه) وهذا فيه تأكيد لقول من ذهب الى انهما شيان ومما يدل عليه انهم قالوا ان متعلقات كل من الصبر والشكر والرضا والمحبة متعددة لا اختلاف فيها واذا التحدث أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا بسببها واحوالها التي هي حوادث عن الاعمال (فاذا مجازى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية أما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنجاة ما ان تكون تقع ضرورة كالعينين مثلا وما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما ان لا يظهر الشكوى ويضرب الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العي في معنى المعاصي) وفي نسخة بعض المعاصي (وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامر من أحدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يتخلو عن الصبر فان الاعمى قد كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكر النعمة العينية وان اتبع النظر كفر نعمة العينية فقد دخل الصبر في شكره وكذا اذا استعان بالعينية على الطاعة فلا بد فيه أيضا من الصبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام لم يصبر ولم يكن الشكر أكمل في ان يسلب الانسان الاطراف كما هو يترك كالحجم على وضيم) أي اللوح من الحشيش الذي كان يوضع عليه لحم الجوزور ويقسم (وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آله في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي فيه آله من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة شديدة (وهو جهاد الفقراء) أي بمنزلة الجهاد لهم (ووجود الزيادة نعم وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا) والحاصل ان الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر عن ان يعصى الله بنعمته فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله فقد شكر نعمته (وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال لم يصبر مثلا وكان الكمال في أن يسلب الانسان الاطراف كما هو يترك كالحجم على وضيم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آله في الدين فيفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آله فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعم وشكرها ان تصرف الى الخيرات أو ان لا تستعمل في المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال ألم في صرفه الى الفقر اعترك صرفه الى التمتع المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين أفضل من شيء واحد وان الجمله أعلى رتبة من بعض والبعض وهذا فيه خلل اذ لاتصح الموازنة بين الجمله وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التمتع المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقر الصابر أفضل من الغنى المسلم ماله الصارف اياه الى المباحات لان الغنى الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضاء على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لاجمالة قوة والغنى اتبع نعمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا لان القوة التي عنها يصبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التمتع على المباح والشرف لثلاث القوة التي يدل العمل عليها (١٥٩) فان الاعمال لا تتراد الاحوال القلوب

وتلك القوة حالة للقلب تختلف

بحسب قوة اليقين والايمان فبادل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاجمالة وجيع ماورد من تفضيل أحر الصبر على أحر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى هو السابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم كذا في النسخ ولفظ القوت وقد سئل الجنيد عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم (وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها) هذا نقل كلام الجنيد (والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس) أجد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم وكان كبير الشأن وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة (قد خالفه في ذلك) أي فيما ذهب اليه من تفضيل الصابر على الشاكر (وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد) فيما يقال (فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة وقيل ان يحيى بن معاذ الرازي

احتمال ألم في صرفه الى الفقر اعترك صرفه الى التمتع المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين أفضل من شيء واحد وان الجمله أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لاتصح الموازنة بين الجمله وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التمتع المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقر الصابر أفضل من الغنى المسلم ماله الصارف اياه الى المباحات لان الغنى الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضاء على بلاء أمر الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لاجمالة قوة والغنى اتبع نعمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام) أي سعة عنه (ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا لان القوة التي يصدر عنها الصبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التمتع على المباح والشرف لثلاث القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تتراد الاحوال القلوب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فبادل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لاجمالة وجيع ماورد من تفضيل أحر الصبر على أحر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى هو السابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم كذا في النسخ ولفظ القوت وقد سئل الجنيد عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم (وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها) هذا نقل كلام الجنيد (والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس) أجد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم وكان كبير الشأن وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة (قد خالفه في ذلك) أي فيما ذهب اليه من تفضيل الصابر على الشاكر (وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد) فيما يقال (فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة وقيل ان يحيى بن معاذ الرازي

ما عليهما فشرط الغنى تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتتمتعها وتلذذها والفقير تعجبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته وتقبضها وترغبها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزججها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر

تسلك ببلغ في تفضيل الغنى على الفقر وأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور ووقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه (ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجه في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق) تقريره (ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر) قال صاحب القوت فاما تفضيل التفضل فعلى ثلاثة أوجه أحدها أن المقامات أعلى من الأحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لأنه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيد الشاكر في مقامه * الوجه الثاني من التفضيل المقربون أعلى مقاماً من أصحاب البين فالصابرون من المقرين أفضل من الشاكرين من أصحاب البين والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب البين * فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقرين فليهما أفضل عندك فقد قلنا أن اثنين لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعنى لطائف الاطعمة بمثل ما انفردت الوجوه بالطيفة الصفة مع تشابه الصفات واشتباة الادوات وأفضلهما حينئذ اعرفهما لانه أحبهما إليه تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقيناً لأن اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل * نقول إن الصبر عما يوجب الشكر أفضل وأن الشكر على ما يوجب الصبر أفضل وهذا يختلف باختلاف الأحوال تنسيره أن الصبر عن حظ النفس وعن التمتع والترفة أفضل أن كان عبد حاله النعمة فالصبر عن النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لأن فيه الزهد المجمع على تفضيله ونقول إن الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل أن كان عبد حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له في المعرفة فهو حينئذ أفضل لأن فيه الرضا المنفق على فضله وقال في موضع آخر من كتابه ومن الناس من يقول إن الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند أهل التحصيل من قبل أن الشكر مقام لجملة من الموقنين والترجيب بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدات لأن بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته ولكن تفصيل ذلك من طريق الأحوال والمقامات أما نقول والله أعلم أن الصبر عن النعيم أفضل لأن فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وأن الشكر على المكاره أفضل لأن فيه البلاء والرضا وأن الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل أنه أشق على النفس وأن الصبر مع حال الغنى والمقدرة أن يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل أن الصبر عن المعاصي بالنعم أفضل من الطاعة إن جاهد نفسه فيها فإذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لأنهم شاهدة المقرين وإذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لأنهم حال الزاهدين وفي الخبر نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يعني الأقرب شهابنا فالأقرب فرفع أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه فمن كان به صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الأفضل فقد كان صلى الله عليه وسلم شاكر على شدة بلائه وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء أذهو الأمثل والأقرب إلى وصف الانبياء وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج إلى صبر وإلى شكر وأحد من الأئمة الأربعة سخر من الصبر يحتاج إلى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج إلى صبر عليه ليستوجب المزياد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور اه كلام صاحب القوت وربما أفرط بعض الصوفية وقال الفقير الشاكر أفضل من الغني الشاكر (و) أما قولهم الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فإن ذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاده خازن للمحتاجين والمساكين وإنما ينتظر حاجة تسخ حتى يصرف اليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطالب جاه وصيت ولا لتقليد مئة بل أداء لحق الله

ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجه في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاده خازن للمحتاجين والمساكين وإنما ينتظر حاجة تسخ حتى يصرف اليها ثم إذا صرف لم يصرفه لطالب جاه وصيت ولا لتقليد مئة بل أداء لحق الله

أفضل من الفقير الصابر
فان قلت فهذا لا يشغل على
النفس والفقير يشغل عليه
الفقر لان هذا يستشعر
لذة القدرة وذلك يستشعر
ألم الصبر فان كان متألماً
بفراق المال فيجب بذلك
بلذته في القدرة على الانفاق
فاعلم ان الذي زاهد من
ينفق ماله عن رغبة وطيب
نفسه أكمل حالاً من ينفقه
وهو يجبل به وانما يقطعاه
عن نفسه فقراً وقد ذكرنا
تفصيل هذا فيما سبق من
كتاب التوبة فايلا من النفس
ليس مطلوباً بالعينه بل
لتأديبها وذلك يضاهي
ضرب كلب الصيد والكاب
المتأدب أكمل من الكاب
الاحتاج الى الضرب وان كان
صابراً على الضرب ولذلك
يحتاج الى الايلا والمجاهدة
في البداية ولا يحتاج اليها
في النهاية بل النهاية ان
يصير ما كان مؤلماً في حقه
لذيذا عند كيا صبر التعلم
عند الصبي العاقل لذيذا
وقد كان مؤلماً أولاً لكن
لما كانت الناس كلهم الا
الاقلين في البداية بل قبل
البداية بكثير كالصبيان
أطلق الخبيث القول بان
الذي يؤلم صفته أفضل وهو
كما قال صحيح فيما أوراده من
عموم الخلق فاذا اذا كنت
لاتفصل الجواب وتطلقه
لارادة الاكثر فاطلق القول

تعالى في تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر) بهذا الاعتبار (فان قلت فهذا) الذي ذكرته (لا يشغل
على النفس والفقير يشغل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة) والملك (وذلك يستشعر ألم الصبر)
على العدم (فان كان متألماً بفراق المال فيجب بذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي زاهد
من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً من ينفقه وهو يجبل به وانما يقطعاه عن نفسه فقراً
وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة) فليراجع هناك (فايلا من النفس ليس مطلوباً بالعينه
بل لتأديبها) أي لتأدب (وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكاب المتأدب أكمل من الكاب المحتاج
الى الضرب وان كان صابراً على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلا والمجاهدة في البداية) أي في ابتداء
السلوك (ولا يحتاج اليها في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذا عنده) وهو مقام الرضا
ونشأ عن المحبة (كيا صبر التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلماً أولاً لكن لما كان الناس
كلهم الا الاقلين في) درجة (البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان) في نقصهم (أطلق الخبيث)
الله تعالى (القول بان الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أوراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت
لاتفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر أفضل من الشكر لانه صحيح بالمعنى السابق
الى الان فهم) واليه ذهب أكثر الصوفية قدموا وحديثاً ورأيت الكمال أبا بكر محمد بن اسحق الصوفي قد
جفع في كتابه مقاصد المنجيات الى تفضيل الشكر على الصبر وترجيحه عليه وكلامه فيه غريب فاجبت
ان أورده بنصه ولا أترك منه شيئاً التمام الفائدة اذ هو من وادى كلام المصنف فقال الفرع الثاني في فضل
الشكر على الصبر اختلف العلماء في ذلك بين المرح لاجدهما والمؤي له - حاولنا ان الصبر مقام محمود
تعرف فضيلته بالشرع والتجربة ولكن قد تقرر ان المقامات منازل ولها ترتيب في السلوك كالشرط
والمشروط والوسيلة والمقصود ومن النواذر ان يصل السالك الى المقصود قبل الدخول في وسيلته ولا شك ان
الصبر منزل يضع التائب قدمه الاول فيه وقد قطع عقبات كثيرة يصفر قلب السالك وتحول العادة
ويتكشف له الوجود فبري نعم الله الدارة عليه ظاهرة وباطنة فيفرح بنعم الله ويسلك الطريق بحال
الشكر بعد ان كان سالماً كالحال الصبر ونفس السلوك لا يختلف وانما تختلف الاحوال الباعثة عليه والعمل
الواحد لا يبحث عليه حالان شرعيان لان سوادين لا يكونان في محل واحد في زمن واحد احتراراً لذلك عن وازع
الطبع فانه يحث وازع الشرع في زمان واحد نعم يكون أحدهما لالسالك والثاني فعلاً لحقيقته وقوته
واستيمالاته وقد ترجح الشكر عندى هذه المقدمة وبترجيحات سبعة هي معروضة عليك فسند كر أولاً حقيقة
التفاضل ثم نورد فيها ما وعدنا به حقيقة التفاضل بين الاشياء الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة
فهما تشاركا شيئان في أمر واحد أحدهما عز يد يقال فضله وله الفضل عليه ولا يصح التفاضل بين علمين
من حيث ان أحدهما أشق على فاعله فقد قال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون أعلاها لا اله الا الله
وأدناها ما طاعة الاذى عن الطريق وليس سدر أس البئر من الطريق باسهل من قول لا اله الا الله وقد ثبت
الله على أعمال الملائكة بعدم السأمة والملل والانقطاع وان تسبى بهم يجرى منها مجرى النفس وذلك غاية
الملاذول من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر فقد شوقنا بناجل جلاله الى الجنة وما فيها أكثر
عما شوقنا من النظر الى وجهه تعالى ولا قائل بان لذات الجنة أفضل من لذة النظر الى وجهه تعالى فعلى هذا
تعرف ان حقيقة التفاضل وزن ذات الشئتين وصفاتهما بعين ان البراهين فاهم ارجح فهو الأفضل مثال ذلك
الشكر أرجح من الصبر بسبعة أسباب أحدها ان الله تعالى تسمى به ما جميعاً فخاف في الحديث الذي أخرجه
الترمذي الصبور جاء في كتاب الله الشكور فكما قيل في الصبور مضمين في الشكور وزاد عليه بثلاثة على
نفسه وعلى عباده بكلامه القديم ولا يوجد مثل هذا في اسمه الصبور الثاني النظر في سببهما وسبب الصبر
معرفة الا لا وسبب الشكر معرفة ذى النعمة وشئان بين المعرفتين الثالث النظر في حالهما فالحال الصبر

فاذا أردت التحقيق فلفصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على السلام وهو وراء الرضا والصبر (١٦٢) مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح

استدعاء المكابدة والمجاهدة للغبية وحال الشكر استدعاء الفرح برؤية المنفعة والخدم الفرح أفضل من المتكافؤ عند المخدم الرابع النظر في أعمالهما فعمل الصبر محنة وابتلاء وعمل الشكر نعمة مشكور عليها عند الشاكر وفرق بين من شهد التكليف محنة وابتلاء فيصبر عليه أو بين من رآه نعمة تشوقه الى جوار الله تعالى فيشكر عليها الخامس النظر في علاجهما وعلاج الصبر رؤية الجزاء للظفر وعلاج الشكر رؤية المريد لطاعة المجيد السادس النظر في استدامتهما في السلوك فالشكر مستحب للسالك في كل مقام وحال والاحوال والمقامات لانهاية لها فالشكر على ذلك لانهاية له والصبر ينقطع عنه أول مقام من مقامات الرضا بالاجماع من مشايخ السلوك السابع النظر في الاستدامة المطلقة اذ لو فرض ان الصبر دائم لمكان الى الموت والشكر في الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فهذا يعي المؤمن والكافر فهذه سبع ترجحات كافية للامتثال فهكذا ينبغي أن يكون التراجع بين شينين اذا رجع أحدهما عمل في الارتقاء اليه والله أعلم انتمى كلامه (فاذا أردت التحقيق فلفصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا) بمقدور الله تعالى (وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو) مقام (وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور ودونها) أي دون تلك الدرجات (فان) توفيقنا للحسن وتيسيرنا للبسر ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحييه اليها وتكره الفسوق والعصيان فضلا منه ومنه من جملة النعم بعد الايمان فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهبوا نعم به من المعرفة بذلك والمعونة و (حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقدرى

به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور ودونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقدرى

عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انهما زوجت مني فلبلة زفافها قلت تعالى حتى نحبي هذه اللبلة شكر الله تعالى على ما جعنا فلبينا تلك اللبلة ولم يفرغ أحدنا الى صاحبه فلما كانت اللبلة الثانية قلنا مثل ذلك

زيادة أى قال كل من صاحبها تعالى نحي هذه الليلة شكر الله تعالى على ما من علينا به من الاجتماع وما
 وفقناه من الشكر (فصلنا طول الليلة) ودمنا على ذلك (فند سبعين أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة)
 وفي بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة (كل ليلة) ثم قال هولها (أليس) الامر (كذلك يا فلانة)
 وسماها باسمها (قالت) له (العجوز هو كما يقول الشيخ) وهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب
 في نوالها عليه فيشكرها بالقلب والعقل واللسان هكذا أورد هذه القصة لقشيري في الرسالة (فانظر
 اليها لوصبرها على بلاء الفرقان لولم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه)
 وفائدة ذكر العجوز والشيخ الاعلام بأنهم ماداما على الاشتغال بالله من حالة الصبا الى تلك الحالة (فلا يخفى
 عليك ان هذا الشكر أفضل فاذا الاوقوف على حقائق المفضلات الابتصيل كما سبق) وأما ترجيح بعض
 على بعض على الاطلاق من غير اطلاع على حقائق المفضلات فلا تحقق فيه لان من اطلع على مقاصد
 الشريعة وسائلها عرف المفاضل والافضل من نفس الحقائق واطلع على حكمة الشرع في ذلك (والله
 تعالى أعلم) وبه تم كتاب الصبر والشكر والجد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد
 أفضل الخلق ووفات على آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى ما بعد يوم المعات قال مؤلفه وكان الفراغ من
 تحرير ذلك في الثالثة من ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ١٢٠٠ وكتبه مؤلفه المذكور استاذنا ابو
 النعيص سيدي محمد مرتضى الحسيني غفر الله عنه وكرمه حامداً لله ومصلياً ومستغفراً

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الجد لله الواصل الجد بالنعم والنعم بالشكر * والرجاء بالخوف والخوف بالرجاء * والذكر * أحده على آلائه
 كما أحسنه على بلائه * واستغينه على هذه النفوس البطاء عما أمرت به * السراع الى ما نهيت عنه *
 واستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه * علم غير قاصر وكتاب غير مغادر * وأؤمن به ايمان من عين الغيوب
 ووقف على الموعد * ايماناً نقي اخلاصه الشرك * ويقينه الشك * وأشهد أن لا اله الا الله وحده
 لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل * لا يخف
 ميزان توضعان فيه ولا يتقبل ميزان ترفعان منه * وعلى آله الاطهار * وصحابة الائمة الابرار * وعلى من
 تبعهم باحسان * الى ما بعد يوم القرار * أما بعد فهذا شرح * (كتاب الرجاء والخوف) *

وهو الثالث من الاربعة والثالث والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام أبي حامد
 محمد بن محمد بن محمد الغزالي أفاض الله علينا من لطائف علومه وأذاقنا حلاوة فهمه وأجل قراءه وجعل الجنة
 الفردوس ماواه جلوت فيه عن عرائش حقايقه الخدره ونفائس رقائقه المضونة المستره وسلك فيه
 منهاج الايضاح لعبارائه والافصاح عن مرعى اشاراته متمطياً بعزائم الاعتقاد والانتصاف متجنباً عن التطويل
 والاعتساف راجياً من المولى الكريم الاعانة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق انه لا رب غيره ولا خير
 الاخيره المكافى الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)
 رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الجد لله المرجو لطفه) أى يفقه ورأفته (وثوابه) أى جزاؤه ويستعمل
 في الشر والخير لكن المتعارف في الخير واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه (الخوف مكره)
 وهو اذافا لنعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب (وعقابه) وهو الايلام الذي يتعقب به جرم
 سابق وفي المرجو والخوف براعة الاستهلال وبين الثواب والعقاب حسن المقابلة (الذي عمر قلوب أوليائه
 بروح رجائه) الروح بالفتح ما تلذبه النفس أصله من الريح (حتى ساقهم بلطف آلائه الى النزول)
 أى الاستقرار (بفنائهم) أى ساحة حضرته وهي جنة القرب (والعدول) أى الصرف (عن دار بلائه)
 أى امتحانه (التي هي مستقر أعدائه) وهي نار البعد وبين الاولياء والأعداء حسن المقابلة (وصرف
 بسياط التخويف وزجره العنيف) أى الشديده (وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته)

فصلنا طول الليل فند
 سبعين أو ثمانين سنة
 نحن على تلك الحالة
 كل ليلة أليس كذلك
 يا فلانة قالت العجوز هو كما
 يقول الشيخ فانظر اليها
 لو صبر على بلاء الفرقة أن
 لولم يجمع الله بينهما وانسب
 صبر الفرقة الى شكر الوصال
 على هذا الوجه فلا يخفى
 عليك أن هذا الشكر أفضل
 فاذا الاوقوف على حقائق
 المفضلات الابتصيل كما
 سبق والله أعلم
 * (كتاب الخوف والرجاء
 وهو الكتاب الثالث من
 رباع المنجيات من كتب
 احياء علوم الدين) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)
 الجد لله المرجو لطفه ووثابه
 المخوف مكره وعقابه
 الذي عمر قلوب أوليائه
 بروح رجائه حتى ساقهم
 بلطف آلائه الى النزول
 بفنائهم العدول عن دار
 بلائه التي هي مستقر
 أعدائه وضرب بسياط
 التخويف وزجره العنيف
 وجوه المعرضين عن حضرته
 الى دار ثوابه وكرامته

وصدهم عن التعرض لأثمته والتهدف (١٦٤) لسخطه ونقمته قود الاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق والملاطف الى

وهي الجنة فانها تسمى دار الثواب ودار الكرامة (وصدهم) أي منعهم (عن التعرض لأثمته) وهي
الامة اسم من اللوم (والتهدف) وهو التعرض للهدف (لسخطه ونقمته) أي غضبه وانقامه (قودا)
أي جذبا (لاصناف الخلق) على تباينهم وكثرتهم (بسلاسل القهر والعنف) تارة (وازمة الرفق
والملاطف) أخرى (الى جنته) والازمة جمع زمام وهو ما يقاد به وفيه إيماء الى الخبر الوارد بحج ربنا من
قوم يقادون بالسلاسل الى الجنة وقد تقدم (والصلاة) والسلام (على) سيدنا (محمد) سيد أنبيائه وخير
خليقته (أي مخلوقاته) (وعلى آله وأصحابه وعترته) العتره نسل الانسان وقيل أقارب الرجل الاذنون
(أما بعد فان الرجاء والخوف جناحان) أي بمنزلة الطائر (بهما يطير المشرقون) الى الحضرة الذين تم
سلوكهم (الى كل مقام محمود) وفيه إشارة الى انهم محالان وقد يكون المقام حالا بالعكس كما سيأتي ونقل
القشيري عن أبي علي الروذباري قال الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم
طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهب صار الطائر في حداموت وفي قوله مقام محمود إشارة
لماسبه أي انه ان الرجاء مقام محمود كما أن ضده مزموم (ومطيتان) أي بمنزلة الطائر والمطية ما تغطي ظهرها أي
ركب (بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة) وهي الثنية بين الجبلين (كؤد) أي صعبة المرتقى والمخدر
(فلا يقود) أي لا يسوق (الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا) أي الاطراف (ثقل
الاعباء) أي الاحمال (محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الأزمه) أي الاربعة
الجسم والعذاب الاليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وبغائب الذات الاسياط التخويف وسطوات
التعنيف) وفي الفقرتين تلج الى حديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (فلا بد اذا من
بيان حقاقتهم) أي الرجاء والخوف (وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما
وتعاندتهما) وليس المراد بالتضاد هنا انهما مما يستحيل اجتماعهما في موضع واحد وانما يتعاقبان
كالسواد والبياض فسيأتي للمصنف قريبا ان الخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيقه وانما المراد به
هنا معنى التعاند والتضارب والامساك بالجمع بينهما (ونحن نجتمع ذكرهما في كتاب واحد) اذ لا بد
للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما وهذا بخلاف غير المصنف كالقشيري وصاحب القوت
فانما ذكر كل واحد منهما في باب مستقل (يشتمل) ذلك الكتاب (على شطرين الشطر الاول في
الرجاء) وانما قدمه إيماء الى ان الوصول به أرحى للسالك كالايجي (والشطر الثاني في الخوف أما الشطر
الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواعي الرجاء والطريق الذي يحتل به
الرجاء) وانما قدم القشيري باب الخوف على باب الرجاء تبعه صاحب العلم لان الخوف حال أهل
الابتداء بخلاف الرجاء فانه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة

(بيان حقيقة الرجاء)

(اعلم) وفق الله تعالى (ان الرجاء) بالمداغة الامل وهو (من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين)
وهو المقام الرابع من مقامات اليقين والسالك الطالب واحد الا انه خص السالك بطلب طريق الحق
فالطالب أعم وهو واجب لانه من عقود الايمان بكلام الله تعالى ثم اعلم ان هذا العلم الذي نحن بصده
يترتب على قواعد شتى لو وضعها المصنف في موضع واحد لاختل نظام الترتيب وعسر البناء عليها عند الحاجة
اليها فاختار ان يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبنى عليها أمثاله فقد أشار الى القاعدة المناسبة لهذا الباب
ولما أتى بعده من الأحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله (وانما يسمى الوصف مقاماً اذا ثبت وأقام)
كأنه أشار به الى وجه تسميته أي يسمى المقام مقاماً لثبوته واستقراره (وانما يسمى حالاً اذا كان عارضا
سريع الزوال) أي يسمى الحال حالاً لتحوله وسرعته زواله (كأن الصفة تنقسم الى ثابتة وكسفرة الذهب)
هذا أصل لونه الذي لا يتغير عنه وقد يحمر لعرض فيثبت فيه (والى سريرة الزوال كسفرة الوجوه) فان

جنته والصلاة على محمد
سيد أنبيائه وخير خلقته
وعلى آله وأصحابه وعترته
(أما بعد) فان الرجاء
والخوف جناحان بهما
يطير المشرقون الى كل
مقام محمود ومطيتان بهما
يقطع من طرق الآخرة
كل عقبة كؤد فلا يقود الى
قرب الرحمن وروح الجنان
مع كونه بعيدا بالاراء
ثقل الاعباء محفوفاً بمكاره
القلوب ومشاق الجوارح
والاعضاء الأزمه قال الرجاء
ولا يصعد عن نار الجحيم
والعذاب الاليم مع كونه
محفوفاً بلطائف الشهوات
وبغائب الذات الاسياط
التخويف وسطوات التعنيف
فلا بد اذا من بيان حقيقةهما
وفضيلتهما وسبيل التوصل
الى الجمع بينهما مع تضادهما
وتعاندتهما ونحن نجتمع
ذكرهما في كتاب واحد
يشتمل على شطرين الشطر
الاول في الرجاء والشطر
الثاني في الخوف (أما
الشطر الاول) فيشتمل على
بيان حقيقة الرجاء وبيان
فضيلة الرجاء وبيان دواعي
الرجاء والطريق الذي
يحتل به الرجاء *(بيان
حقيقة الرجاء)* اعلم ان
الرجاء من جملة مقامات
السالكين وأحوال الطالبين
وانما يسمى الوصف مقاماً
اذا ثبت وأقام وانما يسمى

حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكأن الصفة تنقسم الى ثابتة كسفرة الذهب والى سريرة الزوال كسفرة الوجوه الانسان

والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير (١٦٥) ثابت يسمى حال لانه يحول على القرب

وهذا جارئى كل وصف من
أوصاف القلب وغرضنا
الآن حقيقة الرجاء
فالرجاء أيضا يتم من حال
وعلم وعمل فالعلم سبب يشمر
الحال والحال يقتضى العمل
وكان الرجاء اسم للحال من
جمله الثلاثة وبيانه أن كل
ما يلاقيك من مكروه ومحجوب
فيقسم الى موجود فى الحال
والى موجود فيما مضى والى
منتظر فى الاستقبال فاذا
خطر ببالك موجود فيما
مضى سمي ذكر او تذكر
وان كان ما خطر بقلبك
موجودا فى الحال سمي
وجد او ذوقا وادرا كاوانما
سمي وجد الانها حالة تجدها
من نفسك وان كان قد
خطر ببالك وجود شئ فى
الاستقبال وغاب ذلك على
قلبك سمي انتظارا وتوقعا
فان كان المنتظر مكررها
حصل منه ألم فى القلب سمي
خوفا واشفاقا وان كان
محجوبا حصل من انتظاره
وتعلق القلب به واخطار
وجوده بالبال لانه فى القلب
وارتياع سمي ذلك الارتياح
رجاء فالرجاء هو ارتياح
القلب لانتظار ما هو محجوب
عنده ولكن ذلك المحجوب
المتوقع لا بد وأن يكون له
سبب فان كان انتظاره لاجل
حصول أكثر أسبابه فاسم
الرجاء علمه صادق وان كان

الانسان اذا عراه خوف يصغر لونه فاذا زال الخوف رجع الى لونه (والى ما هو بينهما كصفرة المريض)
فتارة تثبت وتارة تزول (فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حال لانه
يحول على القرب) واختلقت اشارات الشيوخ فى الحال والمقام وجود الاشتباه فيهما لمكان تشابههما
فى أنفسهما وتداخلهما فتراعى للبعض الشئ حالا وتراعى للبعض مقاما وكلا الرقيتين صحيح لوجود
تداخلهما واما أحسن ما يفرق به بينهما ما أشار اليه المصنف على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق وقد
يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما والعبد بالاحوال يرتقى الى المقامات (وهذا جارئى كل وصف من
أوصاف القلب) فما يعرف وصف من أوصافه الا وفيه حال ومقام (وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء
أيضا يتم من حال وعلم وعمل) فانه ما من مقام الا وهو يتنظم من هؤلاء الثلاثة والعمل مبراث الحال
والحال مبراث العلم (فالعلم سبب يثمر الحال) أى بمنزلة شجرة والحال ثمرتها (والحال يقتضى العمل) فانه
بمنزلة الغصن (وكان الرجاء اسم للحال من جمله الثلاثة) المذكورة (وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه
ومحجوب فيقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى) من الزمان (والى منتظر فى الاستقبال)
أى فيما سياتى (فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكر او تذكر) ونمنا وأسفا لذكر وجود الشئ
فى القلب أو اللسان وذلك لان الشئ له أربع درجات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده
فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى قلب الانسان ووجوده فى قلبه هو سبب
لوجوده فى لسانه ووجوده فى كتابته ويقال للوجودين الاولين الذكر وأما التذكر فهو محاولة القوة
العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان (وان كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمي وجد او ذوقا
وادرا كا) وفرعا وسورا (وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك) وانما سمي ذوقا على التشبيه
بالذوق الذى هو تناول الشئ بالفم لادراك الطعم وانما سمي ادرا كالانه أحاط عليه علما بكامله (وان كان
قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغاب ذلك على قلبك سمي انتظارا له أو توقعا) فالانتظار هو الثبات
لتوقع ما يكون فى الحال والتوقع تفعل من الوقوع بمعنى الحصول أى تكاف حصول الشئ فى يده (فان
كان المنتظر مكررها حصل منه ألم فى القلب سمي خوفا واشفاقا) وخوفا وقبضا وغما وكدا وقد اختلفت
عباراتهم فى الخوف فقليل هو توقع مكروه أو فوت محبوب وقيل هو حذر النفس من أمور ظاهرة تضره
وقيل توقع مكروه عن أماره مظنونة أو معلومة وأما الاشفاق فعناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب
المشفوق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدى بمن فعنى الخوف فيه أظهر أو بعن فعنى العناية فيه أظهر (وان
كان محجوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لانه فى القلب وارتياع سمي ذلك
الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محجوب عنده) عن اماره مظنونة أو معلومة هذا هو
معناه العرفى وقال بعضهم هو ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة وقيل هو تقرب الانتفاع بما تقدم له سبب تا
وقيل تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا وقال القشيري فى الرسالة هو تعلق القلب بمحجوب سيحصل
فى المستقبل وكان الخوف يقع فى مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما تؤمل فى الاستقبال (ولكن
ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب) ما تقدمه (فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه
فاسم الرجاء علمه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخراط أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه
أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التنى أصدق على
انتظاره لانه انتظار من غير سبب) وطلب لما لا طمع فى وقوعه كبيت الشيبان يعود وقال القشيري
والفرق بين الرجاء والتنى ان التنى يصاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعبارة صاحب

ذلك انتظارا مع انخراط أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة
الانتفاء فاسم التنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلاذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والاعيان كالبنذر فيه والطاعات جارية بحرى تغليب الارض وتطهيرها وتجري حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا مازرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو (١٦٦) بذري أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة ب رجاء صاحب الزرع فكل من

طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته ثم نقي السوكة عن الارض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حقاً وغرور الارعاء وان بث البذر في أرض طيبة لكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمنع أيضاً سمي انتظاره تمنياً لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى

الرجاء (وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى ما يتردد فيه) ويكون التوقع عن اماره اما مظلونة أو معلومة (أما ما يقطع به فلاذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك) أى طلوعها وغروبها في وقتها (مقطوع به) نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه فان نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به (وقد علم أن باب القلوب) ممن نور الله بصيرته (ان الدنيا مزرعة للآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (والقلب كالارض) في قبوله لما يرد عليه (والاعيان كالبنذر فيه والطاعات جارية بحرى تغليب الارض وتطهيرها وتجري حفر الانهار وسياقة الماء اليها فالقلب المستهتر بالدنيا) أى المولع بها (المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر) أى لا يزيد نمواً (ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا مازرع) فان من زرع حصداً (ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة ب رجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته) وهو في مبدأ انشائه (ثم نقي الارض من السوكة والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده) بعد النبات بان يصفر أوراقه ويضعف قوته (ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق) من الرياح المحرقة (والآفات المفسدة) من الدود والجديد وغيرهما (الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة) لا تثبت أو (سبخة) أو (مرتفعة لا ينصب اليها الماء) هو مع ذلك (لم يشغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد سمي انتظاره حقاً وغرور الارعاء وان بث البذر في أرض طيبة ولكن لاماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمنع أيضاً) كالارض المصرية (سمي انتظاره تمنياً لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات) والموانع (فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاء بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة) المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة (كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاله على الموابطة والقيام بمقتضى الايمان في اتقان أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهد بماء الطاعات وترك القلب مشغولاً برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة) وعلا الدرجات (فانتظاره حق وغرور) في الحالات (قال صلى الله عليه وسلم) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (الاجق) وفي لفظ العاجز (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والحياكم من حديث شداد ابن اوس وقد تقدم (وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفاً) خلف اضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) هو اسم واد في جهنم (وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفاً) ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

بذر الايمان وسقاء بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاله على الموابطة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتقان أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهد بماء الطاعات وترك القلب مشغولاً برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الا حق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة قال تعالى نخلف من بعدهم خلفاً اضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً وقال تعالى نخلف من بعدهم خلفاً ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

الادنى ويقولون سيغفر لنا وذنم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبید هذه ابدا وما اظن الساعة فائمة وتلن رددت الى ربى لاجد ن خيرا منها من قبل فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وتمام النعمة الا بدخول الجنة وأما المعاصى فاذا تاب وندارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويؤمها ويشتهى التوبة ويشاقق اليها (١٦٧) حقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية

وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذى قد يفضى الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك رجوة الله المستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجوا لكن خصص بهم استحقاق الرجاء فإما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاءه المغفرة حتى كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهد بسقى ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من أعظم الاعتراض عندى التماسى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة بغير النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط

الادنى ويقولون سيغفر لنا وذنم الله تعالى صاحب البستان (بفلسطين واسمه أبو فطرس) اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبید هذه ابدا وما اظن الساعة فائمة وتلن رددت الى ربى لاجد ن خيرا منها من قبل فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى) الا الصغائر التى لا يخلو من مثلها البشر غير الانبياء (حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وتمام النعمة الا بدخول الجنة) كما فى الخبر الا ترى بياها ذاهو الموطن الاول (وأما المعاصى فاذا تاب وندارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بان يرجو قبول التوبة) وهذا هو الموطن الثانى (وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويؤمها ويشتهى التوبة ويشاقق اليها حقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهية المعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب) الغلب لجانب الرجاء (الذى قد يفضى الى التوبة) وهذا هو الموطن الثالث (وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب) وعهدها بنسائها (ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا) أى السبب والذات (وجاهدوا فى سبيل الله) أى بشكثير الطاعات (أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا) رحمة ربهم (وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء) مشير بالبعد منزلتهم بلفظ أولئك (فإما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع) اليه (فرجاءه المغفرة حتى) وغرور كما قبل الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله ويتنى مغفرته ورجاءه (كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهد بسقى ولا تنقية) واصلاح (قال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (من أعظم الاعتراض عندى التماسى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة بغير النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط فى أمل وأنشد

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس

(ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت انها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغر زماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهداوتخية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتقر عن تعهدا أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فن عرف ان الارض سبخة وأن الماء معوز) أى قليل الوجود (وأن البذر لا ينبت فيترك لاجمالة تفقد الارض والتعب فى تعهدا والرجاء محمود) مقامه (لانه باعث) على العمل حاث عليه كالخوف (واليأس)

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت انها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغر زماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهداوتخية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتقر عن تعهدا أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فن عرف أن الارض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لاجمالة تفقد الارض والتعب فى تعهدا والرجاء محمود لانه باعث واليأس

مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رقيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان
الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال (١٦٨) الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال

الذي هو ضده (مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل) ولفظ القشيري فالرجاء مجرود والتمني معلول
(والخوف ليس بضد للرجاء) كما يتبادر الى الاذهان (بل هو رقيق له كما سيأتي بيانه بل هو) أي الخوف
باعث آخر بطريق آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة (لان السبب الموجب
للخوف هو بعينه سبب الرجاء لان الصفات القديمة تعلقت بكل موجود في الوجود ومنه لعلقها لا تنقض
سرمدا فهي التي يصدر عنها كل ماساء وسر ونفع وضرر فقد تهر وجبر واعطى ومنع كل ذلك على أتم أنواع
الكمال فن عرف ذلك من صفاته تعالى خافه ورجاه وهذا هو الرجاء لذاته الذي لا يتوقع بحسنة ولا يندفع
بسببه انما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمن اختصه في أزله من عباده كما ان الخوف ينشأ عن عدل الله
الذي هو عدله لمن أبعدته عن حضرته في أزله وينتفع به هذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب
الى لباس والقنوط وينتفع بالخوف الذي يراد لذاته من أخرجه رؤية كثرة الاعمال الى الادلال
والامن والاعتزاز (فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما
تقلبت الاحوال) ولا يستعمله مواطن ثلاثة قد أشار اليها المصنف قريبا (و) أما علاماته فهي ما تصدر
(من آثاره) من (التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتشبع بمناجاته والتلطف في التعلق له) عند الدعاء
والسؤال ولذلك ألحق الحليمي رحمه الله تعالى الدعاء بالرجاء وذكره أركاناً وأدبا وقد تقدم بيان ذلك
تفصيلا في كتاب الدعوات فليراجع من هناك (فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر في كل من يرجو مولا كما
من المملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على
الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضض الغرور والتمني) فليستأنف التوبة والاقبال على العمل
بالجد والاجتهاد حتى تظهر عليه تلك الاحوال (فهذا هو البيان) الموضح (لحال الرجاء وما أثره من
العلم وما استثمر منه من العمل ويدل على آثاره لهذه الاعمال - حديث زيد الخيل) بن مهلول بن زيد بن
منهيب الطائي رضي الله عنه (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شيء منه سارعت
اليه وأيقنت بشوابه واذا فاتني منه شيء خزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك
للآخرى هياك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت) قال العراقي زواه الطبراني في الكبير من حديث
ابن مسعود بسند ضعيف وفيه انه قال له أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سمعاه النبي صلى الله عليه
وسلم والخير سمعت أبي يقول ذلك اه قلت ورواه ابن شاهين من طريق سنيين مولى بني هاشم عن الاعمش
عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل راكب حتى أناخ فقال يا رسول الله
انني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن نصلتين فقال ما اسمك قال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل قال
أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله وأخرجه ابن عدي في ترجمة
سنيين وضعفه (فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير في ارتجى أن يكون مراداً بالخير
من غير هذه العلامات فهو مغرور) في وادي الملامات وبالله التوفيق

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله أحبهم)
أي أكثرهم حبا (له) وانسابه (والحب يغلب بالرجاء) لا بالخوف ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم
الرجاء على الخوف في الذكر (واعترض ذلك بماكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والاخر رجاء لثوابه
فالراجي ثوابه أكثر حبه له من الخائف من عقابه) وهو اعتبار صحيح (ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن)

ومن آثاره التلذذ بدوام
الاقبال على الله تعالى
والتشبع بمناجاته والتلطف
في التعلق له فان هذه
الاحوال لا بد وان تظهر
على كل من يرجو مولا كما
من المملوك أو شخصاً من
الأشخاص فكيف لا يظهر
ذلك في حق الله تعالى فان
كان لا يظهر فليستدل به
على الحرمان عن مقام
الرجاء والنزول في حضض
الغرور والتمني فهذه
البيان لحال الرجاء وما أثره
من العلم وما استثمر منه من
العمل ويدل على آثاره لهذه
الاعمال حديث زيد الخيل
اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جئت لاسألك
عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال
كيف أصبحت قال أصبحت
أحب الخير وأهله واذا
قدرت على شيء منه سارعت
اليه وأيقنت بشوابه واذا
فاتني منه شيء خزنت عليه
وحننت اليه فقال هذه
علامة الله فيمن يريد ولو
أرادك للآخرى هياك لها
ثم لا يبالي في أي أوديتها
هلكت فقد ذكر صلى الله
عليه وسلم علامة من أريد
به الخير في ارتجى أن يكون
مراداً بالخير من غير هذه
العلامات فهو مغرور

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى بالله
أحبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر بذلك بماكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن

ربائبه تعالى (ربائب) أى مرغبات (لاسيما فى وقت الموت) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا وقال
القشيري ومن عرف نفسه بالاساءة فينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه انتهى وهى غير معقولة وقت
الموت وفى القوت ولولان الرجاء وحسن الظن من فواصل المقامات ما طلبه العلماء فى آخر الاوقات عند
فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة وكذلك قيل ان
الخوف أفضل ما دام حياً فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل (قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله) ان الله يغفر
الذنوب جميعاً (غفر أصل اليأس) الذى هو ضد الرجاء والقنوط بمعناه قال تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون (وفى اخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أنه قد فرقت بينك
وبين يوسف هذه المدة قال لا قال لانك قات) لاختوته (أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت
الذئب) عليه (ولم ترجى ولم نظرت الى غفلة اختوته ولم تنظر الى حفظي له) نقله صاحب القوت زادنى
رواية عن الله تعالى انه أوحى اليه من سبق عنايتي بك ان جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين
فرجوتى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك لئلا يخل بالخالين (وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا
وهو يحسن الظن بالله) قال العراقى رواه مسلم من حديث جابر اه قلت ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد
ابن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وروى ابن جميع فى صحيحه والخطيب وابن عساكر من حديث
أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن بالله من الجنة قال الذهبي فيه أبو نواس
الشاعر فسقته ظاهره فليس باهل أن يروى عنه (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن
عبدى بى فليظن بى ما شاء) قال العراقى رواه ابن حبان من حديث واثله بن الاسقع وهو فى الصحيحين من
حديث أبى هريرة دون قوله فليظن بى ما شاء اه قلت وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبرانى فى معجمه
حكيم عن أبيه عن جده وحديث واثله رواه أيضاً أبى الدنيا والحكيم وابن عدى والطبرانى فى الكبير
والحياكم والبيهقى وتمام ولفظهم قال الله عز وجل والباقي سواء وفى رواية للطبرانى فى الاوسط وأبى نعيم
فى الحلية وابن عساكر ان الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدى بى ان خير انخير وان شر افشروا رواه
كذلك الشيرازى فى الاقرب من حديث أنس وروى ابن حبان من حديث أبى هريرة قال الله
عز وجل أنا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله ورواية الصحيحين من حديث أبى هريرة
يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى
الحديث وفى رواية لمسلم لم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى والله الله أفرح
بتوبة عبده من أحدكم بمجده ضالته بالفلاة الحديث (ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزاع)
أى حاله تزوع الروح منه (فقال كيف تجدك فقال أجدى أخاف ذنوبى وار جورة ربي فقال صلى
الله عليه وسلم ما اجتمع فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما
الترمذى وقال غريب والنسائى فى الكبير وابن ماجه من حديث أنس وقال النووى اسناده جيد اه قلت
وروى البيهقى من مرسل سعيد بن المسيب رفعه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا أعطاه الله الرجاء
وأمنه الخوف (وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط يا هذا يا أسك من رحمة الله أعظم
من ذنوبك) كذا فى القوت ورواه الشريف الموصوفى فى نهج البلاغة قال صاحب القوت صدق رضى الله
عنه لان اليأس من روح الله الذى يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله التى يرجوها
بالغيوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع عيوبه لانه قطع به واه على صفات الله المرجوة وحكم على كرم
الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكثر وان كانت ذنوبه بكثرة (وقال سفيان) الثورى رحمه الله
تعالى (من أذنب ذنباً فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال) سفيان (لان الله
عز وجل عير) أى عاب (قوما فقال) تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم
الذى ظنتم بربكم أرداكم

الخاسرين (وقال تعالى) في مثله (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أي هلكي في دليل خطابه ان من ظن ظنا حسنا كان من أهل النجاة هكذا أورد صاحب القوت ثم قال وقد جاء في الاثر من أذنب ذنبا فاخره ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر قلت وقول سفیان المذکور سیأتی معناه في أحاديث الرجاء قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجه تتركه وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف (وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يدين الناس) أي يعاملهم بالدين (فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فاقى الله تعالى) ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منافعا عنه حسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي مسعود وحوسب رجل عن كان قبلكم فلم يوجده من الخير شي الا انه كان يخالف الناس وكان موسرا فكان يامر غلامه ان يتجاوزوا عن المعسر فقال قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه بتجاوزوا عنه واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه اه قلت حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو مسعود راوه هو عتبة بن عمر والبدوي الصمعي رضى الله عنه ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معانر جلا من كان قبلكم أنا ملك الموت لي قبض نفسه فقال له هل عملت من خير قال ما أعلم قال له انظر قال ما أعلم شيأ غير اني كنت أبايع الناس وأحارفهم فانظر المعسر وتجاوز عن الموسر فادخله الله الجنة وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة ان رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يدين الناس فيقول لرسوله خذ ما تبسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا فلما هلك قال الله عز وجل هل عملت خيرا قط قال لا الا انه كان لي غلام وكنيت أدين الناس فاذا بعثته يتقاضى قتله خذ ما تبسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك وفي رواية لا أحد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان كان رجل تاجر يدين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فاقى الله فتجاوز عنه (ولما قال) لهم (صلى الله عليه وسلم) يعظهم (لو تعلمون ما أعلم اضحكتكم قليلا ولبيكنم كثيرا ونخر جتم الى الصدقات تلدمون) أي تضربون (صدوركم وتجاوزون) أي تضرعون (الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادي) قال (نخرج عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرجاهم وشوقهم) هكذا هو في سياق القوت ولفظ القشيري في الرسالة وفي بعض التفسيرات رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بني شيبه فرأهم بضحك فقل اضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلا ولبيكنم كثيرا ثم رجع القهقري وقال نزل على جبريل وأتى بقوله نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم اه وقال العراقي رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديث أنس رواه زيادة ونخر جتم الى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم اه قلت أما المتفق عليه من حديث أنس الى قوله كثير ارواه أيضا أحمد والداري والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان ورواه أيضا أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة ورواه ابن عساکر والطبراني من حديث سمرة ورواه ابن عساکر أيضا من حديث أبي الدرداء ورواه زيادة ونخر جتم الى الصدقات تجارون الى الله تجون أولا تجون الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء ورواه زيادة ولما سألكم الطعام والشراب بعد قوله كثيرا الحاكم من حديث أبي ذر وروى الحاكم من حديث أبي هريرة لو تعلمون ما أعلم لبيكنم كثيرا واضحكتكم قليلا يظهر النفاق وترتفع الامانة الحديث وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال قال أبو الدرداء لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شربا على شهوة ولا دخلتم بيتا استظلون فيه ونخر جتم الى الصدقات تضربون صدوركم

وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجه تتركه وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يدين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فاقى الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منافعا عنه حسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية رجوا تجارة لن تبور رواه قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم اضحكتكم قليلا ولبيكنم كثيرا ونخر جتم الى الصدقات تلدمون صدوركم وتجاوزون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقنط عبادي نخرج عليهم ورجاهم وشوقهم

وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام أحبني واجب من يحبني وحبيبي الى خلقي فقال يا رب كيف أحبيك الى خلقك قال
اذكرني بالحسن الجليل واذكر آلائي واحساني وذكركم ذلك فانهم (١٧١) لا يعرفون مني الا الجليل ورؤي أبان بن

أي عياش في النوم وكان
يكثّر ذكر أبواب الرجاء فقال
أوقفني الله تعالى بين يديه
فقال ما الذي جعلك على ذلك
فعلت أردت ان أحبيك الى
خلقك فقال قد غفرت لك
ورؤي يحيى بن أكرم بعد
موته في النوم فقبل له ما فعل
الله بك فقال أوقفني الله بين
يديه وقال يا شيخ السوء
فقلت وفعلت قال فأخذني
من الرعب ما يعلم الله ثم قلت
يا رب ما هكذا حدثت عنك
فقال وما حدثت عنى فقلت
حدثني عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري عن أنس عن
نبيك صلى الله عليه وسلم عن
جبريل عليه السلام انك
قلت أنا عبد ظن عبدني
فليظن بي ما شاء وكنت
أظنك أن لا تعذبني فقال
الله عز وجل صدق جبريل
وصدق نبي وصدق أنس
وصدق الزهري وصدق معمر
وصدق عبد الرزاق وصدقت
قال فالبست ومشى بسين
يدي الولدان الى الجنة
فقلت يا لهامن فرحة وفي
الخبر ان رجلا من بني
اسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم قال فيقول
له الله تعالى يوم القيامة
اليوم أو يسلك من رجعي كما

وتبكون على أنفسكم (وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام) يا داود (أحبنى واجب من يحبني
وحبيبي الى خلقي فقال يا رب) هذا أحبك وأحب من يحبك (و) كيف أحبيك الى خلقك قال أذكرني بالحسن
الجليل واذكر آلائي واحساني وذكركم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجليل) هكذا هو في القوت الا انه قال
أوحى الله الى داود وغيره من الانبياء ثم ساقه ولم يقل وفي الخبر ولذلك قال العراقي لم أجده أصلا وكأنه من
الاسرائيليات (ورؤي أبان بن أي عياش) البصري أو اسمعيل العبدى واسم أبيه فيروز رؤي له أبو داود
مات في حدود الاربعين (في النوم) بعد موته (وكان يكثّر ذكر أبواب الرجاء) والرخص فقال له الراقي
ما فعل الله بك (فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي جعلك على ذلك) أي على أن حدثت عنى بما
حدثت به من الرخص قال (فقلت يا رب أحبيت ان أحبيك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده
صاحب القوت (ورؤي) القاضي (يحيى بن أكرم) بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد فقيه صدوق
روى له الترمذي وكان يرى الرواية بالاجازة والوجادة ولذلك كثّر فيه الكلام مات عن ثلاث وعشرين سنة
في أوخر سنة اثنين وأربعين ومائة (بعد موته في النوم فقبل له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ
السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب) والفرع (ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال
وما حدثت عنى فقلت حدثني عبد الرزاق) بن همام بن نافع الجعفي مولاهم أبو بكر الصغاني ثقة حافظ
مصنف شهر عى في آخر عمره مات سنة احدى عشرة ومائة عن خمس وعشرين سنة روى له الجماعة (عن معمر)
ابن راشد الازدى مولاهم بن عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل مات سنة أربع وخمسين عن ثمان
وخمسين سنه روى له الجماعة (عن الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني الفقيه
الثبت المشهور (عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت) تباركت
وتعاليت (انا عند ظن عبدني فليظن بي ما شاء و) قد (كنت أظن بك ان لا تعذبني فقال عز وجل صدق
نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت قال فالبست) أي من خلق
الجنة (ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لهامن فرحة) هكذا أورده صاحب القوت وحديث انا
عند ظن عبدني تقدم ذكره قريمان رواية واثلة بن الاسقع عند ابن حبان بهذا السياق وليس هو
من حديث أنس وأورده القشيري من وجه آخر فقال سمعت أبا الحسن عبيد الرحمن بن ابراهيم بن محمد
المركي قال حدثنا أبو بكر يحيى بن محمد الاديبي قال حدثنا الفضل بن صدقة حدثنا أبو عبد الله الحسن
ابن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكرم القاضي صديقه الى وكان يودني وأودته فمات يحيى فكنت أشتهي
ان أراه في المنام فاقول له ما فعل الله بك فأريته ليلة في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفرت لي الا انه وبخني ثم
قال لي يا يحيى خلطت على في دار الدنيا فقلت يا رب اتسكت على حديث حدثني به أبو معاوية الضري عن
الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قلت انى لاستحي ان أعذب
ذاشبية بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبي الا انك خلطت على في دار الدنيا (وفي الخبر ان رجلا من
بني اسرائيل كان يقنط الناس) من رجة الله تعالى (ويشدد عليهم) بالانذار والتخويف (قال فيقول الله
تعالى له يوم القيامة اليوم أو يسلك من رجعي كما كنت تقنط عبادي منها) كذا في القوت وقال العراقي واه
البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعا (وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها
ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل) اذهب فأتني بعبدى قال فيجي به
فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان فيقول رده الى مكانه قال فيمشي

كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
لجبريل اذهب فأتني بعبدى قال فيجي به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول رده الى مكانه
قال فيمشي

ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل (١٧٢) الى اى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعبدنى اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله

تعالى اذهبوا به الى الجنة
فدل هذا على ان رجاءه كان
سبب نجاته نسأل الله حسن
التوفيق بلطفه وكرمه
*(بيان دواء الرجاء والسبيل
الذي يحصل منه حال
الرجاء يغلب)*
اعلم ان هذا الدواء يحتاج
اليه احذر جلين امار جل
غلب عليه الياس فترك
العبادة و امار جل غلب عليه
الخوف فاسرف في المواقفة
على العبادة حتى أضمر
بنفسه وأهله وهذان
رجلان ما تزلان عن
الاعتدال الى طرفي الافراط
والتفریط فيحتاجان الى
علاج يردهما الى الاعتدال

ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعبدنى اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبهيق في الشعب وضعفه من حديث أنس اه قلت وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معا اذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق فيبقى رجلا ن فيؤمر بهما الى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى ردوه فيردونه فيقول له لم التفت فيقول كنت أرجو ان تدخلني الجنة فيؤمر به الى الجنة فيقول لقد أعطاني الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندي شيئا وأما لفظ حديث أنس عند البيهقي ان عبد في جهنم ينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل اذهب اتني بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين فيكون فيرجع الى ربه عز وجل فيخبره فيقول اتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيبه به فيوقفه على ربه فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك فيقول يا رب شرمكان وشرمقيل فيقول ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو اذ اخرجتني منها أن تعبدني فيها فيقول ردوا عبدى وتروا كذا كذا أحمد وابن خزيمة (فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته) من النار ولفظ القوت وروى في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له كيف وجدت مكانك الحديث ثم قال فقد صار الرجاء طريقة الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا اليها وبنان الآخر سعى مبادر الى النار لما قال ردوه فمقل له في ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابك في الآخرة وقال خفت ان أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا فقال اذهبوا به الى الجنة نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء يغلب)

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان هذا الدواء يحتاج اليه احذر جلين امار جل غلب عليه الياس) من روح الله تعالى (فترك العبادة) من أصلها (وامار جل غلب عليه الخوف فاسرف في المواقفة على العبادة فاضمر بنفسه وأهله) وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء وقد تقدمت الاشارة للمواطن الثلاثة ثم هذا العبد الذي أورثه الافراط في الخوف الى القنوط اما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بحود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب اذ ارجع اليه فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء كما يشير اليه المصنف فيما بعد (وهذان رجلان ما تزلان عن) حد الاعتدال الى طرفي الافراط والتفریط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال (فاما العاصي المغرور المتنى على الله) المغفرة والدرجات العالية (مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سمومها ملكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء للناس بنص القرآن أى (من غلب عليه البرد) منهم في مزاجه اما من أصله أو من عارض (وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة) في مزاجه اما من طبع أو من عارض وهذا مما اتفق عليه العارزون بالطب والمتكلمون على الخواص (بل المغرور) المتنى (لا يستعمل في حقه الأدوية الخوف والاسباب المهيبة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلفظا ناظرا الى مواقع العال معالجا لسكل علة بما يصادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو والاعتدال كلها وخير الامور واسطها) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره (فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عولج بما يرد به الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهو رأس الاربع مائة بعد الهجرة (زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء) وما يترخص فيه (بل المبالغ في التخويف) والتحذير (أيضا تكاد) أي تقرب (لا تردهم الى جادة الحق وسنن

فاما العاصي المغرور المتنى
على الله مع الاعراض عن
العبادة واقتحام المعاصي
فادوية الرجاء تنقلب
سمومها ملكة في حقه وتنزل
منزلة العسل الذي هو
شفاء لمن غلب عليه البرد
وهو سم مهلك لمن غلب
عليه الحرارة بل المغرور
لا يستعمل في حقه الأدوية
الخوف والاسباب المهيبة
له فلهذا يجب أن يكون
واعظ الخلق متلفظا ناظرا
الى مواقع العال معالجا
لسكل علة بما يصادها لا بما
يزيد فيها فان المطلوب هو
العدل والقصد في الصفات
والاخلاق كلها وخير

الامور واسطها فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عولج بما يرد به الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف أيضا تكاد ان لا تردهم الى جادة الحق وسنن

(الصواب)

الصواب فاما ذكر أسباب الرجاء فيهم بالكيفية ولكن لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استعمال القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد (١٧٣) فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم

تماديا قال على كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس أو فحين غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهم ما جاعا معان لاسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الاخرق الذي يظن أن كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان * وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والاخر استقرار الآيات والاعخبار والآثار * أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان (حتى أعدله في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين) أي كونها على صورة القوس ثم سواهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وجرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينتمى بفقده غرض مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت (وانما كان يفوت به مزية جمال الصورة) فالعناية الالهية اذالم تقصر عن عبادته في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

الصواب) أي طريقه (فاما ذكر أسباب الرجاء) والرخيص (فتلهمهم وتزديهم) أي توقعهم في الردي (بالكيفية ولكن لما كانت أخف) وقعا (على القلوب وألذ عند النفوس) وأرواح عند الاسماع (ولم يكن غرض الوعاظ) وأرباب الكراسي (الاستعمال القلوب) اليهم (واستنطاق الخلق بالثناء عليهم كيما كانوا مالوا الى الرجاء) والرخيص حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في الطغيان تماديا قال على كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله تعالى ولغظه في مخرج البلاغة الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله وقال أبو نعيم في الحليسة حدثنا أبي حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي حدثنا شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن أبي اسحق عن عاصم ابن حمزة عن علي رضي الله عنه قال الان الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخيص لهم في معصية الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره ولا يخبر في عبادة لا علم فيها ولا يخبر في علم لا فهم فيه ولا يخبر في قراءة لا تدبر فيها (ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس) من روح الله (وفحين غاب عليه الخوف) وأفرط عليه حتى أخرجه الى القنوط من رحمة الله (اقتداء بكتاب الله) عز وجل (وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهم ما جاعا معان لاسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء) كما ورد ذلك في الخبر وذلك (بحسب الحاجة) والاضطرار (استعمال الطبيب الحاذق) الذي يضع الهناء موضع النقب (لا استعمال الاخرق) الجاهل (الذي يظن ان كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار) وهو افتعال من العبرة (والاخر استقرار الآيات والاعخبار والآثار) أي تتبعها (أما الاعتبار فهو) استقرار أول الوجود فانك ترى الوجود من قبة العرش الى منتهى الفرش خيرا كما هو لم يكن فيه من الشر الا ما ينسب الى جنس المكلفين والمكافون في جزء يسير من الارض والارض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا في الآخرة الا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم وهذا ظاهر في الاستقرار لان عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا بل ملك من الملائكة يعدل الخلق أجمع فوجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب ولذلك آثار كثيرة أثبت بها على نفسه فقال الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الاكرم الثواب الوهاب العفو الغفور الشكور الصمد المحب الودود السبر الرزاق اللطيف الرؤف المحسن المنعم المنان الرقيق الهادي مع ما يضاف الى هذا من الرضا والمحبة والذكر والمشي والهرولة وما أشبه هذا فانظر الى آثار هذه الافعال وما ورد من الاخبار في فضائل الاعمال شفاء لا يابس وترويح للحائف وترغيب للمعتدل ومن الاعتبار أيضا (ان يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم) الستة عشر (من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجايب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان) أي خلقته (حتى أعدله في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين) أي كونها على صورة القوس ثم سواهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وجرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينتمى بفقده غرض مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت (وانما كان يفوت به مزية جمال الصورة) فالعناية الالهية اذالم تقصر عن عبادته في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

محتاج اليه كالاصابع والاطفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وجرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينتمى بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال العناية الالهية اذالم تقصر عن عبادته في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قدهي له أسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبدا مثلا ولا يحشر أصلا فليست كراهمهم للعدم الا لان أسباب النعم أغلب لاحالة وانما الذي يتسنى الموت نادو ثم لا يتمناه الا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال أكثر (١٧٤) الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجدها تبديلا فالغالب ان أمر

نظرا شافيا علم ان أكثر الخلق قدهي له أسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت (ومفارقة لها) وان أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت مثلا ولا يحشر أصلا فليست كراهمهم للعدم) الذي هو الموت (الا لان أسباب النعم أغلب لاحالة وانما الذي يبقى الموت نادرا) قليل (ثم) اذا فرض تخليه فانه (لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة) هجمت عليه ولم يرمها الانفكاك فاختر بطن الارض على ظهرها (فاذا حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجدها تبديلا) ولن تجد لسنة الله تحويلا (فالغالب ان أمر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا) الذي ذكرناه مع ما سبق من غلبة الرحمة (اذا توكل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء) لا يسين (ومن الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة) المطهرة (وسنها في) أحكام (مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة) الطويلة المذكورة (في) سورة (البقرة من أقوى أسباب الرجاء) وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تدابروا فليدعوا الى أجل مسمى فاكتبوه الى قوله والله بما تعملون عليم (فقبيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل بالنسبة الى الآخرة (ورزق الانسان منها قليل) بالاضافة الى رزق سائر الحيوانات (والدين قليل من رزق فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه) في دنياه وعقباه ولفظ القوت وكان بعض الراغبين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقبيل له في ذلك انهم ليس فيها رجاؤه لا ما وجب رجاؤه الاستبشار فقال بل فيها رجاؤه عظيم فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل وهذا الدين من رزقه قليل من قليل ثم ان الله احتاط في ذلك ودقق النظر الى بان وكذا ديني بالشهود والكتاب وأنزل الله فيه أطول آية ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله في في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها

(الفن الثاني استقراء الآيات)

القرآنية (والاخبار) النبوية (فما ورد في الرجاء) من ذلك كثير (خارج عن الحصر) والاضيق ولكن يذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراغبين (أما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) وهذه أرجى آية في القرآن (و) رينا (في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم) وفي المشهورة المتواترة بحذف قال العراقي واه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب (وقال تعالى) مخبرا عن الملائكة الحافين حول العرش (والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الارض وأخبر تعالى ان النار أعداء لاعدائهم وانما يخوفهم أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده) مثله (قال) تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فانتوكم نار اتلظى لا يصلاها الا الشقي الذي كذب وتولى وقال تعالى في عذوه عن الظالمين (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية) يعني (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) هكذا أورد صاحب القوت وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيرهم ما من رواية على بن زيد بن جعدان عن

الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا توكل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وسنها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقبيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه) (الفن الثاني استقراء الآيات) * فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور

سعيد

الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الارض وأخبر تعالى ان النار أعداء

لاعدائهم وانما يخوفهم أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فانتوكم نار اتلظى لا يصلاها الا الشقي الذي كذب وتولى وقال عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم

سعيد بن المسيب قال لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عطاؤه وتجاوز ما نهى
أحد العيش الحديث (و) جاء (في تفسير قوله تعالى) وسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد
صلى الله عليه وسلم (وأحد من أمته في النار) هكذا أورده صاحب القوت والقائل لذلك ابن عباس
رواه الخطيب في تخيص المشابه بسنده عنه ورواه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس بلفظ
من رضا محمدان لا يدخل أحد من أهل بيته النار وراه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير
عنه قال رضاه ان تدخل أمته الجنة كلهم (وكان أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم) يقول أنتم يا أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله
تعالى قوله تعالى وسوف يعطيك ربك فترضى) وعده ربه تعالى ان يرضيه في أمته هكذا أورده صاحب
القوت وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لأبي جعفر
محمد بن علي بن الحسين أرايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال اي والله حدثني
عمي محمد بن الحنفية عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشفع لامني حتى يناديني ربي رضى
يا محمد فأقول نعم يا رب رضى ثم أقبل على فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية في كتاب
الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قلت اننا نقول كذلك ولما أهل البيت نقول ان أرجى
آية في كتاب الله وسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحباً وقوله تعالى وسعت كل شيء
فدخلت جهنم وغيرها في نوسعة الرحمة من حيث كن شيئاً وقوله تعالى فساد كتبها للذين يتقون معناه
خصوص الرحمة وصفوها لانها نهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذي لاحد له ولا نه لم يخرج عن رحمة
كل شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لان جهنم والنار الكبرى ليس كنه عذابه ولا كنية تعذيبه فن
ظن ذلك فلم يعرفه ولانه انما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار
مصلح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهاراً أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم ان
يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيجه من نهاية ملكه الذي هو قائمه بملكه عن غاية قدرته
وسلطانه وانهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله اظهار ذلك أيضاً عن تعالى صفاته ونهاية معاني أسمائه
المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لانهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد
لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى انه كان حليماً غفوراً وكان الله عليهما حليماً غفولاً ان
المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم فصاروا أعظم علمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره أملاوا
جبل عفوه (وأما الاخبار فقد روى أبو موسى) عبد الله بن قيس الأشعري رضى الله عنه (عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان
يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب فقبل هذا فداؤك من النار) قال صاحب
القوت ويناؤه في حديث أبي يونس عن أبيه عن أبي موسى وقال العراقي رواه أبو داود دون قوله فاذا كان
يوم القيامة الخ فرأها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وهي صحيحة من حديث أبي موسى كما
يأتي في الحديث الذي يليه انتهت قلت لفظ أبي داود أمي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة
انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ورواه كذلك الطبراني والحاكم وروى الحاكم في
السنن من حديث أنس أمي أمة مرحومة مغفولة لها ما تاب عليها وروى الخطيب في المتفق والمفترق
وابن النجار من حديث ابن عباس أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة اذا كان يوم القيامة أعطى
الله كل رجل من أمي رجلاً من أهل الأديان فكان فداءه من النار وفيه عبد الله بن ضراع عن أبيه قال

وفي تفسير قوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال لا يرضى محمد
وواحد من أمته في النار
وكان أبو جعفر محمد بن
علي يقول أنتم يا أهل العراق
تقولون أرجى آية في كتاب
الله عز وجل قوله قل
يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله الآية ونحن أهل
البيت نقول أرجى آية في
كتاب الله تعالى قوله تعالى
واسوف يعطيك ربك
فترضى * وأما الاخبار
فقد روى أبو موسى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال
أمي أمة مرحومة لا عذاب
عليها في الآخرة عجل الله
عقابها في الدنيا الزلازل
والفتن فاذا كان يوم القيامة
دفع الى كل رجل من أمي
رجل من أهل الكتاب فقبل
هذا فداؤك من النار

ابن معين لا يكتب حديثه (وفي لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة يهودي أو نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فباتي فيها) كذا أو رده صاحب القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فدائك من النار وفي رواية لا يموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً انتهى قلت وفي لفظ لمسلم أعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلاً من الكفار فيقال له هذا فدائك من النار واه هكذا عن أبي بردة عن أبي موسى وفي لفظ للطبراني في الكبير وفي الاوسط والحاكم في الكنى إذا كان يوم القيامة بعث الله الى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هالك هذا الكافر فهذا فدائك من النار وفي لفظ لا جد إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن الا أني يهودي أو نصراني حتى يدفع اليه فيقال له هذا فدائك من النار وعند أبي نعيم في الحلية إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم رفع لكل قوم آلهتهم الحديث وفيه فيقال لأهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار وأما الرواية الثانية لمسلم لا يموت رجل الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبراني (وقال صلى الله عليه وسلم الجحى من فجع جهنم وهي حظ المؤمن من النار) قال العراقي رواه أحمد من رواية أبي صالح الاشعري عن أبي امامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه انتهى قلت ويقال هو الانصاري روى له ابن ماجه في كتاب التفسير له وقد رواه أيضاً الطبراني وابن مردويه وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ولفظ الكل الجحى كبير من جهنم فإصاب المؤمن منها كان حظ من النار وفي الصحيحين الجحى من فجع جهنم فأبردوها بالماء وروى الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيرازي في الالقاب وابن عساكر من حديث أبي ريمانة الانصاري الجحى كبير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار وعند ابن النجار من كبير جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروى الطبراني في الاوسط من حديث أنس الجحى حظ المؤمن من النار وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان يوم القيامة وروى البراز من حديث عائشة الجحى حظ كل مؤمن من النار ورواه كذلك القاضي من حديث ابن مسعود زيادة وحي ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة (وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا) الآية (ان الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم اني أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت خير لهم مني فقال إذا لا تخزيك فيهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله قاتروى أحمد وابن عساكر من حديث حذيفة ان ربي استشارني في أمي ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يارب هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى اني لن أخزيك في أمتك يا أحد الحديث (وروى عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحمهم منك لا أجعل حسابهم على غيري لئلا تنظر الى مساوهم أنت ولا غيرك) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس وقال العراقي لم أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم حياتي) أي في الدنيا (خير لكم وموتى خير لكم) ولفظ خير أريد به التفضيل لا الافضلية فلا توصل بمن وليست بمعنى الافضل وانما المقصود ان في كل من حياته وموته خير الا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم (أما حياتي فاسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فنا رأيت منها حسناً حدث الله عليه وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم

وفي لفظ آخر ياتي كل رجل من هذه الامة يهودي أو نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فباتي فيها وقال صلى الله عليه وسلم الجحى من فجع جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت أرحمهم مني فقال إذا لا تخزيك فيهم وروى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحمهم منك لا أجعل حسابهم على غيري لئلا تنظر الى مساوهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتى خير لكم أما حياتي فاسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فنا رأيت منها حسناً حدث الله عليه وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله تعالى لكم

وفي الخبر لولعيني عبدي
بقرب الارض ذنوبا
لعتبه بقرب الارض
مغفرة وفي الحديث
ان الملك ليرفع القلم عن
العبد اذا اذنب ست ساعات
فان تاب واستغفر لم يكتبه
عليه والا كتبها سيئة وفي
لفظ آخر فاذا كتبها عليه
وعمل حسنة قال صاحب
اليمن لصاحب الشمال
وهو أمير عليه ألقى هذه
السيئة حتى ألقى من حسنة
واحدة تضعيف العشر
وأرفع له تسع حسنات
فتلقى عنه السيئة وروى
أنس في حديث انه عليه
الصلوة والسلام قال اذا
أذنب العبد ذنبا كتب
عليه فقال اعرابي وان تاب
عنه قال محي عنه قال فان
عاد قال النبي صلى الله عليه
وسلم يكتب عليه قال
الاعرابي فان تاب قال محي
من صحيفته قال الى متى قال
الى أن يستغفر ويتوب
الى الله عز وجل ان الله
لا يعمل من المغفرة حتى يعمل
العبد من الاستغفار فاذا هم
العبد بحسنة كتبها صاحب
اليمن حسنة قبل أن يعملها
فان عملها كتبت عشر
حسنات ثم يضاعفها الله
سبعائة وتعالى الى سبعائة
ضعف واذا هم بخطيئة لم
تكتب عليه فاذا عملها
كتبت خطيئة واحدة
ووراءها حسن عفو الله

هو وجل

أنس ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرتني (وفي الخبر لولعيني عبدي بقرب الارض ذنوبا لعتبه بقرب الارض مغفرة) ما لم يشرك في شيئا كذا لفظ القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي ذر ومن لعيني بقرب الارض خطيئة لا يشرك في شيئا لعتبه بمثلها مغفرة ولترمذي من حديث أنس الذي قبله يا ابن آدم لولعيني الحديث انتهى قلت لفظا حديث مسلم يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد من عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قربا الارض خطيئة ثم لعيني لا يشرك في شيئا جعلت له مثلها مغفرة الحديث ورواه كذلك أجدوا بن ماجه وأبو عوانة وفي لفظ للطيالسي قال ربكم عز وجل الحسنات بعشر والسبت نواحدة أو أغفرها ومن لعيني بقرب الارض خطيئة لا يشرك في شيئا لعتبه بقرب الارض مغفرة الحديث وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء قال الله عز وجل يا ابن آدم مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك في شيئا غفرت لك على ما كان فيك وان استقبلتني على السماء والارض خطايا وذنوبا استقبلتك بعلمن من المغفرة وأغفر لك ولا بألى ورواه كذلك الشيرازي في الاقواب (وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسنة واحدة من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فبقي عنه هذه السيئة) هكذا أورده صاحب القوت وزاد ويقال ان الله تعالى جميل في قلب صاحب اليمن من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه أمره عليه فاذا عمل العبد الحسنات فرح به ملك اليمن ويقال فرح بها الملائكة فيكتب للعبد بفرحهم الحسنات انتهى وقال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الاول ورواه أيضا أطول منه وفيه ان صاحب اليمن أمير على صاحب الشمال وليس فيه انه يأمر صاحب الشمال بالبقاء السيئة حتى يلقى من حسنة واحدة ولم أجد ذلك أصلا (وروى أنس) رضي الله عنه (في حديث طويل انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي) كان حاضر المجلس (فان تاب عنه قال) صلى الله عليه وسلم (محى عنه) من صحيفته (قال) الاعرابي (فان عاد) الى الذنب (قال صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال) صلى الله عليه وسلم (محى من صحيفته قال) الاعرابي (الى متى) يا رسول الله (قال) صلى الله عليه وسلم (الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يعمل من المغفرة حتى يعمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمن حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعائة ضعف فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه الزبيري والبيهقي في الشعب بلفظ جابر جل فقال يا رسول الله اني أذنبت قال استغفر ربك قال فاستغفر ربك ثم أعود قال فاذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعا قال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور وفيه أبو بدر بشار بن الحكم المصري منكر الحديث وروى الطبراني والبيهقي فيه أيضا من حديث عتبة بن عامر أحدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه هو يتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه ولا يعمل حتى تملوا واسناده حسن ورواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف وسمى الرجل السائل حبيب بن الحرث وليس في الحديثين قوله في آخره فاذا هم العبد بحسنة الخ وفي الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فيهم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعائة ضعف الى أضعاف كثيرة فان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في روايه أو يحاها الله ولا يهلك على الله الا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة انتهى قلت حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك

واحد

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لأصوم الا الشهر لأزید عليه ولا أهمل الا الحصى لأزید عليها

(١٧٩)

وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع أين أأذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي إذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وأن تزدرى به ما سلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا لا كريم إذا قدر عفا وفي لفظ تجاوز (وإذا حسب صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده أصلا (وفيه أيضا) أي في حديث أنس المذكور (ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولوان عبدا هدمها جحرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) هكذا هو في القوت (وفي بعض الاخبار) ولفظ القوت وفي الخبر المنفرد (المؤمن أفضل من الكعبة) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده حرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وان تظن به الاخير او شيخه نصر بن محمد بن سليمان الحصري ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم انتهى قلت لفظ ابن ماجه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بطوف بالكعبة وهو يقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الاخير والابن أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وعند البيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه وفيه حفص بن عبد الرحمن وقال صاحب القوت وفي الخبر المشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الاخبار انه صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وأعظمك وللمؤمن أعظم درجة عند الله منك (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن طيب طاهر) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا يخس (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن أكرم على الله من الملائكة) قال العراقي رواه ابن ماجه من رواية أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ المؤمن أكرم من بعض الملائكة وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى قلت ونحو هذا الحديث قول عمر بن العاص ليس شيء أكرم على الله من ابن آدم قلت الملائكة قال أولئك كمنزلة الشمس والقمر أولئك مجبورون أخرجه البيهقي وقال ان الصحيح وقصم ورفع بعضهم وهو ضعيف وروى ابن النجار عن حكامه حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه المؤمن أكرم على الله من الملائكة القربين (وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمة سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة) كذا في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا هكذا وبغني طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمة سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة

وفي خبر آخر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليرجعوا علي ولم أخلقهم لارجع عليهم وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رجليه تغلب غضبه وفي الخبر المشهور أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رجتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك (رضي الله عنهما) أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان هذه أربعة أحاديث ساقها جله واحدة تبعها صاحب القوت أما الحديث الأول فقال العراقي رواه الطبراني في الدعاء بلفظ من شهد من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى قلت ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وجبت له الجنة وروى النسائي والطبراني في الأوساع من حديث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه كذلك من حديث عمر ورواه تمام في فوائده من رواية جابر عن عمر وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحديث الثاني فقال العراقي رواه أبو داود والحاكم ومجمعه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري وأما الحديث الثالث فقال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال معاذ ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا حرم الله على النار وفي رواية من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أنباء حديث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أني رسول الله لا يليق الله عبد مؤمن به ما لا يحب عن النار يوم القيامة انتهى قلت حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحر بن عبد المطلب معا ولفظهم من لم يقل لا اله الا الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ أبي الدرداء معا وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء من شهد أن لا اله الا الله حرم الله على النار وفيه انقطاع عنه من حديث عثمان بن عفان اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه الا حرم الله على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الاخلاص واسنادها صحيح ولكن هذا ونحوه يخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالسفاعة نعم لا يبيح في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل إيمان (وفي خبر آخر لوعلم الكافر رجة الله ما أنس من جنته أحد) ولفظ القوت من رجنه بدل من جنته قال العراقي متفق عليهم حديث أبي هريرة (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى إن زلزلة

عنهم واه البخاري من حديث أبي هريرة بحبر بنان قوم يجاءهم الى الجنة بالسلاسل (وفي خبر آخر يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليرجعوا علي ولم أخلقهم لارجع عليهم) كذا في القوت وقال العراقي لم أقفله على أصل قلت ولفظ التشير في الرسالة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام قل لهم اني لم أخلقهم لارجع عليهم وإنما خلقتهم ليرجعوا علي انتهى فظهر انه خبر اسرائيلي (وفي حديث أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) انه قال (ما خلق الله شيئاً الا جعل له ما يغلبه وجعل رجليه تغلب غضبه) أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد وقال العراقي رواه أبو الشيخ في الثواب وفيه عبد الرحيم بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب الميزان ليس بواه ولا هو بحج هول انتهى قلت لفظ أبي الشيخ ما خلق الله من شيء الا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رجليه تغلب غضبه ورواه كذلك الحاكم ومجمعه وتعب (وفي الخبر المشهور أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رجتي تغلب غضبي) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وفي لفظ لابن ماجه أن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه ان رجتي تغلب غضبي وقد تقدم (وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك) رضي الله عنهما (أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان) هذه أربعة أحاديث ساقها جله واحدة تبعها صاحب القوت أما الحديث الأول فقال العراقي رواه الطبراني في الدعاء بلفظ من شهد من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى قلت ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وجبت له الجنة وروى النسائي والطبراني في الأوساع من حديث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه كذلك من حديث عمر ورواه تمام في فوائده من رواية جابر عن عمر وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحديث الثاني فقال العراقي رواه أبو داود والحاكم ومجمعه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري وأما الحديث الثالث فقال العراقي رواه الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال معاذ ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله الا حرم الله على النار وفي رواية من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أنباء حديث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أني رسول الله لا يليق الله عبد مؤمن به ما لا يحب عن النار يوم القيامة انتهى قلت حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحر بن عبد المطلب معا ولفظهم من لم يقل لا اله الا الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ أبي الدرداء معا وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر من لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ومن لم يقل لا اله الا الله لم يدخل الجنة ورواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء من شهد أن لا اله الا الله حرم الله على النار وفيه انقطاع عنه من حديث عثمان بن عفان اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه الا حرم الله على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الاخلاص واسنادها صحيح ولكن هذا ونحوه يخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالسفاعة نعم لا يبيح في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل إيمان (وفي خبر آخر لوعلم الكافر رجة الله ما أنس من جنته أحد) ولفظ القوت من رجنه بدل من جنته قال العراقي متفق عليهم حديث أبي هريرة (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى إن زلزلة

الساعة شئ عظيم قال أندرون أي يوم هذا (يوم يقال) فيه (لا دم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول) آدم (كم فيقال له) من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال الراوي (فابلس القوم) أي وقعوا في حيرة (وجعلوا ليكون وتعطوا يومهم) ذلك (عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون) وتصنعون (فقالوا) ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بماذا فقال كم أنتم في الأمم أين بابل) بالبصرة الواحدة وفي بعض النسخ بالثاء الفوقية (وتأريس) بالفوقية وآخرون مهملة وتبت (ومنسك وبأجوج وما أجوج) وهو لاء كلهم من أولاد آدم (أم لا يحصوها إلا الله تعالى) ولكل هؤلاء بقية إلى يوم القيامة في مشارق الشمس كما أن بأجوج وما أجوج في مغاربها (انما أنتم في سائر الأمم كالشعر البياض في جلد الثور الأسود وكالرقة في ذراع الدابة) هكذا هو في سباق القوت والرقة الشبيهة قال العراقي رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال حسن صحيح قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد أنه قلت ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران ولما ظهروا كظم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بهاتين الآيتين يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم إلى قوله ولكن عذاب الله شديد فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المظلي وعرفوا أنه عنده قول يقول فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث النار فيقول أي رب ما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فتعبس القوم حتى ما أبدوا بضاخة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بأصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير وكالرقة في ذراع الدابة وفي لفظ الترمذي قال لما نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم إلى قوله ولكن عذاب الله شديد أثرت عليه هذه وهو في سفر فقال أندرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لا دم ابعث بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فأنشأ المسلمون يقولون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قرءوا سورة الفاتحة لم تكن نبوة قط إلا كان جاهلية في وجهه العدة من الجاهلية فان تحت والا أكلت من المنافقين وما مثلكم إلا كمثل الرقة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجوا ان تكونوا رباع أهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وقال لا أدري قال الثلثين أم لا ورواه كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حنبل والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه وقدرى عن الحسن البصري أيضا رسلا قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل من غزوة العسيرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم فذكر نحوه حديث عمران إلا أنه زاد فيه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فتر من الجاهلية فهم أهل النار وأنكم بين ظهراني خلقين لا يعادها أحد من أهل الأرض إلا كثر وهم بأجوج وما أجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه في الصحيحين يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك بنا وسعديك فيقول ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا إلى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغار وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فسق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فماذا ذلك

الساعة شئ عظيم قال
أندرون أي يوم هذا
هذا يوم يقال لا دم
عليه الصلاة والسلام
قم فابعث بعث النار من
ذريتك فيقول كم فيقال
من كل ألف تسعمائة
وتسعة وتسعون إلى النار
وواحد إلى الجنة قال فابلس
القوم وجعلوا ليكون
ونعطوا يومهم عن الاشتغال
والعمل فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل
بعد ما حدثتنا بماذا فقال
كم أنتم في الأمم أين ناويل
وتأريس ومنسك وبأجوج
وما أجوج أم لا يحصوها إلا
الله تعالى انما أنتم في سائر
الأمم كالشعر البياض في
جلد الثور الأسود
وكالرقة في ذراع الدابة

الواحد فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد وهل أنتم في الامم الا كالشجرة البيضاء في الثور الاسود
أو كالشجرة السوداء في الثور الابيض وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي
في الاسماء والصفات وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسى أما حديث أنس فرواه عبد الرزاق وعبد بن
حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه نزلت يا أيها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في مسيرته فرفع بها صوته حتى ناب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لا آدم يا آدم
فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سددوا قلوبا وبشروا وبشر واو الذي نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع
الدابة وان معكم خليفتين ما كانتا في شيء قط الا أكثرناه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفره الجن
والانس وأما حديث ابن عباس فرواه الزوارق وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم
فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول
ربكم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار واحدا الى الجنة ثم قال اعملوا وابشروا فاشق
ذلك على القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا شطر أهل الجنة ثم قال اعملوا وابشروا
فانكم بين خليفتين لم تكونا مع أحدا الا أكثرناه يأجوج ومأجوج وانما أنتم في الامم كالشامة في جنب
البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة وانما أمي جزء من ألف جزء ورواه ابن مردويه من طريق السكبي عن أبي
صالح عنه بلفظ بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق اذ أنزل الله عليه يا أيها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله شديد فلما أنزلت عليه وقف على ناقته ثم رفع به صوته
فتلاها على أصحابه فقال لهم تعلمون أن ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لا آدم ابعث
بعث النار من ولدك فيقول يارب من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار واحدا
الى الجنة فسكى المساكين بكاء شديدا ودخل عليهم أمر شديد فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الامم
الا كالشجرة البيضاء في الشاة السوداء وانى لارجو ان تكونوا نصف أهل الجنة بل ارجو ان تكونوا
ثلثي أهل الجنة وأما حديث أبي موسى فهو نحو من حديث ابن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير
(فانظر كيف كان) صلى الله عليه وسلم (يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجا الى الله تعالى
اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى حد افراط اليأس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخر لم يكن منافضا للاول ولكن ذكر في الاول مارآه سببا للشفاء
واقصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدى
بسيد الوعاظ) صلى الله عليه وسلم (فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة) اليها (بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه) قال صاحب القوت مقام
الرجاء هو جند من جنود الله تعالى يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين
وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمن معاملته النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها
عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك ويوحشها اذ جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل
الرجاء في الاحوال مثل العوائق والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجمع همه عندهما
ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما قبل عن الله تعالى ان من عبادي ما لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته
لافسده ذلك ومن عبادي ما لا يصلحه الا العسرة ولو اسقمته لافسده ذلك انى أدبر عبادي بعلى انى بهم علم
خير فكذلك من عبادي من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجوده وحسن

فانظر كيف كان يسوق
الخلق بسياط الخوف
ويقودهم بازمة الرجا الى
الله تعالى اذ ساقهم بسياط
الخوف أولا فلما خرج ذلك
بهم عن حد الاعتدال الى
افراط اليأس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال
والقصد والاخر لم يكن
منافضا للاول ولكن ذكر
في الاول مارآه سببا للشفاء
واقصر عليه فلما احتاجوا
الى المعالجة بالرجاء ذكر
تمام الامر فعلى الواعظ ان
يقتدى بسيد الوعاظ
فيتلطف في استعمال أخبار
الخوف والرجاء بحسب
الحاجة بعد ملاحظة العلل
الباطنة وان لم يراع ذلك
كان ما يفسد بوعظه أكثر
مما يصلحه

الظن به فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه (وفي الخبر لولم تذبوا لخلق الله خلقا يذبون فيغفر لهم) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي أيوب اه قلت لفظه عند مسلم لولا انكم تذبون لخلق الله خلقا يذبون فيغفر لهم وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حمد والترمذي وقال حسن غريب وأما سابق المصنف فقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو والانه قال ثم يغفر لهم (وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاءم خلق آخر فيذبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم) كذا في القوت قال أي ان وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولا بد ان يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المغفرة ان الله سبحانه من كل اسم وصفاء من كل وصف فعلا وفي هذا سر المغفرة ومنه معرفة الخصوص قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة قريناه اه قلت ورواه أحمد والطبراني من حديث ابن عباس لولم تذبوا لجاء الله بقوم يذبون فيغفر لهم وروى الشيرازي في الاقواب من حديث أبي هريرة لولا انكم أيها الامة تذبون لا اتخذ الله عبادا يذبون فيغفر لهم وروى ابن عساكر من حديث أنس ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكوا اليه انماصيب من الذنوب فقال لهم لولا انكم تذبون لجاء الله بقوم يذبون فيستغفرون الله فيغفر لهم (وفي الخبر لولم تذبوا لخسبت عليكم ما هو شر من الذنوب قبل وما هو قال العجب) كذا في القوت قال العراقي رواه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب اه قلت وفي لفظ لولم تكونوا تذبون لخسبت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب هكذا رواه الخطاطبي في مساوي الاخلاق والحاكم في تاريخه وأبو نعيم ورواه الديلمي من حديث أبي سعيد قال صاحب القوت ولعمري ان العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الاعمال وهو من كبار أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولان يتلى العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من ان يتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغى والحسد وحجب المدح وطلب الذكرا لان هذه منها معاني صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها هلك ابليس وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصي آدم ربه فاجتباها بعد ما وهدي (وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله أرحم بعنده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها) قال العراقي متفق عليه من حديث عمر بنحوه (وفي الخبر ليغفر الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قفا على قلب أحد حتى ان ابليس ليتناول لها رجا جاء ان نصيبه) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث حذيفة باسناد ضعيف اه قلت ورواه الطبراني في الشعب باللفظ والذي نفسي بيده ليغفر الله الحديث (وفي الخبر ان الله ما تارة رجعة اذخر منها تسعين رجعة وأظهر منها في الدنيا رجعة واحدة فها يترحم الخلق فحسن الوالدة الى ولدها وتعطف الهميمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرجعة الى التسعين ثم يسطها على جميع خلقه وكل رجعتهم طباقي السموات والارض قال فلا يملك على الله يومئذ الاهاك) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة اه قلت لفظ مسلم ان الله عز وجل مائة رجعة أنزل منها رجعة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يترحمون وبها تعطف الوحش على ولدها أخر الله تسعين رجعة يرحم بها عباده يوم القيامة ورواه كذلك ابن ماجه ورواه مسلم أيضا من حديث سلمان وعند البيهقي من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رجعة قسم منها رجعة في دار الدنيا فن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فاذا كان يوم القيامة صيرها مائة رجعة فعاد بها على الخلق وعند مسدد من حديث سلمان ان الله تعالى مائة رجعة منها رجعة تترحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة وعند الحاكم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى مائة رجعة قسم منها رجعة بين أهل الدنيا فوسعتهم الى آجالهم وأخر تسعا وتسعين رجعة لاوليائه وان الله قابض تلك الرجعة التي قسمها بين أهل الدنيا الى التسعة والتسعين فيكملها ما تترجعه لاوليائه يوم القيامة (وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا يخرج من النار قالوا لا أنت يا رسول الله قال

وفي الخبر لولم تذبوا لخلق الله خلقا يذبون فيغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاءم خلق آخر يذبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لولم تذبوا لخسبت عليكم ما هو شر من الذنوب قبل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله أرحم بعنده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر يعطرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى ان ابليس ليتناول لها رجا جاء ان نصيبه وفي الخبر ان الله تعالى مائة رجعة اذخر منها تسعين رجعة وأظهر منها في الدنيا رجعة واحدة فها يترحم الخلق فحسن الوالدة على ولدها وتعطف الهميمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرجعة الى التسعين ثم يسطها على جميع خلقه وكل رجعتهم طباقي السموات والارض قال فلا يملك على الله يومئذ الاهاك وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا يخرج من النار قالوا لا أنت يا رسول الله قال

ولأنا لا نأتى بغير ما جرت عليه من حديث أبي هريرة وعنده ابن حبان ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولأنت الحديث وفي آخره ولكن سددوا وعند الطبراني من حديث أبي موسى ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة قيل ولأنت الحديث ورواه كذلك ابن حبان والبعثي وابن قانع والطبراني أيضا من حديث شريك بن طارق قال البغوي ولأعلم له غيره وهذا الحديث قد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا واثبروا واعلموا أن أحد النجيين عمله) قد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم إني اختبأت شفاعة لاهل الكافر من أمي) قال العراقي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ورواه مسلم من حديث أنس والترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعة لاهل الكافر من أمي اه قلت لفظ الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة يدعوهم فأمر بدان أنتخبني دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وقد رواه أحمد كذلك وفي اللفظ لمسلم من حديث جابر لكل نبي دعوة قد دعاهم إني أمتهم وإني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وفي اللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة فتجمل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه وفي لفظ للشيخين من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة دعاهم إني أمتهم فاستجب له وإني أريد أن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي لفظ لمسلم لكل نبي دعوة مستجابة يدعهم أفيستجاب له فيؤاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وأما حديث شفاعة لاهل الكافر من أمي فقد رواه أنس وجابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس حديث أنس رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب وابن أبي عاصم والبخاري وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان وصححه والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وقال انه اسناد صحيح والضياء في المختارة كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه ورواه أيضا أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقي من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ الشفاعة لاهل الكافر من أمي ورواه البيهقي من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ قلنا يا رسول الله إن تشفع قال لاهل الكافر من أمي وأهل العظام وأهل الدماء ومن طريق زياد النخعي عن أنس بلفظ ان شفاعة أو ان الشفاعة لاهل الكافر وأما حديث جابر فرواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحيحهم والبيهقي وبويعين في الحلية والضياء كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه وقد رواه عن زهير عمرو بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البناني والوليد بن مسلم وأما حديث ابن عمر فرواه الخطيب في التاريخ وأما حديث كعب بن عجرة فرواه الدارقطني في الأفراد والخطيب في التاريخ وفي البعث للبيهقي من طريق الشعبي عنه قال قلت يا رسول الله الشفاعة الشفاعة فقال شفاعة لاهل الكافر من أمي وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني في الكبير بروقدري عن أبي الدرداء ولكن بلفظ الذنوب بدل الكافر رواه الخطيب في التاريخ وانظروا شفاعة لاهل الذنوب من أمي قال أبو الدرداء وان زني وان سرق قال نعم وان زني وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء (أرونها للمطيعين المتقين بل هي للمتولين المخلفين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى وأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثي أرونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم اه قلت رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة في جزئه والطبراني وابن النجار ومن حديث أبي موسى رواه أيضا الطبراني ولفظ الجميع شطر أمي بدل نصف وفيه أفترونها للمؤمنين المتقين لا ولا لكنها للمذنبين المتولين الخطائين (وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله والطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن اسحق رواه الغنعة اه قلت ترجم البخاري في صحيحه باب أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وقد رواه أيضا بدون

ولأنا الآن يتفـ مدني
الله رحته وقال عليه
أفعل الصلاة والسلام
اعملوا وابشروا واعلموا
ان أحـالم ينجه عليه
وقال صلى الله عليه وسلم
اني اختبأت شفاعتي لاهل
الكآثر من أمتي أترونها
لأطيعين المتقين بل هي
للمتأولين الخاططين وقال
عليه الصلاة والسلام بعثت
بالحنيفة السمحة السهلة

وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا (١٨٥) سماحة وبدل على معناه استجابة الله تعالى

للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا أصروا قال تعالى ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصفع الصفع الجبيل قال يا جبريل وما الصفع الجبيل قال عليه السلام إذا عفوت عن ظالمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فأنه تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمي والاخبار الواردة في أسباب الجزاء أكثر من أن تحصى * (وأما الآثار) * فقد قال علي كرم الله وجهه من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فأنه أكرم أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فأنه تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة (وفي لفظ آخر) لا يذنب عبد في الدنيا فيستره الله عليه إلا غفر له في الآخرة هكذا هو في القوت وأورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين قلت وقد روي ذلك من فروعنا حديث علي رضي الله عنه بلفظ من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فأنه أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فأنه أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم ومصححاه وقد تقدم (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (ما أحب أن يجعل حسابي إلى أي شيء أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما) كذا في القوت وأخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض السلف المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلاً تراه فتشهد عليه) نقله صاحب القوت ويشهد له ما جاء في الآثار أن اباب العبد من ذنوبه أنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وبدلها حسنات حتى برد القيامة وليس شيء عليه (وكتب محمد بن مصعب) بن صدقة الفرقاني صدوق روي له الترمذي وابن ماجه مات سنة ثمان وعشرين (إلى الأسود بن سالم بخطه) هكذا في النسخ فإن الكاتب هو محمد بن مصعب فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب إلى أسود بن سالم بخطه

لفظ السهلة الذي يلي من حديث عائشة وابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي ثابت مرسل ورواه الخطيب وابن النجار من حديث جابر بن زيادة ومن خالف سنتي فليس مني وأما حديث ابن عباس أحب الدين الخ فرواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد والبراز من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله تعالى قال الحنيفية السمحة وله طرق ورواه البزار أيضاً عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده ورواه بن زيادة فاذا رأيت أمي لا يقولون للظالم أنت ظالم فقد تودع منهم الحاكم والترمذي في الغرائب وابن عساكر وأبو موسى المديني في المعرفة من حديث أسعد بن عبد الله بن مالك الخزازي (وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة) قال العراقي ورواه أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد اه قلت رواه الذي يلي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعنه ونظر عائشة إليهم قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة وإني بعثت بالحنيفية السمحة رواه أحمد هكذا من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه قال قال لي عروة أن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحبشة لتعلمن ذكره بلفظ أني أرسلت بدل بعثت وسنده حسن (ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم) ربنا (ولا تحمل علينا أصرنا) كما جلت على الذين من قبلنا فقال قد فعلت (وقال) الله عز وجل ومن أحسن من الله قليلاً (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم) فهذه العلوم هي أسباب قوة الرجاء في أولى الأبواب كيف وقد جاءها بقلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روي عن الله تعالى أنالي الرجاء والعفو أقرب مني إلى العقوبة (وروي) أبو القاسم (محمد بن) علي بن أبي طالب الهاشمي المديني ابن (الحنفية) منسوب إلى أمه من بني حنيفة ثقة عالم مات بعد الثمانين (عن) أبيه (علي رضي الله عنه) أنه قال لما نزل قوله تعالى فاصفع الصفع الجبيل قال (صلى الله عليه وسلم) يا جبريل وما الصفع الجبيل قال إذا عفوت عن ظالمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فأنه تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله إليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمي والاخبار الواردة في أسباب الجزاء أكثر من أن تحصى * (وأما الآثار) * فقد قال علي كرم الله وجهه من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فأنه أكرم أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فأنه تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة (وفي لفظ آخر) لا يذنب عبد في الدنيا فيستره الله عليه إلا غفر له في الآخرة هكذا هو في القوت وأورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين قلت وقد روي ذلك من فروعنا حديث علي رضي الله عنه بلفظ من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فأنه أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فأنه أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم ومصححاه وقد تقدم (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (ما أحب أن يجعل حسابي إلى أي شيء أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما) كذا في القوت وأخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض السلف المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلاً تراه فتشهد عليه) نقله صاحب القوت ويشهد له ما جاء في الآثار أن اباب العبد من ذنوبه أنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وبدلها حسنات حتى برد القيامة وليس شيء عليه (وكتب محمد بن مصعب) بن صدقة الفرقاني صدوق روي له الترمذي وابن ماجه مات سنة ثمان وعشرين (إلى الأسود بن سالم بخطه) هكذا في النسخ فإن الكاتب هو محمد بن مصعب فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب إلى أسود بن سالم بخطه

ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو يقول ياربى حجت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة ياربى قال الله تعالى حتى متى تخججون عنى صوت عبدى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له وقال ابراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلالي الطواف ليلة وكانت ليلة مظلمة فوفقت في الملتزم عند الباب فقلت ياربى اعصمى حتى لأعصمك أبدا فنهتني هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل وان أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه بالذنوب وقال الجنيد رحمة الله تعالى ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالحسنين ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرقه كساء هذا من الفرح فى حديث ربيع بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين

والمكتوب اليه هو الاسود بن سالم والذي فى القوت وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الى اسود بن سالم يخاطبه (ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو يقول ياربى) فاذا قال ياربى حجت الملائكة صوته وكذا (الثانية) ياربى حجت الملائكة صوته (و) كذا اذا قال المرة (الثالثة) ياربى حجت الملائكة صوته (حتى اذا قال) المرة (الرابعة ياربى قال) ولفظ القوت يقول (الله تعالى حتى متى تخججون صوت عبدى عنى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له) أو رده صاحب القوت ويشهد له الخبر الذى تقدم قريبا اذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله للملائكة انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له رب يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم انى قد غفرت له (وقال) أبو اسحق (ابراهيم بن آدم) رحمة الله تعالى (خلالي الطواف) ذات (ليلة مظلمة مظلمة فوفقت في الملتزم عند الباب فقلت ياربى اعصمى حتى لأعصمك أبدا فنهتني هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر) أى ان وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولا بد ان يخلق مقتضى وصفه حتى بحق وصفه عليه هذا كما يقول فى علم المغفرة ان له سبحانه من كل اسم وصفه ومن كل وصف فعلا وفى هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص ثم هذا الذى ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت ولفظ القشبرى فى الرسالة ويحكى عن ابراهيم بن آدم رضى الله عنه انه قال كنت أنتظر مدة من الزمان ان يخلو المطاف لى فكانت ليلة بهم طر شديدا فدخل المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول اللهم اعصمى عنى اللهم اعصمى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن آدم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فاذا عصمتكم فلان أرحم انتهى وفى ذلك دلالة على انه سبق فى علمه انه لا بد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمة عصمة الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال الله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وأراد بما ذكر أن نبيه ابن آدم على ان لا يسأله ما ليس له به علم كفى قصة نوح عليه السلام اذ سأل العبد العصمة عما لا علم به فقد يكون فى معلومه انه ممن يعصى فسأله المغفرة أولى به وأقرب للعبودية ويجوز أن يسأل العبد به ان يحفظه وبصوته عن سائر المعاصي وأما العصمة فمن خصائص الانبياء وقد اختلف فى جواز سؤال الغيرهم فقائل بالمانع وقائل بالجواز كما أوردناه فى شرح الحزب الكبير لآبى الحسن الشاذلى فليراجع (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله تعالى فعه بالذنوب) نقله صاحب القوت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالحسنين) نقله صاحب القوت (و) روى انه (لنى) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى (أبانا) وهو ابن أبي عبيد الله المتقدم ذكره فريه او كان أبان عن يحدث العامة باحاديث الرجاء والرخص (فقال له كم تحدث الناس بالرخص) ولا تخوفهم (فقال يا أبا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرقه كساء هذا من الفرح) نقله صاحب القوت (وفى حديث ربيع) بكسر الراء وسكون الواو وكسر العين المهملة وباء النسبة (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة وآخوه شين مجتمعة هو ابن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عباس العيسى أبو مريم الكوفى (عن أخيه) مسعود بن حراش قال ابن المدينى بنو حراش ثلاثة ربيع وربيع ومسعود ولم يرو عن مسعود شئ الا كلامه بعبد الموت (وكان ربيع من خيار التابعين) قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية وقال العجلي تابعى ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط كان له ابنان عاصيان على الحاج فقبل للحجاج ان أباهما لم يكذب كذبة قط وأرسلت اليه فسأله عنهما فأرسل اليه فقال أين ابناك قال هما فى البيت فقال قد عفونا عنهما بصد قلنور وى ان ربيعا آلى ان لا يضحك حتى يعلم أين صيره فباضحك الا بعد موته وآلى أخوه ربيع بعد ان لا يضحك حتى يعلم أين الجنة هو وفى النار قال غاسله فلم يزل مستمعا على سريره ونحن نفسله حتى فرغنا قال أبو نعيم وغير

وهو من تكلم بعد الموت قال للمامات أحيى سحبي ثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى فاعدا وقال اني اقبلت ربي عز وجل خياني بروح وريحان ورو غير غضبان واني رأيت الامراء يسر مما تظنون فلا تفتروا وان محمد اصلي الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصة وقت في طست فحملناه ودفعناه وفي الحديث أن رجلين من بنى اسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظمه ويزجره فكان (١٨٧) يقول دعنى وروى أبعتت على رقيبنا

حتى رأه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أستطيع أحد أن يحظر رحتى على عبادى اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكامة أهلكت ديناه وآخرته وروى أيضا ان لصا كان يقطع الطريق في بنى اسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحوارين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو زلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحوارى ويزدى نفسه تعظيما حتى لا يمشى الى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا يمشى الى جانبي فضم نفسه ومشيى الى جانبي فضم نفسه ومشيى الى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجانبه فبقى اللص خلفه فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستا نهما

واحد مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب روى له الجماعة (وهو) أى أخوه وهو مسعود (من تكلم بعد الموت) على الصحيح كما تقدم عن ابن المدينى ولكن روى البيهقي باسناده في الدلائل عن ربيع ان المتكلم بعد الموت أخوه الربيع (قال) ربيع (المامات أحيى مسعود وألربيع سحبي ثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى فاعدا وقال اني اقبلت ربي عز وجل خياني بروح وريحان ورو غير غضبان واني رأيت الامراء يسر مما تظنون فلا تفتروا) أى لا تكسلوا وفي بعض النسخ ولا تغتروا من الاغترار (ان محمد اصلي الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال) ربيع (ثم طرح نفسه فكانها كانت حصة وقت في طست فحملناه ودفعناه) كذا هو في سياق القوت (وفي الحديث ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه) أى بالمعاصي (وكان الآخر عابدا وكان) هذا العابد (يعظمه ويزجره) وينهاه (فكان يقول دعنى وروى أبعتت على رقيبنا) أى ترأب أحوالى وأعمالى (حتى رأه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أستطيع أحد أن يحظر رحتى على عبادى) ولفظ القوت أستطيع ان تحظر رحتى على عبادى (اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد أنت فقد أوجبت لك النار قال) صلى الله عليه وسلم (فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكامة أهلكت ديناه وآخرته) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناده جيد اه قلت لفظ أبي داود كان رجلا في بنى اسرائيل متواخيا وكان أحدهما مذنبا والآخر مجتهدا في العبادة وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خاني وروى أبعتت على رقيبنا فقال والله لا يغفر الله لك أولا يدخلك الله الجنة فقبض روحهما فاجتمع عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد كنت في عالمنا أو كنت على ما في يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار وهكذا رواه أحمد أيضا (و روى أيضا) في معناه (ان لصا كان يقطع الطريق في بنى اسرائيل أربعين سنة فرأى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل) من الحوارين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو زلت فكنت معهما ثالثا قال (فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحوارى ويزدى نفسه تعظيما حتى لا يمشى الى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا يمشى الى جانبي) قال (فضم نفسه ومشيى) وتقدم (الى عيسى عليه السلام فمشى بجانبه فبقى اللص خلفه) قال (فأوحى الله الى عيسى عليه السلام قل لهما ليستا نهما) قل لهما ليستا نهما العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت عمله وحسناته ليجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سياسته بما ازدرى على نفسه) قال (فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه) هكذا نقله صاحب القوت (وروى عن) أبي عائشة (مسروق) بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين وستين (ان نبيا من الانبياء) من بنى اسرائيل (كان) يوما (ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة) جمع العاتى وهو المتمرّد (حتى التزق الحصى بجهته) من شدة وطأته (قال فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبا

العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته ليجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سياسته بما ازدرى على نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة حتى ألزق الحصى بجهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا

وقال بكر بن سليم الصواف

دخلنا على مالك بن أنس في
العشية التي قبض فيها فقلنا
يا أبا عبد الله كيف تجدك
قال لا أدري ما أقول لكم إلا
انكم ستعاينون من عفو الله
مالم يكن لكم في حساب ثم
ما برحنا حتى أغمضناه وقال
يحيى بن معاذ في مناجاته
يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي إليك مع الأعمال
لاني اعتمد في الأعمال على
الاخلاص وكيف أحرزها
وأنا بالآفة معروف
وأجدي في الذنوب أعتمد
على عفوكم وكيف لا تغفروا
وأنت بالجوهر موصوف
وقيل ان مجوسيا استضاف
إبراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام فقال ان أسلمت
أضفتك فرأى المجوسي فأوحى
الله تعالى إليه يا إبراهيم لم
نطعمه الا بتغير دينه ونحن
من سبعين سنة نطعمه على
كفره فلو أضفته ليله ماذا
كان عليك فرأى إبراهيم يسى
خلف المجوسي فبرده
وأضافه فقال له المجوسي ما
السبب فيما بدالك فذكر
له فقال له المجوسي أهكذا
يعاملني ثم قال اعرض على
الاسلام فأسلم ورأى
الاستاذ أوسهل الصعلوكي
أبا سهل الزجاجة في المنام
وكان يقول بوعيد الابد
فقال له كيف حالك فقال
وجدنا الأمر أهون مما
نوهمنا

حديث أبي هريرة عند مسلم فقد روى البخاري في الادب المفرد من حديث أبي سعيد روى ابن أبي شيبة
والشحنان والنسائي من حديث أنس اذا دعا أحدكم فليعزم المسئلة في الدعاء ولا يقل اللهم ان شئت فأعطني
فان الله لا مستكره له وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فانه لا يتعاطم
على الله شيء وروى الطبراني من حديث العرياض اذا سألت الله تعالى فسلوه الفردوس فانه سرا الجنة
وروى ابن حبان من حديث عائشة اذا سألت أحدكم فليكثر فاما يسأل به وروى عبد بن حميد في تفسيره
والطبراني والحاكم ومحمد بن عتيق وابن مردويه من حديث أبي امامة سلوا الله الفردوس فانها سر الجنة
الحديث (وقال بكر بن سليم الصواف) أبو سليمان الطائفي سكن المدينة مقبول روى له البخاري في
الادب المفرد وابن ماجه (دخلنا على) أبي عبد الله (مالك بن أنس) الامام رضى الله عنه (في الغشية
التي قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم) أي بما رأيت الا من اكرام
الله ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت ان أعبر عنه بلساني (الانكم ستعاينون
من عفو الله مالم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا) من مكاننا (حتى أغمضناه) هكذا هو في القوت وهو في
كتاب حصن القن بالله لا يكره من أبي الدنيا من طريقه أخرجه القشيري في الرسالة فقال وسمعه يعني أبا
عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أبو العباس البغدادي حدثنا الحسن بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا قال
حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن أنس فسأله (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه
الله تعالى (في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إليك مع الأعمال لاني أعبد) هكذا في النسخ
ولفظ الرسالة لاني أجدي اعتمد (في الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها) أي احفظها من الآفة (وأنا
بالآفة) من الزبالة والحب والكبر وغيرها (معروف وأجدي في الذنوب أعتمد على عفوكم وكيف لا تغفروا
وأنت بالجود موصوف) هكذا أورده القشيري في الرسالة (وقيل ان مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه
السلام) أي طلب منه ان يضيغه (فقال له ان) (أسلمت استضفتك) كذا في النسخ والاولى أضفتك كما
هو نص الرسالة (فرأى المجوسي) أي جازمه وهو يقول اذا أسلمت أي مئة تكون لك على (فأوحى الله تعالى
إليه يا إبراهيم لم نطعمه الا بتغير دينه ونحن) من منذ (سبعين سنة نطعمه على كفره) فلو أضفته
ليلة ماذا كان عليك (من الخرج) (فرأى إبراهيم) عليه السلام (يسى خلف المجوسي فردّه) وأضافه فقال له
المجوسي ما السبب فيما (أى في الذي) (بدالك فذكر له) (فقال له المجوسي) أهكذا يعاملني (وفي رواية ثم
الرب يعاتب نبيه في عدوه) ثم قال اعرض على الاسلام) فعرضه عليه (فأسلم) وجهه تعلق هذا بالزجاجة
انه تعالى يجعل الاسباب الضعيفة مقبولة لغفران الذنوب العظيمة فاذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من
جلب نفع أو دفع ضرر وفيما ذكره إشارة الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لاعدائه وبسط
رحمته للدينونة ثم الكافر والمسلم بخلاف الآخر به كما قال تعالى وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة
عند ربك للمتقين ولما رأى المجوسي فضل الله تعالى عليه في معاقبته نبيه لاجل عدوه وشكر ذلك جازاه بتوفيقه
للاسلام (و) قال القشيري في الرسالة سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول (رأى الاستاذ
أوسهل) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هرون بن موسى بن عيسى العجلي (الصعلوكي) يفتح الصاد
وسكون العين المهملتين (النيسابوري) امام الشافعية في عصره تفقه على أبي علي النقي بنيسابور وروى
عن أبي بكر بن خزيمة وأبي العباس السراج وعبد الرحمن بن أبي حاتم وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو حنيفة
عمر بن أحمد بن مسرور والزهدي وفوفى سنة ٣٩٦ عن ثلاث وسبعين بنيسابور (أبا سهل الزجاجة) في المنام
وكان يقول بوعيد الابد) أي يعتقد بان الله تعالى اذا تواعد على معصية يعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه
عن شرطه فان ذلك يغفره اذا شاء كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال له
كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون) وفي رواية أسهل (فما نوهمنا) يحتمل أن يكون الله غفرا له اعتقاده

ورأى بعضهم أباسهل الصلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا ستاذم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى وحكى ان أبابعباس بن
سريع رحمه الله تعالى رأى فى مرض موته فى منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار ساجده يقول ابن العلماء قال فماذا ثم قال ماذا علمت
فما علمت قال فقلنا يا رب قصرنا وأساءنا (١٩٠) قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس فى

المذكور لغفلته عن شرطه ويحتمل أنه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله فلما رآه في المنام وسأله
عن حاله أخبره بما ذكر (ورأى بعضهم أباسهل الصعلوك في المنام) ولفظ الرائي سألته سمعت أبا بكر من أشكيب
يقول رأيت أباسهل الصعلوك في المنام (على هيئة حسنة لا توصف فقال له لم نلت هذا فقال بحسن ظني برأي
بحسن ظني برأي) مرتين هكذا أوردته القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب (وحكى أن أبا
العباس) أجد بن عمر (بن سريج) بسين مضمومة وآخره جيم البغدادي أحد أئمة الشافعية (رحمه الله
عالي رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول أبن العلماء
قال فماذا ثم قال ماذا علمت فيما علمت ثم قال فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا قال فاعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب
وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه (وذلك قوله تعالى وبغفر
ما دون ذلك لمن يشاء) (فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم) ومات بعد ذلك بثلاث ليل (حكاه القشيري في الرسالة
وفيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالأية التي أشار إليها وهي بشري عظيمة لابن سريج وهو
أنه مغفوره وقد اعترف هو ومن معه بالتصغير ومن اعترف بتصغيره رجاء المغفرة) (وقيل كأن رجلا شرب
أى كثير الشرب للخمر) (جمع قوما من ندمائه) أى جماعة ممن ينادونه في الشرب (ودفع إلى غلامه)
وكان صالحا حينئذ عليه ذلك (أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها) (شيأمن القواكه للمجلس) أى
لاهل مجلسه (فرا الغلام بباب مجلس) الشيخ أبي السري (منصور بن عمار) الواعظ أصله من مرو وأقام
بالبصرة وكان من المذكرين ترجمه القشيري في الرسالة (وهو يسأل لفقير شيأ ويقول من دفع إليه
أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع إليه الغلام الدراهم) لأنه رأى أن هذا أولى مما أمره
سيده وهان عليه مشقة الضرب بالالم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد ووطن منصور أنه مالك
الدراهم (فقال له) (منصور ما الذي تريد) منى. (أن أدعوك) به (فقال لى سيد أريد أن أخلص منه)
بالعتق لخلص مما يدخلني فيه مما لأحبه (فدعا له) (منصور) بذلك (وقال ما) الدعاء (الآخر فقال ان
يخلف) الله (على دراهمي) التي دفعها للفقير وأردها إلى سيدي وأقول لا أعصى ما أمرتني به (فدعا له
بذلك) (ثم قال له) (ما) الدعاء (الآخر فقال ان يتوب الله على سيدي) بأن يوفقه للتوبة مما هو مرتكبها
لاستريح من ضرره بالكربة (فدعا) بذلك (ثم قال وما لا آخر فقال ان يغفر الله لى وسيدي ولكم وللقوم)
أى جلسائه (فدعا منصور) بذلك (فرجع الغلام) إلى سيده (فقال له سيده) ابطأ فقص عليه القصة
فأثر فيه صدقوا وتحسن فعله (فقال ولم دعا قال سألت لنفسى العتق) فدعا له به (قال اذهب فانت حر)
لوجه الله تعالى (قال وايش) المدعوبه (الثاني) أى أى شئ هو (قال أن يخلف الله على الدراهم) لاردها
لك (قال لك أربعة آلاف درهم قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال
وايش الرابع قال ان يغفر الله لى ولكم وللقوم وللمذكر) أى الواعظ وهو منصور (قال هذا الواحد
إيس إلى) بل إلى الله تعالى (فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له) (أنت فعلت ما كان اليك
أقترى اني لأفعل ما لى قد غفرت لك وللغلام وللمصور ولعمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أوردته هكذا
القشيري في الرسالة وفيه دلالة على أنه تعالى أكرم الأكرمين وأنه يجازى بالخير الكثير على العمل اليسير
وهو وضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام لم يتكلم باليسير غفر الله له ولغلامه ولمن كان سببا في
ذلك (وروى عن) أبي محمد (عبد الوهاب بن عبد المجيد) بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص

صحيحة الشريك وقد وعدت
أن تغفر مادونه فقال اذهبوا
به فقد غفرت لكم ومات
بعد ذلك بثلاث ليال وقيل
كان رجل شريب جمع
توما من ندمائه ودفع الى
غلامه أربعمائة درهم وأمره
أن يشتري شاة من الفواكه
للمجلس فوالغلام يباب
بمجلس منصور بن عمار
وهو يسأل الفقير شيئاً
ويقول من دفع اليه أربعة
دراهم دعونه أربعمائة
دعوات قال فدفع الغلام
اليه الدراهم فقال منصور
مالذي تريد أن أدعوك
فقال لي سيد أريد أن
أنتخلص منه فدعا منصور
وقال الاخرى فقال أن
يخلف الله على دراهمي فدعا
ثم قال الاخرى قال أن يتوب
الله على سيدي فدعا ثم قال
الاخرى فقال أن يغفر الله
لي ولسيدي ولك والقوم
فدعا منصور فرجع الغلام
فقال له سيده لم أبطأت فقص
عليه القصة قال يوم دعا
فقال سألت لنفسي العتق
فقال له اذهب فانت حر قال
وايش الثاني قال أن يخلف
الله على الدراهم قال لك
أربعة آلاف درهم وايش
الثالث قال أن يتوب الله

عليك قال ثبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال أن يغفر الله لي ولكم والقوم والمذكر قال هذا الواحد ليس (التقني)
الى فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان اليك افترى أنى لأفعل ما الى قد غفرت لك والاعلام ولمنصورين
جبار والقوم الحاضر من أجعين وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد

من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت الميت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت وايش كان هذا قالت مخشاً قال فرجتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحطه وثياباً قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من أنت فقال المخش الذي دفنتوني اليوم رحمني ربى باحتقار الناس ابني وقال ابراهيم الأطروش كاقعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذمر أحداث في زورق بضر بون بالدف وبشر بون ويلعبون فقالوا المعروف أما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال القوم انما سألتك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة فقد ناب عنهم أى واذا نابوا زال عنكم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذى لا يمكن العبد من ازالته بقوة الجاه والسطة فسلك معروف في ازالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في ان يغير أحوالهم عما هي عليه لانه تعالى هو الفاعل بهم ما هم فيه فقال ما قال فاعلمهم بذلك ان التغيير في هذا الوقت مثل هؤلاء انما هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك بقوله اذا فرحهم في الآخرة فقد ناب عنهم (وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأى أهل دهر) أى زمان (لم يعصوك ثم كانت نعمتكم عليهم سابعة) أى ثمانية (ورزقكم عليهم داراً) أى واسعه امتصلاً (سبحانك ما أحلمك وعزتك انك لتعطى ثم تسبغ النعمة حتى كأنك ياربنا انما تطاع سبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كأنك ياربنا لا تغضب) وقد بقي مما يتعلق بالرجاء من كتابي القوت والرسالة وغيرهما ما لم يذكره المصنف وقد أحببت ان أسوقه لتمام الفائدة قال صاحب القوت عن بعض السلف كل عاص فانه يعصى تحت كنف الرحمن فن ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح والرجاء اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الخذر من الشيء ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية وأقام الخذر مقام الخوف فقال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح الا به كالأبصار الإيمان إلا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطائر لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به وخافه وكان ابن مسعود يخلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله الا أعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى اراد ان يحقق له ويرى بناعن يوسف بن اسباط قال سمعت سفیان الثوري يقول في قول الله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال أى أحسنوا بالله الظن والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف برؤحون به الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على محبة وصفاء ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن اخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشفه من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق

(الثقفي) البصري قدم بغداد في زمن المنصور وحدث بها قال ابن معين ثقة مات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة (قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك) قالت (هو) ابني قلت ولم يكن لكم جيران (قالت بلى ولكن صغروا أمره) وحقروه (قلت وايش كان هذا قالت) هو (مخش) بالثلثة وبكسر النون وبفتحهما (قال فرجتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحطه وثياباً قال) وغت (فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكر لي فقلت له من أنت فقال) أنا (المخش الذي دفنتوني) اليوم (رحمني ربى باحتقار الناس ابني) وكلامهم في حكمه القشيري في الرسالة وفيه دلالة على انه تعالى يجازى بالخير الكثير على العمل اليسير (وقال) القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر الحرابي يقول سمعت (ابراهيم الاطروش) يقول (كاقعودا ببغداد مع) أبى مخفوط (معروف) بن فيروز (الكرخي) قدس سره (على الدجلة) وهي نهر ببغداد (اذمر بنا أحداث) أى شبان (في زورق) أى سفينة صغيرة (بضر بون بالدف وبشر بون) الخمر (ويلعبون) بالملاهي (فقالوا المعروف) أما تراهم (كيف يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال القوم انما سألتك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة فقد ناب عنهم) أى واذا نابوا زال عنكم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذى لا يمكن العبد من ازالته بقوة الجاه والسطة فسلك معروف في ازالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في ان يغير أحوالهم عما هي عليه لانه تعالى هو الفاعل بهم ما هم فيه فقال ما قال فاعلمهم بذلك ان التغيير في هذا الوقت مثل هؤلاء انما هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك بقوله اذا فرحهم في الآخرة فقد ناب عنهم (وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب وأى أهل دهر) أى زمان (لم يعصوك ثم كانت نعمتكم عليهم سابعة) أى ثمانية (ورزقكم عليهم داراً) أى واسعه امتصلاً (سبحانك ما أحلمك وعزتك انك لتعطى ثم تسبغ النعمة حتى كأنك ياربنا انما تطاع سبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كأنك ياربنا لا تغضب) وقد بقي مما يتعلق بالرجاء من كتابي القوت والرسالة وغيرهما ما لم يذكره المصنف وقد أحببت ان أسوقه لتمام الفائدة قال صاحب القوت عن بعض السلف كل عاص فانه يعصى تحت كنف الرحمن فن ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح والرجاء اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الخذر من الشيء ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية وأقام الخذر مقام الخوف فقال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح الا به كالأبصار الإيمان إلا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطائر لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به وخافه وكان ابن مسعود يخلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله الا أعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى اراد ان يحقق له ويرى بناعن يوسف بن اسباط قال سمعت سفیان الثوري يقول في قول الله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال أى أحسنوا بالله الظن والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف برؤحون به الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على محبة وصفاء ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن اخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشفه من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق

الجنان وما فيها من الاوصاف الحسان وهذه مواجهاة أصحاب اليمين وان كان اقيم مقام مخاوف الصفات
عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج ويطش القدرة
وحكم الكبر والخبرية رفع من حيث هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجام من معاني الاخلاق والاسماء
الكرام والاحسان والفضل والعطف واللاطف والامتنان وليس يصلح ان نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل
الرجاء في مقامات الرجاء من قبل انه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد الفساد فليس يصلح
الاختصاص ولا يجذب ولا يستجيب له من المحبين ولا محبة الا بعد نصح القلب من الخافة فالؤمن بين الخوف
والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
لا اعتدلا للمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام
مشاهدة الصفات المخوفة والاخلق المرجوة والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام
وتفاوت الاقسام من ذلك انه تعالى أنعم على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا لا اجبارا فلما أعلمهم ذلك رجوا
تمام النعمة من حيث ابتداءها ومن ههنا طمع الصخرة في المغفرة لما ابتدؤا بالامان فقالوا انما طمع ان
يعفّر لنار بنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو بأن يعفّر
لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فليس من عودها عليه
فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابر بن علمه
الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل طبقة
طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن ههنا رجاءهم لانفسهم وغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم
فرجوا ان يتم عليهم نعمته وان لا يسلبهم بفضل ما به بدأهم ومنهم من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع
خوفهم عليه وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من
يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومن الناس من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذا ان الحكمان أو جبار جاءهم الثاني
للمشرك اذ ارأوه فلم يقطعوا الظاهره أيضا وخوف هذا الرجاء مخوفان ان يموت على تلك الحالة وان كان ذلك
هو حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الاربعه وزن خوفه ورجاه معا فاعتدل حاله بذلك الاعتدال
ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر وكل الى علام غيوب السرائر ولم يقطع على عبده بظاهره من الشر بل يرجو
له ما يظن عند الله من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف ان يكون قد استسر عند الله باطن
شر الان حال التمام ان يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم مأمورون
بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه
تصير الامور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم اعرفتهم بصفتها ووقعوا الملام عليها ولا يحتجون لها
لباطن الاشفاق منهم عليهم والخوف التركية منهم لهم فمن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن
الظن بنفسه ويسبى غفله بغيره فيكون خائفا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا بالاثم الناس ذاما لهم
فهذه من أخلاق المنافقين ثم ان الراجي حالا من مقامه والحال علام من رجائه فمن علامة الرجاء عن مشاهدة
المرجود وام المعاملة وحسن التمر بآية وكثرة التجارب بالانفاق لمن لا يميز رجلا أمته وانما يقتبل
صالح ما أمر به بفضل الله من حيث كرمه لامن حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منافاته أيضا يكفر سني
ما عمل احسانا منه ورجة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لا اخلاقه السنية والطاغة الخفية لامن حيث اللزوم
بل من حيث حسن الظن به ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل فعلى العبد فرض ان يرجو
مولاه وخالفه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لامن حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان
سهل يقول من سال الله شيئا ففتار الى نفسه وأعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله وحده والى لطفه
وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولا يقبل الله عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر

الى الوحدة انية له فقد فقهه بايمان العبادة ثم تفاوت الراجون في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والتجلى لعاني الصفات مما عرفوه وهذا من علمهم به وأصحاب اليمين في الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيدة والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر باعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوته اور جاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعد ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلاة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين اذ يقول تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تحاني الجنوب عن المضاجع لما قر في الصدور والقلوب من المخاوف وكذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا في قوله آمن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ورجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التجدد آتاء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفسه المساواة بينهما وهذا ما حذف خبره اكتفاء باحد وصفيه اذ في الكلام دليل عامه فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل في قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله والمهاجرة اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والالتفات في سبيل الله ثم السجود آتاء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جل أوصاف الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تزايد الاوصاف في ذلك طاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف المرجوة وفضل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العاملين الى مقام العمل وقد وصف الله الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكمله لصديق الرجاء وتمة لتظيم الغبطة به فقال تعالى يخبر عنهم في حال وفاتهم وأعمالهم انا كآقبل في أهلنا مشفقين فن الله علينا وقال تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار له الخوف ان يقطع به دون ما رجا وقال أهل العربية في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون عفوه وفضله على من يرجو ويضعهم يقول في معنى قوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون أي تخافون منه مالا يخافون فلو لانهم عند العلماء كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى في الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب الى الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال والمساورة اليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بذكرها ومن الرجاء التلذذ بديوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحييب وحسن الظن به في العفو الجميل ومثال النضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرى لسان الموحد من نار الشرك لحسنات الشرك وقد كان يحيى بن معاذ يقول في مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقد قال سهل لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الاخطائين والخائفون مقطوعون الالراجين وكان يجعل الرجاء مقامات في المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وفي الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفرغهم وينفرهم وقال بشر الخائف سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مختافا عرض عنه اذ راع عليه فالتفت الخائف اليه فقال

وأنت أيضاً كيفيك ما بك ففرغ من قوله وقال أي شيء تعلم في قال لان عندك انك خير مني فاعترف يوسف بذلك قتاب واستغفر وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلاو بد اللهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو بذلك بوادي الجود والكرم والاحسان ما لم يحتسبه في الدنيا قاط ويقال ان جملة العرش يتجاربون بأصوات سبحانك على حلك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فالراجين من العارفين فهو من السمع للكلام نحو ما لو نظرهم عن عوالمهم بمعاني الصفات فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين ثم خصوص المؤمنين فيه تبارك وتعالى استدلو اعليهم به نظر واليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل يقول المؤمن يعيش في سعة الرحمة والمؤمن يعيش في سعة الحلم فصفاة تعالى كمالا فمن شهد ترجع بعضها على بعض تدخل عايمه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الاقرباء فعد ذلك على العبد فصار مقامه في القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الراجاء من الخوف مثل الرخصة من العزائم وفي الخبر ان الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر ابلغ من هذا وأكد ان الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته وفي الخبر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك الى عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى نظر اليه منتبذا وحدا نيا فقال مالك وحدا نيا فقال عاديت الخلق فيك قال أو ما علمت ان محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هل هناك أكتبك من أوامري وأحباتي ولا تنظر الى عبيدي نظرة جفاء ولا تسوء فاذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عني ثلاثا خالص حبيبي بخالصته وخالق أهل الدنيا بخالقه ودينك فقلدني به ورويناع الضحاك ان العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له عبيدي أتخصي عملك فيقول الهى كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ لا شيء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا ويقول لم أجعل للذنوب راحة توجد منك ولم أجعل في وجهك شهوا وأنا أغفر هالك اليوم على ما كان منك يايمانك بي وتصديقك المراملين ومن الراجاء شدة الشوق الى ماشوق اليه لكرههم وسرعة التنافس في كل نفيس ندب اليه الرحيم والابخار في حقيقة الراجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهو مزيد التواين الصادقين وقرة عين للمحبين الخاصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح وارتياج لذوى العصمة والوفاء ينصبه كرمهم ويشد عندهم حياؤهم وترتاح اليه عقولهم فهو لاء يستخرج منهم الراجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرج منه الخوف ان المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الراجاء طريقا لاهله وصاروا واجدين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أى يترك المعامى للرجاء لا للخوف فصار الراجاء طريقه فهو لاء هم الراجون حقا وهذه علامتهم ومثل هؤلاء ذكرنا الاسباب التي توجب الراجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى الموفقين لحسن خدمة المولى فهذه جل أحكام الراجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الراجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الراجاء واعلم ان مقامات اليقين لا تزيل بعضها في بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها فقام بحكم الله فيه نقل الى ما سواه وكان المقام الاول له عالما والثاني الذي أقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار علانيته ومقام الراجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمنن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند الخوف والترهيب بل قد

يقطعها ذلك ويوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبهم الى عنان تنهى كلام صاحب القوت
وقد حذفت منها أشياء كثيرة وقال القشيري في الرسالة قال الله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل
الله لا تأسد عن العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا
من عنده قلت لشهر برحمتك الله زودني زودك الله فقال نعم حدثتني عني أم الدرداء عن أبي الدرداء عن نبي
الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل عبدى ما عبدتني ورجوتني ولم
تشركني شيئا غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني بعمل الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بملأ من مغفرة
فاغفر لك ولا أبالي وتكاملوا في الرجاء فقال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء هو ثقة
الجود من القديم وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى وسئل أجد بن عاصم الانطاكي ما علامة الرجاء
في العبد قال أن يكون إذا أحاط به الاحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا وتمام
عفو في الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله وقيل ارتياح القلوب لرؤية
كرم المرجو المحبوب وقيل هو رؤية الجلال بعين الجلال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل
سرور الفؤاد بحسن المعاد وقال يحيى بن معاذ الهسي أحلى العطايا في قلبي رجاءك وأعذب السكلام على
لساني ثنائك وأحب الساعات الى ساعة يكون فيها لقاءك وكما واذ النون المصري وهو في النزاع فقال
لا تشغلوني فقد تعجبت من كثرة لطيف الله تعالى معي وأسند عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقتو طهم وقرب الرحمة منهم فقالت بأبي أنت
وأبي يا رسول الله أو يضحك بنا عز وجل قال والذي نفسي بيده انه ليضحك فقال لا بعد منا خير اذا ضحك
وروى مالك بن دينار في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قدمت على ربي بذنوب كثيرة فحماها عني حسن
ظني بالله تعالى وقيل كان ابن المبارك يقاتل عجمارة فدخل وقت صلاة العليج فاستهله فأمهله فلما سجد
للمشيم أراد ابن المبارك أن يضربه بالسيف فسمع من الهواء قائلا يقول وأوفوا بالعهد ان العهد كان
مسؤولا فأمسك فلما سلم المجوسي قال لم أمسك عما هممت به فذكر له ما سمع فقال المجوسي نعم الرب رب
يعاتب وليم في عذره وأسلم وحسن اسلامه وقيل انما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفوًا وقيل لو قال
لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط ولكنه لما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء طمعو في مغفرته وقيل حج
رياح القيسي حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب الهسي وهبت من حجابي كذا وكذا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه العشرة واثنين من والدي والباقي من المسلمين ولم يحبس شيئا لنفسه
فسمعها تهايقول يا هذا تتسخر علينا لا تغفر لك ولا بويلك وان شهد شهادة الحق سمعت الاستاذ أبا علي
الدقاق يقول مر أبو عمرو والبكندی يوما بسكة فرأى قوما أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة
تبكى فقيل انها أمه فرجها أبو عمرو وتشفع له اليهم وقال هبوه مني في هذه المرة فان عاد الى فساد فشانكم
واياه فوهبوه منه فغضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتازت تلك السكة فسمع بكاء المجوز من وراء ذلك
الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد الى فساد فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب
فخرجت المجوز وقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لي لا تخبري الجيران بموتي فلقد
آذيتهم فانهم سيشتمونني ولا يحضرون جنازتي فاذا دفنتني فهذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم
فادفنيه معي فاذا فرغت من دفني تشفع لي الى ربي قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن راس قبره سمعت
صوته يقول انصرف يا أمه فقد قدمت على رب كريم انتهى كلام القشيري وانتهى الى شرح كلام
المصنف قال رحمه الله تعالى (فهذه هي الأسباب التي يجب لروح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين
وأما الحق المغرورون فلا ينبغي ان يسمعو شيئا من ذلك) فانهم اتردهم اغترار بالله (بل يسمعون
ما ستورده في أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الاعلى الخوف كالعبد السوء والصبي العرم) أي

فهذه هي الأسباب التي بها
يجب لروح الرجاء الى قلوب
الخائفين والآيسين فأما
الحق المغرورون فلا ينبغي
أن يسمعو شيئا من ذلك بل
يسمعون ما - - - - -
أسباب الخوف فان أكثر
الناس لا يصلح الاعلى الخوف
كالعبد السوء والصبي العرم

التسبيط (لا يستقيم الا بالسوط والعصا واطهار الخشونة في الكلام) ولفظ القوت وأكثر النفوس لا تصليح الاعلى الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون الا بالسوط والعصا ويواجهون بالسيف صلتا) وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين) نسأله تعالى التوفيق

*(فصل) * في بيان لواحق الرجاء اعلم ان من لواحق الرجاء الرغبة ولنسب الكلام في الرغبة اعلم انه لما كانت حقيقة الرجاء تعلق القلب بما مول يحصل في الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة استيلاء هذا الحال على الراجي حتى كأنه يشاهد بها المأمول فالرغبة كمال الرجاء ومنتهى حقيقته وهي تعلقه بضد كل ما يذكر من المخاوف في كآب الخوف ولا تزال مصحوبة للمدام لك حظ واختيار فاذا ارتقيت عن ذلك بالفناء بالتوحيد فحينئذ لا رغبة ولا رهبة الى ان ترجع الى بشرتك وانسانيتك فانهم ذلك الكلام على البسط اعلم ان القلوب كآلة تنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء وهذا يدل على فضيلة الرجاء على الخوف كما سيأتي الكلام عليه لان القلوب اذا انبسطت انشرفت واذا انشرفت انضجت لها طرقت الهدى قال الله تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيهدى الله بذلك النور الى حضرته فيسقى ميسر وطالديه مستورا خاله عن الخلق برداء العلم وجليب التقوى فأعز زهدا المقام مأجله وبالله التوفيق

(السطر الثاني من الكتاب في الخوف)

(وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء) عليهم السلام (والصالحين) رحمهم الله تعالى

(بيان حقيقة الخوف)

(اعلم) رجاء الله تعالى (ان الخوف) هو الخامس من مقامات اليقين وهو باب عظيم من أبواب الايمان وقد تقدم ان أحوال القلوب تنقسم الى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما وهذا بالنسبة الى الثبات وسرعة الزوال وان الحالة المتوسطة متى دامت ألحقت بالمقام ومتى زالت ألحقت بالحال وكذلك أحوال القلب وان الخوف لا يتعلق الا بشكوك فيه أو مظنون بالخوف (عبارة عن تألم القلب واحترافه) وانزعاجه (بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء) فلا يعادنا نأمله لواحق الحزن والقبض والاشفاق والخشوع حقيقة الحزن ألم بطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائت محبوب فان كان المحبوب والمكروه مجودين كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة وان كانا مكرهين كان له حكمهما في الحظر والكراهة وحقيقة القبض هم بطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا فأما ما يعلم سببه فحكمه حكم الحزن وما لم يعلم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الافراط في البسط يتأدب به المرء دون المائلون عن الاعتدال وحقيقة الاشفاق اتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما وسيجيء حكم ذلك وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتهما لمسا عين القلب من عظيم أو مفرع واذا عرفت هذه الحقائق فاعلم ان (من انس بالله وملك الحق قلبه) بأن لم يبق فيه سواه (وصار ابن وقته) بل وأبا وقته (مشاهد الجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل) من الايام (فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما) كما قال الواسطي (زمامان) مسئوليان (يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتهما) أي سكونها الى حالتها واحتسانها ما هي عليه من طاعتها أو خزعها أو يأسها من فضل ربها عنده مخافتها فهما يصعدانها عن ذلك لانها ان استحسنت أحوالها وركنت الى أعمالها زجرها الخوف وان يشمت من فضل ربها وقطعت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة وللفظ قول الواسطي زمامان على النفوس ثلاث تخرج الى رعوناتها كذا في الرسالة (والى هذا أشار) أبو الحسن بنان ابن محمد الجمال (الواسطي) تزيلا مصر والمتوفى به سنة ثمان مائة وكان كبير الشأن صاحب

لا يستقيم الا بالسوط والعصا واطهار الخشونة في الكلام وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا (السطر الثاني من الكتاب في الخوف) وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم والصالحين رجة الله عليهم ونسأل الله حسن التوفيق

(بيان حقيقة الخوف) اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحترافه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا للجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتهما والى هذا أشار الواسطي

حدث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيه افضلة (١٩٧) لرجاء ولا خوف وبالجملة فالهيب اذا

شغل قلبه في مشاهدة المحبوب
بخوف الفراق كان ذلك
نقصا في الشهود وانما دوام
الشهود غاية المقامات
ولكن الا ان انما تتكلم
في أوائل المقامات فنقول
حال الخوف ينتظم أيضا من
علم وحال وعمل أما العلم فهو
العلم بالسبب المفضي الى
المكروه وذلك كمن جنى
على ملك ثم وقع في يده
فيخاف القتل مثلا ويجوز
العفو والافلات ولكن
يكون تألم قلبه بالخوف
بحسب قوة علمه بالاسباب
المفضية الى قتله وهو تفاحش
جنايته وكون الملك في نفسه
حقودا غصوبا منتقمًا
وكونه محفوقا بمن يحسنه على
الانتقام خالبا عن يتشفع
اليه في حقه وكان هذا
الخائف عاطلا عن كل
وسيلة وحسنة تمحو أثر
جنايته عند الملك فالعلم
بتظاهر هذه الاسباب
سبب لقوة الخوف وشدة
تألم القلب وبحسب ضعف
هذه الاسباب يضعف
الخوف وقد يكون الخوف
لا عن سبب جنابة قارفها
الخائف بل عن صفة المخوف
كالذي وقع في تخالب سبع
فانه يخاف السبع لصفة
ذات السبع وهي حرصه
وسطوته على الافتراس
عنا وان كان افتراسه
بالاختيار وقد يكون من
صفة جنابة للمخوف منه

الكرامات رحمه الله تعالى (حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد) قال القشيري وهذا اللفظ فيه
اشكال أي لان الخوف مطلوب فكيف يكون حجابا بين الخائف وربه معناه ان الخائف متطلع لوقت نان
وأبناء الوقت لا تطالع اهم في المستقبل وحسنات الاراسيات المقربين انتهى فعندو التطلع لوقت نان
حجابا وهو لان تطالع العبد الى غير وقته تفرقه واشتغاله بوقته جع واعترضه بعضهم بان ذلك لا يدل على
تفرقة خارجة عن مقام الخوف لان متعلق كل مقام من ضرورة الخلق به ملاحظة فهو جع لا تفرقة
قال والاولى أن يقال العبد اذا وقف وسكن مع حاله في الخوف استحسّن مقامه فيه مكره استعان به على
خلاصه من المكروهات ونشاطه في الطاعات فوقه معه مع استحسانه له حجاب يذره وبين ربه بمعنى انه منعه
من انتقاله الى ما هو أعلى منه وأقرب الى ربه (وقال) الواسطي (أيضا اذا ظهر الحق على السرائر) بان
أظهر الله لصاحبها من جلاله وجه له ما شغل عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات (لا يبقى
فيها) أي في تلك السرائر (فضلة) من الاحساس (لرجاء ولا خوف) نقله القشيري ويؤيده ظاهر قوله
تعالى ألان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا بالنسبة الى الخواص الكرام وأما بالنسبة الى
الصلحاء من العوام فعنه لا خوف عليهم بل خوف العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى قال
القشيري بعد ان نقل كلام الواسطي السابق وهذا فيه اشكال أي على من لم يعرف اصطلاح القوم لان
الخوف والرجاء مطلوبان فكيف يثنى بفقد ههما وجوابه ان معناه اذا اصطلت شواهد الحق تعالى
الاسرار ما كتها فلا يبقى فيها ما ساع لذكر حدان والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس بأحكام
البشرية (وبالجملة فالهيب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق) في المستقبل (كان ذلك
نقصا في الشهود) اذا القلب ليس له الاوجه واحدة (وانما دوام الشهود غاية المقامات) ونهاية الدرجات
(ولكن الا ان انما تتكلم في أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل) لانه
من المقامات وكل مقام فهو كذلك (أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه) وانما بداهة لان كل
ما لا ينكشف سببه لا تتضح حقيقته ولا تعرف فضيلته (وذلك كمن جنى على ملك) من الملوك (ثم وقع في
يده) أي في حوزته (فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات) أي الخلاص (ولكن يكون تألم قلبه
بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية) أي الموصلة (الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك
في نفسه حقودا غصوبا منتقمًا وكونه محفوقا بمن يحسنه على الانتقام خالبا عن يتشفع اليه في حقه وكان هذا
الخائف عاطلا) عاريا (عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب
لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب
جنابة قارفها الخائف) أي لاسبها (بل من صفة المخوف كالذي وقع في تخالب سبع فانه يخاف السبع
لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من
صفة جنابة للمخوف منه تخوف من وقع في مجرى سيل أو جوارح رقيق فان الماء يخاف) منه (لانه بطبعه
يجبول على السيلان والاغراق وكذا النار) مجبولة بطبعها (على الاحراق فالعلم بالاسباب المكروه هو السبب
الباعث للميل لاحتراق القلب وتألمه) وانزعاجه (وذلك الاحتراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تعالى نارة
يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته) القديم من العلم والارادة والقدرة والكلام أما العلم فالعلم بالسبب
والشقي وانه في ذلك على أتم أنواع الكمال وأما الارادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من الاسعاد والاشقاء وأما
القدرة فابحاده انفس الاسعاد والاشقاء في الوقت الذي خصه به الارادة من غير تقدم ولا تأخر وأما الكلام
فانجازه أيا بالاسباب المسعدة والاسباب المشقية والاسباب منها ما طلع عليه العباد من ان الطاعة مسعدة
وان المعصية مشقية ومنها مخفي فلا اطلاع لاحد عليه وذلك لغي المكروه والالطاف الموجبات للتقريب

تخوف من وقع في مجرى سيل أو جوارح رقيق فان الماء يخاف لانه بطبعه يجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بالاسباب
المكروه هو السبب الباعث للميل لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف من الله تعالى نارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته

وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجنانية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بها جميعا وبحسب معرفته بعبوب نفسه ومعرفته بحلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأنخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أنخوفكم لله وكذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا تكلمت المعرفة أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصقار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المراته فيفيض الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليباس وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات تلافي لما فرط واستعداذا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم من خاف الله هرب منه ومن خاف الله هرب اليه فلا يهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والافرن علم انهم مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى يكون العبد خائفا) ولفظ الرسالة متى يتيسر على العبد سبيل الخوف (قال اذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتجى) من كل شيء (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل بمقتضاه وبعدهما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقة من المشقة في ارتكاب المخالفة لهو ما يؤمله في عقابه ولذلك شبهه بالمرضى الذي

والابعاد فهذه أبواب من الايمان يجب التصديق بها كلها (و) مما يجب عليه في معرفته في توحيد الافعال (انه) تعالى (لو اهلك العالمين) جميعا (لم يبال ولم يمنعه مانع) لوحدة ذاته في الحديث لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقبض أخرى فقال هؤلاء في النار ولا ابالي (وتارة يكون) الخوف (لكثرة الجنانية من العبد بمقارفة المعاصي) أي ارتكابها وملاستها وذلك يستدعي ان يعرف أولا ان كل ماسوى الله تعالى قابل للهلاك والاتلاف والعقاب لما تقدمه من نقص العدم والمحققة بعد اليجاد من نقص الافتقار الى الله تعالى وكيف لا وذات الانسان أضعف ذوات العالم كله الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقرة ترعى بدنه وليس فيه جزء ثالث فاذا عرف العبد هذا أحس بذله وعجزه وقبوله تأثره بالمحقرات فكيف يقهر جبار السموات ثم علم ان لسيده عليه نعماء تترى ظاهرة وباطنة عقابية وحسية ثم علم بكثرة جنائنه على منهاج سيده وشر بعته وأن الذم قابله السلب والذهاب والجنائيات مرتب عليها العذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبير فان لكل باب معرفة تناسبه والايمان بالاعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق العقوبة على الجنائيات واجب وهو فرض عين (وتارة يكون) الخوف (بما جميعا وبحسب معرفته بعبوب نفسه) على ما ذكرناه (ومعرفته بحلال الله تعالى وتعاليمه واستغنائه) على ما سردناه (وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه) ومن نقصت معرفته فهم ما يضعف خوفه (فأنخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أنخوفكم لله) قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس والله اني لأنخسكم الله واتقاكم لله وللشيخين من حديث عائشة والله لا انا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية انتهى قلت وروى أحمد من حديث رجل من الانصار أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحمد الله (ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهم العارفون بانفسهم وبربه (ثم اذا تكلمت المعرفة أورثت حالة الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصقار) مع الكدرة (والغشية والزعقة والبكاء وقد يغلب ذلك عليه حتى) (تنشق به المراته تنفضي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل) ويصير لا يبي (أو يقوى فيورث القنوط واليباس وأما في الجوارح فكيفها عن المعاصي وتقيد بها بالطاعات تلافي) أي تداركا (لما فرط) منه (واستعداده للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه) ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه (بل) الخائف (من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه) أي بسببه ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ليس الخائف من يبيكي ويصيح عينيه انما الخائف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه انتهى فانخوف المجهود ما صان العبد عن الانحلال بشئ من الأمور أو الوقوع في شئ من المنهيات (وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه) نقله القشيري في الرسالة والحكيم هذا هو أبو القاسم اسحق بن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم السمرقندي ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشر في الارض ذكره وروى عنه أبو جعفر من منيب السمرقندي وغيره ومعنى قوله ان الخوف حقيقة انما يكون من الله لانه الفاعل لكل مخوف فاذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه واذا ذكر الله وخشى ان يسلمه عليه هرب الى الله أي رجع اليه فلا يهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والافرن علم انهم مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى يكون العبد خائفا) ولفظ الرسالة متى يتيسر على العبد سبيل الخوف (قال اذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتجى) من كل شيء (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل بمقتضاه وبعدهما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقة من المشقة في ارتكاب المخالفة لهو ما يؤمله في عقابه ولذلك شبهه بالمرضى الذي

وأما في الصفات فإن يقع الشهوات ويكثر الذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكرهه كما يصير العسل مكرهًا عند من يشبهه إذا عرف أن فيه سمًا فتنترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضئيلة بالانفاس والمحظرات ومواخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله (١٩٩) من وقع في تخالب سبع ضار لا يدري أنه

يغفل عنه فيفلت أو يتم جمع عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بحلال الله وصفاته وأفعاله وبعبوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما ينسرق إليه أمكان التحريم فكف أيضا عما لا يتقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذا التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجدله بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ورعاة اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى

الذي يحتاج إلى الادوية ويحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه وجاء العافية من سقمه بلواه (وأما في الصفات فهو بان يقع الشهوات ويكثر الذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكرهه كما يصير العسل مكرهًا عند من يشبهه) ويحبه (إذا عرف أن فيه سمًا فتنترق الشهوات بالخوف) قال القشيري سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا راسم بن شيان يقول إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطر درغبة الدنيا عنه (وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد) وسائر أوصاف الرعونة (بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة) والتفكير (والضئيلة بالانفاس والمحظرات) أي البخل بها فلا تفرغ في غير ذكر الله (ومواخذة النفس في الخطرات) التي تمر (والخطوات التي يخطو بها والكلمات) وعلى هذه الأصول بناء السادة النقيشبندي في طريقهم العلمية التي منها حفظ الانفاس والعقل في النفس والنظر على القدم والتذكر والرجوع وغير ذلك مما هو مذكور في محله (ويكون حاله من وقع في تخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت) أي يخلص (أو يتم جمع عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة) رضوان الله عليهم منهم أبو بكر الصديق وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري وأبو الدرداء (والتابعين) منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر والحسن البصري وكيل بن زياد ومطرف بن عبيد الله وغيرهم (وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بحلال الله) وعظمته (وصفاته) الحسن (وأفعاله) بحسب قوة المعرفة (بعبوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات) الشرعية (ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا) وحقيقته بجانب الشيء حذرا من ضرره وله درجات أربع ذكرنا في كتاب الحلال والحرام (فان زادت قوته كف عما ينسرق إليه أمكان التحريم فكف أيضا عما لا يتقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف أداءه إلى محرم وهو ورع المتقين (إذا التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبي ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنياه يعلم أنها تافقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا) وهو فعيل من الصدق للمبالغة فيه (ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانه عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجدله بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ورعاة اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى

ولا يلتفت إلى دنياه يعلم أنها تافقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانه عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويجدله بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظور والشبهة جميعا ورعاة اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى

الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل وقال صاحب القوت الخوف اسم جامع
للمقامات المتقنين ثم يشتمل على أهل طبقات خمس في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف وهو
التقوى وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثاني هو الخذر وفي هذا المقام الزاهدون
والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام
الرابع الوجل وهذا الذي كثرين والمحبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين
والشاهدين والمحبتين وخصوص المقر بين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لاعت
مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات وقال في موضع آخر ان الخائف بوصف ما غلب عليه من الحال عما
قوى عليه من الشهادة ويندرج الرجا في مقامه فيكون الرجا له مشهودا والخوف منه وجدا ويوصف
الراجي بما قوى عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوي الخوف في مقامه فيصير الخوف له علما والرجاء
له وجدا ولكنه لا يخوف تعالى فيتناهى الخوف ولا نهاية للمرجو فيقتضى منه الرجاء فاما الشهيد الموقن
العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه
الوصف التام والحال السكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقيق بحق المعرفة لموجب المزيد فاذا
عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه يتحقق بالصدق في جميع معانيه فأعني من أن يقال مخلص
ثم يقال عارف لانه قد رشح في العلم رشح الجبل فكفي أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه أشهد القرب
فاقترب فلم يحتج أن يقال عالم وهذه أسماء الكمال وصفات التمام لا يفتقر الى ذكر حال ولا يوصف بصفة
مقال كما يقال في غيره من ذكر الاحوال خائف أو راج لوجودهما فيه بالكف واعتدالهما عنده بالسواء
لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاصا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه حال محب
ووصف خائف ومقام راج ونعت عالم وسمعة عامل لا محالة (كما أنك تقول) في تعالى الانساب واندرجها
في عوالى الاحساب (الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي أو غيره والقرشي اما هاشمي أو غيره
والهاشمي اما علوي أو غيره والعلوي اما حسني أو حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته
بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه) ولفظ القوت فاذا قلت فلان هاشمي
استغنيت ان تقول عربي أو قرشي لان كل هاشمي عربي قرشي لا محالة ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام
والكمال أيضا كما ذكرناه في قولنا عارف فتندرج الانساب فيه فتقول فلان حسني فاكثفت ان تقول
قرشي أو هاشمي أو علوي وان كان قرشيا هاشميا علويا بالاشك انه قد عرف ان كل حسني فهو قرشي
هاشمي علوي لا محالة فأما ان تقول فلان عربي أو قرشي أو هاشمي فهو مقصور على ما وسمته به لانه قد
يكون علويا وهو الغاية في الحسب ثم لا يكون حسنيا فتتقص رتبة منزلته ويكون قرشيا غير هاشمي
فيخطأ درجته وقد يكون عربيا غير قرشي فيبذل مرتبة فيلزمه وصف ما عرفته حسب فاذا قلت حسني
لادخات الاحساب كلها فيه وغنيت ان تصفه بما دونها (فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع
وعفيف) ولفظ القوت كذلك قولنا عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال في السمات
التي عرفت بها كل المقامات تدخل الاحوال والمقامات في هذه السمات فاكثفت ان تقول هو مؤمن
أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج كما ثبتنا في الاحساب من قولنا فلان حسني دخل فيه كل
حسب رفيع وكفي ان تقول عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي ان جميع ذلك داخل فيه لان العارف
لا يرسم بحال دون حال اذ قد غاصت فيه الاحوال ولا يرسم بمقام دون مقام اذ قد استوعب كل مقام بحقيقة
معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوف وغرض غرضه غير ابتداء جنسه أن
يشكروه فان تعرف اليهم به أو عرفوه بهم فليس بعارف (فلا ينبغي أن تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل
على معان كثيرة متباينة ليختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ بالمعاني

الاخص من الاعم فاذا
ذكرت الاخص فقد
ذكرت الكل كما انك تقول
الانسان اما عربي واما عجمي
والعربي اما قرشي أو غيره
والقرشي اما هاشمي أو غيره
والهاشمي اما علوي أو غيره
والعلوي اما حسني أو
حسيني فاذا ذكرت انه
حسني مثلا فقد وصفته
بالجميع وان وصفته بانه
علوي وصفته بما هو فوقه
مما هو اعم منه فكذلك اذا
قلت صديق فقد قلت انه تقي
وورع وعفيف فلا ينبغي أن
تظن ان كثرة هذه الاسامي
تدل على معاني كثيرة
متباينة فيختلط عليك كما
اختلط على من طلب المعاني
من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ
المعاني

فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالعرفة الموجبة له ومن جانب السفلى كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما
 * (بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف) * اعلم ان الخوف محمود ورميا يظن أن كل ما هو خوف محمود. كل ما كان أقوى
 وأكثر كان أجود وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا به مرتبة القرب من الله تعالى والاصلح
 للهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الغضب محمود وكذلك الخوف له قصوره وله افراط وله اعتدال
 والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء (٢٠١) يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن

فيورث البكاء وتفيض
 الدموع وكذلك عند
 مشاهدة سبب هائل فاذا
 غاب ذلك السبب عن الحس
 رجع القلب الى الغفلة
 فهذا خوف قاصر قليل
 الجدوى ضعيف النفع وهو
 كالقضب الضعيف الذي
 تضرب به دابة قوية لا يؤلمها
 ألم المبرح فالايسوفها الى
 المقصد ولا يصلح لرياضتها
 وهكذا خوف الناس كاهم
 الا العارفين والعلماء ولست
 أعني بالعلماء المترسمين
 برسوم العلماء والمتسمين
 بأسمائهم فانهم أبعد
 الناس عن الخوف بل أعني
 العلماء بالله وبأيامه وأفعاله
 وذلك مما قد عز وجوده
 الآن ولذلك قال الفضيل
 ابن عياض اذا قيل لك هل
 تخاف الله فاسكت فانك ان
 قلت لا كفرت وان قلت نعم
 كذبت وأشار به الى أن
 الخوف هو الذي يكف
 الجوارح عن المعاصي
 ويقيدها بالطاعات ومالم
 يؤثر في الجوارح فهو

فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانبه كالعرفة الموجبة له ومن جانب السفلى كالاعمال
 الصادرة منه كفا واقداما) ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذي هو الورع والله الموفق
 * (بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الخوف محمود) ومطلوب وفرض عين (ورميا يظن ان كل ما هو محمود
 فكما كان أقوى وأكثر كان أجود وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على
 العلم والعمل لينالوا به مرتبة القرب من الله تعالى) قال القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت محمد بن علي الحيدري يقول سمعت محطوطا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله
 يقوم به الشاردين عن بابه (والاصلح للهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي) العزم (ولكن ذلك لا يدل
 على ان المبالغة في لضرب محمود) كاهو ظاهر (وكذلك الخوف له قصور) وهو مرتبة التفريط (وله
 افراط) وهو مرتبة التجاوز (وله اعتدال) وهو مرتبة الوسط (والمحمود) من ذلك (هو الاعتدال
 والوسط) خفي الامور أو ساطعها (فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند
 سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل) عظيم مخوف
 (فاذا غاب ذلك السبب عن الحس) والمشاهدة (رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل
 الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألم المبرح فلا يسوقها
 الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كاهم الا العارفين والعلماء) ولذا قال سهل الناس
 كاهم هلك الى العالمون والعالمون كاهم هلك الى المخلصون والمخلصون على خطر (ولست أعني
 بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني به العلماء
 بالله) وبآلائه (وبآياته وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل بن عياض) رجه
 الله تعالى (اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت) اذ ليس
 وصفك وصف من يخاف الله نقله صاحب القوت (وأشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن
 المعاصي ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا
 وأما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه
 يمنع من العمل) وربما أورثه الكفر فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الخجل على العمل ولولاه
 أما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأ الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو
 عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذي يتردد فيه وأما العجز فهو انه متعرض لمخذور ولا يقدر على دفعه فاذا هو
 محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله
 تعالى به (أما) ما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس كمالا في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص أعظم

(٢٦ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا وأما

المفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا
 الى المرض والضعف والى الوله والذهشة وتور وال العقل فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الخجل على العمل ولولاه لما كان الخوف
 كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأ الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذي يتردد فيه وأما
 العجز فهو أنه متعرض لمخذور ولا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمي وانما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما
 يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو أعظم

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمود لانه أهون من ألم المرض والموت فيخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط أو أحده هذه (٢٠٢) الأمور فكل ما يراد لا من المحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمود لانه أهون من ألم المرض والموت فيخرج الى القنوط فهو مذموم) لما تقدم انه يمنع العمل (وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف) الشديدين (و) الى (ألم الوله) والحسيرة (والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت اذا أثر في المرارة وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء) فيما تقدم من الاخبار (وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط أو أحده هذه الأمور) المذكورة (فكل ما يراد لا من المحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) الا ان ما يفضي منه الى اليأس والقنوط فهو حرام وان لم يوجب ذلك ولكن أدى الى فساد العقل وضعف البدن فانه مكروه لخروجه عن الاعتدال المحبوب (وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكور وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدر في هذه الاسباب فهو مذموم) فأن قلت من خاف فئات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم أن معنى كونه شهيدا أنه رتبة بسبب موته من الخوف كان لا يناله الموت في ذلك الوقت لاسباب الخوف فهو بالإضافة اليه فضيلة فأما بالإضافة الى تقديريته وطول عمره في طاعة الله وسلك سبيله فليس بفضيلة) لما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء) ولذا وردت مداد العلماء بمداء الشهداء فيرجع مداد العلماء وقال صاحب القوت اذا جاوز الخوف الحد خرج به الى ان يسرى الى النفس فيعرفها فيكون له شهادة وليس هذا برفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمجاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات لانه قد قال بعضهم مشاهدا بذر باعظم أجرام من مات وجدا وهذه صفات ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أبحر شهيد وبكل معانية قدرة من مقتدر ليلة قدر ومن كل قصد محجة بتعظيم عظيم محجة وبكل عمارة قلب بحال محجة عمرة (ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفتسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) كما ورد معناه في الخبر (فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة الى ما دونها بالإضافة الى درجة النبيين والصديقين فان الخوف اذا لم يؤثر في العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره وان لم يحمل الاعلى العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان أثمر الورع فهو أعلى (لعلم رتبة الورع على العفة) وأقصى درجاته) أي الخوف (ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يستولى على القلب حتى) يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكور وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدر في هذه الاسباب فهو مذموم) فأن قلت من خاف فئات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم أن معنى كونه شهيدا أنه رتبة بسبب موته من الخوف كان لا يناله الموت في ذلك الوقت لاسباب الخوف فهو بالإضافة اليه فضيلة فأما بالإضافة الى تقديريته وطول عمره في طاعة الله وسلك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفتسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه

وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة الى ما دونها بالإضافة الى درجة النبيين والصديقين فان الخوف اذا لم يؤثر في العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل الاعلى العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته) أي الخوف (ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يستولى على القلب حتى) يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

حتى لا يبقى لغير الله فيه منسج فهذا أقصى ما يحمد منه) لان الغاية المقصودة ان يموت العبد بحمد الله تعالى ولا تحصل المحبة الا بالذكور والافكر ولا يحصل لان الابطراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها الا الخوف فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تعداها (وذلك مع بقاء الصحة والعقل) ورجله القول في تفصيل هذه الخواف ان الخوف سبع مفاتيح يفيض اليها من القلب فالى اى مفاتيح فاض من القلب اليه ائلف صاحبه به الا ما يستثنى فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة فيخرقها وهو لاهم الذين يموتون من الغشى وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيخرق العقل فيتبه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف الرثة فيثقبها فيذهب الاكل والشرب حتى يسيل الجسم وينشف الدم وهذا لاهل الجوع والظمى والا صفرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد ويحدث الفكر الطويل والسهر وهذا من أفضلها وفي هذا الخوف العلم والمجاهدة وهو من خوف العالمين وقد يقدح الخوف في الفرائض وهي لجة الكنف ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدد الخوف من القلب مغشى العقل فيجس ساطانه كقهر سلطان القدرة نحو الشمس اذا برزت ضوء القمر البادى الذي يبدو على السر من خزان المكنوت فيضعف لجة العقل ويضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وهو لاه أشبه بالفضل وأدخل في العلم وقد سلك في هذه الطريق أفضل أهل القلوب وهم في التابعين كثير منهم الربيع بن خيثم وأبو القري و زارة بن أوفى ونظراؤهم ولم ينكر هذا عليهم الصحابة ممن عرفه مثل عمر وابو مسعود وحذيفة رضي الله عنهم وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع ويضطرب كالبعير وكان سعيد بن جريح من خيار الصحابة ومن أمراء الاجناد وكان يغشى عليه وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيعرق الشهوات ويطفئ شعل الهوى وهذا أجد الخواف وأعلاها وهو لاه أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف النبيين والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف (فان جاوز هذا) عن حد الاعتدال (الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا واجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريد الملازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

حتى لا يبقى لغير الله فيه منسج فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا واجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريد الملازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

(بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه) * اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار
وإما أن يكون مكروهاً لأنه يقضي إلى (٢٠٤) المكروه كما تكرر المعاصي لادائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره المريض الفواقه

الجود والكرم والافضال وقديم الاحسان وخفي الامتنان فهذه المعاني بها تعديل المقام من فرط الاهتمام
وترويح الحال من كرب الانفعال فلا يساعده القدر بذلك فيخبره وجده إلى القنوط من رحمة الله ويعطف
به همه على الایاس من روح الله وتوقعه شهادته على الهرب من قرب الله دخلت عليهم المشاهدة من قبل
المواجهة بالانصاف والعدل بعبارة العقل واتلاف الخدجاوزت بهم العلم باخلاقه المرجوة من الكرم وخفي
الالطاف فبعثت بهم الحدود من قبل قوة نظارهم إلى الاكساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم
وعلمهم من غير تغويض منهم إلى مشيئة ولا استسلام فحجبوا بذلك على همه ماذا كره ان أكثر هذه
كانت في البصريين والعسكريين وأهل عبادان وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطار والله الموفق
* (بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منها) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الخوف المتحقق لا يكون) وفي نسخة ان الخوف لا يتحقق (الابانتظار
مكروه) في الاستقبال (و) ذلك (المكروه) لا يخلو (إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار) مثلاً
(وإما أن يكون مكروهاً) لادائه بل (لأنه يقضي إلى المكروه) فتكون كراهته عارضة (كما تكره
المعاصي) لادائها ولكن (لادائها إلى مكروه في الآخرة) وهو العتاب والعذاب (و) هذا (كما يكره
المريض الفواقه المضره لادائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من ان يمثل في نفسه مكروه من أحد
القسمين ويقوى انتظاره في قامه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف
فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس بمكروه لادائه بل لغيره
كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة (أو) خوف (نكث
العهد) بالخيانة (أو) خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى (أو) خوف وهن العزم بعد القوة
أو خوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفاء (أو) خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة (أو) خوف
حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة أو خوف ظهور الصفة بعد استئثار الشهوة والآفة (أو) خوف الميل
عن الاستقامة أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة (أو) خوف الجنائيات والاكساب
أو خوف الوعد وسوء العقاب أو خوف التقصير عن الأمر بتسبب الاسباب أو خوف مجاوزة الحد أو خوف
سلب المزيد أو خوف حجاب المقظة عن القاب بالغفلة أو خوف قطع الفتنة من العقل بالوسوسة (أو) خوف
خوف ان يكلمه الله إلى حسنة التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه
أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث
يبدوله من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء (أو) خوف
الوقوع في الفتنة بتسبب الخدعة بالحنة ان امرئ سلوا الناقه فتنة لهم فارتقبهم واصطبر أو خوف البلوى بعود
جرى العادة أو خوف الرجوع عن قصد الارادة أو خوف استدلال المهانة بعد الكرامة أو خوف الحور
بعد الكور وهو الرجوع عن المحبة بعد ايقاع الحكم عليه إلى طريق الهدى (أو) خوف ما لا يدري انه
يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الاقتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف
الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء
أو اطلاع الله عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبج أعمالهم فيعرض عنهم وبعثتهم (أو) خوف
السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين وطرقا الطالبين وبعضها أعلى من بعض وفيها
ما هو أشد من بعض (ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سالك سبيل الخذر عما يقضي إلى الخوف فن

المضره لادائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من ان يمثل في نفسه مكروه من أحد
القسمين ويقوى انتظاره في قامه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك
المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات
المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس بمكروه لادائه بل لغيره
كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف
نكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أو خوف
زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف
استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف ان يكلمه الله تعالى
إلى حسنة التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله
عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف
انكشاف غوائل طاعته حيث يبدوله من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات
الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء أو خوف ما لا يدري انه يحدث
في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الاقتضاح قبل الموت أو خوف
الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال غفلته عنه أو خوف
الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه
كلها مخاوف العارفين ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سالك سبيل الخذر عما يقضي
إلى الخوف فن

واضمار السوء أو خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والاقتضاح قبل الموت أو
خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سر ربه في حال غفلته عنه أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة
التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سالك سبيل الخذر عما يقضي إلى الخوف فن

يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الطعام عن العادة والذي يخاف من الحلاخ الله تعالى على سر برته يشغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا الى بقية الاقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان (٢٠٥) الامر فيه مخطر وأعلى الاقسام وأدناها

على كمال المعرفة خوفاً
السابقة لان الخاتمة تتبع
السابقة وفرع يتفرع عنها
بعد تحلل أسباب كثيرة
فالخاتمة تظهر ماسبق به
القضاء في أم الكتاب
والخائف من الخاتمة بالإضافة
الى الخائف من السابقة
كرجلين وقع الملك في حقهما
بتوقيع يحتمل أن يكون
فيه حزر الرقة ويحتمل أن
يكون فيه تسليم الوزارة اليه
ولم يصل التوقيع اليهما
بعد فبرق قلب أحدهما
بحالة وصول التوقيع ونشره
وأنه عماذا يظهر ويرتبط
قلب الآخر بحالة توقيع
الملك وكيفية وأنه ما الذي
خطر له في حال التوقيع من
رحمة أو غضب وهذا التفات
الى السبب فهو أعلى من
الاتفات الى ما فرغ
فكذلك الالتفات الى قضاء
الارزلى الذي جرى بتوقيعه
القلم أعلى من الالتفات الى
ما يظهر في الابد واليه أشار
النبي صلى الله عليه وسلم
حيث كان على المنبر فقبض
كفه اليميني ثم قال هذا كتاب
الله كتب فيه أهل الجنة
باسمائهم وأسماء آبائهم
لا يزداد فيهم ولا ينقص ثم
قبض كفه اليسرى وقال هذا

يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الطعام من العادة والذي يخاف من الحلاخ الله تعالى على سر برته يشغل بتطهير قلبه عن الوسواس) والخطرات (وهكذا الى بقية الاقسام) المذكورة (وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر) أي صعب ذو خطر (وأعلى الاقسام وأدناها على كمال المعرفة خوفاً السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تحلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به من القضاء في أم الكتاب) قال صاحب القوت وقد نزع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الارباب معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعري ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق اليك من هذه المقامات عن مشاهدتين أحدهما أعلى وأفضل من الأخرى لخالفين أحدهما أم وأكمل وهذا كما قيل ذنوب المقربين حسومات الارباب أي ما يرغب فيه الارباب فهو عندهم باب قدزهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مدده الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو في بطلالة لا أرحله ولا عاقبة من قبل ان سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر فلا ينظر بها آخره اذ هما في سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فينظر اليه نظرة بعد فهو يزداد باعجاله فاذا انقطعت الاجال وتناهت الاعمال تنهاى في الابد داخل في دار البعد (والخائف من الخاتمة بالإضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حزر الرقة) أي هلاكه (ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة اليهما ولم يصل التوقيع اليهما بعد فبرق قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفية وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات الى السبب وهو أعلى من الالتفات الى ما هو فرغ فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى ما هو يظهر في الابد) بعدما كان في حيز العدم (واليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان ذات يوم على المنبر فقبض كفه اليميني ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزداد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كلهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة) وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الخلقوم وهذا هو شرك في الرواية الأخرى وفوق الناقة هو ما بين القلبين وقيل هو شوط من عدو هابين سسيرين (وليعلمن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كلهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة) وهذا من تقليمات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عندما يبدون زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدون له من الله ما لم يكن يحاسب (السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب اه قلت وروى الطبراني والبراز من حديث ابن عمر وان العبد يلبث مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عز وجل عليه ساخط وان العبد يلبث كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عز وجل عنده راض وروى الخطيب من حديث عائشة ان العبد يعمل الزمن الطويل من عمره أو كاه بعمل أهل الجنة وأنه لم يكتب عند الله من أهل النار وان العبد يعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وأنه لم يكتب عند الله من أهل الجنة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان العبد يولد مؤمناً ويعيش مؤمناً

أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كلهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة وليعلمن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كلهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفوق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم

وهذا كانهقسام الخائفين الى من يخاف (٢٠٦) معصيته وجنابته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفتة وجلاله وأوصافه التي تقضي الهيبة

لا محالة فهذا أعلى رتبة
ولذلك يبقى خوفه وان
كان في طاعة الصديقين
وأما الآخر فهو في عرصة
الغرور والامن وانظرب
على الطاعات فالخوف من
المعصية خوف الصالحين
والخوف من الله خوف
الموحدين والصديقين وهو
ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل
من عرفه وعرف صفاته
علم من صفاته ما هو جدير
بان يخاف من غير جنابة
بل العاصي لو عرف الله
حق المعرفة لخاف الله ولم
يخف معصيته ولولا أنه
مخوف في نفسه لما سخره
للمعصية وبسرله سبيلها
ومهد له أسبابها فان تيسير
أسباب المعصية ابعادا ولم
يسبق منه قبل المعصية
معصية استحق بها ان يسخر
للمعصية وتجري عليه
أسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من يسر
له الطاعات ومهد له سبيل
القربات فالعاصي قد قضى
عليه بالمعصية شاء أم أبى
وكذا المطيع فالذي يرفع
مجددا صلى الله عليه وسلم الى
أعلى عليين من غير وسيلة
سبقت منه قبل وجوده
ويضع أبا جهل في أسفل
سافلين من غير جنابة سبقت
منه قبل وجوده جدير بان
يخاف منه لصفة جلاله فان
من أطاع الله أطاع بان سلطا

ويجوز كافر وان العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وان العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة
ثم يتركها ما كتب له فيموت شقيا وان العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يتركها ما كتب له فيموت سعيدا
وقال صاحب القوت بعد ان ذكر خوف أهل الخصوص وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين أحدهما عام
والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشوا رادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن اماما
للمتقين عند علم معرفته وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة ولا يسكن الى علم ولا عمل ولا
يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا سبب من الاعمال وان جلت لعلمه بتحقيق الخواتم فقد قيل
انما يوزن من الاعمال خواتمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يعمل بعمل أهل الجنة خمس سنين
حتى يقال انه من أهل الجنة وفي خبر آخر حتى ما يبق بينه وبين الجنة الا شبر وفي لفظ آخر الافواق ناقة
ثم يسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار قال لا يتأني في هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم
بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا
مشاهد له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة
فيستحلبها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجوده فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه وذلك هو
سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يكون عند مفارقة الروح
الجسد انما لو فهم نصيبهم غير منقوص اه وروى البراز من حديث أبي هريرة السعيد من سعد في بطن
أمه والشقي من شقي في بطن أمه وسنده صحيح وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية
انما الاعمال بخواتمها الحديث وقد تقدم ومن هنا خوف العارفين حيث انهم لم يعرفوا انهم من أي
القبضتين المذكورين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى فربق في الجنة وفريق في السعير
وفي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد وقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله اما ساكرا واما كفورا
(وهذا كانهقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنابته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفتة وجلاله)
وعظمته (وأوصافه التي تقضي الهيبة لا محالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه) ويدوم ويسمى (وان
كان في طاعة الصديقين وأما الآخر) وهو الذي يخاف معصيته وجنابته (فهو في عرصة الغرور والامن
ان وانظرب على الطاعات فالخوف من المعصية) والجنابة (خوف الصالحين) من المؤمنين (والخوف
من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته علم من
صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف
معصيته) ومن ذلك قول عمر في صهيب رضي الله عنه نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه (ولولا انه مخوف
في نفسه لما سخره للمعصية وبسرله سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسير أسباب المعصية ابعادا) وطرده
عن الحضرة (ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا
سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها من يسر له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه
بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع) قد قضى عليه بالطاعة شاء أم أبى (فالذي يرفع مجددا صلى الله عليه وسلم
الى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده) بل هو محض عناية وفضل (ويضع أبا جهل)
واضرابه (في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان
من أطاع الله أطاع بان سلطا عليه ارادة الطاعة) وسهل له سبيلها (وآناه الله القدرة) عليها (وبعد خلق
الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلطا عليه ارادة قوية جازمة
وآناه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد القدرة والارادة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هذا

وتخصيصه عليه ارادة الطاعة وآناه القدرة وقوة جازمة وقوة جازمة فكل الفعل بعد القدرة والارادة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هذا

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي أوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي (٢٠٧) المعصية عليه وكيف يحال ذلك على

العبد وإذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف بمن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله الا بمثال لولا أذن الشرع لم يستجري على ذكره ذوبصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود خفي كما تخاف السبع الضاري فهذا المثل يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل أن السبع يخاف للجناية سبقت اليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكمبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك ألف مثلك واهلاك غلة عندك على وتيرة واحدة (هؤلاء الى الجنة لا يدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى) وكذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله استخ من الله كما تستحي من الرجل الصالح فانما تستحي من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء ووجب على الناظر اليه الاستحياء فالحياء أيضا وان كان أطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع (ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي) قيل يا رسول الله على ماذا عمل قال على مواقع القدر وفي حديث عمر ابن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة بعملهم ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار بعملهم فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي أوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف بمن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل) وهذا هو الخوف الذي يراد لذاته الى ان ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الازلي وهو خوف العارفين ويجب اعتقاد ذلك لانه من عقود الايمان بالله اذ لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لان احكام الرب تعالى في العباد على ما اقتضته ارادته ومشيئته لا رعاية لاصلاح العباد وكلما زادت المعرفة بهذا زاد الخوف (وراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه) وقد جاء في الخبر ان الله تعالى لا يتفوه فنهنا خطاب لمن كوشف به وفي لفظ آخر سر الله فهذا خطاب لمن لم يكشف به وهذا منهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكشف ولا تسأل عما لا يجعل من علمك ولم يوك اليك فتصنع بما لا يعينك كما كلفته وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام لا تسألني ما ليس لك به علم أي ما ليس من علمك الذي جعلته علمك لك هذا هو علمي وسري في خلقي وهو من معنى قوله لا يستل عما يفعل وهم يسئلون أي ليس هو بما يصلح ان تتعلمه وتسال عنه لاني لم أتعبدك به قال صاحب القوت وليس يصلح ان يكشف سر الخوف من الخاتمة والسابقة لان ذلك يكون من حقائق معنى الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فظهرت بدائع الافعال وغرائب المسائل وأعادت الاحكام على من أظهر بها وجعل لها من حقت عليه الكامات وجعل نصيبه من معاني هذه السرائر من الصفات فيؤدي ذلك منالى كشف باطن الاوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه في غير خبر (ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع) بضرب الامثلة (لم يستجري على ذكره ذوبصيرة) ولم يقدم عليه لصعوبة المقام (فقد جاء في الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود خفي كما تخاف السبع الضاري) قال العراقي لم أجده أصلا ولعل المصنف قصد بآراؤه انه من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة (فهذا المثل يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله) فمن له علم بأسراره المخفية من كوشف بها (والحاصل ان السبع يخاف للجناية من الانسان سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته) ما ألبس وجهه من (كمبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك) أي تركك (لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك ألف مثلك واهلاك غلة عندك على وتيرة واحدة) أي طريقة واحدة (اذ لا يدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى) وكذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله استخ من الله كما تستحي من الرجل الصالح فانما تستحي من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء ووجب على الناظر اليه الاستحياء فالحياء أيضا وان كان أطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع (ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي) قيل يا رسول الله على ماذا عمل قال على مواقع القدر وفي حديث عمر ابن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة بعملهم ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار بعملهم فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي

ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة* (الطبقة الثانية من الخائفين) أن يمثّل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة (٢٠٨) أو سؤال منكرونيكبر أو عذاب القبر أو هول المطلاع أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى

والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقيب والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكرهة في نفسها فهي لا بحالة تخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفخ بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق وإذا ذكر له أن العارفين لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والافباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف (الالذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجه الحسن وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لان فهمهم لا تختمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله فانه (حرام على من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

(الطبقة الثانية من الخائفين)

(ان يمثّل في أنفسهم ما هو المكروه) في ذاته اعلم ان الخوف الذي يراد لغيره على قسمين لانا قدمنا ان الله تعالى على العبد نعم ما يخاف سلبها وله جنائيات يخاف العقوبة عليها في القسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتبة على الجنائيات وهو السوط الذي يساق به الاخساء من العبيد ولينتاتك العبيد (وذلك مثل) خوف ما يقع في الدنيا من خسف وكسف ومنعة وفقر (سكرات الموت وشدة أو) ما يقع في الآخرة امامن (سؤال منكرونيكبر) في القبر (أو) من (عذاب القبر أو) من (هول المطلاع أو) من (هيبة الموقف بين يدي الله تعالى أو) من (الحياء من كشف الستر أو السؤال) في الموقف (عن النقيب والقطمير أو الخوف من) مرلة (الصراط وحدته وكيفية العبور عليه) باختلاف الاحوال أو خوف المحشر والميزان (أو الخوف من النار وأغلالها) وانكالها (وأهوالها) وأشار المصنف الى القسم الاول وهو خوف سلب النعم بقوله (أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم) نحو ذلك مثل الخوف (عن نقصان الدرجات) العلى (والخوف من الحجاب عن الله تعالى) وهو يكف عن شاغل الاكوان وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملاسة الشهوات ثم خوف قلع أسباب الاتصال وهو يبحث على معرفة النعمة ورؤية المنة ثم خوف نسيانها وهو يبحث على اليقظة وعدم الغفلة ثم قطع أسباب الخبير والتلاقي وهو يبحث على مجالسة الصالحين والمذكرين والتوايين (وكل هذه الأسباب مكرهة في نفسها فهي لا بحالة تخوفة) وتبحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات فان لم تبحث عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظة لانها مخالفة على مشاهدة الوعد وكل حال يراد لغيره فغائده ان يؤدي الى مقصوده فان لم يؤدي كان العلم حجة (وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى) فانه أشد العذاب عند أولى الابواب (وهو خوف العارفين وما قبل ذلك) هو (خوف العابدین والصالحين والزاهدين وكافة العاملين) من المؤمنين (ومن لم تكمل معرفته ولم تنفخ بصيرته) لم يمتد الى الكمال (ولم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق) وإذا ذكر له ان العارفين لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه كما قال الشاعر ولو ينوق عاذلي صبا بقي * صبا معي لكنه ما ذاقها

(وربما أنكر لذة النظر إلى وجهه الله الكريم) في دار النعيم (لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والافباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف) هو (الالذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجه الحسن وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لان فهمهم لا تختمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله فانه (حرام على من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقيب والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكرهة في نفسها فهي لا بحالة تخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفخ بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق وإذا ذكر له أن العارفين لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والافباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف (الالذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجه الحسن وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لان فهمهم لا تختمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله فانه (حرام على من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلاله ومن كان أهلاله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه

*(بيان)

* (بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) * اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاعخبار * أما الاعتبار فسيبيله أن فضيلة الشيء بقدر غناؤه في الاضضاء الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصيل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصيل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة (٢٠٩) ودوام الذكر ولا يتيسر الا بالاطمئنة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا

ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بجمع الشهوات ولا تنقطع الشهوة بشئ كما تنقطع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله تعالى * وأما بطريق الاقتباس من الآيات والاعخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر ونهايك دلالة على فضيلته جميع الله تعالى للعاقلين مافرقه على المؤمنين (بين الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوسفهم بالعلم خشيتهم) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حقيقة بها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه (وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه) والخشية كذا كرم من مقامات الخوف يخص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم) بالله تعالى (ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا في القوت وهومن الاسرائيليات (فاتظر كيف أفردهم) من غير مشاركة (بمرافقة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء في الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد بذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال في وصف

* (بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) *

(اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاعخبار أما الاعتبار فسيبيله) أن تعرف (ان فضيلة الشيء بقدر غناؤه في الاضضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة) اذ هي الغاية المطلوبة (ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا) فيموت على ذلك (ولا تحصيل المحبة الا بالمعرفة) لانها فرعها فمن لم يعرف لم يحب (ولا تحصيل المعرفة الا بدوام الفكر) في مشاهدة جلالة تعالى (ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر) لا لاء الله تعالى (ولا يتيسر الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب) وفرغ عنه (ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات الا بجمع الشهوات) وكف النفس عنها (ولا تنقطع الشهوة بشئ كما تنقطع بنار الخوف) فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها (فالخوف هو النار المحرقة للشهوات) والمزيل لآثارها (فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات) وهو القدر الواجب منه وما استيلاؤه على القلب فهو مستحب (ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق) قريبانم يستحب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه مثل قراءتك ملك يوم الدين وغير المغضوب عليهم وعند تذكر ما أعده الله للعصاة وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل يكون هذا عبادة الله تعالى ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنقل من قراءة القرآن الى اجابة المؤذن من أجل انهم اعبادة الوقت فالعالم هو القائم بما هو أولى بالوقت (وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله تعالى) وفي هذا القدر مفتح لاهل التأمل والاعتبار وعبرة لاولي الابصار (وأما بطريق الاقتباس من الآيات والاعخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر) والاحصاء (ونهايك دلالة على فضيلته جميع الله تعالى للعاقلين) مافرقه على المؤمنين (بين الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوسفهم بالعلم خشيتهم) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حقيقة بها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه (وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه) والخشية كذا كرم من مقامات الخوف يخص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم) بالله تعالى (ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا في القوت وهومن الاسرائيليات (فاتظر كيف أفردهم) من غير مشاركة (بمرافقة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء في الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد بذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال في وصف

(٢٧) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) العلماء وصفهم بالعلم خشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم

ورضوا عنه ذلك ان خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف غرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فاتظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم

ولذلك لما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى فاذن ان نظرا الى مثمره فهو العلم وان نظرا الى (٢١٠) ثمره فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى

منازلهم وحسن أولئك رفيقا بمعنى رفقا عبر عن جاعتهم بالواحد لانهم كانوا واحدا وقد يكون رفيقا مقام في الجنة لعلو عليين واليه أشار بقوله (ولذلك لما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر فلما نزل به ورأسه في حجرى غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فعلمت انه لا يخترنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث انتهى قلت ورواه أحمد مختصرا ورواه الترمذى في الشمائل معا ولا ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأوئلك لهم الرفيق الاعلى فدل على انهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (فأما ان نظرا الى مثمره) الذي هو السبب (فهو العلم) أو الى حقيقة الخشية (وان نظرا الى ثمره فالورع والتقوى) والكف عما سوى الله (ولا يخفى ما ورد في فضائلهما) أى الورع والتقوى وبعد اذ فهمت سببه وحقيقته وثمرته سهل عليكم معرفة فضيلته (حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة) مخصوصة (برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه) تشريفا له ومعنى وصله وأكرم عبادته عليه تعظيمه (فقال) في هذين المعنيين (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق وأكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف (وأوجبوه بشرطه ولفظ الرسالة والخوف من الله تعالى هو ان يخاف ان يعاقبه الله امانى الدنيا واما فى الآخرة وقد فرض الله على العباد ان يخافوه فقال وخافون ان كنتم مؤمنين وقال فاياي فارهبون (لذلك لا يتصور ان ينفلك مؤمن عن خوف وعن ضعف ويكون ضعفه بحسب معرفته وإيمانه) كما ان قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه (وقال صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أذاناهم بأسماء الناس الى قد انصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أسماء الناس الى جعلت نسبوا وجعلت نسبافوضعت نسبى ورفعت نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله اتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى الا ان المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والذهبي في التفسير مقتصر على آخره الى جعلت نسبنا الحديث من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك ابن مردويه معا ولا لفظ الحاء كما ان الله تعالى يقول يوم القيامة أمرتكم فضعتم ما عهدت اليكم ورفعتكم أنسابكم فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم أين المتقون ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقد صححه وتعقب ورواه كذلك ابن مردويه والبيهقي وفي الباب عن علي حديثه عند الخطيب ولفظه اذا كان يوم

مخصوصة بهم كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبوه بشرطه في الايمان فذلك لا يتصور ان ينفلك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعفه بحسب معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أذاناهم بأسماء الناس الى قد انصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أسماء الناس الى جعلت نسبوا وجعلت نسبافوضعت نسبى ورفعت نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله اتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب

القيامة

اننى قد أنصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أسماء الناس الى جعلت نسبوا وجعلت نسبافوضعت نسبى ورفعت نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله اتقاكم وابتسم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب

وقال عليه الصلاة والسلام

رأس الحكمة مخافة الله

وقال عليه الصلاة والسلام

لا ين مسعود ان أردت ان

تلقاني فاكثر من الخوف

بعدي وقال الفضل بن

خاف الله دله الخوف على

كل خير وقال الشبلي رحمه

الله ما خفت الله يوما الا رأيت

له بابا من الحكمة والعبرة

ما رأيت قط وقال يحيى بن

معاذ ما من مؤمن به - حل

سيئة الا ولحقها حسنات

خوف العقاب ورجاء

العفو وكغلب بين أسدين

وفي خبر موسى عليه الصلاة

والسلام وأما الورعون فانه

لا يبقى أحد الا ناقسته

الحساب وفتشت عما في

يده الا الورع فاني استحي

منهم وأجابه ان أوقفهم

للمساب والورع والتقوى

اسم اشتقت من معان

شرطها الخوف فان خلت

عن الخوف لم تسم به - هذه

الاسامي وكذلك ما ورد في

فضائل الذكرا لا يخفى

وقد جعله الله تعالى مخصوصا

بالخائفين فقال سبذ كرس

من يخشى وقال تعالى ولن

خاف مقام ربه جنتان وقال

صلى الله عليه وسلم قال الله

عز وجل وعزني لا أجمع على

عبدى خوفين ولا أجمع له

أمنين فان أمنني في الدنيا

أخنته يوم القيامة واذا

خافني في الدنيا أمنته يوم

القيامة وقال صلى الله عليه

القيامة وقف العباد بين يدي الله تعالى غرلاب ما فيه قول الله تعالى عبادي أمرتكم فضيعة ثم أمرني وورفت
أنسابكم فتنه آخرتهم بها اليوم أضاع أنسابكم أنا الملائكة الذين آمن المتقون آمن المتقون ان أكرمكم عند الله
أتقاكم (وقال صلى الله عليه وسلم رأس الحكمة) أي أصلها وأصلها (مخافة الله) وفي لفظ خشية الله قال
العراقي رواء ابن لال في مكارم الاخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل
النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا اه قلت ورواه أيضا الحكيم في النوادر من حديث ابن
مسعود (وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ان أردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي) قال العراقي
لم أقفله على أصل (وقال الفضل بن عياض رحمه الله تعالى) (من خاف الله دله الخوف على كل خير)
أي أرشده الى كل ما فيه خير ما ظهر او ما باطنا (وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (ما خفت الله
يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيت قط) فالحكمة هي أسرار المعارف المكتوبة والعبرة اسم
من الاعتبار (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (ما من مؤمن يعمل سيئة الا ولحقته حسنات
خوف العقاب ورجاء العفو وكغلب بين أسدين) فان خاف منها محبت له وان أقدم على رجائه رحمه له (وفي
خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقسته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورع فاني
استحيهم وأجابه ان أوقفهم للمساب) كذا في القوت وروى الحكيم في النوادر من حديث ابن عباس قال الله
تعالى يا موسى انه ان يلقياني بعدي في حاضر القيامة الا فتشت عما في يديه الا ما كان من الورع فاني استحيهم
وأجابه وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب ولم يتعرض له العراقي هنا لكونه من الاسرار والبيانات وليس
من المرفوع لكن تقدم للمصنف في أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه وقال هناك وفي الخبر ثم سأل هذا وأما
الورعون فاني استحيهم وقال العراقي هناك لم أقفله على أصل وقد دللناك على أصله (والورع والتقوى
اسم اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم به هذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل
الذكرا لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سبذ كرس من يخشى) والخشية من مقامات الخوف
ثم قال ويخفها الاشقي أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف شقيا ورحمه الله ذكره الخوف
عموم المؤمنين بظاهر القاب عن ظاهر العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن
باطن العلم بالوجدان فاما خوف اليقين فهو له عديدين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من
الصفات المخوفة (وقال تعالى وان خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
وعزني لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافني في
الدنيا أمنته يوم القيامة) قال العراقي رواء ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة
ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن بن مرسل اه قلت وروى
أبو نعيم في الحلية من حديث شداد بن أوس قال الله عز وجل وعزني وجلالي لا أجمع لعبدى أمنين ولا
خوفين ان هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وان هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي
وأما حديث أبي هريرة فقد رواه كذلك ابن المبارك في الزهد وكلمهم من رواية سلمة عنه ومرسل الحسن رواء
كذلك الحكيم في النوادر ولكن لفظه يقول الله وعزني وعبدان عسا كرس من حديث أنس يقول الله
عز وجل وعزني وجلالي وارفعني فوق خلق لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع لعبدى أمنين فن
خافني في الدنيا أمنته اليوم ومن أمنني في الدنيا أخفته اليوم (وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى
خافة كل شيء ومن خاف غير الله خوفه من كل شيء) قال العراقي رواء أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث
أبي امامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين باسناد معضل وقد تقدم اه قلت
ورواه أبو الشيخ أيضا من حديث وائل بلفظ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه
الله من كل شيء ورواه الحكيم بلفظ من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه من كل شيء
ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجي في أماليه والرافعي في تاريخه من حديث ابن عمر

وسلم من خاف الله تعالى خافة كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء

وقال صلى الله عليه وسلم أتدركم عقلا (٢١٢) أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ

(وقال صلى الله عليه وسلم أتدركم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرا) قال العراقي لم أقفله على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة) نقله القشيري في الرسالة أي لأن خوفه من الفقر يحمله على أن يشع بمعامته على نفسه وعياله ويحل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحوز كانه ويقع في كثير من المحرمات لتخصيل المال كالنلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطي أسباب دخول الجنة وما غلبت عليه الشهوات (وقال ذوالنون) المصري رحمه الله تعالى (من خاف الله ذاب قلبه واشتدته حبه وصرح له به) وهو داخل القاب (وقال) أيضا (ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء) أي في حال صحته وقوة شبابه (فاذا غلب الرجاء في القلب تشوش القلب) أي اضطرب وآل أمره إلى الفساد ومثله قول الداراني اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب (وكان أبو الحسين الضرير) رحمه الله تعالى (يقول علامة السعادة خوف الشقاوة) أي مخافة أن تدركه (لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من آمن الخلق غدا) أي من أكثرهم أمنا في يوم القيامة (فقال أشدهم خوفا اليوم) أي في الدنيا (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لا تجذب الخوف) أي لا تكون خائفا خوفا حقيقيا (حتى تأكل الحلال وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد) وهي كنية الحسن (كيف نصنع نحاس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير) أي نزول من مواضعهما من شدة الخوف (قال) الحسن (والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصعب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف) فيه استحسان لتغليب جانب الخوف على الرجاء (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ما فارقت الخوف قلبا الا خرب) قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسين بن احمد الصفاري يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك والمعنى ان الخوف درجات ومن انتقل من مقام شريف ان لم يحذر مما يفسده عليه أولا يكمل أولا يرقيه الى ما هو اعلى منه فسد عليه ما هو فيه فلا يستغنى مقام عن الخوف (و) قال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد الاوزاعي أخبرنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن عثمان حدثنا القاسم بن محمد حدثنا يحيى بن عمار عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال (قالت عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله) قوله تعالى (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهوالهم) (قال) يسرق ويزني) ويشرب الخمر (قال) لابل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه) فنه دليل على ان الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخطا ما يطرأ في الأعمال من الآفات قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبي حازم عن أبي هريرة اه قلت لفظ الترمذي رواه كذلك الفرابي وأحمد وعبد بن جيد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن الانباري في المصاحف وابن مردويه عن أبي هريرة قالت عائشة يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي وفي لفظه هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه قال لا ولا كنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة (والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقبه وضده الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكذا لذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تذلة الامن على فضيلة الخوف

رحمة الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذوالنون رحمه الله تعالى من خاف الله ذاب قلبه واشتدته حبه وصرح له به وقال ذوالنون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل يحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا أشدهم خوفا اليوم وقال سهل رحمه الله لا تجذب الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع نحاس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارقت الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لابل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه والتشديدات

المضاد

الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقبه وضده

الخوف الامن كما أن ضد الرجاء اليأس وكذا لذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تذلة الامن على فضيلة الخوف

المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهم ممتلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحببه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف

(٢١٣)

عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذا لم يلزم لا يرجي ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدر وجوده بروح القلب وهو الرجاء وتقدر عدمه بوجع القلب وهو الخوف والتقدير ان يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك تظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعونهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (فقال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون) لله عظمة اجعوا على هذا التفسير وهو يخرج على قولهم مالكم لا ترجونهم يريدون مالكم لا تخاف وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه (وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفر للذين لا يرجون أيام الله أي يخافون عقوبات الله وكذا قوله تعالى ورجون من الله ما لا ترجون أي يخافون منه لا يخافون (لتلازمهما) ولولا انهما كشي واحد لما فسر أحدهما بالآخر (اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه) أي من مذهبهم ان الشيء اذا كان لازما للشيء أو وصفه أو سببا عنه أن يبرر واعنه به ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لمالم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليل ومنه قوله تعالى مخبرا عن قصة واحدة قال آتيناك الناس ثلاث ليل سويا ثم قال ثلاثة أيام الارض الفلالم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليل لا ينفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشي واحد فكيف وان الليل والنهار أحدهما باليس والآخر مندرج فيه لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامهما فهما واقتران انعامهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته الله تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويده أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني المالكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد خائفا راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه الاغلب عليه وبان الخوف في رجائه (بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهم ممتلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحببه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر) ولفظ القوت في باب الرجاء ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لانه لما تحقق رجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من الخوف لقوت الرجاء (نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان) وهذا خلاف ما قاله بعضهم انه لا يجوز أن يتغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما في التعلق بالاسباب فتأمل ذلك (ويجوز أن يشغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه) أو مظنون (اذ المعلوم لا يرجي ولا يخاف) كما سبق (فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة فتقدر وجوده بروح القلب وهو الرجاء وتقدر عدمه بوجع القلب وهو الخوف والتقدير ان يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك تظنا) وهذا هو المراد لغيره وأما المراد لذاته فانه مبني على الشك (فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وغلب الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس) فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر ولو استويا في التعلق بالاسباب (وعلى كل حال فهما) وصفان (متلازمان) لا ينفك أحدهما عن الآخر (وكذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعونهم خوفا وطمعا معا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (فقال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون) لله عظمة اجعوا على هذا التفسير وهو يخرج على قولهم مالكم لا ترجونهم يريدون مالكم لا تخاف وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه (وكثير ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما في قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفر للذين لا يرجون أيام الله أي يخافون عقوبات الله وكذا قوله تعالى ورجون من الله ما لا ترجون أي يخافون منه لا يخافون (لتلازمهما) ولولا انهما كشي واحد لما فسر أحدهما بالآخر (اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه) أي من مذهبهم ان الشيء اذا كان لازما للشيء أو وصفه أو سببا عنه أن يبرر واعنه به ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لمالم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليل ومنه قوله تعالى مخبرا عن قصة واحدة قال آتيناك الناس ثلاث ليل سويا ثم قال ثلاثة أيام الارض الفلالم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليل لا ينفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشي واحد فكيف وان الليل والنهار أحدهما باليس والآخر مندرج فيه لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامهما فهما واقتران انعامهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته الله تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويده أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني المالكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد خائفا راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه الاغلب عليه وبان الخوف في رجائه (بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

الخوف وذلك لتلازمهما اذعادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

قليلًا وليكثروا كثيرًا) وفي حديث أنس لو تعاون ما علم لغمكم قليلًا وليكنتم كثيرًا وقد سبق (وقال تعالى) في وصفه الباكين من العلماء في السجود يزيد اليقين بالخشوع ويخرجون للأذقان (يكونون) يزيدهم خشوعًا وقال عز وجل أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أي رادعون رؤسكم تخيرون فاسجدوا لله واعبدوا (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعَةٌ وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيًا من حروجه الأحرمة الله على النار) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اه قلت ورؤي ابن النجار من حديث أنس ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من خشية الله إلا أمهنا الله يوم الفرع الأكبر وعند الحاكم من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة (وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقتصر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما تحات من الشجرة ورقها) قال العراقي رواه الطبراني والبيهقي من حديث العباس بسند ضعيف اه قلت ولفظهما جلد العبد وفيه عن الشجرة البالية ورقها ورواه كذلك الحكيمة في النوادر وأبو بكر الشافعي وسهويه في فوائده والخطيب (وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت وزاد الترمذي والنسائي ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في مخري مسلم أبدًا وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقي وقال القشيري في الرسالة أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الحيري أنبأنا أبو بكر بن دلو به الدقاق حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عامر بن أبي الفرات حدثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى ابن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وعذر البيهقي وحده لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذبوا لجاه الله يقوم يذنبون فيغفر لهم (وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه قلت (ما النجاة يا رسول الله) قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابذل على خطيئتك) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والترمذي وحسنه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وقد تقدم في كتاب الصمت ورواه أحمد من حديث أبي امامة والطبراني من حديث ابن مسعود ولفظهما أملك بدل أمسك (وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فسكى) أغفله العراقي (وقال صلى الله عليه وسلم ما من فطرة أحب إلى الله تعالى من فطرة دمع من خشية الله تعالى أو فطرة دم أهرقت في سبيل الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي امامة وقال حسن غريب وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اوزقني عينين هاتين تشفيان) القلب (بذروف الدمع) وفي لفظ الدموع (قبل أن تصير) وفي لفظ تكون (الدموع دما والاضراس جرا) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن ورواه الحسين المروزي في زيادته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلًا دون ذكر أبيه وذكر الدارقطني في العلل أن من قال فيسه عن أبيه وهم وانما هو عن سالم بن عبد الله مرسلًا قال وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر اه وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في الكنى وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم فان الراوي له عن سالم ثابت بن شريح أبو سلمة وانما ذكرناه رواية عن سالم المحاربي والله أعلم نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عنه سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر اه قلت ومن جزم أنه سالم المحاربي لابن عمر أبو زرعة كما هو بخط الحافظ ابن حجر (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ذكروا الله خاليًا قفاضت عيناه) رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد

تعالى يكونون يزيدهم خشوعًا وقال عز وجل أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعَةٌ وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيًا من حروجه الأحرمة الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم إذا اقتصر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما تحات من الشجرة ورقها (وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر) ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابذل على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فسكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من فطرة أحب إلى الله تعالى من فطرة دمع من خشية الله تعالى أو فطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اوزقني عينين هاتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكروا الله خاليًا قفاضت عيناه

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه
 وحليمته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما بكوا فأن لم تبكوا
 فتبكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى (٢١٥) ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني
 رحمه الله ما تغرغرت عين
 بمائها إلا لم يرهق وجهه
 صاحبها فتر ولاذلة يوم
 القيامة فإن سالت دموعه
 أطفأ الله بأول قطرة منها
 بحارا من النيران ولو أن
 رجلا بكى في أمة ما عذبت
 تلك الأمة وقال أبو سليمان
 البكاء من الخوف والرجاء
 والطرب من الشوق وقال
 كعب الأحبار رضي الله عنه
 والذي نفسي بيده لا أنبكي
 من خشية الله حتى تسيل
 دموعي على وجنتي أحب
 إلي من أن أتصدق ببجل من
 ذهب وقال عبد الله بن عمر
 رضي الله عنهما لا أدمع
 دمعتي من خشية الله أحب
 إلي من أن أتصدق بألف
 دينار وروى عن حفظة
 قال كأعند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فوعظنا موعظة
 رقت لها القلوب وذرفت
 منها العيون وعرفنا أنفسنا
 فرجعنا إلى أهلي فذنت
 مني المرأة وجرى بيننا من
 حديث الدنيا فنبئت ما كنا
 عليه عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأخذنا في الدنيا
 ثم تذكرت ما كنا فيه
 فقلت في نفسي قد ناققت

ورواه مسلم عنهما معا وقد تقدم مرارا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبك) أي ليشتكف البكاء (وكان) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير
 التيمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة وروى له الجماعة قال ابن حبان من
 سادات القراء لا يمت لك من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا بكى مسح وجهه وحليمته
 بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 عنهما بكوا فأن لم تبكوا فتبكوا الذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى
 حتى ينكسر ظهره) رواه أحمد في الزهد حدثنا وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عن
 عبد الله بن عمر وقال لو تعاون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى
 ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وروى من طريق قسامة بن
 زهير قال خطبنا أبو موسى الأشعري بالبصرة فقال أيها الناس أبكوا فأن لم تبكوا فتبكوا فأن أهل النار
 سيكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت (وقال أبو سليمان الداراني)
 رحمه الله تعالى (ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجهه صاحبها فتر ولاذلة يوم القيامة فإن سالت دموعه
 أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة) نقله صاحب القوت
 أي كان بكاه من خشية الله تعالى (وقال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (أيضا البكاء من الخوف) أي
 منشؤه منه لانه انما يخاف ان يحل به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فنه يحصل البكاء (والرجاء من
 الطرب والشوق) لما يؤمله في الاستقبال (وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالى (والذي نفسي بيده لا أنبكي
 من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق ببجل من ذهب) أخرجه أبو نعيم
 في الحلية (وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما (لأن أدمع دمعتي من خشية الله أحب إلي من
 أن أتصدق ببجل من ذهب) وفي لفظ بالفدينار أخرجه أبو نعيم في الحلية (وروى عن) أبي ربي (حفظة)
 ابن الربيع بن صبيح بن رباح بن الحرث بن معاوية بن مجاشع التميمي الأسدي المعروف بالكاتب أخو
 رباح بن الربيع وابن أخى أكرم بن صبيح حكيم العرب نزل الكوفة ثم انتقل إلى قرقسيب باله ولاخيه حجة
 قال الوائدي كتب لني صلى الله عليه وسلم مرة كتابا فسمي بذلك الكاتب وكانت الكتابة في العرب قليلة
 وقال ابن البرقي سمى الكاتب لانه كتب لني صلى الله عليه وسلم الوحي وتوفي بعد علي وكان معتزلا للفننة حتى
 مات جاء عنه حديثان روى به مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (قال كأعند رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون) أي سالت دموعها (وعرفنا أنفسنا) أي
 كرهناها (فرجعنا إلى أهلي فذنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنبئت ما كنا
 عليه صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد ناققت
 ما كنت فيه من الخوف والرقه فخرجت وجعلت أنادي نافع حفظة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله
 عنه فأخبرته الخبر فقال كلام ينافق حفظة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع
 حفظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ينافق فقلت يا رسول الله كأعندك فوعظتنا موعظة
 وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فخرجت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونبئت

حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقه فخرجت وجعلت أنادي نافع حفظة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلام
 ينافق حفظة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع حفظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ينافق حفظة فقلت
 يا رسول الله كأعندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فخرجت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا
 ونسبت

ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدأ على تلك الحالة لصاغتكم الملائكة في الطرق وعلى فرسكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة قال العراقي رواه مسلم مختصرا اه قلت ولفظه حديثنا يحيى بن يحيى التميمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أنحبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن أبياس الجري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسدي قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعنني أبو بكر رضي الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافع حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون بالنار والجنة كأننا رأينا عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات أنفسنا كثيرا قال أبو بكر فوالله أنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافع حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قلت قلت يا رسول الله نكفون عندك نذكرون بالنار والجنة والنار كأننا رأينا عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات أنفسنا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكركر لصاغتكم الملائكة على فرسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومدة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لان جلة ذلك متعلق به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب) وهذه عباراتهم في الخوف قال القشيري في الرسالة سمعت أبا علي الدقاق يقول الخوف على مراتب الخوف والخشية والهبة فان خوف من شروط الإيمان وقضيته قال الله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين والخشية من شرط العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والهبة من شرط المعرفة قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهب يلتجئ الى الرب اذا خاف ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجذب فاذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبهم لحام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية وقال أبو حفص الخوف سراج القلب به يصرفه من الخير والشر سمعت أبا علي الدقاق يقول الخوف أن لا تغفل نفسك بعسى وسوف وقال أبو عمرو الدمشقي الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلاء الخائف من يأمن المخوفات وقيل للفضيل ما لا نرى خائفا فقال لو كنت خائفا لرأيت الخائفين ان الخائف لا يراه الا الخائفون وان الشكلى يحب ان ترى الشكلى وقال شاه الكرماني علامة الخوف الحزن الدائم وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يطعم من قلبه ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم خلفه وقال بشر الخافي الخوف ملك لا يسكن الا في قلب متق وقال أبو عثمان الخيري عيب الخائف في خوفه السكون لانه أمر خفي وقال النوري الخائف هرب من ربه الى ربه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب وقال الجنيد الخوف توقع العقوبة مع مجاري الانفاس وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال أبو عثمان صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهر او باطننا وقال ذو النون الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الأصم لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل وقال رجل لبشر أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله شديد وقال ابن المبارك الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام وقيل الخوف حركة القلب بحلال الرب وقال الحسين من خاف من شيء سوى الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجابا أبصره الشك وان مما أوجب شدة خوفهم فكرتهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون

(بيان ان الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

(اعلم) هـ ذلك الله تعالى (ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما

ما كنا عندك عليه فقال
صلى الله عليه وسلم يا حنظلة
لو أنكم كنتم أبدأ على تلك
الحالة لصاغتكم الملائكة
في الطرق وعلى فراسكم
ولكن يا حنظلة ساعة
وساعة فاذا كل ما ورد في
فضل الرجاء والبكاء وفضل
التقوى والورع وفضل
العلم ومدة الأمن فهو دلالة
على فضل الخوف لان جلة
ذلك متعلق به اما تعلق
السبب أو تعلق المسبب
(بيان أن الأفضل هو غلبة
الخوف أو غلبة الرجاء أو
اعتدالهما)*

اعلم أن الاخبار في فضل
الخوف والرجاء قد كثرت
وربما ينظر الناظر اليهما

فيغير به شك في أن الأفضل أجهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم المساء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجماع والماء أفضل للعطشان فان اجتماعناظر الى الاغلب فان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففعله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دوا آت يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر (٢١٧) الله تعالى والاغتراره بالخوف أفضل

فيعتبر به شك في ان الافضل ايهم ما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد) فان أعمال المقامات اذا اتحدت فلا يصح التفاضل فيها الا بسببها وأحوالها التي هي حواش على الاعمال بل (يضاهي) قوله (قول القائل الخبز افضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتماعهما الى الغلب فان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فاهما منساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء ودان يد اوى به - حاله - لوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاعتذار به فالخوف أفضل وان كان الغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلق الخوف) الذي يراد لذاته هو (أفضل) مطلقا (على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجين مرض الصفره ومرض الجوع أغلب وأكثر الحاجة الى الخبز أكثر فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لان المعاصي والاعتذار على الخلق أغلب) فالخوف يربط زمام الشهاج المحبين وانبساطهم عن الافراط الى الاعتدال (فان نظر الى ساطع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب) وشتان بينهما (لان من لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب) وموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب (وليس وراء المحبة مقام) لانها من الغايات (وأما الخوف فستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضى العنف فلا تعارجه المحبة مما جزتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الاصح لا الافضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي) وكثرة الاعتذار (فأما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصح ان يعتدل خوفا ورجاء ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا) هو قول مطرف بن عبد الله رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان قال قال مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لوزنهما على صاحبهما (وروي ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده) يخف الله خوفا ترى انك لو أتيت بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيت به سيئات أهل الارض غفرها لك) وكما أوصى لقمان ابنه فقال يا بني خف الله خوفا لا تياس فيه من رحمة وارجره رجاء لا تآمن مكره وفي لفظ آخر وارج رجاء أشد من خوفك فقال وكيف أستطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال أما علمت ان المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وفي القوت وكان على رضى الله عنه يقول عليكم بالنمط الاوسط رجوع اليه العالى ورتفع عنه الدانى وهذا قول فصل غير شرط ولا هزل وهو طريق أهل السنة ومذهب أولى المعرفة فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله والمؤمن حقاهو المعتدل بين الرجاء والخوف (ولذلك قال عمر رضى الله عنه - ملونودى ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا خشيت أن أكون ذلك الرجل ولونودى ليدخل النار كل الناس

الارجل واحد الرجلون أ كون أنا ذلك الرجل ولو فدى لي يدخل الجنة كل الناس الارجل واحد الخشيت ان أ كون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرعب واعتداهم مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل المقاومة والتساوى فقل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فالعاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استغنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره فان قلبه مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وان قوله ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبزور معلوم أن من (٢١٨) بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على تعهدها وجاءه بشرط الزراعة جميعها غلب على

الرجل واحد الرجوت أن أكون ذلك الرجل) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب
عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البجلي عن عبد الله بن أبي حمزة عن محمد بن يحيى بن كثير عن عمر
ابن الخطاب قال لو نادى مناد من السماء أيها الناس انكم داخلون الجنة كلكم أجمعون الا رجلا واحدا
نظفت أن أكون أنا هو ولو نادى مناد أيها الناس انكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت أن
أكون أنا هو (وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على
سبيل التقاوم والتساوي) لانهم لا يثبتان على سابقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والارادة بخفي المكر
واللطاف والشك فيما يصدر عنهما متساو فلا يغلب أحدهما الآخر (فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي
أن يستوي خوفه ورجاؤه فان قلت مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب
رجاؤه كما سبق أول كتاب الرجاء وان قوله ينبغي ان تكون بحسب قوة أسبابه كمثل بالبذر والزرع)
ومر في كتاب الرجاء (ومعلوم ان من بث البذر الصحيح) عن التسويس (في أرض نقيّة) صالحة (وواطىء
على تعهدها) ومر اعانها (وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا
لرجائه فهكذا ينبغي ان تكون أحوال المتقين فاعلم ان من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله
أي خفاؤه (وذلك وان أوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم
الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاؤها) عن المؤذيات (وصحة البذر وصحة الهواء وقلة
الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مستلنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة
لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أكثر بها الصواعق أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى
كثيرة مجهوده) أي خالصه (وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاءه على خوفه والبذر في مسئلتنا هو
الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا جنسه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء
وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل
الزمان وان سلم في الحال فذلك عملا لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ملائطاق مخالفته
ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم
الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لا يجرب فن عرف حقائق هذه الامور فان
كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا بمحالة كما ستحكي في أحوال الخائفين
من الصعابة والتابعين) ومن بعدهم (وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه
ورجاؤه) فصار في الاعتدال (فاما ان يغلب رجاءه) على خوفه (فلاولقد كان عمر رضي الله عنه يباليغ
في تفنيس قلبه حتى كان يسأل حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه انه هل يعرفه من آثار النفاق
شيأ اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين) قال العراقي روى مسلم من حديث

والآفات هي الشهوات وزخا
يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد
عنده وذلك مما لم يجرب مثلاً
ضعيف القلب جفا في نفسه
الجاهل تام المعرفة استوى
رضي الله عنه انه هل يعرف به

والاشفاق هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا
يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطابق ما لغته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكران الموت واضطراب الاعتقاد
عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان
ضعيف القلب جبنا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت
الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاءه فلا وقد كان عرضي الله عنه يبائع في تقشيره قلبه حتى كان يسأل حذيفة
رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار التفات شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين

فإن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتدته دناء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بئليس حاله عليه
واخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة
خسین سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه (٢١٩) الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار وقد

فواق ناقة لا يحتمل عملا
بالجوارح انما هو بمقدار
خاطر يخطئ في القلب عند
الموت فيقتضى خاتمة السوء
فكيف يؤمن ذلك فاذا
أقصى غايات المؤمن ان
يعتدل خوفه ورجاؤه
وغلبة الرجاء في غالب الناس
تكون مستندة للاغترار
وقلة المعرفة ولذلك جمع
الله تعالى بينهما في وصف
من آثى عليهم فقال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا
وقال عز وجل وبدعونا
رغبنا ورهبنا وأن مثل أمر
رضي الله عنه فخلق
الموجودون في هذا الزمان
كلهم الاصلح لهم غلبة
الخوف بشرط ان لا يخرجهم
الى اليأس وترك العمل
وقطع الطمع من المغفرة
فيكون ذلك سببا للتكامل
عن العمل وداعيا الى
الانحياز في المعاصي فان
ذلك قنوط وليس بخوف
انما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع
الشهوات ويرفع القلب
عن الركون الى الدنيا
ويدعوه الى التجاني عن دار
الغرور فهو الخوف الحمود
دون حديث النفس الذي
لا يؤثر في الكف والحث

حذيفة في أصحابي اثنا عشر منافقا ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل فيسم الخياط الحديث اه
قالت ورواه كذلك أحد (فإن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتدته دناء
قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بئليس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يثق
ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة
خسین سنة) حتى يقال انه من أهل الجنة وفي لفظ (حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا
قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار) هكذا وفي القوت وقد سبق ذكره
قريبا وقال العراقي روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة
ثم يحتم له عمله بعمل أهل النار والظاهر في الاوسط سبعين سنة واستاده حسن وللشيخين في اثناء حديث
لابن مسعود ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث ليس فيه زمن
العمل بخمسين سنة ولا ذكر شر ولا فواق ناقة اه قلت وتتمام حديث أبي هريرة فيحتم له من أهل
النار وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يحتم الله عمله بعمل أهل الجنة فيحتم له ان
أهل الجنة فيدخله الجنة ورواه كذلك أحد (وقدر فواق ناقة) وكذا الشبر (لا يحتمل عملا) أي لا يتأتى
في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم (بالجوارح انما هو) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول
(بمقدار خاطر يخطئ في القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يكن
في الحياة الدنيا شاهدا له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبت فيه حاله كما تظهر له
أعماله السيئة فيستعمل قلبه أو ينطق به لسانه أو يخامرها وجدده فتكون هي خاتمة التي تخرج عليها
روحها وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وأنا
أوفوهم نصيبهم غير متقوص (فكيف يؤمن ذلك فاذا أقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه
وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من
آثى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا) والطمع هو الرجاء (وقال عز وجل وبدعونا
رغبنا) والرغبة من الرجاء والرغبة من الخوف (وأن مثل أمر رضي الله عنه) في قوته وبانه (فخلق
الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف) على الرجاء (بشرط ان لا يخرجهم) الى
اليأس من روح الله (وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكامل عن العمل
وداعيا الى الانحياز في المعاصي فان ذلك قنوط) وهو كفر (وليس بخوف وانما الخوف هو الذي يحث
على العمل ويكدر جميع الشهوات) ويستأصلها (ويرفع القلب عن الركون الى الدنيا) أي الميل
اليها (ويدعوه الى التجاني عن دار الغرور) واذا تحقق ذلك (فهو الخوف الحمود) شرعا (دون
حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف) عن المنهيات (والحث) على المأمورات (ودون اليأس الموجب
للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من عبد الله تعالى بمحض الخوف) أي دون الرجاء
(غرق في بحار الافكار) اذا الخوف يجعله الى كل واد (ومن عبده بمحض الرجاء) أي دون الخوف (ناه
في مغاور الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الاذكار) نقله صاحب القوت (وقال
مكحول الدمشقي) هكذا في سائر النسخ ولفظ القوت وقيل مكحول التنسي في معناه الا انه أفرط فيه (من
عبد الله بالخوف فهو حر وري ومن عبده بالرجاء فهو مريض ومن عبده بالمحبة فهو زنديق) كذا في النسخ

ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبده الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء ناه في
مغارة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبده الله بالخوف فهو حر وري ومن عبده بالرجاء
فهو مريض ومن عبده بالمحبة فهو زنديق

ومن عبده بالخوف والرعاة المحبة فهو واحد فاذا ابد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولا يمكن قبل الاشراف على الموت
 أما عند الموت فالاصح غلبة الرعاة وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت
 لا يقدر على العمل ثم لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تجميل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه ويوجب
 اليه به الذي يمر جازوا ولا ينبغي ان (٢٢٠) يفارق أحد الدنيا الا بحب الله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله

لقاءه والرجاء تقاربه المحبة
 فن ارتجى كرمه فهو
 محبوب والمقصود من العلوم
 والاعمال كلها معرفة الله
 تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة
 فان المصير اليه والقيدوم
 بالموت عليه ومن قدم على
 محبوبه عظم سروره بقدر
 محبته ومن فارق محبوبه
 اشتدت محنته وعذابه
 فهما كان القلب الغالب
 عليه عند الموت حب الاهل
 والولد والمال والمسكن
 والعقار والرفقاء والاصحاب
 فهذا رجل محابه كلها في
 الدنيا فالدنيا حبه اذا الجنة
 عبارة عن البقعة الجامعة
 لجميع المحاب فوته خروج
 من الجنة وحيولة بينه وبين
 ما يشتهي ولا يخفى حال من
 يحال بينه وبين ما يشتهي فاذا
 لم يكن له محبوب سوى الله
 تعالى وسوى ذكره ومعرفة
 والفكر فيه والدنيا
 وعلائقها شاغلة له عن
 المحبوب فالدنيا اذا سجنه
 لان السجن عبارة عن البقعة
 المانعة للمحبوس عن
 الاسترواح الى محابه فوته
 قدوم على محبوبه وخلاص
 من السجن ولا يخفى حال

ولفظ القوت فهو جهمي اي يتجهم عليه بالقتال ويتجاوز الحد في الافعال (ومن عبده بالخوف والرعاة
 والمحبة فهو واحد) شبه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنى لاعلى التحقيق أى انه
 اذا انفرد بحال منها لا بد وان يخرج من معيار علم أو عن سنة أو معروف أو معتاد مألوف فاذا جمعها فقد
 استقام على العلم والسنة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني (فاذا ابد من الجمع بين هذه
 الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن) عند صحة طواعيته وذلك الى (قبل الاشراف على الموت أما عند
 الموت) وشدة المرض (فالاصح) في حقه تغليب جانب (الرجاء وحسن الظن) بالله تعالى (لان الخوف)
 كما سبق (جار مجرى السوط الباعث على العمل) بالجوارح (وقد انقضى وقت العمل) فالمشرف على
 الموت لا يقدر على العمل (ولا تأتي منه) (ثم) هو لا (يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه)
 وهو بكسر النون عرق معلق به القلب (ويعين على تجميل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه ويوجب
 اليه به الذي يمر جازوا ولا ينبغي ان يفارق أحد الدنيا الا بحب الله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان
 من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره لقاءه كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (والرجاء
 تقاربه المحبة فن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم) والمعارف (والاعمال كلها معرفة الله
 تعالى) واليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحضة (فان المصير اليه
 والقيدوم بالموت عليه و) لا يخفى انه (من قدم على محبوبه عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من قبل
 (ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فهما كان القلب الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والمال
 والولد والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب) وبالجلة كل ما يشغله عن الله تعالى (فهذا رجل محابه
 كلها في الدنيا فالدنيا) اذا (جنته) التي يتقرب بها (اذا الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فوته
 خروج من الجنة وحيولة بينه وبين ما يشتهي ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهي) فانه يتذكر عيشه
 ولا يصفو خاطره (فأما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفة والفكر فيه فالدنيا
 وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن
 الانسراح الى محابه فوته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن ونحلى
 بينه وبين محبوبه بلامانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
 (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعد الله لعباده
 الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كفى خبر أجي هريرة (وفضلا عما أعد الله للذين استحبوا
 الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها وأطمأؤا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب
 الخزي والانشكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسايين ويلحقنا بالصالحين) من عباده (ولا مطمع في اجابة
 هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره) من كل ما يشغله عنه (من
 القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن) وأهل وأصحاب (فالاولى ان
 ندعو بمحاده نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني الى حبك

من أفلت من السجن ونحلى بينه وبين محبوبه بلامانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب واجعل
 فضلا عما أعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر فضلا عما أعد الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على
 الآخرة ورضوا بها وأطمأؤا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والانشكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا
 بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى
 الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بمحاده نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني الى حبك

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان النجمي الوفاة قال لابنه يابني حدثني (٢٢١) بالرخص واذا كررت الرجاء حتى ألقى الله

على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلوة والسلام أن حبيبي الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكر لهم آلائي ونعمائي فاذا غايه السعادة ان يموت بحب الله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة * (بيان الدواء الذي به يستجاب حال الخوف) * (بيان الدواء الذي به يستجاب حال الخوف) * اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحنه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدرس هو (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر) والجنة والنار وله درجات ومراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار) يشير (الرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره) أي شدة الامور مما تكرهها النفوس (فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات) أي الملاذ النفسية من كل ما تقبل اليه النفوس (فلا يصبر على قمعها) أي دفعها ومنعها (الابوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا) وفي لفظ تبطل

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد) رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وقد تقدم في كتاب الاذكار والدعوات (والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة) والانس (وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه) رواه مسلم من حديث جابر وقد تقدم قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم) (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وابن حبان وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي وتمام كلهم من حديث واثلة وقد تقدم قريبا في فضيلة الرجاء (ولما حضر سليمان) بن طرخان (النجي الوفاة) ولفظ القوت ولما حضر سليمان النجمي (قال لابنه) يابني (حدثني بالرخص واذا كررت الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به) كذا في القوت وابنه هو المعتمر ابن سليمان وهذا قد أخرجه المزي في التهذيب بسنده الى المعتمر قال قال أبي عندهم يامعتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به قال ابن سعد كان سليمان من العباد المحمدين وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد ثم يوقون في هذا المسجد مرة حتى يصبحا (وكذلك لما حضر سفيان الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع) ولفظ القوت وكذلك لما حضر الثوري الوفاة جعل (العلماء حوله يرجونه) (قال أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (لابنه) عبد الله (عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن) فلو ان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لشكون الحاجة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة (والمقصود من ذلك كله ان يحب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حبيبي الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم آلائي ونعمائي) تقدم ذكره قريبا (فاذا غايه السعادة) ونهاية الفوز (ان يموت العبد) حالة كونه (بحب الله تعالى) أي يفارق هذا العالم وهو متصف بهذا الوصف (وانما تحصل المحبة بالمعرفة) فان من لم يعرف كيف يجب (وبإخراج حب الدنيا من القلب) بان لا يميل اليها باطنها وان كان لابد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية (حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب) أي من وصاله ومشاهدته وملاقاته (ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (في المنام وهو يطير) في الهواء (فسأله) عن حاله (فقال الآن أفلت) أي خلصت من السجن (فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة) فدللت روياء على انه كان محبوبا كالطير في القفص فلما مات وصل الى مغالوبه كما يفات الطير بعد حبسه والله الموفق

* (بيان الدواء الذي به يستجاب حال الخوف) *

(اعلم) (ونقل الله تعالى) (أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحنه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدرس هو (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر) والجنة والنار وله درجات ومراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار) يشير (الرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره) أي شدة الامور مما تكرهها النفوس (فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات) أي الملاذ النفسية من كل ما تقبل اليه النفوس (فلا يصبر على قمعها) أي دفعها ومنعها (الابوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا) وفي لفظ تبطل

الدرس اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا

عن الشهوات ومن أشفق من النار وجميع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجريد كراته تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الانس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس إلى المحبة وينتهي مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجريد لله ظاهرا (٢٢٢) وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلى الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة

(عن الشهوات) أي انقطع عنها (ومن أشفق من النار وجميع عن المحرمات) كذا في القوت وقدر وي سرفوعا من طريقه باقظا من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن رقب الموت صبر عن الذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقي وتعام وابن عساكر وابن النجار (ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجريد كراته والفكر فيه على الدوام) أي كل من الذكر والفكر من غير انقطاع بل يكون بازائهما فإذا ستم من الذكر اشتغل بالمرآة والتفكير ثم إذا أراد أن يفصل عنه فليعد إلى الذكر حتى يثبت له الدوام ولا يتخلل بينهما الشيطان (ويؤدي دوام الذكر إلى الانس) بالله تعالى (ودوام الفكر) يؤدي (إلى كمال المعرفة) بالله تعالى (ويؤدي كمال المعرفة والانس إلى المحبة) وهو أعلى المقامات (وينتهي بها) أي المحبة (مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات) التي ذكرها (فهذا هو الترتيب في سلوك منازل) الساترين (في الدين) وفي عروج مقامات الطائرين إليه (فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء وليس بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجريد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق) وأذنه بالدخول فيه (الالهيادية والمعرفة) لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب) كيف كان (والثقة بعنايته وهو) بعينه مقام (التوكل فإذا فهم ذلك كراه في علاج الصبر كفاية ولكن فإفراد الخوف بكلام جلي) أي اجالي (فنقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر) وتقرب ذلك إلى الأذهان أنما يكون بمثال يضرب له في الظاهر فيقيس الغائب على الشاهد (ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوجبة ربما كان لا يخاف وربما كان لا يخاف والحيطة ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحبيبة وتوهر منها فإذا انظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائضه ويحتال في الهرب منها فامم معه وغلب عليه الخوف ووافق في الهرب فخوف الابن عن بصيرة ومعرفة بصفة الحيطة وسببها وخاصيتها وساطة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد (لأنه يحسن الظن بابيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف) وأن الحيطة مخوفة (ولا يعرف وجهه) لجهله (وإذا عرفت هذا المثل فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه) تعالى في ذاته (فهو خوف العلماء) بالله (وأر باب القلوب) والبصائر النافذة (العارفين من صفاته) تعالى (ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر) وهي صفات الربوبية (المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فاما الأول فهو خوف عموم الخلق) أي الخوف من عذابه (وهو حاصل باصل الإيمان بالجنة والنار وكونهم مجزئين على الطاعة والمعصية) وقديقوى ذلك وقد يضعف (وبسبب ضعف الغفلة) وبسبب ضعف الإيمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم في

الامحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فإذا فهم ذلك كراه في علاج الصبر كفاية ولكن فإفراد الخوف بكلام جلي فنقول الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوجبة ربما كان لا يخاف وربما كان لا يخاف والحيطة ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحبيبة وتوهر منها فإذا انظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائضه ويحتال في الهرب منها فامم معه وغلب عليه الخوف ووافق في الهرب فخوف الابن عن بصيرة ومعرفة بصفة الحيطة وسببها وخاصيتها وساطة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بابيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا

المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وأر باب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الإيمان بالجنة والنار وكونهم مجزئين على الطاعة والمعصية وبسبب ضعف الغفلة وبسبب ضعف الإيمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم

فان فانت المشاهدة فالسمع لا يتخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف أعنى ان يخاف البعد والحجاب عنه ورجو القرب منه * قال ذوالنون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجى وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولا يمكن هو بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبي من الحية تقليدا لابيئه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا حرم بضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر اليه ويغتربه فينجبراً على أخذها تقليدا له كما احتز من أخذها تقليدا لابيئه والعقائد التقليدية ضعيفة (٢٢٣) في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها

المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خطبني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جاب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواء من عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفة ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي

حركاتهم وسكناتهم (فان فانت المشاهدة فالسمع) أى التأقف من الافواه (لا يتخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى) مقاما (فان يكون الله) عز وجل (هو المخوف أعنى ان يخاف البعد) عنه (والحجاب منه ورجو القرب منه) وبذلك ما (قال ذوالنون) المصيرى رحمه الله تعالى (خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لجى) أى فما يكون مقدارها بالنسبة الى البحر المتلاطم الامواج (وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو مقام كمال العارفين (ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد) لغیره (يضاهى خوف الصبي من الحية) أو السبع (تقليدا لابيئه) اذا رآه قد هرب منها (وذلك لا يستند الى بصيرة فلا حرم بضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم) وهو الذى عسك الحيات بالعزائم (فينظر اليه ويغتربه فينجبراً على أخذها تقليدا له) فيكون فيه هلاكه (والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على استمرار) وملازمة (فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة) أى صار الى أعلاها (وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى نبيه) داود (عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري) وهو من الاسرائيليين وقد تقدم الكلام عليه قريبا (ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواء من عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة) الى حضرته (من غير وسيلة) منهم (سابقة) تستدعى قريهم (وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة) فوجب ابعاده (بل صفة على ما ترجم قوله تعالى) في الحديث القدسي المتقدم يذكره قبض قبضة من بنى آدم فقال (هؤلاء في الجنة ولا أبالي) وقبض أخرى منهم فقال (هؤلاء في النار ولا أبالي) لكن يشترط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بامعان فانه هو المستجلب للخوف والا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب أو أيت لو أوردت ناراً تحت قدر ثم أخذت قبل الانضاج ثم أوقدت ثم أخذت ففى الوجود ما حصل الانضاج فلا بد من الاقبال بكنه الهممة على الفكر المحتاج اليه حتى ينضج القلب على الفور لثلايفى الزمان ولا يتحصل المقصود (وان خطر ببالك انه لا يعاقب الاعلى معصية ولا يثيب الاعلى طاعة فتأمل انه لم يد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهم اخلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعد عنه لانه عصاه فلم حله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل لغير نهاية أو يقف للاحالة على أول لا غاية له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال اخذ آدم وموسى عليهما السلام عند رجوعهما لحج آدم موسى) رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله عند رجوعهما وفى لفظ آخر

وان خطر ببالك انه لا يعاقب الاعلى معصية ولا يثيب الاعلى طاعة فتأمل انه لم يد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهم اخلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعد عنه عصاه فلم حله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية أو يقف للاحالة على أول لا غاية له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال اخذ آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند رجوعهما لحج آدم موسى عليه السلام

قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيد مو نفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالتك وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكلمة وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال اقتلوني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني باربعين سنة قال (٢٢٤) صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى فبن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور

الهداية فهو من خصوص العارفين المطاعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخلبه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان ساط عليه الجوع افترس وان ساط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو

احتج آدم وموسى (فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيد مو نفع فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض) ولفظ الجماعة بعد قوله جنته أخرجت الناس من الجنة بذنوبك وأشقيتهم (فقال آدم أنت موسى) ولفظ الجماعة فقال آدم يا موسى أنت (الذي اصطفاك الله برسالتك وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكلمة وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال اقتلوني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة) ولفظ الجماعة بعد قوله وكلامه وأنزل عليك التوراة أتألموني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني (قال صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى) أي غلب عليه في الحق ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه عبد ابن جريد وأبو يعلى وابن مردويه من حديث أبي سعيد ورواه أبو بكر في الغيلانيات والخطيب من حديث أبي موسى ورواه النسائي وأبو يعلى والطبراني والآنسوري في الشريعة والاضياء من حديث جندب البجلي (فن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطاعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف) ولكن يختلف في قوته وضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب (فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع قد يغفل بالاتفاق فيخلبه) ويتركه (وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب) كثيرة (مرتبة بقدر معلوم) وحديثي انتهى اليه (لكن اذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان ساط عليه الجوع افترس وان ساط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته) من البطش والسطوة والجرأة (فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو ان ساط عليه الجوع افترس وان ساط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو

المغرورين

الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأرضي ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا وسخر والاسبابها شاء أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا وسخر والاسبابها شاء أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا وسخر والاسبابها شاء أم أبوا

وخلق لها أهلا وسخر والاسبابها شاء أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملطهم أمواج القدر الاغلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فن قد عبه القصور عن الارتقاء الى مقام الاستبصار فسيبيل ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار ويطالع أحوال الخائفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

الفراغة والجهال والاعبياء
أما رسولنا صلى الله عليه
وسلم فهو سيد الأولين
والآخريين وكان أشد
الناس خوفا حتى روى
انه كان يصلى على طفل
ففي رواية انه سمع في
دعائه يقول اللهم قم عذاب
القبر وعذاب النار وفي
رواية ثانية انه سمع قائلا
يقول هنيئاً لك عصفور من
عصافير الجنة فغضب وقال
ما يدريك انه كذلك والله
اني رسول الله وما أدري
ما يصنع بي ان الله خلق
الجنة وخلق لها أهلاً لا يزداد
فيهم ولا ينقص منهم وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال
ذلك أيضاً على جنازة
عثمان بن مظعون وكان
من المهاجرين الأولين لما
قالت أم سلمة هنيئاً لك الجنة
فمكثت تقول أم سلمة بعد
ذلك والله لأركي أحداً
بعد عثمان وقال محمد بن
خولة الحنفية والله لأركي
أحد غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا أبي الذي
ولدتني قال فنارت الشيعة
عليه فاخذوا كرم من فضائل
علي ومنابعه وروى في
حديث آخر عن رجل من
أهل الصفة استشهد فقالت
أمه هنيئاً لك عصفور من
عصافير الجنة هاجرت الى

المغرورين) وعقولهم (فلا يتمارى) أي لا يشك (في أن الاقتداء بهم أولى لانهم الانبياء والاولياء
والعلماء) والصالحون من عباد الله (وأما الآمنون فهم الفراغة والجهال والاعبياء) أما رسولنا صلى الله عليه
وسلم فهو سيد الأولين والآخريين (روى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد أناسيد ولد آدم
يوم القيامة ولا يخفى الحديث ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن سلام) (وكان أشد الناس خوفاً) تقدم
قبل هذا بخمسة وعشرين حديثاً قوله والله اني لأخشأكم لله وقوله اني لاعلمهم بالله وأشد هم له خشية (حتى
روى انه كان يصلى على طفل) (منغوس) (ففي رواية انه سمع في دعائه) (له) يقول اللهم قم عذاب القبر وعذاب
النار) كذا في القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى على صبي أو صبية وقال لو كان أحد نجما من ضمة القبر لنجما هذا الصبي واختلف في اسناده فرواه في
الكبير من حديث أبي أيوب ان صبيادفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اقلت أحد من ضمة القبر
لا قلت هذا الصبي (وفي رواية ثانية انه سمع قائلا تقول هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال
ما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق
لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم) كذا في القوت وقال العراقي رواه مسلم
من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوي به عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فغضب
وقد تقدم (وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون) رضى الله عنه
(وكان من المهاجرين الأولين من) الشهداء وهو أول من مات بالمدينة (لما قالت أم سلمة) رضى الله
عنها (هنيئاً لك الجنة) فقال لها صلى الله عليه وسلم ما قال (فمكثت تقول أم سلمة بعد ذلك والله ما
أركي أحداً بعد عثمان) كذا في القوت وقال العراقي رواه البخاري من حديث أم العلاء الانصارية
وهي القائلة بجنة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال وما يدريك الحديث وورد
ان التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة اه قلت لفظ الصحيح عن أم العلاء قالت
لمامات عثمان بن مظعون قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث وقوله ووردان
التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد قلت قال ابن عبد البر في ترجمة أم العلاء الانصارية يقال انها والدة
خارجة بن زيد بن ثابت الراوى عنها روى حديثها الشيخان من رواية الزهري عن خارجة بن زيد عن
أم العلاء الانصارية قالت طاز لنا عثمان بن مظعون في السكنى لما افتتحت الانصار فذكر الحديث في
فضل عثمان بن مظعون وفيه انه رأت لعثمان عينا جارية فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
ذلك عمله وفي الحديث قولها المتقدم شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله والحديث المذكور
الذي جاء فيه التبريح بانه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد والطبراني من طريق يزيد بن أبي
حبيب عن سالم بن النضر عن خارجة بن زيد عن أمه ان عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم خارجة طبت
أبا السائب الحديث قال الحافظ فهذا ظاهر في ان أم العلاء هي والدة خارجة المذكور (و) أعجب
من ذلك ما روى انه (قال) أبو القاسم (محمد بن) علي بن أبي طالب وهو ابن (خولة الحنفية) وهي
ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن بروع بن ثعلبة بن الدليل بن حنيطة من سبي أهل
الردة (والله لأركي أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدتني قال فنارت الشيعة
عليه) حين سمعوا ذلك منه (فاخذوا كرم فضائل علي ومناقبه) نقله صاحب القوت (وروى في حديث
آخر ان رجلاً من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يشككم

بما لا ينفعه و يمنع ما لا ينصره
وفي حديث آخر انه دخل
صلى الله عليه وسلم على بعض
أصحابه وهو عليل فسمع امرأة
تقول هنيئاً لك الجنة فقال
صلى الله عليه وسلم من هذه
المتألمة على الله تعالى
فقال المريض هي أمي
يارسول الله فقال وما يدريك
أهل فلانا كان يتكلم
بما لا يعنيه و يبخل بما لا
يعنيه وكيف لا يخاف
المؤمنون كلهم وهو صلى الله
عليه وسلم يقول شيئتي هود
وأخواتها سورة الواقعة
وإذا الشمس كورت وعم
يتساءلون فقال العلماء لعل
ذلك لما في سورة هود من
الابعاد كقوله تعالى ألا
بعد العاد قوم هود ألا بعدا
لنود ألا بعد المدين كإبعدت
ثمود مع علمه صلى الله عليه
وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا
أذلو شاء لا تأتي كل نفس
هــداها وفي سورة الواقعة
ليس لوقعها كاذبة خافضة
واقعة أي جف القلم بما هو
كائن و تمت السابقة حتى
تزلت الواقعة اما خافضة
قوما كانوا مرفوعة في
الدنيا واما رافعة قوما كانوا
منخفضين في الدنيا وفي
سورة التكو برأهوال يوم
القيامة وانكشف الخاتمة
وهو قوله تعالى وإذا الجحيم
سمرت وإذا الجنة أزلفت
علمت نفس ما أحضرت وفي
عم يتساءلون يوم ينظر المرء

بما لا يعنيه و يمنع ما لا ينصره
كذا في القوت وقال العراقي رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف
بلغنا أن أمه قالت هنيئاً لك يا بني الجنة ورواه البيهقي في الشعب الا انه قال فقالت أمه هنيئاً لك الشهادة
وهو عند الترمذي الا انه قال ان رجلاً قال له ابشر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف
(وفي حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئاً
لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألمة على الله فقال المريض هي أمي يارسول الله فقال
وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه و يبخل بما لا يعنيه) كذا في القوت وبيض له العراقي
(وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيئتي هود وأخواتها) رواه الطبراني من
حديث عقبة بن عامر والترمذي في الشمائل وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي جحيفة وفي لفظ
شيئتي هود (وسورة الواقعة) والمرسلات (وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون) رواه الترمذي والحاكم
من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر وفي لفظ شيئتي هود وأخواتها الواقعة
والخاتمة وإذا الشمس كورت رواه الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام
عليه في كتاب السماع (فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا بعدا
هود ألا بعد النود والابعدا للمدين كإبعدت ثمود) فهذا هو الذي شينه صلى الله عليه وسلم (مع علمه صلى الله
عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا أذلو شاء لا تأتي كل نفس هداها) كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني (وفي سورة الواقعة) قوله تعالى (ليس لوقعها كاذبة) أي وقعت السابقة
من سبقت له السابقة وحق الخاتمة بن حقت عليه الخاتمة (أي جف القلم بما هو كائن) روى أحمد
من حديث ابن عروان الله تعالى خلقته في ظلمة الحديث وفيه فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن
(و تمت السابقة حتى تزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعة في الدنيا واما رافعة قوما كانوا
منخفضين في الدنيا) حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلق وفيها فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب الميمن فسلام للثمن أصحاب الميمن وأما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من جحيم وتصلية بحجم فهذا هو حق اليقين الخاتمة ما الخاتمة إذا وقعت الواقعة بمن
حققت عليه الكلمة (وفي سورة التكو برأهوال يوم القيامة) وهي خواتم المصير لمن أيقن (وانكشف
الخاتمة) وفيها تجلى معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك (وهو قوله تعالى وإذا الجحيم سمرت وإذا الجنة
أزلفت علمت نفس ما أحضرت) هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ
يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم وخير يصلح للنعيم ويعلم اذ ذاك من أي أهل الدارين
يكون وفي أي المنزل يحمل فكهم من قلوب قد تقطعت حشرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابهم وكرم
من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران انها تصيبها وكرم من ابصار ذليلة خاشعة لمشاهدة
الاهوال وكرم من عقول طاشت لمعاينة الزلزال (وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية
وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا الذي عزاه المصنف لبعض العلماء
ساقه صاحب القوت وجها بقوله ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرح به العلماء ان المراد منه
ان في هذه السور من أهوال يوم القيامة وتباين أحوال السعداء والاشقياء والامر بالاستقامة كما أمر
بما يليق بعالي مقامه الذي لا يمكن بشر ان يحمله ومن غير ذلك مما لا يستوعب بعضه الادبوان حافل
ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن سيما على أتباعه وأمة به عظيم راقته ورحته لهم ودوام الفكر
فيما يصلحهم وتتابع الغم مما يوجبهم أو يصدر عنهم واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم
الظاهرة والباطنة وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية وضعفها مستلزم لضعف الحرارة
الغريزية وبعثها يسرع الشيب ويظهر قبل وقته ولكن لما كان عنده صلى الله عليه وسلم من انشراح

والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولولم يكن فيه الاقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم امتعى اكان كافرا اذا علق المغفرة على اربعة شروط واحداها واشده انه قوله تعالى فاما من تاب (٢٢٧) وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المقضين وقوله تعالى لاسأل

الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقة لان وقوله عز وجل أقاموا مكر الله الآية وقوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وقد الايتين وقوله تعالى وان منكم الاوردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة فزده في حرثه الآية وقوله فمن عمل مثقال ذرة خيرا يره الايتين وقوله تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما قاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى ان النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بيكا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم يبيكا وفه أمنتكما فقالا ومن يامن مكرنا وكانهما اذ علمتا ان الله هو علام الغيوب وبانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامننا ان يكون قوله كان ابراهيم صلى الله عليه

الصدر واتساع القلب وتوالي أنوار اليقين والقرب بآسيابه كل هم وحزن لم يقدر ذلكان يستولى الأعلى قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجمال وليتبين ان جماله صلى الله عليه وسلم غالب على جلالة والله أعلم (والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأ بتدبر) وتأمل (ولولم يكن فيه الاقوله تعالى وانى اغفران تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيًا) فى المقصود (اذ علق المغفرة) على (أربع شروط يعجز العبد عن أحداها وهى التوبة ثم الإيمان ثم العمل الصالح ثم الاهتداء) وأشد منه قوله تعالى فامان تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفحين) أى من وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة فعسى ولعل ان يعد من زمرة أهل الفلاح أى الفوز والنجاة (وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقاتهم وقوله تعالى سنفرغ لکم أهمل الثقلان وقوله تعالى أفأمنوا مكر الله الآتية وقوله تعالى وكذلك انذرنكم اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذها أليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرجن وفدا الآيتين وقوله تعالى وان منکم الاواردها الآتية وقوله تعالى اعملوا ما شئتم الآتية وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه الآتية وقوله تعالى فن يعمل منقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى وقد منا الى ما عملوا من عمل الآتية) فهذه المخاوف وهى من المحسكات ليس فيها أمر ولا زجر وردت فى السوابق الاول والخواتم الاخر وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها أمر الغيوب وبوغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب وهى من آتى المطلع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف (وكذا اقوله تعالى والعصر ان الانسان لنى خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للعلاص من الخسران) وهى الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر (وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم) الظاهرة والباطنة (لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقد كثرت الاخبار فى من عبد الله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بحجب ساعة أو كله كبر أو بآزاره على غيره وجاءت الاخبار بأعمال ترفع الى السماء ويبينها الدرجات العلى ثم ينظر الله الى صاحبها نظرة بعدد ما يقبته فتندم الدرجات وتسقط المنازل (حتى روى) فى الخبر المشهور (ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بيكاخوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم تبكيا وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرنا) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر وروىناه فى مجلس من أمالى أبى سعد النقاش بسند ضعيف (وكأنهما اذ علمتا ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الأمور ولم يأمنوا ان يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا ومكرنا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمنتما من المكر وما فيا بقولهما) وعبارة القوت فلولا انهما علمتا ان مكره لانهما لانه لا غاية له لم يقولوا ومن يأمن مكرنا مع قوله وقد أمنتكما ولما كن قد انتهى مكره بقوله ولكنا قد وقفنا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلمتا انهما لا يقفان على كنه غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلانهما لم يعلما فى علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره لهما ولا انهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر من الوصف واطهار القول لا يقضى على باطن الوصف فكانت خافا ان يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكرى مكرنا منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعاملان تعبدنا منه لهما به اذ لا ابتلاء وصفه من قبل ان المبتلى اسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سنه التى قد دخلت فى عباده (كأن) خليله (ابراهيم صلى الله عليه وسلم) اختبره (الموضع فى المتعجب) وأهوى به فى الهواء (قال حسبي الله وكانت) هذه القولة (من

وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من

الدهاوى العظام فامتنع وعرض بحبريل فى الهواء حتى قال انا حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك واما بحقيقة قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه فقال و ابراهيم الذى وفى اى عوجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم لم حيث قال انا اتخاف أن يفرط علينا أو أن يظنى قال لا تخافا نتي معكما (٢٢٨) أسمع وأرى ومع هذا لما أتى السحرة بحجرهم أو جس موسى فى نفسه خيفة اذ لم يأمن

الدعوى العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما إليك فلا فابت لنفسه
حاجة كما هو مقتضى وصف الخلقة (فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسي الله) وصدق القول بالعمل (فأخبر
الله تعالى عنه فقال وبرايم الذي وفي أي عوجب قوله حسي الله) ولأن الله تعالى لا يدخل تحت الأحكام
ولا يلزمه ما حكم به على الأنام ولا يختبر صدقه تعالى ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق أن يدل الحكم
هو يتبدل منه لأن أحكامه وكلامه قائم به فإنه لا يتبدل منه به ما شاء بما شاء هو الصادق في الكلامين
العدل في الحكمين الحاكم في الحالين لأنه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لأنه قد جاز العالوم والعقول
التي هي أماكن للحدود من الأمر والنهي وفات الرسوم التي هي أواسط الأحكام والاقدار وفي
مشاهدة ما ذكرنا علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال الموحدة (وبمثل هذا) المعنى
(أخبر عن) كلمه (موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال لا تخاف أن يفرط علينا أو أن يبطي) يعني
فرعون (قال لا تخافا اني معكما أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه
خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتباس الامر لديه) بأن يكون قد أسر عنه في غيبه وقد استأثر عن نفسه
تعالى ما لم يظهر له في القول لمعرفته عليه السلام بخفي المكرو باطن الوصف ولعله أنه لم يعطه الحكم
اذ هو محكوم عليه مفه ورغاف خوفاننا (حتى جدد عليه الامن) بحكمه (ان) وقيل له لا تخف انك أنت
الاعلى لا تخف انك من الامنين فاطمأن الى القائل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعله بدعة علمه أنه
هو علام الغيوب التي لانهاية لها ولان القول احكام والحاكم لا تخفكم عليه الاحكام كالاتعود عليه
الاحكام وانما تفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على الحكومات ابداء لانه جلست قدرته
لا يلزمه ما ألزم الخلق الذين هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك
علاوا كبيرا (ولما ضعف شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم) في دعائه (اللهم ان تهلك هذه
العصاة لم يبق على وجه الارض أحد يعبدك فقال أبو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف
لأنما وعدك) قال العراقي رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم
الحديث (فكان مقام الصديق) رضي الله عنه (مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله لانه لم يصدر الاعن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني
صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى
ومن عرف حقيقة المعرفة (و) عرف (فصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا بحالة وذلك
قال المسج) عيسى بن مريم (صلى الله عليه وسلم لما قيل له أعنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من
دون الله) وقد علم انه لم يقله فلما عرض له بالقول فزع خفاف ان يكون قاله وان الله يؤاخذ به اذ جعله
سبيله (قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما نفسي ولا أعلم ما في نفسي) وقال (مثل هذا في يوم القيامة ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فؤذ الامر الى المشيئة) اعزته وحكمته (وأخرج نفسه
بالسكينة من بين اهل بهانه ليس له من الامر شيء) وان الله يتحكم في خلقه كيف شاء من غير سبب منهم
(فان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حدد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها
بقياس وحس) أي تخمين (وحسابات فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب

أقول ما ليس لي بحق إن كنت
عبادك وإن تغفر لهم الآية
بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد
وهذا هو الذي قطع قلوب

قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فاعذبهم
فوز الامر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين العلم بأنه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة
بالمعقولات والمأثورات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب فضلا عن التحقيق والاستيقان

العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئتهن لا يبالي بل ان اهلك فقد اهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض وعرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباده ثم يخبر عنه ويقول ولوشئنا لا تبينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأ من جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى وتنت كثر بك لا ملأ من جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انما في حيلة (٢٢٩) فيه ولكن ايسر التسليم فيه واستقراء

خفي السابقة من جلي
الاسباب الظاهرة على
القلب والجوارح فمن يسر
له اسباب الشر وحيل
بينه وبين اسباب الخير
وأحكمت علاقته من الدنيا
فكانه كشفه على التحقيق
سر السابقة التي سبقت له
بالشقافة اذ كل ميسر لما
خلق له وان كانت الخبرات
كلها ميسرة والقلب بالسكينة
عن الدنيا منقطعاً وبظاهرة
وباطنه على الله مقبلاً كان
وعسر الثبات يزيد نيران
الخوف اشعالاً ولا يمكنهما من
الانطفاء وكيف يؤمن
تغير الحال وقلب المؤمن
بين أصبعين من أصابع
الرحن وان القلب أشد
قلبا من القدر في غلبتها
وقد قال مقلب القلوب عز
وجل ان عذابهم غير
مأمون فاجعل الناس من
أمنه وهو ينادي بالتحذير
من الامن ولولان الله لطف
بعباد العارفين اذ روح
قلوبهم بروح الرجاء

العارفين) ولذلك لا يصلح ان يكشف حقيقة تفصيله في كتاب خشية الانكار (اذ الطامة الكبرى هو ارتباط امرك بمشيئتهن لا يبالي بل ان اهلك فقد اهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض وعرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباده ثم يخبر عنه ويقول ولوشئنا لا تبينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأ من جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى وتنت كثر بك لا ملأ من جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انما في حيلة (لكانت الاطماع تمتد الى حيلة ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي اسباب السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له) كما ورد ذلك في الخبر اعملوا فكل ميسر لما خلق له (وان كانت الخبرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعاً عن الدنيا وبظاهرة وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثقاً به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشعالاً ولا يمكنهما من الامن بين أصبعين من أصابع الرحمن) روى الحاكم من حديث جابر ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء وقد تقدم في قواعد العقائد (وانه أشد تقلباً من القدر في غلبتها) كما في الخبر وتقدم في عجائب القلب (وقد قال مقلب القلوب) جل جلاله (ان عذاب ربه مغير مأمون فاجعل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن) وأعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام امين وهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب لا يوازيه مقام ولا غل (ولان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف) ولا يخرجهم الى القنوط ولولانه روحها بروح الانسان يحسن الفن لادخلهم في اليأس ولكن اذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء حكمة بالغعة وحكم نافذ لعلم سابق وقد جاز حقيقة ماشاء الله لا قوة الا بالله (فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى) لعباده (واسباب الغفلة رجة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقاب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقبل) كذا في القوت (وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لا اخترت الموت على الاسلام) دون الشهادة قبل ولم قال (لاني لا ادري ما يعرض لقلبي) من المشاهدة فيما (بين باب الحجر وباب الدار) فيغيره عن التوحيد كذا في القوت قال وروينا عن زهير بن نعيم البجلي قال ما أكثر همي ذنوبي انما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب ان أسلب التوحيد وأموت على غيره (وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه (يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه) وقال مرة فماسبه عبد فوجد له فقد قال صاحب القوت فهذا على امرين أحدهما

لا احترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رجة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لرهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقاب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقابل وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لا اخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجر وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه

وكان سهل يقول خوف

الصدّيقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقالوهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفوا الله أعظم من ذنوبك فقال أودع ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملك فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا يشاهد جنازتي ليحضر جنازتي من أحب علي بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز ورفقه وكان سهل يقول المرء يخاف أن يقتل بالمعاصي والعارف يخاف أن ينتل بالكفر وكان أبو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطى زنارا أخاف أن يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذه الى في كل يوم خمس مرات

ان يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسبب ايمانه لحق مكر الله به والثاني ان يظلم قلبه ويسود لطول الغفلة وكثافة الرين فلا يبالى ببقعه اذ قد هيا قلبه على قلة المبالاة وترك الاكتران لذلك فيهن عليه فقد الاعيان وقد كان بعض العلماء يقول من أعطى التوحيد أعطاه بكاه ومن منعه منه بكاه اذ كان التوحيد في نفسه لا يتبع (وكان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله يقول خوف الصدّيقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة) وهمة (وعند كل حركة) يخافون البعد من الله تعالى (وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال) ويؤتون ما أتوا (وقالوهم وجلة) ولفظ القوت وهم الذين مدح الله وجلة قلوبهم وقال أيضا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات وقال أيضا ألقى الخوف ان يخاف سبق علم الله تعالى فيه ويجذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال أيضا خوف التعظيم ميراث خوف السابقة (ولما احتضر سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (جعل يبكي ويجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفوا الله أعظم من ذنوبك فقال أودع ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا) وقال مرة ذنوبي أهون من هذا ورفع حجة من الارض انما أخاف ان أسب التوحيد في آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتي في الحكايات (وحكى عن بعض الخائفين) ولفظ القوت وحديثي بعض اخواني عن بعض الصادقين وكان خائفا (انه أوصى بعض اخوانه) فقال (اذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي) فاذا عايت فانظر الى (فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملك فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت) الحاذق (وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس) اني مت على غير الاسلام (حتى لا يغتروا) ويشهد جنازتي ليحضر جنازتي من أحب علي بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الموت) فاكون قد خدعهم حيا وميتا (قال) له صاحبه (وبم أعلم ذلك فذكر له علامة) وهي انه قال له ضع أصبعك في كفي فان أمسكتها وشددت عليها فاعلم اني قدمت على التوحيد وان أرسلتها وبذنتها فاعلم ان حالي سيئة ففعل (فرأى علامة التوحيد عند موته) بان قبض على أصبعه وشدها فلم يخرجها من كفه الا بعد موته قال ففخذ وصيته (فاشترى السكر واللوز ورفقه عند موته) كما أمر قال ولم أحدث بذلك أحدا الا خصوص اخواني من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه وأشهد وجده اياه عند آخر ساعة من وفاته فان استحلى ذلك بقلبه واستهونه نفسه وقف معه وسكن اليه فاذا وقف معه حسب عليه وجعل عيلا من أعماله الا انه من أعمال القلوب في الوقت وقد تقدم سعيه فيه وهواه قبل الوقت وكان ذلك فاتبع سببا وان قل وكان هو الخاتمة فسبحان متج الاسباب وجاعها أبوابا ومقبض القرناء وجاعها حجابا (وكان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله (يقول المرء يخاف ان ينتل بالمعاصي والعارف يخاف ان ينتل بالكفر) نقله صاحب القوت قال (و) كذلك (كان أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى قبله (يقول اذا ذهبت الى المسجد كان في وسطى زنارا أخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذه الى في كل يوم خمس مرات) هذا لعلمهم بسرعة تقب القلوب في قدرة الغيوب كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلها كان مجوسي أريد ان أقطع زناري أه قال الشارح فسر في موضع آخر فقال كنت نتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين امرأة قلبي وسنة نظر فيما بينهما فاذا في وسطى زنار طاهر فعملت في قطعه نتي عشرة سنة ثم فارت فاذا في وسطى زنار باطن فعملت في قطعه خمس سنين فلما قطعه راي الخلق كلهم وهو منهم موفى فكبر عليهم أربع تكبيرات وذلك لان الحداد شأنه ان يحصى الحديد بطرقه لبصيقه ويخرج وسخه فقال كنت أعدل جوارحي وخواطري بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة فرأيت في نفسي التقاء الى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من

النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الاصديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور ما لوفية بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكيفية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه ان كان الرجل ليبتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعه من أحدكم في اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعتدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن تكبره من الناس ما تأتي مثله وأن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من الحق وقبل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك كذا في القوت وعلامات النفاق أكبر من ان تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من النفاق الاطبقات ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين ضمهم الله الى الانبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعافاهم من الحسرة بالبلوى ووفاهم آفة الاحوال كمال ايمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وتراذف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها فهذه أوجب المخاوف على المؤمنين خشية تمت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من حيث لا يشعرون (وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنهما (انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال) ابن عمر (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

العلامات قد توجد والدلائل في الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها الى المال اه والحديث المذكور قد تقدم في قواعد العقائد وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي لفظ للشيخين اذا اتهم خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواه كذلك الخرائطي في مساوي الاخلاق وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود (وقد فسر الصحابة) رضي الله عنهم (والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شيء منه الاصديق اذ قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (ان من النفاق) لفظ القوت وكان يقول كانوا يعدون (اختلاف السر والعلانية) واختلاف الظاهر والباطن (واختلاف اللسان والقلب) نفاقا (و) قال مرة كانوا يعدون (اختلاف) القول والعمل (والمدخل والمخرج) نفاقا (ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور ما لوفية بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكيفية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة) فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه ان كان الرجل ليبتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا) حتى يلقي الله (اني لاسمعه من أحدكم) ليبتكلم بها (في اليوم) ولفظ القوت في المجلس (الواحد عشر مرات) ولفظ القوت خمس مرات رواه أحمد عن عبد الله بن غير حدثنا رزين الجهني حدثنا أبو الرقاد قال خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعنا الى حذيفة ويقول ان كان الرجل ليبتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعه من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وانخفض على الخير أو لبسحتنكم الله جميعا به عذاب أو لبوئمرن عليكم شراركم ثم يدعو خباياكم فلا يستجاب لكم وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وتقدم في قواعد العقائد (وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كما نعتدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر) وفي لفظ من الموبقات قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس والبراز من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة وصححه اسناده وتقدم في التوبة قلت وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة قال المنافقون اليوم شرهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ذاك يسرونه وهم اليوم يعلنونه قال صاحب القوت وهذا كما قال اعلان المعاصي والجهار بها أعظم من النستر والتخفي لانها اذا أسرت لم تضرب الا صاحبها واذا أعلنت ضربت العامة ونكأت في الاسلام وأهنت شأن الدين (وقال بعضهم علامة النفاق ان يكبره من الناس ما يأتي مثله) نقله صاحب القوت قال (و) روينا مسندا من النفاق (ان يحب على شيء من الجور وان يبغض على شيء من الحق) وسئل وهب من المنافق قال الذي يحب المدح ويكره الذم وروى مسندا من طريق أهل البيت من علامة المنافق أن يحب أن يحمى في جميع أموره (وقبل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك) كذا في القوت وعلامات النفاق أكبر من ان تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من النفاق الاطبقات ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين ضمهم الله الى الانبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعافاهم من الحسرة بالبلوى ووفاهم آفة الاحوال كمال ايمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وتراذف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها فهذه أوجب المخاوف على المؤمنين خشية تمت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من حيث لا يشعرون (وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنهما (انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون) ويعلم الله في قلوبنا خلاف ذلك وقال مرة ندخل عليهم فنصدقهم (فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال) ابن عمر (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم وروى انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج خاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كذا بعد هذا نقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ما روى أن نفعرا قعدوا على باب (٢٣٣) حذيفة ينتظرونه فسكوا ويتكلمون

في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا وحياء منه فقال تكلموا فيها كتمت تقولون فسكتوا فقال كذا بعد هذا نقا قعدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول انه يأتي على القلب ساعة يملي بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغر زارة يأتي عليه ساعة يملي بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة وقد عرفت به أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور تتقدمه منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومضى يخلو العبد عن شيء من جلة ذلك وارطن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا تزال العارفين بين النفاق الى السابعة والخاتمة خاتمة منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين تخافتين بين أجل قدمضي لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري

كذا نقله صاحب القوت (وروى) عنه من طريق آخر (انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه) ولفظ القوت بسبب الحجاج ويذمه (فقال له) أرايت لو كان الحجاج خاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال (ابن عمر اما هذا فقد) كذا بعد هذا نقا قعدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) كذا في القوت وقد تقدم في قواعد العقائد قال العراقي ولم أجد فيه ذكر الحجاج قلت ذكر الحجاج فيه في الغيلانيات قال صاحب القوت ولعمري لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يكون بعدى أمر من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني واست منه ولن يرد على الخوض ولكن من كره وأنكر (وأشد من ذلك ما روى ان نفعرا قعدوا على باب حذيفة) رضى الله عنه (ينتظرونه فسكوا ويتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا وحياء منه فقال تكلموا فيما كتمت تقولون فسكتوا) وفي القوت أفيضوا بدل تكلموا (فقال) قد (كأنعد) مثل (هذا نقا قعدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقي لم أجد له أصلا (وهذا حذيفة) رضى الله عنه (كان) قد (خص بعلم المنافقين) حتى ان عمر رضى الله عنه كان يقول له هل تعلم في شيء من النفاق (وكان يقول انه تأتي على القلب ساعة يملي بالآيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغر زارة وتأتي عليه ساعة يملي بالنفاق حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة) يعني بهذا عند قوة صفات النفس بالهوى وامتلائها بالشهوة يغيب الآيمان ويحتجب احتجاب الشمس تحت السحاب فيرتفع حكمه عن اظهار أحكامه الموجبة لمقتضاه من الورع أو الزهد أو المراقبة أو المخافة كما يرتفع حكم شعاع الشمس اذا حجب بكثف السحاب على الارض ولم يقع منها ضوء وعلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزن الزاني وهو مؤمن الحديث وفي الخبر الاستحرام للآيمان كالقميص يلبسه احيانا ويخلعه احيانا وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلا عن امتلائه بالآيمان في وقت دخول الشك عليه لانه رفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أوفى وقت انكار القدرة من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فانه من آياته فوجود ذلك نقص للآيمان وينقص الآيمان دخول النفاق فان بغت الموت في هذا الساعة التي يملي القلب فيها نفاقا حتى لا يكون للآيمان فيه مغر زارة ليس يكون ذلك خاتمة بالنفاق وكذلك ان جاء الامر بغية عند احدى الحاصل الخمس المذكورة في حديث عبد الله ابن عمر وأليس ذلك يصير في آخر عمره من سوء الخاتمة (فقد عرفت به) ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق) وقد يخوف الخصوص اذا جعلوا سبب إبلاء ان يلحقهم منه ذنب وان لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة يا ليتني مت قبل هذا لما جعلت محنة لامة وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاعة اني لست هنالك اني أخاف لاني قد عدت من دون الله تعالى ومن أعجب ما أضيف الى العبد فعلة مما لا يفعله الا انه أجرى عليه وجعل مكانه (ومضى يخلو العبد عن شيء من جلة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق) كذا في القوت (وقال بعضهم لبعض العارفين اني أخاف على نفسي النفاق قال لو كنت منافقا لما خفت النفاق) ولفظ القوت جاء رجل الى حذيفة باكا قال هلكت قال مالك قال اني أخاف النفاق فقال له لو كنت منافقا لما خفت النفاق ان المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنا وحسب الآمن منه علما لوجوده (فلا تزال العارفين بين اللاتفات الى السابعة والخاتمة خاتمة منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين تخافتين بين أجل قدمضي لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار الالجنة أو النار) قال العراقي ورواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن

* (بيان معنى سوء الخاتمة) * فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبين احدهما أعظم من الاخرى فالمرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والاعذاب المخلد والناية وهي (٢٣٤) دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمره من أمور الدنيا وشهوته من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه

و يستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينفو قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسار رأسه الى الدنيا وصار فاجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا من المحجوبين عنه فالما مؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهي فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخاطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا لينتدرك وعند ذلك تعظم الحسرة الا أن أصل الاعمال وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة

عن رجل من الصحابة وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في الزهد بلا غرض ذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرج له ولده في مسند الفردوس اه قلت لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات * (بيان معنى سوء الخاتمة) *

(فان قلت ان أكثر هؤلاء أى الصالحين يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فاعلم) هذا الله تعالى (ان سوء الخاتمة على رتبين احدهما أعظم من الاخرى فالمرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت) وشدائده (وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا وذلك يقتضى البعد الدائم والاعذاب المخلد) الم لازم (و) الرتبة (الناية وهي دونها) أى دون الاولى (ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمره من أمور الدنيا وشهوته من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه ويستغرقه) أى يغمره (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينفو قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسار رأسه الى الدنيا وصار فاجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب) عن الله تعالى (نزل العذاب) لا محالة (اذ نار الله الموقدة) المشار اليها الآية (لا تأخذ الا المحجوبين عنه فالما مؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف الى الله تعالى) المشار اليه في قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم أى سليم عن حب الدنيا (تقول له النار جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهي) روى ذلك من حديث يعلى بن منية تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي ورواه الحكيم في النوادر بلفظ ان النار تقول (فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فان الامر مخاطر لان المرء يموت على ما عاش عليه) كانه يبعث على ما مات عليه (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا لينتدرك وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (الا ان أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يعمق عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب) كفى الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان (وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرج من النار ولو بعد حين ولو بعد آلاف سنين) فقد روى من مرسل الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك (فان قلت فماذا كثره يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويعمل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن) عن (نور الايمان بل الصبح عند ذوى الابصار ما صح به الانباز وهو ان

وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يعمق عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فماذا كثره يقتضى ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويعمل طول هذه المدة فاعلم ان كل من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الايمان بل الصبح عند ذوى الابصار ما صح به الانباز وهو ان

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانه قد يقع الى قبر المذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب (٢٣٥) باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر

ونكير عند الوضع في القبر
والتعذيب بعده ثم المناقشة
في الحساب والافتضاح على
ملامن الاشهاد في القيامة
ثم بعد ذلك خمار الصراط
وهو ان الزبانية الى آخرها
وردت به الاخبار فلا يزال
الشقي مترددا في جميع
أحواله بين أصناف العذاب
وهو في جملة الاحوال المعذب
الان يتعمده الله برحمته
ولا تظن أن محل الايمان
ياكله التراب بل التراب
ياكل جميع الجوارح
ويهددها الى أن يبلغ
الكتاب أجله فتجتمع
الاجزاء المنفردة وتعود
اليها الروح التي هي محل
الايمان وقد كانت من
وقت الموت الى الاعادة ما في
حواصل طيور خضر معلقة
تحت العرش ان كانت
سعيدة واما على حالة تضاد
هذه الحالة ان كانت
والعباد بالله شقية فان قلت
فما السبب الذي يقضى الى
سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب
هذه الامور لا يمكن احصاؤها
على التفصيل ولكن
يمكن الاشارة الى مجامعها
أما الختم على الشك والجود
فينحصر سببه في شيئين

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال
غريب وتقدم في الاذكار (وانه قد يقع الى قبر المذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار) قال
العراقي لم أجده أصلا (فلا تفارقه روحه الا وقد نزل البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف
أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر) تقدم في قواعد
العقائد (والتعذيب بعده) تقدم فيه أيضا (ثم المناقشة في الحساب) تقدم فيه أيضا (والافتضاح على
ملامن الاشهاد في القيامة) قال العراقي روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر ياسنا جدي من انتفى
من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤس الاشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أما الكافر
والمنافق فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وللطبراني والعقيلي في الضعفاء
من حديث الفضل بن عباس فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اه
قلت حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قدرناه كذلك أبو نعيم في الحلية وعند الكل بعد قوله
الاشهاد قصاص بقصاص وأما الحديث الاخير فقد رواه أيضا القضاة كلهم من رواية القاسم بن زيد بن
عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعا (ثم بعد ذلك خطر
الصراط) تقدم في قواعد العقائد (وهول الزبانية) قال العراقي روى الطبراني من حديث أنس
الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة جملة القرآن منها الى عبدة الاوثان والنيران قال صاحب الميزان
حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منكب
أحدهم كما بين المشرق والمغرب اه قلت وبقي حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون
يدأبنا قبل عبدة الاوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم (الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي
مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب) وأنواعه (وهو في جملة الاحوال المعذب الان يتعمده الله
برحمته) ويتداركه بلطفه وكرمه (ولا تظن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح
ويهددها) أي يفرتها (الى ان يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المنفردة وتعود اليها الروح التي هي
محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة ما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان
كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعباد بالله شقية) فقد روى الطبراني من حديث
كعب بن مالك وأم مبشر معا أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى
أجسادها يوم القيامة وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده أرواح الشهداء في أجواف طير
خضر تعلق حيث شاءت وروى ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه أرواح الشهداء
تجعل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت الحديث (فان
قلت فما السبب الذي يقضى الى سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل
ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجود فينحصر سببه في اثنين أحدهما يتصور مع
تمام الورع والزهد وتتمام الصلاح في الاعمال كالمتدع الزاهد) دخلت عليه المشاهدة من قبل المواجهة
بالانصاف والعدل بمعيار العقل وتلاف الحد من قبل قوة النظر في الاكساب (فان عاقبته مخطرة جدا
وان كانت أعماله سالحة) ويدل على ذلك ان أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان
والعسكر وكان مذهبهم القدر فوقوا في غاية الخطر (ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك
يطول القول فيه بل أعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف) ماهو (الحق

* أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتتمام الصلاح في الاعمال كالمتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت أعماله سالحة
ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف
الحق

فيه مذهب على خلاف ما هو عليه امرأته ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر وأما أخذ بالتقليد من هذا حاله فاذن قرب الموت وظهرت له ناصبة ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربحا ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا بذال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور في ما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة (٢٣٦) لالتجاء فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن

عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أولسكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لاهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة لاقاب من أن ينظر الى الماكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتتكشف

فيمتدده على خلاف ما هو عليه امرأته ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر (وذلك مثل أصحاب عروبن عبيد وعطاء الغزال والعطوية والفوطية وصحاب المنزل بين المنزلتين) وأما أخذ بالتقليد فن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصبة ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربحا ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا فيمتنى انه لم يعط عقلا (اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور في ما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به) وجازما (متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد لالتجاء فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا أصل له ان لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته) سببا (لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد بالله منه فهو لاهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وبقوله تعالى وبدا لهم سيات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستترؤن) وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فكهم من مغبوط في أحواله تغلبت عليه الحال ومشى بمقارفة قبيح الاعمال فبدل بالنس وحشة وبالخسور غيبة) وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور) مما كان محجوبا عنه (اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب ان ينظر الى الماكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتتكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سببا للشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا) لا بانه ومشايخه) واما نظرا بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي أعني لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الاعتقاد الحق والبله) الغافلون (بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا بجملا واسخا) قويا (كلا عراب) سكان البادية (والسوادية) ساكني الريف (وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استقلال ولا أسفوا الى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقي في الشعب والبراز والديلمي والخلعي في فوائده كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال قال عقيل حدثني ابن شهاب عن أنس مرفوعا وسلامته فيه لين ولم يسمع من جدائمه عقيل انما أخذ من كتبه وعد هذا الحديث في افراده لكن هو عند القاضي من طريق يحيى بن أيوب حدثنا عقيل به وهو في السكندر وذيات من طريق محمد بن العلاء الايلي عن يونس بن يزيد عن الزهري وقال العسكري انه غريب من حديث الزهري وهو من حديث يونس عنه أغرب لأعلمه الامن هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي أيضا من حديث مصعب بن ماهان عن

الثوري

له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سببا للشك

في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا بجملا واسخا كلا عراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استقلال ولا أسفوا الى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله

وبه متعلقة والنعصاب
 النائرة بين الخلق مسامير
 مؤكدة للعقائد الموروثة
 أو المأخوذة بحسن الظن
 من المعلمين في أول الأمر ثم
 الطباع بحب الدنيا مشغوفة
 وعليها مقبلة وشهوات
 الدنيا يخففها آخذة وعن
 تمام الفكر صارفة إذا فتح
 باب الكلام في الله وفي
 صفاته بالرأى والمعقول
 مع تفاوت الناس في
 قرائعهم واختلافهم في
 طبائعهم وحرص كل جاهل
 منهم على أن يدعى الكمال
 أو الاحاطة بكنه الحق
 انطلقت ألسنتهم بما يقع
 لكل واحد منهم وتعلق
 ذلك بقلوب المصغين اليهم
 وتاكّد ذلك بطول الألف
 فيهم فانسد بالأكسية طريق
 الخلاص عليهم فكانت
 سلامة الخلق في أن
 يشغلوا بالأعمال الصالحة
 ولا يتعرضوا لما هو خارج
 عن حيطاتهم ولكن
 الآن قد استرخى العنان
 وفشا الهذيان وتزل كل
 حامل على ما وافق طبعه

أحسنت ظنك بالأيام أحسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فاعتررت بها * وعند صفوا الليالي يحدث الكدر

وقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق ينشد هما كثيرا اه انشدني اياهما الشيخ الاديب عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذن قال انشدني اياهما شيخنا ابو المكارم محمد بن سالم بن احمد الحنفي قدس سره قبل موته بيسير فكان آخر ما سمعته منه (واعلم يقينان كل من فارق الاعمى الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينة وهو في ملثم الامواج يرميه موج الى موج فر بما يتفق ان يلقيه الى الساحل) فينجو (وذلك بعبد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تالفها من الباحثين ببضاعة عقولهم امام الادلة التي حرروها في تعصباتهم اودون

بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلن نبأه بعد حين وينبغي أن يشهد في هؤلاء عند كشف الغطاء * أحسنت ظنك بالإيام إذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسألتك الثاني فأعتررت بها * وعند صفو البالي يحدث الكدر وأعلم يقينان كل من فارق الإيمان الصادق بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من أنكرت سفينته وهو في ملطم الأمواج يرمي موج إلى موج فرما يتحقق أن يلقاه إلى الساحل وذلك بعيد والهلال عليه أغلب وكل نازل على عقبة تلقفها من الباحثين بضاعة عقولهم أمام الأدلة التي حروها في نصابهم أو دون

الأدلة فإنه إن كان شاك فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأني يتيسر وأنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الأمن حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهمال في اتباع الشهوات (٢٣٨) حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ

الأدلة أن كان شاك فيه فهو فاسد الدين وإن كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين (الأدلة جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الأحمر) في عزه وجوده (وأني يتيسر) ذلك (وأني يسلم) عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب (ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا) لانهما ضدان (فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الأمن حيث حديث النفس لا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهمال في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعه أينا) واليه يشير قوله تعالى قطع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقوله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (فاذا جاءت سكرات الموت) وشداته (ازداد ذلك الحب أعنى حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فينال القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره) أي يتحرك (بانكار ما قدر عليه من الموت وكرهه ذلك من حيث انه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها) وأتلفها (انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر) لأن العبرة بالغالب (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) كما ورد (وهو الداء العضال) أي الصعب (وقد علم أصناف الخلق) واستغرقهم (وذلك كله لقله المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه) فالحجة ثمة المعرفة (ولهذا قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره الآية) أي إلى آخرها (فإذا من فارقه روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه) الدنيوية (فيكون موته قد وما على ما أبغضه وفراق ما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض) الممقوت (الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا)

ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعه ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فينال القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكرهه ذلك من حيث انه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها

وإفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال قد علم أصناف الخلق وذلك كله لقله المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه فلهذا قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره الآية فإذا كل من فارقه روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قد وما على ما أبغضه وفراق ما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا

فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والذكال وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعناء الاسفار طمعا في لقاءه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام (وأما الحاجة الثانية) التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلاص في النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصي وان قوى الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعلة وجيع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فان كان مثله الاكثر الى الطاعات كان أكثر ما يحضر ذكر طاعة الله وان كان مثله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فرمما تقبض روحه عند (٢٣٩) غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقيد بها قلبه

ويصير محبوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدا طول عمره حتى انه لا يرى الا ما عاين في حياته أو يقارنها (في اليقظة وحتى ان المراهق) وهو من قارب الاحتلام (الذي يحتلم لا يرى صورة الواقع اذ لم يكن قد وقع في البقطة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع) لانه لم يعده قبل ذلك (ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الاف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم) ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده الى القاب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها) بسببه (وكأن ما يخطر في البقطة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اماما بالمشابهة أو

وجرا) فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والذكال) وأنواع الهوان (وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله قدوم العبد المحسن) المطيع (المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعناء الاسفار) من شدائدها (طمعا في لقاءه) ورجاء في مشاهدته (فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام وأما الحاجة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلاص في النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصي وان قوى الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي (سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القاب بكثرة الالف والعلة وجيع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فان كان مثله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند موته فرمما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقيد بها قلبه ويصير محبوبا عن الله تعالى) لانه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدا طول عمره حتى انه لا يرى الا ما عاين في حياته أو يقارنها (في اليقظة وحتى ان المراهق) وهو من قارب الاحتلام (الذي يحتلم لا يرى صورة الواقع اذ لم يكن قد وقع في البقطة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع) لانه لم يعده قبل ذلك (ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الاف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم) ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده الى القاب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها) بسببه (وكأن ما يخطر في البقطة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اماما بالمشابهة أو

قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الاف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكن فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغيبة قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب واحدا لاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفاسق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتغلب الهانسة فرمما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمه وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها (وكأن ما يخطر في البقطة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها ولا يعرف بعضها كما نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اماما بالمشابهة

وأما بالمضادة وأما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جبل فينذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فينذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان وسنه الى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لا تنتقلات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الحياطة أكثر أشغاله فأنك تراه يوصي الى رأسه كأنه يأخذ ابرته ليخيط بها ويصل أصبعه التي لها (٢٤٠) عادة بالكسبتيان ويأخذ الازار من فوقه ويقدره ويشبه كأنه يتعاطى تفصيله ثم يعيده

بالمضادة أو بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جبل فينذكر جبلا آخر) سواء وهو مشابه له في جماله (وأما بالمضادة فبان ينظر الى جبل فينذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما) في الجمال والقمع (وأما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس) كان (قد رآه من قبل مع انسان فينذكر ذلك الانسان) بانتقال الخاطر اليه (وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين) وأكثر (مثل أن ينتقل من شيء الى شيء ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة) ظاهرة توجب انتقال الخاطر اليه (ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة) (فكذلك لا تنتقلات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فان الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط ببعض بأسباب مختلفة ومن أراد أن يكف خاطره من الانتقالات الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار (والمراد بطول العمر ههنا معظمه وهو أيام السلوك حتى يترن على الطعام والقمع والافان شغل عمره كله فيه حتى يتفرغ لمعرفة الله تعالى) (ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشرعة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويمحشر على ما مات عليه) كفى الخير (وكذلك نقل عن بقال) وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقبل (انه كان يلقي عند الموت كلمتا الشهادة فيقول خمسة سنة أو أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفقه قبل الموت) فغلب على لسانه ولم يوفق للشهادتين (وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهره تتلا فورافلا يكون العبد على حال) من أحواله (الا فطامع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرجما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحواله نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجعل (الوصف) نقله صاحب القوت (وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة) كما ورد ذلك في الخبر (فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخله تحت الاختيار دخولها علينا وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهاذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الأحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك) ولم يمكنه (وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر في اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلبت سكرات الموت كشف له

الى المقرض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويمحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقي عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة سنة أو أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفقه قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تتلا فورافلا يكون العبد على حال الا فطامع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له

صورته من العرش فرجما يرى نفسه على صورته معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحواله نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجعل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخله تحت الاختيار دخولها علينا وان كان لطول الالف فيه تأثير فهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام الأحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلبت

في البيضة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المرید لشيخه وان لا يكون قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخني أبي القاسم الكركاني منامالي وقات رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهو بحر في شهر اولم يكلمني وقال لولانه كان في باطنك تجوز المطالبة وانكار ما أقوله لك اما جري ذلك على لسانك (٢٤١) في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان

في منامه خلاف ما يغلب في البيضة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال أو عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاءك ونياحتك ويدوم به حزنك وفلقك كما سنخيه من أحوال الانبياء

والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشككة جدا ولذلك كان مطسرف بن عبد الله يقول اني لا أعجب من هلك كيف هلك ولكني أعجب من نجا كيف نجا

في البيضة حتى سمعت الشيخ أبا علي (الفضل بن محمد بن علي) الفارمذي (فاه وألف وراء وميم) وذال مجمعة نسبة الى فارمذ قرية بطوس وهو لسان خراسان وشيخها صاحب الطريقة والحقيقة بها حسن الوعظ روى عن محمد بن عبد الله بن باكو به الشيرازي وابن مسرور وعنه عبد الغافر الفارسي وأبو الخير جامع الشفاء وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأولاده أبو المحاسن علي وأبو الفضل محمد وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهاد (رحمة الله تعالى يصف لي وجوب حسن أدب المرید لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخني أبي القاسم) عبد الرحمن بن علي (الكركاني) الطوسي وكر كان تعريب جرجان قال ياقوت في المشترك جميع العرب لا يقولونها الا بالكاف وهي بين طبرستان وخراسان وقيل من خراسان وقيل من طبرستان والله أعلم اهـ وكان أبو علي الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا والمصنف رحمه الله تعالى قد أخذ عن كل من الفارمذي ويوسف النساج وهما جميعا عن أبي القاسم الكركاني هذا وقد دفن الكركاني والنساج كلاهما في قبر واحد بطوس وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية ولا الكركاني في الاخذ طريقان أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي عن أبي الحسن علي بن أحمد الكاتب المصري عن أبي علي الروذبادي عن الخليل بسنده والثاني وعليه المدار في سند السلسلة انه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي عن روحانية جعفر الصادق بسنده (منامالي وقات رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهو بحر في شهر اولم يكلمني وقال لولانه كان في باطنك تجوز المطالبة وانكار ما أقول لك والاما جري ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في البيضة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة) ولا يليق ذكره هنا (وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي) أي تسويق (جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال أو عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف كما غلب على العارفين) من عباده (حتى يطول بسببه بكاءك ونياحتك ويدوم حزنك وفلقك) وانزعاجك (كما سنخيه) فيما بعد (من أحوال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشككة جدا ولذلك كان مطسرف بن عبد الله) بن الشيخير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالى (يقول اني لا أعجب من هلك كيف هلك ولكن أعجب من نجا كيف نجا) نقله صاحب القوت وهو في الحلية في ترجمة يحيى بن أبي كثير ان سليمان عليه السلام قال لابنه لا تعجب من هلك كيف هلك ولكن أعجب من نجا كيف نجا (ولذلك قال حامد اللاف) له ذكر في الحلية في ترجمة حاتم الاصم (اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خبايرنا) يشيرون بذلك الى ابليس وهاروت وماروت (وكان) سليمان (الثوري) رحمة الله تعالى (يوما يبكي ف قيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالا ننبى على الاسلام) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وبالجملة من وقعت سفينة في لجة البحر) أي وسطه (وهجمت عليه الرياح العاصفة)

ولذلك قال حامد اللاف اذا صعدت الملائكة

(٣١ - (اتخاف السادة المتقين) - ناسع)

بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خبايرنا وكان الثوري يوما يبكي ف قيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالا ننبى على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينة في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة

واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التظاما من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيحتم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضرب وتخطر خطور البرق الخاطف (٢٤٢) وقال سهل رأيت كافي أدخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم

المختلفة (واضطربت الامواج من سائر) النواحي (كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التظاما من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيحتم له بما سبق من الكتاب) تقدم الكلام عليه قريباً (ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة) إذ الروح تكون قريباً من الصدر (بل هي الخواطر التي تضرب وتخطر خطور البرق الخاطف) وفي القوت ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بشهادة العقول وفواق الناقسة هو ما بين القلبين وهذا من تقليدات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدوله من الله ما لم يكن يحسب (وقال) أبو محمد (سهل) الذي تترى رجه الله تعالى (رأيت كافي أدخلت الجنة فرأيت) وألفظ القوت فلقبت فيها (ثلثمائة نبي فسألهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة) أي فالخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفتن له ولا عليه بوقت ولا نهاية لمكره لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها (ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً أما الموت فجأة فلا ينفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكره أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلا نهابة عن قبض الروح في حاله لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يحجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت الاحباطه وطلباً مرضاته باتعاً دنياهما سخرته وراضياً بالبيع الذي يباعه الله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (والبائع راغب عن المبيع) الذي هو النفس والمال (لا بحالة) ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه (ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فممن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة) أي ليقال فلان شجاع لا يطلق (فان من هذه حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة) أي رتبة الشهادة (كما دلت عليه الاخبار) قال العراقي في المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليري مكانه فن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمته الله هي العليا فهو في سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حمية ويقا تل رياء وفي رواية يقاتل غضباً اه قاتل ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن (وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك) الظاهرة (ومن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهلك) وطاقتك (فان ذلك أيضاً يؤثر في قلبك) تأثيراً يحول بينك وبين ذكر الله (ويصرف اليه فكرك وخواطرك) فيشغلك عن الله (واياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً أما الموت فجأة فلا نهابة عما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكره أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلا نهابة عن قبض الروح في حاله لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يحجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت الاحباطه وطلباً مرضاته باتعاً دنياهما سخرته وراضياً بالبيع الذي يباعه الله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع الذي هو النفس والمال لا بحالة ويخرج حبه عن القلب ويجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق

الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فممن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من الخاتمة هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهلك فان ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

الخاتمة) عند زهوق الروح (فان كل نفس من أنفسك) هي (خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيها روحك) بغتة (هكذا مادمت في يقظتك وأما اذا غت فاياك ان تنام الاعلى طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الابعد غلبة ذكر الله على قلبك امانفيا وانباتا واما اقتصارا على لفظة الله مع كمال المراقبة (است أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرد هاضعة الاثر) بل ولا تأثير لها في تجلية القلب أصلا (واعلم قطعه انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان غالبا عليه قبل النوم ولا تبعث عن نومك الاعلى ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث يشبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الاعلى ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الاعلى ما كان عليه في نومه فكذلك لا يخون المرء الاعلى ما عاش عليه ولا يحشر الاعلى ما مات عليه) وقد وردت بذلك الاخبار وتقدم ذكرها (وتحقق يقينا وقطعا ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن به - ذاتي دينا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفسك ولحظاتك) كلها ان تمر في غير ذكر الله (واياك ان تغفل عن الله لحظة عين) وفي نسخة طرفة عين (فانك اذا فعلت ذلك كله) أى من الايمان القلبي ومراقبة الانفاس واللحظات (كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم) هذا من قول أبي محمد سهل التستري رحمه الله تعالى وقد تقدم مرارا (واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك فقط (وضرورتك) انما هي (مطعم وملبس ومسكن) والشرب داخل في المطعم) (والباقي كله فضول) ولكل من الثلاثة حد محدود (والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك) في طاعة الله (وبسدر ومقل فينبغي ان يكون تناولك) لما تأكله (تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبة منك فيه) أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن واخراجه فها مضروريان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشغل بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطناك فحمتك ما يخرج من بطنك) هكذا اقرره الحكماء (واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله) وطاعته (كقصدك من قضاء حاجتك فعلاية ذلك تظهر في ثلاثة أمور من ما كولاك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فاقله ان يكتفي في اليوم والليله) وهما أربع وعشرون ساعة (مرة واحدة) ويكون ذلك وقت غروب الشمس (فيواظب على الصوم وأما قدره فبان لا يزيد على ثلث البطن) كما ورد ذلك في الخبر (وأما جنسه فان لا يطلب اللذائذ من الاطعمة بل يقنع بما يتفق) ويتيسر (فان قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات والمحرمات) (وأمكنك ان لاتأكل الا من حله فان الحلال يعز) أى يقل (وجدانه) اذا وجد فانه (لا يفي بجميع الشهوات) واللذات (وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وسر العورة

الاعلى ما عاش عليه ولا يحشر
 الاعلى مامات عليه وتحقق
 قطعاً وبقيناً ان الموت
 والبعث اثنان من أحوالك
 كإان النوم واليقظة اثنان
 من أحوالك وآمن بهـ هذا
 تصديقاً بعبادة القلب ان لم
 تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين
 اليقين ونور البصيرة وراقب
 أنفاسك ولحظاتك وإياك
 ان تغفل عن الله طرفة
 عين فانك اذا فعلت ذلك
 كما كنت مع ذلك في خطر
 عظيم فكيف اذا لم تفعل
 والناس كلهم هلكى الا
 العالمون والعاملون كلهم
 هلكى الا العاملون والعاملون
 كلهم هلكى الا المخلصون
 والمخلصون على خطر عظيم
 واعلم ان ذلك لا يتيسر لك
 ما لم تقنع من الدنيا بقدر
 ضرورتك وضرورتك مطعم
 وملبس ومسكن والباقي
 كله فضول والضرورة من
 المطعم ما يقيم صلبك ويسد
 رمقك فنبغى أن يكون
 تناولك تناول مضطر كارهه
 ولا تكون رغبتك فيه

أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذا لفرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهاضر ورنان في الجبهة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها فأقبل فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمته ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصده من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصده من قضاء حاجتك فعلا من ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك وفي وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم واليلة مرة واحدة فيو اطلب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقع بما يتفق فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنه مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على تركه الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فإن الحلال بعز ولا ينبغي بجميع الشهوات وأما ملابسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة

فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطامع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكلف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كمثلك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه أكثر عرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الخائط سوى كونه حائلا (٢٤٤) بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا لامطار فأخذت ترفع الحيطان وترين

السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقبك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقد ردت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حدا الضرورة الى أودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي واد أهلك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والترؤد والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته لوما ييوم في تسويك أو غفلت عنك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة من جوانبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون

فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق) فقد حصل المقصود وحيثئذ (فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطامع أخرى) سواء كان من الحلال أو (من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكلف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلأ بطنه الا التراب) وفي الخبر ولا يعلأ جوف ابن آدم الا التراب (وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كمثلك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد) فانها ما وى المساكين (فان طلبت مسكنا خاصا) لا يشارك فيه أحد (طال عليك) أمره (وانصرف اليه أكثر عرك) في تحصيله واحضاره (وعمرك هو بضاعتك) التي يترجى في معاملاتك (ثم ان تيسر لك فقصدت من الخائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار) أي من الاجنبي (ومن السقف سوى) كونه (دافعا لامطار فأخذت ترفع الحيطان وترين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقبك) أي عيودك (منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقد ردت على التزود والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حدا الضرورة الى أودية الاماني) والامال الكاذبة (تشعبت همومك) أي كثرت واختلفت (ولم يبال الله في أي واد أهلكك) وقد روى ابن ماجه والحكيم والشانسي والبيهقي من حديث أبي مسعود من جعل الهموم همازا احدا هم العباد كفاه الله سائرهم ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والترؤد والاحتياط هو هذا العمر القصير فاذا دفعته لوما ييوم في تسويك واعلاك وغفلت عنك اختطفت فجأة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك) حيث لا ينفعك ذلك (فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة من قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء عليهم السلام) والاولياء وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك) أي ضعفها (وعش عين قلبك في) جملة من (أخوالهم) وسيرهم (ثم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يسهق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يهجر مبتال الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في قلبك مثل الحجارة) في شدتها وصلابتها (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يمحيط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبياء عليهم السلام في الخوف)

(وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله) قال العراقي متفق عليه من

عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يسهق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يهجر مبتال الى الارض ولا غرو أن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يمحيط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون *(بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)* روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله

وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصنع وقال تعالى ونوحى موسى صعق ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام
بالأبطح فصنع وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع أصداؤه أزيزا كإبر (٢٤٥) الرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني

جبريل قط الا وهو يردد
فرقا من الجبار وقيل لما
ظهر على ابليس ما ظهر طفق
جبريل وميكائيل عليهما
السلام يبكيان فآوى الله
اليهما ما لكما تبكيان كل
هذا البكاء فقالا يارب
مانأمن منك فقال الله
تعالى هكذا كونالا تأمنا
مكرى وعن محمد بن المنكدر
قال لما خلقت النار طارت
أفئدة الملائكة من أمانتها
فلما خلق بنو آدم عادت
وعن أنس أنه عليه السلام
سأل جبريل ما لي لأرى
ميكائيل يبصك فقال
جبريل ما يبصك ميكائيل
منذ خلقت النار يقال
ان الله تعالى ملائكة لم
يبصك أحد منهم منذ
خلقت النار مخافة أن يغضب
الله عليهم فبعضهم ما قال
ابن عمر رضي الله عنهما
خرجت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى دخل
بعض حيطان الانصار فجعل
يلتقط من التمر يأكل فقال
يا ابن عمر مالك لا تأكل
فقلت يا رسول الله لا أشتهي
فقال لكنني أشتهي وهذا
صبي رابعة لم أذق طعاما ولم
أجد ولو سألت ربي لأعطاني
ملك فيصروك كسرى

حديثها (وقرأ صلى الله عليه وسلم) آية (في سورة الواقعة فصنع) رواه جزء الزيات عن جرثوم بن أعين
كذا في القوت قال العراقي المعروف فيما روى من هذه القصة أنه قرئ عليه ان لدينا أنكالا وجيما
وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فصنع كمل رواد ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلان وهكذا ذكره المصنف
على الصواب في كتاب السماع وقد تقدم (وقال الله عز وجل نوحى موسى صعق ورأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصنع) قال العراقي روى البزار من حديث ابن عباس
بسند جيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه في صورته فقال أدع ربك فدعاه فطلع عليه
من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلان بافظ فغشى عليه
وفي الصحيحين من حديث عائشة رأت جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له ستمائة
جنح (وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في الصلاة سمع أصداؤه أزيزا كإبر (٢٤٥) الرجل) رواه
أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشيخ وقد تقدم في كتاب السماع
(وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يردد فرقا من الجبار) وفي بعض النسخ الا وهو يردد
فرائضه من الجبار قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس
قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائضه فرقا من عذاب
الله الحديث وفيه زميل بن سمالك الحنفي يحتاج الى معرفة اه قلت بخط الشمس الداودي لعله أبو زميل
بن الوليد الراوى عن ابن عباس عند مسلم وغيره (وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق
جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فآوى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب مانأمن
مكرك فقال الله عز وجل هكذا كونالا تأمنا مكرى) وتقدم قريبا ان النبي صلى الله عليه وسلم
وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فآوى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن
يأمن مكرك وتقدم انه من حديث عمر عند الطبراني في الاوسط (وعن) أبي بكر (محمد بن المنكدر)
ابن الهدير التيمي التابعي قال (لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أمانتها فلما خلق بنو آدم
عادت) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة طاوس من كلامه باللفظ فلما خلق آدم عليه السلام سكنت
(وعن أنس) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام ما لي لأرى ميكائيل
يبصك فقال جبريل) عليه السلام (ما يبصك ميكائيل منذ خلقت النار) قال العراقي رواه أحمد وابن
أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث
ثابت مرسلان وورد ذلك أيضا في حق اسرافيل ورواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا
في كتاب الخائفين (ويقال ان الله تعالى ملائكة لم يبصك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب
الله عليهم فبعضهم ما قال ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل
بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر يأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل كل
فقلت يا رسول الله لا أشتهي فقال لا تكن أشتهي) (ولكنني أشتهي وهذا صبي رابعة لم أذق طعاما ولم
أجد ولو سألت ربي لأعطاني ملك فيصروك كسرى) قال فوائه ما برحنا من مكاننا (ولا تقنا
حتى تزلت) هذه الآية (وكأن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثر المال ولا بتباع الشهوات من كثر ذنابير يديها حياة

فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخمرون رزق سنهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوائه ما برحنا ولا تقنا حتى تزلت وكأن من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكثر المال ولا بتباع الشهوات
من كثر ذنابير يديها حياة

فأثمة فان الحياة بيد الله الاواني لا أكثر دينار ولا درهم اولا أخبار زقاعند قال العراقي رواد بن مردويه
 في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا اسناد مجهول والجراح
 ابن منهل ضعيف اه قات ورواه كذلك عبيد بن جسد وابن أبي حاتم في تفسيرهم ما وابن عساكر في
 التاريخ كلهم من هذا الطريق (وقال أبو البرداء) رضى الله عنه (كان يسمع أن يرقب ابراهيم خليل الرحمن
 عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه) رواد بن أبي الديناني كتاب الخائفين (وقال
 مجاهد) رحمه الله تعالى (بني داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من
 دموعه وحتى غطى رأسه فنودي يا داود اجتمع أنت فتطمع أم ظلمات فتسقى أم عار فتكسى فتخب نجبة
 أي صرخ صرخة (هاج) أي ييس منها (العود فاحترق من خوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة
 فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا
 لشراب الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاء ماء فاذا تناوله أبصر خطيئته فبايضعه على شفته حتى
 يفيض القدح من دموعه) رواد بن أبي شيبة وعبيد بن جسد وابن المنذر بلفظ لما أصاب داود الخطيئة
 خر لله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته في يده ينظر اليها لكيلا يغفل حتى نبت البقل
 حوله من دموعه ما غطى رأسه فنودي اجتمع أنت فتطمع أم عرياء فتكسى أم مظلوم فتعصر قال فخب
 نجبة أهاج ما يليه من البقل حين لم يذكرك ذنبه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد
 الزهد وابن جرير بلفظ لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من
 البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجدت الاعين وداود لم يرجع اليه في طيبته شي فنودي
 اجتمع فتطمع أو مريض فتسقى أو مظلوم فيتعصر لك فخب نجبا هاج كل شيء نبت فعند ذلك غفر له وكان
 يؤتى بالاء فيشرب فيذكر خطيئته فينتخب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فبايشرب بعض الاناء
 حتى يلا من دموعه وروى أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال سجد داود أربعين ليلة ويوما
 لا يرفع رأسه الا الى صلاة فريضة حتى ييس وفرحت جهنم وكفاه وركبناه وروى الحاكم وابن جرير
 عن السدي قال مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكي لا يرفع رأسه الا الحاجة ثم يقع ساجدا يبكي حتى
 نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك وروى
 أحمد وعبيد بن جسد عن يونس بن خباب ان داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم
 قال قرح الجبين ورقا الدمع خطيئتي على كاهي فنودي ان يا داود اجتمع أنت فتطمع أم ظلمات فتسقى أم مظلوم
 فيتعصر لك فخب نجبة هاج ما هنالك من الخسرة فغفر له عند ذلك وروى ابن أبي شيبة وعبيد بن جسد عن
 عبيد الله بن عبد الله بن داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فأوحى الله اليه ان يا داود اتر يدان
 أزيدك في مالك وعمرك فقال يارب أهذا تريد علي أريد ان تغفر لي وروى عبد بن جسد عن كعب قال سجد
 داود نبي الله أربعين يوما وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقاد معه ويس فكان من آخر دعائه وهو ساجد
 ان قال يارب رقتني العافية فسألتك علما فلما ابتليتني لم أصبر فان تعذبتني فانا أهل ذلك وان تغفر لي فانت
 أهل ذلك وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال سجد داود أربعين ليلة
 حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجود يرب زل داود زلة
 أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلو من
 بعدى الحديث وروى أحمد والحكيم وابن جرير عن عطية الخراساني ان داود عليه السلام نقش خطيئته
 مئة وثمانين مرة (و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (الى السماء حتى مات حياء
 من الله عز وجل) رواد بن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبيد بن جسد عن طريق عطية السائب عن أبي
 عبد الله الجسدي وروى ابن جرير والحاكم عن السدي انه ما استطاع بعد الخطيئة ان يلا عينيه من

فأثمة فان الحياة بيد الله
 ألا واني لا أكثر دينار ولا
 درهما ولا أنجبار زقاعند
 * وقال أبو البرداء كان
 يسمع أن يرقب ابراهيم
 خليل الرحمن صلى الله عليه
 وسلم اذا قام في الصلاة من
 مسيرة ميل خوفا من ربه
 وقال مجاهد بكى داود عليه
 السلام أربعين يوما ساجدا
 لا يرفع رأسه حتى نبت
 المرعى من دموعه وحتى
 غطى رأسه فنودي يا داود
 اجتمع أنت فتطمع أم
 ظلمات فتسقى أم عار
 فتكسى فتخب نجبة هاج
 العود فاحترق من خوفه
 ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة
 والمغفرة فقال يارب اجعل
 خطيئتي في كفي فصارت
 خطيئته في كفه مكتوبة
 فكان لا يبسط كفه لطعام
 ولا لشراب ولا غيره الا
 رآها فابكته قال وكان يؤتى
 بالقدح ثلثاء ماء فاذا تناوله
 أبصر خطيئته فبايضعه على
 شفته حتى يفيض القدح
 من دموعه وروى عنه عليه
 السلام انه ما رفع رأسه الى
 السماء حتى مات حياء من
 الله عز وجل

وكان يقول في مناجاته الهى اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض ورجها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى سبحانك الهى أثبت أطباء
عبادك ليدادوا خطيئتي فكلمهم عليك يدنى قبوسا للقائطين من رحمتك وقال الفضيل بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب
صارخا واضعابه على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم أنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستعابني الا
بالكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فلياصنع بداد الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الخشب وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاط شداد لا يعصون الله ما أمرهم (٢٤٧) ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمر

لما أصاب داود الخطيئة
نقص صوته فقال الهى
يج صوتي في صفاء أصوات
الصديقين وروى انه عليه
السلام لما طال بكاءه ولم
ينفعه ذلك ضاق ذرعه
واشد غمه فقال يارب أما
ترحم بكائي فأوحى الله تعالى
اليه يا داود نسيت ذنبك
وذكرت بكاءك فقال الهى
وسيدى كيف أنسى ذنبي
وكنت اذا تلوت الزبور كف
الماء الجاري عن حربه
وسكن هبوب الريح
وأطلى الطير على رأسي
وأنست الوحوش الى
محرابي الهى وسيدى فما
هذه الوحشة التي بيى
وبينك فأوحى الله تعالى
اليه يا داود ذلك أنس
الطاعة وهذه وحشة المعصية
يا داود آدم خلق من خالق
خلقه بيدى ونفخت فيه
من روحى وأسجدت له
ملائكتي وألبسته ثوب
كرامتى وتوجته بتاج
وقارى وشكالى الوحدة
فزوجته حواء أمى
وأسكنته جنى عصافى

السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض (وكان) عليه السلام (يقول في مناجاته) سبحانك (الهى)
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض ورجها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى سبحانك الهى
أثبت أطباء عبادك ليدادوا خطيئتي فكلمهم عليك يدنى قبوسا للقائطين من رحمتك (رواه أحمد في الزهد
عن عثمان بن أبي العالبة قال كان من دعه داود عليه السلام فذكره (وقال الفضيل) بن عباس رحمه
الله تعالى (بلغنى ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعابه على رأسه حتى لحق
بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم أنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستعابني الا
بالكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فلياصنع بداد الخطاء) (رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين (وكان)
عليه السلام (يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الخشب وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاط شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)
رواه أحمد في الزهد فقال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر
ان داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فذكره الا انه قال واشتعال اللحي بدل الخشب ورواه
أبراهيم في الحلية من طريقه (وقال عبد العزيز بن عمر) بن عبد العزيز بن مروان الاموى أبو محمد المدني
نزيل الكوفة صدوق مات في حدود الحسبين روى له الجماعة (لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال
الهى يج صوتي عن صفاء أصوات الصديقين وروى انه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه
واشد غمه قال يارب أما ترحم بكائي فأوحى الله اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى
وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن حربه وسكن هبوب الريح
وأطلى الطير على رأسي وأنست الوحوش الى محرابي الهى وسيدى فما هذه الوحشة التي بيى
وبينك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خالق خلقته
بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكالى
الى الوحدة فزوجته حواء أمى وأسكنته جنى عصافى فطردته عن جوارى عرايا نازلا يا داود اسمع منى
الحق أقول أطعنا فاعطناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك (رواه ابن ابي
الدنيا في كتاب الخائفين (وقال يحيى بن أبي كثير) الطائى مولا هم أبو نصر البهامى ثقة ثبت كثير
الارسل مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة (بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح
مكث قبل ذلك سبعة ايام كل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج
له المنبر) وهو الكرسي الذى يقعد عليه (الى البرية) أى الصحراء (فامر سليمان ان ينادى بصوت
يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبسج فينادى فيها ألا
من أراد ان يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى
السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

فطردته عن جوارى عرايا نازلا يا داود اسمع منى والحق أقول أطعنا فاعطناك وسألتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على
ما كان منك قبلناك * وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعة ايام كل الطعام ولا يشرب
الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر الى البرية فامر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من
الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبسج فينادى فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش
من البرارى والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصرخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النباحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مضت المسمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فينأهوا كذلك اذا ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخرد داود مغشياً عليه فاذا نظر سليمان الى ما أصابه أتى بسر بر فغمله عليه ثم أمر منادياً ينادى

(٢٤٨)

الامن كل له مع داود جيم أو قريب فليات بسر بر فليجمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكرا الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسر بر وتحمل قريبتها وتقول يا من قتله ذكرا النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابيه ويقول يا الله داود أغضبان أنت على داود ولا تزال ينجح ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أبتاه تقوهم ذاعلى ما تريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس بعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع الا عشرة آلاف له جاريثان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قد تنا على صدره

ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصرخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة (وعلى النباحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مضت المسمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء) فينأهوا كذلك اذا ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخرد داود مغشياً عليه فاذا نظر سليمان الى ذلك أتى بسر بر فغمله عليه ثم أمر منادياً ينادى الامن كان له مع داود جيم أو قريب فليات بسر بر فليجمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكرا الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسر بر وتحمل قريبتها (وتقول يا من قتله ذكرا النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابيه ويقول يا الله داود أغضبان أنت على داود ولا تزال ينجح ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا أبتاه تقوهم ذاعلى ما تريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم) أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وروى ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد عن صفوان بن يحيى قال كان لداود عليه السلام يوم يتأوه فيه فيقول أوهم من عذاب الله أوهم من عذاب الله أوهم من عذاب الله (وقال) أبو عمرو (يزيد) بن ابان (الرقاشي) بالتحفيف البصري القاص بالتشديد زاهد ضعيف روى له البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه (خرج داود) عليه السلام ذات يوم بالناس بعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع الا عشرة آلاف رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (قال) يزيد (وكان له) عليه السلام (جاريثان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قد تنا على صدره وعلى رجله مخافة ان تتفرق اعضاءه ومفاصله فيموت) وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد بن طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عذاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها الا الله فاذا ذكر رجته تراجعت (وقال ابن عمر) رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف وهي الجلب منها ضيقة السكين (ونظر الى مجتهدهم قد خرقوا التراقي) جمع ترقوة وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك) لانه لم يكن رأى قبل ذلك مثله (فرجع الى أبويه فربصيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا للعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فساءلهم ان يدعوا الشعر ففعلوا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا ويصحب فيه ليلا) أي يسرج السرج (حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج) هائماً (ولزم أطواد الارض) أي جبالها (وغيران الشعاب) جمع غور وهي المنخفضة من الاراضي والشعاب الثنايا بين

الجليلين

وعلى رجله مخافة ان تتفرق اعضاءه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى أبويه فربصيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا للعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فساءلهم ان يدعوا الشعر ففعلوا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهرا ويصحب فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران

الشعاب نخرج أبواه في طلبه فادر كاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أدق باردا الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه ان يظفر على قرص كان معهما من (٢٤٩) شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن

عينه فذبح بالبر
بيت المقدس فكان اذا قام
يصلي بكى حتى يبكي معه
الشجر والمدر ويكزي كريا
عليه السلام لكانه حتى
بغى عليه فلم يزل يبكي حتى
خرقت دموعه لحم خديه
وبدت أضراسه للناظرين
فقال له أمه يابني لو أذنت
لي ان اتخذ شيئا تورى به
أضراسك عن الناظرين
فأذنت لها فعمدت الى قطعتي
لبود فالصقتما على خديه
فكان اذا قام يصلي بكى
فاذا استنقعت دموعه في
القطعتين أتت اليه أمه
فصعرتما فاذا رأى دموعه
تسيل على ذراعي أمه قال
اللهم هذه دموعي وهذه
أُمِّي وأنا عبدك وأنت أرحم
الراحمين فقال له زكريا
يوما يابني انما سألت ربي
أن يهلك لي لتقر عيناي بك
فقال يحيى بأبت ان جبريل
عليه السلام أخبرني أن بين
الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء فقال زكريا
عليه السلام يابني فابك
* وقال المسيح عليه السلام
معاشر الخواريين خشية
الله وحب الفردوس
بورئان الصبر على المشقة
ويواعدان من الدنيا بحق
أقول لكم ان كل الشعير

الجبليين (نخرج أبواه في طلبه فادر كاه على بحيرة الاردن) وهي على أميال من بيت المقدس (وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أدق باردا الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه ان يظفر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن عينه فذبح بالبر) يعني في قوله تعالى وبرا بوالديه أي كان لا يعصهما (فرداه أبواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويكزي كريا عليه السلام لبكائه حتى يغى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه) أي شقته (وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يابني لو أذنت لي ان اتخذ شيئا تورى اضراسك فاذنت لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت من دموعه في القطعتين أتت اليه أمه فصعرتما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أُمِّي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما انما سألت ربي ان يهلك لي لتقر عيناي فقال يحيى بأبت ان جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يابني فابك) روى أحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحرائطي وابن عساكر عن معمر بن راشد قال بلغني ان الصبيان قالوا يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب قال مالا لعب خلقت فهو قوله وآتيناه الحكم صبيا وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طريق معمر عن قتادة قال جاء الغلمان الى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال مالا لعب خلقت قال فانزل الله وآتيناه الحكم صبيا وروى الحاكم في التاريخ عن طريق بن بديل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس رفعه قال الغلمان يحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى مالا لعب خلقت اذهبوا نصلي وروى اسحق بن بشر في المبتدأ وابن عساكر عن ابن عباس قال مر يحيى بن زكريا على صبية أتربا له يلعبون على شاطئ نهر بطين وبماء فقالوا يا يحيى تعال حتى نلعب فقال سبحان الله أولعب خلقنا وروى ابن أبي حاتم عن طريق عبد الرحمن بن القاسم قال قال مالك بلغني انه لم يكن يحيى عيشة الاعشب الارض وان كان ليبيكي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لاذابه ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي ادريس الخولاني قال كان يحيى بن زكريا با كل العشب وان كان ليبيكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذ مجرى في وجهه (وقال المسيح عليه السلام معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس بورئان الصبر على المشقة ويواعدان عن الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عتبة حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يواعدان من زهرة الدنيا وبورئان الصبر على المشقة حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا جاد بن الحسن حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا جعفر بن جعفر حدثنا مالك قال قال عيسى عليه السلام (بحق أقول لكم ان كل الشعير والنوم على المزابل مع السكالب في طلب الفردوس قليل) ولفظ الحلية لقليل في طلب الفردوس وأخرجه ابن عساكر في ترجمة مالك بلفظ أكل الشعير مع الزماد والنوم على المزابل مع السكالب لقليل في طلب الفردوس (وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه اذا ذكر خطيئته بغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل) عليه السلام (ف يقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خاليتك لا تخاف خاليتك فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خاتي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين فهذه

(٣٢) - (التخاف السادة المتقين) - (تاسع)
صلوات الله عليه وسلامه اذا ذكر خطيئته بغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خاليتك لا تخاف خاليتك فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خاليتي فهذه

أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك (٢٥٠) والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل

عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل*) (بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف) * روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال طائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال طهمة وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيما منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيما منسيا يا ليتني لم تلدني أمي وكان في وجهه عرر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عرر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خرم غشا عليه ومروما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذابا بلكل واقع ماله من دافع

أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفي وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل

*) (بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف) *

روى أن أبا بكر (الصديق رضي الله عنه قال) يوما (لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا) نقله صاحب القوت (وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعضد) كذا في القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر قال والله لو تعلمون ما أعلم ما نسبتم إلى نساءكم ولا تقارونهم على فرسكم والله لو ددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها (وكذا قال طهمة) بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة ولفظ القوت وقول طهمة وددت أني لم أخلق (وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أبعث) كذا في القوت وروى ذلك عن ابن مسعود قال صاحب الحلية بسنده عن مسروق قال رجل عند عبد الله ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب إلى قال فقال عبد الله لكن ههنا رجلا ودانه إذا مات لم يبعث يعني نفسه وفي الزهد لأحمد من طريق عبد الله بن الردي قال بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لأخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير وفي الحلية من طريق السري بن يحيى عن الحسن قال قال ابن مسعود لو وقفت بين الجنة والنار فقبل لي اخترت نخير من أيهما ما تكون أحب إليك أم تكون رمادا لأحببت أن أكون رمادا (وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيما منسيا) كذا في القوت (وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما) رواه هشام عن الحسن بلفظ أن عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويعاد ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عفان عن جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال كان عمر يمر بالآية في ورده فتخذه العبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بينه حتى يعاد بحسبونه مريضا (وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيما منسيا يا ليتني لم تلدني أمي) كذا في القوت (وكان في وجهه عرر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع) رواه صاحب الحلية من طريق عبد الله بن عيسى قال كان في وجهه عرر خطان أسودان من البكاء (وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون) رواه صاحب الحلية عن محمد بن علي بن حبيب حدثنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا أبو نصر التمار حدثنا بقية عن إبراهيم بن أدهم عن أبي عبد الله قال قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون ومن طريق أحمد بن علي الأبار حدثنا عبد بن هشام الجيلي حدثنا بقية فقال في حديثه عن أبي عبد الله الخراساني وفيه من اتقى الله لم يقل كلما علم قلت وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه وقد تقدم (ولما قرأ عمر رضي الله عنه إذا الشمس كورت وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت خرم غشا عليه ومروما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذابا بلكل واقع ماله من دافع نزل عن جاره واستند إلى حائط ومكث زمانا يتأمل فيه (ورجع إلى منزله فرض شهرا بعوده

الناس ولا يدرون ممرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه (٢٥١) كآبة وهو يقاب يده لقد رأيت أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم فلم
أر اليوم شيئاً يشبههم لقد
كانوا يصحون شعنا صفرا
غبارين أعينهم أمثال ركب
المغزى قد باتوا لله سجدا
وقد ياميتلون كتاب الله
براحون بين جباههم
وأقدامهم فاذا أصبحوا
ذكروا الله تعادوا كما يمد
الشجر في يوم الريح وهملت
أعينهم بالدموع حتى تبل
ثيابهم والله فكأن بالقوم
باتوا غافلين ثم قام فزاروى
بعد ذلك ضاحكا حتى
ضربه ابن لمجم وقال عران
ابن حصين وددت ان
أكون رمادا تنسفني
الرياح في يوم عاصف وقال
أبو عبيدة بن الجراح رضى
الله عنه وددت أنى كبش
فيذبحنى أهلى فبأكلون
لحى ويحسون مرقي وكان
على بن الحسين رضى الله
عنه اذا توضأ اصفر لونه
فيقول له أهله ما هذا الذى
يعتادك عند الوضوء فيقول
أندرون بين يدي من أريد
ان أقوم وقال موسى بن
مسعود كما اذا جلسنا الى
الثورى كأن النار قد
أحاطت بنا لما ترى من
خوفه وخزعه وقر أمضر
القارى يوما هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق الآية
فبكى عبد الواحد بن زيد
حتى غشى عليه فلما أفاق
قال وعسرتك لأعصيتك
جهدى أبدا فاعنى بتوفيقك على طاعتك

الناس ولا يدرون ممرضه) ومثل هذا من أحوال عر رضى الله عنه معروف روى ابن جريح عن
ابن أبي مليكة أخبرني علقمة بن وقاص قال كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة سورة يوسف وأنا في مؤخر
الصف حتى اذا ذكر يوسف سمعت تشيخه وعبد الله بن شداد قال سمعت عمر يقرأ في الصبح بسورة
يوسف فسمعت تشيخه وانى لنى آخر الصفوف وهو يقرأ انما أشكوا بني وحزنى الى الله وعن ابن عمر
قال سمعت حنين بن عروة وراء ثلاث صفوف (وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد
علاه كآبة) أى تغبرلون من غم (وهو يقاب يده) ظهر البطن (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصحون شعنا صفرا غبارين أعينهم أمثال ركب المغزى)
أى من أثر السجود (قد باتوا لله سجدا وقبأ ما يتلون كتاب الله براحون بين جباههم وأقدامهم فاذا
أصبحوا ذكروا الله تعادوا) أى اهتزوا (كتميد الشجرة في يوم الريح) أى تهتز عينا وشمالا (وهملت
أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كفى بالقوم باتوا غافلين) أى عن ذكر الله تعالى (ثم قام) من
موضعه (فزاروى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن لمجم) عبد الرحمن المرادى رواه أبو نعيم في
الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قال حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد أبو
هاتم حدثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدى عن أبي اراكة قال صلى
على الغداة ثم لبث في سجاسه حتى ارتفعت الشمس فبدرج كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت أثرا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله ان كانوا ليصحون شعنا صفرا بين
أعينهم مثل ركب المغزى قد باتوا يتلون كتاب الله براحون بين أقدامهم وجباههم اذا ذكر الله
مادوا كتميد الشجرة في يوم ريج فانهم ملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين
(وقال عران بن الحصين) رضى الله عنه (وددت انى أكون رمادا تنسفنى الرياح في يوم عاصف) وقد
روى مثل ذلك عن ابن مسعود قال لبتنى انى أكون رمادا وفى رواية عنه لبتنى كنت بكرة لبتنى لم ألك
شيئا وقد تقدم قريبا (وقال أبو عبيدة) عامر (بن الجراح) رضى الله عنه (وددت انى كبش فيذبحنى
أهلى فبأكلون لحى ويحسون مرقي) هذا قد روى عن عمر رضى الله عنه رواه هنادى الزهد من طريق
الضحاك قال قال عمر لبتنى كنت كبش أهلى سمنونى ما بدالهم حتى اذا كنت أسمن ما أكون زارهم
بعض من يحبون فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى فاخرجونى عذرة ولم ألك بشرا (وكان)
زين العابدين (على) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله
ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء أفيقول أندرون بين يدي من أريد ان أقوم) رواه أبو نعيم في الحلية
فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا ناغلابي حدثنا العتي حدثنا أبي قال كان علي بن
الحسين اذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة فقبل له في ذلك فقال ويحكم
أندرون الى من أقوم ومن أريد أن أباجي وقد روى مثل ذلك عن عطاء السلمي أخرجه أبو نعيم في الحلية
(وقال موسى بن مسعود) أبو حذيفة النهدي البصري قال العجلي ثقة صدوق وقال ابن أبي حاتم سألت
أبي عنه فقال صدوق معروف بالثورى وقيس ان الثورى تزوج أمه لما قدم البصر فمات سنة
عشرين ومائتين وله اثنتان وتسعون سنة روى عنه البخارى وروى له أبو داود والترمذى وابن ماجه
(كنا اذا جلسنا الى) سفيان (الثورى كان النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وخزعه) أخرجه أبو
نعيم في الحلية (وقرأ مضر القارى يوما) قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعسرتك لأعصيتك جهدى أبدا
فاعنى بتوفيقك على عبادتك) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا علي بن سعيد
حدثنا محمد بن ادريس حدثنا عبد الله بن عبيد عن مضر القارى قال سمعت عبد الواحد بن زيد يقول

وكان المشور بن مخزوم لا يقوى ان يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه واخذ كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فيأبى عقل أيا ما حنى أتى عليه رجل من خشم فقرأ عليه يوم (٢٥٢) نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين واست من

المتقين أعد على القول
أيها القارئ فأعاده عليه
فشبهت شهقة فلحق بالآخرة
وقرى عند يحيى البكاء ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم
فصاح صيحة مكث منها
مريضا أربعة أشهر يعاد
من أطراف البصرة وقال
مالك بن دينار بيننا ما نأ
أطوف بالبيت اذا نا
يجو برية متعبدة متعلقة
بأستار الكعبة وهي تقول
يارب كم شهوة ذهبت لذاتها
وبقيت تبعاتها يارب أما
كان لك أدب وعقوبة الا
النار وتبكي فما زال ذلك
مقامها حتى طلع الفجر قال
مالك فلما رأيت ذلك وضعت
يدي على رأسي صارخا
أقول شككت مالكا كأمه
وروى أن الفضيل روى يوم
عرفة والناس يدعون وهو
يبكي بكاء الشكلى المحترقة
حتى اذا كادت الشمس
تغرب قبض على لحيته ثم
رفع رأسه الى السماء وقال
واسوأ ناءه منك وان غفرت
ثم انقلب مع الناس وسئل
ابن عباس رضى الله عنهما
عن الخائفين فقال فلو بهم
بالخوف فرحة وأعنيهم
باكية يقولون كيف نفرح
والموت من ورائنا والقبر
أمامنا والقيامة موعدا

وعزت ما أعلم لمحبتك فرجادون لقائك والاستقاء من النار الى جلال وجهك في دار كرامتك فيأمن أهل
الصادقين محل الكرامة وأورث البطالين منزل الندامة اجعلني ومن حضرتي من أفضل أوليائك زلفا
وأعظمهم منزلة وقربة تفضلا منك على وعلى اخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية
متدلية عليهم ثمها (وكان المشور بن مخزوم) بن نوفل القرشي أبو عبد الرحمن الزهري له ولأبيه صبيحة
وأمة الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان
سنتين ومات بكمة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وسبعين وهو يومئذ ابن ثلاث وستين روى له الجماعة
(لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فيأبى عقل
أيما حتى أتى عليه رجل من خشم) بن اغمار (فقرأ عليه) قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد على القول أيها القارئ
فأعاده عليه فشبهت شهقة فلحق بالآخرة) هكذا ذكره المصنف في سبب موته والذي ثبت من قول عمرو
ابن علي الفلاس انه أصابه المخنقي في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الجرف فكثت خمسة أيام ثم مات ففعل هذه
القصة ان سحكت كانت في أثناء هذه الايام الخمسة أو حصل التصفيف من النساخ في صاحب القصة (وقرى
عند يحيى البكاء) هو يحيى بن مسلم أو ابن سليم مصغرا وهو ابن أبي خلية البصري المعروف بالبكاء لكثرة
بكائه الحداني مولاهم ضعيف مات سنة ثلاثين ومائة روى له الترمذي وابن ماجه وله ذكر في الخلية في
ترجمة محمد بن واسع أخرجه من طريق حماد بن زيد قال دخلنا على محمد بن واسع فعرفه في مرضه فجا
يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمة على الباب قال من أبو سلمة قالوا يحيى
قال من يحيى قالوا يحيى البكاء قال حماد وقد علم انه يحيى البكاء فقال ان شأناكم يوم نسبتم الى البكاء
(ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) الآية (فصاح صيحة ومكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف
البصرة) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال) أبو محمد (مالك بن دينار) البصري رحمه الله
تعالى (بينما أنا أطوف بالبيت اذا نا بجو برية) أي صبيحة (متعبدة وهي متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول
يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك
مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول شككت مالكا كأمه)
أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وروى ان الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (روى
يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته
ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأ ناءه منك ان غفرت ثم انقلب مع الناس) أخرجه أبو نعيم في الحلية
فقال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا الفضل بن محمد الجندی حدثنا اسحق بن ابراهيم قال وقفت مع
الفضيل بن عياض بعرفات فلم أسمع من دعائه شيئا الا انه واضع يده اليمنى على خده وواضع رأسه يبكي
بكاء خفيا فلم يزل كذلك حتى أفاض الامام فرفع رأسه الى السماء وقال واسوأ ناءه والله منك ان غفرت
ثلاث مرات (وسئل ابن عباس رضى الله عن الخائفين) أي عن وصفهم (فقال) هم الذين (قلوبهم
بالخوف فرحة وأعنيهم) منه (باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر والقيامة موعدا
وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقفنا) وهذا منه رضى الله عنه بيان عن الخائفين من
صفاته (ومر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (بشباب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم
في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدرى الى الجنة تصير أم الى النار قال لا

قال فهاذا الضحك قال فما روى ذلك الفتي بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبدربه اذا جلس (٢٥٣) جلس مستوفزا على قدميه فيقال له

لواط ما أنت فيقول تلك
جلسة الامن وأنا غير آمن
اذ عصيت الله تعالى وقال
عمر بن عبد العزيز أنا جاعل
الله هذه الغفلة في قلوب
العباد رجة كى لا يؤمن
خشية الله تعالى وقال مالك
ابن دينار لقد دمت اذا أنا
مت أمرهم أن يقيدوني
ويغلولي ثم ينطلقوا بي الى
ربي كما ينطلق بالعبد الا بقى
الى سيده وقال حاتم الاصم
لا تغتر بموضع صالح فلا مكان
أصلح من الجنة وقد قاتل آدم
عليه السلام فيها مالتى ولا
تغتر بكثرة العبادة فان ابليس
بعد طول تبعده لقي مالتى
ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام
كان يحسن اسم الله الاعظم
فانظر ماذا لقي ولا تغتر
برؤية الصالحين فلا شخص
أكبر منزلة عند الله من
المصطفى صلى الله عليه وسلم
ولم ينتفع بلقاءه أناربه
واعداؤه وقال السريانى
لا تنظر الى أنفى كل يوم مرات
مخافة أن يكون قد اسود
وجهى وقال أبو حفص
منذ أربعين سنة اعتقادي
في نفسي ان الله ينظر الى
نظر السخط وأعمالى تدل
على ذلك وخرج ابن المبارك
لوما على أصحابه فقال انى
أحتر أن البارحة على الله
سأله الجنة وقالت أم محمد
ابن كعب القرظى لابنها

قال فهاذا الضحك قال فما روى ذلك الفتي بعدها ضاحكا) نقله صاحب القوت (وكان حماد بن عبد
ربه اذا جلس مجلس مستوفزا على قدميه فيقال له لواط ما أنت فيقول تلك جلسة الامن وأنا غير آمن
اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب
العباد رجة كيلا يؤمن خشية الله تعالى) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو يحيى (مالك بن
دينار) البصري رحمه الله تعالى (لقد هممت اذا أمانت أمرهم ان يقيدوني ويغلولي ثم ينطلقوا بي
الى ربي كما ينطلق بالعبد الا بقى الى سيده) ولفظ الحلية لقد هممت ان أمر اذا مت فاعل وأدفع
الى ربي مغلول كما يدفع العبد الا بقى الى مولاه رواء عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد حدثني عبد
الله بن عمر القوارى حدثنا جعفر بن سليمان قال قال مالك بن دينار فساقه (وقال حاتم) بن علوان
(الاصم) رحمه الله تعالى (لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها
مالتى) أى من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب الخالفة (ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد
طول تبعده) حتى كان يلعب بطاوس الملايكة (لقي مالتى) من اللعن والطرده بسبب الكبر (ولا
تغتر بكثرة العلم فان بلعام) بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم) هذا هو
المشهور وقال بعضهم بل كان أوفى النشوة (فانظر ماذا لقي) من الانسلاخ عن الآيات فكان علمه سبب
هلاكه كما قال تعالى آتينا آياتنا فانسلخ منها (ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله
تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم) مع ذلك (لم ينتفع بلقاءه أناربه واعداؤه) مع كمال قربهم اليه
نقله القشيري في الرسالة (وقال السري) بن المفلس السقطي رحمه الله تعالى (انى لا تنظر الى أنفى كل يوم
مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهى) نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة ان يكون
قد اسود لما أخافه من العقوبة هكذا أو رده في باب الخوف وذكر في ترجمته من أول الكتاب بلفظ مخافة
ان يكون قد اسود خوفا من الله ان يسود صورتي لما اتعاطاه وانما خص الانف لان الشخص لا يرى
من وجهه غير أنفه (وقال أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابورى من كبار الأئمة
ترجم له القشيري في الرسالة وقال مات سنة ثمان وستين ومائتين (منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله
ينظر الى نظر السخط) والمقت (وأعمالى تدل على ذلك) أى لكثرة الغفلات واسوء الادب في المعاملة
مع الله تعالى ومع الخلق نقله القشيري في الرسالة (وخرج) عبدالله (بن المبارك) رحمه الله تعالى
(لوما على أصحابه فقال لهم انى قد اجترأت البارحة) على الله حيث (سأله الجنة) وأنا خفي في نفسي
ولا تصلح أحوالى لسؤالها وكان حتى استعبد من النار نقله القشيري في الرسالة (وقالت أم محمد بن كعب)
ابن سليم بن عمرو بن اباس بن حبان بن قرظة (القرظى) المدنى من حلفاء الاوس وكان أبوه من سبي
قرينة سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة فسكنها قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورع مات
سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (لابنها) المذكور (يا بنى انى أعرفت صغيرا طيبا وكبيرا طيبا) وكانك
أحدثت حدثا موبقا) أى اذنبت ذنبا مهلكا (لما أراك تصنع في ليلك ونهارك) أى من الاجتهاد في
العبادة واللبس بكم الخوف (نقال) محمد (يا أماه ما يؤمننى ان يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على
بعض ذنوبي فقتنى وقال وعزنى لا غفرت لك رواء أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال قالت
أم محمد بن كعب لمحمد يا بنى لولا انى أعرفت صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت انك اذنبت ذنبا موبقا لما أراك
تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أماته ما يؤمننى أن يكون الله عز وجل اطلع على وأنا في بعض ذنوبي
فقتنى وقال اذهب لا أغفر لك مع ان عجائب القرآن تردى على أمور حتى انه لينقض الليل ولم أفرغ
من حاجتى (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (انى لا أعجب نبيامرسلا ولا ملكا موقرا ولا عبدا

يا بنى انى أعرفت صغيرا طيبا وكبيرا طيبا) كانك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا أماه ما يؤمننى أن يكون الله
تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فقتنى وقال وعزنى لا أغفر لك وقال الفضيل انى لا أعجب نبيامرسلا ولا ملكا موقرا ولا عبدا

صالحا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة (٢٥٤) القِيَامَةُ انما أعظم من لم يخلق وروى ان قتي من الانصار دخلت مخشبة النار فكان يبكي حتى

حبسه ذلك في البيت فخاف النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتقه ففر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهنم واصحابكم فان الفرق من النار فتت كبده وروى عن ابن أبي ميسرة انه كان اذا أوى الى فراشه يقول يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك هداية الى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا اننا وارد النار ولم يبين لنا اننا صادرون عنها وقيل لفرقة السجى أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه الاتشهت شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه مازع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فزعر فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان اذا أصابته سم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا

صالحا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة) أي بشاهدون أهوالها (انما أعظم من لم يخلق) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثني محمد بن عيسى عن فضيل بن عياض قال ما أعظم ملكا مقربا ولا نبيا مرسلين القِيَامَةُ وأهوالها ما أعظم الامن لم يكن شيئا (وروى ان قتي من الانصار دخلت مخشبة النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت) أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فخاف النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتقه) فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالى فلم يحتمله (ففر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهنم واصحابكم فان الفرق من النار) أي الخوف منها (فتت كبده) قال العراقي روى ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيهما نظر (وروى عن) ميسرة (بن أبي ميسرة) عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي (انه كان اذا أوى الى فراشه يقول يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه) حين سمعت منه ذلك مرارا (يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك) حيث (هداك للاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا اننا وارد النار) وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (ولم يبين لنا اننا صادرون عنها) أي فهذا سبب خوفي منها (وقيل لفرقة) بن يعقوب (السجى) بفتح المهملة والموحدة ونخاء مجة بصرى صدوق في حديثه لين مات سنة احدى وثلاثين روى له الترمذي وابن ماجه (أخبرنا) يا أبا يعقوب (بأعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل قال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح) يتعدن الله عز وجل (فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد) أي غلب عليهن الخوف فتت كبدهن فتن وهكذا شأن الخوف اذا أفاض من القلب الى الكبد (وكان عطاء السلي) بفتح المهملة وكسر اللام نسبة الى سلمة بن مالك ابن فهم بطن من الازد زاهد مشهور ويقال له العبدى أيضا (من الخائفين) المشهورين بالخوف حتى يقال انه نسي القرآن من الخوف وكان اذا رأى تنورا يسبح بسقط مغشيا عليه من الخوف واذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكى شديدا وكان له موعه حوله أثر البلال كأنه أثر الوضوء (ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل العفو) روى صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول كان عطاء السلي قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله أبدا الجنة فاذا ذكرت عنده قال نسأل الله العفو (وقيل له في مرضه) ألا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة) نقله صاحب القوت وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المري قال قلت لعطاء السلي انك قد ضعفت فلو صنعتنا لك سويقا قال فصنعنا له سويقا وتكفأناه فقال يا أبا بشر اني اذا ذكرت النار لم أتبعه وفي رواية اذا أردت ان أشربه ذكرت هذه الآية يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتبه الموت من كل مكان وفي رواية قال له صالح يا شيخ قد خدعك البليس قال فقال لي وبجلك يا صالح اني والله اذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب قال قلت أنت والله في واد لا عاتبتك في هذا أبدا (ويقال انه مازع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق) روى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة وكانت متعبدة قد ذهب بصرها من البكاء تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة فسقط ففتق فتق في بطنه (وكان يس رفع رأسه يوما فزعر فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ) روى أحمد بن حنبل في الزوائد الزهد من الطريق المذكور عن يحيى بن راشد حدثنا مرجان ابن وداع الراسبي قال كان عطاء اذا هبت ريح و برق ورعد قال من أجل يصيبكم لومات عطاء استراح

وقال عطاء خوجنا مع عتبة الغلام وفيينا كهول وشبان يصلون صلاة المغرب بطهور العشاء (٢٥٥) قد تورمت أقدامهم من طول القيام

و غارت أعينهم في رؤسهم
 جلودهم على عظامهم
 و بقيت العروق كأنها
 الاوتار يصحجون كأن
 جلودهم قشور البطيخ
 وكأنهم قد خرجوا من
 القبور يخبرون كيف
 أكرم الله المانيعين
 وكيف اهان العاصيين
 فبينما هم يشون اذ مر
 أحدهم بمكان فخر مغشيا
 عليه فحلس أصحابه حوله
 فيكون في يوم شديد البرد
 وجيئه يرشح عرقا فاذا
 بماء فمسحوا وجهه فاذا
 وسألوه عن أمره فقال اني
 ذكرت اني كنت عيت
 الله في ذلك المكان وقال
 صالح المري قرأت على رجل
 من المتعبدين يوم تقاب
 وجوههم في النار يقولون
 يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
 الرسول فضعق ثم أفاق فقال
 زدني يا صالح فاني أدرغما
 فقرأت كلما أرادوا ان
 يخرجوا منها أعينهم وافيها
 فخر ميتا وروى ان زارة بن
 أبي أوفى صلى بالناس الغداة
 فلما قرأ فاذا نقر في الناقور
 خر مغشيا عليه فحمل ميتا
 * ودخل يزيد الرقاشي على
 عمر بن عبد العزيز فقال
 عظمي يا يزيد فقال يا أمير
 المؤمنين اعلم انك لست أول
 خليفة يموت فبكي ثم قال زدني
 قال يا أمير المؤمنين ليس

الناس قال وكننا ندخل على عطاء فإذا قلناه زاد الطعام قال هذا من أجلي يصيكم لومت أنا لاستراح الناس ورواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن اسحق الحضرمي حدثنا ابراهيم بن يعقوب قال كان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ يطمئه كأنه امرأه ماخض ويقول قد كنت أرجوان أموت قبل أن يجيء الشتاء (وقال عطاء السلمي خرجنا مع عتبة بن أبان (الغلام) نسير (وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهو والعشاء قد تورت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فرؤسهم واصفت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد أخرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فينمأهم بمشون اذمر) عتبة (بمكان) هناك (نفر مغشياً عليه فأس أحمابه حوله بيمكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً فجيء بمسحوا وجهه فافاق وسألوه عن أمره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله عز وجل (في ذلك المكان) ورواه أبو نعيم في الحلية أنحصر منه قال حدثنا أحمد بن بسندار حدثنا جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله الجلي حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي حدثني أبو حسن بن اليسع قال لقي عبد الواحد بن زيد عتبة الغلام في رحبة العاصيين في يوم شات شديد البرد فاذا هو يرفض عرقاً فقال له عبد الواحد عتبة قال نعم قال فما شأنك مالك تعرق في مثل هذا اليوم قال خير قال تخبرني قال خير قال فقال للناس الذي بيني وبينك والاحياء الاما أخبرني قال اني والله ذكرت ذنباً أصبته في هذا المكان فهذا الذي رأيت من أجل ذلك (وقال) أبو بشر (صالح) ابن بشر (المري) رحمه الله تعالى (قرأت على رجل من المتعبدين) يوم ا قوله تعالى (يوم تقاب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) الى آخره (فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد غمما فقرأت) عليه قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعبدا فيها) الآية (نفر ميتا) وهذا من شدة الخوف الذي غلب على القلب فاض منه الى المارة فأنشقت ومات (وروى ان) أبا حاجب (زرارة بن أوفى) العامري الحرشي البصري قاضيا نقعة عابدا روى له الجماعة (صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نفر في الناقور خر مغشياً عليه فجعل ميتا) روى المزني في التهذيب من طريق أبي خباب القصاب قال صلى بنا زرارة الفجر فلما بلغ فاذا نفر في الناقور شوق شهقة ومات ومن طريق يهر أنما زرارة في مسجد بني قشير فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نفر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خرميتا قال فكنت فيمن حله وقد تقدم في تلاوة القرآن (ودخل يزيد) بن أبان (الرقاشي) القاص (على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فقال) له (عظاني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليفة يموت قبكي ثم قال زدني يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الاميت قبكي ثم قال زدني يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة النار منزل إلا عالم نفر مغشياً عليه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ميمون بن مهران) (الجزري) كاتب عمر بن عبد العزيز (لما نزلت هذه الآية وان جهنم لم وعدهم أجمعين صاحب سلمان الفارسي) رضى الله عنه (ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه) قال العراقي لم أقفله على أصل قلت وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمر بن ميمون قال خرجت بابي أقوده في بعض سكك البصرة الحديث وفيه ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرق الباب نفرجت البنا جارية سداسية فقالت من هذا فقلت هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز فقالت له انهم فقالت يا شقي ما بقاءك الى هذا الزمان السوء قال فبني الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج اليه فاعتنقا فدخلنا فقال ميمون يا أبا سعيد اني قد انست من قلى غلظت فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم أفرايت ان منعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يوعدون قال فسقط الشيخ فرائته يفحص

بينك وبين آدم أب الامت فبكي ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أم المؤمنين ليس بينك وبين الجن والنازل منزلاً فخر مغشياً عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدر أن عليه

داود وسقط مكانه وقيل مرض سليمان الثوري فعرض عليه على طبيب ذي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال ما علمت أن في الله الخليفة مثله وقال أحد ابن حنبل رحمه الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فغفت على عقلي فقلت يارب علي قدر ما أطيق فسكن قايي وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص ابكوا فان لم تبكوا قتبوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صابه وكأنه أشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري

برجليه كاتقص الشاة المذبوحة فاقام طويلا ثم أفاق فجاءت الحارية فقالت قد أتبعتم الشيخ فوموا تفرقوا فأتخت بيد لي فخر جنته (ورأى داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابتاه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقيل مرض سليمان الثوري) مرضه (فمرضه) (على طبيب ذي فقال) صاحب (هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء) (وجس نبضه ثم قال ما علمت أن في الله الخليفة مثله) في كمال خوفه هذا الفظ القشيري في الرسالة ولفظ القوت ولقد كان سليمان أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف وكان يعرض المرضى من الخافة وعرض بوله على بعض أطباء الكتائبين فقال هذا بول راهب من الرهبان وروى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن غنام قال مرض سليمان الثوري بالكوفة فبعث بمائه الى متطبب بالكوفة فلما نظر اليه قال ويلك بول من هذا فقالوا ما نسال انظر ما ترى فيه قال أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف جوفه (وقال أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (سألت الله عز وجل أن يفتح علي باب الخوف ففتح) علي بابه (نخفت على عقلي فقلت يارب) اعطني (علي قدر ما أطيق) وأقدر عليه (فسكن قايي) نقله القشيري في الرسالة الا انه قال فسكن ذلك وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل قال سأل داود عليه السلام ربه ان يلقى الخوف في قلبه فلم يحمله قلبه وطاش عقله حتى ما كان يعقل صلاة ولا ينتفع بشئ فقال له نجباك ان ندعك كما أنت أو نردك الى ما كنت عليه قال ردني فرد اليه عقله (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (ابكوا فان لم تبكوا قتبوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صابه) رواه أحد في الزهد عن وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عنه قال لو تعلمون فذكره وفيه ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ويسجد حتى ينقطع صابه ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق وقد تقدم قريبا (وكانه أشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) تقدم مرارا (وقال العنبري) هو عبد الله ابن الحسن بن حصين بن أبي الحر من بني العنبر بن عمرو بن نعيم التميمي البصري القاضي قال النسائي فقيه بصري ثقة وقال ابن حبان من سادات أهل البصرة فقهوا وعلموا في القضاء سنة سبع وخمسين ومات سنة ثمان وستين ومائة وروى له مسلم حديثا واحدا والخارفي في الادب المفرد (اجتمع أصحاب الحديث علي باب الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي وحيته ترجف) أي تضرب (فقال عليكم بالقرآن) أي بتلاوته (عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء ونصرع واستكانة ودعاء كدعاء الفريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك ونخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن زياد قال سمعت الفضيل يقول احفظ لسانك واقل علي شأنك واعرف زمانك واخف مكانك ومن طريق يزيد بن خنيس قال قال رجل مررت ذات يوم بفضيل بن عياض فقلت له وصني بوصية ينفعني الله بها قال يا عبد الله اخف مكانك واحفظ لسانك واستغفر لذنبك ولا تؤمنين والمؤمنات كما أمرك (وروى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يوما وهو يمشي فقيس له الى أين قال لا أدري وكان يمشي والهامن الخوف) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر) بن عبد الله بن زرارة الهمداني المراهبي الكوفي وكان عمر يكتني أبانز وهو ثقة في الحديث وقال العجلي عمر بن ذر القاص كان ثقة بليغا وقال سليمان بن عيينة لمات ذر بن عمر فعد عمر علي شفير قبره وهو يقول يا بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وما قيل لك اللهم انك أمرته بطاعتك وأمرته بيري فقد وهبت له ما قصر فيه من حتى فهب له ما قصر فيه من حقك وعن ابن السمال قال لما دفن عمر ابنه وقف على قبره فبكي وقال اللهم اني أشهدك اني قد تصدقت بما تبينني عليه من

ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبيكي أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يابني ليست النائحة الا كل كالتناحمة المستأجرة
وحكى ان قوما وقفوا بعباد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال فرحته يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء
بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف (٢٥٧) جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال

صالح المري قدم علينا ابن
السمك مرة فقال ارني شيئا
من بعض عجائب عبادكم
فذهبت به الى رجل في
بعض الاحياء في حص له
فاستأذنا عليه فاذا رجل
يعمل خوصا فقرأت عليه
اذ الاغلال في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في
الجيم ثم في النار يسجرون
فشهق الرجل شهقة وخر
مغشيا عليه نحر جننا من
عنده وتركناه على حاله
وذهبنا الى آخر فدخلنا
عليه فقرأت هذه الآية
فشهق شهقة وخر مغشيا
عليه فذهبنا واستأذنا على
ثالث فقال ادخلوا ان لم
تسفلوا ناعن ربنا فقرأت
ذلك لمن خاف مقامى وخاف
وعبد فشهق شهقة فبدا
الدم من مخربه وجعل
يتسخط في دمه حتى يس
فتركاه على حاله وخرجنا
فادرته على ستة أنفس كل
نخرج من عنده ونتركه
مغشيا عليه ثم أتيت به الى
السابع فاستأذنا فاذا
امراة من داخل الحص
تقول ادخلوا فدخلنا فاذا
شيخ فان جالس في مصلاه
فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا

مصيبتي فيه عليه فابكى من حضر ثم قال شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولى وهو يقول انطلقا وتركتك
ولو انما ما نهضنا لك ولكن نستودعك ارحم الراحمين مات عمر سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له البخارى
وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه في كتاب التفسير له والدة ذر بن عبد الله يبنى أبا عمر ثقة من
أقران الخنعي وسعيد بن جبير روى له الجماعة (ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبيكي أحد فاذا تكلمت أنت
سمعت البكاء من كل جانب فقال يابني ليست النائحة الا كل كالتناحمة المستأجرة) رواد أبو نعيم في الحلية فقال
حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد قال أخبرني عن ابن السمك قال قال ذر لابيه ما بال قد كره
(وحكى ان قوما وقفوا بعباد) في صومعته (وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة النداء يجدها
الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وكان)
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يبكي ويقول في مناجاته الهى قد كبرت) سنا (ضعف
جسمي عن خدمتك فاعتقني) فهذا منه يدل على شدة خوفه عن التقصير في الطاعات (وقال) أبو بشر
(صالح) بن بشر (المري) رحمه الله تعالى (قدم علينا) البصرة (ابن السمك) محمد بن صبيح البغدادي
القاص (مرة فقال) لى (ارنى شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء)
وهو (في حص له) وهو بيت من قصب (فاستأذنا عليه) فأذن لنا (فاذا) هو (رجل يعمل خوصا) له
(فقرأت) عليه قوله تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجيم ثم في النار يسجرون
فشهق الرجل شهقة) فاذا هو قديس (وخر مغشيا عليه نحر جننا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى
آخر) فاستأذنا عليه فأذن لنا (فقرأت) عليه (هذه الآية) يعنى المذكورة آنفا (فشهق شهقة وخر
مغشيا عليه) نحر جننا من عنده وتركناه على حاله (واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تسفلوا ناعن ربنا)
فدخلنا فاذا رجل جالس في مصلى له (فقرأت) عليه هذه الآية (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعبد فشهق
شهقة بدر الدم من مخربه وجعل يتسخط في دمه حتى يس فتركناه على حاله نحر جننا) من عنده
(فادرته على ستة أنفس كل) واحد منهم (نخرج من عنده ونتركه) على حاله (مغشيا عليه) ثم أتيت به
الى السابع فاستأذنا فاذا امراة (من داخل الحص) أى من ورائه كما هو نص الحلية (تقول) لنا
(ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا) ولفظ الحلية فلم يعقل
سلامنا (فقلت بصوت عال ان للخلق غدا) مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقى مبهوتا فالتحافاه
شاخصا بصره) الى السماء (يصبح بصوت له ضعيف أو أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته
اخرجوا) عنه (فانكم لاتنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة) منهم (قد
أفاقوا) من غشيتهم فيما بعد (وثلاثة) منهم (قد لحقوا بالله عز وجل وأما الشيخ) وهو السابع (فانه
مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متخيرا لا يردى فرضا فلما كان بعد ثلاث) واظف الحلية بعد ثلاثة
(عقل) أى رجع الى عقله رواه صاحب الحلية عن محمد بن أحمد بن عمر حدثنا أبى حدثنا عبد الله
ابن محمد بن عبيد حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الديلمي عن عثمان بن عثمان عن صالح المري قال قدم علينا
ابن السمك مرة فقال فساقه سواء (وكان يزيد بن الاسود) هكذا في النسخ والصواب الاسود بن يزيد وهو
ابن قيس الخنعي الكوفي خال ابراهيم الخنعي وابن أخى علقمة بن قيس الذى روى عن ابن مسعود

(٣٣ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) فقلت بصوت عال الان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من
ويحك ثم بقى مبهوتا فالتحافاه شاخصا بصره يصح بصوت له ضعيف أو أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لاتنتفعون به
الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا
متخيرا لا يردى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود

يرى انه من الابد والوكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا أبدا فصار يرى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحاج السعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجههم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل الحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت (٢٥٨) قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك بناس ركبوا

وكان أسن من علقمة (يرى انه من الابدال) قال أجد ويحيى ثقة زاد أجد من أهل الخير وقال ابن سعد ثقة وله أحاديث صالحة وقال ميمون أبو حمزة سافر ثمانين حجة وعمره لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبع مائة ركعة وكانوا يقولون انه أقل أهل بيته اجتهادا قال وكانوا يسمون آل الأسود من أهل الجنة (وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا أبدا فصار يرى ضاحكا ولا مضطجعا ولا أكل سمينا حتى مات رحمه الله تعالى) بالسكوفة سنة خمس وسبعين روى له الجماعة (وقال الحاج) بن يوسف الثقفى (السعيد بن جبير) بن هشام الاسدي الوالي مولاهم السكونى التابعى الشهير حين أتى به اليه فسأله عن اسمه فقال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كسير قال بل أى كانت اعلم باسمى منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يلمه غيرك فى قصة طويلة فى آخرها قال الحاج يا غلام السيف والنطع فلما ولى ضحك فقال الحاج أليس قد بلغني انك لم تضحك قط قال كيف أضحك وجههم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت قال فما أضحكك عند القتل قال من جراءك على الله تعالى ومن حلم الله عنك رواه المزي فى التهذيب من طريق عون بن أبي شداد العبدى قال بلغني ان الحاج لما ذكر له سعيد فساق القصة مطولة (وقال رجل الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك بناس ركبوا السفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت) بهم) سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال يكون قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالى أشد من حالهم) نقله صاحب القوت (و) يروى انه (دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز) الاموى (على عمر رحمه الله تعالى فسالت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصالت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت فى منامها) أى انتهت باكىة مذكورة فسلت عن ذلك (فقال يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذلك قالت رأيت النار وهى تفر على أهلها) أى تلهب وتصوت (ثم جىء بالصراط فوضع على متنها) أى ظهرها (فقال هبة) بالسكسر كلمة استراة (فالت فى عبيد الملك بن مروان فعمل عليه فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هبة قالت ثم جىء بسلامان بن عبد الملك فمضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هبة قالت ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خروا مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت انى رأيتك والله حتى نجوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (ويحكى ان أويسا) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القرنى رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص) فيسمعه (فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس) من شدة خوفه (ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون) وماله جنون وانما هو الخوف من النار وقد تقدم هذا وما يتعلق باويس رحمه الله تعالى معاولا (وقال معاذ بن جبل) رضى الله عنه (ان المؤمن لا تسكن روحه حتى يترك جسدهم وراءه) نقله صاحب القوت (وكان طاوس) بن كيسان البجلي التابعى (يفرش له الفراش فيضطجع ويتقل كما تتقل الحبة فى القلى)

سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال يكون قال الرجل على حال أشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسالت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عينها فرقدت فاستبكت فى منامها ثم انتهت ففالت يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجبا قال وما ذلك قال رأيت النار وهى تفر على أهلها ثم جىء بالصراط فوضع على متنها فقال هبة قالت فى عبيد الملك بن مروان فعمل عليه فى مضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هبة قالت ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فمضى عليه فى مضى الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هبة قالت ثم جىء بسلامان بن عبد الملك فمضى عليه الايسر حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هبة قالت ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله

عليه صيحة خروا مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت انى رأيتك والله حتى نجوت قال وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله ويحكى ان أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المؤمن لا يسكن روحه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقل كما تتقل الحبة فى القلى

ثم يشب فيه درجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طيرد كرجه نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من النور جل بعد ألف عام باليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الخاتمة وروى انه ما ضحك أربعين سنة قال وكنت اذا رأيت قاعدا كأنه أسير قد قدم لضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعابن الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكنت كأن النار تسعير بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال لا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في علي بعض ما يكره فقتني فقال (٢٥٩) اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل في غير

معمل وعن ابن السماك

قال وعظت يوما في مجلس

فقام شاب من القوم فقال

يا أبا العباس لقد وعظت

اليوم بكامتنا كأننا بالي أن

لا نسمع غيرها قلت وما هي

رحمك الله قال فوالك لقد

قطع قلوب الخائفين طول

الخلودين امافي الجنة أو في

النار ثم غاب عني ففقدته في

المجلس الاخر فلم أراه

فسألت عنه فما خبرت انه

مريض يعاد فأتيت أعوده

فقلت يا أخي ما الذي أرى

بك فقال يا أبا العباس ذلك

من قولك لقد قطع قلوب

الخائفين طول الخلودين

امافي الجنة أو في النار قال

ثم مات رحمه الله فرأيت في

المنام فقلت يا أخي ما فعل

الله بك قال غفرت لي ورحمتي

وأدخلني الجنة فأتيت بماذا

قال بالسكامة فهذه مخاوف

الانبياء والاولياء والعلماء

والصالحين ونحن أجدر

بالمخوف منهم لكن ليس

المخوف بكثرة الذنوب بل

بصفاء القلوب وكال المعرفة

والافليس أمنا القلة ذنوبنا

وكثرة طاعتنا بل قادتنا

شهوتنا وغلبت علينا

كنايه عن كثرة القلب والاضطراب (ثم يشب) عنه قائما (في درجه) أي بطوبه (ويستقبل القبلة) راكعا ساجدا تاليا (حتى الصباح ويقول طيرد كرجه نوم الخائفين) عن أعينهم (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يخرج من النار رجل بعد ألف عام وياليتني كنت ذلك الرجل) يقول هذا وهو امام العلماء (وانما قال ذلك لخوفه) الشديد (من الخلود) في الآبدية (وسوء الخاتمة) قال فبعد ان أخرج منها بوقت لا بألي كذا في القوت (و) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى (روى انه ما ضحك أربعين سنة قال) الرازي (وكنت اذا رأيت قاعدا كأنه أسير قد قدم لضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعابن الآخرة) أي يشاهدها رآي العين (فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكنت كأن النار تسعير بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل في غير معمل) كذا في القوت (وعن) أبي العباس محمد بن ضبيح (ابن السماك) البغدادي الواعظ (قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكامة ما كنا نبالى ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال فوالك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافي الجنة أو في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس فلم أراه فسألت عنه فما خبرت انه مريض يعاد فأتيت أعوده فقلت له يا أخي ما الذي أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين امافي الجنة أو في النار ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك قال غفرت لي ورحمتي وأدخلني الجنة قلت بماذا قال بالسكامة) أي التي ذكرت وقد بشر العلماء بزيادة العدوى بالجنة وكان من العباد ففاق عليه بابه سبعا ولم يذق طعاما وجعل يبيكو ويقول أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه وقال يا أخي من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أقاتل نفسك فباطلك برجل يعذله الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من عالية العصابة يظنون انهم لم يخافوا بشرا وكانوا قد بشروا بالجنة يعيننا في غير خبر كما تقدم قريبا من أقوالهم الدالة على ذلك (فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء) والصالحين (ونحن أجدر بالمخوف منهم) و(لكن ليس بالمخوف) يكون (بكثرة الذنوب) ولو كان كذلك لكانت أكثر خوفا منهم (بل) انما يكون (بصفاء القلوب وكال المعرفة) وشدة التعظيم لله عز وجل (والافليس أمنا القلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا) فعميت بصائرنا (فلا قرب الرحيل بينهم ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة ترغينا) ولا وعظ الواعظين يؤثر فينا (فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضل وجوده أحوالنا) مما فرطنا فيه (فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد) والتزود للمعاد (ينفعنا ومن العجايب انا اذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري) والعقار (وطايرنا) بانفسنا وأموالنا (وان أردنا رتبة العلم نطعمها ونعينا في حفظه وتكراره وسهرنا) في تحصيله (ونجتهد في طلب أوزاننا) بكل ممكن (ولانثق بضممان الله لنا) يشير الى قوله تعالى فو رب السماء والارض انه خلق مثل ما أنكم تنطقون وقوله تعالى لانساءك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى (ولا تجلس في بيوتنا فنقول اللهم

شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل بينهم ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة ترغينا فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضل وجوده أحوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب انا اذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري ووطايرنا وان أردنا طلبة العلم نطعمها ونعينا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب أوزاننا ولا نثق بضممان الله لنا ولا نطقنا فنقول اللهم

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقسم فقمنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحنا والذي اليه رجأونا وبه اعترازا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الاماسي ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وما نديناف هذه الامحنة هائله ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرأترقلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حفظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت (٢٦٠) العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى ان يمن علينا

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقسم (الذي لا يحول ولا يزول) فقمنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحنا والذي اليه رجأونا وبه اعترازا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الاماسي) وان سمعنا سوف يرى (ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينهنا) عن غفلتنا (ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا) الكاذبة (فهذه الامحنة هائله) مخوفة (ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح) أي خالصة (يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا) توبة نصوحا (بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرأترقلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حفظنا فنكون ممن يقول) بلسانه (ولا يعمل) بجوارحه ويسمع بذنه (ولا يقبل) بقلبه (اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد) والهداية (علينا بمنه وفعله) وكرمه وجوده (ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القابل من هذا يصادف القلب القابل) لما يليق اليه (فيكني) ويعني (والكثير منه وان افيض منه على القلب الغافل فلا يعني) ولا يكني (ولقد صدق الراهب) أي العابد من الرهبانيين (الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني) منسوب الى خولان بالفتح واسمه انكل قبيلة من قضاة ثبات الشام (وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا) على قدميه (كهيشة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرأد معه من كثرة البكاء فقال عيسى لمأريته) على الوصف المذكور (هالتي منظره) أي افزعني (فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام) أي تناولته من كل طرف (فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتغترسه السباع ويسهو فتنهش الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان آمن الغيترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم لي) ذاهبا (وتركني فقلت له) لو زدني شيئا) من هذا الجنس (عسى ينفعني فقال الظلمات تجزيه من الماء شربة) ولو قليلة (وقد صدق الراهب فيما قاله) فان القلب الصافي (الواهي لما يليق اليه) يحركه أدنى مخافة) ويكفيه (والقلب الجامد) البكدر (ينبوعه كل المواعظ) فلا يقبلها (وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت مشحونا باصناف السباع وأنواع الهوام) المختلفة الاوصاف والاشكال (مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تغترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها) فلا تدركها (فاذا انكشف الغطاء) وارتفع الحجاب (ووضعت في قبرك عاينتها وقد غفلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لما عاينتها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أهدقت بك) أي أحاطت (في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورتها فان أردت ان تقتلها وتغورها

بالتوفيق والرشد بمنه وفعله ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القابل من هذا يصادف القلب القابل فيه كفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يعني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على بيت المقدس واقفا كهيشة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرأد معه من كثرة البكاء فقال عيسى لمأريته هالتي منظره فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتغترسه السباع أو يسهو فتنهش الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان آمن الغيترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم لي

وتركني فقلت لو زدني شيئا عسى ينفعني فقال الظلمات تجزيه من الماء يسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبوعه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيت مشحونا باصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تغترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد غفلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لما عاينتها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أهدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان أردت أن تقتلها وتغورها

وأنت قادر عليها) في الدنيا (قبل الموت فافعل والافوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم قلبك) أي باطنه
 (فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام) وبه تم كتاب الرجاء والخوف ولذا ذكر بعض ما يتعلق بمقام
 الخوف مما ذكره أبو طالب المكي في القوت قال الخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم لوجود
 الايمان وهو سبب اجتناب كل نهى ومهلح كل أمر وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها الا
 مقام الخوف وقد قال ذو النون المصري لا يسقى المحب كأس المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه
 وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة
 وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قرب به وشكا واعطى الى بعض الحكماء ألا ترى الى هؤلاء
 أعظمهم واذا ذكر فلا يرقون فقال كيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله مخافة وقد قال الله تعالى
 في تصديق ذلك سيدك من يخشى ويتجنبها الا شق أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف
 شقيا وحرمة التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل وخوف خصوصهم وهم
 الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين
 عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة وقد جاء في الخبر ان العبد اذا أدخل في قبره لم يبق شيء كان يخافه
 دون الله تعالى الا مثل له يفزعوه ويرعبه الى يوم القيامة قال خوف اليقين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة
 للرب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال
 بغير فقه فيها ثم سجن اللسان وخزن الكلام ان لا يدخل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه
 أو يذكره الرسول في سنته اولم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في
 الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفا من المساءلة
 عنه ولا يدخل فيه لدقيق هو يبدخل عليه ولا لعظيم حظا دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله لانها أولى
 الخلق ثم ينصح الخلق في الله وثمره الخوف العلم بالله والحياء من الله وهو أعلى مثوبات أهل المريد
 وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاثة طوائف أهل البدع والزيغ في الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول
 آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطبع عقله عند معاينتها فيذهب ايمانه ولا يثبت لشهادتهما
 كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح الطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لأن آيات الله وكراماته لا ولياته
 في الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين بحمل القدرة وعده الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد
 اليقين والطبقة الثالثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين
 في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة منهم المدعى
 المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاقد المعان والمقر المدمن متصل بهم المعاصي الى آخر
 العمر ويدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رآوا الآيات تابوا الى الله بقلوبهم وقد انقطعت أعمال
 الجوارح فليس يتأثم منهم فلا تقبل ثوبتهم ولا تنقل عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وقد كان عبد الواحد بن زيد
 يقول ما صدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أنه يدخل النار الا خاف ان لا يخرج منها أبدا وكان
 سهيل يقول خوف التعظيم من ميراث خوف السابقة وقال زهير بن نعيم البائي ما أكثر همى ذنوبي انما
 أخاف ما هو أعظم على من الذنوب ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن ابن
 لهيعة عن بكر بن سودة قال كان رجل يعتزل الناس انما هو وحده فجاءه أبو الدرداء فقال أنشدك الله
 ما يحملك على ان تعتزل الناس قال اني أخشى ان يسلب ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحى مائة تخافون
 ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن
 السهت هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سفيان الثوري يلتفت الى حادين سلمة فيقول
 يا أبا سلمة ترجو مثل العفو او يغفر لتي فيقول له حماد بن عمار وكان بعض السلف يقول لو اني أعلم

وأنت قادر عليها قبل الموت
 فافعل والافوطن نفسك
 على لدغها ونهشها الصميم
 قلبك فضلا عن ظاهر
 بشرتك والسلام

انه يختم له بالسعادة كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس في حياتي اجعله في سبيل الله وقال بعض العارفين ان الله تعالى اذا أعطى عبدا معرفة ثم يشكره عليها ولم يحسن معاملته بها لم يسلبه اياها بل أبقاها عليه لحسابه على قدرها ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد فمثل عيش هذا في الدنيا كمثل الخيل الغنى يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء كذلك العالم البطال يحيا حياة الجهال ويحاسب حساب العلماء ومن أعلى المخاوف خوف سلب الايمان الذي هو عنده ودبغة وفي خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويديه ويعدده الى الغيب متى شاء ويخفيه ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة السر ولطف الساتر لا تدرى أهبة وهبه لك فيبقى عليك بكرمه وفضله أم ودبغة وعارة أو دعة اياه وأعارك فيأخذك اذا لامحالة بحكمته وعدله وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وكان يحكي يقول ينبغي ان يشعلك خوف قوت تأكله لا تدرى احلال هوام حرام عن تمنى الفضول وينبغي ان يشعلك خوف ذهاب الايمان عن تمنى درجات الابدال فاذا لم تعطها استقلت ما قد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شيء في خزانة الله الايمان به ولعمري ان الخوف على فقد الايمان علامة الغبطة بوجوده وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول وقال آخروا خطراه ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع تيقنة المعرفة المبتدأة تكون مستدرجاها ممنوعا من المزيد وقد لا يكون بها مدراجا الا ان توقف المزيد عنه هو لعله واقفة من الهوى فيه وقد يقسى قلبه ويجرى عنه وذلك من النقضات الذي يعرفه أهل التمام لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت لا آخره فيمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يضره به ويقتن عنده الخلق كمن أعطى الصف المأكول وقال مجاهد ان الرجل لتبكي عيناه وقلبه أقسى من الجسد وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينه فيسبك كإساءة وسئل أبو محمد سهل هل يعلى الله أحدا من المؤمنين من الخوف زنة متقال فقال من المؤمنين من يعلى من الخوف وزن جبل أحد قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون قال نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم قبل له فإين الخوف قال يحمله حجاب القدرة بلطف الحكمة ويستتر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل الرسائل وقال أيضا الخوف مبينة للنهي والخشية الورع والاشفاق هو الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل بدعوه الى العلم ودخوله على العالم بدعوه الى الزهد ودخوله على العامل بدعوه الى الاخلاص فقد صار الخوف يصلح للكافة اذ دخوله على العام بخبره عن الحرام ودخوله على الخاص بدخوله في الورع والزهد وقال أيضا الاخلاص فريضة لا تنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد وقال انه لا يصح علم الرجا الا للعاثف يعني المتعبدل شهادته بتقدمه الخوف فيكون بشهادته قائما واخلاص قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجا بخبره الى الامن والاغترار وكان يقول الخوف ذكر والمحبسة أنثى ألا ترى ان أكثر الناس يدعون المحبة يريد بهم - اذا ان فضل الخوف على الرجا كفضل الذكرك على الانثى وهو كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء وصف العمال ففضله عليه كفضل العلم على العمل وكان الحسن يقول ما عبد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف وقال بعض السلف حسبك من الخوف اجتناب المعاصي وكان الثوري يقول ما أحب اني عرفت الامر حق معرفته اذ الطاش عقلي ومما يدلك على ان الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى ان في إحدى القراءتين من قراءة أبي أوعبد الله في معنى قوله تعالى نخشيتان برهقهما طغيانا فخاف ربك قال الفراء معناه تعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم ومن معنى هذا أيضا سمى الحياة بمعنى الخشية وهي من الخوف فجعل الحياة اسم الخشية ومن ذلك فسر قوله تعالى وتخشى الناس اى تستحييهم ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار في كل حال والخوف من يسير الاعمال ومن نقل عنه المخافة من حقير الامر الذي لعله والله أعلم زنة ذرة من الشر أكثر من أن يحصى كما روى ان رجلا قال اعطاء السليمي ما هذا

الخوف كانه قال لعظيم فقلت وما هو قال اصطدت حماما لجاري منذ أربعين سنة فانا أبكى منذ ذلك أما اني قد تصدقت بثمنه مرات وقال ضيغم الراسي ذنب أذنبته أنا أبكى عليه منذ أربعين سنة وذلك انه زارني أخني فاشترى بيته كما بداني فاراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده وقال آخر تكلمت بكامة أنا أبكى عليها منذ كذا قيل وما هي قال رأيت درهما في يد رجل فقلت هذا الدرهم جرجاني ولعله لم يضر ببحر جان وقال بعضهم وصفت لنا امرأة من العوابد فأتينا منزلها فاذا هي قد غلقت بابها لا يدخل عليها أحد فسألنا عنها فقيل لنا هي تبكي في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لا ندري ما شأنها قال فسألناها بعد وقت فقالت فقلت غلة هذا لانه قيل ان الارار لا يؤذون الذرولا يقتلون النمل وبكى نصر بن جرير على معصية ثلاثين سنة والى هنا انتهى بنا الكلام على مقام الخوف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال مؤلفه نجزم من نحر بذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاحد سابع عشر شهر رمضان من شهر سنة ١٢٠٠ هـ وهي ليلة القدر على يد العبد لله أبي الفتيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وسرعه يومه عنه وكرمه أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته * وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غايه ملكوته ومدى سلطنته * هو الله الحق المبين * أحق وأبين مما ترى العيون * لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشها * ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا أحده على ما وفق من الطاعة وزاد عنه من المعصية * وأسأله لمنته غاما وبحيله اعتصاما واشهد ان لا اله الا هو وأن محمد عبده الذي أرسله داعيا الى الحق شاهد على الخلق * فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مة صر * وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر * امام من اتقى * وبصر من اهتدى * اختاره من كرماء الانبياء * ومشيكا الضياء وذوابة العلياء * وسرة المطع * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب الفقر والزهد)

وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمخبات من كتب الامام حجة الاسلام قطب الأئمة الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي نعمة الله بغيرانه وأسكنه بمحوجة جفانه * سلك فيه طريق الايضاح لحل ألغازه الانيقة الرائقة * وفك معانيها البديعة الشائقة * بحيث تسفر مطالبه * وتعذب مشاربه * وتورق أغصان آماله وتطالع كواكب اقباله * وتظهر منه خبايا الاسرار * وتبدو حفايا حقايقه من وراء الاستار * شافي بيانه تلين به جلامد القلوب للقاسية * وصادق برهانه تتصدع به أفئدة النفوس القاسية * وعلى الله الكريم جل شأنه مساعفة الآمال * وحسن التسديد في الأقوال والأفعال قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تسبح له الرمال) جمع الرمل معروف والسبح تنزيه الله تعالى وأصله المرالسريع في العبادة وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر فقيل أبعد الله وجهه التسبيح علما في العبادات قول لا كان أفعلا أو نية وقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم كقوله والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واليه أشار المصنف بقوله (وتسجد له الظلال) جمع الظل هو الشيء وقيل أعم من الشيء ويجمع أيضا على اطلاق وظلال وأظلة والاخير جمع الجمع وهذا يقتضي ان يكون تسبيحا على الحقيقة وسجودا له على وجهه لانفقهه بدلالة قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ودلالة قوله ومن فيهن بعد ذكر السموات والارض ولا يصح ان يكون تقديره يسبح لهن من في السموات ويسجد له من في السموات لان هذا

*(كتاب الفقر والزهد وهو

الكتاب الرابع من ربع

المخبات من كتب احياء

علوم الدين)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي تسبح له

الرمال وتسجد له الظلال

بما تفقهه ولانه بحال ان يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ومن فيهن والاشياء تسبح وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار ولا خلاف في ان السموات والارض والدواب مسجيات بالتسخير من حيث ان احوالها تدل على حكمه الله تعالى وانما الخلاف في الارض هل تسبح باختيار والاشياء تقتضى ذلك وقوله تعالى يتقربون ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم دائرون أى انشاؤه يدل على وحدانية الله وينبئ عن حكمته وقال الحسن في قوله تعالى وظلالهم بالغدوق والآصال أما ظلال فيسجد وأما أنت فتكفر به (وتد كذلك من هيئته الجبال) أى تدق وتهدم حتى تصير بمنزلة الارض اللينة واليه الاشارة بقوله تعالى وان منها لما يهيض من خشية الله (خلق الانسان) أى آدم عليه السلام وبنوه (من الطين اللزب) أى اللاصق تقول منه لزب لزوبا وهو كما قال الله تعالى انا خلقناهم من طين لازب (والصلصال) وهو الطين الحرن لطا بالرمل فصار يتصلصل اذا جف فاذا طبع بالنار فهو الفخار وقيل هو الطين المنتمى من قولهم صل اللعم اذا تغيرت رائحته والى كل منهما الاشارة بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقيل صلصال أصله صلال فقلبت احدى اللامين صاد (وزين صورته) وهى ما تنتقش به الاعيان وتميز به عن غيرها وذلك ضرر بان أحدهما محسوس تذكره الخاصة فقط كالصورة التى اختص بها الانسان من العقل والفهم والرؤية والمعاني التى خص بها وكانت صاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى العالم (باحسن تقويم وأتم اعتدال) واليه الاشارة بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وتنقيف الشئ تنقيفه والاعتدال توسط حال بين حالين فى كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل (وعصم قلبه بنور الهداية) أى حفظه به (عن وورطات الضلال) أى من الوقوع فيها كما قال تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور نوره والورطات محركة جمع الورطة بسكون الراء اسم لما ضاق وشق وقد يعبر بها عن الهلاك والاصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد الى الخلاص والضلال العدول عن الطريق المستقيم عبداً أو سهواً قليلاً أو كثيراً (وأذن له فى قرع باب الخدمة بالغدو والآصال) وهو ايتاء الصلوات الخمس فانه طاعة المولى عز وجل وخدمته ومن سهل له فيه فقد أذن فى قرع باب خدمته (ثم كل بصيرة المخلص فى خدمته) بان لم يشرك فيها أحداً سواه (بنور العبرة) اسم من الاعتبار (حتى لاحظ بضائنه حضرة الجلال) فالخلق تعالى بذاته نور لا يدرك ويدرك به ومن حيث أسماؤه نور يدرك فاذا تجلى للقلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنيرة للاغيار بنوره فان الانوار الاسماءية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواه (فلاح له من البهجة) أى حسن اللون وظهور السرور (والبهاء) أى الجلال وحسن الهيئة (والكمال) أى الانتهاء الى غاية ليس وراءها مزيد (ما استعجب ذون مبادئ اشرافه) أى فيما يشرق من أنواره فى أوائله (كل حسن وجمال) صار مشاهدته فى الظاهر (واستنقل كل ماصرفه) أى منعه وحجبه (عن مشاهدته وملازمته غاية الاستئصال) أى عده ثقيلاً الى الغاية كإهوشان كل صارف عن الشهود (وتمثل له ظاهر الدنيا) فيما يراه بعين البصر (فى صورة امرأة جميلة) حسناء (تمس) فى بردها (وتختال) أى تعجب بنفسها مرحاً (وانكشفت له باطنها) بعين البصيرة (عن عجوز شواء) فبيحة الخلقة هتاء (عجنت من طينة الخرزى) أى الذل والانكسار والهوان (وضربت فى قالب النكال) أى طبعت عليه والقالب بفتح اللام ومنهم من يكسرها والنكال العقوبة الغليظة (وهى متلفعة بجلبابها) يقال تلفعت المرأة بمرطها مثل تلحف زينة ومعنى والتفت كذلك (لتخفى قبايح أسرارها بلطائف السحر) أى الخداع والتخيلات التى لاحقية لها (والاحتيال) افتعال من الخيلة وهى ما يتوصل به الى حالة تمان خفية وكتر استعماله فيما فى تعاطيه خبيث (وقد نصبت جبالها) جمع حبيلة وهى الاحبولة التى ينصبها الصائد (فى مدارج الرجال) أى فى مسالكهم

وتد كذلك من هيئته الجبال
خلق الانسان من الطين
اللازب والآصال وزين
صورته باحسن تقويم
وأتم اعتدال وعصم قلبه
بنور الهداية عن وورطات
الضلال وأذن له فى قرع
باب الخدمة بالغدو
والآصال ثم كل بصيرة
المخلص فى خدمته بنور
العبرة حتى لاحظ بضائنه
حضرة الجلال فلاح له من
البهجة والبهاء والكمال
ما استعجب ذون مبادئ
اشرافه كل حسن وجمال
واستنقل كل ماصرفه عن
مشاهدته وملازمته غاية
الاستئصال وتمثل له ظاهر
الدنيا فى صورة امرأة جميلة
تمس وتختال وانكشفت
له باطنها عن عجوز شواء
عجنت من طينة الخرزى
وضربت فى قالب النكال
وهى متلفعة بجلبابها
لتخفى قبايح أسرارها
بلطائف السحر والاحتيال
وقد نصبت جبالها فى مدارج
الرجال

فناه ولا زوال والصلاة على
سيدنا محمد سيد الانبياء
وعلى آله خير آل * (أما
بعد) * فان الدنيا عذوبة
عز وجل بغرورها ضل من
ضل وبمكرها زل من زل
فهارأس الخطايا والسيئات
وبعضها أطماع وأس
القربات وقدر استقصينا
ما يتعلق بوصفها وذم الحب
لها في كتاب ذم الدنيا من
ربيع الممالك ونحن
الآن نذكر فضل البغض
لها والزهد فيها فانه رأس
المخيمات فلا مطمع في
النجاة الا بالانقطاع عن
الدنيا والبعد منها لكن
مقاطعتها اما ان تكون
بازواثم عن العبد ويسمى
ذلك فقرا واما بازواء
العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولك واحد منهما
درجة في نيل السعادات
وحظ في الاعانة على الفوز
والنجاة ونحن الآن نذكر
حقيقة الفقر والزهد
ودرجاتهم وأقسامهما
وشروطهما وأحكامهما
ونذكر الفقر في شطر من
الكتاب والزهد في شطر آخر
منه ونبدأ بذكر الفقر
(الشرط الاول من الكتاب

*** (السطر الاول من الكتاب في الفقر) ***

(في الفقر) وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان

(٣٤) - (انخاف السادة المتقين) - تاسع)

وفضيلة الفقر مطلقا وبيان خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغني وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله العلماء
وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغني المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بطلعه وكرمه

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ) * اعلم ان الفقر عبارة عن فقدها هو محتاج اليه أما فقدها لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا (٢٦٦) عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذ فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ) *

(اعلم) أغناك الله تعالى (ان الفقر عبارة عن فقدها هو محتاج اليه) مالا أو غيره (أما فقدها لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا) فالفقير هو الفاقِد المحتاج والفقير هو الفقير والاحتياج قال أهل اللغة هو فعل بمعنى فاعل وفسره بقليل المال قال ابن السراج ولم يقولوا فقر أي بالضم لانهم استغنوا عنه باقتنر وقال في المأثث فقيرة وجعلهم فقراء ومثله شفيع وسفهاء ولا ثالث لهما ويتعدى بالهمزة فيقال أفقرته فاقتقر وقال بعضهم الفقر هو عدم الشيء بعد وجوده فهو أنقص من العدم لان العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد ذكره الراغب (واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالى فان كان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الواحد فليس في الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله العنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا واسكا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقير العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يخصر لان حاجاته لا تحصر لها ومن جلة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي يزيد الانسان بيانه فقط فنقول كل فاقِد للمال فاناسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن غيرها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها الحالة الاولى وهي العليا) المبغض للمال السكاره (بحيث ان يكون لو أناه المال لكرهه وتأذيه) وتركه (وهرب من أخذه مبغضاله) ومستثقلا ومستحقرا (ومحترزا من شره وشغله) عما هو الاهم وهو القرب من الله تعالى (و هذا هو الزهد) بالضم (واسم صاحبه الزاهد) يقال زهد فيه وعنه زهدا وزهاده بمعنى تركه وأعرض عنه وجع الزاهد زهادا يقال للمبالغة زهد بكسر الزاى وتشديد الهاء وزهد بزهد بتخفيف الهمزة فيه الحالة (الثانية ان يكون ذلك المفقود) بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يبغضه ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويتركه (فيه) أي يتركه (لو أناه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا) الحالة (الثالثة ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه ولكنه لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه) أي يسرع ويحرك (بل ان أناه

فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجودا ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس في الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله العنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا واسكا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقير العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا يخصر لان حاجاته لا تحصر لها ومن جلة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي يزيد الانسان بيانه فقط فنقول كل فاقِد للمال فاناسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن غيرها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها (الحالة الاولى) * وهي العليا ان يكون بحيث

صفوا

لو أناه المال لكرهه هو تأذيه به وهرب من أخذه مبغضاله ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه

زاهد * (الثانية) * أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويتركه فيه لو أناه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا * (الثالثة) * ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبته فيه ولكنه لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان أناه

صفوا عفووا) أى من غير تعب (أخذوه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة تسميه قانعا اذا قنع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة) (الرابعة) * ان يكون تركه الطلب المجزء والافه ورغب غير رغبة (٢٦٧) لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب

لطلبه أو هو مشغول بالطلب

وصاحب هذه الحالة تسميه

بالخريص * (الخامسة) *

ان يكون ما فقده من المال

مضطرا اليه كالجائع الفاقد

للغبر والعارى الفاقد لثوب

ويسمى صاحب هذه الحالة

مضطرا كيفما كانت رغبته

في الطلب اما ضعيفة واما

قوية وقلماتنفك هذه الحالة

عن الرغبة فهذه خمسة

أحوال أعلاها الزهد

والاضطرار ان انضم اليه

الزهد وتصور ذلك فهو

أقصى درجات الزهد كما

سيأتى بيانه ووراء هذه

الاحوال الخمسة حالة هي

أعلى من الزهد وهي ان

يستوى عنده وجود المال

وفقده فان وجد لم يفرح به

ولم يتأذ ان فقده فكذلك

بل حاله كما كان حال عائشة

رضي الله تعالى عنها اذا أتتها

مائة ألف درهم من العطاء

فاخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

فأخذتها وفرقتها من يومها

صفوا عفووا) أى من غير تعب (أخذوه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة تسميه قانعا اذا قنع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة) (الرابعة) * ان يكون تركه الطلب المجزء والافه ورغب غير رغبة (٢٦٧) لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة تسميه بالخريص * (الخامسة) * ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للغبر والعارى الفاقد لثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلماتنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي ان يستوى عنده وجود المال وفقده فان وجد لم يفرح به ولم يتأذ ان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها اذا أتتها مائة ألف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما فطر عليه فقالت لود كرتينى لفعلت) رواء هشام بن عروة عن أبيه ان معاوية بعث الى عائشة مرة بمائة ألف قال فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها فقالت مولاة لها واشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما فقالت لوقات لى قبل ان أفرقها ففعلت ورواه محمد بن المنكدر التميمي وهو ابن خالة عائشة عن ام درة مولاة عائشة نحو هذه القصة الا أنها قالت بعث اليها ابن الزبير عيال في غراوتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف وقد تقدم ذلك كله في كتاب ذم الدنيا (فن هذه حاله فلو كانت الدنيا يحذاقها) أى بنماها (في يده وخزائنه لم يضره اذ هو يرى الاموال في خزائنه الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تسكون في يده أو في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) لا الغنى (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غنى عن دخول المال في يده

تسكون في يده أو في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غنى عن دخول المال في يده

لا عن بقاءه فهو اذا فقير من وجهه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليجتاح الى اخراجه وليس يفرح به ليجتاح الى بقاءه وليس فاقداله ليجتاح الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولا كالا نسبي صاحب هذه الحالة

غنيا بل مستغنيا ليقبى الغنى اسماء لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقبى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أعنته من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهم يابن أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا السكال الاجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الاورار وصاحب هذه الحالة من المقر بين فلا حرم صار الزهد في حقه نقصا اذا حسنات الاورار سيئات المقر بين وهذا لان انكاره للدينامشغول بالدينامشغول أن الراغب فيها مشغول به والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه تعالى (أقرب اليك من حبل الوريد) كما هو نص القرآن (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك (فانه أقرب اليك منك فلا حجاب بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله

لا عن بقاءه فهو اذا فقير من وجهه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليجتاح الى اخراجه وليس يفرح به ليجتاح الى بقاءه وليس فاقداله ليجتاح الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغنى الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولا كالا نسبي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليقبى الغنى اسماء لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقبى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أعنته من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانهم يابن أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا السكال الاجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الاورار وصاحب هذه الحالة من المقر بين فلا حرم صار الزهد في حقه نقصا اذا حسنات الاورار سيئات المقر بين وهذا لان انكاره للدينامشغول بالدينامشغول أن الراغب فيها مشغول به والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه تعالى (أقرب اليك من حبل الوريد) كما هو نص القرآن (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك (فانه أقرب اليك منك فلا حجاب بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله

حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه الاشغاك بغيره وشغلك بنفسك وبشهوائك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوائك نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى

بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستغفاله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصر وف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص (٢٦٩) فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن

أحدهما أخف من الآخر بل السكال في أن لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحباً فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة فالشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتبديل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مادية توصل الى الله تعالى فالحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدير لهما فهاهما سيان بالاضافة الى الحال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدير اذ يرجى له الوصول اليها وليس محمود بالاضافة الى المعتكف

تعالى ومن قال ان الغنى أفضل من الفقر فان أراد هذا فهو الصواب وان أراد الغنى باذعراض الدنيا وية كان زيفاً فليس ذلك من وصف الله تعالى بل الرب تعالى اذا أراد أن يحب العبد عن معرفته وطاعته خوله بذلك حتى يشغله بأخص جزء من الدنيا قال الامام أبو العباس الاقلشبي رحمه الله تعالى فمن افتقر الى الله تعالى الافتقار الحقيقي وسأله الغنى الباقي لا العرضي أغنى نفسه الفقيرة بعلومه الميزة فاستغاد واغاد وانفق من مال لا يخاف عليه النفاق فهذا هو الغنى في الدنيا والآخرة والباقي غناه أبدالاً باد ومن حرم هذا الغنى ولولنا جيع ملك الدنيا فهو فقير ولذلك قيل من جهل الله فهو فقير ولقد أجاد القائل حيث يقول ومن ينفق الايام في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر انتهى وهذا القدر كاف في معرفة حقائق التبتل والغنى الذي الفقر مطلوب لهما وأما التجريد الذي هو أحد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل ثم زاد المصنف في بيان حال كل من المشغولين بالحب وبالبغض وأكدته مثال فقال (بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب) وهو المراقب لحال العاشق المنتظر لتبعية حركاته وسكناته ويعبر عنه بالعادل (الحاضر في مجلس) من مجالس السرور والهوى (جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى حب الرقيب والى بغضه واستغفاله وكرهه حضوره) في ذلك المجلس (فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصر وف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه) لشغله به (ولو استغرقه العشق) بان ملكه ظاهراً وباطناً (اغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه) كما هو شأن الاستغراق (فكذلك ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر) لان المبغض مقبل والراغب مدبر (بل السكال في أن لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحباً فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة فالشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتبديل بالشهود) وارتفاع الحجاب من البين (فالكمال له مرتقب) أي منتظر (لان بغض الدنيا مادية توصل الى الله تعالى) كما كان حبها مادية توصل الى البعد عن الحضرة الالهية (فالحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها) وخدمتها (ولكن أحدهما مستقبل الكعبة) بان وجهه وجهه اليها (والآخر مستدير لهما فهاهما سيان) أي مستويان (بالاضافة الى الحال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدير اذ يرجى له الوصول اليها وليس محمود بالاضافة الى المعتكف في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن (ان بغض الدنيا مقصود في عينه) أي لذاته (بل بغض الدنيا عائق عن الله) شاغل عن الوصول اليه (ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من زهد في الدنيا واقتصر عليه) أي صار مشغولاً به (فقد استجمل الراحة) لنفسه (بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة) نقله صاحب القوت (فبين) رحمه الله تعالى (ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالادابة في الوصول اليها فلا ينبغي أن تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استجمل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

عن الحج فإذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وأن أريده الرغبة في عدمها فهو كمال
بالإضافة إلى درجة الرضا والقانع والحرص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء
وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان (٢٧٠) تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن

الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفراغ عن جوار الماء الكثير ولا يبغيض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقى منه عبادة الله بقدر الحاجة ولا أنجل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة) أي فإن كلا منهما يحتاج إليه في دفع الجوع والعطش (وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا لمحالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى قال أجد بن أبي الحواري (الدمشقي رحمه الله تعالى) قلت لأبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى (قال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (للمغبرة أذهب إلى البيت فخذ الركوة التي) كنت (أهديتهالي فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها) هكذا هو في القوت ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد إلا أنه قال الذي أهدى له الركوة هو الحرث بن نهان الجرمي لا المغبرة وهذا لفظه قال حدثني علي بن مسلم حدثنا سيار حدثنا الحرث بن نهان الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركوة فقال وكانت عنده قال فثمت يوما فخلست في مجلسه فقال يا حارث بن نهان تعال فخذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي إلى إذا دخلت المسجد جاع في الشيطان فقال لي يا مالك إن الركوة قد سرقت فقد شغلت علي قلبي ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (قال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (هذا من ضعف قلوب الصوفية) هو (قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات الهاسية الضعف والنقصان) في المقام إذ كماله أن لا يبالي من أخذ متاع الدنيا ولفظ القوت فاراد أبو سليمان من حقيقة الرضا بحريان الأحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وسأني في كتاب التوكل له فريد بن (فان قلت فما بال الأنبياء) عليهم السلام (والأولياء هربوا من المال) كل الهرب (ونفروا منه كل النفار) وقد استوى عندهم وجوده وعدمه (فاقول قد هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا) منه (أكثر من حاجتهم) إليه في دفع العطش (فنفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب) والرواية (يدبرونه مع أنفسهم) أو على ظهورهم (بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه) على معنى (أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه فقد جلت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآخذوها ووضعوها في مواضعها وماهر بواضعها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحرير) قال النعراق وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة عن البخاري تعليقه مجزوما من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعالم من البحرين وكان أكثر مال أتى به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحد إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد الجعفي في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمر بن عوف قدم أبو عبيدة بعالم من

عن الحج فإذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وأن أريده الرغبة في عدمها فهو كمال
بالإضافة إلى درجة الرضا والقانع والحرص ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغنى بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء
وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان (٢٧٠) تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن

البحرين

الها سية الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار
فاقول كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم فنفروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والزوايا يدبرونه مع أنفسهم بل تركوه
في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه فقد جلت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآخذوها ووضعوها في مواضعها وماهر بواضعها إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحرير

وما نقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عن خاف أن لو أخذناه ان يحددها المال ويحدد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم
البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء (٢٧١) والاولياء واما ان ينقل عن قولي

بلغ السكال ولكن أظهر
الفرار والنفاق تزولا الى
درجة الضعفاء ليقندوا به
في الترك اذ لو اقتدوا به في
الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل
المعزم بين يدي أولاده من
الحية لا لضعفه عن
أخذها ولكن لعلمه انه لو
أخذها أخذها أولاده اذا
رأوها فهم لم يكونوا سير
بسير الضعفاء ضرورة
الانبياء والاولياء والعلماء
فقد عرفت اذا أن المراتب
ست وأعلها رتبة المستغني
ثم الزاهد ثم الراضي ثم
القانع ثم الحريص وأما
المضطر فيصوّر في حقه أيضا
الزهد والرضا والقناعة
وذر جنسه تختلف بحسب
اختلاف هذه الاحوال
واسم الفقير يطلق على هذه
الخسة أما تسمية المستغني
فقير فلا وجه لها بهذا
المعنى بل ان سمى فقيرا
فبمعنى آخر وهو معرفته
بكونه محتاجا الى الله تعالى
في جميع أمور عامته وفي
بقاء استغنائه عن المال
خاصة فيكون اسم الفقير
له كاسم العبد ان عرف
نفسه بالعبودية وأقربها
فانه أحق باسم العبد من
الغافلين وان كان اسم
العبد عاما للخلق فكذلك
اسم الفقير عام ومن عرف

الجبر من فسمعت الانصار قدومه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاء مال البحر بن أعطيتك هكذا ثلاثا
فلم يقدم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فامر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله
عليه وسلم عدة أودين فلبا تنافقت ان النبي صلى الله عليه وسلم وعدني فثالثا ثلاثا انتهى قلت وأما سيرة
عمر رضي الله عنه فقد روى سليمان بن المغيرة حدثنا جريد بن هلال حدثنا زهير بن حبان قال قال ابن
عباس دعاني عمر فأتيت فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور فقال هلم فاقسم هذا بين قومك والله أعلم
حيث روى هذا عن نبيه وعن أبي بكر فاعطيته خير أم لشر قال فأكببت عليه أقسم وأزيل قال فسمعت
بكاء واذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه كلا والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه وعن أبي بكر ارادة الشر
لهما وأعطاه عمر ارادة الخير له وقال سعيد بن عامر الضبي قال محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة
قال قدمت من البحر من فلقيت عمر فسألني عن الناس فاخبرته ثم قال ثم جئت قلت جئت بخمسمائة ألف
قال ويحك هل تدري ما تقول قلت نعم قال ارجع فتم فانك ناعس قال فاصبحت فأتيت فقال ماذا جئت به
قلت خمسمائة ألف فصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد جاء مال كثير فان شئتم ان نسكيلكم كيلا وان
شئتم ان نعددا (وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عن خاف ان لو أخذناه ان يحددها المال) وزياله
عن مقامه (ويحدد قلبه فيدعوه الى الشهوات) النسبية (وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال
والهرب منه في حقه كمال وهذا حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفاء الا الانبياء) عليهم السلام (والاولياء)
من بعدهم (واما ان ينقل عن قولي بلغ) رتبة (السكال ولكن أظهر الفرار والنفاق تزولا) منه (الى
درجة الضعفاء ليقندوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا) وهذا (كما يفر الرجل بين يدي أولاده
من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده اذا رآوها فهلكوا والسير بسير
الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء) اذهب القدوة (فقد عرفت ان المراتب اذا ست وان أعلها
رتبة المستغني) بالمعنى الذي ذكره المصنف اصطلاحا منه (ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص
وأما المضطر فيصوّر في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة وذر جنسه تختلف بحسب اختلاف هذه
الاحوال) كما سبق التلويح اليه واسم الفقير يطلق على هذه الخسة (أما تسمية
المستغني فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع أمور عامته وفي بقاء استغنائه
عن المال خاصة) وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولها وعزل النفس عن
مراعاة الربوبية واليه يشير كلام المشايخ كإثباتي بيانه فالفقر الحقيقي دوام الافتقار الى الله تعالى في كل
حال وان يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقته الى الله تعالى من كل وجه
فالفقر ذاتي للعبد وانما يتجدد له شهوده حالا والا فهو حقيقة كما قال بعضهم الفقرى وصف ذات لازم
أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي واليه أشار المصنف بقوله (فيكون اسم الفقر له كاسم العبد ان عرف
نفسه بالعبودية وأقربها فانه أحق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم
الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى) في كل حاله (فهو أحق باسم الفقير) من غيره (فاسم
الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انى أعوذ بك من الفقر) وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات رواه الطبراني من حديث
عثمان بن أبي العاص وقد تقدم في الاذكار والدعوات وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري
اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل وبعث لان قال نعم وقد سمعته ابن حبان وروى أبو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والقلّة وروى الطبراني

نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من الفقر

عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعا اللهم اني أعبدك من الكفر والضلالة والفقر الذي يصيب بني آدم (وقوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا) رواه الكشي وابن السكن وصاحب الحاشية والبيهقي في الشعب وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقائشي عن أنس مرفوعا وقد تقدم في ذم الغضب (لا يناقض قوله) صلى الله عليه وسلم (اللهم احبني مسكينا وامتنني مسكينا) واحشرن في زمرة المساكين رواه عبد بن جريد وابن ماجه من حديث أبي سعيد والسيرازي في اللقب من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب ونعمان والطبراني وابن عساكر والضياع من حديث عباد بن الصامت ورواه الترمذي وحسنه والبيهقي من حديث أنس بزيادة يوم القيامة ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فاحطوا واهل الحاكم من حديث أبي سعيد بزيادة وان أشقى الاشقياء من اجتماع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وعند ابن عدي والبيهقي بلفظ اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرن في زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء الخ (اذ فقر المضطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من اهل الارض والسماء) والى هذا المعنى يشير كلام الشافعي كما سيأتي ذلك مفردا في سياق المصنف وهذا الذي يشير ون اليه لا تنافيه الجدوة ولا الاملاك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبياءه عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم وملئهم كبراهيم عليه السلام كان يكتن أبوالاضيقان وكانت له الاموال والمواشي وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى ووجدك عائلا فاغني وكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم ثم اعلم ان الفقر الذي هو خلوص اليد من المال وسبيله التبتل والانقطاع وهما الوسيلة الى الغنى بالله تعالى وهو تعلق القلب به والغنى بالله وسبيله الى تجريده عما سوى الحق من اعراض وأغراض بل نفس وحال فالتجريد على ثلاث درجات الاولى تجريد عين الكشف عن نسب اليقين وذلك ان اليقين مكسوب في البداية وموهوب في النهاية فالتجريد ارتقاء العبد من المكسوب الى الموهوب الثانية تجريد الجمع عن ذلك العلم لان العالم بالسكر ليس بسكران فهذا حذر من أن يكون عنده علم الحال لاغيبه الثالثة تجريد الاخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يجب من ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث ويستحب علمه وما ذكرناه من قربته ومعرفة مستعان بالنظر الى صفات السلب مثل قل هو الله أحد وليس كمثل شئ وما كنت متخذ المضامين عضدا وما أشبه هذا والله أعلم

(بيان فضيلة الفقر مطالعا)

من الآيات والاعخبار والآثار (أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) أي حبسوا ومنعوا (لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار) أي الصدقات لهؤلاء وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفا على كاسرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل الصفة هذا أحد الاقوال في احصارهم في سبيل الله وقيل هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد وقيل لما عاودوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب في الارض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضربا في الارض والصحيح انه الفقراء وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضربا في الارض ولكمال عفتهم وصيانتهم يحبسهم من لم يعرف حالهم أغنياء (وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر) ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقوله تعالى رب اني لما أنزلت الي من

وقوله عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا لا يناقض قوله أحبني مسكينا وأمتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي من اهل الارض والسماء *(بيان فضيلة الفقر مطالعا)* أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر

(وأما الاخبار) في مدح الفقراء أكثر من أن تحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله (٢٧٣) عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا صاحب له أى الناس خير
فقالوا وموسى من المال يعطى
حق الله في نفسه وماله فقال
نعم الرجل هذا وليس به قالوا
فمن خير الناس يا رسول الله
قال فقير يعطى جهده وقال
صلى الله عليه وسلم لبلال
القي الله فقيرا ولا تلقه غنيا
وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله يحب الفقير المتعفف
أبا العيال وفي الخبر المشهور
يدخل فقراء أمي الجنة قبل
أغنيائهم بخمسة مائة عام
وفي حديث آخر باربعين
خريفا أى أربعين سنة
فيكون المراد به تقدير تقدم
الفقير الحر يص على الغنى
الحر يص والتقدير
بخمسة مائة عام تقدير تقدم
الفقير الزاهد على الغنى
الراغب وما ذكرناه من
اختلاف درجات الفقير
يعرفك بالضرورة تفاوتنا
بين الفقراء في درجاتهم
وكان الفقير الحر يص على
درجتين من خمس وعشرين
درجة من الفقير الزاهد اذ
هذه نسبة الأربعين الى
خمس مائة ولا تظن ان تقدير
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجري على لسانه جزافا
وبالاتفاق بل لا يستنطق
صلى الله عليه وسلم الا
بحقيقة الحق فانه لا ينطق
عن الهوى ان هو الاوحى بوحى
وأربعين جزءا من النبوة
أبي هريرة وعبد الله بن الصامت
وأنس بلقظا ورؤيا المؤمن
جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة

خير فقير والمراد في الآية الاولى والثانية خواص الفقراء وفي قوله انما الصدقات الآية فقراء المسلمين
خاصتهم وعامتهم وفي قوله يا أيها الناس الآية الفقراء عام لاهل الارض كلهم غنيهم وفقيرهم مؤمنهم
وكافرهم وفي الآية الاخيرة الفقر الى الله المشار اليه بقوله اللهم اغنى بالافتقار اليك وجهذا ألم الشاعر
بقوله ويجبني فقري اليك ولم يكن * ليجبني لولا محبتك الفقرا
والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة ومن ليس محصرا في سبيل الله ومن لا يكتف
فقره ضعفا يقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني والصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة ويدخل فيهم
المتضعف وغيره والمحصر وغيره والصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغنى وكل ما سواه فقير اليه
ومراد المشايخ بالفقر شئ أنقص من هذا كله وهو الافتقار الى الله في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن
يسمى فقرا بل هو حقيقة العمودية ولها وعزل النفس عن مزاجية الروبية كما تقدمت الإشارة اليه
(وأما الاخبار في مدح الفقراء أكثر من أن تحصى) منها (ما روى عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي
الله عنهما) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صاحب له أى الناس خير قالوا رجل (موسى) أى
صاحب مال (يعطى حق الله في نفسه) أى بادهاء ما اقترض الله عليه من الطاعات (وماله) أى باخراج
ما اقترض عليه من الزكاة (قال) صلى الله عليه وسلم (نعم الرجل هذا وليس به) أى ليس بالذى أريده
(قالوا) فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى جهده أى طاقته قال صاحب القوت رويناه عن
اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس
بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له انتهى قلت هكذا رواه أبو نعيم
في الحلية ومن طريقه الديلمي ولقاهما مؤمن فقير يعطى جهده (وقال صلى الله عليه وسلم لبلال) رضى
الله عنه (القي الله فقيرا ولا تلقه غنيا) قال العراقي رواه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث
بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلقظت فقيرا ولا تلقه غنيا اه قلت ظاهره انه عند الطبراني من
حديث أبي سعيد الخدري وليس كذلك بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال هكذا رواه الطبراني
والحاكم جميعا وعندهما زيادة قال وكيف لي يا رسول الله بذلك قال اذ رزقت فلا تجب لغدوا واسئلت فلا
تمنع قال وكيف لي بذلك قال هو ذلك والا فالنار وصححه الحاكم وتعقب وروى الخطيب من حديث
عائشة يا بلال وددت السائل وهذا التمر عندك ان أردت أن تلقى الله عز وجل وهو عنك راض فلا تجب شيئا
رزقه ولا تمنع شيئا سئلته (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال) رواه ابن
ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وفي الخبر المشهور) يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم
بخمسة مائة عام (رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم) وفي حديث آخر باربعين خريفا أى
أربعين سنة (رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر والآن قال فقراء المهاجرين ورواه الترمذي من حديث
جابر وأنس وقد تقدم في ذم الدنيا (فيكون المراد به) أى باربعين خريفا (تقدير تقدم الفقير الحر يص
على الغنى الحر يص) يكون (التقدير بخمسة مائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب وما
ذكرناه) (من اختلاف درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتنا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير
الحر يص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الأربعين الى خمس مائة ولا
تظن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا) أى مجانا (وبالاتفاق) من غير قصد
نكتة أو فائدة (بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم بالبحقيقة الحق فانه) صلى الله عليه وسلم (لا ينطق عن
الهوى ان هو الاوحى بوحى وهذا) بعينه (كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة
وأربعين جزءا من النبوة) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي سعيد ورواه وهو ومسلم من حديث
أبي هريرة وعبد الله بن الصامت وأنس بلقظا ورؤيا المؤمن جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة

فانه تقدير تحقيق لاحتماله ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الابطحمن فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي
ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من (٢٧٤) الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصلاته والملائكة والدار الآخرة

لا كما يعلمه غيره بل مخالفا
له بكثرة المعلومات وزيادة
اليقين والتحقيق والكشف
والثاني أن له في نفسه صفة
بها تتم له الافعال الخارقة
للعادات كما أن لنا صفة بها
تتم الحركات المقرونة بارادتنا
وباختيارنا وهي القدرة
وان كانت القدرة والمقدور
جميعا من فعل الله تعالى
والثالث أن له صفة بها
يبصر الملائكة ويشاهد
كما أن البصير صفة بها يطارق
الاعمى حتى يدرك بها
المبصرات والرابع أن له
صفة بها يدرك ما سيكون في
الغيب امانى البقطة أو في
المنام اذ بها يطالع الالوح
المحفوظ فيرى ما فيه من
الغيب فهذه كالات وصفات
يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم
انقسام كل واحد منها الى
اقسام وربما يمكننا أن
نقسمها الى أربعين والى
خسين والى ستين ويمكننا
أيضا أن نتكاف تقسيمها
الى ستة وأربعين بحيث تقع
الرؤيا الصحيحة جزأ واحدا
من جملتها ولكن نجيب
طريق واحد من طرق
التقسيمات الممكنة لا يمكن
الابطن وتخمين فلا ندري
تحقيقا أنه الذي أراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أم لا

سته وأربعين جزأ هي الرواية المشهورة كما قاله النووي وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضا من
خسة وأربعين ورواه ابن ماجه بلفظ سبعين وفي حديث ابن عمر جزء من سبعين جزأ وهو في صحيح مسلم
وغيره وقال ابن عبد البر لا يختلف في صحته قال وروى عن ابن عباس مرفوعا مثله وذكر ابن عبد البر أيضا
من حديث ابن عمر ومن تسعة وأربعين جزأ وروى من حديث عبادة من أربعة وأربعين وروى
عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعا من خمسين جزأ وروى ابن عبد البر من حديث أنس من ستة
وعشرين ومن حديث أبي رزين العقيلي من أربعين جزأ فهذه ثمان روايات أقلها ستة وعشرين
وأكثرها سبعين وأصحها وأشهرها ستة وأربعين وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل الى أخذ أحدها
وطرح الباقي (فانه تقدير تحقيق لاحتماله ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الابطحمن) وظن
(فاما بالتحقيق فلا) اذ ليس في وسعه ذلك (اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره)
فلا يشكر كفيه (وهو يختص بانواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله) تعالى
(وصفاته) وأفعاله (والملائكة والدار الآخرة) لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين
والتحقيق والكشف والثاني انه له في نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم
الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى
والثالث أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهد عيانا في صورهم (كما أن البصير صفة بها يطارق الاعى
حيث يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما يكون في الغيب امانى البقطة أو في المنام) أو
فيما بينهما (اذ بها يطالع الالوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء
ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام كثيرة) وربما يمكننا ان نقسمها الى أربعين والى خسين والى
ستين ويمكننا أيضا ان نتكاف تقسيمها الى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة (وفي نسخة الصادقة
(واحدة من جملتها) بل وأكثر من الستة والاربعين وذلك لان المراد من هذا الحديث ان المنام الصادق
خصلة من خصال النبوة كما في الحديث الاخر التوبة والاقتصاد وحسن العمت جزء من ستة وعشرين
جزأ من النبوة أى النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة وعشرون هذه الثلاثة الاشياء جزء واحد
منها وعلى مقتضى هذه العجزة كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أجزا في نفسه فاذا ضربنا ثلاثة
في ستة وعشرين صبح لنا ان عدد خصال النبوة من حيث أحادها ثمانية وسبعون ويصح ان يسمى كل
اثنين من الثمانية والسبعين جزءا خلة فيكون جميعها هذا الاعتبار تسعة وثلاثين جزءا ويصح ان يسمى
كل أربعة منها جزءا فيكون مجموع أجزائها هذا الاعتبار تسعة عشر جزءا ونصف جزءا فختلف أسماء
العدد الجزأ بحسب اختلاف اعتبار الاجزاء وعلى هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزا النبوة في
أحاديث الرؤيا المذكورة اضطرابا وانما هو اختلاف مقادير تلك الاجزاء المذكورة (ولكن لتعين
طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الابطن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي أراد
صلى الله عليه وسلم أم لا وانما العلوم) في الجملة (بجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك
لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق) قريبا (فاما لم كان هذا
الفقير الحر يص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من أربعين سنة
الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمس مائة عام فليس في قوة أحد غير الانبياء عليهم السلام (الوقوف
على ذلك) بحقيقته (الابنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض) كلمن سياق هذا الكلام (التنبه على

وانما العلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء
لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحر يص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من أربعين سنة الى
الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمس مائة عام فليس في قوة البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الابنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض التنبه على

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا
منصب النبوة عن ذلك ولترجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعبا في الجنة ضعفاءوها
وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني (٢٧٥) أبغضني الفقر والجها دوروي ان جبريل

عليه السلام نزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد ان الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول أنت أحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا
وتكون معك أينما كنت
فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساعة ثم قال
يا جبريل ان الدنيا دار من
لادار له ومال من لامال له
ولها يجتمع من لا عقل له
فقال له جبريل يا محمد ثبتك
الله بالقول الثابت وروى
ان المسيح صلى الله عليه وسلم
مر في سياحته برجل نائم
ملثم في عباءة فأيقظه وقال
يا نائم قم فاذا كرا الله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد
تركت الدنيا لاهلها فقال
له قم اذا يا حبيبي ومر موسى
صلى الله عليه وسلم برجل
نائم على التراب وتحت
رأسه لبنق ووجهه ملحمته
في التراب وهو متر بعباءة
فقال يارب عبدك هذا في
الدنيا ضائع فآوحى الله
تعالى اليه يا موسى أما علمت
اني اذا انطرت الى عبد بوجهي
كله زويت عنه

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور (الواردة في صحاح الاخبار) فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك
يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا لمنصب النبوة من ذلك) بل كلامه كله
حكم وفوائد وتلويحات عرفها من عرف وجهلها من جهل (ولترجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله
عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعبا) أي اضطجاعا (في الجنة ضعفاءوها) كذا في
القوت قال العراقي لم أجده أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرقين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني
ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجها دوروي ان جبريل عليه السلام
نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول أنت أحب ان أجعل هذه
الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان
الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجتمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول
الثابت) قال العراقي هذا ملق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي امامة عرض على ربي ليجعل
لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولا حدم حديث
عائشة الدنيا دار من لادار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا أه قلت وتعام حديث أبي امامة عند
الترمذي فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقدر واه كذلك أجد وابن
سعد والطبراني والبيهقي وحديث عائشة الدنيا دار من لادار له واه كذلك الشيرازي في الاقارب والبيهقي
ورواه البيهقي أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه (روى ان المسيح عليه السلام مر في) أثناء (سياحته) في
الارض (برجل نائم ملثم في عباءة) له وهي كساء من صوف (فايقظه وقال له يا نائم قم فاذا كرا الله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له قم اذا يا حبيبي) نقله صاحب القوت (ومر موسى
عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنق ووجهه ملحمته في التراب وهو متر بعباءة) له
(فقال) موسى (يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع) نظر الى ظاهر حاله (فاوحى الله اليه يا موسى أما علمت اني
اذا انطرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها) أي صرفتها عنه وضيقها عليه نقله صاحب
القوت (وعن أبي رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيف فلم يجد عنده ما يصلحه) أي من قراه (فارسلني الى رجل من اليهود) وهو أبو السمك (وقال قل
له يقول لك محمد) صلى الله عليه وسلم اسلفني أو قال (بغني دقيقا الى هلال رجب فقال) أبو رافع (فأنتبه)
وقلت له ذلك (فقال) اليهودي (لا والله) لا أسلفني (الابرهني) وثيق فرجعت (فاخبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال) أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني
لأديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه) عنده (فلما خرجت) من عنده (تركت هذه الآلة ولا عدن
عينك الى ما متعنا به أرواجهم زهرة الحياة الآلية وهذه الآلة تعزبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدنيا) قال العراقي رواه الطبراني بسند ضعيف أه قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة وابن راهو به
والبرار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحرثي في مكارم الاخلاق وأبو
نعيم في المعرفة وفيه اذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآلة كأنه يعزبه عن الدنيا
وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله ولا عدن عينك الآلة قال تعزبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بغني دقيقا الى هلال رجب قال فأنتبه فقال لا والله لا
برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لأديت اليه
أذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآلة ولا عدن عينك الى ما متعنا به أرواجهم زهرة الحياة الدنيا الآلية وهذه الآلة
تعزبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا

وقال صلى الله عليه وسلم الفقير (٢٧٦) أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أضحج منكم معافي

في جسمه آمناني سر به عنده
قوت يومه فكأنما حيزت
له الدنيا بخذا فبرها وقال
كعب الاحبار قال الله تعالى
لم نرسي عليه السلام باموسى
اذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين
وقال عطاء الخراساني مر
ني من الانبياء بساحل فاذا
هو برجل يصطاد حيتانا
فقال بسم الله وألقى الشبكة
فلم يخرج فيها شيء ثم مر
بآخر فقال باسم الشيطان
وألقى شبكته فخرج فيها
من الحيتان ما كان يتقاعس
من كثرتها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لم يارب
ما هذا وقد علمت أن كل
ذلك بيدك فقال الله تعالى
للملائكة اكشفوا العبدى
عن منزلة من ما لم يارأى
ما أعد الله تعالى لهذا
من الكرامة ولذلك من
الهوان قال رضى يارب
وقال نبينا صلى الله عليه
وسلم اطلعت في الجنة فرأيت
أكثر أهلها الفقراء
واطلعت في النار فرأيت
أكثر أهلها الاغنياء والنساء
وفي لفظ آخر فقلت أين
الاغنياء فقبل جسمهم الجدد
وفي حديث آخر فرأيت
أكثر أهل النار النساء
فقلت ما شأنهم فقبل
شغلن الاجران الذهب
والزعفران وقال صلى الله

(وقال صلى الله عليه وسلم الفقير أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس) قال العراقي رواه
الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم
رواه ابن عدى في الكامل هكذا اه قلت ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث سعد بن مسعود
باللفظ للفقير أزين للمؤمن من العذار الجيد على خد الفرس (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أصبح منكم
معافي في جسمه آمناني سر به عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بخذا فبرها) رواه البخاري في الادب
والترمذي وحسنه وابن ماجه والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محسن الخطمي عن أبيه رفعه
باللفظ من أصبح منكم آمناني سر به معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم (وقال
كعب الاحبار) (قال الله تعالى) (قال الله تعالى لموسى عليه السلام باموسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل
مرحبا بشعار الصالحين) واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عقلت رواه أبو نعيم في الحلية من قول
كعب غير مرفوع باسناد ضعيف وقد تقدم (وقال عطاء الخراساني) وهو أبو عثمان عطاء بن أبي سليم
واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله صدوق مات سنة خمس وثلاثين روى له مسلم والاربعة ولم يصح ان
البخاري أخرجه (مرني من الانبياء بساحل) أى ساحل البحر (فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال
بسم الله وألقى الشبكة) في الماء (فلم يخرج منها) حوت واحد (ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى
الشبكة) في الماء (فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقايس من كثرتها) كذا في النسخ ولفظ القوت حتى
جعل الرجل يتقاعس من كثرتها (فقال) ذلك (النبي عليه السلام يارب ما هذا وقد علمت ان كل هذا
بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا العبدى عن منزلة من ما لم يارأى) (فلما رأى
ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضى يارب) نقله صاحب القوت (وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها
الاغنياء وفي لفظ فقلت أين الاغنياء فقبل جسمهم الجدد) قال العراقي رواه أحد من حديث عبد الله بن
عمر وباسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيدت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين
واذا أصحاب الجدد محبسون اه قلت وتعام حديث اسامة الا أصحاب النار فقد أمرهم الى النار وقت
على باب النار فاذا عامة من يدخلها النساء وهكذا رواه أيضا أحد والنسائي والحرث وأبو عوانة وابن
حبان وأبو نعيم في المعرفة (وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء) روى ذلك من حديث اسامة
وابن عباس وعمران بن الحصين والاضبط السلي وابن عمر وأما حديث اسامة فرواه الشيخان وقد ذكر قبل
هذا وحديث ابن عباس رواه الطيالسي وأحمد وهناد ومسلم والترمذي وللفظهم اطلعت في الجنة فرأيت
أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ورواه الطبراني وزاد المساكين وحديث
عمران رواه أحمد والبخاري والترمذي باللفظ المذكور ورواه الطبراني وزاد والضعفاء وحديث الاضطبط
رواه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن حارثة بن الاضطبط عن جده باللفظ المذكور وحديث
ابن عمر ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند باللفظ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت
في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء (فقلت ما شأنهن فقال شغلن الاجران الذهب والزعفران)
والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح (وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر)
قال العراقي رواه محمد بن حنفية الشيرازي في شرف الفقراء والديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ
ابن جبل بسند لا بأس به ورواه الديلمي أيضا من حديث ابن عمر بسند ضعيف (وفي الخبر آخر الانبياء
دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لما كان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن
عوف لاجل غناه) تقدم وقال العراقي هو في الاوسط للطبراني باسناد فرد وفيه نكارة (وفي حديث آخر

عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لما كان ملكه
وأخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر

الفسق مقبلا فقل مرحبا
 بشعار الصالحين وإذا رأيت
 الغنى مقبلا فقل ذنب عمت
 عقوبته وقال موسى عليه
 السلام يا رب من أحباؤك
 من خلقتك حتى أحبهم
 لاجلك فقال كل فقير فقير
 فيمكن ان يكون الثاني
 للتوكيد ويمكن ان يراد به
 الشديد الضر وقال المسيح
 صلوات الله عليه وسلامه
 فلا أحب المسكنة وأبغض
 للمعصاة وكان أحب الاسامى
 اليه صلوات الله عليه ان
 يقال له يا مسكين ولما قالت
 سادات العرب وأغنياؤهم
 للنبي صلى الله عليه وسلم
 اجعل لنا يوما ولهم يوما
 يجيئون اليك ولا يجيئون
 ونجى اليك ولا يجيئون
 ينعون بذلك الفقراء مثل
 بلال وسلمان وصهيب
 وأبي ذر ونجباب بن الارت
 وعمار بن ياسر وأبي هريرة
 وأصحاب الصفه من الفقراء
 رضى الله عنهم أجمعين
 أجابهم النبي صلى الله عليه
 وسلم الى ذلك وذلك لانهم
 سكوا اليه التأذى برائحتهم
 ركان لباس القوم الاصف
 في شدة الحر فاذا عرفوا
 فاحت الروائح من ثيابهم
 فاستد ذلك على الاغنياء
 منهم الاقر عين حابس

الشمسي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس الساسي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمعهم واياهم مجلس واحد
فنزله عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجههم ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة
الدنيا يعني الاغنياء

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية) قال العراقي تقدم من حديث حبيب وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وتلوح ويحتمل إذا عرفوا وهذه الزيادة من حديث سلمان اه قلت أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال جاءت المولفة فلوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والقرع بن حابس وذوهم فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنها هؤلاء وأزواج حجابهم يعنون بأبذر وسلمان وفقراء المسلمين وكان عليهم حجاب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فانزل الله وائل ما أوحى اليك من كتاب ربك إلى قوله أحاط بهم سرادقها يتهددهم بالنار فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أممي معكم المحبا ومعكم الممان وأما حديث حبيب فرواه أبو بكر بن أبي شيبة ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الكنود عن حبيب قال جاء القرع بن حابس التميمي وحينئذ بن حصن الفراري فوجد النبي صلى الله عليه وسلم قاعا مع بلال وعمار وصهيب وحبيب في أناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حقرهم فغلبوا به فقالوا اتأخرب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فقلنا فان وفد العرب تأتيتك فنسحقى ان ترانا العرب فعودا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا قد عابا بالصفحة ليكتب لهم ودعا علينا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية أذن جبريل عليه السلام فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة إلى قوله من الظالمين ثم ذكر القرع وصاحبه فقال وكذلك فتنابعضهم ببعض إلى الشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون الآية فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفحة ودعا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم فدفنونا منسحقى وضعا ركبنا على ركبته الحديث وقد رواه كذلك ابن ماجه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل (واستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعشى رضي الله عنه (على النبي صلى الله عليه وسلم) يوما (وعندهم رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عيسى ونولي أن جاءه الاعشى وما يدريك لعله تركى أو يذكر فتدفعه الذكري يعني ابن أم مكتوم أمان استغنى فأتته تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عيسى إلى هذه الصفوف فنأطعمك في أو كسالك في يريد بذلك وجهي فخبذ به فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيمغثال الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه يدمو يدخله الجنة) قال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحبائي فتقول الملائكة ومن أحبائك فيقول فقراء المسلمين فيدفنون منه فيقول أما أني لم أرز الدنيا عنكم لهوان كان بكم على ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا على ما شتمت اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسأني في الحديث الذي بعده اه قلت وتعام

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عيسى ونولي أن جاءه الاعشى وما يدريك لعله تركى أو يذكر فتدفعه الذكري يعني ابن أم مكتوم أمان استغنى فأتته تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالبعد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عيسى إلى هذه الصفوف فنأطعمك في أو كسالك في يريد بذلك وجهي فخبذ به فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيمغثال الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه يدمو يدخله الجنة

فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل (٢٨٠) ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن

الطبراني وابن عساكر وروى صاحب الخليفة من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف ما أبطأ بك عني فقال ما زلت بعدك أحاسب وانما ذلك لكثرة مالي فقال هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهي صدقة على أراميل أهل المدينة (فانظر الى هذا وعبد الرحمن) بن عوف رضى الله عنه (صاحب السابقة العظيمة) فانه هاجر الهجرتين وشهد بدر واحد والمجاهد كلها (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة) رواه أصحاب السنن الاربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذي حسن صحيح ولفظهم أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطه في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة وقدر رواه كذلك ابن أبي شيبة وأحمد وابن منيع وابن أبي عاصم وأبو نعيم في الخليفة والضياع ورواه أيضاً أحمد والترمذي وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده (وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا) متفق عليه من حديث أبي ذر عن أنس حديث تقدم (ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم) قال العراقي لم أجده (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره) قال العراقي متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً ولم يقلوا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث (وقال عمران بن الحصين) رضى الله عنه (كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عبادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمي فقام وقت معي حتى وقف بباب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت ادخل يا بني أنت وأمي يا رسول الله قال أنا ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على الاعباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قدواريته فكيف برأى فالتقي البهامة كانت عليه حكمة فقال شدي بيه قالت هذا جسدي قدواريته فكيف برأى فالتقي البهامة كانت عليه حكمة فقال شدي بيه ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنته كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمعة وزادني وجمعا على ما بي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أضربني الجوع فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث واني لا أكرم على الله منك ولو سألت ربي لا طعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فابن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها وحنيفة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا ضج ولا نصب ثم قال لها اقنعي بآب من عملك فوالله لقد زوجتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة) تقدم هذا بعينه في آخر كتاب ذم البخل وحب المال وذكر العراقي هناك انه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يروه من حديث عمران بن

حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عبادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم يا بني أنت وأمي فقام وقت معي حتى وقف بباب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أدخل قالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على الاعباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قدواريته فكيف برأى فالتقي البهامة كانت عليه حكمة فقال شدي بيه قالت هذا جسدي قدواريته فكيف برأى فالتقي البهامة كانت عليه حكمة فقال شدي بيه ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنته كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمعة وزادني وجمعا على ما بي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أضربني الجوع فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله

حصين

ما ذقت طعاماً منذ ثلاث واني لا أكرم على الله منك ولو سألت ربي لا طعمني ولكن آثرت الآخرة على

الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فابن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها وحنيفة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا ضج ولا نصب ثم قال لها اقنعي بآب من عملك فوالله لقد زوجتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة

حصين) وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهر واعمار الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وما هم الله باربع خصال بالقعط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء) قال العراقي رواه الديلمي باسناد فيه جهالة وهو منكر اه قلت ورواه ايضا الحاكم وصححه وتعقب بلفظ اذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتألبوا على جمع الدراهم الحديث وفيه والصولة من العدو (وأما الآخر) فقد قال أبو الدرداء) رضى الله عنه كذا في النسخ والصواب أبوذر (ذوالدرهمين أشد حسبا أو) قال (أشد حسبا من ذي الدرهم) الواحد رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن سعيد حدثني سليمان بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذوالدرهمين أشد حسبا من ذي درهم (وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر) بن خديم الجمحي رضى الله عنه (بالف دينار) وفي رواية باربع مائة دينار (لجاء خزيينا فقلت امرأته) ما شأنك ما أنت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) في الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفزع الدنيا على وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفزع على وخلفت في أيام عمر الا وأشد أباي أيام عمر (ثم) حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بد لك (قال) أنساعدني على ما أريد قالت نعم قال (أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهلها منها دينارا فقالت له امرأته لو حسبت منها ما تستعين به فقال لها اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ان امرأته من أهل الجنة أثمرت الى الارض الحديث وفيه والله ما كنت لاحترار عليهن فسكنت ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقي روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبراني دون القصة الا انه قال بسبعين عاما وفي اسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له باربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جهم يقال له سعيد ابن عامر بن خديم فقال له اني مستعملك على أرض كذا وكذا فساق الحديث وفيه وما أنا بخائف عن العنق الاول بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للعقاب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كآزف الحسام فيقال لهم هم فقراء عند الحساب فيقولون ما عندنا حساب ولا أتيناونا شأ فيقول ربهم صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلون قبل الناس بسبعين عاما ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبي زياد ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخل في بيته فارسل اليه عمر بمال فآخذه فصره صررا فصدق به يميننا وشمالا الحديث ورواه أبو نعيم أيضا من طريق خالد بن معدان قال استعمل علينا عمر بن الخطاب بحدص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بالف دينار وقال استن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك في خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون بها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبية فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وروى عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهر واعمار الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وما هم الله باربع خصال بالقعط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء (وأما الآخر) فقد قال أبو الدرداء) رضى الله عنه كذا في النسخ والصواب أبوذر (ذوالدرهمين أشد حسبا أو) قال (أشد حسبا من ذي الدرهم) الواحد رواه أحمد في الزهد عن يحيى بن سعيد حدثني سليمان بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال ذوالدرهمين أشد حسبا من ذي درهم (وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر) بن خديم الجمحي رضى الله عنه (بالف دينار) وفي رواية باربع مائة دينار (لجاء خزيينا فقلت امرأته) ما شأنك ما أنت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) في الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفزع الدنيا على وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفزع على وخلفت في أيام عمر الا وأشد أباي أيام عمر (ثم) حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بد لك (قال) أنساعدني على ما أريد قالت نعم قال (أرني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهلها منها دينارا فقالت له امرأته لو حسبت منها ما تستعين به فقال لها اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ان امرأته من أهل الجنة أثمرت الى الارض الحديث وفيه والله ما كنت لاحترار عليهن فسكنت ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقي روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبراني دون القصة الا انه قال بسبعين عاما وفي اسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له باربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جهم يقال له سعيد ابن عامر بن خديم فقال له اني مستعملك على أرض كذا وكذا فساق الحديث وفيه وما أنا بخائف عن العنق الاول بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للعقاب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كآزف الحسام فيقال لهم هم فقراء عند الحساب فيقولون ما عندنا حساب ولا أتيناونا شأ فيقول ربهم صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلون قبل الناس بسبعين عاما ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبي زياد ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخل في بيته فارسل اليه عمر بمال فآخذه فصره صررا فصدق به يميننا وشمالا الحديث ورواه أبو نعيم أيضا من طريق خالد بن معدان قال استعمل علينا عمر بن الخطاب بحدص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بالف دينار وقال استن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك في خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج ما نكون بها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبية فقال انفق هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربت بك وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وعرضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين (٢٨٢) ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجسها جميعا ولورغب في الجنة كما

يرغب في الغنى لنفاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لاسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ما عون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحد الخلق ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بجالسهم من علامة الصالحين وفرارك من محبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فسقط عن عيني فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وادعوا لهما الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد أوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد) وهذا قد رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد وفيه رجل غسل ثيابه فزججه خلفه ورجل لم ينصب على مستوقد قدران ورجل دعا بشرا به فلم يقل له أيها تريد (وقيل جاء فقير إلى مجلس) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (فقال له) الثوري (تخط لو كنت غنيا لما قربت بك) رواه أبو نعيم في الحلية (وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وعرضه عن الاغنياء) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال المؤمل) بن اسمعيل البصري أبو عبد الرحمن زيل مكة (ما رأيت الغنى أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجسها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في الغنى لنفاز بها جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لاسعد في الدارين جميعا) نقله صاحب القوت وقد تقدم نحوه في كتاب الخوف (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعناه يابني لا تحقرن أحد الخلق ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ (الرازي رحمه الله تعالى) حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بجالسهم من علامة الصالحين وفرارك من محبتهم من علامة المنافقين) نقله صاحب القوت (وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا) نقله صاحب القوت (ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية) بن أبي لهيان (وابن عامر) عبد الله (وغيرهما وادعوا لهما الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت) تقدم وان الذي أرسل إليها مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير وان الجارية هي مولاتها أم درة (وكان قد أوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللعوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى درعك حتى ترقعه) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها اه قلت لفظ الحاكم ان أردت اللعوق بي فليكنك من الدنيا كزاد اراك وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى حتى ترقعه وقد رواه البيهقي كذلك (وجاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى) بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا) رواه القشيري في الرسالة بلفظ ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى ان يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل والله الموفق

(بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصابرين)

وفي نسخة والصادقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي وقال صحيح والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة ابن عبيد وقد تقدم وروى البيهقي من حديث أبي الحويرث والدليل من حديث عبد الله بن حنطب

ابن

ان أردت اللعوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك وبجالسة الاغنياء ولا تنزى درعك حتى ترقعه و جاء رجل

إلى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ان يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه *(بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به

وقال صلى الله عليه وسلم لم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بشواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضى وبكاد يشهر هذا بفهمه وان الحر يص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على (٢٨٣) أنه ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد

بعدم الرضا هو الكراهة لفعول الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل ثنى مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة قال العرقى روى الدارقطنى في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدى في الكافي وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وأورده القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا زيار بن أحمد بن محمد بن رجاء البراز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن معبد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ثنى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث (وروى عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الذقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه أن الله يحب الذقير المتعفف اه قات وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدرى الراضى بكتابى القانع برزقى التارك لشهوته من أجل هو عندى كبعض ملائكتى (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ رزق بدل قوت قال العرقى واهم سلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بافظ قوتا اه قلت لفظ مسلم اللهم ارزق آل محمد كفافا لفظ المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والنسائي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقى اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (ممن أحدغى ولا فقير الاود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا) رواه ابن جهم من حديث أنس وقد تقدم (وأوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون) وتقدم لاه صنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام الهى أين أبغيتك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلنى (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العرقى روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (فهذا) ماورد (في القانع والراضى وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع) فان القناعة هي الاجزاء باليسير من الاعراض المحتاج اليها والطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة (وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

ابن الحرث طو يمان رقه الله الكفاف ثم صبر عليه (وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضا من قلوبكم تطفروا بشواب فقركم والا فلا) قال العرقى روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جدا وأحمد بن الحسن بن أبان المضرى منهم بالكذب ووضع الحديث اه قات وهو يضم الميم وفتح الضاد المعجمة ويصرف بالابلى وقد روى عن أبي عاصم قال الدارقطنى كذاب (فالاول القانع وهذا) وفي نسخة والثانى (الراضى وبكاد يشهر هذا بفهمه وان الحر يص) الذى هو أحد أقسام الفقير (لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أنه ثوابا كما سيأتى تحقيقه) قريبا (فلهل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعول الله تعالى في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل ثنى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة) قال العرقى روى الدارقطنى في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدى في الكافي وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اه قلت وأورده القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا زيار بن أحمد بن محمد بن رجاء البراز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن معبد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ثنى مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث (وروى عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الذقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه أن الله يحب الذقير المتعفف اه قات وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدرى الراضى بكتابى القانع برزقى التارك لشهوته من أجل هو عندى كبعض ملائكتى (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ رزق بدل قوت قال العرقى واهم سلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بافظ قوتا اه قلت لفظ مسلم اللهم ارزق آل محمد كفافا لفظ المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والنسائي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقى اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (ممن أحدغى ولا فقير الاود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا في الدنيا) رواه ابن جهم من حديث أنس وقد تقدم (وأوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون) وتقدم لاه صنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام الهى أين أبغيتك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلنى (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد فضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العرقى لم أجده بهذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العرقى روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (فهذا) ماورد (في القانع والراضى وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع) فان القناعة هي الاجزاء باليسير من الاعراض المحتاج اليها والطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة (وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقدرى ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضى وأما الزاهد فسند كرفله في الشطر الثانى من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة بضادها الطمع وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه ان الطمع فقر والبأس غنى وانه من يش عساى أيدي الناس وقع استغنى عنهم

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مامن يوم الاوملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطعك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مامن أحد الا وفي عقله (٢٨٤) نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرح مسرورا والليل والنهار ثابتان في

عدم عزمه ثم لا يحزنه ذلك
ويج اس آدم ما ينفع مال
يزيد وعمر ينقص وقيل
لبعض الحكماء ما الغنى قال
قوله غنيك ورضاك بما يكفيك
وقيل كان ابراهيم بن أدهم
من أهل النعم بخراسان
فبينما هو يشرف من قصر
له ذات يوم اذ نظر الى رجل
في فناء القصر وفي يده رغيف
ياكله فلما أكل كل نام فقال
لبعض غلامانه اذا قام فخفي
به فلما قام جاء به اليه فقال
ابراهيم أيها الرجل أكلت
الرغيف وأنت جوع قال نعم
قال فشبع قال نعم قال ثم
نمت طيبا قال نعم فقال
ابراهيم في نفسه فما صنع
أنا بالدنيا والنفس فتنعس
بهذا القدر ومروا رجل بعاص
ابن عبد القيس وهو يأكل
ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد
الله أرضيت من الدنيا بما
فقال أذلك على من رضى
بشر من هذا قال بلى قال من
رضى بالدنيا عوضاً عن
الآخرة وكان محمد بن واسع
رحمة الله عليه يخرج خبزاً
يا بسا فيه له بالماء ويأكله
بالماء ويقول من رضى من
الدنيا بما لا يحتاج الى أحد
وقال الحسن رحمه الله لعن
الله أقواماً قسم لهم الله

عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عروة في شاعية تعلمون ان الطمع فقر وان الياس غنى وان الرجل اذا نيس من شيء استغنى عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه يضا عن أبيه حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب عن الثوري عن هشام عن أبيه عن زيد بن الصلت عن عمر بن الخطاب (وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضى الله عنه (ما من يوم الاوملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطعك) روى أبو داود والطحاوي عن أبي الدرداء ما طاعت شمس الا ويحبسها ملكان يناديان بسمعان الخلاق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ما قبل وكفى خيرا مما كنتم والهي تفرد به فتادة عن خبيد البصري عن أبي الدرداء (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ما من أحد الا وفي عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرح مسرورا والليل والنهار ثابتان في عدم عزمه ثم لا يحزنه ذلك ويج ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة غنيك ورضاك بما يكفيك) أي عدم تعلق النفس بالمال والرضا بما يسره في الحال وهذا أحسن ما عرف به الغنى (وقيل كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من أهل النعم بخراسان) اذ كان والده من أمراء بلخ (فبينما هو) يشرف من قصر ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال (ابراهيم) (لبعض غلامانه) ادا قام (هذا الرجل من نومه) (فخفي به) فانتظره (فلما قام جاء به اليه فقال) له (ابراهيم) أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبع قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه فما صنع أنا بالدنيا والنفس فتنعس بهذا القدر ومروا رجل بعاص بن عبد القيس (وكان من الصديقين) (وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد الله) (أرضيت من الدنيا بما فاق قال) (أذلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عرضاً عن الآخرة) (والحظ القوت) وكان عاص بن عبد قيس اذا عوتب في تعلقه من الدنيا يقول بل أنتم والله رضىتم بالقليل وكان غيره يقول اذا قيل له أزهت الناس فقال أنتم أزهتني لاني زهدت في قليل يغني وانتم زهدتم في كثير يبقى (وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله) تعالى (يخرج خبزاً يا بسا فيه له بالماء ويأكله بالماء ويقول من رضى من الدنيا بما لا يحتاج الى أحد) قال أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن رجل قال قال محمد بن واسع ابنه ليس كل ساعة تبقى انما قال فدعا خبز وملح ثم جعل يأكل فقال ترائي أقنع بهذا وأرضى به أعينهم وادخل معهم أوألى لهم وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني سليمان بن وكيع قال سمعت أبي يقول بلغني ان محمد بن واسع أريد على القضاء فابى فعاتبته امرأته قالت لك عيال وأنت محتاج قال مادمت ترى نبي أصبر على النحل والبقول ولا تطمعين في هذا مني (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (لعن الله أقواماً قسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ) هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء والارض انه لحق الآية) (وكان أبو الدرداء) رضى الله عنه (وفي بعض النسخ أبوذر) (جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء وابنه مافي البيت هفة ولاسفة) أي ما يهين ويسف (فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤود لا ينجو منها الا كل يخف فرجعت وهي راضية) (رواه أبو نعيم في الحلية) من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن هلال بن يساف عن أم الدرداء قالت قلت لأبي الدرداء مالك لا تطيب لاضيانك كما يطيب غيرك لاضيافهم فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم عقبة كؤود لا يجوزها الاقلون فانا أحب ان اتخفف لتلك العقبة تفرد به موسى الصغير عن هلال وروى الحرث بن أبي أسامة

تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ في السماء رزقكم وما تعدون فو رب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبوذر رضى الله عنه يوم جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله مافي البيت هفة ولاسفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤود لا ينجو منها الا كل يخف فرجعت وهي راضية

وقال ذوالنون رحمه الله أقرب الناس إلى الكفر ذوقاً لاصبر له وقيل لبعض الحكماء ممالك فقال التَّجَمُّلُ في الظاهر والافساد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المتزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجهات حسابها على غيرك فأنما يحسن اليك وقد قيل في القناعة (٢٨٥) اضرع إلى الله لا تضرع إلى

الناس
واقنع بياس فان العز في
اليأس
واستغن عن كل ذي قربي
وذي رحم
ان الغنى من استغنى عن
الناس
وقد قيل في هذا المعنى
أيضاً
يا جامعاً مانعاً والدرير يرمقه
مقدراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتبه منيته
أغادياً أم هم يأسري فتطرقه
جعت ما لا فضل لي هل
جعلته
يا جامع المال أيا ما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
ان الذي قسم الارزاق
برزقه
فالعرض منه مصون ما
يدسه
والوجه منه جدي ليس يخلفه
ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في ظلهما ما يورقه
*(بيان فضيلة الفقر على
الغنى)*
اعلم ان الناس قد اختلفوا
في هذا فذهب الجنييد
والخواص والاكثر
إلى تفضيل الفقر وقال ابن
عطاء لغنى الشاكر القائم

في مسنده من طريق أبي أسامة الرحى أنه دخل على أبي ذر وهو بالبدوة عنده امرأة سوداء شعثاء ليس عليها أثر المجامد والخلوق قال فقال الاتظرون إلى ما أنا مرنى به هذه السوداء تأمر في أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا على بنيهم وأن خلبلي عهد إلى أن دون جسر جهنم طريقا إذا دحض وضله وأنا أن نأني عليه وفي أحد لنا اقتدار أخرى أن نخبر من أن نأني عليه ونحن موابير (وقال ذوالنون) المصري رحمه الله تعالى (أقرب الناس إلى الكفر ذوقاً لاصبر له) وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفراً (وقيل لبعض الحكماء ممالك قال التَّجَمُّلُ في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المتزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجهات حسابها على غيرك فأنما يحسن اليك وقد قيل في القناعة اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس * واقنع بياس فان العز في اليأس واستغن عن كل ذي قربي وذي رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس وقد قيل في هذا المعنى أيضاً

(يا جامعاً مانعاً والدرير يرمقه * مقدراً أي باب منه يغلقه مفكراً كيف تأتبه منيته * أغادياً أم هم يأسري فبطرقه) أي يأتيه ليلاً (جعت ما لا فضل لي هل جعلته * يا جامع المال أيا ما تفرقه) (المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه) (أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * ان الذي قسم الارزاق برزقه) (فالعرض منه مصون ما يدسه * والوجه منه جدي ليس يخلفه) (ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلهما ما يورقه) *(بيان فضيلة الفقر على الغنى)*

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا في هذه فذهب) أبو القاسم (الجنييد) ابراهيم بن أحمد (الخواص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والاكثر) من المشايخ (إلى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذي لا يحيد عنه (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الأدي المتوفى سنة ٣٠٩ (الغنى) الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنييد رحمه الله تعالى (دعا على ابن عطاء) وبأهله في هذه المسئلة (لخالفته إياه في هذا) وإنكاره له أشد الانكار (فاصابته بحنة) واستجيب فيه دعاء الجنييد وكان الجنييد يقول الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وانساو باقي المقام بحكم حاله لان الغنى التي يمنع نفسه ونعم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته السلام والمساورة فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيئاً وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عنه فقلت له يحتاج إلى علم فقال ويحك اسكت صبره على الفقر وقاساته للضرخ من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا (وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل) أما الفقير والغنى إذا أخذ مطلقاً (أي لم يشك من قرأ) وفي نسخة رأى (الاخبار) طالع (الآثار في تفضيل الفقر) مطلقاً ومنها ما يخص الراضين بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنييد دعا على ابن عطاء لخالفته إياه في هذا فاصابته بحنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقير والغنى إذا أخذ مطلقاً يستريح من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر

ولابد فيه من تفصيل فنقول انما يسور (٢٨٦) الشك في مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع بأدراص

بالفقر والناعين من الفقراء والبصيرة تعضد ذلك لما فيه من عدم المشغلات والعجز عن قضاء الاوطار
المذمومة وتخفف الحساب في القيامة وهذا يصح ان يكون مسلكا في تفضيله على الغني (و) لكن
(لا بد فيه من تفصيل) يرفع عنه نقاب الخفاء فنقول انما يتصور الشك في مقامين أحدهما (في فقير
صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع راض بالاضافة الى غنى منفق ماله في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال والثاني) في (فقير حريص) على الطلب (مع غنى حريص) على امساك المال (اذ لا يخفى
ان الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك) على المال (وان الغني المنفق ماله في الخيرات فضل
من الفقير الحريص) فهذه أربع مقامات وانما الشك في المقامين الاولين (أما الاول فربما يظن ان
الغني أفضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى) زائد عليه فانه (متقرب
بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه) لفقد المال (وهذا هو الذي ظنه) أبو العباس (بن عطاء)
فما ذهب اليه (فما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح) شرعى (فلا يتصور ان يفضل
على التقير القانع وقد يشهد له) أي لابن عطاء (ماروى في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات وكر لهم انهم
ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكأنوا يقولونه فمادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه اه قات
لفظهما الا احديثكم بحديث ان اخذتم به أدركتم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين
ظهرانيه الامن عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين وفي لفظ البخاري
قال الفقراء ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم انقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من
فضول أموالهم ولبست لنا أموال فقال ألا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء
بعدكم ولم يأت بمثله تسبحون في بر كل صلاة عشر وتسبحون في بر كل صلاة عشر وتسبحون في بر كل
ورواه مسلم نحوه وهو بهذا اللفظ عند الطيالسي من حديث أبي الدرداء وروى ابن ماجه من حديث
أبي ذر ألا أخبركم بأمر اذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وفيتم من بعدكم تحمدون الله في بر كل صلاة وتسبحونه
وتكبرونه ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين وأربعاً وثلاثين وروى ابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة (وقد
استشهد ابن عطاء أيضا ما سئل عن ذلك) سأل بعض الشيوخ عن الوصفين أيهما أفضل (فقال الغنى
أفضل لانه وصف الحق أمادليه الاول) وهو التمسك بحديث أبي هريرة (ففيه نظر لان الخبر) المذكور
(قد روى مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان
فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء) وبيانه ان هذا عند أولى الالباب في تدبر الخطاب يعني به
الفقراء لانه قبل لهم في أول الكلام ان فعلتم ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم
ثبت هذا القول من الرسول وضح فاجابه بعده يكون محجولا عليه ومفسرا له ولم يحجز ان ينقلب الخطاب لانه
أخبار عن شيء فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبر عن أمر يقول آخرفلما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء
من الذكر وقف الفقراء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنظروهم الى مزيد الاغنياء عليهم بفضل
القول فرجعوا اليه يستفتون منه الخبر ويستثبتون عنه ما به أخبر فقال لا تنجبوا فان الذي قلت كما قلت
هو فضل الله يؤتيه من يشاء فاتهم عن يشاء ان يؤتيه فضله فثبتهم في القول الاول ولم يرجع هو عن قوله
الى نقيضه فصح هذا التأويل عن ما له الذي يؤل اليه باستنباط باطن العلم عنه وبطل حل ان عطاء
ومن وافقه الخبر على ظاهره ولما يأتهم تأويله بل كذبوا عما يحيطوا بعلمه اذ لم يعطوا حقيقة خبره وهو
حيته اذ تأويل الحق الذي هو ما له وحقيقته عند الله تعليم من الله ليس على ظاهر الخطاب يستنبطه

بالاضافة الى غنى منفق ماله
في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال والثاني
فقير حريص مع غنى حريص
اذ يخفى أن الفقير القانع
أفضل من الغنى الحريص
الممسك وأن الغنى المنفق
ماله في الخيرات أفضل من
الفقير الحريص أما الاول
فربما يظن أن الغنى أفضل
من الفقير لانهما تساويا
في ضعف الحرص على المال
والغنى متقرب بالصدقات
والخيرات والفقير عاجز عنه
وهذا هو الذي ظنه ابن
عطاء فمما نحسبه فاما الغنى
المتمتع بالمال وان كان في
مباح فلا يتصور أن يفضل
على الفقير القانع وقد
يشهد له ماروى في الخبر ان
الفقراء شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق
الاغنياء بالخيرات والصدقات
والحج والجهاد فعلمهم كلمات
في التسبيح وذكر لهم انهم
ينالون بها فوق ما ناله
الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك
فكأنوا يقولونه فمادوا الفقراء
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروه فقال عليه
السلام ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقد استشهد ابن
عطاء أيضا ما سئل عن ذلك
فقال الغنى أفضل منه وصف
الحق أمادليه الاول وفيه
نظر لان الخبر قد ورد مفصلا
تفصيلا يدل على خلاف
ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء

فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء (٢٨٧) ذهبوا بالخبر يحجون ولا تقدر عليه ويعتبرون ولا تقدر عليه

وأذا مرضوا به وثاب فضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن ابن صبر واحسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصال واحدة فإن الجنة غرنا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها إلا من شهد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام الثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم بهذا الجواب (فقالوا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به عليهم أغنيائهم فقال يا معشر الفقراء ألا بشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واستاده ضعيف (فهذا يدل على ان قوله) في الخبر الاول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغنى وصفاً لمحق فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذى سألته عن الوصلين أيهما أفضل (فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع) ابن عطاء (ولم ينطق) بحرف اذ كان ذلك تسجيلاً عليه وهذا كما قاله الشيخ لان الحق سبحانه غنى بوصفه فالفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالاعمال لا بالاسباب لانفرادهم بها والفضل والى الحق أقرب فالغنى فانه منشئت مجتمع بالاسباب فهو مفضل لا لارتباب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر والفقير صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها (وأجاب آخرون فقالوا) هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فان (التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع) لذى هو من صفات العبد وكذلك الجود والعز لان ذلك كله صفة الحق فلما أجعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه (ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر) وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينافر فيها ولا يشارك بل ينبغي ان يسلم صفات الحق للحق فبطل قول ابن عطاء (ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبرياء رداً والعظمة ازارى فن نازعنى واحداً منها قصمته) تقدم في ذم التكبر وفي العلم (وقال أبو محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى تخالفناه وموافقا لما ذهب اليه الجنيدي (حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت قال سهل من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة فاذا ثبت

اولو الالباب وقد قال فقهاء في الدين وعلمه التأويل شهد لبطان تأويلهم قول الرسول في أول الكلام لا يسبقكم من قبلكم ولا يلحقكم من بعدكم فكان قوله الثاني موافقاً لقوله الاول اذ لم يناقض الاول بالآخر فهذان من بحر البيان في قوله ان من البيان لبحر (فقد) جاء دليل ما قلناه مفسراً مكشوفاً في الخبر الذى (روى زيد بن أسلم) العدوى التبعي مولى عمر مات سنة ست وثلاثين (عن أنس بن مالك) رضى الله عنه (قال بعث الفقراء رسولاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة) أى بالدرجات فيها (يحجون ولا تقدر عليهم يعتبرون ولا تقدر عليه) وإذا مرضوا به ثاب فضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن ابن صبر واحسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصال واحدة فإن الجنة غرنا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض الى نجوم السماء لا يدخلها إلا من شهد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام الثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم بهذا الجواب (فقالوا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به عليهم أغنيائهم فقال يا معشر الفقراء ألا بشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واستاده ضعيف (فهذا يدل على ان قوله) في الخبر الاول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغنى وصفاً لمحق فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذى سألته عن الوصلين أيهما أفضل (فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع) ابن عطاء (ولم ينطق) بحرف اذ كان ذلك تسجيلاً عليه وهذا كما قاله الشيخ لان الحق سبحانه غنى بوصفه فالفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالاعمال لا بالاسباب لانفرادهم بها والفضل والى الحق أقرب فالغنى فانه منشئت مجتمع بالاسباب فهو مفضل لا لارتباب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر والفقير صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها (وأجاب آخرون فقالوا) هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فان (التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع) لذى هو من صفات العبد وكذلك الجود والعز لان ذلك كله صفة الحق فلما أجعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه (ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر) وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينافر فيها ولا يشارك بل ينبغي ان يسلم صفات الحق للحق فبطل قول ابن عطاء (ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبرياء رداً والعظمة ازارى فن نازعنى واحداً منها قصمته) تقدم في ذم التكبر وفي العلم (وقال أبو محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى تخالفناه وموافقا لما ذهب اليه الجنيدي (حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت قال سهل من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة فاذا ثبت

من صفات الحق فينبغي ان يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينافر فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم التكبرياء رداً والعظمة ازارى فن نازعنى واحداً منها قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهم من صفات الرب تعالى

فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى (٢٨٨) والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تتبع مناقضتها

ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية والخلق العبودية هي اخلاق الايمان وهي التي احبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها واصناف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن يقول لما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لا بغض خلقه اليه وهو وابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدار فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى انما يراد بالبقاء (فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى) على الفقر (بانه صفة الحق بالتكبر) ولعز والبقاء (فكذلك يناقض قول من ذم الغنى) وفضل الفقر (بانه وصف العبد بالعلم) والعرفة (والقدرة) فانه وصف الرب تعالى والجهل (والغفلة) والمجزو وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة والمجزو على العلم والقدرة فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله) وابطاح ذلك انه تقدم ان الفقر مطلق ومقيد والطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك فالغنى الميراد لذاته والفقر الميراد لذاته سيأتي في أصل المقام لان من افتقر الى الله استغنى به ومن استغنى بالله افتقر الى الله فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله فليبقى الالمقيد من كل واحد وقد قلنا ان المقيد ماله تعلق الوجود بالسال وفقدته فلنذكر آفات السال وفوائده فمن تخلى من آفاته وتخلى بفوائده فهو الأفضل والا فالعكس واحال فوائده ثلاث * الاولى ان ينفقه على نفسه اما في عبادة أوفى الاستعانة على عبادة والقلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين والفقر محروم من فضل ذلك * الثانية ما بقي به العرض ويحصل به المروءة وحسن الخلق وما يتبقى به اضاءة الاوقات كالخدام فان الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه اذا تولاهما غيره استفاد عمرا جديدا يصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم بحجة الله والانسان به * الثالثة وهو ما يتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطارق وغير ذلك مما هو مستحب لادعية الصالحين والعمال ايضا آفات ثلاث * الاولى انه يجري الى المعصية ومن العصية ان لا يجد والصبر مع القدرة شديد * الثانية انه يجري الى التمتع بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والنقيض بمعزل عن ذلك * الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ما شغل عن الله تعالى فهو وخسران فلا فضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات ومن لم يكن كذلك والافنى الفقر السلامة الكبرى وهذا حاصل ما يذكره المصنف فلنشرع فيه قال (والدنيا ليست بمحذورة لعينها) أى لذاتها (ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان الشخص والاحوال (والدنيا معشوقة الغافلين) والفتن (المحروم عنها مشغول بطاها) باى وجه

اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست بمحذورة لعينها ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في

وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطاها اتفاق

والقادرو عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فإذا انقضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا
كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت الامر باعتبار
الاكثر فالفقير عن الخبز أبعد أذقتة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان (٢٨٩) لا يقدر ولا قال الصحابة رضي الله عنهم

بليبا بفتنة الضراء فصبرنا
وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر
وهذه خلقة الادميين كلهم
الا ان الشاذ الذي لا يوجد
في الامصار الكثرة الانادر
ولما كان خطاب الشرع
مع الكل لامع ذلك النادر
والضراء أصح للكل دون
ذلك النادر جزر الشرع عن
الغنى وذمه وفصل النهر
ومدحه حتى قال المسيح
عليه السلام لا تنظروا الى
أموال أهل الدنيا فان بريق
أموالهم يذهب بنور إيمانكم
وقال بعض العلماء تغليب
الاموال على حلاوة
الايمن وفي الخبر كل أمة
عجلا وعجل هذه الأمة الدينار
والدرهم وكان أصل عجل
قوم موسى من حلية الذهب
والفضة أيضا واستواء
المال والماء والذهب والجزر
انما يتصور للانبياء عليهم
السلام والاولياء ثم يتم لهم
ذلك بعد غسل الله تعالى
بطول المجاهدة اذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا الدنيا اليسك عنى اذ
كانت تمتثل له بزيتها
وكان على كرم الله وجهه
يقول يا صفراء غري غبرى
ويا بيضاء غرى غبرى

افق (واقدر انهم مشغول بحفظها) ورعايتها وتمتعها (وبالتمتع بها فاذا انقضت فارغين عن حب
المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة
الضرورية (ووجه قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت
الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخبز أبعد) والداعية لا تتحرك الا باستشعار القدرة فان صبر فالصبر مع
القدرة شديد (اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر) وهو من قول علي رضي الله
عنه كما تقدم (ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بليبا بفتنة الضراء فصبرنا وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر)
روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كفى الحلية وقد تقدم (وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ
الذي لا يوجد في الامصار الكثرة الانادر) والنادر كالمعذور (ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لامع ذلك النادر والضراء أصح للكل دون ذلك النادر جزر الشرع عن الغنى وذمه وفصل النهر ومدحه
حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم) نقله
صاحب القوت (وقال بعض العلماء تغليب الاموال على حلاوة الايمان) نقله صاحب القوت (وفي
الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم) قال صاحب القوت ويناه من طريق وقال
العرفاء روى الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة باسناد فيه
جهالة اه قلت لفظ الديلمي لكل أمة عمل يعبدونه وعن أبي الدراهم والدنانير وروى أيضا من حديث
أبي هريرة لكل نبي آفة تفسد وأعظم الآفات آفة تعيب أمتي حبهم الدنيا وحبهم الدينار والدرهم
وفي القوت وفي الاثر لكل أمة فتنة وان فتنة أمتي هذا المال (وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام
(من حلية الذهب والفضة أيضا) كما هو بنص القرآن (فاستواء المال والماء والذهب والجزر انما يتصور
للانبياء والاولياء) روى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال ضرب عيسى عليه السلام
بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدرة قال لا صحابه أيمه ما أحلى في
قلوبكم قالوا الذهب قال فانه ما عدى سواء (ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى) عليهم (بطول المجاهدة اذ
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا الدنيا اليسك عنى اليك عنى اذ كانت تمتثل له بزيتها) روى الحاكم مع
اختلاف وقد تقدم في ذم الدنيا (وكان على رضي الله عنه يقول يا صفراء غرى غبرى ويا بيضاء غرى غبرى)
رواه أحمد في الزهد حدثنا وهب بن اسمعيل حدثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالي عن علي بن أبي
طالب قال جاء ابن النباغ حتى قام على بيت مال المسلمين فقال هذا خبائي وخياره فيه اذ كل جان يده الى نفسه
يا ابن النباغ على يا سباع الكونة قال فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء
ويا بيضاء غرى غبرى ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنفخه وصلى فيه ركعتين (وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار به الوالان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله
عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد
تقدم (واذا كان ذلك بعد الاصل لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات)
ووجوه البر (لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة

(٣٧) - (انحاف السادة المتقين) - (ثامن) وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار به الوالان رأى
برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيسد فاذا
الاصح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
واستشعار راحة

في بذلها لكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفتين صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجهتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطامع نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها فإذا

في بذلها) وصرفها (وكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدنيا وزهرتها) أي تباعد (والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ) عن شغل (وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجهتان متقابلتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد من الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطامع نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها فإذا افضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجاتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليجرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق انه اذا كان مغروراً وان العشق كان مستكناً في الفؤاد استكأن النار تحت الرماد أو) استكأنها في قلب (الزناد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء) فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور (وان كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته) بها (يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته فان حركات اللسان) بالاذكار (ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالمد كور فلا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ عن غير المذ كور كما نيره في قلب مشغول) وهذا هو المراد من الخبر ان توت واسانك وطب بذكر الله (ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء) وكان يحسب من معاذي قول اذا كان التعبد والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعني من حكمة ولا معرفة (و) قال آخر مثل من زهد في الدنيا مع التمتع فيها (مثل من يغسل يده من الغمر بالسمن) كذا في القوت (وعن النخاع) بن مزاحم الهلالي المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعه مات بعد المائة (قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشبهه فصبر واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله

فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجاتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليجرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق اذا أنه كان مغروراً وأن العشق مستكناً في الفؤاد استكأن النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء والاولياء واذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته

يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالمد كور ولا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ من غير المذ كور كما نيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمن وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وعن النخاع قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشبهه فصبر واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله

أدع الله لي فقد أضرب العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أنزل من دعائي وكان يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جسد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال (٢٩١) أصح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ

تعالى (ادع الله لي فقد أضرب العيال فقال) بشر (إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي) كذا في القوت (وكان) بشر (يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جسد الحسناء) كذا في القوت (وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء) لانهم ليسوا أهلا لان يؤخذ عنهم ذلك (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي) النصف بحركة اسم من الانتصاف (والزهد فيما جاوز الكفاف) نقله صاحب القوت (وإذا كان مثل الصديق) رضي الله عنه (في حال كماله) ومع شدته وقوته (يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصح من وجوده) أو يتردد فيه (هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب) كذا في الخبر وتقدم (ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كراه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيما رواه الطبراني من حديث أبي امامة وقد تقدم قريبا (ولهذا قال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واجب كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق به في سبيل الله قبل وما تذكره قال سوء الحساب) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن عبد الله حدثنا عمر بن زرارة حدثنا الحماري عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة أرجح فيه كل يوم أر بعين دينارا وأتصدق بها كلها في سبيل الله قبل له يا أبا الدرداء وما تذكره من ذلك قال شدة الحساب ورواه محمد بن جندب التماري عن الحماري فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه (ولذلك قال شقيق بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى) (اختار الفقراء ثلاثة أشياء) (و) (اختار) (الأغنياء ثلاثة أشياء) (اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب) فان الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم وتفرغت قلوبهم لله تعالى وسخف حسابهم غدا بخلاف الأغنياء الواجدى المال فانهم اتعبوا أنفسهم في حفظه وتبته وشغلوا قلوبهم بحبه وسيشدد حسابهم غدا (وما ذكره ابن عطاء) رحمه الله تعالى في جواب السائل لما سأله أي الوصفين أفضل (من ان الغني وصف الحق) تعالى (فهو بذلك أفضل) لان أوصاف الحق كلها مفضلة (صحح) ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فيكون كالماء فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه غنى الله تعالى (لأن الله تعالى) (غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق) أو يفرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر (وما ذكر في الرد عليه) أي على ابن عطاء (بان الله ليس غنيا بالأسباب والاعراض) هو أيضا (صحح) لكن (في ذم غنى يريد بقاء المال) (أما ما ذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد) فهذا (غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى) كمال (العبد) وسعادته (ان يتخلق باخلاق الله تعالى) وان يتخلق بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه ومن لم يكن له منها حظ الابان يسمع لفظا ويفهم في اللغة تفسيره ووصفه ويعتقد

حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واجب كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق بها في سبيل الله تعالى قبل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود

المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله ليس غنيا بالاعراض والأسباب صحح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى

وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يرفع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شيء وأنه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بانه يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجدار والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به هذه الصفة رؤى بحقيقة لا شك فيها له كانت صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة في حقه الا أنه لا سبيل له

بالقلب وجود معناه الله تعالى فهو مضمون الحظ نازل الى وجه ليس يحسن ان يتجسس بماله فقد روى الطيالسي والحكيم وأبو يعلى من حديث عثمان بن اسناد ضعيف ان لله مائة خلق وبعثة عشر خلقه فمن أنى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وحظوظ المقرين من معاني اسماء الله تعالى ثلاثة الاول ان ينكشف لهم اتصاف الله تعالى به ان يكشفوا بحجى البقى الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة الثانية استغناءهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات لينتقروا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان الثالث السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخاقق بها والتخلي عما منها وبه يصير العبد بانوار فيقال للملائكة الاعلى من الملائكة (وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب) ولفظ المصنف في خاتمة المقصد الاسنى ولقد سمعت الشيخ أباعلى الفارمدى يحكى عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله روحه ماله قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في الدلوك غير واصل ثم قال وهذا الذي ذكره ان أراد به شيئا يناسب ما أوردناه في التنبيهات يعني في أول المقصد الاسنى فهو صحيح ولا يظن به الا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة والافان معاني الاسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة غيره ولكن معناه من يجعل ما يناسب تلك الاوصاف ومن أراد غير ذلك فهو باطل لان قول القائل ان اسماء الله تعالى صارت أوصافا لا يخلو اما ان عني به عين تلك الصفات أو مثلها فان عني به مثلها فاما ان عني به مثلها مطلقا من كل وجه واما ان عني به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني وهذان قسمان وان عني به عينها فاما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب الى العبد أولا بالانتقال فان لم يكن بالانتقال فاما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفة صفاته واما أن يكون بطريق الحول وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال والاتحاد والحول وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد وهو ان ثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مائة تامة وبقيت الاقسام كلها محال وباطل وحيث يناق الاتحاد يقول هو ولا يكون الا بطريق التوسم اللائق بعادة الصوفية وعليه ينبغي ان يحمل قول الشيخ أبي يزيد حيث قال انسلخت نفسي عن نفسي كتنسج الخية عن جلدتها فظننت فاذا أنا هو ويكون معناه ان يتشأن من شهرات نفسه وهواها وهما فليبقى فيه متسع غير الله ولا يكون همه سوى الله واذا لم يجد في الباب الاجلال لله وجهه حتى صار مستغرقا به يصير كانه هو لانه هو حقيقة وافرقت بين قولنا هو وبين قولنا كانه هو وهذه منزلة تقدمان من ليس له قدم راسخ في المعنويات بل بالميراث أحدهما عن الآخر هذا جاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الاسنى (وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى بل اللائق منه في صفات الله تعالى رؤية الكل حذرا بالاضافة الى ذاته ولا يتصور ذلك على الاطلاق الا الله تعالى (وأما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والتبذير والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شيء وأنه يعلم انه كذلك) ولا يرى العظمة والكبرياء الانفسه فينظر الى غيره تنزرا للملوك الى العبيد (والعبد مأمور بان يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجداد والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به هذه الصفة رؤى بحقيقة لا شك فيها له كانت صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة في حقه الا أنه لا سبيل له

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يحتمل لا كافر بالايمن وتديختم له بالكفر فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا تضمر رتبها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي (٢٩٣) بوجه من لوجوه الغنى الذي يوصف به

الله سبحانه وهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهو هذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر * المقام الثاني في بيان نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص * ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وله لوجود فإى حائمه أتقلى فيقول ننظر فان كان مطعونه مالا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لان الفقر يشغله بالطالب وطالب الفقر لا يقدر على الفكر ولذلك القدرة مدخوله بشغل وان كان هو القادر وله لأن قال صلى الله عليه وسلم اللهم جعل قوت آل محمد كقافوا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا * وان كان المذلول فوق الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح في حقه لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطير يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا (أي ميلا اليها) فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر (اذ ربما يحتمل لا كافر بالايمن) فينجو (وتديختم له بالكفر) فهناك (فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة) وقال المصنف في المقصد الاسنى حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتزعم بما يشغل سره عن الحق ويتكبر على كل شيء سوى الحق تعالى يمكن مستحق الدنيا والآخرة وترفعه عن كل ما يغله عن الحق تعالى (ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا تضمر رتبها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة) وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي بوجه من الوجود الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة) وكما (أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر) وبه تم بيان المقام الاول

* (المقام الثاني في) * بيان (نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص) ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود فإى حاله أفضل فنقول ننظر فان كان مطعونه مالا بد منه في المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين لمج وجهاد وصلة وقربان (ويستعين به عليه) كلام وما ليس ومسكن ونحو ذلك (فحال الوجود أفضل) في حقه (لان الفقر يشغله بالطالب) والطلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين (وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر القدرة مدخوله بشغل والمسكن هو قادر) وليس هذا من حظوظ الدنيا فان أخذ الكفاية من الدنيا على نية القوى على سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية وهذا احدى فوائد المال المشار اليها في الاجاب (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا) تقدم قريبا (وقال) صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر أن يكون كفرا) تقدم مرارا (أي الفتر مع الاضطرار فيما لا بد منه) فهذا هو الذي يكاد أن يكون كفرا (وان كان المذلول فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح) في حقه (لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطير يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا (أي ميلا اليها) فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطير يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوتا في الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا فله أشد الحاجة الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

ما أكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب من أحبب فانك مفارقة وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقد رآه وأمس الواحد بالدنيا القادر على ما أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها فاذا انكشف به هذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل (٢٩٤) غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مريدا

له اذ يستغني به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غنى في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفساد المال لو فقده كنفجعه الفقير بفقده فهذا في محل النظر والظاهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفساده والعلم عند الله تعالى فيه

تأكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس (أي جبريل عليه السلام) نفث في روعي (أي التي فيه) (أحب ما أحببت فانك مفارقة) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وراه الشيرازي في الاقواب من حديث سهل بن سعد نحوه ورواه الطبراني في الاوسط من حديث علي وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم (وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك) أبدا (وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك) ولو بعد حين (وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه) له (وقدر أنسه به) والفقه (معهم وأنس الواحد للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها) ولنفقنا التحصيلها (فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة) رضي الله عنها (يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود) مع هذا الحال (مريدا له) في حاله (اذ يستغني به) حينئذ (أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم) وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة (والثاني الفقر عن مقدار الضرورة) الماسة (فان ذلك يكاد أن يكون كفرا) كما ورد به الخبر (فلا خير فيه) أي في الكفر أو في هذا الفقر (بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر) أو ما يغضى اليه (و) على (المعاصي) أو ما يغضى اليها (ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غنى هو دورته في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفساد المال لو فقده) بمسرفة أو تفريق أو غير ذلك (كنفجعه الفقير بفساده فهذا في محل النظر) والتأمل (والاظهر) من القولين (ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفساد المال وقربهما) من الله تعالى (بقدر ضعف تفجعهما بفساده والعلم عند الله تعالى فيه) والله الموفق

(بيان آداب الفقير في فقره)

(اعلم) ونقل الله تعالى (ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخاطبته) مع الناس (وأفعاله ينبغي ان يراعيها) ويحافظ عليها (فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم له محنته (أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر) فان قلت الطباع تنفر من المؤلم فاقول الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية وهذا (كالنجس يكون كراهة للحجامة لتألمها بها ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة) فالنفرة من حديدية الحجام طبيعية لا خلاص منها الا بالاستغراق في ذلك مقام الصديقين (بل ربما يتقلد منه منة) ويعطيه أجرة وهذه أفعال اختيارية فهكذا ينبغي ان تفهم هذه المسئلة (وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني في فقره)*

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه

وظاهره ومخاطبته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه

كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر كالحجامة ولا يكون كراهة للحجامة لتألمها بها ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني

قوله عليه السلام يا مغشراً الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وارفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقير بل يكون راضياً به وارفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلاً في باطنه على الله (٢٩٥) تعالى وإيقابه في قدر ضرورته

أنه يأتيه لانهالة ويكون
كلها الزيادة على الكفاف
وقد قال على كرم الله وجهه
ان الله تعالى عقوبات
بالفقر ومثوبات بالفقر
فمن علامات الفقر اذا كان
مثنوبه أن يحسن عليه
خلفه ويطمع به ربه ولا
يشكو حاله ويشكر الله
تعالى على فقره ومن علاماته
اذا كان عاقبة أن يسوء
عابه خلقه وبعض ربه
ينزل طاعة ويكثر الشكاية
ويتسخط القضاء وهذا
يدل على أن كل فقير فليس
بمحمود بل الذي لا يتسخط
ويرضى أو يفرح بالفقر
ويرضى لعلمه بثبوته اذ قيل
ما أعطى عبد شيأ من الدنيا
الا قيل له خذْه على ثلاثة
أثلاث شغل وهم وطول
حساب وأما أدب طاهره
أن يظهر التعفف والتحمل
ولا يفاخر الشكوى والفقر
بل يستتر فقره ويستترانه
يستتره في الحديث ان الله
تعالى يحب الفقير المتعفف
بالعمال وقال تعالى يحسبهم
الجاهل أغنياء عن التعفف
وقال سفيان أفضل الاعمال
التحمل عند المحنة وقال
بعضهم ستر الفقر من كنوز
البر وأما في أعماله فادبه ان
لا تواضع لغني لاجل غناه

قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تقفروا وبشوا ب فقركم والا فلا) رواه
الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريبا (وأرفع من هذا ان لا يكون كارهيا لا فقر بل يكون راضيا به
وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به) وحجابه (اعلمه بقوائل الغنى) ونهاويله (ويكون متوكلا في باطنه
على الله وثاقبه في قدر ضرورته انه يأتيه بالجمالة) على كل حال (ويكون كارهيا لازدا على الكفاف
وقد قال على رضى الله عنه ان الله تعالى عقوبات بالفقر ومشوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مشوبة
أن يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن عسلاته اذا كان
عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء) نقله صاحب القوت (وهذا
يدل على ان كل فقر ليس محمودا) بل بعض الفقر مذموم وهذا منه (بل الذى لا يتسخط ورضى) بما
قضاؤه مولاه (أو يفرح بالفقر ورضى لعله بثمرته) فهذا هو المحمود (اذ قيل ما أعطى عبد شيئا من الدنيا
الا قيل له خذ على ثلاثة أثلاث) ثلث (شغل) به (و) ثلث (هم) ملازم وهذا في الدنيا (و) ثلث (طول
حساب) وهذا في الآخرة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود من أشرب قلبه حب الدنيا التناط منها
بثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يباع عنه وأمل لا يباع منه (وأما أدب طاهره) وفي نسخة وأما أدبه
في طاهره (فان يظهر التعفف والتحمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لاحد (بل يستفقره) أعلى من
ذلك ان (يستتره) في الحديث ان الله تعالى يحب عبده المؤمن (الفقر المتعفف أبا العيال)
رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدى والبيهقي من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وقال) تعالى
(يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (أفضل الاعمال التجرع عند
الحاجة) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر) وروى أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وروى الطبراني وابن عساكر من حديث
أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة (وأما في أعماله فادبه) وفي
بعض النسخ وأما أدبه في أعماله (ان لا يتواضع اغني لأجل غناه) فقد روى الديلمي من حديث أبي ذر
لعن الله فقيرا تواضع لغني من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه وروى البيهقي في الشعب
من حديث ابن مسعود من دخل على غني فتضعض له ذهب ثلثا دينه وللطبراني في الصغير من حديث أنس
من تضعض لغني لئلا يفي يديه أسخط الله عز وجل (بل يتكبر عليه) الله تعالى ان كان ذلك الغني ممن
يفتخر بغناه فان التكبر عليه حينئذ بما يكون بمنزلة الصدقة اذا كان الفقير وثاقبا لله عز وجل والمدي
فيما الله أعلم أن ينظر الى زهيم وهياتهم بنظر الحفاة والاعراض ليصغر في عيونهم بذلك ما عظم في
نفوسهم من أمر الدنيا فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو الطاول والتفاخر والظاهر فهو
من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس (قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة
في ثواب الله وأحسن منه تبه الفقير على الغني ثقة بالله تعالى) وقد رأى بعض الصوفية عليا رضى الله عنه
في المنام وطلب أن يسمع منه شيئا فقال له ذلك وقد تقدم (فهذه تبة وأقل منها أن لا يتخالط الاغنياء ولا
يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ العالم) والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بغض
الفقر ومحبة الدنيا (قال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مرء
واذا خالط السلطان فاعلم انه لص) رواه أبو نعيم في الحلية وروى الديلمي من حديث أبي هريرة ذارأيت
العالم يتخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لس وقد تقدم في الامر بالمعروف (وقال بعض المعارفين اذا مال
الفقر الى الاغنياء انحلت عروته) أى عروته فقره اذ يحله اليهم يبغيض الفقر ويحب الدنيا (فاذا طمع

بل يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تبه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل
فهذه رتبة وأقل منها ان لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ الطمع قال الثوري رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم
انه مرءوا اذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء فاحلعت غرته فاذا طمع

ففيهم انقطعت عصمتهم فاذا سكن اليهم نزل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء وما اديبه في افعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل منه فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦١) درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال

اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهم مائة من درهمين لا يملك غيرهما طيبة تنسب فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة ألف وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها أن لا يدخر الا ليومه وابلته وهي درجة الصديقين والثاني أن يدخر لربعين يوماً فان ما زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل الحية وربعين يوماً وهذه درجة المقيمين والناشئة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم

ففيهم انقطعت عصمتهم) أي عصمة بقوله بل تنكسر زجاجة زهد (فاذا سكن اليهم نزل) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحب وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول ياتي الله في قلب الفقير لرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج اليهم ويبقى في قلوبهم المذم له والجناء عليهم يؤبه بذلك الا يستعليه ويمتاده فيرده بذلك اليه بعد ان منعهم ثم يفتح له من عنده رزقاً من حيث لا يحتسب الغنى) ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء) وهذا واجب روى البهقي في الشعب من قول ابن مسعود من خضع لغنى وضع له نفسه اعظاماً وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا عمره وشطرا دينه) وأما أدبه في افعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة الله عز وجل أي لا يمنع عنها لان الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) ان (لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل) وهو افضل الصدقات كما في الخبر (وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم) العبد روى مولاها الم تابعي المدني مرسل (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها واخرج رجل درهمين لا يملك غيرهما طيبة تنسب فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة ألف) قال العراقي روى النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً وتقدم في الزكاة والاصل له من رواية زيد بن اسلم مرسل (قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي ذر رضي الله عنهما جميعاً سبق درهم مائة ألف رجل له درهمان أخذ أحدهما فصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها) وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ (منه) قدر الحاجة ويخرج الباقي في سبيل الله تعالى (وفي الادخار ثلاث درجات احدها أن لا يدخر الا ليومه وابلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لربعين يوماً) ولا يزيد (فان ما زاد عليه داخل في طول الامل) وهو مذموم (وقد فهم العلماء ذلك) الحد (من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام) اذ كان ميقانه أربعين ليلة (ففهم منه الرخصة في امل الحية أربعين يوماً) وينبغي للمصنف في كتاب التوكل ما يورده (وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب والدرجات في الرخصة) وهي رتبة الصالحين (من خواص المؤمنين) (ومن زاد في الادخار على هذا) القدر (فهو واقع في غمار العموم) من المؤمنين (خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه) وقد عرفت منه (في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة) وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه على مثل هذه الاقسام فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم أربعين يوماً وبعضهم يوماً وليلة منهم عائشة وحفصة والله الموفق *

(بيان آداب التقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه (ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه) من غير سؤال (ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ أمان نفس المال فينبغي أن يكون حذراً طيباً خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها) وليجتنبه الا أنهم أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطى ان كان ولداً أو قريباً أو صديقاً وان كان حراماً فلا يأخذها لحاجته ولا لطيب قلب المعطى (وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب) فلينظر هناك (وأما غرض

نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهم كان يات بها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوماً وبعضهم يوماً المعطى وليلة وهو قسم عائشة وحفصة) (بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال) * ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ أمان نفس المال فينبغي أن يكون حذراً خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض

المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة أو الزكاة أو الباء والسمعة أو ما على التجرد واما من وجابية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها (٢٩٧) سنقرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن

ينبغي أن لا يكون فيها منة
فان كان فيها منة فالاولى
تركها فان علم أن بعضها
عما تعظم فيه المنة فليرد
البعض دون البعض فقد
أهدى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمن وأقط
وكبس فقبل السمن والاقط
وردا الكبش وكان صلى الله
عليه وسلم يقبل من بعض
الناس ويرد على بعض وقال
لقد هممت أن لا أتعب
الامن قرشي أو ثقيفي أو
انصاري أو دومي وفعل
هذا جماعة من التابعين
وجاءت الى فتح الموصل
صرة فيها خسون درهم
فقال حدثنا عطاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال
من اتم رزق من غير مسألة
فرد فاعلم برده على الله ثم
فخ الصرة فاخذ منها درهما
ورد سائرهما وكان الحسن
يروي هذا الحديث أيضا
ولكن جعل اليه رجل
كبس ووزمة من رقيق ثياب
خراسان فرد ذلك وقال من
جلس مجلسي هذا وقبل من
الناس مثل هذا لقي الله عز
وجل يوم القيامة وليس له خلاق
أمر العالم والواعظ أنه قد
في قبول العطاء وقد كان

المعطي فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو (الثواب)
المجرد (وهو الصدقة أو الزكاة أو) كان غرضه (الزكاة أو الباء والسمعة أو ما على التجرد واما من وجابية
ببقية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية
ويشيب عليها وقد تقدم (ولكن ينبغي ان لا تكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى) للخاصين من
الصادقين (تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) وذلك ممن يرى المنة
للاخذ (فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) من رجل أو امرأة (سمن وأقط وكبس فقبل
السمن والاقط ورد الكبش) قال العراقي رواه أحمد في أثناء حديث يعلى بن مرة فاهدت اليه كبشين
وشيأ من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ السمن والاقط وأحد الكبشين ورد عليهما الا سخر
واسناده جيد وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى قلت هو يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي
له ولأبيه محبة وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقطع اعناب ثقيف والده ذكره البغوي وغيره
في الصحابة في ابن ماجه حديث اختلف في اسناده على الاعمش (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض
الناس ويرد على بعض) قال العراقي روى أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا أقبل بعد
يومي هذا من أحد هدية الا أن يكون مهاجرا الحديث وفيه محمد بن اسحق ورواه بالعنعنة (وقال) صلى الله
عليه وسلم (لقد هممت أن لا أتعب) أي لا أقبل الهبة (الامن قرشي أو ثقيفي أو انصاري أو دومي) قال
العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات
انتهى قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي ولفظهم لقد هممت أن لا أقبل هدية
وأما اللفظ المنصف فرواه أحمد والطبراني والبراز من حديث ابن عباس لقد هممت أن لا أتعب هبة الامن
أنصاري أو قرشي أو ثقيفي ورجال أحمد رجال الصحيح (وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبولوا من البعض
ورددوا على البعض (و) يحكى أنه (جاءت الى فتح) بن شخرف (الموصل) رحمه الله تعالى من أحد أصدقائه
(صرة فيها خسون درهم) فقال حدثنا عطاء (ان كان هو ابن أبي رباح فان فعل ما يدركه) (عن النبي صلى الله
عليه وسلم) مر سلا (من أتاه رزق من غير مسألة فرد فاعلم برده على الله) عز وجل قال العراقي لم أجده
مر سلا هكذا وسيأتي بعد هذا الحديث ما يوضح معناه (ثم فسخ الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرهما) أي باقيا
يحتل انه أخذ درهما قدر حاجته وود ما لم يتخج اليه ويحتل انه أخذ الدرهم لم تطيب قلب صديقه (وكان
الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يروي هذا الحديث أيضا) عن جماعة من الصحابة (ولكن) روى أنه
(جعل اليه رجل كبس) فيه دراهم (وزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك) كله (وقال) ياهذا (من
جلس مجلسي هذا) أي في التعليم والتذكير (وقبل من الناس مثل هذا) الذي أهدى اليه (لقي الله عز
وجل يوم القيامة وليس له خلاق) أي حظ ونصيب من الثواب (وهذا) بظاهره (يدل على أن أمر العالم
الذي انتصب لقيادة الناس (والواعظ) الذي انتصب للتذكير (أشد في قبول العطاء) من غيرهما) وقد
كان الحسن) رحمه الله تعالى مع ذلك (يقبل من أصحابه) تطيبا لقلوبهم (وكان ابراهيم) بن يزيد
(اليماني) مع ورعه (يسأل أصحابه الدرهم والدرهم من ونحوه) ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له المنة
والفضل في قبوله منهم (ويعرض عليه غيرهم المئين) من الدراهم من غير سؤال (فلا يأخذ) منهم (وكان
بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول) له (ان تركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

(٣٨) - (تحاف السادة المتقين) - (تاسع)
الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم اليماني
يسأل من أصحابه الدرهم والدرهم من ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول ان تركه عندك
وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

القبول فاتخبرني حتى آخذ ولا أفلا وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جرمته فآخذ مباح ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين وقال بشر ما سألت أحمدا قطي لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء (٢٩٨) من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد

رحمه الله بماله وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل بل في الخلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الأمن مثلك * الثاني أن يكون للشواب المجرّد وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فليمنظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته أو علوى ولم يكن فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه * الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن رد عليه قصده (ولا يعان فيه) (لا يقبله) منه (اذ يكون) في قبوله منه (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخار به) بين الناس (لا أخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك) بين الناس (ويحبون أن يعلم بهم) لئلا يذكروا به (فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التي ذكرناها في المعطى

القبول فاتخبرني حتى آخذ ولا أفلا) آخذ اختبأ الصداقة (وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده) عليه (ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه) والفضل (في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جرمته فآخذ مباح) ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين (فان صدقهم في فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة) وقال بشر (من الحرب رحمه الله تعالى) (ما سألت أحمدا قطي بالسقطي) رحمه الله تعالى (لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا) وتسلية نفسه عنها (فهو يفرح بخروج الشيء من يده) ويرى للاخذ منة (ويتبرم) أي يتعجب (ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب) نقله صاحب القوت (وجاء) رجل (خراساني الى الجنيد) رحمه الله تعالى (بمال) هدية (وسأله أن يأكله) أي بصرفه على ما يأكله (فقال) أقبله (وأفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا) انما أراد أن تصرفه على أكله (قال) الجنيد هذا مال كثير (ومتى أعيش حتى آكل) وفي نسخة الى أن آكل (هذا قال) الرجل (ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل) وما أشبه ذلك (بل) تنفقه (في الخلاوات والطيبات) من لئلا يذالط طعمة (فقبل ذلك منه) تعليما لخطئه وعرف منه صدق ارادته (فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك) أي أكثر منة منك على (فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الأمن مثلك) وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للاخذ منة ولو كان زائدا على قدر حاجته (الثاني أن يكون للشواب المجرّد وذلك صدقة أو زكاة) فان كان (زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة) أم لا فان كان مستحقا أخذ ولا أفلا وهذا واجب (فان اشتبه عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أي شبهة صفة الاستحقاق وهي آفة وأيضافه تضيق على الفقراء فهي آفة ثانية فلا يترجأ أخذها على الصدقة ولكن في قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الاخذ بالدين والاخذ للحاجة وأبعد من التكبر وفي الصدقة عكس ذلك (وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة) فليطلب من هناك (وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أي بطن فيه الصلاح (فان كان مقارفا لمعصية في السر) ولم يتب منها أو كان مصرعا على معصية وهو (يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته) أي لا يحل له القبول (كلوا أعطاه لظنه انه عالم أو علوى) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه) وفي قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذي يعطى بسببه فائدة عظيمة اذا كان المصدق لا يسمع بتلك الصدقة الا ان يدعيه فقيلوا لعائله على البر وتوسع على الفقراء ومن أخذته انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين واهمالها يبلغ درجة الغافلين (الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن رد عليه قصده) ولا يعان فيه (لا يقبله) منه (اذ يكون) في قبوله منه (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري) رحمه الله تعالى (رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخار به) بين الناس (لا أخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك) بين الناس (ويحبون أن يعلم بهم) لئلا يذكروا به (فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التي ذكرناها في المعطى

فالا فضل

على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون

ذلك افتخار به لا أخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم * وأما غرضه في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والا فان التي ذكرناها في المعطى

فالأفضل له الأخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه وفي لفظ آخر فلا (٢٩٩) يرده وقال بعض العلماء من أعطى

ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى يوصل الى أحد بن حنبل رجة الله عليهما شيئاً فرد مرة فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال أحد أعد على ماقلت فاعاده فقال أحد ما رددت عليك إلا لان عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنزهه الى وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره فاما إذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو ما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والافتقار عليهم لما فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم ان جوزنا له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدها أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر) بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهد فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

(فالأفضل له الأخذ) فان رد ذلك عوقب باستشراف نفس او طمع او أخذ شبهة (قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وقد تقدم فى كتاب الزكاة وفى لفظ ما الذى يعطى من سعة باعظم أجرامن الذى يقبل من حاجة رواه صاحب الحلية من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق ساقه الله اليه وفى لفظ آخر فلا يرده) قال العراقى روى أحد وأبو يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشرف نفس فليقبله ولا يرده فأنما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه ولا جد وأبي داود الطيالسى من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله الحديث وفى الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ الحديث انتهى قلت حديث خالد بن عدى الجهنى رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والبخارى والبيهقى والحاكم وأبو يعلى والبيهقى والضايع بلفظ ما جاءه عن أخيه معروف والباقي سواء قال البخارى لا أعلم له غيره ويرى من حديث يزيد بن خالد الجهنى نحوه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فليقبله فأنما هو رزق ساقه الله وتتمام حديث عمر نفسه وتوأمه ومالا فلا تتبعه نفسك وقد رواه كذلك النسائى ورواه أحد والطبرانى من حديث أبي الدرداء نحوه ثم أشار المصنف الى آفات الرد وعقوباته فقال (وقال بعض العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى) رحمه الله تعالى (يوصل الى) الامام (أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (شيئاً) من باب الهدية (فردة مرة) ولم يأخذ (فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال له أحد أعد على ماقلت فاعاده) ما قال (فقال أحد ما رددت عليك إلا) أنه (عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنزهه الى) فانا أقبله نقله صاحب القوت وهذا يدل على جوار الرد إذا كان لغير حاجة (وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة) اليه (عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره) من العقوبات (فاما إذا كان ما أتاه زائد على) قدر (حاجته فلا يخلو ما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء) والقيام بمهماتهم (والافتقار عليهم لما) جبل (فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه لامساكه) عنده (ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى) وانما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى (وكل عمل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى) وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم ان جوزنا له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدها أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر) بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهد فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة والثانى أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية

وفد ذكرنا هل الافضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا (٣٠٠) والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال

مع الله غير الله لان كل ما سوى الله من الله وبالله والله والى الله فلا غير حينئذ لان الغير هو المضاى الظاهر ولو كان فيها آلهة الا الله لفسد ناو من شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال وهذا لا يخفى في الاخذ والعطاء فتوقا على نفسه لا لاجل المعطى والاخذ لان من المتصدقين من يقصد اظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لان ستر حال المؤمن واجب وأما الاخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين اذا سلم من آفاته ومن آفاته خوف الجاه واسقاط المنزلة من القلوب والنظر اليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطى بعين الاحسان وأما الاخذ في السر والاخراج في العلانية فان سلم من الآفات التي ذكرت في الاخفاء ومن آفة الرياء في الاخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة وأما من يأخذ سرا ولا يخرج سرا ولا علانية فهذا الذي ياكل الدنيا بالدين نسأل الله أن يعبدنا من شره فانه اذا مات فضح أهل الطريق (وقد ذكرنا هل الافضل اظهار الاخذ وأخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله تعالى فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالى (والورع) من شأنه (يكون حذرا من مظان الاخطار) وفي نسخة الآفات فيتجنب عنها (اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه) ومن يكون في الورع مثل أحد رجه الله تعالى (وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت مرة (فقيرا قد فرغ من طوافه) وصلاته وتعلق باستار الكعبة (وهو يقول بصوت خفي) يارب اني (جائع كاتري) يارب اني (عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى) قبل أنه كان من فقراء الحجاج ودعابا الجمجمة وهذه ترجمته (فقطرت فاذا عليه خلقان) أي ثابرت (لانك كادتواريه) لقصرها ونقطاعها (فقلت في نفسي لا أحد دراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر البهايم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فردته الى (قال فرأيتة الليلة الثانية وعليه متران جديان ففجس في نفسي منه شيء فالتفت الى فاحذني بيدي فاطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش) أي يتحرك مع صوت (تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال) لي (هذا كله قد أعطانيه) ربي (فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لان هذه ائقال وقتنة) وامتحان (وذلك) أي الاخذ من أيدي الخلق (للعباد فيه رجة ونعمة) أورده صاحب القوت في كتاب التوكل وفيه ثم قال له نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الارض ولكن لا نأخذ منه شيأ وهذا فيه ولان له ائقالا فتركه أفضل وأخذ أرقا فنامن أيدي الناس وبالسباب لانه أحب الى الله لمنافع العباد ولان الحكمة والاحكام في هذا أكثر (والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء واختبارا) وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يا تيك) من حيث كان (رفقائك) وشقة عليك (فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم) أي نتجربهم (أيهم أحسن عملا) أيهم أرشد في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه) من الحر والبرد (فما زاد فهو حساب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان الا انه قال

بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كاتري عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لانك كادتواريه فقلت في نفسي لا أحد دراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر البهايم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فردته الى الباقي فردته قال فرأيتة الليلة الثانية وعليه متران جديان ففجس في نفسي منه شيء فالتفت الى فاحذني بيدي فاطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لانه هذه ائقال وقتنة وذلك لانه هذه ائقال وقتنة وذلك للعباد فيه رجة ونعمة والمقصود من هذا ان

الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يا تيك رفقائك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه فما زاد هو حساب

فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب ومن الاختبار أيضا ان تعزم على ترك هذه من اللذات تقر بالي الله تعالى وكسر الصفة النفس فتأتيك عطاياها فتعجز بها فتوقفتك فلا أولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن (٣٠١) فتهرأه فذلك هم وهو الزهد

فان أخذته وصرفته الى محتاج

فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحق الفقراء وتعهده جماعة من الصالحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليله واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلوف قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتشم في المطعم والمشر ب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال فضاء وان مات قبل القضاء فضاء الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغير المقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله (أي يظهر له بانه لا يملك شيئا من متاع الدنيا الذي يستقرضه انما هو لاجل الصرف على مواضع الثواب وان سداه انما هو من الفيض المطلق لاعتناء جهة معلومة معينة (ليقدم المقرض على اقرضه) وهو (على بصيرة) ويقين من أمره (ودين مثل هذا الرجل) اذا عجز أومات (واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات) بعد ان يرفع أمره الى ولي الامر (فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه) أي ضيق وحس (فليسفق مما آتاه الله قبل معناه ليسع أحد ثوبيه) ويكتفي بالثوب الواحد (وقيل معناه فليس فقرض بجأه فذلك) مما قد آتاه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائعهم (الموجودة عندهم) والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى (وهؤلاء أعلى مقاما) ومات بعضهم فاوصى بماله (أي ثلثه) لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فقيل (له) (من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى) انقطعوا الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا ما وجدته هذه الشروط

وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح انتهى قلت لفظه في جامعته ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابنه عبد بن حميد والحاكم والضياء وروى ابن النجار من حديث ثوبان يكفيلك من الدنيا ما سد جوعتك ووارى عورتك فان كان لك شيء يظلك فذلك وان كانت لك ذابة تركها فنج (فاذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب) لان لك فيها حقا وقد أذن لك الله في أخذها (وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب) فيم أخذته (وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب) فهذا معنى قوله حلالها حساب وحرامها عقاب (ومن الاختبار أيضا ان تعزم على ترك هذه من اللذات) الدنيوية (تقربا الى الله تعالى وكسر الصفة النفس) أي لثورتها (فتأتيك) تلك اللذة (عطاياها) من غير تبعة ولا كد ورة (ليمتحن بها فتوقفتك) هل تلبسها أو تتركها (فلا أولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها) القديمة (ولا يمكن قهرها) بعد الفتها (فرد ذلك مهم) من أكدم المهمات (وهو الزهد فان أخذته) في العلانية (وصرفته الى محتاج) سرا (فهو غاية الزهد) ويسمى زهد الزهد (ولا يقدر عليه الا الصديقون) من الزاهدين وقد أشترنا الى ذلك في أول الفصل (واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحق الفقراء وتعهده جماعة من الصالحاء) بالخدمة وقضاء الحاج (فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء) اذا حاجتهم كثيرة (وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليله واحدة فيه فتنة واختبار) من الله تعالى (فربما يحلوف قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك) الا لمر ضروري لا بد منه (وقد تصدى لخدمة الفقراء) في الرباط (والزوايا جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتشم في المطعم والمشر ب) والملبس (وذلك هو) عين (الهلاك) ويلييه أن يتخذها وسيلة الى تحصيل الجاه (ومن كان غرضه الرفق بالفقراء (وطالب الثواب) من الله تعالى (فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة) أن يأتي منهم شيء فيؤديه منه (فان رزقه الله من حلال فضاء وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغير المقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله عنده) أي يظهر له بانه لا يملك شيئا من متاع الدنيا الذي يستقرضه انما هو لاجل الصرف على مواضع الثواب وان سداه انما هو من الفيض المطلق لاعتناء جهة معلومة معينة (ليقدم المقرض على اقرضه) وهو (على بصيرة) ويقين من أمره (ودين مثل هذا الرجل) اذا عجز أومات (واجب ان يقضى من بيت المال ومن الزكوات) بعد ان يرفع أمره الى ولي الامر (فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه) أي ضيق وحس (فليسفق مما آتاه الله قبل معناه ليسع أحد ثوبيه) ويكتفي بالثوب الواحد (وقيل معناه فليس فقرض بجأه فذلك) مما قد آتاه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائعهم (الموجودة عندهم) والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى (وهؤلاء أعلى مقاما) ومات بعضهم فاوصى بماله (أي ثلثه) لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فقيل (له) (من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى) انقطعوا الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا ما وجدته هذه الشروط

الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فليسفق مما آتاه الله قبل معناه ليسع أحد ثوبيه وقيل معناه فليس فقرض بجأه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم ان لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاذا ما وجدته هذه الشروط

وهو مضطرا اليه بماسلطة عليه من الدواهي والارادات والاعتقادات * وقد حكى ان بعض الناس دعا شقيقا في خسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قد قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الاشباة منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي لبو جروافهم فلا ينبغي ان يرى المعطى الا من حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما رضاء * (بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه) * اعلم انه قد وردت منه كسيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسان حق ولو جاء على فرس قال العرافي رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي في الاول بعلي بن أبي يحيى جهله أبو حاتم وروقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليهما أبو داود انتهت قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردى وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والفضلاء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد وهو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقبل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقبل عنها عن جدتها فاطمة الكبري وهذه الرواية عندنا حتى بن راهويه وعلى كل حال في الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعين زبدين أسلم رفعه من سلا بلقط اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ورواه ابن عدي من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المداثني عن عطاء عن أبي هريرة وعمره ضعيف أيضا ولدا رافعي في الأفراد من طريق الحسين بن علي الهاتمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنع أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلبه من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العرافي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهت قلت وجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

فيه وفي المال وفي المعطى فليأخذ (وهو الافضل) وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله تعالى (لأن المعطى انما المعطى) في الظاهر (واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطرا اليه بماسلطة عليه من الدواهي) والبواعث (والارادات والاعتقادات) والمعطى الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيد الكمال وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (وقد حكى أن بعض الناس) من المعتقدين (دعا شقيقا) بن ابراهيم البلخي رحمه الله تعالى (في خسين من أصحابه) فأتى بهم الى منزله (فوضع الرجل مائدة حسنة فلما نعد) شقيق (قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول) يعني صاحب المائدة (من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم) ولم يأكلوا (وخرجوا) من المنزل وكانوا ممن ينظرون الى الحقائق (الاشباة كان دونهم في الدرجة) فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم هل كمل توحيدهم أم لا فان كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود دفعا لا الله ولا ينكر الوسايط فانهم مسخرون بأذن الله تعالى ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد كل من الطعام ولم يقيم فان مقامه يعطى ان الذي صنع الطعام وقدمه اليه هو صاحب المنزل ولا يعدو علمه ذلك (وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذا ليلة) فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أرزاقهم على أيدي البطالين (وفي لفظ العاصم) (من عبادي لبو جروافهم) نقله صاحب القوت وقال فعلم هذا المحتوكين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع في المعرفة واليقين فهو حال المعطى الموصل وطريق لا تأخذ المتوكل (فلا ينبغي أن يرى المعطى الا من حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى) لانه المعطى حقيقة والله الموفق

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر اليه)

(اعلم) أغناك الله تعالى (انه قد وردت منه في السؤال وتشديدات) عظيمة تدل على تحريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات بل هو معونة وخرج من ذلك أيضا ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الاقارب والاصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لان الاصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد واليه يشير قوله (وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس) قال العرافي رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي في الاول بعلي بن أبي يحيى جهله أبو حاتم وروقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليهما أبو داود انتهت قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردى وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والفضلاء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد وهو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقبل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقبل عنها عن جدتها فاطمة الكبري وهذه الرواية عندنا حتى بن راهويه وعلى كل حال في الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعين زبدين أسلم رفعه من سلا بلقط اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ورواه ابن عدي من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المداثني عن عطاء عن أبي هريرة وعمره ضعيف أيضا ولدا رافعي في الأفراد من طريق الحسين بن علي الهاتمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنع أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلبه من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العرافي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهت قلت وجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

فالكاشف للغطاء فيه أن
السؤال حرام في الأصل
وانما يباح بضرورة أو حاجة
مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها بد فهو حرام
وانما قلنا أن الأصل فيه
التحريم لانه لا ينفك عن
ثلاثة أمور محرمة * الاول
اظهار الشكوى من الله
تعالى اذ السؤال اظهار
لل فقر وذ كر لقصور نعمة
الله تعالى عنه وهو عين
الشكوى وكما أن العبد
المملوك لو سأل لكان
سؤاله تشديعا على سيده
فكذلك سؤال العباد
تشجيع على الله تعالى وهذا
ينبغي أن يحرم ولا يحل الا
لضرورة كما تحل الميتة
* الثاني أن فيه اذلال
السائل نفسه لغير الله تعالى
وليس للمؤمن أن يذل
نفسه لغير الله بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه
فاما سائر الخلق فانهم عباد
أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم
الا لضرورة وفي السؤال ذل
للسائل بالاضافة الى المسؤل
* الثالث أنه لا ينفك عن
ايداء المسؤل غالبالانه ربما
لا تسمع نفسه بالبذل عن
طيب قلب منسه فان بذل
حياء من السائل أو رياء
فهو حرام على الآخذ
وان منع رياء استحياء وتأذى
في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه
في صورة البخل في البذل

مانعه و رد ذلك عن أحمد بمجرد روايته له في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يسمع وقد
أخرجه في مسنده ومن كتب العلل لعبد الله بن أحمد والاشرم والحلال علم صحة هذا انتهى وبخط الحافظ
أيضا الصحيح عن أحمد انه أنكر حديث لوصدق السائل ما أفصح من رده كذا نقل عنه مهنا وكذا قال ابن
المدني ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم منها لوصدق السائل (وفي الحديث ردوا السائل
ولو بظلف محرق) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم
بجيد وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى قلت رواه بهذا اللفظ أيضا مالك وأحمد والبخاري في التاريخ وابن
ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن بجيد الانصاري عن جدته ورواه ابن سعد والطبراني من
رواية عمرو بن معاذ الانصاري عن جدته حواء هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي وقال الحافظ في
الاصابة حواء أم بجيد موحدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد
الانصاري عن جدته عن النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعته يقول ردوا السائل ولو بظلف محرق هكذا
أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عباد عن مالك وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب
الموطأ فيه عن مالك عن زيد بن بلال عن أنس المؤمنات لا تحقرن أحدا كن لجارتها ولو كراعا محرقا ورواه مالك
أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن جارة
لجارتها ولو فرسن شاة وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الانصاري عن جدته مثله
وقال الليث حدثني سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وكانت ممن يابح رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسكين ليقيم على بابي فلا أجده شيئا أعطيه فقال لها ان
لم تجدى له شيئا تعطيه اياه الا لظلم محرقا فادفعه اليه في يده هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث
وقال في القسم الثالث فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الانصارية وبين حواء أم بجيد وهما واحدة
(ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه) عن
وجه الصواب (أن السؤال حرام في الأصل) وانما يباح بضرورة داعية له (أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها) أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال (بد فهو حرام) والحاجة الخفيفة فيها
تردد (وانما قلنا أن الأصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة) هي في الحقيقة آفات مهيمنة
(اما الاول اظهار الشكوى من الله تعالى) لقصور النعمة (اذ السؤال اظهار للفقر وذ كر لقصور نعمة الله
تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك) لرجل (لو سأل) الناس (لكان سؤاله تشديعا على
سيده فكذلك سؤال العباد تشجيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم) لما في ضمنه من الشكاية من الله
تعالى (ولا يحل الا لضرورة) ماسة (كما تحل الميتة) عند الضرورة (والثاني أن فيه اذلال السائل نفسه
لغير الله تعالى) وقد قبل ثلاث من الذل الذين ولدوا ولودهم ما والبنت ولومريم والسؤال ولو أن الطريق (وليس
للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد في الخبر أي الا في عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم في كتاب العلم (بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه) بل هو عين العبودية (فاما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل
لهم الا لضرورة) دعيته لذلك (وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل منه) ومن دعاء الامام أحمد اللهم
كما صنت وجهي عن عجزك وغبرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك (الثالث أنه لا ينفك عن ايداء المسؤل
غالبا) لتردده بين العطاء والمنع (لانه ربما لا تسمع نفسه بالبذل عن طيب قلب منه) وانما يستحي أو يرائي
(فان بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ) بلا خلاف بين الامتعة على هذا قولهم ما أخذ بسيف
الحماية فهو حرام (وان منع رياء استحياء وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه) حينئذ (في صورة البخل في
البذل) على الوجه المذكور (نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان) أحدهما في الظاهر
والثاني في الباطن (والسائل هو السبب في الايداء) المذكور (والايداء حرام الا لضرورة) فلا جمل هذه

المغاسد كان السؤال حراما في الاصل فلا يباح الاضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل) أي ما أبغ (من الفواحش غيرها) قال العراقي لم أجده أصلا (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى (ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها) أي غير الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع ليس له لحم) قال العراقي رواه أبو داود وابن جرير وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة وسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثرا فأنما يسأل الجرا الحديث وللبراز والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يتخاق وجهه وفي اسناده لين ولشخبين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه ضرة لحم انتهى قلت لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان من سأل وعنده ما يغنيه فأنما يستكبر من جرحهم ورواه كذلك أحمد وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي من سأل مسألة عن ظهر غنى استكبر به من رضى جهنم وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياع من حديث عمر من سأل ليتري ماله فأنما هو رضى من النار بلقمة من شاء فليقل ومن شاء فليكثر ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من سأل الناس أموالهم تكثرا فأنما يسأل جرحهم فليستقل منه أو ليستكبر وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياع من حديث حبشي بن جنداء من سأل من غير فقر فأنما ياكل الجرو في رواية لابن جرير والطبراني من سأل الناس ليتري به ماله كان خوشافي وجهه ورضف من جهنم ياكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي رواية أخرى للطبراني من سأل الناس في غير مصيبة جاحنة فكانما يلقم الرضفة وقول المصنف ومن سأل وله ما يغنيه الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه ضرة لحم (وفي لفظ آخر) من سأل وله ما يغنيه (كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى قلت رواه أحمد بلفظ من سأل مسئلة وهو عنها غني جاء يوم القيامة كدوحا في وجهه وفي رواية له من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وم مسئلة في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي وحديث ابن عمر عند الشخبين ما يزال الرجل يسأل الحديث رواه أيضا النسائي كلهم من طريق جرير بن عبد الله بن عمر عن أبيه (وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبابيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة تخفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبابيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة تخفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشته فنظر عمر فاذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير أما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف (٣٠٤) استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في

الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله وهيهات فإن ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شأ فأنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ما سكه بأخذه مع التلبس وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعسر ف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كالأعلى (بقره انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه) وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطراب أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين امامهم أو خفيف (أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى إلى الموت (وسؤال العارى وبده مكشوف ليس مع ما يوارى به وهو

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى) قال العراقى رواه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس استغفوا عن الناس ولو بشوص السؤال واستناده صحيح وله فى حديث لعدى الجذامى قفعفوا ولو بجزم الخطب وفيه من لم يسم ولىس فيه وما قل من السؤال الخ انتهى قلت حديث ابن عباس رواه أيضا ابن جرير فى تهذيبه والعسكرى فى الامثال والبيهقى ولا بن عدى من حديث أبي هريرة استغفوا بغير الله (وسمع عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه سائلا يسأل) الناس (بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل) فأخذه (فعشاه ثم سمعه ثانية فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر اليه عمر فاذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد) الر صنيعة هذا (ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة) ولما أنكر عليه فعله ونهاه عنه (ولعل الفقيه الضعيف المنة) بضم الميم أى القوة (الضيق الحوصلة) بتشديد اللام (يستبعد هذا من فعل عمر) رضى الله عنه (ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير) فهو لا بأس به (فأما أخذه ماله) وهو كسر الخبر لالتى كانت فى المخللة (فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور فى الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو) انه (علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه) من ذلك (أو) انه (أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله) صلى الله عليه وسلم (وهيهات فإن ذلك أيضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شأ فأنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ما سكه بأخذه مع التلبس) وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كالأعلى (بقره انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه) وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطراب أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين امامهم أو خفيف (أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى إلى الموت (وسؤال العارى وبده مكشوف ليس مع ما يوارى به وهو

لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى

(٣٩) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)

لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبده مكشوف ليس مع ما يوارى به وهو

مباح مهم ما وجدت بقية الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان وأما المحتاج حاجته مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه وكن له جبة لا تقص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا (٣٠٦) يسمى سؤله مكرها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني

أى هذا السؤال (مباح مهم ما وجد بقية الشروط في المسؤل) أى الطعام أو الثوب (بكونه مباحا) في (المسؤل منه بكونه راضيا في الباطن) غير مستحي في اعطائه ولا مرء (وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق في طلب العلم) أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب (وكل من له خطا) يقرأ (فهو قادر على الكسب بالوراقة) أى النسخة (وأما المستغني وهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان) وهما الاضطرار والاستغناء فالاضطرار مبيع والاستغناء محرم (وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه وكن له جبة لا تقص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤله مكرها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني أذى طبعه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليس تراخى روق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة (من الشكوى أو الذلل أو ايداء المسؤل فهو حرام) لاشتماله على الامور المحرمة (لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحظورات فان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة) ولذلك قلنا ان الحاجة الخفيفة فيها تردد (فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحظورات) الثلاث (فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله تعالى بلسانه والاستغناء عن الخلق) بان لا يلتفت الى أيديهم (ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا) بحمد الله تعالى (مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه) في النسب (أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله) ولا يحتقره وهو سبيل العارفين (أو) يسأل (الرجل السخى الذي قد أدماله مثل هذه المكارم فيفرح بوجوده) و يتقدم منه بقبوله (منه ذلك) فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق (أى منظور اليه) (لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها) (لا عن رضا قلبه) (خوفا من الملامة

اذى طبعه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليس تراخى روق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة (من الشكوى أو الذلل أو ايداء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع

بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخى الذي قد أدماله مثل هذه المكارم فيفرح بوجوده ويتقدم منه بقبوله فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق (لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها خوفا من الملامة

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة وأما إذا كان يسأل شخصاً معيناً فينبغي أن لا يصرح بل يعرض نعر يضا
ييق له سبيلاً الى التغافل ان أراد فاذالم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي ان يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل
عنه فان الحياء من السائل يؤذى كما ان الرياء مع غير السائل يؤذى فان قلت فاذأخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه أو من
الحاضرين ولولا لما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام من خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب
والمسادة اذا لفرق بين أن يضرب ظاهره بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط (٣٠٧) الحياء وخوف الملام وضرب الباطن
أشد نكابة في قلوب العقلاء

ولا يجوز أن يقال هو في
الظاهر قدر رضى به وقد قال
صلى الله عليه وسلم انما أحكم
بالظاهر والله يتولى السرائر
فان هذه ضرورة القضاة في
فصل الخصومات اذا لم يكن
ردهم الى البواطن وقرائن
الاحوال فاصطروا الى الحكم

بظاهر القول باللسان مع
انه ترجان كثير الكذب
ولكن الضرورة دعت اليه
وهذا سؤال عما بين العبد
وبين الله تعالى والحاكم فيه
أحكم الحاكمين والقلوب
عنده كاللسنة عند سائر
الحكام فلا تنظر في مثل هذا
الا الى قلبك وان أقولك
وأقولك فان المفتي مع علم
للقاضي والسلطان بالحكم في
عالم الشهادة ومفتي القلوب
هم علماء الآخرة وبفتواهم
النجاة من سطوة سلطان
الآخرة كما أن مفتي الفقيه
النجاة من سطوة سلطان
الدنيا فاذأما أخذ مع
الكراهة لا يمكنه بينه وبين
الله تعالى ويحب عليه مرد الى

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة وأما إذا كان يسأل معيناً فينبغي ان
لا يصرح باسمه (بل يعرض له نعر يضا ييق له سبيل الى التغافل ان أراد) ذلك (فاذالم يتغافل مع القدرة
عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل فان الحياء من
السائل يؤذى كما ان الرياء مع غير السائل يؤذى فان قلت فاذأخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه
أو من الحاضرين) في المجلس (ولولا لما أعطاه) وفي نسخة لما ابتدأ به (فهو حلال أو شبهة فاقول ذلك
حرام محض لا خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذا لفرق بين أن يضرب
ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكابة
في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قبل

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

(ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قدر رضى وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)
قال العراقي لم أجده أصلاً وكذا قال المزي لماسئل عنه (فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذا لم يكن
ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاصطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجان كثير
الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب
عنده كاللسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك) ولا تستفت الامته (وان أقولك وأقولك)
كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره (فان المفتي مع علم للقاضي والسلطان) ومن في معناهم من الحكم
(احكموا) بنتواه (في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة ويطوهم النجاة عن سطوة سلطان
الآخرة كما أن مفتي الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذأما يأخذ مع الكراهة لا يمكنه بينه وبين
الله تعالى ويحب عليه رده الى صاحبه) ان أمكنه (فان كان يستحي من أن يسترده) فلم يسترده (فعليه
أن يشبه على ذلك) أي يجازيه (بما يساوي قيمته) في الوقت (في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى) أي
يتخلص (عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته) بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من
الاحوال (فان تلف في يده) قبل الاسترداد (فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه)
تصرف الملاك فانيا (وبالسؤال الذي حصل به الاذى) أولاً (فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه
فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضاً فاقول لهذا) السر (ترك
المتقون السؤال رأساً كما لو يأخذون من أحد شيئاً) أصلاً (فكان بشر) الخافي رجه الله تعالى (لا يأخذ
الامن السري) السقطي رجه الله تعالى (وقال) لماسئل عن ذلك (لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من
يده فانا أعينه على ما يحب) وقد تقدم قرياً وأين مثل السري حتى يؤخذ منه (وانما أعظم النكير في السؤال
و) اشتد (الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحصل) أي يصير مباحاً (بضرورة) وهو أن يكون شرفاً على

صاحبه فان كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فعليه ان يشبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهده فان
لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل
به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن
راضياً فاقول لهذا ترك المتقون السؤال رأساً كما لو يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً الامن السري رجه الله
عليهما وقال لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعينه على ما يحب وانما أعظم النكير في السؤال وتأكيد الامر بالتعفف لهذا لان
الاذى انما يحصل بضرورة وهو ان يكون السائل مشرفاً على

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والافط وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتززون من ذلك فاما السؤال (٣٠٨) فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في

موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب في إعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم -م- انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم -م- على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجة -م- فاما في تحريكه بالحياء وانارة داعيته بالحيل) والخذاع (فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها) في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزار القلب) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحل كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (فانه الاثم) كما في الخبر والاثم ما حلك في الصدر (وليدع ما يريه الى ما لا يريه) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم (وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان أطيأ ما كل الرجل من كسبه) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وعمامة وان ولده من كسبه فكلوا من أموالهم وروى ابن أبي شيبة والبزار في التاريخ بلفظ ان أطيأ ما كلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم وقد تقدم في آداب الطعام (وقد أوتي صلى الله عليه وسلم) (جوامع الحكم) واختصره الكلام اختصارا رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم (لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والافط) (وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتززون من ذلك فاما السؤال (٣٠٨) فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام) (ولاشك انهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب في إعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم -م- انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم -م- على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجة -م- فاما في تحريكه بالحياء وانارة داعيته بالحيل) والخذاع (فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها) في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزار القلب) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحل كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (فانه الاثم) كما في الخبر والاثم ما حلك في الصدر (وليدع ما يريه الى ما لا يريه) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم (وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان أطيأ ما كل الرجل من كسبه) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وعمامة وان ولده من كسبه فكلوا من أموالهم وروى ابن أبي شيبة والبزار في التاريخ بلفظ ان أطيأ ما كلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم وقد تقدم في آداب الطعام (وقد أوتي صلى الله عليه وسلم) (جوامع الحكم) واختصره الكلام اختصارا رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم (لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه

الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها

وليتترك حزار القلب فانه الاثم وليدع ما يريه الى ما لا يريه وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيأ ما كل الرجل من كسبه وقد أوتي جوامع الحكم لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى بسؤال فابن من (٣٠٩) يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأبى من

يقصر في السؤال على حد
الضرورة فاذا قنشت
أحوال من يأكل من أيدي
الناس علمت أن جميع
ما يأكله أو أكثره حرام
وان الطيب هو الكسب
الذي اكتسبه بحلالك أنت
أو مورثك فاذا بعبد أن
يجتمع الورع مع الاكل
من أيدي الناس فنسأل
الله تعالى ان يقطع طمعنا
عن غيره وان يغنينا بحلاله
عن حرامه وبفضله عن
سواه بمنه وسعة جوده فانه
على ما يشاء قدر

*(بيان مقدار الغنى المحرم
للسؤال)* اعلم ان قوله
صلى الله عليه وسلم من سال
عن ظهر غنى فاعلم ان يسأل
جرا فليستقل منه أو ليستكثر
صريح في التحريم ولكن
حد الغنى مشكل وتقديره
عسير وليس النواضع
المقادير بل يستدرك ذلك
بالتوقيف وقد ورد في
الحديث استغوا بغنى الله
تعالى عن غيره قالوا وما هو
قال غدا يوم وعشاء ليلة
وفي حديث آخر من سال
وله خسون درهم أو عدلها
من الذهب فقد سال الحافا
وورد في لفظ آخر أن يعون
درهما ومهما اختلفت
التقديران وصحت الاخبار
فينبغي ان يقطع بورودها
على أحوال مختلفة فثان

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى لسؤال فابن من يطيب قلبه بالعطاء
اذ سئل وأبى من اقصر في السؤال على حد الضرورة فاذا قنشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت
ان جميع ما يأكله أو أكثره حرام وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلالك أنت أو مورثك فاذا بعبد أن
الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه) يشهد الى الدعاء المأثور
اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك (بمنه وسعة جوده) زاد في بعض النسخ انه على ما يشاء
قدر

(بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال)
(اعلم) أغناك الله تعالى (أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فاعلم ان يسأل جرا فليستقل منه
أو ليستكثر) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكر قريبا وفي كتاب الزكاة
والغنى ما من سال شيئا وعنده ما يغنيه فاعلم ان يستكثر من جر جهنم وأما قوله فليستقل منه أو ليستكثر في
حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه وفي حديث حبشي بن جادة عند ابن جرير والطبراني وفي
حديث عمر بن عبد بن حبان كذا كر كل ذلك قريبا (صريح في التحريم) أي تحريم السؤال (ولكن حد
الغنى مشكل وتقديره عسير وليس النواضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف) من الشرع (وقد ورد في
الحديث) الآخر (استغوا بغنى الله تعالى عن غيره) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن
غيره وقد تقدم قريبا (قالوا وما هو) أي غنى الله تعالى (قال غدا يوم وعشاء ليلة) هو من بقية حديث أبي
هريرة عند ابن عدي كما يرشد اليه كلام العراقي وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير
للسيوطي هو ما ذكرنا وادعى المناوي ان السيوطي ترك تلك الزيادة سهوا وليس كما ظن بل هذا التقدير
وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا وما يغنيه يا رسول الله قال قدر ما يغنيه أو يعيشه رواه أحمد وأبو داود
وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم وفي حديث علي قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة رواه
عبد الله بن أحمد واسناده حسن وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (وفي حديث آخر من سأل
وله خسون درهم أو عدلها من الذهب فقد سال الحافا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة
ومسئلته في وجهه خجوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خسون درهم أو قهقهة من
الذهب وفي رواية لا جد ولا تحمل الصدقة لمن له خسون درهم أو عرضها من الذهب رواه أحمد والبيهقي من
حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب
الزكاة فقال وروى عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال قال العراقي هناك رواه
أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كذا كره المصنف لان الرجل
صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقديره الكلام عليه هناك وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني
من حديث أبي سعيد من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وورد في لفظ آخر أن يعون درهما) رواه النسائي
والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سال وله أر بعون درهما فهو الملقف (ومهما اختلفت
التقديران وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على أحوال مختلفة) جمعا بين الاخبار كيلا تنضاد (فان
الحق في نفسه لا يكون الا واحدا) كما هو مذهب الأصوليين (والتقدير بمنع وغاية الممكن فيه تقييد
ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث
طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب) رواه الترمذي من حديث عثمان

الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير بمنع وغاية الممكن فيه تقييد ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاحناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالداية أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد وقبص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر (٣١٠) من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة

ابن عفان نحوه وقد ذكر قريبا (فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاحناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من) يكون (تحت كفالته كالداية أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين) والمرآت (وهو ثوب واحد قميص) يوارى جسده (ومنديل يربط) به رأسه (وسراويل) أو أزار (ومداس) في رجليه فهو لاء كاهن منزلة ثوب واحد لا يستغنى عنها فان فرضنا ثوبا واحدا عريضا طويلا فالتخف به من رأسه الى قدمه فهو كذلك الا أنه ليس من ثياب ذوى الدين في الاعصار المتأخرة (وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه) أى براعى فيه ما يكفيه (ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب) ورفعها (وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على نوع واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد) بالضم (وهو ما قدره الشرع) وهما حفتان بالكفين هما قوت الحافق غدا وعشاء كفا لا اقتارا ولا اسرافا (ونوعه ما يقتات) من طعام بلده (ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيهما) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار مترابحة (أما الماعيل فربما لا يكفي ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضرار وخوف الفتور تراخي المدة التي

وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيهما) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار مترابحة (أما الماعيل فربما لا يكفي ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضرار وخوف الفتور تراخي المدة التي

ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضرار وخوف الفتور تراخي المدة التي

فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان
سالك طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعتة بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى
فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياالك الامن ضعف اليقين (٣١١) والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد

قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال
من الفحشاء التي أبيض بالضرورة وحال من يسأل
لحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة
مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما
مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب
الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه
الحصول من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين) *
كان بشر رحمه الله يقول
الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل
وان أعطى لا يأخذ فهذا
مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسأل وان أعطى
أخذ فهذا مع المقربين في
جنات الفردوس وفقير
يسأل عند الحاجة فهذا
مع الصادقين من أصحاب
اليمين فاذا اتفق كلهم
على ذم السؤال وعلى انه
مع الفاقة يحط المرتبة

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى
فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان سالك السبيل الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في
المستقبل أتم وقناعتة بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى وهو داخل في حد قولهم الصوفي ابن وقته
أى يقنع بما يتسرله من كل شئ في وقته سواء كان قوتا ظاهريا أو معنويا ولا يعلق قلبه بما سياتى (فلا يكون
خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياالك الامن ضعف اليقين) بالله تعالى (والاصغاء الى
تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى موقنين فعبس عن اليقين هنا
بالإيمان لان اليقين الإيمان كنه (وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والسؤال من) جلة (الفحشاء الذى أبيض بالضرورة) واليه يشير خبر مسألة الناس من
الفواحش ان ثبت وروده كما تقدم (وحال من يسأل الحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة)
نظر الى ظاهر الحال (ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بالله تعالى وهذه
الحصول من أمهات المهلكات) (من أمهات المهلكات) وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين) *
كان بشر رحمه الله تعالى يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى
لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين) لكمال تجرده عن العلائق (وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ) على قدر
حاجته ورد الباقي (فهذا من المقربين في جنات الفردوس) وهو أترل درجة من الأول (وفقير يسأل عند
الحاجة) وفي نسخة عند فاقته (فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين) وهو أترل درجة من الذى قبله وهذا
القول رواه القشيري في الرسالة في باب التوكل فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن
المخزومي يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح حدثنا محمد بن عبدون حدثنا الحسن الحياطي قال كنت عند بشر
الحافى بغناه ففرسما وعليه فقال من أنتم ثم ساق القصة وفي آخرها ثم قال بشر أحسن الفقراء ثلاثة فقير
لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذلك من جلة الروحانيين وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذلك توضع له موافق
حظاثر القدس وفقير يسأل وان أعطى قبل قدر الكفاية فكفارة بصدقه (فاذا اتفق كلهم على ذم
السؤال) مطابقا (وعلى انه مع الحاجة يحط المرتبة والدرجة) ثم هذا الذى يسأل لا يتخلو من أن يسأل لنفسه
أو لغيره فان سأل لغيره فهو معونة وان سأل لنفسه فلا يتخلو من أن يسأل الاقارب والاصدقاء وأساتر الناس
الأول طريق القوم والثاني حرام وقد تقدم تفصيل ذلك (قال شقيق) بن ابراهيم (البطحى) رحمه الله تعالى
(ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال
تركهم ان أعطوا وشكروا وان منعوا) من الاعطاء (صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال فقد أنفى
عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا) ان أعطوا أو كادوا وشكروا وان منعوا صبروا
(فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا وشكروا) وعلموا ان المنع
منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه (وان أعطوا آثروا) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من
العطاء (فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ) هكذا سباق هذه القصة في النسخة وهو من الاصل والصواب
ان السائل هو ابراهيم والمسؤل هو شقيق وقوله فقال شقيق صوابه فقال ابراهيم وقوله فقال له ابراهيم صوابه

والدرجة قال شقيق البطحى لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركهم ان أعطوا وشكروا
وان منعوا صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال قد أنفى عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له ابراهيم فكيف
الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا وشكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ

فأذا درجات أرباب الاحوال في الرضا (٣١٢) والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها

واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيتها الى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى علمين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم ردى الى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى علمين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الرقي قطعاً وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه لا يقدر عليه موأرباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم واسكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحق النورى رحمه الله عديده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستفحته له فابتدأ الجنيد رحمه الله فاجابته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم وانما سألهم ليشيهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكأنه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للعالم لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فآلقها على المائتين ثم قال اجملها اليه

فقال له شقيق بدليل قوله يا أبا اسحق فانه كنية ابراهيم وأما كنية شقيق فابو علي وقدر واه أبو نعيم في الحلية على الصواب حيث قال سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخزومي البغدادي يقول يقول حدثني أحمد بن محمد الخزازي عن حذيفة المرعشي قال دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم فاذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة فاجتمعنا في شق الطواف فقال ابراهيم لشقيق على أي شيء أصليتم فقال أصلنا أصلنا على اننا اذا رزقنا أكلنا واذا منعنا صبرنا فقال ابراهيم هكذا تفعل كلاب بلخ فقال له شقيق فعلم أصليتم قال أصلنا على اننا اذا رزقنا آثرنا واذا منعنا شكرنا ووجدنا فقام شقيق فجلس بين يدي ابراهيم فقال يا أستاذ أنت أستاذنا ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم فاذا فيها على الصواب كما أشرت اليه وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقتها وفيه فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق وذكر القسيري في باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال وقيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم قال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا وفي بعض النسخ فقال شقيق الله أعلم حيث يجعل رسالته (فأذا درجات أرباب الاحوال) من السالكين (في الرضا والصبر والشكر والسؤال) والايثار والفتوة (كثيرة) مختلفة (فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ووجوبها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيتها الى يقاعها) أي ذرونها (ومن أسفل السافلين الى أعلى علمين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم) بنص القرآن (ثم ردى الى أسفل السافلين) بنص القرآن أيضاً (ثم أمر أن يترقى الى أعلى علمين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الترقى مطلقاً وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه) فالترقى تابع للمعرفة والتمييز (وأرباب الاحوال) في أثناء سلوكهم (قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم) في بعض الاحيان وبعض المواطنين (فان مثل هذه الاعمال) لا يطلع عليها وهي مربوطه (بالنيات) ففي الخبر انما الاعمال بالنيات (وذلك كما روى ان بعضهم رأى أبا الحسن) أحمد بن محمد (النورى) رحمه الله تعالى بغدادى المولد المنشأ بغوى الاصل وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشأن مات سنة خمس وتسعين ومائتين (عديده ويسأل الناس في بعض المواطن قال) الراى (فاستعظمت ذلك واستفحته له) أي عددته فبحسب مثله (فايت الجنيد) رحمه الله تعالى (فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك) ولا تتعجب منه (فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم) لا لياخذ منهم فانه في غنى عن ذلك (انما سألهم ليشيهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون) قال المصنف (وكأنه) أي الجنيد (أشار) بذلك (الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه فأت وروى الطيالسي والنسائي والبغوي وابن قانع والباوردى والطبراني والبيهقى والضياء من حديث ثعلبة ابن زهدم الحنظلى يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث أبي رزمة ورواه النسائي أيضاً وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاربي ورواه أحمد أيضاً من حديث رجل من بني يربوع (فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للعالم لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه) وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج يد المعطى العليا ويد الآخذ السفلى الى يوم القيامة وما رواه مالك والشيخان والنسائي من حديث ابن عمر واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة الا أن يقال ان المراد بالمعطى الآخذ اذا كان من غير سؤال والآخذ بالسؤال هو الذى اقضى كون يده سفلى وهو وجهه الا أنه لا يطابق واقع حال النورى فتأمل (ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالى (هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة) من الدراهم (فالقاها على المائتين) جزافاً (ثم قال اجملها اليه) أي الى النورى (فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولاً وهو رجل حكيم واستحييت أن

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال
فزاد تعجبى فسأله فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه فوزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل
فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى (٣١٣) وقال أخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان

فانظر الآن كيف صفت
قلوبهم وأحوالهم وكيف
خلصت الله أعمالهم حتى
كان يشاهد كل واحد منهم
قلب صاحبه من غير منطقة
باللسان، ولكن بتشاهد
القلوب وتناجى الاسرار
وذلك نفحة كل الحلال
وخلو القلب عن حب
الدنيا والاقبال على الله
تعالى بكنه الهمة في أنكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل كمن يشكر مثلا كون
الدواء مسهلًا قبل شربه
ومن أنكره بعد أن طال
اجتهاده حتى بذل كنهه
صعوده ولم يصل فانكر ذلك
لغيره كان كمن شرب المسهل
فلم يؤثر في حقه خاصة لعله
في باطنه فأخذ يشكر كون
الدواء مسهلًا وهذا وان كان
في الجهل دون الاول ولكنه
ليس خاليًا عن حفاظ
من الجهل بل البصير أحد
رجلين أمار جل سلك
الطريق فظهر له مثل ما
ظهر لهم فهو صاحب الذوق
والعرفة وقد وصل الى عين
اليقين ومار جل لم يسلك
الطريق أو سلك ولم يصل
ولكنه آمن بذلك وصدق به
فهو صاحب علم اليقين وان
لم يكن واصلا الى عين اليقين

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى) فاستشرف (على) باطن (الامر) فقال هات الميزان فوزن مائة درهم
وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال) الرجل (فزاد تعجبى فسأله) يعنى
النورى (فقال) أبو القاسم (الجنيد) جل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه وزن المائة لنفسه طلبا
لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه
قال فرددتها) أى الصرة المذكورة (الى الجنيد) رحمه الله تعالى (فبكى وقال أخذ ما له ورد ما لنا والله
المستعان) أى فن كان بهذه المثابة من المعرفة والاستشراق على الخواطر كيف لا يكون السؤال مرديا في
دوجاته (فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت الله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجى الاسرار وذلك نفحة كل الحلال وخلو
القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله بكنه الهمة) أى خالصها (فن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل) وهو (كمن يشكر مثلا كون الدواء مسهلًا) للبعث (قبل شربه) واستعماله (ومن أنكره بعد أن
طال اجتهاده حتى بذل كنهه صعوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة
لعله في باطنه) كالليس البالغ وتجوهر المعدة (وأخذ يشكر كون الدواء مسهلًا وهذا وان كان في الجهل دون
الاول ولكنه ليس خاليًا عن حفظ وافر من الجهل) بل ضرره أشد (بل البصير السالك أحد رجلين أمار جل
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى) مرتبة (عين اليقين) وهو
مقام المشاهدة والكشف (وامار جل لم يسلك الطريق) رأسا فهدى الا كلام فيه (أو سلك ولم يصل) لقصوره
في جهده (ولكن آمن بذلك وصدق به) وسلم لاهله (فهذا صاحب علم اليقين) تصديقه اعطاه الدليل
بتصور الامر على ما هو عليه (وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أضرار تبة) بالاضافة الى ما قبله
(وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم
القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل العقول الضعيفة وتوابع الشياطين فنسأل الله تعالى
أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الاولو الالباب) ولند كر ما يتعلق
بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلا للباب وتكميلا للفوائد قال
القشيري في الرسالة الفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقاء
والانبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسرار بين خلقه بهم بصون الخلق وبركاتهم يسط
الرزق قال معاذ النسي ما أهلك الله قوما وان عملوا ما عولوا حتى أهلكوا الفقراء وأذلواهم وقبل لولم تكن للفقر
فضيلة غير ارادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغنى يحتاج الى بيعها
وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا تستغنى الا
بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرضا اذا تحقق العبد فيه وقدم على
الاستاذ أبى على الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من رزق وعليه مسح وقلنسوة مسح
فقال له بعض أصحابنا بكم اشترى هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشترى به بالدنيا فطلب بالآخرة فلم
أبعه سمعت الاستاذ أبى على يقول قام فقير في مجلس يطلب شيئا وقال انى جئت منذ ثلاث وكان هناك بعض
الشايع فصاح عليه قال كذبت ان الفقر سر وهو لا يوضع سره عند من يحمله الى من يذيعه وقال جردون
القصار اذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفرحوا بشئ كفرحهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤنناور جل

(٤٠ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) ولعلم اليقين أضرار تبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين
اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وتوابع الشياطين
فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الاولو الالباب

يموت على الكفر ورجل قلبه فيه خوف الفقر وقال الجنيد يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكلمون
 بالله فانظروا كيف تكفون مع الله اذا خلوت به وسئل محمد بن عبد الله الفرغاني عن الافتقار الى الله اتم أم
 الاستغناء بالله فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله فقد كمل الغنى
 به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لانهما حالتان لا يتم احدهما الا بالآخرى وسئل رويم عن ذمت
 الفقير فقال ارسل النفس في أحكام الله وقبلت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة
 فرجه وقبل للخرازمي ما خرج عن الفقراء وفق الاغنياء فقال لثلاث خصال لان ما في أيديهم غير طيب ولانهم
 غير موفقين ولان الفقراء مرادون للبلاء وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء
 فساثلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شيء علمك تحت التراب وروى عن أبي الدرداء قال لان
 أقم من فوق قصر فأنحطام أحب الى من مجالسة الغنى لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم
 ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء وقبل للربيع بن خيثم قد غلا السمر فقال نحن أهون على الله
 من أن يجيئنا اغنيا يجمع أوليائه وقال ابراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى
 فاستقبلهم الفقر وقبل ليجي بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الامن بالله وقال ابن الكرنبي
 ان الفقير الصادق ليجتر من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى ليجتر من الفقر حذرا
 ان يدخل عليه فيفسد غناه عليه وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وماذا للفقير ان يقدم به
 على ربه سوى فقره وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات
 الخلق اجمع قال نعم قال عد المرص وكن لثياب الفقراء فاليافعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر
 سبعة أيام يطوف على الفقراء يلقى ثيابهم ويعود المرضى وقال سهل خمسة أشياء من جوهر النفس فقير
 يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع وحزون يظهر النوح ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة
 ورجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى
 العبر وقال ذو النون علامة سخا الله على العبد خوفا من الفقر وقال الشبلي أدنى علامات الفقر ان
 لو كانت الدنيا باسرها لا حداثتها في يوم ثم خطر بباله ان لو أمسك منها قوت يوم ماضى في فقره سمعت
 الاستاذ أبا علي يقول تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى ان الأفضل ان يعطى الرجل
 كفايته ثم يسان فيه وسئل ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يبق عليه بقية منه فقيل كيف
 ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له فأت وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي
 يشير اليه القوم وهو أن يصير كماله لا يتبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه فلو بقي عليه شيء في أحكام
 نفسه ففقره مدخول فيه اه ثم قال القشيري وقيل صحة الفقر ان لا يستغنى الفقير في فقره بشئ الا ان
 اليه فقره وقال ابن المبارك اظهر الغنى في الفقر أحسن من الفقر وقال بنان المصري كنت بمكة فاعدا
 وبين يدي شاب فجاءه انسان وجلس اليه كبسا فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال لاجل الحاجة لي فيه فقال
 فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئا فقلت لو تركت لنفسك شيئا مما كان
 معك فقال لم أعلم اني أعيش الى هذا الوقت وقال أبو حفص أحسن ما يتواصل به العبد الى مولاه دوام
 الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة في جميع الاعمال وطلب القوت من وجهه حلال وقال
 المرتضى ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته وقال أبو علي الروذباري كان أربعة في زمانهم واحد
 كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها
 شيئا وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو اسحق الفزارى
 فكان ما يأخذ من الاخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان
 يخرج به في أهمل طرسوس والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك

يأخذ من الاخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن
 الحسين كان يقول السلطان لا يمن والاخوان يمنون سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر من تواضع لغني
 لاجل غناه ذهب ثلثا دينه انما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه
 فلما اعتقد فضله بقلبه كما تواضع بلسانه ونفسه ذهب دينه كما وقيل أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء
 علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنس وقيل من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا
 ومن أراد الفقر لثلايشغل عن الله تعالى مات غنيا وقال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والايثار
 عند الوجود وسئل الشبلي عن حقيقة الفقير فقال أن لا يستغني بشئ دون الله وقال الجنيد اذا قيمت الفقير
 فالحق بالرفق ولا تلغى بالعلم فان الرفق يؤنس والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم اذا
 كان الفقير صادقا في فقره فطارحت عليه علمك ذاب كذوب الرصاص في النار وقال مظفر القرمي سبني الفقير
 هو الذي لا تكون له الى الله حاجة وكأنه يشير الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجري الحق
 وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر
 حتى يكون العطاء أحب اليه من الاحتذ وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم وانما السخاء أن يعطى
 المعدم الواحد وقال ابن الجلاء لا لشرف التواضع الا كان حكم الفقير اذا مشى أن يتجتر وقال يوسف بن
 أسباط منذ أربعين سنة ماملكت قصين وقال بعضهم رأيت كان القيامة قامت فيقال ادخلوا مالكم بن
 دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي
 انه كان له قصيص واحد ومالك بن دينار قصيصان وقال محمد السوحي الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة
 الى شئ من الاسباب وسئل سهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه وتذاكروا
 عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال لا يوزن عند الفقر ولا الغنى وانما يوزن الصبر والشكر وقيل
 أوحى الله الى بعض الانبياء اذا أردت أن تعرف رضا عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال الزقاق
 من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص وقال أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة
 فان كان ولا بد فلتأجو وزرغبته كفايته وسئل أبو بكر المصري عن الفقير الصابر فقال الذي لا يملك ولا يملك
 وقال ذو النون دوام الفقر الى الله مع التخليط أحب الى من دوام الصفاء مع العجب ومكث أبو جعفر الخزاز
 عشرين سنة يعمل كل يوم دينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيصدق من
 الابواب وقال محمد بن علي الكاظمي كان عندنا بركة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يدناخلنا ولا يجالسنا فوقع
 محبة في قلبي ففتح لي بمائة درهم من وجهه لئلا يملأ اليه ووضعها على طرف سجاده وقلت انه فجع لي
 ذلك من وجهه لئلا تصرفه في بعض أمورك فنظر الى شئرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة مع الله على
 الفراع بسبعين ألف دينار غير الضباع والمستغلات تريد أن تحذ عنى عنها هذه وقام وبدوها وقع تحت
 النقط فلما رأيت كعزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألثقتها وقال ابن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر
 أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل
 مقدار كفايته ابش يقال فيه فقال مكدي كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفصمكم كلكم وسئل
 الدقي عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال انحطاطهم من الحقيقة الى العلم وقال خير النساء
 دخلت بعض المساجد واذا فيه فقير فلما رأني تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت
 وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد دفع عليه بشئ من الدنيا وقال أبو بكر الوراني
 طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب الى
 هنا كلام القشيري وقال السهروردي في العوارف قال ابن الجلاء الفقيران لا يكون لك واذا كان لك
 لا يكون لك حتى تؤثروا وقال بعضهم نعت الفقير السكون عند العدم والاضطراب عند الوجود وتقدم مثله

في قول النوري الا انه قال والبذل بذل الاضطراب وقال الدراج فثبت كفن أستاذي أريد مكحلة فوجدت
 فيها قطعة فتخبرت فلما جاء قلت اني وجدت في كفك قطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها فاشتر بها
 شيئا فقلت ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله تعالى من الدنيا لا صفرها ولا يبيض
 غيرها فأردت أن أوصي أن تشد في كفي فأردها الى الله تعالى وقال ابراهيم الخواص الفقرر رداء
 الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا
 يحبس وقال أبو علي الروذباري سألتني الزقاق فقال يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة قال
 قلت لانهم مستغنون بالمعطي عن إعطائهم قال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات فافدني قال لانهم قوم
 لا ينفعهم الوجود اذاله فاقتمهم ولا تضرهم الفاقة اذاله وجودهم وقال بعضهم الفقرو قوف الحاجة على
 القلب ونحوها عن أسوي الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغريه المحن وقال أبو بكر
 الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجيني أحد بجواب
 يقنعني حتى سألت نصر بن الحناني فقال لي لانه أول منازل التوحيد ففقت بذلك وقال فارس قلت
 لبعض الفقراء مرة رأيت عليه أثر الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال أخاف أن أسألهم فيمنعوني
 فلا يفكحون اهـ وقال صاحب البصائر الفقير له بداية ونهاية وظاهر وباطن فبدايته الذل ونهايته العز
 وظاهره العدم وباطنه الغنى كما قال رجل لا خير فقر ودل فقال لا بل فقر وعز فقال فقر وثرى فقال لا بل
 فقر وعز وكلاهما مصيب وأما مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر وترجيح أحدهما على الآخر فعند
 المحققين ان التفضيل لا يرجع الى ذات الفقر والغنى وإنما يرجع الى الاعمال والاحوال والحقائق
 فالمسألة فاسدة من أصلها وان التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الايمان لا بفقر وغنى قال تعالى ان
 أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أفقركم أو أغناكم ثم اعلم ان الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس
 كل من أعطاه ووسع عليه قدأ كرمه ولا كل من ضيق عليه قدأ أهانه والالزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته
 ومعرفة موافقته ان اذ اسلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى وقال بعضهم هذه المسئلة محال
 أيضا من وجه آخر وهو ان كلام من الغنى والفقر لا بدله من صبر وشكر فان الايمان نقصان نصف صبر
 ونصف شكر بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لانه يصبر عن فدية فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز
 ويكون شكر الفقير أتم لان الشكر هو استفرغ الوسع في طاعته والفقر أعظم فراغا بالشكر من الغنى
 وكلاهما لا تقوم قائمة ايمانه الاعلى ساق الصبر والشكر نعم الذي رجع الناس اليه في المسئلة انهم ذكروا
 نوعان الشكر ونوعان الصبر وأخذوا في الترجيح فجردوا غنيما منفقا متصفا بأذلاله في وجوه القرب
 شاكر الله عليه وفقير امتفرغ الطاعة لله تعالى ولا وراد العبادات صابرا على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى
 أم بالعكس فالصواب في مثل هذا ان أكلهما أطوعهما فإن تساوت طاعتهما تساوت درجاتهما والله أعلم
 اهـ وقال صاحب القوت قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم قتل على الفقر وقد سمي الله الفقراء الصابرين
 محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى ما على المحسنين من سبيل ثم أوقع الحجة والمطالبة على
 الاغنياء وسميهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من الخلفين فقال من المغنين في الآيتين انما
 السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالب يعني النساء لان هذا جمع
 التأنيث وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الارض بغير الحق يعني يطالب العلو فيها
 ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذكرهم تجعلها للذين لا يريدون علوا في الاوض وقد يتحجج متوهم
 لفضل الاغنياء المسكين لفضول الغنى على الفقراء عنده بقوله تعالى مخبر عن الفقراء قولوا أعيانهم
 تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر لا قرآن من يدلفقراء التمام
 حالهم لما كانوا محسنين كما قال تماما على الذي أحسن وقال ستر يد المحسنين فكان مريدهم الحزن

والاشتقاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى بشرهم الله بأنهم محسنون لما قال ما على المحسنين من سبيل لانه أضافهم اليه في الوصف وعطف بهم عليه في المعنى وأيضاً فلم يكن بكأولهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى عدوهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم لكن لما كان خزنهم على طلب المزيد من الفقر ايجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا ومنه فيزدادوا فقرًا من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الانفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان خزنهم فهذا افضل ثان للفقر لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذي فضل به الفقراء من هذه الآلية عند أهل الاستنباط والدراية هو مشاركتهم الرسول في حاله ووصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم من قوله تعالى قلت لا أجد ما أحل لكم عليه ثم نعمهم بمثله لانهم هم الامثل فالمثل به فقال تعالى أن لا يجحدوا ما ينفقون فن كان برؤس الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو الافضل وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الايمان أو عبر عن ذروة الايمان فقال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحمل بذروته ولا يحمل بذروته حتى يكون الفقراً أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وأما وهب بن منبه فانه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول ما من نبي الا وهو مطروح في الخزانة الا الفقر مع المعرفة فانه مخزون مخنوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهادة وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى

*) الشطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والسكن والاناث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد وذلك في فصول خمسة مرتبة

*) (بيان حقيقة الزهد)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين) وهو السادس من مقامات اليقين على مراتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها وانما ذكره في ضمن مقام الزهد ونحن قلناه في سنيافه واما السهروردي وشيخ الاسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جهة مقامات الدين وهي مائة مقام في سياق منازل السائرين (وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات) المذكورة والآلية (لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل) فالحق يرجع الى القلب والقول يرجع الى اللسان والعمل يرجع الى الجوارح (وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القبول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم بسم ايماناً) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو) الآلة التي لا يستغنى عنها عابد ولا عارف لان الدنيا عدوة محبوبة اما كونها عدوة فلانها قاطعة شاغلة واما كونها محبوبة فلان أصل الحياة وكما لها لا يتأتى الا بها وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة وكما الحياة بالتعميم هو القاطع ان كان محظورا او الشاغل ان كان مباحا وأما الزهد فلا يتعلق بالترك المباح وترك المباح منوط بثلاثة آفات الآفة الاولى أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظورات ولا يدرك على فعل الواجبات وترك المحظورات والابتعاد في فضول الشهوات المباحات الآفة الثانية اعتماد النفس والفهامة فيشق عليها مفارقتها والمفارقة للدنيا ضرورة الآفة الثالثة الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خلقت الا لاجلها والقلب لا يتسع لحالين اما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى فاذا عرفت هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك فاما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وقال ما عندكم ينفذ وما عند الله باق

*) (الشطر الثاني من الكتاب في الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والسكن والاناث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد

*) (بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القبول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم بسم ايماناً) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو)

عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وببيع وغيره فالتماثل عدل عن طرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من (٣١٨) المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن

فقد عرفك طريق الفكر في الآيات الاولى وهو ان تنظر الى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنهم لم تكن وفي بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنهم لم تزل مع ما شملت عليه الدينان من الحساسية والقذارة والمكابدة ومحاصرة الشركاء وكذلك ما شملت عليه الآخرة من النفاسة والهباء وعدم الآفات والامان بهاتين المعرفتين واجب لانهما من عقود الايمان بالله فاذا أضفت المعرفة بالآخرة الى المعرفة بالدنيا وكانت ارادتك مائلة الى الدنيا انصرفت ارادتك من الدنيا الى الآخرة فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق ان كنت مصداقها برهانا أو تقليدا لحقيقة الزهد انصراف الارادة عن الدنيا حقارة لاستعظام ما عين من نفاسة الآخرة واليه أشار المصنف بقوله وهو (عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وببيع وغيره فالتماثل عدل لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه) فهذا شرط المرغوب فيه (وشرط المرغوب عنه أن يكون هو ايضا مرغوبا فيه) ولو (بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً) هو (في نفسه لا يسمى زهدا) في الحقيقة (اذ تارك الحجر والتراب والحشرات) وما أشبه ذلك من المحقرات (لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان) الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها و (الحجر والتراب ليسا في مظنة الرغبة) اليهما (وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة) وانما قال عنده لانه اذا كان في نفس الامر خيرا منه الا انه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبته فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لاجل غلبته رغبته (فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكافوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع) فيقولون شريت بمعنى بعت كما يقولون ابتعت بمعنى اشتريت وهم من الاضداد (ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلوهم وجه أبيهم) منه (وكان ذلك عندهم أحب من يوسف فباعوه طمعا في العوض) فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين (فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة) هذا ما تقتضيه اللغة (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهدين بزهد في الدنيا كما خص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل في وضع اللسان) العربي وكذا تخصيص اسم الخفيف بعمل الى الحق وان كان في أصل اللسان بمعنى الميل أيضا (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال) وهذا يفارق الفقرفان حقيقة الفقر الفقد والاحتياج (والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم الاسمار (ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب (والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان الترابط والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكافوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلوهم وجه أبيهم وكان ذلك عندهم أحب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما

خصص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

ترك المال دون الجاه أو ترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة (٢١٩) عن ترك المحظورات والزهد عبارة

عن ترك المباهات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباهات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباهات فإذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى إلى الله وهي الدرجة العليا في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فإن ترك ما لا يقدر عليه محال) فإن قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التمتع بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظم عظمه فلماذا العارفون في الدنيا لذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذائقو الذم معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغفرهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحققوا عند اللذة بهذه المعرفة جميع الذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الإنساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فأنكر على القائل (فقال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق أن يسمى زاهدا (أجابه الدينار أغمة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم إذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول إذا قيل له إنك زاهد قال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فإما أنا في أي شيء زهدت أه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة إلى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق لم يتحقق هذا العلم لا يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وإن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة إلى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على أن أهل الغنى لا يزهدوا فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة إلى الآخرة الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لأنه أهل البقاء نخس بها أهلها اذ منحها البقاء والایمان بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل لذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) والادراك (خبر من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادراك في هذا كمال الدنيا والآخرة فالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة (فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباهات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباهات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباهات فإذا الزهد (أي الزهد) بترك المباهات فإذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) واعراضه عنها (عدولا إلى الآخرة أو) عن رغبته (عن غير الله تعالى عدولا إلى الله وهي الدرجة العليا) في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فإن ترك ما لا يقدر عليه محال) فإن قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التمتع بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظم عظمه فلماذا العارفون في الدنيا لذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذائقو الذم معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغفرهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحققوا عند اللذة بهذه المعرفة جميع الذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الإنساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فأنكر على القائل (فقال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق أن يسمى زاهدا (أجابه الدينار أغمة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم إذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول إذا قيل له إنك زاهد قال إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فإما أنا في أي شيء زهدت أه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة إلى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق لم يتحقق هذا العلم لا يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وإن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة إلى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على أن أهل الغنى لا يزهدوا فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة إلى الآخرة الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لأنه أهل البقاء نخس بها أهلها اذ منحها البقاء والایمان بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل لذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) والادراك (خبر من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادراك في هذا كمال الدنيا والآخرة فالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

خبر أو أبقى من الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادراك في هذا كمال الدنيا والآخرة فالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فيقدرة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى

الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما اشترى الله تعالى عبداً باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وهذا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المادى فاذا كان العوض واحداً والجنة ذكراً للمعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه اعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا اذ ليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لانه نهاية الخير فصار نهياً لها عن الهوى الذى هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا سوء كله فن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرهابها بالسوء واذالم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعاً واذالم يبيعها لم تكن مشترية (ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فن باع حياة نفسه وفرق بمجموع ماله فاشترى المولى الكريم منه فعوضه داره واسكنه عنده في جواره فقدر بحت صفقته واهتدى سبيله فاجابن الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التي هي الهوى ولدخول اليقين على ايمان التصديق (فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى) وصفها بالخيرية لبعائهم في المال ونسخها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال والله خير وأبقى فاذا شهد العبد بعين قلبه ويقين ايمانه ما صدق به ما علمه بفهم سمعه وادراك خبره ان ما يفي آخوه كانه لم يكن وما يفي آخوه كانه لم يزل كان من المتفكرين في مثل هذه الآسى المشاهدين لها كما قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة (وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان واما لاغتراره بوعايد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم) وحينئذ بعد حين (الى أن يختطفه الموت ولا يبقى الا الحسرة بعد الفوت) ومن دامت غفلته عظمت في الآخرة حسرته ونحسارته ألم تسمع الى قوله تعالى اولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون مع قوله وأنبذهم يوم الحسرة اذ قضى الامر بهم في غفلة فهذه صفات الجاهلين وأحلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجد عدم اليقين ومعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم فن دخل في بعض مدارخلهم ووقع به التهديد والوعيد والخوف الشديد لهم في قوله مخبر عنهم من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآخرة وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بالذين هم عن آياتنا غافلون فما أعظم حسرة الفوت على من خسرها ربحه الزاهدون بعد الموت (والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى والمعاد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى تخبر عنهم وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب فالتقتا لهو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقتننا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فأنكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله صفاء كآتهم بنيان مرصوص فعند هارج الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون (والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل) اذ وصف فارون فخرج على قومه الى قوله (وقال الذين أوتوا العلم) فجعل أهل الزهد علماء (ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون (ففيه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة عن محبوب عن أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أراها) (ولكن قل) اللهم (أرني الدنيا كما أراها الصالحين من عبادك) ولفظ

حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان واما لاغتراره بوعايد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة عن محبوب في أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أراها الصالحين من عبادك

وهذا لان الله تعالى براها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة حقير والعبد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة (٢٢١) ويراها متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد

هو والذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره * وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا في بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليس يبيعه الذي يبيع به فان الذي يبيع به فان الذي يبيع به هذا البيع وفي باعه دفن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهود وما دام مسكالا لدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف (بالزهد في بنيامين) وهو أخو يوسف لانه قد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضا لخل لهم وجه أبيهم منهم ما لم يسمع الى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابغاده كما عزموا على يوسف فقد جاء في الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أحاهم معه في الحب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهودا تشفع فيه ورجه ومنعه وكان شديدا بينهم منيعا مهيأ فيهم وقد قيل في السيران أحاهم الا كبير روييل هو واستوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه ساقية وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه اياها معا فوهبوا له ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيه مامن الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه) من الحب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

القوت كما براها الصالح من عبادك وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس مختصرا اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك ولم يخرج له ولده (وهذا لان الله تعالى براها حقيرة كما هي) ولذلك لم ينقل اليها من ذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا (وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة) وكبريائه وعظمته (حقير والعبد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة ويراها متفاوتا بالاضافة الى غيره (والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره) وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال واطهار سر المكون معصية اذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه فسيحان من خص الشاهدين الذين عنده في طلبه بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيلة بشئ من علمه فأحاط علمهم بما شاء وأحاط لهم ما شاء ولذلك قال صاحب السر الذي عنده حقيقة الخبر لرجل الذي قال اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال لا تقل ثم ساق الحديث ثم قال فهذا على نحو ما أمر الآخر به اذ قال له أوصني قال استحي من الله كما تستحي من رجل صالح فهذا الذي يمكنه معرفته اذ كان حقيقة الحق بمنعة وكنه صفاته الموجهة للعباد وغيره مخفية فرده الى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اه هذا ما يتعلق بأحد طرفي الحال وهو العلم ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل فقال (وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى) هو تذكير الدين من الدناءة وهي الخساسة (فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهي الدنيا بأسرها) أي بنماها (مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا في بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليس يبيعه الذي يبيع به فان الذي يبيع به فان الذي يبيع به هذا البيع وفي بالعهود) وهو الله سبحانه وتعالى (فن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهود) وكان معروفا بذلك (وما دام مسكالا لدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله أخوة يوسف) عليه السلام (بالزهد في بنيامين) وهو أخو يوسف لانه قد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضا لخل لهم وجه أبيهم منهم ما لم يسمع الى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابغاده كما عزموا على يوسف فقد جاء في الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أحاهم معه في الحب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهودا تشفع فيه ورجه ومنعه وكان شديدا بينهم منيعا مهيأ فيهم وقد قيل في السيران أحاهم الا كبير روييل هو واستوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه ساقية وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه اياها معا فوهبوا له ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيه مامن الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه) من الحب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

(٤١ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى أخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابغاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج

فان أخرجت عن اليد بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر (٣٢٢) على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك أن الدنيا وان لم تاتك

الشيء موجود عندك وأنت تمسكه لنفسك ثم قوهمت انك زاهد فيه لخواطر الارادة أو لارادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك اياها زاهدا (فان أخرجت عن يدك بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد) فان زهدك فيما لا تملك غير جائز وكذا الزهد في معدوم باطل وكان التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه (لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه) ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يوهم ويشبه والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة (وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجمل غروره دون أن تستوثق أو تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عند هافكم من طمان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تبسرت له أسبابا من خير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات التي التزم عنها عبارة عن التوبة (فاياك أن تثق بوعدها في المباحات) الذي التزم عنها عبارة عن الزهد ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهوان لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقدته وتكون معتبطا بعدك مسرورا بفقدك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله راض به عن الله بما لك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا فكان لك باحده هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر (والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجرب هامة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف) أي الموانع (والاعذار ظاهرا وباطنا) وتلك الاعذار تختلف باختلاف الاشخاص والازمان (فلا بأس ان تثق بها وثوقا تاما) أي أدنى وثوق (ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريية الرجوع الى مقتضى الطبع) فانها طمعت على الشهوات والمال والتقلبات (وبالجملة فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما تركه وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سني الحفظ جد امان سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (ابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تلميذا ومسلما وأبو داود والنسائي وابن ماجه (الآثرى الى هذا ابن الحائك لانفتي في مسألة الاردعيلينا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهر بـ منها) كأنه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما ما تولى قضاء الكوفة واماها الامام وضرب وامتنح لذلك واقعد انصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائميا يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سماح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سر ومقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا لولوا لعلمنا في أي شيء يحببته لفعلمناه حتى نزل قوله تعالى ولولوا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود

فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجمل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عند هافكم من طمان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تبسرت له أسبابا من خير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات التي التزم عنها عبارة عن التوبة (فاياك أن تثق بوعدها في المباحات والموانع) الذي التزم عنها عبارة عن الزهد ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهوان لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقدته وتكون معتبطا بعدك مسرورا بفقدك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله راض به عن الله بما لك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا فكان لك باحده هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر (والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجرب هامة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا) وتلك الاعذار تختلف باختلاف الاشخاص والازمان (فلا بأس ان تثق بها وثوقا تاما ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريية الرجوع الى مقتضى الطبع) وانها طمعت على الشهوات والمال والتقلبات (وبالجملة فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما تركه وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سني الحفظ جد امان سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (ابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تلميذا ومسلما وأبو داود والنسائي وابن ماجه (الآثرى الى هذا ابن الحائك لانفتي في مسألة الاردعيلينا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهر بـ منها) كأنه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما ما تولى قضاء الكوفة واماها الامام وضرب وامتنح لذلك واقعد انصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائميا يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سماح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سر ومقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا لولوا لعلمنا في أي شيء يحببته لفعلمناه حتى نزل قوله تعالى ولولوا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود

منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا لولوا لعلمنا في أي شيء يحببته لفعلمناه حتى نزل قوله تعالى ولولوا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله

رضي الله عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل) قال العراقي لم أقفله على أصل
 اه قات سياق هذه العبارة في القوت قال وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنون بانهم
 حب الباقي الاعلى حتى نزلت ألم ترالى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
 عليهم القتال اذافريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا
 تنفعون كانوا قالوا اننا نخبر بناولو علمنا في أي شيء يحببنا لنعلمناه فلذلك قال كبرمقة عند الله ان تقولوا مالا
 تنفعون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكذلك قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين نزلت ولولا ان كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
 ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فأنت منهم أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اه ففي
 سياق المصنف سقط ظاهر بيينه سياق القوت ولذلك قال العراقي لم أقفله على أصل أي لأصل لهذه القصة
 في نزول قوله تعالى ولولا ان كتبنا عليهم الآية وسياق صاحب القوت صحيح فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم
 وابن مردويه عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله دلنا على
 أحب الاعمال ففعل به فاحبر الله نبيه ان أحب الاعمال ايمان بالله لا سلك فيه وجهاد أهل معصيته الذين
 خالفوا الايمان ولم يقر به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط
 قال كان عبد الله بن ربيعة واحدة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالى فيهم والذكر واشتاقوا فقالوا لو تعلم الذي
 هو أحب اليك فعلناه فأنزل الله تعالى هذه الآية الى قوله مرصوص فلما كان يوم موته وكان ابن ربيعة أحد
 الامراء نادى في القوم يا أهل المجلس الذين وعدتم بكم قولكم لو تعلم الذي هو أحب اليك فعلنا ثم تقدم
 فقاتل حتى قتل وروى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية عند قولهم والله لو
 تعلم أحب الاعمال لفعلناه فدلهم على أحب الاعمال اليه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا لو كان تعلم
 أحب الاعمال الى الله فنزلت هذه الآية وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال نزلت في نفر من
 الانصار منهم عبد الله بن ربيعة واحدة قالوا في مجلس لهم لو تعلم أي عمل أحب الى الله لعلمناه حتى غوت فقال ابن
 ربيعة لا أبرح حبس حتى أموت فقتل شهيداً ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه وروى ابن أبي
 حاتم عن مقاتل قال قال المؤمنون لو تعلم أحب الاعمال الى الله لعلمناه فدلهم على أحب الاعمال فقال ان
 الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين
 فأنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (وقال ابن مسعود أيضاً) ما عرفت ان
 فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة (ولفظ القوت
 ما أحسب ان فينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت وقال العراقي واه البهق في الدلائل باسناد حسن) واعلم
 انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والجود والفتوة (وعلى سبيل استمالة القلوب ولا
 على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وانما الزهد ان تترك
 الدنيا لعلك بحقايرها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهداً (والثناء والطيب
 (وميل القلوب) اليه بالمحبة (من حظوظ العاجلة) أي الدنيا (وهي ألدوأهنأ من المال وكان ترك المال
 على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة
 والسخاء) والبذل (واستئقالاته) لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلطين
 والاغنياء ليس من الزهد أصلاً بل هو استعجال حظ آخر لنفسه في الدنيا واغضا القوت من جاد بما له الله
 كان زهداً فيه لوجه الله ووقع أجره على الله ومن جاد بما له لاجل الناس كان أيضاً زهداً في ذلك وصوفاً

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل
 قال وما عرفت أن فينا من
 يحب الدنيا حتى نزل قوله
 تعالى منكم من يريد الدنيا
 ومنكم من يريد الآخرة
 واعلم انه ليس من الزهد
 ترك المال وبذله على سبيل
 السخاء والفتوة وعلى سبيل
 استمالة القلوب وعلى سبيل
 الطمع فذلك كله من
 محاسن العادات ولكن
 لا مدخل لشيء منه في
 العبادات وانما الزهد ان
 تترك الدنيا لعلك بحقايرها
 بالاضافة الى نفاسة الآخرة
 فاما كل نوع من الترك فانه
 يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة
 وفتوة وسخاء وحسن خلق
 ولكن لا يكون زهداً اذ
 حسن الذكر وميل القلوب
 من حظوظ العاجلة وهي
 ألدوأهنأ من المال وكان
 ترك المال على سبيل السلم
 طمعاً في العوض ليس من
 الزهد فكذلك تركه طمعاً
 في الذكر والثناء والاشتهار
 بالفتوة والسخاء والحاجة الى
 التذلل للسلطين والاغنياء
 ليس من الزهد أصلاً بل هو
 استعجال حظ آخر لنفسه

بل الزاهد من أتته الدنيا
راغبة صفوا عفووا وهو قادر
على التمتع بهم من غير نزع
جاء وقبح اسم ولا فوات حظ
لأنفس فتركها خوفا من
أن يأنس بها فيكون آتسا
بغير الله وبحب الماسوي الله
ويكون مشركا في حب الله
تعالى غيره أو تركها طمعا
في ثواب الله في الآخرة فترك
التمتع بأثر به الدنيا طمعا
في أشربة الجنة وترك التمتع
بالسراري والنسوان طمعا
في الحور والعين وترك
التفرج في البساتين طمعا
في بساتين الجنة وأشجارها
 وترك التزين والتجمل بزينة
الدنيا طمعا في زينة الجنة
 وترك المطاعم اللذيذة طمعا
في فواكه الجنة وخوفامن
أن يقال له أذهبتم طبيعتكم
في حياتكم الدنيا فأتري
جميع ذلك ما وعد به في الجنة
على ما تيسر له في الدنيا عفووا
صفوا العلم بان ما في الآخرة
خير وأبقى وأن ماسوي هذا
فعاصيات دنسوية لا
جدوى لها في الآخرة أصلا
(بيان فضيلة الزهد)
قال الله تعالى فخرج على
قومه في زينته الى قوله تعالى
وقال الذين أوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير بان
آمن فنسب الزهد الى العلماء
ووصف أهله بالعلم وهو غاية
الثناء وقال تعالى أولئك
يؤتون أجرهم مرتين بما
صبروا جاء في التفسير على
الزهد في الدنيا

بالسكنا والمكن ذلك لنفسه ولاجل هواه فهو موصوف بظاهر المروعة وبمعنى الفتوة ولا أجله اذ لم يكن من
عمال الله فبطل أجره لانه عمل لاجل نفسه لا لوجه ربه وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضا له من حرث
الآخرة لان هذا حرث الدنيا فلم يكن له في الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الراجح بالذي أرى في أموال
الناس لانه عمل لاجل الناس ففنى نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة اذ لم يحتسبه لفناء الدنيا
وأهلها لانه عمل لاجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم والباقيات الصالحات ما يراد به الباقي
يبقى ببقائه لصالحى أولياته وكان ابن مالك يقول ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقا الا في شيء وأنه ما حظرت
القراءة شيئا الا فحتمه الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجه الناس
ومدحهم وقد كان أستاذنا سفيان الثوري يقول من لم يحسن يتقنى لم يحسن يتقنى أى من لم يعرف أحكام
التقنى فيقوم به ويصبر عليه ويراعى حسن الادب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقوى ولم
يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارئ (بل الزاهد من أتته الدنيا راغبة صفوا عفووا وهو قادر على
التمتع بهم من غير) مانع من (نقصان جاء وقبح اسم) بسببها (ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان
يأنس بها) ويحبها (فيكون آتسا بغير الله وبحب الماسوي الله ويكون مشركا في حب الله غيره أو تركها
طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأثر به الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري
والنسوان طمعا في الحور والعين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك
التجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفامن أن يقال له
أذهبتم طبيعتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فأتري جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا
عفووا صفوا) من غير تعب (العلم بان ما في الآخرة خير وأبقى) وما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى آخره
كانه لم يزل (وان ماسوي هذا فمعاملات دنسوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا) والله الموفق *(تنبيه)*
اعلم ان الزهد على قسمين مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو
من عقود الايمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة وكلما ازدادت تركا
للدنيا ازدادت بالله معرفة والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يبحث على الفراغ لارقات الواجبات وهو
لعمري سبب لا قامة الاخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات فلا يقدر على ترك جملة من الشرور والظواهر
والباطنة الا بترك الدنيا الا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لاجل نفسه والمباحات منهى عنها لادائها
الى ما ذكرنا في الغالب ومن أهل التمكن من يعطى قوة يدبر بها العلمين ولا يشغله شيء عن الله ففهم من وصل
الى هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد وهو المسمى مریدا ومنهم من وصل اليه بنفسه نفع الرحمة
في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الامر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مرادا
وكل منهما مراد الا أن هذا مراد بوسائل كثيرة وهذا مراد بغير واسطة وقد أخبر الله عن كلا الحالين
فقال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وينبغي ان يجري بينهما خلاف الجسارى في التفاضل
بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقى هذا اذا اتحدت المعرفتان فان اختلفتا كانت
الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم

(قال الله تعالى) اذ وصف قارون (فخرج على قوم في زينته) من خيول وبغال وعلمان عليها ربة حسنة من
أصفر وأحمر وأخضر (الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا
ولا يلقاها الا الصابرون (فنسب الزهد الى العلماء) أى سماهم كذلك لوصفهم بشرط له الصبر (ووصف
أهله بالعلم) اذ جاء في التفسير ان المراد بهم الزاهدون في الدنيا (وهو غاية الثناء) ونهاية المدح وهذه الآية
كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين (وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير)
صبروا (على الزهد في الدنيا) وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم بما صبرتم قبل

قال عز وجل اناجعلنا ما على

الارض زينة لها انبلوهم

أهم أحسن علقا قلى معناه

أهم أزهدهم أوصف الزهد

بانه من أحسن الاعمال

وقال تعالى من كان يريد

حرف الآخرة نزل في حرفه

ومن كان يريد حرف الدنيا

نوته منها وما له في الآخرة

من نصيب وقال تعالى ولا

تعدن عينيكم الى ما تمنعونه

أزواجهم زهرة الحياة

الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك

خير وأبقى وقال تعالى الذين

يستحبون الحياة الدنيا على

الآخرة فوصف الكفار

بذلك ففهموه أن المؤمن

هو الذي يتصف بنقيضه

وهو أن يستحب الآخرة

على الحياة الدنيا * (وأما

الاخبار) * فصار دمرها

في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا

بعضها في كتاب ذم الدنيا

من ربح المهلكات اذبح

الدنيا من المهلكات ونحن

الاثن نقصر على فضيلة

بعض الدنيا فانه من المنجيات

وهو المعنى بالزهد وقد قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أصبح وهمه الدنيا شئت

الله عليه أمره وفرق عليه

ضعفته وجعل فقره بين عينيه

ولم ياته من الدنيا الا ما كتب

له ومن أصبح وهمه الآخرة

جمع الله له همه وحفظ عليه

ضعفته وجعل غناه في قلبه

وأنته الدنيا وهي راحة

وقال صلى الله عليه وسلم اذا

على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال
الذين أتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أي عن
زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها قال في مدحهم بوصف آخر يقولون أجرهم
مرتين بمصابروا فقد حصل للزاهد أمران بصره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على
الغنى لو جود فقره وعدم زهده فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين بفضل بالأخرى على
مقام الرجاء اذا الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك قال عيسى عليه
السلام خشية الله وحجب الفردوس بيباعدان عن زهرة الدنيا بورثان الصبر على المشقة فجعل الخشية لله
تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا بورثانه وبسهلان الصبر على شداها يشار المحبة لله على محبة
نفوسهم فيها وخيفة من الله ان يحاسبهم على التكاثر منها (وقال عز وجل اناجعلنا ما على الارض) من
المعادن والجواهر والنبات (زينة لها انبلوهم أهم أحسن علقا قلى معناه أهم أزهدهم فيها) رواه ابن أبي
حاتم عن سفيان الثوري ورواه عن الحسن فقال أنهم أشد تركا للدنيا (فوصف الزهد بانه من أحسن
الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرف الآخرة نزل في حرفه ومن كان يريد حرف الدنيا نوته منها وما له
في الآخرة من نصيب) معنى نزل في حرفه أي لانحاسبه بما نعطيه منها بعد ان لا يدها وان لا يكون
من همه فساد دخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة فهذا مجاز الدنيا لان الرزق لا يزد فيه ذرة
على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له مجازا على زهده فيها وحري بحري المكافاة لخروج همه منها
(وقال تعالى ولا تعدن عينيكم الى ما تمنعونه أزواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
وأبقى) فأمرهم بان لا يمدعين الى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد ووصف رزق الآخرة بما وصف به
نفسه بوصفين من الخير والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء (وقال تعالى الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة) قد (وصف الكفار بذلك ففهموه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان
يستحب الآخرة على الحياة الدنيا) فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بنطوقها ومفهومها (وأما الاخبار
فصار دمرها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربح المهلكات اذبح الدنيا من
المهلكات) اذ هو أس الخطايا (ونحن الاثن نقصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من المنجيات) فناسب
ابراده هنا (وهو المعنى بالزهد) أي وهو المراد به اذا أطلقوا اللفظة (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضعفته) أي عياله وما يخاف عليه من الضياع (وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه
ضعفته وجعل غناه في قلبه وأنته الدنيا وهي راحة) وان لم يرها قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث زيد بن
نايث بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اه قلت حديثه رواه أيضا ابن النجار
ولفظه من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضعفته فيصبح غنيا وعسى
غنيا ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها فاشا الله ضعفته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيرا وعسى فقيرا (وقال صلى
الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة) قال العراقي
رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف اه قلت لفظ ابن ماجه اذا رأيتم الرجل قد أعطى
زهدا في الدنيا وقله منطق فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية
والبيهقي وابن عساكر ورواه أيضا الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة وقال القشيري في الرسالة
أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني حدثنا أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد
حدثنا جعفر بن مشاجع حدثنا زيد بن اسمعيل حدثنا كثير بن هشام حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى
ابن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له محبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد

رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه ياتي بالحكمة

أوتى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فاقتر بؤامسه فانه يلقي الحكمة انتهى أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام بن يحيى بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد وأخرجه ابن منده من طريق هشام بن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له حجة وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان أبو فروة لا يعرف وائس هو الجزري قال الحافظ قد ذكر البخاري أن أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري ورجح البخاري أن الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه وكانت له حجة ولم يذكر تسميته ووقع في رواية لابن أبي عامر عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فهذا الخبر الكثير هو ظاهر عطاء الزاهد من قوله فكيف يباطن عطاياهم ونهايته (ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا (أي يبغضها) (ويحب الآخرة) قال العراقي رواه ابن ماجه بأسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن قنبر قال قيل لرسول الله فن على أثره وقد تقدم رواه هذه الزيادة بالاسناد المذكور الخرائطي في مكارم الاخلاق اه قات لفظ الخرائطي خير الناس ذوالقلب الخموم واللسان الصادق قيل قد عرفنا اللسان الصادق في القلب الخموم قال هو النقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا حسد قيل فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وهكذا رواه الحكم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسل وقد تقدم في ذم الدنيا وأورده صاحب القوت ثم قال والشئ يعرف بضده كما يعرف بمثله فضعف الشئ المحبة وضده الزهد الرغبة (ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا) وأن الراغب فيها هو المحب لها كيف (و) قد قال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بن مسعود ضعيف نحوه وقد تقدم قلت كأنه يشير الى حديث سهل بن سعد الزهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس هذا الذي رواه ابن ماجه ورواه أيضا الطبراني والحاكم ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم (فجعل الزهد سبيلا للمحبة) أي محبة الله التي لا مثل لها (فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا تعرض للبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا وهكذا وأورده صاحب القوت غير أنه قال بطوفان بدل يجولان ثم قال وكأنه أراد به هذا محض الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعينة والحياة الذي هو نظر المشاهدة ان وجود ذلك على حقيقته في مكان

وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبيلا للمحبة فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا تعرض للبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا

شرطاً للإسلام وهو التحافي
عن دار الغرور وقال صلى الله
عليه وسلم استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا نستحي
منه تعالى فقال ليس كذلك
تبنون ما لا تسكنون
وتجمعون ما لا تأكلون
فبين أن ذلك يناقض الحياء
من الله تعالى ولما قدم عليه
بعض الوفود قالوا انا مؤمنون
قال وما علامة إيمانكم
فذكروا الصبر عند البلاء
والشكر عند الرخاء والرضا
بمواقع القضاء وترك الشهامة
بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء
فقال عليه الصلاة والسلام
إن كنتم كذلك فلا تجمعوا
مالاً تأكلون ولا تبنيوا
مالاً تسكنون ولا تنافسوا
فيما عندهم ترحلون فجعل
الزهد تكملة للإيمانهم
وقال جابر رضي الله عنه
خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من جاء بلا
إله إلا الله لا يخلط به غيره
وجبت له الجنة فقال
علي كرم الله وجهه فقال
يا بني أنت وأمي يا رسول الله
ما لا يخلط به غيره ما صفة
لنفسه لنا فقال حب الدنيا
طلبها واتباعها وقوم
يقولون قول الأنبياء ويعملون
عمل الجبابرة فمن جاء بلا
إله إلا الله ليس فيها شيء من
هذا وجبت له الجنة

هو الزهد جعله (شرطاً للإسلام) أي لحقيقته (وهو التحافي عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن
المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفر يابن وابن أبي شيبة وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور ومن ولد جعفر بن
أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور
يقذف فيه فينشر له قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال نعم الأمانة إلى دار الخلود والتحافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن جيد عن الفضل بن رجاء سأل النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم فقال كيف الشرح قال إذا أراد الله بعبد خيراً أقذف في قلبه النور فانه يفتح لذلك صدره فقال يا رسول الله
هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التحافي عن دار الغرور والأمانة إلى دار الخلود وحسن
الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكرك الموت عن الحسن بنحوه وقدره
ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي شيبة وابن جرير
مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتابي الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا نستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين أن
ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني
من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب باسناد ضعيف اهـ قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في
الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها إنما قالت اطلع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الاستحيون قالوا مم ذلك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون
وتبنون ما لا تعمرون وتؤملون ما لا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن
الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منبته رواه سعيد بن عبد الجيد بن جعفر عن علي بن
نابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض
الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا انا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم فذكروا الصبر على البلاء
والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال صلى الله عليه وسلم
إن كنتم كذلك فلا تجمعوا مالاً تأكلون ولا تبنيوا مالاً تسكنون ولا تنافسوا فيما عندهم ترحلون فجعل الزهد
تكملة للإيمانهم) وعلوا مقامهم ونما على إحسانهم قال العراقي رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما
باسناد ضعيف من حديث جابر (وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه (خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها) أي معها (غيرها وجبت له الجنة فقال) اليه (علي) بن أبي
طالب (كرم الله وجهه فقال يا بني أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط به غيره ما صفة لنا فقال حب
الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء
من هذا وجبت له الجنة) قال صاحب القوت وبنائه عن ابن المنذر عن جابر وقال العراقي لم أره من
حديث جابر وقدره الحكيم في النوادر من حديث يزيد بن أرقم باسناد ضعيف نحوه انتهى ثم قال صاحب
القوت فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاماً في الصبر ويجعل الصبر عمدة الإيمان وفسر بذلك
مقام اليقين الذي شرح فيه شعبه في حديثين وبناهما أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه
عكرمة وعتبة بن جند والحارث الأعور وقيصة بن جابر الأسدي في مباني الإيمان أنه قال الإيمان على أربع
شعب وفي لفظ حديث بعضهم اليقين على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل ثم قال فيه
والصبر فيه على أربع شعب على الشوق والشفقة والزهادة والتقرب في اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات
ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن تربى الموت سارع في الخيرات فأقام الزهد مقام اليقين اذهو
مقتضاه فلما أوجب اليقين الزهد في الدنيا اقتضى الزهد ثوبين مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل أمرها

فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبتها حالها فاستبدل بها الرغبة في الآخرة فسارع اليها بقصد هربه
من الدنيا ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقق بإرادة الآخرة وسعى لها سعيها المار كبطريقها
وصار ابن سبيلها فوجب حقه على الراغبين في الدنيا كما وجب حق ابن السبيل الذي ركب الطريق فتدبر
(وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والنجل من الشك ولا يدخل الجنة من شك) قال
صاحب القوت ورواه في خبره مقطوع وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء
ولم يخرج له ولده في مسنده وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والنجيل
بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل مخنى أحب إلى الله من عبد نجيل رواه الترمذي
وقال غريب الدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي والخراطي في مكارم الأخلاق والخطيب في كتاب
ذم الجلاء من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله ورواه الدارقطني والطبراني
في الأوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطني له طرق ولا ثبت منها شيء قال السيوطي وأورده
ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم النجل قال صاحب القوت الخبر الأول منسرا للخبر
المجمل الثاني بأي معنى كان السخى قريباً من الله لأن السخاء من اليقين والسخى موقن فصار من المقربين
وبأي معنى كان النجل بعيداً من الله بعيداً من الناس قريباً من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من
المباعد من السخاء أيضاً وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخي لأنه لما زهد في الدنيا سخط نفسه بها وطابت
عنها لا استبدلها بالتعويض عنها (والنجل ثمرة الرغبة في الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحرير
لا نجلاً ولا يكون النجل زاهداً (و) قد يكون (السخاء) سبيلاً للزهد إذا سخط نفسه عن الشيء زهدت فيه
كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره فصار السخاء (ثمرة الزهد) فنفس الزهد سخاء وعين النجل رغبة
(والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا بحاله وروى) سعيد بن (بن المسيب) رحمه الله تعالى (عن أبي ذر رضى
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها
لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام) وألفظ القوت وبصره داءها ودواءها
فبنو الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معارف الداء فبرئ ولا ترى ذلك قبل نور
الحكمة وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى
إذا لم يصبر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديته وزاد في موضع آخر ومن حرص عليها
توهمه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها هلكه وقال العراقي لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في
ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسل وابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري
من زهد في الدنيا أربعمائة يوم وأخلص فيها العبادة أحرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال
حديث منكرواد أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصر من حديث أبي أيوب من أخلص
لله الحديث وكلها ضيقة انتهى قلت حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريباً ما حديث أبي
أيوب من أخلص العبادة لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو
نعيم عن مكحول عن أبي أيوب ورواه هنادي الزهد وأبو نعيم أيضاً عن مكحول مرسل وأورده ابن الجوزي
في الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هموا واحداً هم المعاد كفاه الله
سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله
عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي) النوق (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشت
الناقة مشدداً فهي عشراء أتى على حلالها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولانالت لهما
وأما الحفل فهي جرح حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضاً أصله في
الشاة (وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم) وأنها داء أكرمها عليهم (لأنها تجمع الظاهر)

وفي الخبر السخاء من
اليقين ولا يدخل النار
موقن والنجل من الشك
ولا يدخل الجنة من شك
وقال أيضاً السخى قريب
من الله قريب من الناس
قريب من الجنة والنجيل
بعيد من الله بعيد من الناس
قريب من النار والنجل ثمرة
الرغبة في الدنيا والسخاء
ثمرة الزهد والثناء على الثمرة
ثناء على المثمر لا بحاله وروى
عن ابن المسيب عن أبي ذر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال من زهد
في الدنيا أدخل الله الحكمة
قلبه فانطق به لسانه وعرفه
داء الدنيا ودواءها وأخرجه
منها سالماً إلى دار السلام
وروى أنه صلى الله عليه
وسلم مر أصحابه بعشار من
النوق حفل وهي الحوامل
وكانت من أحب أموالهم
إليهم وأنفسها عندهم
لأنها تجمع الظاهر

للكروب عليها (والحم) لا كلهم (والبن) لشر بهم (والوبر) للبسمم وكثمن والولد فهي خمسة وهي الراحلة من الابل التي ضرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة فان التي تجمع هذه الخمس من الابل الجولة قليل فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع (ولعظمها في قلوبهم - قال الله تعالى) في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها اذا الشمس كورت (واذا العشار عطلت) علمت نفس ما حضرت يعني يومئذ تشهد ما قدمت من مناقب النمر الخبز والشر (قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أعني عن العشار الحوامل (وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفاس أموالنا) وكرامتها أعرضت عنها (لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتغابه الآية) ونماها آزارا بما منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق بلخير وأبقى هكذا أورده صاحب القوت بعد ان قال وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره الى أبناء الدنيا مما تاملوا لهم وأخبر ان ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم وأعلمه إن الزهد والقناعة خير وأبقى تنظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتغابه الآية وفي خبر أنه صلى الله عليه وسلم فساقه وقال العراقي لم أجده أصلا قلت وروى عبد بن حديد وابن أبي حاتم عن قتادة قال واذا العشار عطلت أي سيبها أهلوها أنهم ما مشغلهم عنها فلم يصروا ولم تجلب ولم يكن في الدنيا مال أعجب اليهم منها وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة انه كان اذا دخل على اهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع الى أهله فدخل الدار قرأ ولا تمدن عينيك الى قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة وحكم الله وقال صاحب القوت بعد ان آورد قصة العشار وبمعناه روي في الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر في الحوار بين علي شجرة خضرة نصرته تحتها غدر فنظروا اليها فاعرض هو فلم ينظروا فلما جاوزوها قال بحق أقول لكم لقد نقض من عقولكم بمقدار نظرتم الى الدنيا (وروى عن مسروق) بن الاجدع الهمداني التابعي الكوفي (عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ألا تستطعم الله في طعامك قالت وبكى لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت رب أن يجري معي جبال الدنيا ذهبالا حرا حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقير الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تتبعني لمحمد ولا لأل محمد يا عائشة ان الله لم ير ضلولا في العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته وانى والله لا صبرن كما صبروا ويجهدى ولا قوة الا بالله) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا ان الله لم ير ضلولا في العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومجالد مختلف في الاحتجاج به (وروى عن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها) بأبت (البس لين الثياب اذا وفدتك عليك الوفود من الآفاق وما بصنع طعام تطعمه) أي تأكله (وتطعم من حضر) منهم (قال عمر يا حفصة ألست تعلمين ان أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الاجاعوا عشية ولا شبعا وعشية الاجاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله

اهل بيت فقالت بلى قال فاستدته
هو ولا اهل بيته غدوة الاجاعوه
كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر

اهل بيته فقالت بلي قال فاشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع عليه هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة فاشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو ولا اهل بيته حتى فزع الله عليه خيبر فاشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع عليه

عليه وسلم قرئتم اليه
 يوما طعاما على مائدة فرغت
 ارتفاع فشق ذلك عليه
 حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة
 فرفعت ووضع الطعام
 على دون ذلك ووضع على
 الارض وناشدت الله هل
 تعلمين ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان ينام على
 عبادة مثنية فنثيت له ليلة
 أربع طاقات فنام عليها
 فلما استيقظ قال منعموني
 قيام الليلة بهذه العبادة
 اننوها باثنتين كما كنتم
 تنوحن وناشدت الله هل
 تعلمين ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان يضع ثيابه
 لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه
 بالصلاة فلم يجد ثوبا يخرج
 به الى الصلاة حتى تجف
 ثيابه فيخرج به الى الصلاة
 وناشدت الله هل تعلمين ان
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم صنعت له امرأته
 بني تفسر كساء من ازارا
 ورداعو بعثت اليه باحدهما
 قبل أن يبلغ الاخر فخرج
 الى الصلاة وهو مشتمل به
 ليس عليه غيره قد عقد
 طرفيه الى عنقه فصلى كذلك
 فما زال يقول حتى أبكها
 وبكى عمر رضي الله عنه
 وانتخب حتى ظننا أن نفسه
 ستخرج وفي بعض الروايات
 زيادة من قول عمر وهو أنه
 قال كان لي صاحبان سلكا
 طريقا فان سلكت غير
 طريقهما سلك بي طريق غير
 طريقهما واني والله سأصبر
 على عيشهما الشديد لعل
 أدركتهما معهما العيش الرغد

عليه وسلم قرئتم اليه طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرغت
 ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان ينام على عبادة مثنية فنثيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام
 الليلة بهذه العبادة اننوها باثنتين كما كنتم تنوحن وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يضع قميصه فيغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف
 ثيابه فيخرج به الى الصلاة وناشدت الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني
 تفسر (ظفر) قبيلة من الانصار (كساء من ازارا ورداعو بعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى الصلاة
 وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك فما زال) عمر (يقول) لهما من هذا الجنس
 (حتى أبكها) وبكى عمر رضي الله عنه وانتخب حتى ظننا ان نفسه ستخرج قال العراقي لم أجده هكذا مجموعا
 في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البراز من حديث ابن عمر بن حصين قال ما شبع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأهله غدا وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه وفيه عمر بن عبد العزري متروك الحديث
 وللمزمذى من حديث عائشة ما شبع من طعام في أشاء ان أبكي الا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي
 فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الدنيا والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن
 والشيخين من حديثهما ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخاري من
 حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الاكل وللمزمذى في السمائل من حديث
 حفصة انهم اسلمت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم قالت مسح ثنيته بثنتين فينام عليه الحديث ولا بن
 سعد في الطبقات من حديث عائشة انما كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عبادة باثنتين الحديث وتقدم
 في آداب المعيشة وللبراز من حديث أبي البرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخل له الدقيق ولم يكن
 له الا قيص واحد وفيه سعيد بن مسيرة كذبه القطن وضعفه البخاري ولا بن ماجه من حديث عبادة بن
 الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد الغطار يقي في جزئه المشهور ففقدته في عنقه ما عليه غيرها واسناده
 ضعيف وتقدم في آداب المعيشة (وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر) رضي الله عنه (وهو انه قال
 كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله سأصبر
 على عيشهما الشديد لعل أدركتهما معهما العيش الرغد) أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن
 سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سليمان بن خالد أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا زكريا بن محمد
 أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر الراعي أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنا عبد الوهاب بن علي
 السبكي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا جماعة قالوا أخبرنا ابن التي أخبرنا أبو الوقت أنبأنا أبو الحسن
 المظفرى أنبأنا ابن أعين أنبأنا إبراهيم بن خريم حدثنا عبد بن جهم حدثنا محمد بن بشر عن اسمعيل بن أبي
 خالد عن أخيه عن مصعب بن سعد قال قالت حفصة لا يها قد أوسع الله الرزق فلوانك أكلت طعاما ألين
 من طعامك ولبست ثوبا ألين من ثوبك فقال سأخاصمك الى نفسك فجعل يذكرها ما كان فيه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وما كانت فيه من الجهد حتى أبكها فقال قد قلت لك انه كان لي صاحبان سلكا طريقا
 واني ان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله لا شاركنهما في مثل عيشهما العلى ان أدرك
 معهما عيشهما الرخي وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن اسمعيل ورواه يزيد بن هرون عن
 اسمعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال قالت حفصة لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من
 ثوبك وأكلت طعاما هو ألين من طعامك فقد أوسع الله الرزق وأكثر من الخير فقال اني سأخاصمك الى
 نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يليق من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكها
 فقال لها أما والله ان قلت ذلك لك اني والله ان استطعت لا شاركنهما بمثل عيشهما الشديد لعل أدرك

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى (٣٣٢) الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة

وان كان أحدهم ليتبلى
بالقمل حتى يقتله القمل
وكان ذلك أحب اليهم من
العتاء اليكم وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما ورد موسى عليه
السلام ما مدين كانت
خضرة البقل ترى في بطنه
من الهزال فهذا ما كان قد
اختاره أنبياء الله ورسله
وهم أعرف خلق الله بالله
وبطريق الفوز في الآخرة
وفي حديث عمر رضي الله
عنه انه قال لما نزل قوله تعالى
والذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله قال صلى الله عليه
وسلم تبالي الدنيا تبالي دينار
والدرهم فقلنا يا رسول الله
نهما ما الله عن كثر الذهب
والفضة فاي شيء نذخر فقال
صلى الله عليه وسلم ليتخذ
أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا
شاكرا وزوجته الحقة تعينه
على أمر آخرته وفي حديث
حذيفة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آثر الدنيا على الآخرة
ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق
قلبه أبدا وفقرا لا يستغني
أبدا وحرصا لا يشبع أبدا
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يستكمل العبد
الايمن حتى يكون أن
لا يعرف أحب اليه من أن
يعرف وحتى يكون قلة
الشيء أحب اليه من كثرته

معهما عيشهما الرخي هكذا رواه أحمد في الزهد عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه معمر
عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد ان حفصة وابن مطيع وابن عمر كلوا عسرا فقالوا لو كانت طعاما طيبا
كان أقوى لك على الحق قال أكاسكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت انه ليس منكم الا ناصح ولكن
تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهم لم أدر كهما في المنزل قال وأصاب الناس سنة فمأكل كل
عام ثمنه ما ولا يميننا (وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة وان كان أحدهم ليتبلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان
أحب اليهم من العطاء اليكم) قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يوعظ الحديث دون قوله وان كان أحدهم ليتبلى بالقمل اه قلت وروى أحد
باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجي دما يوارى به عورته الا العباة يدريها (وعن
ابن عباس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ما مدين كانت
خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال) أي كان غالب طعامه من بقول الارض زهدا في الدنيا حتى ترى
خضرتها في جادة بطنه (فهذا ما كان اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز
في الآخرة) فيقتضي ان ما اختاره هو أعلى الدرجات وأفضل المقامات (وفي حديث عمر رضي الله عنه
انه لما نزل قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبالي
للدنيا تبالي للدينار والدرهم فقلنا انما الله عن كثر الذهب والفضة فاي شيء نذخر فقال صلى الله عليه وسلم
ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجته صالحة تعينه على أمر آخرته (رواه الترمذي وابن ماجه
دون قوله تبالي للدينار والدرهم وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا قال العراقي وهو من حديث ثوبان وانما
قال المصنف انه حديث عمر لان عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال نتخذ كما في رواية ابن
ماجه وكبار واه البراز من حديث ابن عباس (وفي حديث حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم) قال (من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغني
به أبدا وحرصا لا يشبع أبدا) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده من حديث حذيفة ولا طبراني من
حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرب قلبه حب الدنيا التا ط منها بثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص
لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة انتهى قلت وتلك الزيادة الدنيا طالبة ومطالوبة فمن طلب
الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها زوقه ورواه
كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه ابن عسار عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام
والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التا ط قلبه منها بثلاث شغل لا ينقل عنه وفقرا لا يدرك غناه وأمل لا يبلغ
منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة (وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف
أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته) قال صاحب القوت وبنائه من سلا
عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه قال العراقي لم أجده
استاذ اود كره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة من سلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون
قلة الشيء أحب اليه من كثرته وحتى يكون ان يعرف في ذات الله أحب اليه من أن يعرف في غير ذات الله
ولم يخرج له ولده في مسنده وعلي بن أبي طلحة أخرجه مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله
والحديث اذا مضى (وقال المسبح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تصمروها) هذا قد رواه
صاحب الفردوس من حديث ابن عمر الا انه قال قنطرة الآخرة ولم يذكر له سندا وأما قول عيسى عليه
السلام فاخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمته هيب قال ابغى أن عيسى عليه السلام قال قبل أن يرفع يده
الحواريين اني قد كتبت لكم الدنيا فلا تتعشوها بعدى فانه لا خير في دار قد عصى الله فيها ولا خير في دار

وقبل له يابني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال يينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عز وجل عرض على ان (٣٣٣) يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب

ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاجدك وأنتي عابك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كفسويق ولا سنفذيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فظففته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم انا زمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرفع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره (فأوحى اليه جبريل أن تواضع لله فقال) بل (نبيما عبدا لانا) قد تقدم في ذم الكبير مختصرا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه) قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعبوديه ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم زهد في الدنيا يحبك الله وزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس زهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليرزق في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

لا تدرك الآخرة الا بتركها فاعبروها ولا تعمروها وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى عليه السلام يقول أعبى والدنيا ولا تعمروها وهو في القوت بلفظ الدنيا فنظرة يعبر عليها الى الآخرة والباقي سواء (وقيل له يابني الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا وكيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا) قال صاحب القوت وروينا عنه في آخر قالوا اننا نريد أن نبني بيتا نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاخترنا موضعنا في فيه فقال تعالى واشوا معه فوق على فنظرة فقال ابنوا ههنا فقالوا نبني على فنظرة وهي مدرجة للناس لا يدعوننا فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى وروى أحمد في الزهد عن سفیان الثوري قبيلى لعيسى عليه السلام الاتيني بيتا قال ابني على طريق السبيل (وقال يينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاجدك وأنتي عابك) رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفي القوت والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجرى له الاودية مالا ويجعل له ذهباً وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئا فاختار بحسن توفيق الله وعصمته له الاحبال الى الله والاخير عند الله اذ قد ضمن له ان أعطاه لا ينقصه فلم يبق الا محبة الله فكانت آتو عنده من تركه نقضه فقال لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوما وأشبع يوما أجدك اذا شبع وأتضرع اليك اذا جعت (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كفسويق ولا سنفذيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أظففته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم انا زمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرفع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره (فأوحى اليه جبريل أن تواضع لله فقال) بل (نبيما عبدا لانا) قد تقدم في ذم الكبير مختصرا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه) قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعبوديه ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم زهد في الدنيا يحبك الله وزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس زهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليرزق في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

عليه وسلم لرجل زهد في الدنيا يحبك الله وزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه من أراد ان يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليرزق في الدنيا

كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال الرجل لسفيان اشتهى (٣٣٥) أن أرى عالماً زاهداً فقال ويحك تلك

ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان الجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهد من في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن أسباط رحمه الله أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في مالي درهم ولا يكون علي دين ولا عطاءيا (فقبلها وأرسل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لأنهم لا يتفقوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوعاً خيراً لكم من أن تدبحوا فضيلاً) رواه أبو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا أبو عمر الجرمي النخعي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شيء فأنظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وأنه أعطاهاهما الجوائز ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربى لم يحاسبني عليه قالوا لى ان سألني وناقشني قال انما أعنى من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم إلى عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحين فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً إنما أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة رزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشئ قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الأرض وجلده شيئاً قط إلا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتهى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للعسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

ابن نعيم الاشعري أو الكندي أبو عمر وأبو زرعة الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام روى له البخاري في كتاب الادب وأبو داود في كتاب القدر والنسائي (كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف قال والاخر يقول كفى من الذنوب التي لا نعتز منها ولا نتوب حبنا الدنيا ولا بناتها (وقال رجل لسفيان) الثوري (اشتهى ان أرى عالماً زاهداً) في الدنيا (فقال ويحك تلك ضالة لا توجد) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون) أى الملائكة الموكلون بالأبواب (يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل) الناس كلهم (الزاهدين في الدنيا والعاشقين في الجنة) أى المحبين لها (وقال يوسف بن أسباط) السيمياني رحمه الله تعالى (أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في مالي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطى ذلك كله) ترجم له أبو نعيم في الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشي (وروى ان بعض الخلفاء) من بني العباس (أرسل إلى الفقهاء بجوائز عطاءيا) (فقبلها وأرسل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه) يا ابتاه (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) أى من الخصاصة (فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لأنهم لا يتفقوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوعاً خيراً لكم من أن تدبحوا فضيلاً) رواه أبو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا أبو عمر الجرمي النخعي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شيء فأنظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وأنه أعطاهاهما الجوائز ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربى لم يحاسبني عليه قالوا لى ان سألني وناقشني قال انما أعنى من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم إلى عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحين فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً إنما أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة رزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشئ قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الأرض وجلده شيئاً قط إلا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتهى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للعسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

كلمة ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار وقيل للعسن لم لا تغسل

ثيابه قال الامر اعجل من ذلك) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (قد حجت
 قلوبنا بثلاثة أعطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحب) الاول (الفرح بالموجود) الثاني
 (الحزن على المفقود) الثالث (السرو بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص) والحريص
 محروم (واذا حزن على المفقود فانت سائح والسائح معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والمعجب
 يحبط العمل) نقله صاحب القوت وقال ابو نعيم في الحلية حدثنا ابو عمر وعثمان بن محمد العثماني حدثنا
 العباس بن احمد الرمي عن بعض اشيائه قال قال ابراهيم بن ادهم على القلب ثلاثة أعطية الفرح والحزن
 والسرو فاذا فرحت بالموجود فانت حريص والحريص محروم وساقه الى آخره كسابق صاحب
 القوت ثم قال ودليل ذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ثم قال صاحب
 القوت وهذان الوصفان هما أتم حال من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى
 على ما فاتته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما آتاه منها هو الذي لا يحزن
 على ما فاتته منها اذ هو نحوه والاسي على المفقود بعد الفرح بالموجود وهذان الوصفان هما غرة اليقين بما
 أمر به من ستر النصب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفيق للنصيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى أولئك
 ينالهم نصيبهم من الكتاب ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى وانما لموفوهم نصيبهم غير منقوص كذلك كان
 أول الخبر عن فقد الاسي على القوت وترك الوجد بالفرح على ما لا يفوت فأول الكلام قوله ما أصابكم من
 مصيبة في الارض فهذا المنفصل عن النفس ولا في أنفسكم وهذا المتصل بالجسم الا في كتاب من قبل أن نبرأها
 نخلق النفس والمصيبة معاً ثم عقبه بقوله لكيلا تأسوا على القوت فيقطعكم الحزن عن الغيب ولا تفرح
 بما آتاكم بما قد كتب في الكتاب فيسلك السبب عن ولي الاسباب وهذا وصف عبد غير متمالك وسمي عبد
 قائم بحكم رب ونعت عبد موقن بحب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لخدمة الدنيا وقد فرغته معاينة
 الغيب عن الاشتغال بما يغني والله أعلم (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (ركعتان من زاهد قلبه خير
 وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمداً) رواه مسروق عنه كافي القوت
 قلت وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط رواه
 أبو نعيم وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة
 من غير عالم وروى الشيرازي في الالقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن بن أنس عن علي رفعه
 ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله (وقال بعض السلف نعمته الله علينا فيما صرف
 عنا) من الدنيا (أكثر من نعمته) علينا (فما صرف الدنيا) نقله صاحب القوت (وكأنه التفت الى معنى
 قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمونه من يضكم الطعام والشراب
 يخافون عليه فاذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدى الى الصفة أكبر منها في الاعطاء المؤدى الى السقم
 وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برحها ولم
 يحزن على شفاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعب حتى لا يفرح من أربعة
 أشياء الجوع والعري والفقر والذل) نقله صاحب القوت ولفظه لا يصح التعب للاحد
 يخاف (من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل)

ذلك وقال ابراهيم بن ادهم
 قد حجت قلوبنا بثلاثة أعطية
 فلن يكشف للعبد اليقين
 حتى ترتفع هذه الحب الفرح
 بالموجود والحزن على
 المفقود والسرو بالمدح
 فاذا فرحت بالموجود
 فانت حريص واذا حزن
 على المفقود فانت سائح
 والسائح معذب واذا
 سررت بالمدح فانت معجب
 والمعجب يحبط العمل وقال
 ابن مسعود رضي الله عنه
 ركعتان من زاهد قلبه خير
 له وأحب الى الله من عبادة
 المتعبدين المجتهدين الى
 آخر الدهر أبدا سرمداً وقال
 بعض السلف نعمته الله
 علينا فيما صرف عنا أكثر
 من نعمته فيما صرف الدنيا
 وكأنه التفت الى معنى قوله
 صلى الله عليه وسلم ان الله
 يحمي عبده المؤمن الدنيا
 وهو يحبه كما تحمونه
 من يضكم الطعام والشراب
 يخافون عليه فاذا فهم هذا
 علم ان النعمة في المنع
 المؤدى الى الصفة أكبر منها
 في الاعطاء المؤدى الى السقم
 وكان الثوري يقول الدنيا
 دار التواء لا دار استواء
 ودار ترح لا دار فرح من
 عرفها لم يفرح برحها ولم
 يحزن على شفاء وقال سهل
 لا يخلص العمل للمتعب
 حتى لا يفرح من أربعة
 أشياء الجوع والعري
 والفقر والذل

وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بين يمين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفتشون وجوههم تجرى (٢٣٧) دموعهم على خدودهم ينادون ربهم في

فكذلك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه * (بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه) *

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهّد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل (وهذا يسمى المترهد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت أن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بأن يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقاة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاً وقداً فإلى بعض البصريين من أهل المعرفة أن أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعاً من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه وليكرهه النفس واكرهها اه (والمترهد) غير الزاهد فإن المترهد (يذيق أولاً نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) بإخراج المرغوب منه (والزاهد أولاً يذيق كسبه) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيق نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمترهد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمترهد على خطر) لا يأمن على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعاً) أي اختياراً وجعله طاعة مع القدرة (لا استحقاقه) أيها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لاجل تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحتالة زهده ويلتفت إليه) لانه ترك شيئاً لم يتركه أعظم يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده ويظن انه ترك شيئاً لم يتركه أعظم

ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء والباقي سواء (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا) إذا (أقبل) عليهم (ولا يأسفون على شئ منها) إذا (أدبر) عنهم (ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب) فضلاً عن أن تكون مساوية له (كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة) أو أقل أو أكثر (لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بين يمين الأرض شيئاً) سوى الثوب الذي على جسده (ولأمر من في بيته بصنعة طعام قط) وانما يأكل كل ما وجد ويسر (فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم) في العبادة (يفتشون وجوههم) تذلاً (تجري دموعهم على خدودهم) تخوفاً (يناجون ربهم في فكذلك رقابهم) من النار (كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها) حيث أنعم الله عليهم بها (وسألوا الله أن يقبلها) منهم (وإذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك) الحال والدؤب (ووالله ما سلموا) مع ذلك (من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة) رحمة الله عليهم ورضوانه والله الموفق *

(بيان درجات الزهد وأقسامه) * وذلك (بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه اعلم) وفق الله تعالى (أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة) وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهّد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل (وهذا يسمى المترهد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت أن العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بأن يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقاة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاً وقداً فإلى بعض البصريين من أهل المعرفة أن أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعاً من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه وليكرهه النفس واكرهها اه (والمترهد) غير الزاهد فإن المترهد (يذيق أولاً نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) بإخراج المرغوب منه (والزاهد أولاً يذيق كسبه) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيق نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمترهد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمترهد على خطر) لا يأمن على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعاً) أي اختياراً وجعله طاعة مع القدرة (لا استحقاقه) أيها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لاجل تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحتالة زهده ويلتفت إليه) لانه ترك شيئاً لم يتركه أعظم يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده ويظن انه ترك شيئاً لم يتركه أعظم

(٤٣ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الثانية الذي يترك الدنيا طوعاً لا استحقاقه أيها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحتالة زهده ويلتفت إليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده ويظن انه ترك شيئاً لم يتركه أعظم

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا أن زهد طوعا وزهد في زهد فلا يرى زهدا إلا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره (٣٣٨) فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا منها (أن زهد طوعا) أي اختيارا (و زهد في زهد فلا يرى زهدا إلا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء) في الحقيقة كما ورد في الخبر أن الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة أسكتي بالاشئ (فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين لم يبق على من الدنيا الامص النوى فهذا يرى هذا بعيدا عن الرغبة فقال يا هذا انظر لك الى مص النوى لزهديك هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهد على ترك النظر الى وصفه لما يستغرقه في الجريان عليه فلا يبقى همهم بغير مجريه ويكون بحكم المجري فيه فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح (والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة) وانما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة (ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع) وفي القوت وقال أبو سعيد بن الاعرابي عن أشياخه انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذهي لاشئ وهذا العمري هو الزهد في الزهد لانه زهد لم ينظر الى زهد فزهد فيه اذ لم يره شيئا لانه زهد في لاشئ وهذا يشبه ما يقال ان حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لانه قد زهد في الدنيا لنفسه طالبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد لها الاعراض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهو يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لان العبد ربح ما زهد في الغنى ولم يزد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى اذ كان الغنى يراد للبقاء واذا لم تنع به البقاء بغير غنى (قال أبو زيد) البسطاى وهو من أعلى الطوائف اشارة وأغلقهم عبارة (لابي موسى) هرون بن سليمان الكوفي مولى عمرو بن حريث المخزومي روى له أبو داود والترمذي والنسائي (عبد الرحيم) بن يحيى الاسود الارموي الدمشقي (في أي شئ يتسكلم قال) فقلت (في الزهد قال) أبو زيد (في أي شئ قال) فقلت (في الدنيا فنفض يده) وأعرض (وقال) ظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيها) أوردته صاحب القوت واظفه ثم قال يتسكلم بالزهد في لاشئ وأي شئ الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها ثم قال وكانت رابعة رجها الله تعالى من قبله اذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول فوهم بالدنيا اذ تذكر ونها أي قدر لها حتى تقطع الوقت بذكرها ولكن من أحب شيئا أكثر من ذكره (ومثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالشاهدات) العيانية (والكاشفات) الربانية (مثل من منعه من باب الملك كلب) جاثم (على بابه فألقى اليه لقمعة من خبز فشغله بها) (ودخل الباب ونال القرب) والاتصال (من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفتري انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمعة خبز لقاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمعة أخبرنا أنك قد ذهبت الى حال المضغ (وتنفضي) تلك الالة (على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم ينتهي الى التثقل والقدر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم منها لكل شخص منها وان عمرائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمعة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى المالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتماهى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد) بوجه من الوجوه (فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال أبو زيد رحمه الله تعالى لابي موسى عبد الرحيم في أي شئ يتسكلم قال في الزهد قال في أي شئ قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيه او مثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالشاهدات والكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمعة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفتري انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمعة خبز لقاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمعة أخبرنا أنك قد ذهبت الى حال المضغ وتنفضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم ينتهي الى التثقل

والقدر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمرائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمعة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى المالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتماهى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهده فيه ولا يلتفت الى ما زهده فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فبسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من

هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابن الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرجه واذا علم مراد الله في الادخال ادخله بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزنة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاحوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتبست بعدك محتبسا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عن رواء وفيه دو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك فقال أي أخى اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليجمعه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم هموا واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهده فيه ولا يلتفت الى ما زهده فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فبسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابن الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرجه واذا علم مراد الله في الادخال ادخله بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزنة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاحوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتبست بعدك محتبسا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عن رواء وفيه دو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك فقال أي أخى اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليجمعه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم هموا واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين

وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الامن عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة (٣٤٠) الى لذة نعيم أهل الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة

الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرف لا حاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهديه حتى يزهديه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهديه كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فاني لا بدليس أن يطامع في هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلو لا القدر لرفعه اليه من حبه له (وهم العارفون) المتمكنون الداخلون مع الخلق بالاجسام الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع الروبه بهم ناطر الى مولاه بنظره اليه بما قواه فتوحده بوصفه من حيث انجمله واحده بوجهه وتخلق له خلقه لما ألبسه من نوره فيحسبه به عن خلقه فهو ظاهر باطن نبوي رباني ينظر بعين التعبد بل ظاهره حكمة وباطنه قدرة فهذا مقام رائد على حال الزهد وهي صفات فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا فهي ثمره حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصله فرغته بمقت الله لها (لانه لا يحب الله خاصة الامن عرفه) اذ المحبة ثمره المعرفة (وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار) لعزته (فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار) وجريان الانهماك من تحتها (غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر) الى وجهه الكريم (ولا يؤثر غيره) عليها (ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى الاستيلاء على عصفور) واللعب به (والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرف لا حاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهديه حتى يزهديه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهديه كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

الزهد

كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيره اذ في الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية (٣٤١) أخرى الى خمسة فقال عز وجل اعلموا

انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف لبعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى فالخاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقميتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا) فوصف حب الشهوات بالترزين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله ذلك فذا إشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتأكيد والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جلة الدنيا المرغوب عنها وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من أصول هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جلة الدنيا بما فيها الحب ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورتها ليست بدنياً فاذا لم تكن الحاجة دنياً دل انها لا تسمى شهوة (ثم رده) أي مجموع هذه الاوصاف السبعة (في آية أخرى الى خمسة) معان (فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (ثم رده) أي مجموع تلك الخمسة (في موضع آخر) من كتابه العزيز (الى) معنيين (اثنين) هما جامعان للسبعة (فقال تعالى) انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل (الى) وصف (واحد في موضع آخر) من كتابه العزيز وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه الاذان هما الهوى واللعب هو الهوى وانه رجعت السبعة فيه (فقال) تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا) اذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الاشارة في نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي ان لم يمه نفسه عن الهوى بايثارة الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثارة في كل شئ (فينبغي أن يكون الزهد عنه) أي يكون الزهد عبارة عن مخالفة الهوى من كل شئ (واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى) وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنياً أيضاً وهو حب البقاء لمتعة النفس فقد أشار اليه المصنف بقوله (فالخاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها) واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقميتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرموص وانظروا احدي الحسينين

وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفخ بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ما ليته يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من علي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا متوسر والسماء تهيلني تنتظر الى صبح حتى اغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الامكان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة على الابقي اذناعوه (فما ربح تجارتهم) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارتهم (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى بها بقاءاً أبدياً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجار بين وفراق ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فان زهد في الحياة الفانية للمتعة او في ماله المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حبيب به والراغب في حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصيهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراخى على الهوى ولو أيسر من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

مننى الحسنى تانيث الاحسن كما قال تعالى تتر بصون بنا الا احدى الحسينين (وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفخ بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ما ليته يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من علي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا متوسر والسماء تهيلني تنتظر الى صبح حتى اغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الامكان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة على الابقي اذناعوه (فما ربح تجارتهم) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارتهم (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى بها بقاءاً أبدياً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجار بين وفراق ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فان زهد في الحياة الفانية للمتعة او في ماله المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حبيب به والراغب في حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصيهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراخى على الهوى ولو أيسر من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

واذا فهمت هذا علمت أن

هذا ما ذكره المتكلمون في حسد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رجسه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا الإشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد وهذا إشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي الشهوات لاكثر الشهوات (وهذا إشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثوري رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامل) وانتظار الموت فصارت الدنيا عنده طول الامل ونسيان قرب الاجل كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أحمد بن اسمعيل الأزدي حدثنا عمران بن موسى الاسفنجي حدثنا الدورقي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء اه وهو (جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يتحدث نفسه بالبقاء في طول أمله ومن قصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا فكأنه رغب عن الشهوات كلها) وقدرى مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن نونس وغيرهما قال القشيري وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والاسباب الباعثة والمعاني الموجبة له (وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول رجل سأله عن الزهد (اذا خرجت تطلب) أي الرزق (ذهب الزهد) ولفظ القوت اذا خرج العبد بطلب ذهب الزهد وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد في أي شيء خرجت فقال أطلب المعاش فقال له فان الزهد يعني ان الزهد عنده أن يقطع العبد يدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً بما يرد عليه من المطالب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب فهذا غاية الزهد وهو طريق طائفة من الابدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت (وما قصد به هذا أحد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو إشارة الى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم قال هرم بن حيان اقيمت على شاطئ الفرات يغسل كسراً وخرقا قد التقطها من المنبذ وكان ذلك أكله وليس له قال فسأله عن الزهد أي شيء هو فقال في أي شيء خرجت قلت أطلب المعاش قال اذا وقع الطلب ذهب الزهد (وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كلهم ويناعن سفيان قالوا الزهد أي ما لا يغلب الحرام صبره ولا ينزع

الدنيا فصارت أقصر الناس أملاً للبقاء أرزدهم في الدنيا وصار أرب الناس في الدنيا أطولهم أملاً (واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون) من الصوفية (في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه) اذ كان مقامه أقيم فيه أحواله (أو على من كان يخاطبه) فخاطبه على قدر حاله أو مقامه (فقال بشر) بن الحرث الحنفي رحمه الله تعالى (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس) وفي ملاقاتهم اذ الرغبة هي فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت وقال في موضع آخر وكان بشر يقول الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لانه كان يقول سب لقاء الناس هو من الدنيا لانه الموعوب فيه عندهم ويتسبب اليه بهم فلذلك صار الزهد فيهم ولذلك قال بعض الحكماء اطلب الزاهد الناس فاهرب منهم واذا هرب من الناس فاطلبه وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه (وهذا إشارة الى الزهد في الجاه خاصة) ومثله قول السري ما رست كل شيء من أمر الزهد فقلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطقه رواه القشيري عن أبي عبد الله الصوفي سمعت أبا الطيب السامري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول فذكره (وقال قاسم) بن عثمان (الجوعى) الدهش منسوب الى ربيعة الجوع وقيل كان يجوع كثيراً وقد سبق ذكره (الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد) فكان الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت (وهذا إشارة الى الزهد في شهوة واحدة) وهي شهوة البعان (ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الزهد هو القناعة) وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشرة والضراعة وفي لفظه القناعة هي الزهد (وهذا إشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثوري رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامل) وانتظار الموت فصارت الدنيا عنده طول الامل ونسيان قرب الاجل كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أحمد بن اسمعيل الأزدي حدثنا عمران بن موسى الاسفنجي حدثنا الدورقي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء اه وهو (جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يتحدث نفسه بالبقاء في طول أمله ومن قصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا فكأنه رغب عن الشهوات كلها) وقدرى مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن نونس وغيرهما قال القشيري وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والاسباب الباعثة والمعاني الموجبة له (وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول رجل سأله عن الزهد (اذا خرجت تطلب) أي الرزق (ذهب الزهد) ولفظ القوت اذا خرج العبد بطلب ذهب الزهد وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد في أي شيء خرجت فقال أطلب المعاش فقال له فان الزهد يعني ان الزهد عنده أن يقطع العبد يدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً بما يرد عليه من المطالب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب فهذا غاية الزهد وهو طريق طائفة من الابدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت (وما قصد به هذا أحد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو إشارة الى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم قال هرم بن حيان اقيمت على شاطئ الفرات يغسل كسراً وخرقا قد التقطها من المنبذ وكان ذلك أكله وليس له قال فسأله عن الزهد أي شيء هو فقال في أي شيء خرجت قلت أطلب المعاش قال اذا وقع الطلب ذهب الزهد (وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كلهم ويناعن سفيان قالوا الزهد أي ما لا يغلب الحرام صبره ولا ينزع

الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اه (وهذا ان أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خاصة أو الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة) بل يكون وبالافها وسببها الهلاكه (وقد طولوها) أى تلك العلوم (حتى ينقضى عمر الانسان في الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده) والالم يخص له الزهد وقال صاحب القوت ومن الزهد عند الزاهد من ترك فضول العلوم التي معلوماتها أول الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أنبياءهم وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قرب به عنده الله وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدى الله تعالى ويقسى القلب ويحجب عن التفكير في آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علماء جعلها البطالون شغلا انقطعوا به عن الله وحجبا به عن مشاهدة علم الحقيقة لاستطباع ذكره لكثرة أهاليها الآن يسأل عن شئ أعلم هو أم كلام أوحى أو تشبيه أو صدق وحكمة أو زخرف وغرور أسنة هو أم بدعة أعتق أم محدث وتشديد يخفى بخبر بصواب ذلك (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (الزاهد الذي اذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني) قال صاحب القوت (فذهب الى أن الزهد هو النواضع) وقد قال يوسف بن اسباط غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحدا الا رأيت انه خير منك رواه أبو نعيم في الحلية (وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد انما هو (طلب الحلال) وانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا الاختلاط الاشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل ابراهيم بن أدهم وسليمان والخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وأبي اسحق الفزاري وشعيب بن حرب والداراني وهيب بن الورد وقضيل بن عياض وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وقد الورعين) وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس) رحمه الله تعالى وذكر قريبا (ولاشك في أنه) أى أويسا (أراد به) ترك (طلب الحلال) ولكل من القولين وجه (وقد كان يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى (يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد) نقله صاحب القوت (وفي الزهد أقاويل) كثيرة (وراء ما نقلناه فلم نرفق نقاها فائدة) مع ان بعضها عند التأمل يرجع الى بعض ما ذكر في ذلك قول بعضهم الزهد أن لا تفرح بوجود من الدنيا ولا تتأسف على مفقود منها تزع بذلك الى قوله تعالى لكيلا تسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها وقال أبو علي الدقاق الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطا ولا أعمر مسجدا وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال الجنيد الزهد خلوا القلب مما خلت منه اليد وقال ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخي ويوسف بن اسباط قال القشيري وهذا أيضا من أمارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله وقال عبد الله بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وسأل روم الجنيد عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ويرى عنه أيضا الزهد خلوا اليد من المالك وخلوا القلب من التبع وقال الشبلي الزهد أن تزهّد فيما سوى الله تعالى وقال ذوالنون الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها وقال بعضهم الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها هذه ثلاثة عشر قولنا نقلها القشيري في الرسالة وفي القوت وقالت طائفة الزهد هو بغض المحمّدة وأن لا تحب أن تحمد على شئ من أعمالك وقال آخرون الدنيا هي الاكل واللباس والمساكن والزهد هو ترك فضول هذه الاشياء وقال آخرون حقيقة الدنيا هو حب

وهذا ان أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خاصة أو الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضى عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب الى أن الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وطلب الحلال وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نرفق نقلا فائدة

الشرف والعز والرياسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الجول والذلة وطلب الخضوع والضعفة وقال آخرون الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الاخلاص فادخل فيه التوكل وجه له أوله لانه لا يزهد حتى يتق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه وجعل الصبر حالاً منه أراد لثبات لايميل أو يخرج فيرجع الى الرغبة وجعل ثانياً له الاخلاص وهذا الاخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعاً الى عوض ولا تطالباً بالسبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أجند بن حنبل الاخلاص هو الزهد ففسره به لانه اذا بالغ حقيقة الاخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقاً بمعنى تقار بأفقه أما أحدهما ففسر الزهد بالاخلاص جعله نهاية وهو حاتم وأجند - برعن الاخلاص بالزهد لانه حقيقة وأما ثوب السخيتاني فانه سئل عن الزهد ما هو فقال هو أن تعبد في بيتك فان كان تعبدك لله رضا والاخرجت تنفق درهمك فان كان رضا والا أمسكت تمسك مالك فان كان رضا والا أخرجه تهكت فان كان سكوتك لله رضا والاتكاهمت تتكلم فان كان كلامك لله رضا والاسكت هذا هو الزهد - والا فلا تلعبووا وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراقب للوقت فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء اذ جعل الزهد فيها هو اتباع مرضاته في الاشياء وقال بجاهد الزهد الاثرة لله على ماسواه اذا أتاه شيء من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدي الى كل ذي حق حقه وكان ابن عيينة يقول حد الزهد أن يكون شاكر عند الرخاء صابراً عند البلاء فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهداً وجعل له الزهد باجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيى بن معاذ بنى يكون الرجل زاهداً اذا فقال اذا بالغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهداً وقال الداراني الزهد التخلي من الدنيا والاشتغال بالعبادة فاما من تركها وتبدل فالتما طلب الراحة لنفسه وقال سهل أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال أيضاً لا يزهد العبد زهداً حقيقياً لاربعة بعده الابدع مشاهدة قدرة وقال بعضهم الزهد هو اخفاء الزهد وقال سهل لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فعل الزهد - مقام في الخوف رفعة عليه وفي الخبر انما الزهد أن تكون بما في يدك الله تعالى أو وثق منك بما في يدك فهذا مقام التوكل وقال قوم الزهد هو ترك الادخار فكانت الدنيا عندهم الجمع وقال بعضهم الدنيا ما شغل القلب واهتم به فعملوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصرف الاحكام وهذا هو التقوى والرضا وقال الداراني التورع أول الزهد وقال أبو هشام المغازلي الزهد قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وقال ابن السمعاني الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فانه لا ينبغي على عسر أصبح أم يسر وقال طيفور البسطامي الزهد أن لا يملك ولا يملك وقال علماء الظاهر الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام باحكام الشرع وأخذاً بشيء من وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو جهل كله وهو يقدحوا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه وباطنه ذلك مباهجهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالاعتلال وقال الجنيد الزهد معنيان ظاهر وباطن فالظاهر انقضاء ما في الابد من الاملاك وترك طلب المنة وود الباطن زوال الرغبة عن القلب وجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فهذه الاقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولاً وانما المصنف في نقلها فائدة (فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر وقصره وبصرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصروا في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكامات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار لاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر وقصوره وبصرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصروا في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكامات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار لاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف) على الصحيح من مذهب الأصوليين (وانما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله) قارئ أهل الشام الامام (أبو سليمان) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل) ولفظ القشيري قال الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى ولفظ القوت وكان الداراني أبو سليمان يقول الدنيا كل ما يشغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الاقبال عليه اه وقال شارح الرسالة أراد بترك ما يشغل عن الله اي بقلبة ولا فهو من غرات الزهد فقد ترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهد بل لشغله بما هو أشرف منه اه هذا على سبيل الاجمال (وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا) ولفظ القوت من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا (فجعل جميع ذلك ضد الزهد) ويقرب من قول الداراني قول داود الطائي كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أومال فهو عليك مشوم (وقرأ أبو سليمان) الداراني (قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله) فهذا زهد الصديقين وانما تكون هذه الثلاث دنيا لان أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها فاما من أراد بها الآخرة فهي طرقات الى الآخرة (وقال) مرة (انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها والآخرة) فاذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذكرت كن له قربات الى المذكر وقد كان رحمه الله تعالى ذاعبالي ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام كذا في القوت (فهذا بيان أنقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات) فكأنه جعل الورع زهدا وهو التوسط بين الزهدين زهدا ومبدأية وزهدا مخصوصا بنهاية (وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام) وقال سلام بن أبي مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن يخص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق ولثاني ترك ما لا يصلح القلب والدين والثالث الحلال أن يزهد في فضله وهذا تطوع وقال القشيري اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله تعالى فاذا أنعم الله على عبد بحال من حلال وتعبه بالشكر عليه فتركه باختياره وبحق لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلل المال والعبد صابر في حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا ومنهم من قال اذا أنفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهيه الشرع عنه في حال التيسر حينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام ومنهم من قال ينبغي أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول فيه المحتاج اليه ويراعى القسمة فان رزقه الله مالا من حلال شكره وان وقفه الله على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال وقال صاحب القوت وكان الشاميون من العلماء يقولون ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن ان يكون ذامك وما دخلك سوء وتكون حالك في المصيبة وحالك اذ لم تصب بها سوء وتكون بما في يداك الله أثق منك بما في يد غيره فهذا مقام التوكل وحال الرضا (وذلك من الزهد اذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى) فاصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك وقال أبو حفص التقوى في الحلال المحض لا غير وقال الداراني الورع أول الزهد كان القناعة طرف الرضا وقال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وكان سهل يقول أرهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعما وقال أيضا أصفى مقام من الورع أو في مقام من الزهد وتحقيق ذلك ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف وانما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها والآخرة فهو ذا بيان أنقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى

وأما بالاضافة الى خفايا ما

يتركه فلا نهاية للزهد فيه
اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس
في الخطرات والخطرات
وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه
الاسماسة العلماء بل
الاموال الظاهرة أيضا
درجات الزهد فيها لا تتناهى
فن أقصى درجاته زهد
عيسى عليه السلام اذ
توسد حجرا في نومه فقال له
الشيطان أما كنت تركت
الدنيا فما الذي بدالك قال
وما الذي تجدد قال توسد
الحجر أى تنعمت برفع رأسك
عن الارض في النوم فرمى
الحجر وقال خذه مع ما تركته
لك وروى عن يحيى بن
زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب
جلده ثم كالتنعم بلين
اللباس واستراحة حس
اللمس فسأله أمه أن
يلبس مكان المسح جبة من
صوف ففعل فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على
الدنيا فبكى وثرع الصوف
وعاد الى ما كان عليه وقال
أجد رجاء الله الزهد زهد
أو يس بلغ من العرى أن
جلس في قوصرة وجلس
عيسى عليه السلام في ظل
حائط انسان فأقامه صاحب
الحائط فقال ما أقتنى أنت
انما أقمى الذى لم يرض
لى أن أتنعم بظل الحائط
فاذا درجات الزهد ظاهرا

وباطنا لا حصر لها

وما دنا من قلبه من الشهوات فن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذه احوال الزهد المفترض ومن
زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شئ فهذه احوال الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ
جوارحه التى هى أبواب الدنيا منه وطرقها اليه فالزهد في محرمانه زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد
في شبهاتهم زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالهم من فضائل حاجات النفس زهد الزاهدين به يصفو
يقينهم وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا زبير اجهد نفسك عند نزول
الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب (وأما بالاضافة الى خفايا
ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات والخطرات وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه الاسماسة العلماء) أى نقادهم وجهابذتهم وفي القوت ومن أفضل الزهد
الزهد في الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم والزهد في حب الثناء والمآرج منهم لان هذه المعاني هى
أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري يقول الزهد في الرياسة
ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قديمان لان في طلب ذلك وكان يقول
هذا باب غامض لا يتبصر به الاسماسة العلماء وقال الفضيل نقل الصخور من الجبال أبسر من ازالة الرياسة
قد ثبتت في قلب جاهل قلت وقال أحد بن أبي الحواري حدثنا اسحق بن خلف قال الورع في المنطق أشد منه
في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لانك تبدلهمافي طلب الرياسة وقد روى
عن يوسف بن اسباط نحوه كما في الخلية (بل الامور الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فن أقصى
درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذي
بدالك قال وما الذي تجدد قال توسد الحجر أى تنعمت برفع رأسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه
فيما تركته لك) ولغز القوت ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه قد يقع عن نهاية معارفهم
بدقائق أبواب الدنيا وخفايا الواجبات الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شئ وتترفع عن كل شئ
لنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كماروى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكانه لما ارتفع
رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك زهدت في الدنيا قال نعم قال
فهذا الذى وطأته تحت رأسك من أى شئ هو قال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت اه قلت
أنخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال ان عيسى عليه السلام مر به ابليس يوما وهو متوسد حجرا وقد
وجد لذة النوم فقال له يا عيسى تزعم انك لا تريد شيئا من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام عيسى
عليه السلام فاخذ الحجر فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا (و) مثله (روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب جلده) أى أثريه لحشونته وكان عليه السلام قد طلب من أمه ذلك حين مر
ببيت المقدس ورأى الرهبان لا يلبس كذلك (ترك للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسأله أمه
أن يلبس مكان المسح جبة من صوف) لانه ألين من الشعر (ففعّل) طاعة لأمه لانه كان بارا بها (فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى وثرع الصوف وعاد الى ما كان عليه) وليس مدرعته من الشعر نقله
صاحب القوت (وقال أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى (الزهد زهد أو يس) القرنى رحمه الله تعالى (بلغ من
العرى الى أن جلس في قوصرة) نقله صاحب القوت والقوصرة بالتخفيف والتثقيب وعاء الثمر يتخذ من قصب
(وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقتنى أنت انما أقمى الذى لم
يرض لى أن أتنعم بظل الحائط) رواه ابن عساكر عن أبي سليمان الداراني قال بينما عيسى عليه السلام عشى
في يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعماس فجلس في ظل خيمة فخرج اليه صاحب الخيمة فقال يا عبد الله
قم من ظلمنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال ليس أنت الذى أقتنى انما أقمى الذى لم يرد أن أصيب من
الدنيا شيئا (فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها) اذ لا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب

وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحذور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد إلا أن فاق ذلك مهما كان الصبح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه مذكروا فكريا ولا يتصور (٣٤٨) ذلك الامع البقاء ولا بقاء البضروب النفس فها قد نصرت من الدنيا على دفع

الدنيا وخفاياها والواجب الهوى (وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحذور) وهو زهد الورد عني به يكمل إيمانهم كما سبق قريبا (وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد إلا أن) روي ذلك عن جماعة منهم يوسف بن اسباط قال صاحب الخلية حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن اسباط عن الزهد ما هو قال أن زهد فيما أحل الله فاما ما حرم الله فان ارتكبه عذب الله وحدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحسين بن منصور حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا سهل أبو الحسن سمعت يوسف بن اسباط يقول لو أن رجلا في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم (فان قلت مهما كان الصبح هو أن الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى) العزوف (الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه مذكروا فكريا) والتوجه بكنه الهممة اليه (ولا يتصور ذلك الامع البقاء ولا بقاء البضروب النفس) مما تحتاج اليه اضطرارا (فهما اقتصر من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان) قصدك (و غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء الابيه فهو منه فاشغلت بعاف الناقه وبسقيها) ورعايتها في خدمتها (في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدلك في طريق الله مثل ناقك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقك بالذات بل غرضك مقصود على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك (تسير بك إلى مقصدك فكذا ينبغي أن تكون في صيانة بدلك عن الجوع والعطش والمهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد والمهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ) والتنعيم (بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد) لانه به حصوله (وان قلت فلا بد وان أتلف ذبا كل ذلك عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسيم الاسحار وصوت الطيور) الناعية (ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فيصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره واقد كان في الخائفين) من الزاهدين (من طلب لنفسه) موضعا لا يصيبه فيه تنسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان في الانس بالله (بقدر وقوع الانس بغير الله) و يروي أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن يرحل يعني الاسود الذي كان موسى استسقى لبنى اسرائيل نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال وما هو قال يعجبه تنسيم السحر فيسكن اليه ومن أعجبه شيء أو لم يسكن إلى الشيء فعليه بالاستراحة لنفسه إلى روح القضاء ونقصه عن التمام يسكن قلبه إلى تنسيم السحر (ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (له حب مكسور) وهو بضم الحاء المهملة الخائية للماء جمع حبيب بالكسر وحببة

المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء الابيه فهو منه فاشغلت بعاف الناقه وبسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدلك في طريق الله مثل ناقك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقك بالذات بل غرضك مقصود على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذا ينبغي أن تكون في صيانة بدلك عن الجوع والعطش والمهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد والمهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت فلا بد وان أتلف ذبا كل ذلك عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك

ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فيصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره واقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه تنسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكسوف

فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذّة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فلهذه مخاوف المحتاطين
والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين
لانفسهم بسياسة الشرع المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين (٣٤٩) رضى الله تعالى عنهم أجمعين * (بيان

تفصيل الزهد فيما هو من

ضروريات الحياة) *

اعلم أن ما للناس منهم مكرن

فيه ينقسم الى فضول والى

مهم فالفضول كالخيل

المسوومة مثلاً اذا غالب الناس

انما يقتنيها للترفيه بركوبها

وهو قادر على المشي والمهم

كالاكل والشرب ولستنا

نغفل على تفصيل أصناف

الفضول فان ذلك لا ينحصر

وانما ينحصر المهم الضروري

والمهم أيضا ينقسم الى

فضول في مقداره وجنسه

وأوقاته فلا بد من بيان وجه

الزهد فيه والمهمات ستة

أمر والمطعم والملبس

والمسكن واثائه والمنكح

والمال والجاه يطلب

لاغراض وهذه الستة من

جلتها وقد ذكرنا معنى

الجاه وسبب الخلق

له وكيفية الاحتراز منه في

كتاب الرياء من ربيع

المهلكات ونحن الآن

نقتصر على بيان هذه

المهمات الستة (الاول

المطعم) ولا بد للانسان من

قوت حلال يقيم صلبه

ولكن له طول وعرض فلا

بد من قبض طوله وعرضه

حتى يتم به الزهد فاما طوله

مثل غنبة (فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذّة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا اسحق بن أحمد حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا أحمد بن
أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول كان داود الطائي له دنانير المائة ودن للخبز فلما دن
الماء فكان قد جعله في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد وروى من طريق حفص بن عمر الجعفي قال دخل
رجل على داود الطائي فقال يا أبا سليمان أتعطشان قال اخرج واشرب فجعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع
اليه فقال يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة فقال اللهم غفر لي هذا ما قال فخرج يلتمس فاذا دن من
هذا الاصيل الذي يفعل فيه الطين وقد دعت خرفة أسفل كوز فاحذ تلك الخرفة يغرف بها فاذا ماء حار كانه
يغلي لم يقدر أن يسقيه فرجع اليه فقال يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسحقون ودن مدفون
في الأرض وكوز مكسور فلو كانت حربة وقلة فقال داود حب حبري وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية
حسنة واثاث وناض وفضول لو اردت هذا الذي يشغل القلب لم أتعن نفسي ههنا انما أطلقت نفسي عن
هذه الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا الى روح الآخرة وروى من طريق
سهل بن سليمان النبلي حدثنا عبد الله الاعرج أو غيره قال أتيت داود فعلمت معه المغرب ثم تبعته الى داره
فذكر الحديث وفيه ثم قام داود الى شن في الدار في يوم صائف فاخذ يشرب منه فقلت يا أبا سليمان لو أمرت
أن يبرد لك هذا الماء فقال أما علمت ان الذي يبرذه الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله
(فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم (والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة
والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين أنفسهم بسياسة الشرع
المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين) والله الموفق

*(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان ما للناس منهم مكرن فيه ينقسم الى فضول) وهو ما زاد على الحاجة (والى
مهم) ضروري (والفضول كالخيل المسوومة) اي المعلقة او المرعية كقاي الصحاح وقال الازهري هي الرسالة
وعلمها ركابها (اذ غالب الناس انما يقتنيها) ويتخذها (لترفيه بركوبها وهو قادر على رجليه) أو على خيل
أقل منها (والمهم كالاكل والشرب ولستنا قد ذكرنا على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر) لكن نختار
(وانما ينحصر المهم الضروري) الذي لا بد منه (والمهم) الضروري (أيضا تنقسم الى فضول في مقداره
وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور) الاول (المطعم) والمشرع تابع له
(و الثاني (الملبس) الثالث (المسكن) الرابع (اثائه) الخامس (المنكح) السادس (المال
(و اما (الجاه) فانه (يطلب لاغراض وهذه الستة من جلتها) أي الاغراض (وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب
حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربيع المهلكات) فلا نعيده (ونحن الآن نقتصر على
بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم) فنقول (ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه) ويقويه على
العبادة (ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالإضافة الى جلته
العمر) وفي نسخة جميع العمر (فان من يملك طعام يومه فلا يتقبح به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه
ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر الا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند
شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه) ولا من عشائه

فبالإضافة الى جلته العمر فان من يملك طعام يومه فلا يتقبح به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فلا يقصر الا بقصر
الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من
غذائه لعشائه

وهذه هي الدرجة العليا (الدرجة الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) الدرجة الثالثة أن يدخر سنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه إلاخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا الاضداد أصل الزهد لا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه (٣٥٠) فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد

واحد وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو الخبز من الخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البرغير مخول فاذا ميز من الخالة وصار حواري فقد دخل في التمتع وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائماً وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي

لغداً (وهذه هي الدرجة العليا) كما سبق في الادخار (الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) وهي الدرجة الوسطى (الثالثة) أن يدخر سنة فقط وهي اثنا عشر شهراً وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه إلاخذ من أيدي الناس كداود (الطائي) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها لنفسه (وأنفقها في عشرين سنة) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم حدثنا عثمان بن زفر أخبرني ابن عم داود قال ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فاكلها في عشرين سنة كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق (فهذا الاضداد أصل الزهد لا عند من جعل التوكل شرط الزهد) وسماي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا (وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد) وهو رطل وثلاث بالبغدادى عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أربال وثلاث والمد رطلان عند أهل العراق (وهو ما قدره الله في إطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو الخبز من الخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة) والدخن (وأعلاه خبز البر) من دقيق (غير مخول فاذا ميزت الخالة وصار حواري فقد دخل في التمتع وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح أو البقل من نبات الأرض (والخل) منفرداً ومجموعاً (وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً) في كل يوم (أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة واحدة (وهو أن يكون صائماً) فيفطر عليه (وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة) عند الافطار (ولاًياً كل ويأكل كل ليلة) عند الافطار (ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوى ثلاثة أيام) تباعاً (وأُسبوعاً) تباعاً (وما زاد عليه) فلا حله (وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شره في ربيع المهلكات فلانعبده ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة) رضوان الله عليهم (في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء) ولفظ القوت قد جاءت الاخبار في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وحال أهل بيته وأزواجه أن كان يأني عليهم هم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه نار ولا يرى دخان لخبز ولا طبخ قال عروة فقلت لعائشة يا أمه فما كان تعيشكم قالت الاسودان النمر والماء وكان لنا حيران من الانصار برساون البنبا للين في الحين بعد الحين اه قال العراقي روى ابن ماجه من حديث عائشة يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار وفي رواية ثلاثة أهلة (وهذا) أي تعيشهم بالاسودين (ترك اللحم والمرقة والادم

وقال إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شره في ربيع المهلكات ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم

وقال

وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويا كل على الأرض ويقول
انما أنا عبد آكل كياتا كل العبيد وأجلس كاتجلس العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طاب الفردوس نخبنا الشعيرة
والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ (٣٥١) قدم المدينة ثلاثة أيام من نخب البر

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعير وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم والمشرّب في ربيع المهلكات فلانه دلهما آتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء نوه بشرية من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى وأني عرّضني الله عنه بشرية من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى ابن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويا كل على الأرض ويقول انما أنا عبد آكل كياتا كل العبيد وأجلس كاتجلس العبيد) قال العراقي تقدم دون قوله انما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن انما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ قلت وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب كان ركب الجمار يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الأرض ويا كل على الأرض ويعقل الشاة ويحجب دعوة المملوك على نخب الشعير وروى ابن ماجه من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويحجب دعوة المملوك ويركب الجمار وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن آكل كياتا كل العبد وأجلس كاتجلس العبد وعند ابن عدي انما أنا عبد آكل كياتا كل العبد وأشرب كاشرب العبد (وقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس نخبنا الشعيرة والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بل فقط قال عيسى عليه السلام أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابيل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من نخب البر) وأفظ القوت في الخبر ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من نخب بر ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في اخلاق النبوة (وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعير وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا بشكره) كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الاحبار نحوه (وقد ذكرنا سيرة الانبياء عليهم السلام والسلف) الصالح (في المطعم في ربيع المهلكات فلا نعيده) ثانيا (ولما آتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشرية من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره وفي آخره فانه من نواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بنى افرقه الله وقد تقدم (وأتى عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه بشرية من ماء بارد وعسل في يوم صائف) فذاقها فاذا ماء وعسل (فقال اعزلوا عني حسابها) اعزلوا عني مؤثرها رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك) أي حيث يدركه الليل يأوي (الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى) فقد ادرج فيه جملة من المقامات الاعتبار والحزن والحياة والصبر والتوكل والتقوى وقال ذو النون المصري الزاهد قوته ما وجدوثه ما ستره بيته ما آواه وماله وقته (المهم الثاني الملبس) أقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه أن يكون منديل) لربا الرأس (وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت) حتى يحجب (فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

ان شاء الله تعالى) (المهم الثاني الملبس) وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث (٣٥٢) المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة (وهي ثياب تنسج من الشعر) وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ) وهو الكرياس (وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقارب به فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد) لما سبق أن الزهد عبارة عن قصر الأمل (الأذا كان المطلوب خشونته) وفي نسخة جشونته أي غلظه (ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا) ومجبة الدنيا بخالف صفة الزهد (ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء عليهم السلام) (والصحابة) رضوان الله عليهم (كيف تركوا الملابس) وأعرضوا عنها (قال أبو بردة) هاني بن دينار رضي الله عنه (أخرج لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبد أزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين) رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة (وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس) قال العراقي لم أجده أصلا اه قلت وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظه إن الله عز وجل يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي باللبس اه قلت ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه (وقال عمرو بن الأسود العنسي) بالنون ويقال الهمداني ويقال له غير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد الحكيم بن غير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن سكن ديار من دمشق وسكن شخص أيضا له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وقال ابن حبان عمير بن الأسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبره وقال ابن عبد البر أجمعوا على أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات وأنه مات في خلافة معاوية وكان يقول (لا لبس مشهورا أبدا) أي ثوب شهرة (ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا) أي ليناسه لا يقال وثور الشئ ونارة لأن وسهل فهو وثير وفراش وثير تخمين لين ووثير مركبه بالشد يد وطأ ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع موثر وميثار على الأصل ولفظ المفرد (ولأما لجوفي من طعام أبدا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا مسلم بن سعيد حدثنا جاشع بن عمرو بن حسان حدثنا عيسى بن لويس حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي قال قال عمرو بن الأسود لا لبس مشهورا أبدا ولا أملا لجوفي من طعام بالنهار أبدا حتى القاه (فقال عمر) رضي الله عنه (من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيى بن جابر الطائي بالسند المذكور قال وكان عمرو بن الخطاب يقول فذكره وقال العراقي رواه أحمد بإسناد جيد عن عمر لكن في الإضافة لتلميذه بسند لين قال وأورده ابن أبي عاصم في الوجدان به - هذا الأمر وليس في ذلك ما يقتضي أن له محبة ولكن يقتضي أن له ادراكا وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر أن عمر بن الأسود قدم المدينة فرآه عبد الله بن عمر يصلي فقال من سره أن ينظر إلى أشبه الناس صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هذا (وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر - إسناد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا اه قلت وفي رواية لابن ماجه من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه وقد رواه كذلك أيضا في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد من لبس ثوبا مشهورا من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة ورواه هو وعمام وابن عساكر من حديث أم سلمة بإسناد لين من لبس ثوبا يباهي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتى ينزعه وروى الحارث والطبراني من حديث أنس من لبس رداء شهرة أو ركب ذاهرة أعرض الله عنه وإن كان له ولدا (واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربع مئذراهم) كذا في القوت وقال العراقي

وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقارب به فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا و لينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبد أزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا ولا أملا لجوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا واشترى رسول

روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى
 البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (وكان قيمة ثوبيه) صلى الله عليه وسلم
 (عشرة) إلى دينار كذا في القوت وقال العراقي لم أجده (وكان ازاره) صلى الله عليه وسلم (أربعة أذرع
 ونصف) ولفظ القوت وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف وفي خبر سبعة أشبار وقال العراقي روى أبو الشيخ
 في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلًا كان رداء النبي صلى الله عليه
 وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن أبي عمير وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة
 وكان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي (واشترى
 سراويل بثلاثة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي
 يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس لأنه لم يذكر فيه مقداره ثم قال
 الترمذي صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم وكان قميصه إلى أطراف أصابعه وقيل
 مرة إلى الرسغ فاذا تشيخ وقاص صار إلى أنصاف ٧ سابقه وكذلك الازار إلى عضلة الساق (وكان) صلى الله عليه
 وسلم (يلبس شملتين بيضاوين من صوف) ومرة سوداوين من شعر (وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من
 جنس واحد) يشير إلى قول أهل اللغة قالوا الحلة بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد قال المروزي
 وكافوا يا زنون ببرد ويردون باسخر ويسميان حلة والجسح حلل مثل غرفة وغرف (وربما كان) صلى الله
 عليه وسلم يلبس (بردين يمانين أو سحولين من هذه الغلاظ) من قرية باليمن تسمى سحول وفيهما كفن
 مع الثالث مثلها موربما كانت البردة مخططة بتلوين الاصابع كبرود أهل اليمن اليوم وربما كانتا
 خضراوين كلهما من خيط واحد وربما كانت شملت بيضاء لاشية فيها غير صب عليها الأبيض كل ذلك
 في القوت وقال العراقي قد دم في آداب المعيشة وأخلاق النبوّة لبسه للشهامة والبردة والحبرة وأما لبسه
 للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة جرأعولابي داود من حديث ابن عباس حين خرج
 إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون
 من حلل اليمن وقال رأيت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من
 حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبي أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب
 المعيشة ولا يداود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود
 واستغربه الترمذي والبراز من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف
 قاله الذهبي (وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات) قال العراقي رواه الترمذي
 في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحته كان ثوبه ثوب زيات
 (و) قد (لبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا فواسيرا) بكسر السين وفتح التخمية ومدودا ضرب من
 البرود فيه خطوط صفر (من سندس) ففعل من سندس اسم لما روى من الديباج (قيمة ما ثلث دراهم) فلبسه
 وخطب فيه (فكان أحبابه يلبسونه) بأيديهم (ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبا)
 من لونه ولينه (وكان قد أهدها له المقوقس) جريح بن ميناء (ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه)
 ويرى رسله قبل هديته (ثم نزع) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحر بر أهدها إليه النجاشي ملك الحبشة
 فخطب فيه مرة ثم نزع حين نزل من المنبر (وأرسل به إلى رجل من المشركين وصلبه ثم حرم لباس الحرير
 والديباج) بعد ذلك (وكان اغتال بلبسه أولا) ولفظ القوت فقد يكون بلبسه اياه (تأكيدا للتحريم كالبس
 خاتم من ذهب يوما) واحدا (ثم نزع) وروى به كافي الصحيحين وتقدم (فحرم لبسه على الرجال) ولفظ القوت
 وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور (وكما قال لعائشة) رضى الله عنها (في شأن بريدة) مولاة لقوم
 من الانصار وكانت تخدم عائشة قبل ان تشتريها (اشترطت لاهلها الولاء) وذلك حين أرادت ان تشتريها

وكانت قيمة ثوبيه عشرة
 وكان ازاره أربعة أذرع
 ونصف واشترى سراويل
 بثلاثة دراهم وكان يلبس
 شملتين بيضاوين من
 صوف وكانت تسمى حلة
 لانها ثوبان من جنس
 واحد وربما كان يلبس
 بردين يمانين أو سحولين
 من هذه الغلاظ وفي الخبر
 كان قميص رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كأنه قميص
 زيات ولبس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوما واحدا
 فواسيرا من سندس قيمته
 ما ثلث دراهم فكان أحبابه
 يلبسونه ويقولون يا رسول
 الله أنزل عليك هذا من الجنة
 تعجبا وكان قد أهدها إليه
 المقوقس ملك الاسكندرية
 فأراد أن يكرمه بلبسه ثم
 نزع وأرسل به إلى رجل
 من المشركين وصلبه ثم
 حرم لبس الحرير والديباج
 وكان اغتال بلبسه أولا تأكيدا
 للتحريم كالبس خاتم من
 ذهب يوما ثم نزع فحرم
 لبسه على الرجال وكما قال
 لعائشة في شأن بريدة
 اشترطت لاهلها الولاء

منهم وطلبوا منها ان يكون الولاء لهم فأقرها صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط أولاً (فلما اشترطته) بعد ان اشترتها وأعتقتها (صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فمره) وقال انما الولاء لمن أعتق لينوه بذلك فهذه حكمة من الحكمين ونعيم من العليم وقصة بررة في الصحيحين وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رساله فزادت على ثلاثمائة وخمسها الحافظ في فتح الباري (وكما أباح المتعة) أي متعة النساء (ثلاثاً) وذلك في غزوة اوطاس (ثم حرمها لتأكيده أمر النكاح) وحديث اباحه المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع قال صاحب القوت وقد يحتج بمثله علماء الدين ببارقوا به لانفسهم ويدعون الناس منه اليهم سرا وبظهور الدعوة الى الله علانية تاو لا بمشابه الحديث كما تأول أهل الزبيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلباً للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومنشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فعدل علماء الدين وأهل الأهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه ونبتذ المحكم وراهم ظهرياً (وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة) وهي كساء اسود مربع (لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي رضي الله عنه من مسلة النخ وكان من معمرى قرشي ومن مشيختهم (واتنوني بانيجانيته يعني كساءه) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خيصة لها أعلام فقال اذهبوا بكم بصي هذه الى أبي جهنم واتنوني بانيجانية أبي جهنم فانها ألهتني أتفاعن صلاتي وقد تقدم في كتاب الصلاة وذكر الزبير بن بكار من وجه آخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بخميصتين سوداوين فلبس احدهما وبعث الاخرى الى أبي جهنم فصلى في تلك الخيصة وبعث اليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهنم بعد ان لبسها أبو جهنم لبسات (فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم) كذا في القوت قال وفي هذا حجة على من كان اذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه وفيه شاهد وحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالانحراج ولا تنفاد الغيرة وفيه حجة على من ادعى الزهد بلبس الناعم وان ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرج عن حقيقة الزهد وفيه ابطال لمن ادعى ان النظر الى الزينة لا يشغله وان الروق والفتنة لا تدخل عليه اذ لا يقدر ان يقول انه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تخويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول (وكان شركاً نعله) صلى الله عليه وسلم (قد خلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم) من الصلاة (قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة) تقدم في كتاب الصلاة (ولبس) صلى الله عليه وسلم مرة (حائماً ونظراً اليه) وهو (على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم) قال فلا يدري من أخذه رواه الشيخان وقد تقدم قال صاحب القوت وقد يحتج بهذا احتجاجاً كرهناه من اتلاف المال المنظور اليه وليس فيه حجة لانه صلى الله عليه وسلم لم يتلفه اذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضية ولا أفسده وانما نزع ورعيه بين المسلمين ووجهه لمن اخذه فجاء ذلك عن وجد الوقت وحده (وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه) وأمر علياً فاحتذى له نعلين سبتين قال فرأيناه وقد لبسهما يعني جرداوين وقد تقدم في كتاب الصلاة قال صاحب القوت وهذا مثل الحديث الاخر في اخراج الخيصة زهداً فيها وانحراج النعل ولم يقطعها فيكون فساداً اذ هو صلى الله عليه وسلم ينهى عن اضاءة المال الا أن فيه شاهداً لمن اذا استحسن شيئاً خاف المقت عليه الا أنه لا يبلغ فيه اتلافه فيكون افساداً وفيه دليل على دخول التغيير والرد الى الصفة بالمناطرة الجسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك وفيه شاهد آخر لن تطرق بالحسن من الاشياء الى الله تعالى وشهدا الحسن الاعلى بها وكان المحاسن طريقاً الى الحسن الجليل لانه صلى الله عليه وسلم لما قال أعجبتني حسنهما خرساجدا فكان ذلك اقتراباً له من القريب وتقرباً منه ونظراً

فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فمره وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها لتأكيده أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم واتنوني بانيجانيته يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شركاً نعله قد خلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتماً من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه

حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار وجعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخله الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنيم الأبد فارتل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى قال العرقي روى أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكفون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربهم ويكفون سرمان خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤون القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبورهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقيامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) روى أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرقني فليستن بسنتي وفي رواية بزيادة وان من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

الى الحبيب وقد قال الله تعالى واستجدوا تقرّب (وعن سنن بن سعد) هكذا في سائر النسخ والصواب سهل ابن سعد كإني عليه العرقي وليس في الصحابة من اسمه سنن بن سعد (قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار جعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة) قال العرقي روى أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد قوله وأمر أن تحال له واحدة أخرى فهي عند الطبراني فقط وفيه رمة بن صالح ضعيف (وعن جابر) رضي الله عنه (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخله الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنيم الأبد فارتل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال العرقي روى أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكفون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربهم ويكفون سرمان خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤون القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبورهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقيامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) روى أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرقني فليستن بسنتي وفي رواية بزيادة وان من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترضيه وعد على قبص عمر رضي الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثين دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان الفقير ليربي وأنا أصلي فادعه بجوز وعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرزة فامقته ولا أدعه بجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعائيه بدرهم وأربع دنانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جهورا العلماء من

مثل ما تأمله اليوم من الدنيا فلذلك كان أن يوزن ويقول لأصحابه أما أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربكم منه غذا مجلسا قالوا كيف ذلك قال لأنني اليوم على مثل ما فارقت عليه وكلكم قد غيرتم هذا الزهد وكان مالك بن دينار في التابعين بدلا عن أبي ذر في الزهد لانه زاد على أصحابه في التزهد والتعشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال ولم يكن يغلق بابه انما كان يشده بشرط وقال لولا الكلاب لما شدته بشرط وأما الحسن البصري فان مالك بن دينار كان يقول أيم الناس معلمي والله الحسن به نادب ومنه تعلم ولم يفارقه حتى مات فهو بدل عنه والحسن كان بدلا عن صاحب السر حذيفة بن اليمان وكان الامام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله فكان بدلا عنهم وخلفا منهم ثم الله أعلم حيث يجعل رسالته ولا قوة الا به (وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة إذا أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء (ان لا تنزعي ثوبا حتى ترضيه) رواء الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (وعد على قبص عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من آدم) رواء جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه ازاريه اثنا عشرة رقعة وروى عفان عن مهدي بن ميمون حدثنا الجري عن أبي عثمان قال رأيت عمر يطوف عليه ازاريه اثنا عشرة رقعة احدا من آدم أحر وروى أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عطية سمعت مالك بن دينار حدثني نافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يري الجرة عليه ازاريه اثنا عشرة رقعة بعضها من آدم (واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه) رواء أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الازدي وكان اماما من أئمة الازد قال رأيت عليا أتى السوق وقال من عنده قبص صالح بثلاثين دراهم فقال رجل عندي فجاءه فاعجبه فقال له خير من ذلك قال لا ذلك ثم قال رأيت عليا يقرض رباط الدرهم من ثوبه فاعطاه فلبسه واذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فامر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه (وقال) سفيان (الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال) نقله صاحب القوت (وكان) الثوري رحمه الله تعالى (يقول ان الفقير ليربي وأنا أصلي فادعه) أي أتركه (يجوز) أي يمر (ويعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرزة فامقته ولا أدعه بجوز) نقله صاحب القوت وتقدم للمصنف عن المؤمل قال ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري وقال آخر كما إذا جلسنا عند سفيان تمنينا انما فقرنا لما تروى من اقباله عليهم واعظامهم لهم رواء أبو نعيم في الحلية وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا يقوم الغني من عنده فقيرا ولا يستحي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه (وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعائيه بدرهم وأربعة دنانق) نقله صاحب القوت قال فهكذا كان علماء الاسرة الزاهدون في الدنيا فخلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الاذني الآية (وقال) عبد الله (بن شبرمة) الكوفي قاضيا (خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك) وبعضهم يقول شر الثياب ما يرفع الناس رؤوسهم فينظرون الى صاحبها وكانوا يقولون كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة) وتؤدى فيه الفريضة (وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه) ونقاؤه (وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه) وهو شرها ثم قال وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت (وقال بعضهم من رق ثوبه فقد رق دينه) فان الثوب الرقيق يحوجه الى احضار غن كثير والحلال ضيق فيحتاج ان يمد يده الى الشهات بل الى الحرام المحض وهذا هو رقة الدين وقد كان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز رقة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعد سرفا فيما جاوزها (وكان جهورا العلماء) و(من) خيار

(التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير فهل بعشرة وقد مت عشرة لقد ليوم ففرك وفاقك قال وقد كنت اشتريت به ثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه الله تعالى أحد زها دعصره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي ذيل قميصه على رأسه وقال بعض الساف أول النسك الزى وفي الخبر البرازة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جبال وهو يقدر عليه تواضع الله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة في تحت الباقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لا ولياى لا يلبسوا ملبس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى ونار رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر في برته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فمهم جعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقبديهم الغنى ولا يزرى بهم الغنى ولا يزرى بالفقر فقره وما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى تواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم

(التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير فهل بعشرة وقد مت عشرة لقد ليوم ففرك وفاقك قال وقد كنت اشتريت به ثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه الله تعالى أحد زها دعصره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي ذيل قميصه على رأسه وقال بعض الساف أول النسك الزى وفي الخبر البرازة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جبال وهو يقدر عليه تواضع الله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة في تحت الباقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لا ولياى لا يلبسوا ملبس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى ونار رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر في برته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فمهم جعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقبديهم الغنى ولا يزرى بهم الغنى ولا يزرى بالفقر فقره وما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى تواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم

ابن حنيفة حدثنا علي بن حكيم ح وحدثنا محمد بن علي حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد قال
حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعقة عن زيد بن وهب قال قدم علي بن علي رضي الله عنه وقد من أهل البصرة
فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن بجة فعاتب عليا في لبوسه فقال مالك وللبوسي ان لبوسي
أبعد من الكبر وأجدوان يقتدي بي المسلم (ونهي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الا ان عباد الله ليسوا
بالمتنعمين) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بن عمار قال والتنعم فان الله عبادا ليسوا بالمتنعمين وقد تقدم
(وروى فضالة بن عبيد) بن نافع بن قيس الانصاري الاوسى أول مشاهده أحد وشهد فقم مصر ثم نزل دمشق
وولي قضاءها ومات سنة ثمان وخمسين زوى له مسلم والاربعة (وهو والى مصر اشعث) اغبر (حافيا فقيلا له أنت
الامير وتفعل هذا فقال نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاة) أي التنعم (وأمرنا ان نخشى احيانا)
وروى نخفي رواه أبو داود باسناد جيد والاحتفاء البذاذة والتبذل (وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبك فارتع القميص ونكس الأزار واخصف النعل وكل دون الشبع) نقله صاحب
القوت (وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر) ولطف القوت وكان عمر
يقول اخلوا لقوا واخشوشنوا وتمددوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر واقطعوا الركب وانزوا على
الخليل نزوا وعليكم بالمعدية الاولى سنة ابيكم اسمعيل انتهى رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان
قال أنا نا كلب عمر ونحن بأذربيجان يا عتبة بن فرقد اياكم والتنعم وزى أهل الشرك وللبوس الحر برقان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اناعنه الا هكذا ورفع رسول الله أصبعيه وقدرناه أحد في مسنده حدثنا
حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان فذكره وبه قال حدثنا زيد أنا نا عاصم
عن أبي عثمان ان عمر قال انزروا واربدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والسراريات والقوا الركب وانزوا
نزوا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التنعم وزى العجم واياكم والحرير وقال أبو نعيم في الغريب
حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم عن أبي العديس الاسدي عن عمر انه قال اخشوشنوا وتمددوا واجعلوا
الرأس رأسين ومعنى تمددوا اتبعوا معدن عدنان في الفصاحة وقيل تشبهوا بعيشه من الغلظ والتعشف
فكونوا مثله ودعوا التنعم وزى الاعاجم وقال الراهمري في الامثال المعنى اقتدوا بمعدن عدنان
والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن الافراط في الترفه والتنعم
وقد روى الراهمري في الامثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الادرع له
خبيبة رفعه تمعدوا واخشوشنوا وامشوا حفاة وروي تمعدوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة
رواه الحاكم في الكنى والبغوي والطبراني وابن منذه من حديث ابن أبي حدرد قال ابن عساكر اعتقد
البغوي ان ابن أبي حدرد هو عبد الله فاخرجه في ترجمته وانما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد وكذلك
رواه صفوان بن عيسى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري فيكون الحديث مرسل
لان القعقاع لا صحبة له وعبد الله بن سعيد ضعيف بمره هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير
وقال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أبو الشيخ في السبق وان شاهين في الصحابة والطبراني في الكبير
وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري
عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه تمعدوا واخشوشنوا واخولوا وانتضلوا وامشوا حفاة وهو
عند أبي الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن أبي
حدرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان لكن جعله عن
القعقاع كالأول ورواه أيضا من طريق اسمعيل بن زكريا عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن القعقاع بن
أبي حدرد وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع لكنه لم يسمه اذ ساقه بل قال عن ابن
أبي حدرد وأعاد في عبد الله من العبادة من حديث اسمعيل أيضا ولم يسمه كذلك رواه الطبراني في الكبير

ونهي صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال
ان الله تعالى عبادا ليسوا
بالمتنعمين وروى فضالة بن
عبيد وهو والى مصر اشعث
حافيا فقيلا له أنت الامير
وتفعل هذا فقال نعم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
الارفاة وأمرنا ان نخشى
أحيانا وقال علي لعمر رضي
الله عنهما ان أردت ان تلحق
بصاحبك فارتع القميص
ونكس الأزار واخصف
النعل وكل دون الشبع
وقال عمر اخشوشنوا واياكم
وزى العجم كسرى وقبصر

من طريق منده بن علي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبي حذردوا أبو الشيخ أيضا من طريق
سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه هو عبد الله عن جده عن أبي هريرة رفعه مثله ورواه
الراهرمزي في الامثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن سعيد عن أبيه
عن رجل من أسلم يقال له ابن الادبر ع رفعه ثم مددوا الحديث فهذا ما فيه من الاختلاف ومداره على عبد الله
ابن سعيد وهو ضعيف (وقال علي رضي الله عنه من تزيارني قوم فهو منهم) وقدر روى نحوه مرفوعا من
حديث ابن عمر من تشبه بقوم فهو منهم واه أجدوا أبو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرجسي عنه
وفي السند ضعف ورواه البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث
أنس وهو عند القضاعي من حديث طاوس مرسل وله شاهد جيد من قول الحسن البصري قلما تشبه رجل
بقوم الا كان منهم ورواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن جيد الطويل قال كان الحسن يقول
فذكره ومن قول عمر بن عامر الجلي من تشبه بقوم لحق بهم ورواه العسكري أيضا من طريق رافعه
(وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
ويتشددون بالكلام) قال العراقي رواه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي امامة سيكون رجال من
أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شر أمتي وقد تقدم قلت ونعمامة ويشربون ألوان
الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون في الكلام فاولئك شر أمتي وقدر واه أبو نعيم في الحليمة
كذلك وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها رفعته شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام
ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون في الكلام وقدر واه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك وتقدم وروى
الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر شر أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذبوا بها يكون من الطعام ألوانا
ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشددون في الكلام وقد صححه الحاكم وتعقب
وتقدم (وقال صلى الله عليه وسلم أزره المؤمن الى انصاف ساقية ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما
أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من حرازه بطرا) قال العراقي رواه مالك وأبو داود
والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة قال مجاهد بن يحيى
الذهلي كلا الحديثين محفوظ انتهى قلت لفظ مالك في الموطأ أزره المؤمن الى نصف الساق ولا جناح عليه
فما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من حرازه بطرا لم ينظر الله اليه وكذلك
رواه الطيالسي وأجدوا بن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء من حديث أبي سعيد ورواه
الطبراني من حديث ابن عمر وفي رواية أزره المؤمن الى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل وفي رواية أزره
المؤمن الى عضلة ساقه ثم الى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار واه كذلك أحمد من حديث أبي
هريرة واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الاولى فقط وكذلك النسائي والبيهقي من
حديث أبي سعيد وكذلك ابن أبي عاصم وسمويه والضياء من حديث أنس وروى الطيالسي ومسلم من
حديث ابن عمر من حرازه يريد بذلك الخلاء فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة وروى أحمد والسنة من
حديثه من حرجه به خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة وروى أحمد من حديث أبي سعيد من حرجه به من
الخلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الحديث (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من أمتي الامراء أو أحمق) قال العراقي لم أجده اسنادا (وقال) أبو عمرو
(الاوراعي) رحمه الله تعالى (لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة) كذا في القوت (ودخل محمد بن
واسع) أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى (علي قتيبة بن مسلم) الباهلي صاحب خراسان وكان أمير

وقال علي كرم الله وجهه
من تزيارني قوم فهو منهم
وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من شر أمتي الذين
غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان
الطعام وألوان الثياب
ويتشددون في الكلام
وقال صلى الله عليه وسلم أزره
المؤمن الى انصاف ساقية
ولا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك
ففي النار ولا ينظر الله يوم
القيامة الى من حرازه بطرا
وقال أبو سليمان الداراني
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يلبس الشعر من
أمتي الامراء أو أحمق وقال
الاوراعي لباس الصوف في
السفر سنة وفي الحضر بدعة
ودخل محمد بن واسع علي
قتيبة بن مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والجواب انه هدمها فداء بحير

وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً قال ما هذا قلنا خص لنا قدهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له لو بنيت فقل هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كاف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً إنه الرياسة والتطاؤل في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناع وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حرور ود قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك البصيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة

فقال كل بناء وأشار بيده على رأسه أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة وروى في الكبير من حديث وثالة كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا وأشار بكفه الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة) قال العراقي رواه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلوا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلان ينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث واسناده ضعيف انتهى قات وتماه ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشر إليه اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية (وقال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللين حتى يبنى انتهى قلت ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني قال الهيثمي لم أجده من ضعفه وله في الأوسط عن أبي بشير الأنصاري إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في البنيان وفي لفظ له زيادة الماء والطين وهكذا رواه به هذه الزيادة الحسن بن سفيان وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي كلهم عن محمد بن بشير الأنصاري قال البغوي وماله غيره ورواه أيضاً ابن عدي من حديث أنس (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً فقال ما هذا قلنا خص لنا قدهي قال أرى الأمر أعجل من ذلك) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى قلت ورواه أحمد كذلك وأظنه قال الأمر أسرع من ذلك (واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب) بأن ربط بعضه على بعض (فقيل له لو بنيت) بالطين (فقال هذا كثير لمن يموت) ومن هنا قولهم المشهور بيت العنكبوت كثير لمن يموت (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (دخلنا على صفوان بن يحيى) هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع قال ابن حبان في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال وكان من العباد اتخذ لنفسه سريراً بيكي فيه وقال الواقدي توفي في ولاية بشر بن مروان روى له الجماعة غير أبي داود (وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له) أي قال له أحد أصحاب الحسن (لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد فيه لين وانقطاع اهـ قلت لكن بلفظ كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر (وفي الخبر كل نفقة) ينفقها (العبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الارت باسناد جيد بلفظ الآتي التراب أو قال في البناء انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها إلا البنيان (وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) قيل هو حب الكثرة وطلب (الرياسة والتطاؤل في البنيان) كذلك (قال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حرور ود) وفي لفظ الامسجد من بيوت الله قال العراقي رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد إلا ما لا مالا يعني مالا بمنه انتهى قلت سبق ذكره قريبات حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير قال صاحب اللقوت ولذلك جعل التطاؤل في البنيان من اشراط الساعة وقر بوقع وقوعها في خبر الجساسة ان الدجال سأل هل تطاول الناس في البنيان قالوا نعم قال الا تنذروا جي في اشياء عددها (وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك اليه ضيق منزله اتسع في السماء) قال المصنف (أي في الجنة) قال العراقي رواه أبو داود في المراسيل من رواية البصيص بن المغيرة قال شككنا الذين لا يريدون فذكره وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد أنه قال ارفع إلى السماء واسأل الله السعة وفي اسناده لين انتهى ولفظ القوت وشكا

ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى مصر قد بني بحص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من بيني وبين همامان
لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا همامان على الطين يعني به الآخر ويقال ان فرعون هو أول من بنى له بالجص والآجر وأول من عمله همامان
ثم تبعهما الجبارة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت
مبنياً من رصاص ثم رأيت الآت مبنياً بالبن فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرصاص (٣٦٣) وكان أصحاب الرصاص خيراً من أصحاب

البن وكان في السلف من
يبني داره مراراً في مدة عمره
لضعف بنائه وقصر أمله
وزهده في أحكام البنين
وكان منهم من اذا حج أو غزا
تزعج بيته أو وهبه لجيرانه
فاذا رجع أعاده وكانت
يسوءهم من الحشيش
والخلود وهي عادة العرب
الآن يسلاد اليمن وكان
ارتفاع بناء السقف قامة
وبسطة قال الحسن كنت
اذا دخلت بيوت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربت
بيدي السقف وقال عمرو
ابن دينار اذا على العبد
البناء فوق ستة أذرع ناداه
ملك الى أين يا أفسق
الفاسق وقد نسي سفيان
عن النظر الى بناء مشيد
وقال لولا نظر الناس لما
شيدوا فالنظر اليه معين
عليه وقال الفضيل اني
لا أعجب ممن بنى وترك ولكن
أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر
وقال ابن مسعود رضي الله
عنه يأتي قوم يرفعون الطين
ويضعون الدين ويستعملون
البراذين يصلون الى قلوبكم
ويعمّون على غير دينكم
*(المهم الرابع أنات

العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيق منزله فقال يا عم اتسع في السماء يعني في طلب الآخرة ولا
تطلب سعة الارض بالدنيا (ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام) حين توجه اليه (الى مصر) قال
(قد بني بحص وأجر فكبر) أي قال الله أكبر (وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من بيني وبين همامان
همامان لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا همامان على الطين يعني به الآخر ويقال ان فرعون هو أول من بنى
له بالجص والآجر وأول من عمله همامان ثم تبعهما الجبارة وهذا هو الزخرف) كل ذلك في القوت الا أنه
قال وهذا من الزخرف (ورأى بعض السلف) مسجداً (جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد
مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت) بعد سنين (مبنياً من رصاص ثم رأيت الآت مبنياً بالبن) والآجر
(فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيراً من أصحاب البن) نقله صاحب
القوت (وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام
البنين) واتقاه (وكان منهم من اذا حج أو غزا زرع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده) (و) العذر في ذلك أنه
(كانت يبيعونهم من الحشيش) والتمام (والخلود) وهي عادة العرب الى (الآن يسلاد اليمن) كل ذلك في
القوت (وكان ارتفاع بناء السقف) ولفظ القوت وكان سمك بناء الصحابة (قامة وبسطة قال الحسن)
البصري رحمه الله تعالى (كنت اذا دخلت بيوت) أصحاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى
السقف) كذا في القوت (وقال عمرو بن دينار) المسكي ابو محمد الا نرم الجهمي مولا هم ثقة ثبت مات سنة ست
وعشرين ومائة روى له الجماعة (اذا على العبد البنين فوق ستة أذرع ناداه ملك) الهواة (الى أين يا أفسق
الفاسق) كذا في القوت (وقد نسي سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا
نظر الناس لما شيدوه فالنظر اليه معين عليه) ولفظ القوت وقال بعضهم كنت أمشي مع سفيان في طريق
فنظرت الى باب مشيد بالجص فقال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تذكره من النظر اليه فقال اذا نظرت
اليه كنت عوناً له على بنائه لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لينظر اليه ما عمله (وقال
الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (اني لا أعجب ممن بنى وترك ولكني أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر) رواه
أبو نعيم في الحلية (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون
البراذين) وهي خيل الروم (يصلون الى قلوبكم ويعمّون على غير دينكم) وهذا من جملة الاخبار بما سبق
المهم * (الرابع أنات البيت) أي متاعه (وللزهديه أيضاً جات أعلاها حال عيسى المسيح عليه السلام
اذ كان لا يعصبه) منه (الامشط وكوز) فالمشط للعبث والكوز لشربه وبينه هو عيسى (فرأى انساناً)
قد غسل وجهه وهو (يمشط خنيته باصبعه) يخالها به (فرى بالمشط) اذ رأى الاصابع كافية (ورأى آخر
يشرب من النهر بكفيه فرى بالكوز) اذ رأى كفيه كافية وصحب زاهداً مسواكاً فرأى رجلاً يسوق
باصابعه فرى بالمسواك (وهذا حكم كل أنات فانه انما اراد المقصود فاذا استغنى عنه فانه وبال في الدنيا
والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف) في الآلات
الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها (ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به)
وذلك في الزهد ولا يتشاهم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فانه من الجهل بالسنة

البيت) * (وللزهديه أيضاً جات أعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفي اذ كان لا يعصبه الامشط وكوز فرأى
انساناً يمشط خنيته باصابعه فرى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرى بالكوز وهذا حكم كل أنات فانه انما اراد المقصود فاذا استغنى
عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف ولا يبالي بان يكون
مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به

وأوسطها أن يكون له أناس بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قسعة يأكل فيهاو يشرب فيها
وبحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون (٣٦٤) استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعمالها أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من

الجنس النازل الخسيس
فان زاد في العدد أو في نفاثة
الجنس خرج عن جميع
أبواب الزهد وركن الى طلب
الفضول ولينظر الى سيرة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين فقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان
ضجاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه
وسادة من آدم حشوها ليف
وقال الفضيل ما كان من
فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا عبادة مثنية
وسادة من آدم حشوها
ليف وروى أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نائم على سرير
مرمرى بشرط جفلس
فرأى أثر الشرط في جنبه
عليه السلام فدمعت عيناه
عمر فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما الذي أبكاك
يا ابن الخطاب قال ذكرت
كسرى وقصر وما هما فيه
من الملك وذكرتك وأنت
حبيب الله وصفيته ورسوله
نائم على سرير مرمرى بشرط
فقال صلى الله عليه وسلم أما
ترضى يا عمر أن تكون لهما
الدنيا ولنا الآخرة قال بلى
يا رسول الله قال فذلك
كذلك ودخل رجل على أنى

(وأوسطها أن يكون له أناث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده كالذي معه قطعة يا كل فيها) الطعام (و يشرب فيها) الماء (ويحفظ المتاع فيها) فهذه ثلاثة مقاصد في آلة واحدة (وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلامه أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحسيس فان زاد في العدد) بان اتخذ حخين أو ابريقين أو عصتين أو قدرين (أو زاد) (في نفاسة الجنس) بان اتخذ من خرف الصين الساج أو المموه بالنقوش فقد (خرج عن جميع أبواب الزهد) آخرها وأولها (وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم) أي جلد مدبورغ (حشوها ليف) التخل قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى قلت ولفظهم كانت وسادته التي ينام عليها من ادم حشوها ليف وكذلك رواه أحمد (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبادة مثنية وسادة من ادم حشوها ليف) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير) من جريد (مرمول) أي منسوج (بشرط مجلس) ولفظ القوت (فقد فرؤى أثر) حبال (الشريط في جنبه) عليه السلام (قدمت عينا عمر) ولفظ القوت فادرت عيني في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارايت الاصابع من شعير مصبوب في زاوية البيت ٧ واهب في ناحية منه غير مدبوعة قال فلم أملك عيني فبكيت (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب) ولفظ القوت قال في بكيك يا ابن الخطاب (قال) فقلت (ذكرت كسرى وقصر وماهما فيه من الملك) ونعيم الدنيا (وذكرت وأنت حبيب الله وصفه برسوله) ولفظ القوت وأنت رسول الله وخبرته من خلقه على ما أرى (نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم) أفى شك أنت يا عمر (ما ترضى أن تكون لهم) وفي نسخة لهما (الدنيا ولنا الاخرة قال) قلت (بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك) وفي لفظ فقلت رضيت وفي لفظ آخر أولك قد عملت لهم طبائهم في الدنيا فدل قوله صلى الله عليه وسلم أفى شك أنت على ان القلة والزهد من اليقين لانه ضد الشك في شك في ذلك أو رغب فهو غير موثق قال العراقي وهو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم (ودخل رجل على أبي ذر) رضي الله عنه (فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاناث فقال ان لنا بيتا فوجه اليه صالح متاعا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه) وقدرى صاحب الخلية في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة عن خالد بن حدير الاسلمى أنه دخل على أبي الدرداء فرأى تحته فراشا من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبينة صوف وهو وجع وقد عرق فقال لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين قال ان لنا دارا وانا لنظمتن اليها ولها تعمل ومن طريق الاوزاعي عن حسان بن عطية ان أصحابا لابي الدرداء تصفوه فصفهم ففهم من بات على لبدته ومنهم من بات على ثيابه كما هو فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال ان لنا دارا فلها تجمع واليهاتر جمع (ولما قدم عمر ابن سعد) بن عبد بن النعمان بن قيس بن عمر بن عوف الانصاري الاوسى هكذا نسبة الواقدي وتبعه ابن عبد البر وكان يقال له نسج وحده قيل كان عمر يسميه بذلك لانجابه به صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على خص الى ان مات وكان من الزهاد روى عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمر قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في

خلافة

ذرفعل يقبل بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأنث فقال إن لنا بيتا فوجه إليه

صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عيسى بن سعيد

خلافه ماويه وكان (أمير حصن) استعمله عمر (على عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما) أي عن عمر
وعن عمر (قال له مامعك من الدنيا فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حبة إن لقيتها معي جرابي أجل
فيها طعما معي فصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعني مطهرتي أجل فيها شرابي ووضوئي للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت (رحمك الله) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا
سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن المرزبان الادمي حدثنا محمد بن حكيم الرازي حدثنا عبد الملك بن هرون بن
عذرة حدثني أبي عن جدي عن عمر بن سعد الانصاري قال بعثه عمر بن الخطاب عاملا على حصن فكثرت
حول لا ياتيه خبره فقال عمر لكاتبه اكتب الى عمر فوالله ما أراه الا قد خاننا اذا جاءك كتابي هذا فاقبل واقل
بما جئت من في المسلمين حين تنظر في كتابي هذا قال فاخذ عمر جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق اداونه
وأخذ عنقه ثم أقبل يمشي من حصن حتى دخل المدينة قال فقدم وقد شرب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته
فدخل على عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال عمر ما شئت فقال عمر ما ترى من شأني
ألمست ترى صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أحرها بقرنها قال ومامعك فظن عمر انه قد جاء بمال فقال معي
جرابي أجعل فيه زادي وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وادواني أجل فيها وضوئي وشرابي
وعزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدو الله ما عرضني فوالله ما الدنيا الا تبع لما معي قال عمر فحقت عشي قال نعم قال
ما كان لك أحد يتبع لك بدابة تركها قال ما فعلوا وما سألهم ذلك فقال عمر بنس المسلمين خرجت من عندهم
فقال عمر اتق الله يا عمر قد نك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة قال عمر فإني بعثتك وأي شيء
صنعت قال وما سألك يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله فقال عمر ألو لا اني أخشى أن أعظمك ما أخبرتك
بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليهم جباية فيهم حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ولو
نالك منه شيء لا يتك به قال فما جئتنا بشي قال لا قال جددوا لعمر عهدا قال ان ذلك لشيء لا عملت ولا لاحد
بعدك ثم ساق الحديث بطوله وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته وقوله وددت لو اني رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين به في أعمال المسلمين وروي الواقدي هذا القول عن عمر ولفظه وددت لو أني رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين (وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله
عنها) وكانت من أول من يدخل عليها من أهلها اذا قدم من سفر (فراى على باب منزلها سترًا وفي يديها قلبي
من فضة) مثني قلب بضم فسكون وهو السوار (فرجع) ولم يدخل (فدخل عليها أبو رافع) مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت لا مزارع جمع فقال
أنا أسأله ماردة (فسأله أبو رافع فقال من أجل السترو السوارين) فاخبرها بذلك فهتكت السترو وترعت
السوارين (فارسلت بها بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى
فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع) بلال (القلبي بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل
عليها صلى الله عليه وسلم) وضمها اليه (فقال بابي أنت وأمي قد أحسنت) أنت مني كذا في القوت وقال في
موضع آخر ونظر صلى الله عليه وسلم الى فاطمة رضي الله عنها في عنقها عقد من خرز فيه شيء من ذهب وعلى
بها ستر فرجع ولم يدخل فقال مالي وللدنيا فترعت ذلك وأرسلت به الى بعض الفقراء ورأى صلى الله
عليه وسلم في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما قلبي من فضة فخرز بينهما ما فاطمة رضي الله عنها
فترعهما وأمر بلال ان يتصدق بهما على أهل الصفة وقال العراقي لم أره مجموعا ولا يداودا بن ماجه
من حديث سفينة باسناد جيد انه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام
قد ضربت في ناحية البيت فرجع فقال فاطمة لعل انظر ما أرجعه الحديث وللناس من حديث ٧ باسناد
صحيح قال جاءت ابنة هبيرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يديها فتع من ذهب الحديث وفيه انه وجد في يد
فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يديها سلسلة من نار وانه خرج ولم يقعد فامرت

أمير حصن على عمر رضي
الله عنهما قال له مامعك
من الدنيا فقال معي عصاي
أتوكأ عليها وأقتل
بها حبة إن لقيتها معي
جرابي أجعل فيه طعما
ومعني قصعتي آكل فيها
وأغسل فيها رأسي وثوبي
ومعني مطهرتي أجل فيها
شرابي وطهوري للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا
فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت
رحمك الله وقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سفر
فدخل على فاطمة رضي
الله عنها فرأى على باب
منزلها سترًا وفي يديها قلبي
من فضة فرجع فدخل
عليها أبو رافع وهي تبكي
فاخبرته برجوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله
أبو رافع فقال من أجل
السترو السوارين فارسلت
بهما بلالا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت
قد صدقت بهما فضعهما
حيث ترى فقال اذهب
فبعه وادفعه الى أهل
الصفة فباع القلبي بدرهمين
ونصف وتصدق بهما عليهم
فدخل عليها صلى الله عليه
وسلم فقال بابي أنت قد
أحسنت

آل فلان وفرشته عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لهما عبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتت دنائير خمسة أوسمة ليلافيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن أدرت سبعين من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشراً الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه * (المهم الخامس المنسكح) * وقد قال قائلون لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة على ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة و بضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك شؤم والمرأة قد تكون شاعلة عن الله

بالسلسلة فبعت فاشترت بثمنها عبداً فاعتقه فلما سمع ذلك قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار انتهى قلت وروى أبو نعيم في الخلية من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال لما ولدت فاطمة حسنا قالت يا رسول الله الا أعق عن ابني قال لا ولكن احلني رأسه وتصدي بوزن شعره ورقاً وقضة على الاوافض والمساكين يعني بالاوافض أهل الصفة (ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة) رضي الله عنها (سترافهتكم وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان) وفي القوت سترافيه صورة وفيه ما في اذاريته ذكرت الدنيا وقال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (وفرشته عائشة) رضي الله عنها (ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة) كذا هو في القوت وفي موضع آخر منه وأهدت لعائشة امرأة فراشاً ففرشته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر ليلته ونوطته ووطاه فساء لها فآخبرته فقال ردى العباءة ونحى هذا انتهى وقال العراقي روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فأنطلقت فبعت الى بفراش حشوه صوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه انه أمرها بده ثلاث مرات فردته وفيه مجالدين سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشرائع (وكذلك أتت دنائير ستة أوسمة ليلافيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة) رضي الله عنها (فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده) كذا في القوت قال وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يبيت عنده مالا ولا يقبله ان جاءه عبداً أو عسلاً لم يبيته وان جاءه غدة لم ينتظر به القابلة قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة باسناد حسن انه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت الذهب فاعت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقبلها بيده ويقول ما ظن محمد الحديث وفيه رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يا نبي الله مالك ساهم الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي أتتني أمس أمسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية أم مسينا ولم تنفقا (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدرت سبعين) رجلاً (من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشراً الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه) نقله صاحب القوت (المهم الخامس المنسكح وقد قال قائلون) من الصوفية (لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب) ابو محمد (سهل بن عبد الله) التستري رحمه الله تعالى (وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين) صلى الله عليه وسلم (النساء) فكيف زهد فيها ولا معنى لمحبتهم الا النكاح كانه يشير الى اخبر المشهور ورجب الى من دنيا كم الطيب والنساء جعلت قرعة عني في الصلاة ولغظ سهل لا يصح الزهد في النساء لانه قد حبيب الى سيد الزاهدين (ووافقه) في ذلك الامام أبو محمد سفيان (بن عيينة) الهلالي مولا هم المكي رحمه الله تعالى (وقال) ليس في كثرة النساء دنيا (كان أزهد الصحابة) وأعلاهم شأنًا فيه (على ابن أبي طالب) رضي الله عنه (كان له أربع نسوة) بالصدق (وبضع عشرة سرية) مات عنهن (والصحيح) في ذلك (ما قاله أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤم) هكذا نقله القشيري وروى أيضاً من قول داود الطائي كما تقدم قريباً ونقل القشيري أيضاً عن الداراني قال الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقال أحمد بن حنبل زهد العارفين ترك العبد ما يشغل عن الله تعالى (والمرأة قد تكون شاعلة عن الله تعالى) فيكون الزهد تركها

وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن (٣٦٧) عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك

النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانسان بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذّة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذّة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف وهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فن) كان (حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عابهن) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده فيهن حذر من مجرد لذّة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة) وليقتصر عليها أو ليسكن (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان بالجملة لاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصالح فهذه زوجة أخرى لبيت من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يدنس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشك في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اها في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل) للسالك (في بعض الاحوال كما سبق) بيانه (في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة) عن سبق كشيق الحمار لا يعوى ولا ينتهي الا بالسفاد (فهو واجب) حينئذ (فكيف يكون تركه من الزهد وان لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانسان بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد) اذا لانس بغير الله من الدنيا (وان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احترازا من لذّة النظر) اليها (والمضاجعة) لها (والمواقعة) بها (فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان) لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذّة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف وهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فن) كان (حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عابهن) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده فيهن حذر من مجرد لذّة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة) وليقتصر عليها أو ليسكن (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان بالجملة لاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصالح فهذه زوجة أخرى لبيت من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يدنس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشك في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اها في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة غير جميلة ورايع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء ان أو البتيمة على المرأة الجميلة والشريفة

وقال الجنيد رحمه الله أحب المرء المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزويج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا * (المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه) * (٣٦٨) أما الجاه فنعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض

والاعمال وكل من لا يتقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا أول قريب ولكن يتمادي به إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه وانما يحتاج إلى المحل في القلوب اما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده المستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يتقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدان لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا (فإن اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراعاة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره وأما المال فهو ضروري

كيد في ماله في إخراجها والثالثة يقول إن أردت الخروج إلى حج أو زيارة أو غزاة ولزمت الرضا وكنت عوناً في انفساها والرابعة أن تزوجت عليك ثلاثاً لم تعرضي وجهك ولم تتغيري والخامسة خفة الصداق والسادسة خذوها والسابعة سرعة البناء فان وافق منها هذه الخصال فليست تقدم ولا يتوقف ٧ وكانت امرأته زاهدة وكان يحكي عنها زهد النساء قال قالت لي أهلي ما زهد النساء قالت ترك الزينة والرياء قالت أعلى من هذا قلت ما هو قالت تطيب نفسها لزوجها بان يتزوج عليها من النساء فان الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال فقلت لها هي بضاعتكم أنتم بها أعرف قال وقلت لها قد أذن الله في تزويج أربعة من النساء فقالت ليس يفرض عليك أن تزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين اثنين (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (أحب للمرء المبتدئ) في إرادته وسلكه (أن لا يشغل قلبه بثلاث) خصال (ولا تغير حاله) ونقص من يده من سلكه (التكسب وطلب الحديث والتزويج) نقله صاحب القوت أي فان في هذه الخصال ركوباً إلى الدنيا وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريباً من تزويج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا (وقال) الجنيد أيضاً (أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه) نقله صاحب القوت أي فان الاشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه وبغير حاله (فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا * المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة) من المهمات المذكورة (وهو المال والجاه أما الجاه فنعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والاعمال وكل من لا يتقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه) ليتوصل به إلى قضاء حاجاته (لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه) كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه (وهذا أول قريب ولكن يتمادي) أي ينجر (إلى هاوية لا عمق لها) أي لا آخر (ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه) كما في الخبر (و) هذا إن طلبه بالعبادات حرم قليله وكثيره وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه (فانما يحتاج إلى المحل في القلوب) لأحدى ثلاث (أما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم أما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده المستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يتقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك) بل حق الزاهدان لا يسعى (لطلب المحل في القلوب) أصلا (فإن اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراعاة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره وأما المال فهو ضروري

القلوب أصلاً فان اشتغاله بالدين والعبادة بعهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهومات والتقديران التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهم كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا والبسير منه دواعي الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليجتر زمن قليله وكثيره * وأما المال فهو ضروري

وقولنا انه خرج من حشد
الزهاد نعتى به ان ما وعد
للزاهدين في الدار الآخرة
من المقامات المحمودة لا يناله
والافاسم الزهد قد لا يفارقه
بالاضافة الى ما زهد فيه من
الغضول والكثرة وأمر
المنفرد في جميع ذلك أخف
من أمر الغيل * وقد
قال أبو سليمان لا ينبغي
أن يرهق الرجل أهله الى
الزهد بل يدعوهم اليه فان
أجابوا والا تركهم وفعل
بنفسه ما شاء معناه أن
التضييق المشروط على
الزاهد يخصه ولا يلزمه
كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي
أن يجيهم أيضا فيما يخرج
عن حد الاعتدال وليتعلم
من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انصرف من بيت
فاطمه مريضاً ان الله عليها
بسبب سر وقلبين لان ذلك
من الزينة لا من الحاجة فاذا
ما يضطر الانسان اليه من
جاه ومال ليس بمحذور بل
الرائد على الحاجة سم قاتل
والمقتصر على الضرورة
دواء نافع وما بينهما درجات
متشابهة فما يقرب من

مالا معالي والمجبل وانما * سعي الهن الفرید القادر

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله) أي يكافهم (إلى الزهد بل يدعوهم إليه فان أجابوا والتركهم وفعل بنفسه ماشاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله) هذا ما فهم من كلامه (نعم لا ينبغي أن يجيهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر) كانت علقته في ناحية البيت (وقلبين) في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريبا (لان ذلك من الزينة لان الحاجة) وكذلك لما تزيت أم سلمة بغرص من ذهب جعلته في أذنها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعت قناعي عن اذني وجاء ان ينظر الى زينتي قالت فاعرض ولم يلتفت فقلت يا رسول الله انما تزيت لك فقال عن زينتك اعرض ما ضرر لو جعلت من فضة ثم لطخته بالزعفران فكان كانه ذهب فامرها بفعل من لا يجب الدنيا عليها وانما يدخل فيها الظاهر مما افقه الان الفضة والزعفران وان أشبهت الذهب في اللون فانما هو متاع في الوقت لان لها قيمة الذهب وقدره لا وجود حلاوته في قنيتها فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا عليها فيستعمل الدنيا فيما يقرب وذاو يبدل دقيقا منها اذا قيمة يبسر دونه (فاذا ما يضطر الانسان اليه من حاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقصر على الضرورة دواء نافع وما ينهس ما درج متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سمًا قاتلًا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعًا ولكنه قليل الضرر والسم محظور وشربه والدواء فرض تناوله وما ينهس ما مشبه أمره من احتياط فانما يحاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ دينه وترك ما يريه الى ما لا يريه وود نفسه الى مضيق الضرورة فهو والاتخذ بالخرم وهو من الفرقة الناجية للاحالة) وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم ما أنا عليه وأصحابي (والمقتصر

الزائدة وان لم يكن سمافاتلا فهو مضر وما

(٤٧ - انخاف السادة المتقين) - تاسع)

يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء فعال لكنه قليل الضرر وسه محظور وشربه والدواء فرض تناوله وما ينبت منه ما يشبه امره فمن احتياط فاعلم احتياط لنفسه ومن تساهل فاعلم يتساهل على نفسه ومن استبرأ الدين وتروك ما يربيه الى ما لا يربيه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجمة لا محالة والمقتصر

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً فآوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال (٣٧٠) في الآخرة وهو في الدين أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

على قدر الضرورة) على (المهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك) ولفظ القوت لو بخيلك أنزلت حاجتك لقضاءها لك يعني نفسه تعالى (فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً) فتمقتني (فآوحى الله إليه) أما علمت أنه (ليس الحاجة من الدنيا) وفي لفظ القوت ليس هو من الدنيا نقله صاحب القوت وقدرى مرفوعاً نحوه من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح يموتاً في ملكوت السماء ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب فذل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناءه منها مدحه على الصبر عليه بعد ذمها وفي خبر آخر لا يعذب الله مؤمناً جعل رزقه في الدنيا قوتاً (فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال ووجعه وحفظه واحتماله الذل فيه) في معاملاته (و غاية سعادته به أن يسلم لورثته) إذا مات (فياً كونه وهم أعداؤه) إذا كانوا يمتنون موته وينظرونه (وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها) أذورهم ما أطغاهم فهو جوع ما لا ذرية يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة ويخيبهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلاكته في عاقبته فصار نعيمهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلاك هو به (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره متعمداً ومات هو فيه (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تنساق (في قيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الأعداء ومراعاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا) فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه (ولو ترك محبوباً بمن محابه باختياره كاد يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة) فن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه وقد قيل بعد ما وسحقاً لتقتل الدنيا لا يقادله منها فان قوى حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن محبهه والاهل واطراحه لاحكام مولاه (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره (فهى) أى تلك السلاسل (تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه فأنطك بأن لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى علبين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب) ولذا قالوا

في كسب المال ووجعه وحفظه واحتماله الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فياً كونه ورعاً يكون أعداءه وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل لا يزال ينسج على نفسه حباً ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل في قيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الأعداء ومراعاة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً بمن محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه فأنطك بأن لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى علبين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب

أشد

دفعه واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا

ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه فأنطك بأن لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى علبين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب

أشد العذاب الحجاب (قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى عن رؤيته ولقائه (ثم انهم
لصوالحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيف
العلاوة اليه) فيكون أشد فاشد (فتسأل الله أن يقذف) وفي نسخة يقرر (في أسماعنا ما نفتقروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة) رواه الطيالسي والشيخان
والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحب من أحببت فانك مفارقة
واعمل ما شئت فانك ملاقيه وقد تقدم (وفي معنى ما ذكرنا من المثال قال الشاعر)

والسكود وفعول من السكد وهو التعب (ولما انكشف لاولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله
واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه) بنسجه على نفسه (رفضوا الدنيا بالسلابة) حلالها وحرامها
ولم يتعاقوا باعراضها (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (رأيت سبعين بدرية) أى من شهد بدرامع
رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانوا) والله (فيما أحل الله لهم أزهدهم منكم فيما حرم عليهم) كذا في القوت
مع انهم من قد اطاع الله عليهم فغفر لهم (وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء) والسدة تصيبهم (أشد فخرامنكم
بالخصب والرخاء لو رأيتهم وهم قاتم مجانين)

(ولورأواخباركم لقالوا مال هؤلاء من خلاق) أي من نصيب (ولورأواشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب) كذا في القوت وتقدم ذكره أيضا في كتاب عجائب القلب قال (وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول) لا حاجة لي به (أخاف أن يفسد علي فني كان له قلب فهو لا يحالة يخاف من فساده) ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده (والذين أمات حب الدنيا قلوبهم) فهم يتقلبون في ظلمات الهوى فرموا انقلبوا على وجوههم فهم من خسر الدنيا والآخرة أو يكتون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم من رضي بلا شيء (فقد أخبر الله تعالى عنهم) في كتابه العزيز (اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أي تجاوز الماسنهي عنه مقصر عما أمر به وقيل مقدم على الهلاك فهو لا يستحقون الاعراض من الحبيب ويستوجبون الموت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم (و) ترك القبول منهم اذ (قال تعالى وأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبطلهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجلني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عليه السلام بمحج يدخل الغنى الجنة أو قال بشدة) نقله صاحب القوت وتقدم قوله بمحج يدخل الغنى الجنة قريبا (وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه) أي طلعت شمس (الا وأربعة أملاك ينادون في الاتفاق باربعة أصوات ملاكان بالشرق وملاكان بالغرب يقول أحدهم بالشرق يا باغي الخير) أي طالبه (هلم) أي أقبل (ويا باغي الشر) أي طالبه (اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقاً خلفاً) أي عوضاً (واعط مسكاً) أي بخيلاً (تلقا) أي هلاكا (ويقول اللذان

المذات

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للغراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب * (بيان علامة الزهد) * اعلم انه

قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم من الرهابيين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا بابله وانما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا ويعطوا كالمساكين فيحتقروا ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولوا بالحقائق والجوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبيتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للغراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب) هكذا عزا المصنف لبعضهم تبعا لصاحب القوت وقد روي ذلك مرسل من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس رواه البيهقي في الشعب ولفظه ما من يوم طلعت شمس الا يقول من استطاع أن يعمل في خيرا فليعمله فاني غير مكر عليكم أبدا وما من يوم الا ينادى مناديان من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا ورواه الديلمي عن عثمان بن محمد المذكور عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعا وزاد بعد قوله أبدا وكذلك يقول الليل وروي الحاكم في المستدرک من حديث أبي سعيد ما من صباح الا وملكان يناديان يقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا وملكان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان وملكان يناديان يا باغي الخير هلم ويقول الآخر يا باغي الشر أقصر وملكان يناديان يقول أحدهما ويل للرجال من النساء ويقول الآخر ويل للنساء من الرجال وقد صححه الحاكم وتعبق وروى البيهقي من حديث الزبير ما من صباح يصبحه العباد الا وصارخ يصرخ يا أيها الناس لدوا للتراب واجعوا للفناء وابنوا للغراب وروي الديلمي من حديث أبي هريرة ان الله تعالى ملكا يباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازعدا وملك آخر يباب آخر ينادى اللهم اعط منفقًا خلفا وعمل لمسكًا خلفا * (بيان علامات الزهد) *

(اعلم) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثير الصادقون ولا يدل لكل مؤثر من أثر يدل عليه فكذلك لا يدل لكل مقام من علامة تدل على صحته واليه أشار المصنف بقوله (انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة) في العيش (سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم في الرهابيين) جمع رهبان جمع رهاب (من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا بابله) ولا منفذ للهواء فيه (وانما مسرة أحدهم) وفي نسخة مشرب أحدهم (معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له) بترك الدنيا والزهد فيها (فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال) أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى هو من أقران الحنيد والنوري مات بالري سنة ٢٩١ (في وصف المدعين) في الزهد (اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا ويعطوا كالمساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولوا بالحقائق والجوا الى المضايق) قال (وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبيتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص) أو وده في كتاب شرف الفقراء ونقله صاحب القوت وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قبض ومئزر تحته ورجل يعطف ذيل قميصه على رأسه او يحمله من وسطه فيغطي به رأسه وقد كان يحيى بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد ومعناه في تنف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا على مقام الزاهدين من المؤمنين وكان يقول في وصفهم الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر زهد الرجل وفي قصده أمثال التصاوير النساء لو نظر الزاهد الفقير الى وصيفة منهن غشي عليه وقال اذا زهد في الدنيا حجبته عن العامة واذا عرف حجب عن الزاهد وقال اذا حجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة يدعى الى طعام فيجب فيظفرون به بذلك وكذلك اصطيد أبو آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل من تحمله صفاتهم فغلبيتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله

فإذا معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يقول في باطنه (٣٧٢) على ثلاث علامات* (العلامة الاولى)

أن لا يفسر بوجود ولا يحزن على مفقود كما قاله تعالى لكلماتها على ما فاتكم ولا تفسر حوائجكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوى عنده دأمة ومادحة فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة والأجل من أنس بالله تعالى اشتغله ولم يشغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الانس بالله والمراد ببعض أبو محمد الموصلي في القوت قال مضرب عيسى قلت لسباع الموصلي يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد قال إلى الانس بالله أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوى وقع الانس بالنور ولا يجد الانس بالحبيب والوجد بالتقريب غير زاهد (فاما الانس بالله وبالدين لا يجتمعان) وقال صاحب القوت قوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به على الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شيء ولا يتناول عند الحاجة الاسد الفاق ولا يطلب الشيء قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب ولا يدخل غم الآخرة في قلبه حتى يخرجهم الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع إليها ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها وكل من وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة فلم يدم عليها وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يذق حلاوة اليقين لم يؤمن عليه دخول النفاق ورغب في الدنيا ولو بهرحين (وقد قال أهل المعرفة) في تنويع الايمان في القلب فجاءه على مقامين وجعلوا لهما زهدين حيث قالوا (إذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما) وكل منهما يتجاذبان (وإذا بطن الايمان في سويداء القلب) أي باطنه (وباشرة) أحب الآخرة وحدها وعمل لهما (أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لهما) نقله صاحب القوت (ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي) أي يخاطبه (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين) ولهذا قال من شغل بالناس خيرا قال مؤمن في خلق حسن والشاهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه أن يدورن من خير الناس قالوا مؤمن مؤسر من المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به خير الناس فقير يعطى جهده وقد تقدم هذا (والزاهد لا يدور أن

الارض لا يعرفه الا مثله ولا يصبر على معاشرته الاشكاه هذا كله كانه كلام يحيى بن معاذ وسأني باقي كلامه بعد) فإذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يقول في باطنه على ثلاث علامات الاولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكلماتها على ما فاتكم ولا تفسر حوائجكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوى عنده دأمة ومادحة فالأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة) فان الانس بالله والدنيا لا يجتمعان (إذا دخل القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان) وقد كان رضى الله عنه يقول اذا ذكر الدنيا والآخرة انهما لا بمنزلة قدحين لثمل أحدهما فاهو الا أن يفرغ أحدهما في الآخر يعني انك اذا امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلث قدح الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة يكون لك ثلث من الدنيا قال صاحب القوت وهذا تخيل حسن وتعديل صحيح (وكل من أنس بالله تعالى اشتغله ولم يشغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الانس بالله) والمراد ببعض أبو محمد الموصلي في القوت قال مضرب عيسى قلت لسباع الموصلي يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد قال إلى الانس بالله أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوى وقع الانس بالنور ولا يجد الانس بالحبيب والوجد بالتقريب غير زاهد (فاما الانس بالله وبالدين لا يجتمعان) وقال صاحب القوت قوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به على الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شيء ولا يتناول عند الحاجة الاسد الفاق ولا يطلب الشيء قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب ولا يدخل غم الآخرة في قلبه حتى يخرجهم الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع إليها ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها وكل من وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة فلم يدم عليها وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يذق حلاوة اليقين لم يؤمن عليه دخول النفاق ورغب في الدنيا ولو بهرحين (وقد قال أهل المعرفة) في تنويع الايمان في القلب فجاءه على مقامين وجعلوا لهما زهدين حيث قالوا (إذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما) وكل منهما يتجاذبان (وإذا بطن الايمان في سويداء القلب) أي باطنه (وباشرة) أحب الآخرة وحدها وعمل لهما (أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لهما) نقله صاحب القوت (ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي) أي يخاطبه (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين) ولهذا قال من شغل بالناس خيرا قال مؤمن في خلق حسن والشاهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه أن يدورن من خير الناس قالوا مؤمن مؤسر من المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به خير الناس فقير يعطى جهده وقد تقدم هذا (والزاهد لا يدور أن

مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا يدور أن

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه (٣٧٤) الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم ولا

يستدل بامساكه قليلا من المال على قدر زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لابي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ بحقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيبا وان قل فان أمثالنا لا تستجري على الطمع في غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غيره أذن فهو اذا احطنا بما ثبت نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطم شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علمنا الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والذم والمدح والثناء والحمد والذم وذلك لغاية الانس بالله ويتفرع

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم) وهذا مقام المشاهدة لا آخره ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الاعتناء ثم تستوى الاشياء عنده ويستوى عدمها ووجودها وعنده يكون استواء المرح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة وقد روي من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوى عندك المدح والذم فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة (ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا) وقد روي عن السفيانيين أنهم ما سئلوا يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان ممن اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبي الحواري فقلت لابن عيينة يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحس النعمة كيف يكون زاهدا فضر بني بيده وقال أسكت من لم تمنع النعماء من الشكر ولا البلى من الصبر فذلك الزهد ووافقهما الزهري كذلك وقد فصل أبو سليمان ذلك (قال) أبو الحسن أحمد (ابن أبي الحواري) الدمشقي صحب أبا سليمان الداراني وغيره وكان يسميه الجندري بحياة الشامات سنة ٢٣٠ (قلت لابي سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (أكان داود) بن نصير (الطائي) أبو سليمان (زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير) رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عمه داود وقد تقدم وروي أبو نعيم في الحليسة عن أبي محمد بن حبان حدثنا اسحق بن حسان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان الداراني ورث داود الطائي من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية) ينتهي السالك اليها (لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها) والحب للجميل والانس بالعافيه هما غاية الطالبين فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسر ان الغيب المكشوف في مقام الحب والحيلة اليقينية وغيابات السر العز به الجبروتية في حال الانس (فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه) وهذا قوله وله درجات (وآخره أن يترك كل ما سوى الله تعالى) حتى لا يتوسد حجرا) أي لا يضع رأسه على شيء مرتفع ولو حجرا فانه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه (كما فعله المسيح) عيسى (عليه السلام) وتقدم ذكره قريبا وبين هذين مقامات وتلك المقامات درجات وقد عين بعضهم للزهد أربعين وعشرين من مقامات ونوعهم منهم من أوصل الى ثلاثة وسبعين مقاما (فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه) أي الزهد (نصيبا) وان قل فان أمثالنا لا يستجري على الطمع في غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تعالى لا يتعاطم شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود) الالهى (المجاوز لكل كمال) فلا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وبه لا يفوته طله (فاذا علمنا الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم لقلب الانس بالله) المتوحد بالافعال وقال يحيى بن معاذ لا يكمل الزاهد زهده الا باستواء الحال في هذه الخصال الموجودة والمقصود والسفر والحضر والعز والذل والمدح والذم والغنى والفقر (وتتفرع عن هذه العلامات علامات آخر لا يحاطة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها) أي لا يكثر نقله القيسيري عن أبي عثمان المغربي وجعله حدا للزهد وهو من علاماته (وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي) وليس من علاماته خلوا اليه من المال لانه قد عساه ان يغرض ديني وقيل لا يستحب ذلك (فلا يقول أبني) بها (رباطا وأمر) بها (مسجدا) أو تحوه مما تروح النفس اليه من حب الثناء عليها به نقله القيسيري قال سمعت أبا علي الدقاق يقول ذلك وقد جعله حدا للزهد وهو من علاماته وبالجملة فشرط الزهد ان لا يكون بقلبه التفات للدنيا اذا

اعرض

عن هذه العلامات علامات آخر لا يحاطة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها وقبل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطا وأمر مسجدا

اعرض عنها وقال محمد بن اسحق الصوفي والصحيح عندي اذا وجد في نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا الى
 الاحوج والاولى فان لم يوجد ذلك وعلم وجود الافضل والمحتاج في ثاني الحسب فلا يضره ابقاء المال في يده
 حتى يجد موضعه وايالك أن تغترب هذا قبل وجدان العلامات فهلكك سم المال قبل أن تنتفع بدرايقه نعم
 الآن يكون متبوعا يخاف من اقتداء الغيرة فيتركها في الوقت تاسيا بالانبياء عليهم السلام فانهم ذلك
 (وقال) أبو زكريا (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة الزهد السخاء بالموجود) وقال مرة
 الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيري فالزاهد لا يكلف عليه في بذل
 الموجود وان جمل والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشأن بين المقامين (وقال) أبو عبد الله محمد (بن
 خفيف) الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية (علامة الزهد وجود الراحة
 في الحر وج من الملك) نقله القشيري وله به بما لحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن
 خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس) أي انصرافها (عن
 الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه مائلا بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتردد فانه يتكاف
 للاعراض عنها فقوله بلا تكلف إشارة الى الفرق بين الزاهد والمتردد ثم ان هذا القول الذي عزاه المصنف
 لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره وهذا لفظه بعد ان ذكر قوله الأول وقال أيضا الزهد سلو القلب عن
 الاسباب ونقض الايدي من الاملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل في سياق المصنف
 سقطا فتأمل (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الصوف) أي لبسه (علم من اعلام الزهد فلا ينبغي)
 الزاهد (أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم) نقله القشيري أي رغبة لبس صوف
 بخمسة دراهم أشار بذلك الى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغلظ ولا بالكل الخشن وان كان ذلك علامة
 له لان الزهد ضد الرغبة وهو من أعمال القلوب وفي القوت قال أحد بن أبي الحواري لبست عباءة
 فنظر الى وقال هذا يكون آخر الزهد جعلته موه أوله أما يستحي أحدهم بلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه
 يهوه بخمسة دراهم وقال لوستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب الي (وقال أحد بن حنبل وسفيان)
 الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم (علامة الزهد انما هو قصر الامل) قال القشيري وهذا الذي قاله يحمل
 على أنه من اشارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفا فان العبد متى أقصر
 أمه واستشعر سرعة موته وراقه للدنيا قلت رغبته فيها وقررت همته عن تحصيلها وقد جاء في الخبر كفي
 بذكر الموت فزهدا وتقدم في أول الباب ان هذا أحد للزهد والصحيح انه من العلامات (وقال السري)
 السقفي رحمه الله تعالى (لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) أي بغيرها من الشهوات لان شغله
 بنفسه انما هو باعراضها عن محبوها بالدينوية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها
 عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد في شيء من الدنيا بقي عليه شيء لم يكمل زهده ولذلك لما سئل
 الجنيد عن لم يبق عليه من الدنيا الا التمتع بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أشار به الى ان
 من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن موله
 لان شغله انما هو بموله عن سواه نقله القشيري (وقال) القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت (النصر باذي يقول) وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته صاحب الشبلي وأبا
 علي الروذباري والمرعشي وكان اماما محمدا صوفيا مات بمكة سنة ٣٦٧ (الزاهد غريب في الدنيا
 والعارف) بالله (غريب في الآخرة) أي لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب أو رجاء
 للثواب بخلاف العارف فانه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك
 العمل أصلا وهذا غريب قليل في ابناء الآخرة (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة
 الزهد ثلاث) احدها (عمل بلا علاقة) أي خالصا لله تعالى لالعة من علل الدنيا ولا خوف العقاب

وقال يحيى بن معاذ علامة
 الزهد السخاء بالموجود
 وقال ابن خفيف علامته
 وجود الراحة في الخروج
 من الملك وقال أيضا الزهد
 هو عزوف النفس عن الدنيا
 بلا تكلف وقال أبو سليمان
 الصوف علم من اعلام الزهد
 فلا ينبغي أن يلبس صوفا
 بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة
 خمسة دراهم وقال أحد بن
 حنبل وسفيان رحمه الله
 علامة الزهد قصر الامل
 وقال سري لا يطيب عيش
 الزاهد اذا اشتغل عن نفسه
 ولا يطيب عيش العارف اذا
 اشتغل بنفسه وقال
 النصر باذي الزاهد غريب
 في الدنيا والعارف غريب
 في الآخرة وقال يحيى بن
 معاذ علامة الزهد ثلاث
 عمل بلا علاقة

وقول بلا طمع وعز بلا
رياسة وقال أيضا الزاهد
لله يسعك الخلق والخرذل
والعارف يشمك المسك
والعنبر وقال له رجل
متى أدخل حانوت التوكل
وألبس رداء الزهد وأقعد
مع الزاهدين فقال اذا صرت
من ربابتك لنفسك في
السراي حد لو قطع الله
عنك الرزق ثلاثة أيام لم
تضعف في نفسك فاما ما لم
تبلغ هذه الدرجة فلو سلك
على بساط الزاهدين جهل
ثم لا آمن عليك أن تفتضح
وقال أيضا الدنيا كالعروس
ومن يطلبها ما شطنها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويحرق ثوبها
والعارف يشتغل بالله تعالى
ولا يلتفت اليها وقال السري
مارست كل شيء من أمر
الزهد فقلت منه ما أريد
الا الزهد في الناس فاني لم
أبلغه ولم أطقه وقال الفضيل
وجه الله جعل مفتاحه
في بيت وجعل مفتاحه حب
الدنيا وجعل الخير كله في
بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا فهذا ما أردنا أن
نذكره من حقيقة الزهد
وأحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلتشرع
في بيانه ان شاء الله تعالى

ورجاء الثواب في الآخرة فكل زهد في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله وجهه به خاصة
دون غيره (و) الثانية (قول بلا طمع) أي عاجل ولا أجل فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله
(و) الثالثة (عز بلا رياسة) بان يكون عزيراعن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الامور الخسيسة
التي ترزى بقدره فلا يكون عزه الا بمولاه ورجاء أغنايه بفضل من سواه وهذا القول نقله القشيري ولفظه
وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها ولا يخفى ان المراد
بحقيقة هي غلبة أحواله على القلب فلا يكون حجابا معال الزهد ولذلك عبر المصنف عنها بالعلامة (وقال أيضا
الزاهد لله) لكون قلبه امتلاء بهم وان الدنيا عند الله وكثرة آفات ما يحث انك تجد أكثر كلامه في بيان
نقاها كأنه (يسعك) يا طالبا (الخل والخرذل) من حيث انه يؤمك بكلامه وينكد عليك ما أنت فيه
ويصغر قدرك (والعارف) بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته وبجماله وبحلوه وتوالي انعامه وادخاله على
خلقه بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك في نيل
المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تسلك بمغالب عليه
من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا ولفظ القوت ينشر عليك المسك والعنبر (وقال له) أي يحيى
ابن معاذ (رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين) وفي بعض نسخ الرسالة
وسئل أيضا متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (فقال اذا صرت) أي وصلت (من ربابتك لنفسك
في السراي حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فلو سلك في بساط
الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح) بينهم نقله القشيري في الرسالة وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد
أن يقطع الاسباب ويتجرد عنها حتى يحد من نفسه قوة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام ولا يجدها
الضعف عن عبادته والا كان مغرورا ومعرضا لنفسه الى سؤال الخلق ولا يخفى ان هذا من علامات الزهد لانه
من حقيقته (وقال أيضا الدنيا كالعروس) المجلوة تراها الا بمار وتحبها القلوب وتدها اللسان من حيث
ان الله تعالى خلقها وجعلها بالمال والبنين وغيرها (ومن يطلبها) ويعمرها (ما شطنها) من حيث انه
يدبرها حسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم) أي يسود (وجهها وينتف شعرها) الذي هو من جملة
الزينة (ويحرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهد الخلق
فيها وتبقي محاسنها (والعارف) بالله (يشغل بالله) تعالى لا يلتفت اليها لكمال شغله بالله بمعرفته وجماله
وجلاله ومناجاته غنى ذمها فضلا عن مدحها وهذا القول نقله القشيري أيضا ويحيى بن معاذ تنف كلام في
مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب (وقال السري)
السعة على وجهه الله تعالى (مارست كل شيء من أمر الزهد) فقلت منه ما أريد كالزهد في المطعم والملبس
والمنام وفصول الكلام (الا الزهد في الناس) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم
أبلغه ولم أطقه) أي لمزته نقله القشيري وهذا أيضا من علامات الزهد وقد جعله بعض حذاله كما تقدم
(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) ولذلك
جعل أساس كل خطيئة وقال بعضهم أصول الشر ثلاثة الحرص والحسد وحب الدنيا وفروعه ستة طلب
الرياسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم (وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا) فاذا أعرض العبد عنها تبسرت له الخيرات كلها وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال
سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول
فذكره وعزاه صاحب القوت الى سفيان الثوري والفضيل أي ان هذا القول قد روى عن كل منهما (فهذا
ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه) وثمراته (واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل) لكونه شرطاً فيه
(فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى) وانتهى هذا الباب بفصول فيها بيان ما أجبه المصنف وتفصيل لما أجبه
ومزيد لما أشار اليه تارة وتارة أخرى فنقول

* (فصل) * الورع لا يوصل اليه الا بعد الزهد في الدنيا لانه اذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يبرع عنه فاذا أعطى الزهد فيه وعوّض من الرغبة بدلا منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهدا في الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفته من المطالبة به وحبا لما افقته بحجة الله بتركه ألم تسمع الى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين اذ يقول ما زاولت شيئا أيسر من الورع على قيسل وكيف ونحن نطن أنه من أشد الاعمال فقال اذا رابني أمر تركته فلما وهب له الزهد فيه وعوّض عنه بحجة الله به ان عليه الورع

* (فصل) * قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقير أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء فهذا هو تفسير حقيقة الزهد في النفس وهو يستوعب كاية الزهد في الدنيا والثلاث الاخر التي قرنها بالفقير من انجاب الفقهرا اذا كان صادقا زاهدا كان ذليلا في نفسه متواضعا بنفسه لا يكثر مدح ولا ذم لاسيما لو طرأ عليه الخلق عنده فهذا علم وجود اليقين الذي عنده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال يكون الفقير أحب اليه من الغنى والذل أحب اليه من العز والتواضع أحب اليه من الشرف فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بعرفة الآخرة لاعتقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين واضعف شاهد المعقول باستجلاب حطوط النفس من الفضول فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الايمان وذروته ولعمري ان كمال الايمان واعلاه هو كمال العقل ونهاه فالعقل مكان الايمان مثله كالقبة مكان المصباح فاذا حقق الايمان وكلز يذيق تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته

* (فصل) * قال سعيد بن جبيرة رحمه الله تعالى انما فضل الله الانبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا في الدنيا مع القيام والصبر عليه فجعل العلم بالله معيارا على النبوة به تفاضل الانبياء وهو علم اليقين المكاشف لعين اليقين المتجلي به وصف الوحدة وجعل سبب ذلك الزهد فالزهد مقتضى اليقين لانه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين

* (فصل) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها الرغب فيها لو أنها أبقيت لك رواء الترمذي وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في الزهد كذلك ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي برداء وروى الديلمي من حديث ابن عباس الزهد في زمانى هذا في الدنيا نير والدرهم وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنيا نير والدرهم وروى أيضا من حديث أبي هريرة الزهد ان تحب ما يحب خالقك وان تبغض ما يبغض خالقك وان تخرج من حلال الدنيا كما تخرج من حرامها فان حلالها حساب وحرامها عذاب وان ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وان تخرج عن الكلام فيما لا يعينك كما تخرج من الحرام وان تخرج من كثرة الاكل كما تخرج من المية التي قد اشتد تنهاوان تخرج من خطام الدنيا وزيوتها كما تخرج من النار وان تقصر املاك من الدنيا فهذا هو الزهد في الدنيا فهذه الاخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد

* (فصل) * قال سهل التستري رحمه الله تعالى الصديقون في بدايتهم طلبوا الدين من الله فزعمهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها فالحال الاول موضع العصية ان منعهم منها الضعفاء لئلا يهلكوا بقبولها فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردها عليهم لانهم قد صلحوا لاخذ آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين فلما اذا قوا حلالة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن ولا في قلوبهم قدر فاعرضوا عنها فاعرضها عليهم بحسن اقبالهم عليه

(فصل) كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال ان من كان قبلكم كانوا انما يجعلون الدنيا هم ما فضل عن آخرتهم وانكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم أى لرحمان كلفة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنهم فيبدون بان ينقلوا من دار عنها يرتحلون الى دار فيها يقيمون أحسن ما يدخرون ويقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون اذا دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لانهم خلة واللاخرة للالدنيا والبقاء للالفناء ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لانه متاع في الحال وبلاغ الى وقت وحين وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذي صار الزهاد به زاهدين لا يقين الايمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد

(فصل) أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فأثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولولاه أرضى وقدم ما يقنى وينة قطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن لان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تسمع الى وصية تعالى ابراهيم عليه السلام في قوله لا أحب الاقلين بعد قوله ليكون من الموقنين فالموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم وليس بشهد الوعد والوعيد بنور العقل انما يشهد بنور اليقين

(فصل) الزهد يكون بمعنيين ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقينه للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن الشيء موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح الامع وجود الابتلاء في قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهد فيه فاما أن يريد أن يزهد فيه أو يتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهدا فيه بل نيات واردة من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشيء طوعا ونفسه تنبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فذلك تأميل وتحنن يدخل في باب نيات الخير لا في المسارعة الى التمسك بالمراتب السابقة بالقرابات بالسعي لها والمنافسة فيها ولا مقام في المناقصة لم يتبع الارادة بالسعي والمعاملة ولا مقام في الزهد لمن لم يردف الارادة باخراج الزهد وفيه لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة فالامساك للشيء المتوهم لازهد بانظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما أن لا يعرف الزهد أولا يعرف خفي شهوة النفس ولطيف تمنها من معدن حسن ظنها بوصفها هذا ان لم يحو على الراغبين ولم يكذب على وجهه لاجل خفي الرغبة فيهم والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والامساك للشيء المغتبط بامساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيئا وادخله لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرج من يده وقلبه استغفار له وتعوذ منه

(فصل) قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يملكه ويسكن اليه بل كان موقفا في خزائنه الله تعالى التي هي يده منتظر الحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمساواة اذا رأى حكم الله أن ينفذه ويكون كانه غيره من اخوانه أو سبيل من سبيل الله وقد يصح الزهد مع الوجود ان دون العارف من المريدين اذا أمسك الشيء لاوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع به طبعه عن الشر والضرع ويكون سببا لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكاف وقد يكون هذا المقام للغة وص من العلماء بهذه النيات زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهيدي خرج محمد بن يوسف الاصبهاني الى مكة ومعهم مائة دينار وليس معه الاكساء أدبت وما رأيت مثله وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري ولما

قدم عبد الجليل الزاهد الى واسط اجتمع اليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال اصبر واحتسب أبيع دقاق
 ثم رحلته من البصرة وأتفرغ لكم للمسائل وكان يتجبر فيجعل ثلثا لاهله وعباله وثلثا لخواه الفقراء وثلثا
 يرده في تجارته وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيدا في
 حالهم وطريقا لهم الى مقامهم من الزهد وهو وصف الاقوياء من الزهاد

* (فصل) * خالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم
 الوجود على الاستغفار والاحتقار والتقال في هذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا
 في زهده لرغبته في زهده وهذا يكمل الزهد وهذا به وحقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو
 الزهد في النفس لا النفس لاجل الزهد ولا الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين
 عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه
 وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد كان الزهد من الايمان والقناعة باب من الزهد والرضا بالسير من
 الاشياء حال من الزهد والتقليل في الاشياء مفتاح الزهد

(فصل) * قال بعض السلف ابي أهل العلم بالله أن يسموا بالحكمة والوعظ الامن الزاهدين في الدنيا
 وقالوا ليس أهل الدنيا بذلك أهلا ولا يليق بهم وفعله رجا عن حبة عالم الشام بانعائه كان يجلس الى رجل
 زاهد بيت المقدس فيستمع اليه فجاء يوما الى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراهم وهو بحسبانه
 فيهم فلما أبطأ تكلم شيخ في المجلس وهو مؤذن بيت المقدس لا بأس به فأنكر رجا صوته فقال من هذا
 المتكلم فقال الشيخ انار حنك الله فقال اسكت عافاك الله قانا نهينا أن نسمع الزهد الامن أهله وقال نحوه
 سلمان لعمر بن الخطاب وذلك انه جل اليه اراد فكسا الصحابة برادرا فلما كان في يوم الجمعة خرج في
 بردين فخطب فلما قال في وعظه الاسمعو افقام سلمان فقال والله لا نسمع قال ولم قال لانك كسوتنا برادرا
 وخرجت علينا في حلة فقال رجل الله اني غسلت ثوبي ولم يكن لي غيره فاستعرت هذا وهو برد عبد الله بن عمر
 فقال قل الآن حتى نسمع وهذا أبو عبد الله أحد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو قال
 هو الاخلاص قال فما الاخلاص قال هو الزهد فقبيل يا أبا عبد الله وأي شيء الزهد فسكت فقال سلوا الزهاد
 سلوا بشرا وقال أبو طالب الوراق دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب
 الزهد الذي جمعه لأقرأ لهم عليه ففرش لنا في الدار حصير جديد ونزل البنامن غرفة له فلما قعدوا أخذ
 الاصل بيده أظفقه ثم قال يا أبا طالب الزهد لا يقرأ الا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا
 على التراب

* (فصل) * بروي ان عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام
 شاب في المجلس فقال يا أمير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال ما هما رجل الله قال تذييل بين البردين وتجمع بين
 الادمين قال فما ذال بين البردين ولا جمع بين الادمين حتى لقي الله عز وجل هكذا بروي تذييل بالذال المجعولة
 معنيان أشهرهما أي تجمع بين ذيل ثوبك فتتفق ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد الاسفل لطوله واغرب
 الوجهين ان معنى تذييل تضع ثوبين معا أي تتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالذال المهملة والمعنى
 تبدل بردا برددولة هذا ودولة هذا وأراد أن يكون له واحد لا يذيله بالآخر

* (فصل) * تقدم قول الاحنف بن قيس ما كذبت كذبة الامرة وله قصة وهي انه وقدم مع قومه من
 البصرة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فلما قاروا ودخل المدينة فرعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس
 كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين قال وفعات مثل ذلك فلما دخلنا أطراف المدينة فرئد
 الدخول الى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بابصارهم ويعرضون وجعواوا يلحظوننا وتنبوا ابصارهم عنا
 فنهتهم يقولون أبناء دنيا قال فعلمت ان القوم ليسوا أمثالنا وانهم أهل الآخرة فغطت رأس راحلتي

وزعت ثوبى ووردته الى العيبة ثم اخرجت ما كنت خلعتة من ثياب سفرى وبذلتى فلبسته ثم دخلنا على عمر قال فجعل الناس تنبوا عينهم عن اصحابى وينظرون الى من بينهم كأنهم يعبطونى قال فلما نظر اليهم عمر وكان أول يوم رأيته فاذا رجل عليه خلق من قوع وعلى كفه درة فلما اقبلنا من بعيد أخذ كفان حصى فحصبنا به قال ثم لحطاني بعينه فقال هذان هم فادناى وقربنى من بينهم وقال من أنت لله درك أو قال أبوك فقلت أنا الاحنف بن قيس التميمى فقال أنت سيد قومك قال واعجبته هيتى فقام واتكأ على يدي فجعل يسألني عن الطريق وعن الركاب وكيف كان سيرهم الى أن وافى رحلنا وموضع مناخنا فرمى عيتي فرأى طرف الثوب خارجا فلبسه وذكر أول الخبر انذى تقدم ذكره

(فصل) روينافى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام وصف الزهد لبني اسرائيل فقام اليه رجل منهم فقال يا نبي الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام اليه آخر فقال يا نبي الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال ذلك ما تتبع قال نعم قال اجلس فلست منهم فقام اليه آخر فقال يا نبي الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال ذلك ما تتبع قال لا قال ذلك من يقرضك قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال له مثل ذلك الى أن قال ذلك من يقرضك قال لا ولا أملك من الدنيا الا هذه الشاة من الصوف ولقد آذاني في الدواب وأنا استحي من ربي عز وجل ان أترعها فاقبلها واتعري بين يديه قال اجلس أنت منهم فهذا الذى أراه موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقة وهو زهد أولى العزم من الزهاد وهذا الحال من عزائم الامور وتفصيل مقاماته ان الزهد فى حال الفقر مقامات فاما المقام الاول هو أن لا يجد الفقير معلوما غير ما جل في جوفه وعلى ظهره وهذا هو حال الفقير الاول الذى قاله موسى است منهم يعنى من أولى العزم من الزهاد اذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لاجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام المعلوم من النقود والمقام الثانى من الفقر فى الزهد هو فقد العوض الذى هو عوض عن الناض وهذا حال الثانى * والمقام الثالث هو أن بعدم الاعراض والاعراض وليس هو حقيقة الفقر لاجل بقاء الاسباب التى تقوم مقام الاعراض وهو الجاه الذى يستقرض به فيقرض وهو ايضا سببه يعرف لاجل معرفته اقترض فهذا يتحججه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هي دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذى وصف الله به اوليائه فى الغاية من قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت فهذا مثل فقد المعلوم الذى تقوم به الاشياء وهو بمعنى حال الاول ثم قال وضافت عليهم أنفسهم فلم يبق له عوض يقوم مقام المعلوم الذى له قيمة شئ فيبيعه وهذا يعنى حال الثانى ثم قال وطنوا ان لا يجأ من الله الا اليه فهذا سقوط الاعراض بعد فقد الاعراض وعدم الجاه الذى هو سبب الاستعراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفته من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ففارق به اليه ولم يبق بينه وبين الله الى الله ماوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا لجأ يستند اليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية ثم ناب عليهم ليتوبوا أى عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر اليهم لينتظاروا اليه وهذا وصف الثالث الذى قاله موسى عليه السلام أنت منهم اذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الامر فلم يجد دون الله سبيبا منفصلا من مال ولا معنى متعلما من حال وهو الجاه والمثله الذى يقوم مقام الاعراض ويتسبب به الى الاسباب فهذا وصف فقير فقير ونعت غريب غريب الدار فى وطنه غريب الوجود من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب فى غربته غريب فى تغربه غريب غفر به لا يعرفه ابناء جنسه متوحدا بانيته عن أنفسه قد طمست نفسه فى رسمه وشغل بيومه عن غده وأمه فهو هذا من وحش الملل فى داره وأتسله زواره قد قرت عينه بقراره وفر من ايلافه وفراره وصلى روحه من اقداره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيب بلادته وروح عباده ومن خالص وداده قد زهد فى زهده وعدم وجوده بوجوده وفنيت نفسه عن جهله وبقيت روحه بوجده وكذلك

روينا ان داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوق اليها فأوحى الله اليه أنت لا بد لك من سبيل
وابدومن عرفني لم يسكن الى سبيل ولبد والله الموفق

(فصل) * قال صاحب القوت حدثني عبد الكريم بن أحمد حدثني جعفر بن محمد حدثنا الطواص
عبد الله بن الحسين حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المسكي عن المغيرة بن قيس عن شهر بن
حوشب عن أبي امامة قال أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسود مولاهم
ميت بالامس ليس له ثوب يكفونوه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع به لا يدرون كيف يأتون
فهم منا عليهم من الغد ظهر اودق أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجوارحه فكان أول من نزل
منار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى حتى دخل عليه فجاء القوم يعتذرون اليه من تركهم اياه فانطلق
النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على نهر لهم عادية فقتل فيها فاستحالت عذابا فاسقين وأمر عليا وأبا امامة
فغسلاه وكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بردقه ما زاده عليها ثم صلى عليه وولى ادخاله في قبره على وأبو
امامة فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحبه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا
خصلته كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا ما هي يا رسول الله قال انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر
حله الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حله الشتاء من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن أعطى منهم ما لم يبالي ما فاته من قيام الليل وصيام النهار الحديث وقد تقدم مرارا اختصر ا على
قوله من أقل ما أوتيتم اليقين الخ وسبق قول العراقي انه لم يحبه فتنبه لذلك

(فصل) * الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل الى المسجون وكلما كان
المسجون أضيق عليه وأشد كان الوصول الى الزهد أبعد وأشق ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس
لا يصل اليهم كل انسان الا من توصل أو توصل على قدر تضاييق المسجون

(فصل) * في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه ونذكر الآن ما وعدناه
به قال حبل الدنيا بحبل البلاء وحبل الآخرة حب بلوى ومن رغبني باختيار الله دام فرجه لان العارف من
أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لا يلهيه شيء وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فانه
لم يصل بعد وقد علمه مرة رجل من الزهاد فجعل يحذر نه الزاهد با حديث في فضل القلة والفقر ويحيى ينظر
الى وجهه كالمتجيب فلما قام قال لولم يعلو المساكين بمثل هذه الاحاديث لتفقت مرارتهم من الغم وكانوا
لا يصبرون على الفقر هيبت لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولا غنى ولكن بالعلم والمعرفة قيل له وما عبادة
العارف قال الدنيا دار سيرا الى الله تعالى فان لم يسر باعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو
القلب ألف فرسخ وقال أيضا التماسك العطر في حوائط الصبادة جهل انما هو الشغل بالله عن الدنيا
والآخرة معا وقال طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد ألج من يرى ثبت على ترك الشيء أربعين سنة
ولكنه كلما كان ألج كان أصدق بمالم يوافق نفسه هو انه في الاخذ فلا سبيل له اليه الا بالترك حتى يترك
اخلاق العبيد ويتخلق معه باخلاق الاحرار ولا يوجد صدق العبودية الا في منازل المحبة والمعرفة وقال في
تفسير قول عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا انتم عبيد اتقياء يعني الزهاد ولا احرار اقوياء يعني العارفين
وقال خض بحار المعرفة اليه تستهين جهل الزهد والعبادة في جنب ما تدفع اليه مما لا قوام للعقل عليه فان
البهاء مع العبادة والكفاية مع الزهد والبصيرة مع العلم والجواهر السنية مع المعرفة وحكي مرة فقال النبي
أجد من حرب وامن خضرويه وأبو حامد فقالوا لاجد من حرب ان جعلت لك الدنيا فأنات صانع بها قال
كنت أرضى بها خصمائي لثلاث لحقني تبعة يوم القيامة قالوا لاجد من خضرويه فما كنت صانعها أنت قال
كنت اجعلها كلها القمة واضعها في فم مؤمن فاستريح منها قالوا لاجد من خضرويه فما كنت تصنع بها أنت قال
كنت اجعلها الطلاب الآخرة فاحوزوا ذلك قال يحيى اما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودوحته

درجة التواضع وأما ابن خضرويه فانطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين وأما أبو حامد فانطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين قبل يحيى بعد ذلك ما كنت صانعاً لهم أقال وما حكم العبد في مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير وكان يقول الزاهد عيشه الى يوم واحد والعارف أسقط الامل أصلاً لان حياته بيد غيره وقال من صدق في الترك عذري الاخذ يعني الدنيا وقال الصوف لباس العجم ماراً يتم على أحد استبرع عقله وقال نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين وكان يقول الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة فكم مقدار ما تركت منها ينبغي لك ان تضعها على طبق وتقول ما صنعت شيئاً لانه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يترك الزهد وقال ترى الزاهد اذا دخل في الزهد جوع نفسه وباع شيئاً كله من الخوف من الدنيا لا بشئ حتى اذا قوى يقينه ورأى الامر كائناً وجوده بغير الاسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع وقال الزاهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة وقال انما يتركون ويحزنون ليفرحوا يأخذون ويفرحون ليفرحوا فاعلمهم تركوا وأخذوا وخزنوا وفرحوا اذا كان فرحه موجوداً لهم في الحالين فقيل له هو يفرح قال نعم اليس في الخبر لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعبده الحديث وقال يا زاهد ان كنت تعجب ممن ترك الجنة في جنب دنياه فالعارف أشد تعجباً حين شغلته الجنة عن خالقها وكل حالة تظهر بها في سيرك اليه الا كسر هاء عليك الوصول ليكون غرك به لا بغيره قال صاحب القوت وجملة الامران يحيى بن معاذ لم يكن يتسكاه بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين لانه لم يكن من علماء الطريق وقد هلك بمثل هذا فريق وهو ما مقام المعرفة وتظنون احوال العارفين حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا احوال العارفين وأولى الاشياء بالعقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفة بقدر حاله وأعمال نفسه في سرائر حاله وقال في موضع آخر وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا فان من لم يملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر الى نفسه فيه كما لا يشهده له بل يحبه في خزائنه التي هي يده وعليه ويكون موقفاً فيها الى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه واخراجها في أوقاته الى أهله فهذا مستودع يؤدي الامانة فيه ووكيل مستخلف بطبيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزبد على مقامات الزاهدين وهذا وصف الصحابة الاعلى وكان يقول لا تأمن مكره ولا تغترن انظر ان لا تكون قد تركت الزهد والعبادة طنائمك بانك قد وصلت الى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عارياً منها كلها لا في منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت هذا مع قوله اذا صبح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن فاذا أقيم مقام المعرفة تردوها عليه وقال مرة اذا زهد ترك الشهوات فاذا عرف عاودها ويكون وجده أفضل من تركه وقال اذا صبح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهيه فاذا لحظه قالوا اخذه فيجعلونه عليه لان قلبه قد وقع عليه قال وكذلك اذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيئاً بقلبه فان وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول اذا صبح تركه للدنيا والآخرة لاجل الله فانه يردهما عليه اذ الله تعالى لا يعاينهما شيئاً وكان يقول الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحسب الله يشغل عن الدارين جميعاً وقال ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بما ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها في جنبها وقبل له ما عاين الزهد فقال ان لا يعجب من الدنيا ما يلزمه حفظه

* (فصل) الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزق الزاهد من الآخرة على هذه الصفتين حرمان نصيبه من الدنيا وجايبته عن التوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنفعة من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختبار من الله تعالى بوحيلة نظروا عمل بطلا لا عايناً حتى لتوسعه بهواه فيقول ان الزهد في الدنيا لم ينقص من رزقي شيئاً قد فزع لي مقام مع التوسع والاستكثار لاني انما آكل رزقي وأخذ قسيمي فلي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يخوف على من لا يعرف الزهد ويغتر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين ولعله عن يأكل الدنيا

بالدين فسمى الاحتجاج لنفسه به واما الاعتزاز عند الجاهلين زهدا خيفة لوهم اياه فكان ذلك معه احتجازا
عن الزهد لزهده في الزهد وقوته رغبت في الرغبة ولا يعلم الغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا
ويأخذ قسمه من العطاء فيحكم البعد والبغض ويوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل
رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق
الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار لاولياءه فقد حرم المدي
لذلك رزقه من الزهد بخس نصيبه الا وفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الاسخنة اذ كانت الدنيا
ضد ما هو جعل ماصرف فيموماضرف اليه سبب النقصان مرتبة من طريق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا
وعما فتح عليه من السراء لظهر صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يظن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه
عن وجوده بحجابه عن علوم العارفين فاستدرج بعلمه هذا وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين
الزاهدين هذا اذا كان صادقا في مشاهدته تلك وان كان كاذبا في دعواه فهو من اولياء الشيطان ومن
المحرورين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين وقد قال بعض العارفين من كتم ما يحبه من آفات
نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها نعوذ بالله من الاعتزاز بعلم الاظهار ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق
* (فصل) * الزهد في الدنيا على ثلاثة احوال رجل قد غلبها موجودة ومفقودة ورجل قد غلبته موجودة
ومفقودة ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة تفسيره ان من الناس من قهر هواه وملك نفسه وشهوته
وهو قادر عليها وهي موجودة له فذلك احدى ان يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين
والثاني قد غلبته نفسه واهواء الهوى واملاته الشهوات موجودة اذا قدر عليها ومفقودة بالاهتمام بها
والفكر والخواطر فيها والارادة لها فهذا اساقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين
والثالث قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة فاذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم
وملكها عند الفقد وهذا حال المجاهدين وطريق السائر بن ونعت المريد بن وقد قيل ليجي بن معاذ ا يصل
العبد الى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد الى درجة يستغنى فيها عن الدنيا فقال هذا لا يكون لا يستغنى
عن الدنيا احدى وانما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير فازهدهم فيها اقلهم حظا منها كما لا يسلم من
الذنب احدى ولكن افضلهم اقلهم ذنبا وكان رحمه الله يقول في العدل قولا فضلا قال ان زهادكم يامر ونكرهم
بان يكون الدرهم اول شئ تتركونه من الدنيا واما امركم ان يكون الدرهم آخر شئ تتركونه منها قيل له
لم ذلك قال لان الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس فترك الدرهم من قبل ازالة
الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء حتى اذا زالت بحسن
السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة اذ كانت علة حبك له
الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم امر هذه السياسة فلماذا قلت اجعل الدرهم آخر شئ تتركه بعد
الفرار من النفس واعلم ان امساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به
وكان يقول راحة الابدان في زهد القلوب ومشقة الابدان في حرص القلوب وقال طلبت الدنيا فلم أسترخ
وطلبت العلو فلم أسترخ وطلبت العبادة والعلم فلم أسترخ ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت
وكان يقول مادامت شهوة النفس معلقة فانت مطيعة الدنيا وتساق المطيعة حيث يريد صاحبها لا حيث
تريد هي واذا ذهبت الشهوة فالدين مطيعة يسوقها حيث يريد وقال بعض أهل المعرفة ان الله لا يرضى ممن
عرفه أن يعلق بشئ دونه فان فعل ذلك غمبه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع اليه ويقال ان من صرع زهده في
الدنيا حتى يستوى عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء وفيه قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في * وصلى مشيت بلا شك على الماء

وقال بجي بن معاذ اولياء الاسخنة ثلاثة قانع وزاهد وصدوق القانع المحترف الطالب للحلال المنطق على

السبيل والسنة النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حطام الدنيا والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته فان أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وان منع صبر ورضى والصديق هو واجبة النعيم لا يريد له لمزاولة الشهوة اياه وقال أيضا ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو الى فعله وقد قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الخوارى اذ قال قلت لبعض أصحابنا اسقني ماء فناولني شربة فقال لي أبو سليمان رأيت من زاهد في الدنيا يستخدم ويقول اسقني ماء وكان يحيي بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يتم بعضه الا ببعض فقال الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب سداه الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلحم الثوب بغير هذه الثلاث كذا لا يلحم أمر الاخرة الا بثلاث او كان يحيي بن معاذ يقول اذ اوصل فرح فاذا اتصل استأنس فقبل له نراك تفرق بين الوصول والاتصال تجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال اضرب لكم مثلاً رجل سار طريقاً وقد صدمه كافر بما تم وصل اليه حتى اذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمخادمة المالك شيئاً بعد شيء يتقرب به اليه ويقرب منه حتى يدنيه المالك ويؤنسه فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح في الوصول والانس في الاتصال والاتصال كان مقام أبي يزيد والوصول كان مقام يحيي بن معاذ رحمة الله عليهما

(فصل) قال أبو يزيد البسطامي حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار السكون في زهد في ذلك حب الله تعالى أن يعمل له ويتركه حب الله تعالى أن يقوم مقام القدرة وكشف هذا المقام يخرج الى علم غير يب لا يعرف ورس عجيب لا يوصف وفننا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل منه بفضل ورحمة هو هذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نجز ذلك على يد مسودة أبي الفيص محمد بن نضري الحسيني تاب الله عليه بمجته في ضوئه ثم اراد ان يبعه لتسع بقين من شوال سنة ١٢٠٠ حامداً لله مصلحاً مسلماً مستغفراً

(كتاب التوحيد والتوكل)
وهو الكتاب الخامس من
ربيع النجيات من كتب
احياء علوم الدين *

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)
الحمد الذي من توكل عليه كفاه ما نابه * ومن عمل صالحاً هداه لتوحيد واثابه * ومن لجأ اليه بفقره وزهده نفى عنه ما أراه * أحده على عظيم احسانه * وتوالت فضله وامتنانه * جدا يكون موجبا لحسن المزيدي * ومقر با الى الثواب العتيد * وأومن به ايمان من رجاه موقنا * وخضع له مدعنا * وأخلص له موحدا * ولاذبه راغباً مجتهدا * وأشهد أن لا اله الا الله الها ألهم الصواب * وأجزل للمتوكل عليه الثواب * وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله * وصليبه وخليله * الذي بعثه بالحق * وأرسله رحمة للخلق * واختصه بعقائل كراماته * واصطفاه لكارم رسالاته * وأوضح به اشراط الهدى * وجلا به غريب العمي * صلى الله عليه وعلى آله الابرار * معادن العلوم والاسرار * وعلى أصحابه الامثال الاخيار * وعلى كل انسان من المتابعين لهم باحسان * ما افتروا وض بسم * ولاح وجهه وسيم * وسلم تسليماً كثيراً كثير اوبعد فهذا شرح *(كتاب التوحيد والتوكل)*

وهو الخامس من النجيات والخامس والثلاثون من كتب الاحياء للامام الزباني * والعهود انصمداني * بحجة الاسلام أبي حامد المستوجب للمعاهد محمد بن محمد بن محمد النزالى روى الله بالرحمة تراه * وأجزل من المغفرة قراه * يلعب بالباب أولى النهى * ويشوق الاحباب الى بلوغ درجته المنتهى * اذ قد بين ما أهم منه من الفوائد الرجحية * لنوى الافهام الصحيحة * ورفع نقاب كتاباته الفصيحة * وأرى في تلطيف الطباع ما أورده على سبيل النصيحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصارا * واقصرت على ما سأورده اختصارا * ايثارا في التخفيف * لارغبة في التطبيق * على ان صنوت المصنف جليل * وفضله بين العلماء شهير * فكتم له من اشارات تلقى وحكم تثبت ولا تنفى * وباقيات تقرب الى الله زلنى * والله تعالى أسأله الاعانة والامداد * والهداية الى سبيل

(بسم الله الرحمن الرحيم). الحمد لله مدبر الملك والمالكون المنفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عمد المقدر فيها أرزاق الغباد الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط (٣٨٥) والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع

همهم عن الالتفات الى ماعده والاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه علمانية الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد أمثالهم لا يتغنى عندهم الرزق وانه مامن ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيلا توكلوا عليه فقوالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قاطع الابطال الهادي الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات التقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبغير في وجه العقل فان العاقل كيف يعتمد على شيء وهو لا يرى به (وانغماس في غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة) ولا يقوى على كشف هذا الغطاء (أي رفع هذا الحجاب) مع شدة الخفاء الاسماء العلية أي الجاهزة النقاد (الذين اكتملوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

السادس انه ولي كل احسان * والملي بكل امتنان * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) معين كل موحد متوكل ذي قلب سليم (الحمد لله المدبر للملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (والمالكون) وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (المنفرد بالعزة) وهي الغلبة الاتية على كلية الظاهر والباطن (والجبروت) وهو عالم الاسماء والصفات الالهية (الرافع للسماء بغير عمد) نعمه عليه (المقدر فيها أرزاق العباد) وأقواتهم الحسية والمعنوية يشير بذلك الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب) المشاهدين بانوار الغيوب بحقائق الامور (عن ملاحظة الوسائط والاسباب) الجلية والخفية (الى مسبب الاسباب) وأصل السبب ما يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل شيء يتوصل به الى أمر من الامور فقبل هذا سبب هذا وهذا سبب على هذا (ورفع همهم عن الالتفات الى ماعده و) عن (الاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه) كل ذلك لئلا يكل توحيدهم ومن يرد توكلهم كما ينبغي المصنف بقوله (علما) منهم يقينيا (بانه) تعالى (الواحد) فلا يصح عليه التجزى ولا التكثر ولا ينسب بين غيره نسبة توجبه (الفرد) فلا يتخطاه غيره (الصمد) الذي يصمد اليه في الامور ويعتمد عليه (الاله) جل وتقدس عن الاشياء (وتحققا) منهم (بان) جميع (اصناف الخلق) أحرها وأسودها (عباد أمثالهم لا يتغنى) أي لا يتطلب (عندهم الرزق) كما أخبر به سبحانه في كتابه وهو الحق في آيتين الاولى قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والثانية قوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه (وانه مامن ذرة) من ذرات الوجود (لا الى الله خلقها) أي ابداءها وتقدر بها كما قال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها فلما تحققوا لانه لرزق عباده ضامن) أي ما تنزله باعطائه اياهم (وبه كفيلا) يحيط بجميع جهاته (توكلوا عليه) في سائر الامور ولم يخشوا أحدا سواه كما قال تعالى في شأنهم فزادهم ايمانا (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء (والصلاة على) سيدنا (محمد قاطع) خبيثات (الابطال) بسيف الحق والابطال جمع باطل وهو كل ما يضاد الحق (الهادي) أي المرشد (الى سواء السبيل) وهو سبيل التوحيد والتوكل (وعلى آله) وصحبه (وسلم تسليما كثيرا) وفي بعض النسخ وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليما كثيرا وفي الجمل المذكورة من أول الخطبة الى آخرها براعة الاستهلال مما لا يخفى على الممارس المتأمل لما تضمنه هذا الكتاب (أما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام شريف من مقامات الموقنين) وهو السابح من مقامات اليقين على النسق الذي أورده صاحب القوت (بل هو من معالي درجات المقربين) ولفظ القوت من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين (وهو في نفسه غامض من حيث العلم) ولغموضه اختلفت أقوال المشايخ في حده (ثم هو شاق من حيث العمل) به (ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها) بعد ملاحظتها (شرك في التوحيد) عند أهله (والتثاقل) وفي نسخة التبعاعد (عنها) أي عن الاسباب (بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع) فان غالب المأمورات الشرعية مبناها على الاسباب (والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبغير في وجه العقل) فان العاقل كيف يعتمد على شيء وهو لا يرى به (وانغماس في غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة) ولا يقوى على كشف هذا الغطاء (أي رفع هذا الحجاب) مع شدة الخفاء الاسماء العلية أي الجاهزة النقاد (الذين اكتملوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الآن
نبتدأ بذكر فضيلة
التوكل على سبيل المقدمة
ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر
حال التوكل وعمله في الشطر
الثاني

(بيان فضيلة التوكل)
(أما من الآيات) فقد قال
تعالى وعلى الله فتوكوا
كنتم مؤمنين وقال عز وجل
وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال
سبحانه وتعالى إن الله يحب
المتوكلين وأعظم مقام
موسوم بمحبة الله تعالى
صاحبه ومضمون بكفاية
الله تعالى ملابسه فمن الله
تعالى حسبه وكافيه ومحببه
ومراعية فقد فاز الفوز
العظيم فإن المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقال
تعالى أليس الله بكاف عبده
فطالب الكفاية من غيره
هو التارك للتوكل وهو
المكذب لهذه الآية فإنه
سؤال في معرض استنطاق
بالحق كقوله تعالى هل
أتى على الإنسان حين من
الدهر لم يكن شيأ مذكورا
وقال عز وجل ومن يتوكل
على الله فإن الله عز وجل يحكم
أى عز لا يذل من استجار
به ولا يضيع من لا ينجبه

الاطهار والافصاح (عما شاهدوه) بيصيرتهم (من حيث استنطقوا) أى طلبوا البيان (ونحن الآن
نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل المقدمة) والتوطئة (ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب
ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه
(بيان فضيلة التوكل)

ولو احقه التفويض والتسليم والثقة والرضا (أما من الآيات) القرآنية (فقد قال الله تعالى وعلى الله
فتوكوا إن كنتم مؤمنين) فمع شرفه قد أوجب على سائر المؤمنين لأن الإيمان يوجب على المؤمن مدلوله
ومدلولات الإيمان هي الناشئة عن نفس الإيمان بحسب الملاحظات فمن لاحظ عن زيدانه قائم بالامر عقول
عليه واعتمد على كفايته وان لاحظ مع كونه قائما بالامرانه حكيم في علمه وأفعاله فيما يقدم ويؤخر وفيما
يرفع ويخفض سلم الامر اليه واستسلم لحكمه لأن التفويض معناه ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله
والاستسلام هو انقياد العبد واذعائه لما اختاره الله وبما حكم به عليه من الامر والنهي وملازمة الحدود التي
حددها وان لاحظ مع ذلك كمال صدقه وفاء وعده وثيق به لأن الثقة نتيجة التصديق ومعناه الرباط على
القلب وعدم الانفصام على ما حواه من التصديقات فالثقة اذا على هذا مكملة لجميع المقامات والاحوال
ولهذا قال أبو اسمعيل الهروي الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويدها قلب التسليم وان
لاحظ بعد ذلك الوهية مال اليه بوجهه وانصرف اليه بكيته وان لاحظ المعنى الجامع لصفات ألوهيته هو المعبر
عنه بقول الله حصل الدهش والتعجب فهكذا ينبغي أن يفهم ملاحظة مدلولات الإيمان وقال صاحب العقوت
وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالإيمان ليدل بذلك انه ما شيا أن اذا التوكل على الوكيل هو من الإيمان بالمؤمن
لانه عن حقيقة الإيمان وهو اليقين وبمشاهدة الوكيل وهو الحسب الحسب ونعم الوكيل فامر بالتوكل
قولا وفعلا بعد الاخبار عن محبته للمتوكل عليه فقال تعالى قل هو الرحمن آمناء وعليه توكلنا مع اشتراط
التوكل للإيمان بعد الامر به في قوله تعالى وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين وفي قوله ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل كالم يخرج خصوص المؤمنين
من شرط وجود الاسلام وكما كل مؤمن حقا مسلما لا بدعلا كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا
فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم
الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود
والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هو إلى آخر
الآيات (وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فرفع المتوكلين اليه وجعل مريدهم منه (وقال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه عن سواه (وقال تعالى إن الله يحب المتوكلين) فجعل
المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته (فأعظم مقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه
فمن كان الله حسبه وكافيه ومحببه ومراعية) فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه (فقد) تناهى من كان
بهذا الوصف في حسن المراعاة (فاز الفوز العظيم) الأبدى المقيم (فإن المحبوب) المرامي (لا يعذب) بنار
الفرار (ولا يبعد) عن حضرة الوصال (ولا يحجب) عن المشاهدة (و) هذا الذي (كفاية في هذه الدار
المهمات ووقاه بنفويض أمره اليه السيئات كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده) مع قوله وأقوض
أمرى إلى الله فوفاه الله سيئات ما مكروا (وطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه
الآية فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن
شيأ مذكورا) قال أبو يعقوب السوسى أول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عز يزككم يعطى لعزته ويمنع
بحكمته فيصير العبد لعزه ويرضى بحكمه ويستسلم لحكمته كذلك أخبر عن نفسه وتبته المتوكلين عليه إذ
(قال تعالى ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل يحكمه أى عز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لا ينجبه

الرجال فقيل لي أَرْضَيْتِ فَقَاتِ رَضَيْتِ يَارَبِّ رَضَيْتِ يَارَبِّ فَقِيلَ إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
بِغَيْرِ حِسَابٍ فَدَيُّ لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي أَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَاذْهَبُوا فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا
مِنْ أَهْلِ الطَّارِبِ فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفْقِ فَإِنْ قَدْ رَأَيْتِ نَاسًا يَتَهَارَشُونَ كَثِيرًا إِلَى أَرْجُو
أَنْ يَكُونَ مِنْ يَتَبَعِي رُبْعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَامَ عَكَاشَةٌ فَقَالَ ادْعِ اللَّهَ
لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَدَعَا لَهُ فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ ادْعِ اللَّهَ لِي أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَقَالَ قَدْ
سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ فَقِيلَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَبَّرُونَ
وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ رَوَاهُ هَكَذَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَحْمَدُ وَالتَّيْمِيُّ وَالحَاكِمُ وَعَنْ عَبْدِ الطَّيْرِ بْنِ وَعْرٍ مِنْ شِبْهَةِ مَنْ
طَرِيقُ نَافِعٍ مَوْلَى بَنِي شَجَاعٍ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ ابْنَةِ مَحْمُودٍ قَالَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي حَتَّى
أَتَيْنَا الْبَقِيعَ فَقَالَ يَا أُمُّ قَيْسٍ يَبْعَثُ مِنْ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ
أَنَا مِنْهُمْ قَالَتْ نَعَمْ فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ فَقَالَ سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ وَأُمُّ قَيْسٍ هَذِهِ أُخْتُ عَكَاشَةَ صَحَابِيَّةٌ طَالَ
عَمْرُهَا وَالتَّيْمِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَخْتَصِرًا يَا أُمُّ قَيْسٍ أَتَرَيْنَ هَذِهِ الْمَقْبَرَةَ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ لِأَنَّ الْبَدْرَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَعْنِي الْبَقِيعَ وَقَدْ رَوَى الدَّيْلَمِيُّ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ
مَخْتَصِرًا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبَقْعَةِ وَمِنْ هَذَا الْحَرَمِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَجُوهَهُمْ كَالْقَمَرِ لِأَنَّ الْبَدْرَ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَانَكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ)
بِأَنْ تَعْمَلُوا بِقِيَانٍ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ كُلُّ مَوْجِدٍ مِنْ خَلْقٍ وَرَزَقٍ وَعَطَاءٍ وَمَنْعٍ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ تَسْعُونَ فِي الطَّلَبِ
عَلَى الْوَجْهِ الْجَمِيلِ (لِرِزْقِكُمْ كَمَا تَرْزُقُ الطَّيْرُ) بَضْمُ الْمِثْلَةِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى صِبْغَةِ الْمَجْهُولِ زَادِي رَوَاهُ فِي جَوْالِبِ السَّمَاءِ
(تَعْدُو وَخَاصًا) جَمْعُ خَيْصٍ أَيْ ضَامِرَةُ الْبَطُونِ مِنَ الْجُوعِ (وَتَرْجُحُ) أَيْ تَرْجَعُ (بَطَانًا) جَمْعُ بَاطِنٍ
أَيْ عَمَلَاتُ الْبَطُونِ وَانْمِثْلُ بِالطَّيْرِ لِأَنَّ الْأَرْكَانَ الْمُجْتَمِعَةَ فِي الْأَبْدَانِ طَوَارِثُ طَيْرٍ إِلَى أَوْكَارِهَا وَمَرَاكِزِهَا فَخَبِرَ
بِأَنَّ الرِّزْقَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ لَا بِالْحِيلِ وَالْعَلَاجِ قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَمُسْنَدُ مَنْ حَدِيثُ عُمَرَ
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالتَّيْمِيُّ وَأَحْمَدُ وَالتَّنَائِي وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ حَبَّانَ
وَالْبَيْهَقِيُّ وَالضَّيَاءُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ وَأَقْرَبُهُ الذَّهَبِيُّ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
انْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) بِأَنْ كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ (كَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ مَوْثِقَةٍ) أَيْ مَشَقَّةٍ
(وَرَزَقَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمِنْ انْقِطَاعِ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَإِنْ
أَبِي الدُّنْيَا وَمِنْ طَرِيقَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ مِنْ رَوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَصَنِ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْأَشْعَثِ تَكْلَامُ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ فِي النُّوَادِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْخَطِيبُ
وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ خَادِمُ الْفَضِيلِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ كُنَّا نَنْظُرُ بِهِ الْخَبِيرَ فَقَدْ جَاءَ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سِرِّهِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ أَوثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ
الْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ أَهْلُ قُلْتِ لَفْظُ الْحَاكِمِ وَالبَيْهَقِيُّ مِنْ سِرِّهِ أَنْ
يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ عَبْدُ بَنِي جَدٍ وَاسْحَقُ بْنُ زَاهِرٍ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّوَكُّلِ
وَأَبُو يَعْلَى وَالتَّيْمِيُّ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ كَاهِلُ مَنْ طَرِيقُ هِشَامِ بْنِ زِيَادٍ أَبِي الْمَقْدَامِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُرْطُبِيِّ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ تَكْلَامُ فِي هِشَامٍ بِسَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ) كَانَ (إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ) أَيْ فَقْرٌ وَحَاجَةٌ (قَالَ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ) (كَانَ) يَقُولُ بِهَذَا أَمْرٌ فِي رَبِّي
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٌ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ
جَزْءٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَرَلَّ بِأَهْلِهِ الضَّيْفَ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ
الْآيَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَزْءٍ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا ذَكَرُوا رِوَايَتَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فَيُعَدُّ سَمَاعَهُ مِنْ
أَبِي جَدِّهِ أَهْلُ قُلْتِ وَبِهِذَا اللَّفْظِ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْمَصْنُوفِ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ

وقال صلى الله عليه وسلم
لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما
يرزق الطير تغدو وخصا
وتروح بطانا وقال صلى
الله عليه وسلم من انقطع
إلى الله عز وجل كفاه
الله تعالى كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن
انقطع إلى الدنيا وكسبه
الله البها وقال صلى الله عليه
وسلم من سره أن يكون
أغنى الناس فليكن بما عند
الله أوثق منه بما في يديه
و روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان إذا
أصاب أهله خصاصة قال
قوموا إلى الصلاة ويقول
بهذا أمرني ربي عز وجل
قال عز وجل وأمر أهلك
بالصلاة واصطبر عليها
للآية

وقال صلى الله عليه

وسلم لم يتوكل من استترقى
واكتوى وروى انه لما قال
جبريل لاراهيم عليه
السلام وقد روى الى النار
بالتجنيق االك حاجة قال اما
اليك فلا وفاء بقوله حسبي
الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك
حين اخذ لبري فانزل الله
تعالى و ابراهيم الذي وفى
وأوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام يا داود
ما من عبد يعتمى بي دون
خلقى فتكبد السهوات
والارض الاجعت له مخرجا
(وأما الاسرار) فقد
قال سعيد بن جبير لذغثي
عقرب فاقسمت على أمي
لتستترق فتناولت الراقي
يدى التي لم تلدغ وقرأ
الخواص قوله تعالى وتوكل
على الحى الذى لا يموت الى
آخرها فقال ما ينبغي للعبد
بعده هذه الآية أن يلجأ الى
أحد غير الله تعالى وقيل
لبعض العلماء فى منامه من
وثق بالله تعالى فقد أحرز
قوته وقال بعض العلماء
لا يشغلك المضمون لك من
الرزق عن المفروض عليك
من العمل فتضيع أمر
آخرتك ولا تنال من الدنيا
الامائد كتب الله لك وقال
يجي بن معاذ فى وجود العبد
الرزق من غير طلب دلالة
على أن الرزق مأمور بطلب
العبد وقال ابراهيم بن
أدهم سألت بعض الرهبان

والبيهقي فى الشعب وقد صحح البيهقي اسناده وكأني أنه أثبت سماعة من أبي جده وأنه سقط فى سياق الطبراني
عن أبيه وأما لفظ المصنف فرواه أحمد فى الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي فى الشعب عن ثابت قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة صلوا صلوا قال ثابت كانت الانبياء اذا نزل بهم
أمر فزعوا الى الصلاة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل على أهله بعض الضيق فى الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهله
بالصلاة الآية (وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل على الله من استترقى واكتوى) قال العراقي رواه الترمذى
وحسنه والنسائى فى الكبرى وابن ماجه والطبراني واللفظه الا أنه قال أو اكتوى من حديث المغيرة بن شعبه
وقال الترمذى من استترقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل وقال النسائى ما توكل من اكتوى أو استترقى
اه قلت وبلغنا الترمذى رواه أحمد والحاكم والبيهقي ولفظه المصنف رواه الطيالسى والبيهقي الا انه بلفظ
أو (وروى انه لما قال جبريل لاراهيم عليه السلام وقد روى الى النار بالتجنيق االك حاجة قال اما اليك فلا
وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ لبري) روى عبد بن حميد عن سليمان بن صرد وكان
قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذهب ابراهيم ليطرح فى النار قال انى ذاهب الى ربى - سعيد بن
فلما طرح فى النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وروى ابن جرير
عن معمر بن سليمان عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوق ليلى فى النار قال يا ابراهيم
الك حاجة قال أما اليك فلا ورواه أحمد من وجه آخر فزاد قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين
الى أحبهما اليه (وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتمى بي دون خلقى فتكبد
السموات والارض الاجعت له مخرجا) رواه تمام وابن عساكر والديلى عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك عن أبيه رفعه بلفظ وعزى يا داود ما من عبد يعتمى بي دون خلقى أعرف ذلك من ينسب فتكبد
السموات بمن فيها والارض بمن فيها الاجعت له من بين ذلك مخرجا ما من عبد يعتمى بخلقى دونى أعرف ذلك
من ينسب الا فاضت أسباب السماء بين يديه وارضفت الهوى من تحت قدميه وما من عبد يطغى الا وانا معطيه
قبل ان يسألنى ومستجيب له قبل ان يدعوى وغافله قبل ان يستغفرنى وفيه يوسف بن الغرمرزك يكذب
وقال البيهقي هو فى عداد من يضع الحديث ورواه صاحب القوت فقال وفى أخبار وهب وكعب من الكتب
السالفة يقول الله تعالى أقسم بعزى فذكر نحو ما ذكرناه (وأما الاسرار) فقد قال سعيد بن جبير التابعى رجه
الله تعالى (لذغثى عقرب) مرة (فاقسمت على أى لتستترقين) وكان بارابامة (فتناولت الراقي يدى التي لم
تلدغ) ولم تناول يدى التي لدغ فرا من الاسترقاع وروا بقسم أمي (وقرأ) ابراهيم بن أحمد (الخواص)
رجه الله تعالى (قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعده هذه الآية)
ان فهم معناها (ان يلجأ الى أحد غير الله تعالى) نقله صاحب القوت (وقيل لبعض العلماء فى منامه من وثق
بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من
العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك) نقله صاحب القوت وهذا هو توكل
العموم (وقال يحيى بن معاذ) الرازى الزاهد رجه الله تعالى (وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على
أن الرزق مأمور بطلب العبد) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رجه الله تعالى (سألت بعض
الرهبان من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى) رواه أبو نعيم فى الحلية
(وقال هرم بن حبان) العبدى قال ابن عبد البر وهو من صغار الصحابة وفى الزهد لا جدانه كان يصعب حمة
الدوسى وحمة مات فى خلافة عثمان وفيه عن الحسن انه لما مات دفن فى يوم صائف فصاحت بحبابة فرشت
قبره وماحوله وعده ابن أبي حاتم فى الزهاد الثمانية من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان على
عبد القيس فى الفتوح وأورده أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (لاويس) بن عامر (القرنى) رجه الله تعالى
من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم بن حبان لاويس القرنى

أين تأمرني أن أكون فأوما إلى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أوبس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكذا وجدت إلى كل خير سبيل أنسأل الله تعالى حسن الأدب * (بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل) * اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب (٣٩٠) الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو

(أين تأمرني أن أكون فأوما إلى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أوبس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة) ولفظ القوت وقال أبو السليل قال رجل لا ورس أصبحك استأنس بك فقال سبحان الله ما ظننت أن أحدا يعرف الله يستوحش معه فقال له الرجل ما المعيشة فقال أوبس أف خالط القلوب الشك فما تنفع الموعظة (وقال بعضهم متى رضيت بالله وكذا وجدت إلى كل خير سبيل) والوكل هو الموكل إليه الأمور كلها * (بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل) *

(اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان) وهو عماد المؤمنين وموطن المقرين وسبلة المحبين لا يستغنى عنه عابد في عبادته ولا ذو عادة في عاداته لتعلقه بسائر الأحوال عباداة أو عادة وجلة ما يحتاج إليه من أمر الدنيا والآخرة ولذلك أوجه الله تعالى على سائر المؤمنين لأن حقيقة اعتقاد القلب على الله تعالى في جلب المنافع أو حفظها ودفع المضار أو قطعها كما سيأتي (وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل) كما سبق ذلك في شرح كتاب التوبة (والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل) الذي ينبغي عليه حاله (وعمل هو الثمرة وحال) هو غير العمل (هو المراد باسم التوكل) ويحتاج شرح كل من ذلك على انفراده (فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل) الذي ينبغي عليه حال التوكل (وهو المسمى إيماني في أصل اللسان) وله مراتب وبعضها أشرف من بعض (إذا الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوي) نوره في القلب (سمى يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة) وقد ذكر بعضها وبعضها سيذكر (ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينبغي عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجم قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له) قائم بنفسه (والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له) وهذا الإيمان من لازم التوحيد فان من علم أنه قائم بنفسه علم أنه مقيم لغيره (والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك له الملك) وهو من لازم الإيمان بالقدرة فان من علم أنه مقيم لغيره علم أنه متولى أمورهم وكافهم وحسبهم وإذا علم ذلك علم سعة جوده وحكمته وكمال قدرته وينتج ذلك أن الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأمره وأنه المنفرد بإيجاده المتوحد بخلق حركات العالم وسكاته (فن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك له الحمد وهو على كل شيء قدير) ثم له أصل الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً للقلب غالباً عليه) وفيه قد وردت آثار فن قالها عشر كان كن. أعتق رقبة من ولد اسمعيل ورواه الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة وروى الترمذي من حديث أبي أيوب بلفظ كانت له عدل أربع رقاب من ولد اسمعيل ورواه البيهقي بلفظ كان له عدل نسمة ورواه الطبراني بلفظ كان له عدل عشر رقاب (فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال) فان الأحوال هي التي تثمر الأعمال وهي مواجيد القلوب (ولا يتم علم المعاملة إلا بها) أي بالأعمال التي هي نتيجة عن الأحوال (فاذا انتعرض اللقندر الذي يتعلق بالمعاملة) فقط (والأفالتوحيد هو البحر الحضم) أي العميق الواسع (الذي لا ساحل له) فينتهي إليه (فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم إلى لب ولب اللب وقشر وقشر القشر ولينثل ذلك تقريرا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين لب ولب اللب وهو الدهن وهو لب اللب فالرتبة الأولى من التوحيد أن يقول الإنسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه) أي عن معناه المقصود (أو منكره كتنوحيد المنافقين) فانهم كانوا كذلك كانوا يظهرون خلاف ما يظنون أو ما غفله أو أنكروا منهم من كان يجمع بينهما (والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل * فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيماني في أصل اللسان إذا الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوي سمي يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينبغي عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجم قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك لا اله الا الله الملك والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك له الحمد فن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك له الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً للقلب غالباً عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال فالأعمال هي التي تثمر الأعمال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فاذا لا نتعرض اللقندر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الحضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد أربع مراتب

قلبه

وهو ينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولينثل ذلك تقريرا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في

قشرته العليا فان له قشرتين لب ولب اللب وهو الدهن وهو لب اللب فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه أو منكره كتنوحيد المنافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد الوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدا هو مشاهدة الصديقية وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيدته بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك (٣٩١) صاحبه في الدين عن السيف والسنان

والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحكي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا وليس له واحد اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف (بواسطة) فيضان (نور الحق) في قلبه (وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة) مختلفة الانواع والاجناس (ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود) في سائر مراتبه (الا واحدا هو مشاهدة الصديقية وتسميه) طائفة (الصوفية) قدس الله أسرارهم (الفناء في التوحيد) وهو مقام شريف عال وهو الفناء عن النفس وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم (لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا في التوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيدته بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق) واذا فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا بهم ولا احساس ولا خبر غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وبها وقد نرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الانذار عن شيء (فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك صاحبه في الدين عن السيف والسنان) فلا يهرق دمه واليه الاشارة في الخبر فاذا قالوا هاعصم وامني دماءهم وأموالهم (والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه) وقابله خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه (أي في القلب) (انشراح و) لا (انفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه) ولم يتحل بينه وبين ذلك الاعتقاد شيء (ولم تضعف بالمعاصي عقده) فان المعاصي تضعف عقدة الايمان وتحللها شيئا (ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة) وهي أعظم حالا من المعاصي لكون صاحب البدعة لا يعتقد هامعصية فلا يتوب منها الذلوعلم ان المعصية لتاب عنها (وله حيل يقصدها دفع حيل التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بهما) بهذين القصدين (يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع) فلا يكون المتكلم مبتدعا كما لا يكون المبتدع متكاما وما وقع في سياق بعضهم وبه قال جمهور متكلمي المعتزلة وما أشبه ذلك فنظر الى ظاهر اللفظ أو ان هذا الذي ذكره المصنف اصطلاح له فلا معارضة (ومقصده) أي المتكلم (دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحكي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليها الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد) اذ هما سوا عقده (بل في صناعة تلقين الكلام الذي به تدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة) وقد تقدم الكلام في المراد بالعوام من هم في شرح قواعد العقائد (والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد) فتضعف الكثرة في جنب الوحدة (وهذه الغاية القصوى في التوحيد) وليس بعده مقام للسالك ينتهي اليه (فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى) منه (والثالث كالب) الذي داخل القشرتين (والرابع كالدهن المستخرج من الب) وهو خلاصة الخلاصة

كله عليه الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صناعة تلقين الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من الب

وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر وإن اتخذ حطباً أطفأ النار وأكسرت
 للسان وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الآن يترك مدة على الجوز للصون ثم رمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق
 بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مضموم (٣٩٢) الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة

السفلى هي القلب والبدن

وتوحيد المناق يصون بدنه
 عن سيف الغزاة فانهم لم
 يؤثروا بشق القلوب
 والسيف إنما يصيب جسم
 البدن وهو القشرة وإنما
 يتجرد عنه بالموت فلا يبقى
 لتوحيد فائدة بعده وكما أن
 القشرة السفلى ظاهرة
 النفع بالاضافة إلى القشرة
 العليا فانها تصون القلب
 وتحرسه عن الفساد عند
 الأذخار وإذا فصلت أمكن
 أن ينتفع بها حطباً لكنها
 نازلة القدر بالاضافة إلى
 القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف كثير النفع
 بالاضافة إلى مجرد نطق
 اللسان ناقص القدر
 بالاضافة إلى الكشف
 والمجاهدة التي تحصل
 بانسراح الصدر وانفساحه
 واشراق نور الحق فيه إذ
 ذلك الشرح هو المراد بقوله
 تعالى فمن ير الله أن يهديه
 يشرح صدره للإسلام
 وبقوله عز وجل أفمن
 شرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه وكأن
 القلب نفيس في نفسه
 بالاضافة إلى القشرة وكله
 المقصود ولكنه لا يخلو عن
 شوب عصارة بالاضافة إلى
 الدهن المستخرج منه

(وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر
 وإن اتخذ حطباً أطفأ النار) (وأكثر اللسان) وسود الألوان (وإن ترك في البيت ضيق المكان
 فلا يصلح) (لشيء) (الآن يترك مدة على الجوز للصون) أي الحفظ على باطنه من طرق الالتفات (ثم رمى به
 عنه فكذلك التوحيد) الحاصل (بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى) أي الفائدة (كثير
 الضرر مضموم الظاهر) لمرارته (والباطن) لبشاعته (لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت
 الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المناق يصون بدنه عن سيف الغزاة) والحكام (فانهم
 لم يؤثروا بشق القلوب) كما في خبر أسامة هاشم بن قيس (والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشر
 وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيد فائدة بعده) أي بعد الموت (وكأن القشرة السفلى ظاهرة النفع
 بالاضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتحرسه عن الفساد عند الأذخار وإذا فصلت أمكن أن ينتفع
 بها حطباً) (لوقيد) (لكنها نازلة القدر) وفي نسخة نافذة القدر (بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
 من غير كشف) بواسطة نور (الحق كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى
 الكشف والمجاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد
 بقوله تعالى فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
 على نور من ربه) وقد تقدم الكلام على الآيتين مراراً (وكأن القلب نفيس في نفسه بالاضافة إلى القشرة
 وكأنه المقصود) من القشرتين (ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك
 توحيد العنق مقصد عال للسالكين) يتبعون حتى يحصلونه (لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات
 إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق) ومثال شرف بعض هذه المراتب على البعض
 مثال دار لها علو وسفل وكلما ارتفعت من أسفلها إلى أعلاها زددت علماً بالدار وكلما زددت علماً زددت
 لباهاً وما لكها محبة والمحبة موجبة لمجاورة المحبوب وملازمته وموافقته (فان قلت كيف يتصور أن
 لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون
 الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب) فيطلع عليه
 من ليس بأهل لمرادها فيقع في وحلة لا يكاد يتخلص منها (فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر) وقد
 نسب هذا القول لسهل التتري وقيل لابي يزيد البسطامي وهي من جملة الاسئلة التي سئل عنها المصنف
 وأجاب عنها في كتاب سماء الاملاء على مشكلات الاحياء قال فيه في تقرير السؤال وما معنى قول من تقدم
 من أهل هذا الشأن افشاء سر الربوبية كفر وأين أصل ما قالوه في الشرع اذا الايمان والكفر والهداية
 والضلال والتعريب والتبعية والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات الخالفة إنما هي مأخذ شرعية
 وأحكام نبوية فقال في الجواب عنه انه يخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفراً دون كفر
 ويسمى ذلك تغليظاً لما أتى به الغشبي وتغليظاً لما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يسمى هذا كفراً لانه
 ضد الكفر اذا الكافر الذي يسمى هذا على معناه سائر وهذا الغشبي لا سائر وأين التشرع من السر والاطهار
 من التغلطة والاعلان من الكتم واندفاع هذا بان يقال ليس الكفر الشرعي تابعاً للاشتقاق وإنما هو حكم
 بمخالفة الامر واتكباب النهي فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين احدهما
 لجهة الاشتقاق ويكون اذ ذلك اسماً يبنى على وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذلك حكماً واجب

فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر

ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك يمكن وهو أن الشيء قد يكون (٣٩٣) كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون

واحد بنوع آخر من
المشاهدة والاعتبار وهذا
كأن الإنسان كثيران
التفت إلى روحه وجسده
وأطرافه وعروقه وعظامه
وأحشائه وهو باعتبار آخر
ومشاهدة أخرى واحد إذ
نقول إنه إنسان واحد فهو
بالإضافة إلى الإنسانية
واحد وكم من شخص
يشاهد إنسانا ولا يحظر
بباليه كثرة أمعائه وعروقه
وأطرافه وتفصيل روحه
وجسده وأعضائه والفرق
بينهما أنه في حالة الاستغراق
والاستهتار به مستغرق
بواحد ليس فيه تفرق
وكأنه في عين الجمع
والملتفت إلى الكثرة في
تفرقة فكذلك كل مافي
الوجود من الخالق والمخلوق
اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة فهو باعتبار
واحد من الاعتبارات
واحد باعتبار آخر
سواء كثير وبعضها أشد
كثرة من بعض ومثاله
الإنسان وإن كان لا يطاق
الغرض ولكنه ينبه في
الجملة على كيفية مصير
الكثرة في حكم المشاهدة
واحد ويستبين بهذا
السلام ترك الانكار
والجود لمقام تبلغه وتؤمن
به إيمان تصديق فيكون
للمؤمن حيث أن المؤمنين

عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم لا تذهب مع اللفاظ ولا تسترق العبارات ولا تتجمل التسميات
وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها فإذا من أظهر ما أمر بكتمه كان كتم ما أمر بنشره وفي مخالفة
الأمر فيها حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تتحدوا
الناس بمالم تصله عقولهم وفي ارتكاب النهي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور وكفرانا والوجه
الثاني أن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا للحديث المذكور
لا تتحدوا الناس بمالم تصله عقولهم أثر يدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدكم بمالم يصله عقله ربما
سارع إلى التكذيب وهو لا أكثر ومن كذب بقدره الله تعالى وبما أوجدهم فقد كفر ولو لم يقصد الكفر
فإن أكثر الميوذ والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر إلا بظنهابا نفسها وهي كفار بلاريب وهذا وجه
واضح قريب ولا يلتفت إلى مالم إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكم ولا
الراغبين في العلم إذ ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والأسلام يتعلق بخبره ويلحق
قائله وهذا لا يخرج الأعلى مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنن لا يرضون بذلك
وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله تعالى بالقول الذي يبرمه والعمل الذي يقصده المتعبد
لوجهه والكفر الذي يستزده إيمانا والمعرفة له سبحانه ثم يكفره الله تعالى ذلك بفوائد المزيد بينه ما شرف
من المخ وبريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنده وأطراحه
وتركه واعتقاده لا يتم الإيمان مع ولا يحصل عقارنته وليس في إفشاء الولي شيء مما يناقض الإيمان اللهم الآن
يريد بفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عابس مفرود ليس بولي ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله
فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
ثم أنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجده من العداوة والبغضاء قبل له أتم وأخطأت من غير تكفير وإن
كان الخافعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع انتهى نص الأملاء
(ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك يمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع
مشاهدة واعتبار ويكون واحد بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كأن الإنسان كثيران التفت
الروح وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ تقول
إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يحظر بباليه كثرة أمعائه
وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والمملتفت إلى الكثرة في تفرقة) قال القشيري من أثبت
نفسه وأثبت الخلق ولكن شهدا لكل قائما بالحق فهذا هو الجمع وإذا كان محتما فاعن شهود الخلق
مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستوى من سلطان الحقيقة فذلك
جمع الجمع فالفرقة شهود الأغيار بالله والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء
الاحساس بما سوى الله عند غلبان الحقيقة انتهى (فكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق له
اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد باعتبار آخر سواها كثير
بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الإنسان في الكثرة والوحدة) وإن كان لا يطاق الغرض الذي هو
إثبات الغناء في التوحيد ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحد وتستفيد
بهذا الكلام ترك الانكار والجود لمقام تبلغه (لقصورك) وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من
حيث أنك مؤمن بهذا التوحيد الذي هو الغاية القصوى (نصيب) وحظ (وإن لم يكن ما أمنت به
صفتك) ومقامك (كما أنك إذا أمنت بالنبوة) وهو أعلى مقامات السالكين (وإن لم تكن نبيا) متحققة بهذا

بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما أمنت به
صفتك كما أنك إذا أمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا

المقام (كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك) به وتصديقك له وعدم إنكارك عليه (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق) وهو مقام الفناء بشهود الفناء بالاستهلاك في وجود الحق (تارة تدوم) في سائر الأحوال (وتارة تظهر كالسبرق الخاطف) ثم تغيب (وهو الأكثر) في أحوال السالكين (والدوام نادر عزيز) لكنها إذا غابت بقيت آثارها فصاحبها بعد سكون غلباته يعيش في بركات ضيائها إلى أن تلوح ثانية بزجي وقته على انتظار عودها ويعيش بما وجد في حين كونه (والى هذا أشار) أبو المغيث (الحسين) بن منصور (الحلاج) رحمه الله تعالى (حيث رأى) إبراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في الاسفار) وقد ذكر صاحب القوت له الجواب مما وقع له في أسفاره (فقال) له (فيما إذا أنت فقال أدور في الاسفار لا صحح حال في التوكل وقد كان من) نبلاء (الموكلين) وله كتاب في تحقيق مقامات التوكل (فقال) الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك أي في مشاهدة الخلق فأعيا بالحق (فأين) أنت من (الفناء في التوحيد) رواه القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور ولا إبراهيم الخواص ماذا صنعت في هذه الاسفار وقطع هذه المفارز قال بقيت في التوكل لا صحح نفسي عليه فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد اه (فكان الخواص) رحمه الله تعالى (كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه) الحلاج (بالمقام الرابع) الذي هو آخر المقامات فيه وكانه شتم من الخواص التفاتاً لما أقيم فيه فنهى على أن المقصود وراء ذلك (فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال) وقد اعترض على المصنف في تقسيمه لهذه المقامات وأجاب عنه وهذا اللفظ في الاملاء ذكر مرتين فذكره وجعلك تعقل به بيته وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربع مراتب والمظة التوحيد تنافي التقسيم المشهور وكما ينافي التكرير بالتعدد وان صرح انقسامه على وجه لا يدفع فهل نصح تلك القسمة فيما يوجد وفيما يقدّر وغبت في مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها وان كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز والقشور واللُب ولم كان الاول لا ينفع والاخر الذي هو الرابع لا يحل اقتضاؤه ثم ساق الاسئلة بنماها ثم قال في الجواب عا لفظه جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيهاً بالجوز لموافقة الغرض في التمثيل به وذكر بان المعترض وسوس بالخواطر بان لفظ التوحيد ينافي التقسيم اذ لا يخالون يتعلق بلفظ الواحد الذي ليس برائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالحس ولا بالعقل ولا بغير ذلك وما ان يتعلق بوصف المكافين الذي يوجب لهم حكمهم اذا وجد فيهم فذلك لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقد وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا تصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطنين أحدهما شرك والاخر تلاش وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بنماثل ايمان جميع المؤمنين من الملائكة والنبين والرسلين وسائر عموم المسلمين وانما تختلف طرق ايمانهم التي هي علومهم ومذهبهم في ذلك معروف ونحن لانسلم في هذه الاجابة بشئ من انحاء الجدل ومقابلة الاقوال بالاقتوال بل نقصد ازالة عين الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال فاعلم ان التقسيم في الاطلاق يستعمل انحاء لا يتوجه ههنا بشئ مما قد رجع به المعترض وهجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحاء ما يتميز به بعض الأشخاص بما اخص به من الاحوال وكل حالة منها يسمى توحيداً على جهة يتفرد بها لا يشتركها فيها غيرها فمن وجد بلسانه سمى لاجله موحداً مادام الفطن به ان كان قلبه موافقاً للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع من الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يعصبه فيه ولا برهان يبرمه به سمى أيضاً موحداً على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيًا والحنبلي حنبليًا ومن رزق علم التوحيد وما تحقق به عنده وتنقي من أجله شكوكه العارضة فيسمى موحداً من جهة انه عارف به كما يقال جدلياً ونحوياً وفقهياً ومعناه أي

كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تظهر كالسبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما إذا أنت فقال أدور في الاسفار لا صحح حال في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال

يعرف الجدل والنحو والفقه وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جلته حتى لا يوجد فيه فضل
 لغيره الا على طريق التبعية ويكون شهود التوحيد اسكل ماعده سابقا له مع الذكر والتذكير صاحباً من
 غير ان يعتز به ذهول عنه ولا نسيان له لاجل اشتغاله بغيره كالعاده في سائر العلوم فهذا يسمى موحد او يكون
 المقصد بما يسمى به من ذلك المبالغة فيه فهذه أربع مراتب يصح اطلاق اسم التوحيد عليها * فأما الصنف
 الاول وهم ارباب النطق المجرد فلا يضر بون في التوحيد بسهم ولا يفرزون منه بنصيب ولا يكون لهم شئ
 من احكام أهله الا في الحياة الاولى اذ الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما تعبد القول عليه بعد
 هذا ان شاء الله عز وجل * وأما الصنف الثاني وهم ارباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
 أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنى عنه فقبلوا
 ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم
 الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم * وأما الصنف الثالث والاربع فهم ارباب البصائر السليمة
 الذين نظر وابها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فزادوا على كل نوع منها خطأ منطبقاً فيها
 ليس يعرّب ولا سراني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادروا الى قراءته من لم يستجهم عليه وتعلمه
 منهم من استجهم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبق فيه من مفرد ومركب
 وصفة وموصوف وحجر وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذي يسمى تارة بعلامة
 وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب

فوا عبا كيف يعصى الاله * أم كيف يحسده جاحد

وفي ككل شئ له آية * تدل على انه واحد

فلما قرأ ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث المكتوب ونمرجه أبدية تملكه والتصريف له بالقدرة على
 حكم الارادة بما ثبت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص فتركوا السكابة والمكتوب ونزلوا منها الى معرفة
 الكتاب الذي أحدث الاشياء وكونها لم يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته
 طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا افتقرت الى الحرية عن رقب استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثل
 شئ وهو السميع البصير فحصلت التفرقة لهم والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيداً خالصاً بذاته
 واتحاده عن غيره وعقلت انما عقلت توحيداً سبحانه من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها ان تذكره
 الاب وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم ان عرف نفسه موحد الرب في عالم يرز وهم
 المقربون والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم ان عرف به موحداً بنفسه في عالم يرز وهم الصديقون
 وبينهما تفاوت كثير وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لا يتخلو كل واحد منهم ان
 يوجد فيه أثر التوحيد باحد الانحاء المذكورة عنده أو لا يوجد فأمّا من عدم عنده فهو كافران كان في
 زمن الدعوة أو على أقرب يمكن وصول علمها اليه أو في فترة لا يتوجه عليه فيها التكليف وهذا منصفه بعد
 عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد فيه فلا يتخلو ان يكون مقلداً في عقده أو عالماً به فالمقلدون هم العوام
 وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يتخلو كل واحد منهم ان يكون بلغ الغاية
 التي أعدت لصفته دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون
 وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا
 تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دأب بين النبي والاثبات ومحصور بين المبادئ والغايات ولم يدخل أهل المرتبة
 الاولى في شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هو من أهله الا بالنسب كاذب ودعوى غير صادقة ثم لا بد من
 الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث وشرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله تعالى حقيقة كل مرتبة
 ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجزى به الواحد الحق على القلب واللسان * (بيان)

أهل النطق المجرد وتخيير قرفهم) * اعلم ان أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا صوابه اذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه ما بعدهم منهم وقلة اكثر انهم واما لنفورهم عن البحث وخوفهم انهم ان تكافوا البحث عما نطقوا به ان يبدولهم ما يلزمهم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموه فارقوا راحة أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فيكون عيشهم منغصا ولا ذمهم مكدر من خوف عقاب ترك ما علموا الزومه فاذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا الى النطق به شيء الا مساعدة الجاهل وانغراطنا باظهار القول في الجمل الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف او التكبير ولا شك ان هذا الصنف الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله مساءه المالكين أحدهم في القبر اذ يقولون له من ربك ومن زبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقولون له لا دريت ولا تليت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والمراتب الصنف الثاني نطقوا كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا رضي الله عنه هو الاله وبلغ أمرهم على ارضى الله عنه وكانوا في زمنه ففرق منهم جماعتوا مثال من نطق بالشهادتين كثيرا ثم سحب نطقه مثل هذا التكبير ويسمون الزنادقة وهم في النار كما في الخبر الصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم أسروا والتكذيب واعتقدوا الرد واستبطنوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذارجعوا الى أهل الاتحاد اعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهو لا اله الا المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه بقوله واذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلو الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا اليه أو وصل أحد مناهم خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقراء به مما قالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق وأمر وان يظهر والرضا بالقول ثم يتفهموا بمجهله فسكنوا الى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون وان احترم أحد منهم من حينه من قبل ان يتأق منه استغفاهم أو تصور يمكن ان يكون له معتقد اهذ ارجى ان لا تضيق عنه سعير حجة تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله تعالى ورجى ما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البسالة ان يدعو الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة ثم يدعو الى تفهم المعنى من كل وجه فلا يتأق منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما يخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا حكم على مثله بخلود في النار ولا يبعد ان يكون مع هذا الصنف بأسرة أعني المحترم قبل تحصيل العقيد مع هذا البلد البعيد بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة وتكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله والحدث فيه طول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثاني والثالث أجمعين أعني أهل النطق المذكورين قبل في التوحيد ان لا تجب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين ووجه الهالكين فان عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها بسيف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صارتون الى جهنم خالدين فيها تلقى وجوههم النار وهم فيها كالحون

* (فصل) * ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاته امدته حياته عن السيف ان يراق دمها واليدان تساط على ماله اذ لم يعلم خفي حاله حسن ان يشبهه بقشر الجوز الاعلى فهو لا يحمل في الاكلم ولا يرفع الى البيوت ولا يحضري مجالس الطعام

ولا تشبيه النفوس الامداد منطوية على مطعمه صوانا على لبه فاذا اثير ليل عنه بكسر أو علم منه انه منطوي على فراغ أو سوس أو طعم فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الانخفاء لصحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غرض الى فهم الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع وليس من شرط المثال ان يكون مطابقا للممثل به من كل الوجوه فمكان يكون هو هو ولكنه من شرطه ان يكون مطابقا للوجه المراد منه ***(فصل)*** وأما الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالدلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروا في أنفسهم **والصنف الثاني** صنف اعتقدوا ما استدلال على ما اعتقدوه وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتباس طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين ثم لم يلبثوا ان اعترض أحدا سلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمروق عنه ولا كفوا مع قصورهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الأدلة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحاجج بل تركوا على ما هم عليه وهو لا عندى معذورون ببعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من اقرارهم وعقدتهم والله تعالى قد عذرهم مع غيرهم بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية بحال وسنبدى طريقا من الاعتقاد تعرف صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله تعالى الصنف الثاني اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدوا الى ذلك أنواعا من الخيالات قام في نفوسهم انها أدلة وظنوها براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار اليه فضلا من دونهم فان وقع الى هذا الصنف من نزاع عليهم تلك الخيالات بالقدح وببطلانها عليهم بالمعارضة والاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى ما يأتي به ويرفعوا أن يجابوا به لما يحملون عليه من سوء الفهم أو ردا على الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك الخيالات في باب الاستدلال أرسخ من شواخ الخيال فمنهم من يعتد دليله مذهب شيخه الرقيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبر أحد ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية توحيد صحيح ولعمري انه لينبغي اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال ان يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يغبطوا بذلك ويسلم لهم لتلايكونوا اذا تبسح الحال معهم ربما تلقفوا شبهة ورسخ في نفوسهم بدعة تعمس انحلالها أو يقع في تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير وهو لا أثبت إيماننا من الصنف الأول وأوثق رباطنا منهم وأحسن حالا الصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عمو العلم أيضا ولكن لعدم سواكهم سبيله من القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة واليقظة والنظر والعلم والاولو استدلو بالتحقق ولو طلبوا الادراك سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستنقوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالعود في حضيض الجهل فهو لا فهم اشكال عند كثير من الناس في البدية وتردد وفي حالهم نظر وهل يسمون عصاة وغير ذلك مما يحتاج الى تغيير آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام من غير تفريق بين بليد بعيد ومتيقظ فطن فمنهم من لم يراهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم اطلاق اسم الكفر عليهم ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبارة وجوب العبارة في الشرع ساقط على هذا النحو وهو لا يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة في صحة الايمان وانما الفرق واعن الشناعة الظاهرة فتستر واعن الجمهور بهذا الاحتمال ومنهم من أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وانما غرضنا تقييد ما أشاعه في الاحياء أهل الغلو والاعلاء فلا نفخ مثل هذا الباب وقد أبدى لنا وجه ذلك في مراقب الزيف ما ينبغي فيها باذن الله تعالى

(فصل) * بقي في أصناف أهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى وهو من تمة ما مضى فلتعلم ان ما منهم صنف الاول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم عن أحدها بحكم الاحتمال الضرورى فاحد الحالات لهم ان يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التقليد كما سبق الحالة الثانية ان لا يعتقد البعض الأركان مما فيه خلاف اذا انفرد ولم ينصف اليه في اعتقاده سواء هل يكون به مؤمنا أو مسلما مثل ان يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد انه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويخالف عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقولا بلاطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن القدر الذي اعتقده من الأركان موافق للحق غير مشوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا أو الوجود والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صراح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع ان أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلكت خلاص ووصف ايمان واسلام وسواء في ذلك الصنف الاول والثاني من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية فالتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان او الاسلام والمتأخرون مختلفون وكثير خاف ان يخرج من اعتقاد وجود الله عز وجل وظهور الانفراد به وبنييه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير من أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع هذا عقده بالامر يدعيه والحكم على من هو بمثل هذا بالخود في النار عسير جدا مع ثبوت الشرع بأنه من قال لا اله الا الله دخل الجنة وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد المتدعة في الصفات أو في بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل اطالة المذكورة قبل هذه واسلامهم حققنا أمره ولا فيما يعتقده اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن اتصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فبإوراء ذلك فان أمكن ردهم في دار الدنيا وزجرهم عنه ان أظهر والتمنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وان ما لو اقاموا لم يقصر بهم اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه والطابع والعاصي من عباد.

(فصل) * ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بعخته ضعيفا وتفردة عن المعرفة مربيب القى عليه شبه القسر الثاني من الجوز لان ذلك القسر يوكل مع ما هو عليه صوابا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغاً للجائع وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفا فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر. بيان المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين * اعلم ان الكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها ان تتكلم في الأسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوها والاحوال التي تغذيها لحصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف ينصور السالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في غرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويعلمون عايشه بسببه ويكرمون به لاجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته فاما الحد الاول فالكلام عليه والكشف لبقائه والصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعدا بالنار على كتمه وبه بعث الرسل وأقرت الكتب وجميعه محصور في اثنين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على اثنين الحرص الشديد والنية الخالصة وشرط في تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تنبيهها بالرمز تارة وتارة بالتصريح ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن اشرف بذلك اليبس الخاذق على بعض المرادو يظهر منه كثير من المقصد

وينكشف له جسر ما يشاء اليه اذا كان سالما من شرك التصعب بعيدا عن هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله مع علمهم به على سبيل التذكرة لا على سبيل التعليم والحد الاول قد تقرر عمله في كتب الرواية والدراية وهو غير محبوب عن طالب قدأ من الجهال به أن يتعلموه والعلماء به ان يذلوهم فلا نعيد فيه هنا قولنا وحكم الحد الثالث انكتم فلم يكن لنا سبيل الى تعدي حدود الشرح فلننث الغناء الى الكلام بالذي يليق بهذا المقام فنقول أر باب الفن الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف على الجملة وكلهم نظر والى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لا تحتمل عاينوا حالات الاقتدار الى المحدث عليهم وانفتحوا سمعوا واجمعها يدل على توحيده وتفريد مراد شدة ما حصة ثم وألله عز وجل بآيات قلوبهم وشاهدوه بنبيهم وأرواحهم ولا حظوا بجلاله وجماله يخفى أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على حفظ وكلهم انما عرفوا الله عز وجل بمخلوقاته ولسبب انقسامهم في المعرفة اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والغناء والبقاء انما هو بالمقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيران المعرفة والعلم فلا يبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والبعدهم والقرب هنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن احدى الحالتين عى البصيرة وانطماص القلب وذلوه عن معرفة الرب سبحانه فسمى هذا بعدا ما خوذ من البعد عن محل الراحة وموضع العماراة والانس والانقطاع في مهامه القفر وامكنه الخوف والحالة الثانية عن ايقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة السر بمشاهدة ما غاب عنه

(فصل) * المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين وهم قوم رآوا الله تعالى وحده ثم رآوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غير مولانا طمعا في الوجود على سواء وأهل هذه المرتبة في حال حصولهم فيها صنفان مریدون ومرادون فالمریدون في الغالب لا بد لهم ان يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة والله أعلم وأما المرادون فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الاخير وهي المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها من أهل هذا المقام يكون القطب والازداد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النجباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود يشترك فيه الحادث والقديم والمألوه والآله ثم المعلوم ان الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الاشياء شيئا واحدا أذلك على طريق قلب الاعيان فيقول الحوادث قديمة ثم تتحد بالواحد فتراجع هي هرو في هذا من الاستحالة والموروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخيل للولى لا حقيقة له فكيف يتحجج به أو يبعد حالولى أو فضيلة لبشره والجواب عن ذلك ان الحادث لم ينتقل الى القديم ولم يتحد بالفاعل ولا عترى الولي تخيل فخيال ما لا حقيقة له وانما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله بمعرفة على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل لاحد من خلقه فبأن أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين تست الخلق بمقدارك وكنتمهم بمعيارك وفضلت نفسك على الجميع اذ لا سبيل لانكارك ان صم الا انك تخيل ان يرزق أحد ما لم ترزق أو ينقص من المعرفة ما لم تنقص فاذا تقرر هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما طلع عليه لا يغيب عنه في حال من أحواله وهذا موجود في كثر اهتمامه بشئ وثبت في قلبه حاله انه اذا نام واشغل لم يفقد في شغله ونومه كما لا يفقد في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولي الممكن في رتبة الصديق مقيمة مخلوقا حيا كان أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدره وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم ادام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهورا نوارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل ففى الولي عن غيره ومصار لم ير سواء ومعنى ذلك ان لا يتميز بالذكري في سر القلب وحين المعرفة ولا بالادراك في ظاهر الحس دون

فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث (٤٠٠) وأما الاول وهو النفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين

وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لافاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً والى الله رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق

ما كان موجبا له وصار عنه فاني يبعد هذا على من أصحبه الله توفيقه وفخه منه بوجه وطريقه وعلى هذا جاء المثل في الاحياء برؤية من يرى انسانيات الانسان المرتضى لاشك ذواجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك الا واحدا ولا يخاطر ببالك شيء من اجزائه من حيث ان اجزاء الانسان الظاهرة لا تحرك لها ولا سكوت ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر الا بمعنى ما كان انسانا من أجله وهو الركب للعبد المستولي على سائر الاجزاء المصدق بقدره الله تعالى للأعضاء الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى وقد يعبر عنه بالنفس فاذا رأى اليد من الانسان مثلا لم يرها من حيث انها لحم وعصب وعضل وغير ذلك من مجموع اشخاص الجواهر وانما يراها من حيث ما ظهر عليها من آثار صفاته التي هي القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف فلها لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهودا ترها في الاعضاء والجواهر فظهر صحة رؤية الرائي الانسان واحدا وهو ذواجزاء كثيرة ومثل هذا يعتزل داخلين على الملوك والمجبن مع من شغفواي بحبه من المخوفين والامثال غير هذا كثيرة من هذا المعنى وارجوا لا يحتاج اليها مع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الامنه ولا نور الامن عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم اه ما ذكره المصنف في الرد على المعترض وقد حذف منه فصولا كثيرة مما لا يتعلق لها بما نحن فيه ولنعد الى شرح كلام المصنف بعون الله وتوفيقه (فان قلت لا بد لهذا من شرح) وبيان (بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع) الذي هو منتهى المراتب (فلا يجوز الخوض في بيانه) لانه من جهة علوم المكاشفة (وليس التوكل) الذي نحن فيه (مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده) وشدة عقده وحراسته (بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في) الكتب المصنفة في علم (الكلام وذكري في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل) دون الثاني (اذ يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل) اذا الاعتقاد علم والاحوال انما هي ثمرات الاعمال (فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله) انك اذا علمت ان الله تعالى واحدا لا شريك له وانه قائم بنفسه مقيم لغيره وانه متولى أمورهم وكافهم وحسيبهم علمت سعة حكمته وعلمه وكمال قدرته فتستفيد من هذا (أن ينكشف لك) ان الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأمره (وان لافاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم) من كل حركات العالم وسكاته (فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل) وحده (لا شريك له فيه) وهو المتوحد بخلق ذلك كله (واذا انكشف لك هذا) رأيت النواصي يلهي يلقبها كيف شاء وحينئذ (لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً والى الله رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة في ملكوت السموات والارض) وحينئذ ينكشف لك تحقيق قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على اعلى الله رزقها وكذلك قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وحينئذ تتحقق ان بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت فيستد ترجع اليه ويعتمد قلبك عليه فترداد نور ابوجهل واهتمامك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيشرق في قلبك بهديته ما أشرق في قلوب أنبيائه (واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق الى الجادات الى الحيوانات والثاني) الالتفات (الى الجادات أما الالتفات الى الجادات على المطرفي خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغسيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء

السفينة وسيرها) وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مستغيثين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفت العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفت من أخذ العجز حقيقته فكتب الملك توقيعا بالاعفوع عنه وتخليته فاحذبت غلبه كذا الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت في نجاته من القتل (١٠١) محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب (بل ربما يدعوه فرح النجاة وشكر الملك المرفع من ان يحظر به القلم والحبر والدواء فالشمر والقمر والنجوم والمطر والغيم) والريح (والارض وكل حيوان وجاد مسخران في قبضة القدرة كتنخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما اذميت اذميت واكن الله رمي) وهما مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وابيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) وسأت من اغوائه (فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) يقول ايضا (هذا الشخص هو الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخته يقول ايضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلظ الضعفاء في ذلك كغلظ النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلظت وظنت ان القلم

السفينة وسيرها) في البحر (وهذا) كله (شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى) فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مستغيثين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه (أي معنى قوله يشركون) (انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا) فينسبون النجاة الى استواء الريح واعتد لها فهذا شركهم وقال صاحب القوت وقد روينا في تفسير هذه الآية قالوا كان الملاح فارها دمه في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لا نبايح السكب وزفاد الديك لاخذنا السرقة (ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه لا يتحرك بنفسه) وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل) اذ الحركة من امارات الحدوث والبارئ تعالى منز عن ذلك (فالتفت العبد في النجاة) من شدة البحر (الى) استواء (الريح يضاهي التفت من أخذ العجز) أي تقطع (وقبته) لامرنا (فكتب الملك توقيعا) أي كاغدا يكتب (في) بالاعفوع عنه وتخليته (عن القتل) فاحذبت غلبه كذا الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع (الذي كور) ويقول لولا القلم لما تخلصت من القتل (فيري نجاته من القلم لان محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو الاصل (بل ربما يدعوه فرح النجاة وشكر الملك المرفع من ان يحظر به القلم والحبر والدواء فالشمر والقمر والنجوم والمطر والغيم) والريح (والارض وكل حيوان وجاد مسخران في قبضة القدرة) مقهورة تحت الاسر (كنسخير الزلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء (بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك ان الملك الموقع) على الرقعة (هو كاتب التوقيع والحق) عند أهل الحق (ان الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما اذميت اذميت واكن الله رمي) وهما مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وابيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) وسأت من اغوائه (فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) يقول ايضا (هذا الشخص هو الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخته يقول ايضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلظ الضعفاء في ذلك كغلظ النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلظت وظنت ان القلم

علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب (بل ربما يدعوه فرح النجاة وشكر الملك المرفع من ان يحظر به القلم والحبر والدواء فالشمر والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجاد مسخران في قبضة القدرة كتنخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما اذميت اذميت واكن الله رمي) وهما مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وابيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) فأتك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار

(٥١ - (الحاف السادة المتقين) - ناسع) الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلظ الضعفاء في ذلك كغلظ النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلظت وظنت أن القلم

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا ووراء الكل فوق في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها والله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون واستأعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار شريك (٤٠٣) فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أريد به سمع يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو

عربي ولا يجمي فان قلت هذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وقدرت وكيف شهدت على نفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك لا يحد ولا ينتهي فانما كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انما تتناجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لوم بل صدور الاحراق قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجي بحفياها فنأدي بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليلا ولا بكم كثيرا رواه أحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتم من عن افشاء السر القدر) قال العراقي وام ابن عدى وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما) ببعض الاسرار (وقد تقدم فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهي (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذي كافيه هو حركة القلم ومناجاة يذ كر قدرنا يسيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفنا وأصواتنا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أي بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله صدره) ولم ينفسح (قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا) وفي نسخة قهारा (وراء الكل فوق في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها والله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون) وهم أهل الحجاب (ولست أعني بالسبع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار) وهو أبلد الحيوانات (شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أريد به سمع) باطنا (يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا يجمي فان قلت هذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وقدرت وكيف شهدت على أنفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينتهي فانما كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له) (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قيل ان تنفذ كلمات ربي الآية ثم انما تتناجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لوم) أي يدل على لوم الطبيعة (بل صدور الاحراق قبور الاسرار) كفي الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجي بحفياها فنأدي بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليلا ولا بكم كثيرا) رواه أحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتم من عن افشاء السر القدر) قال العراقي وام ابن عدى وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما) ببعض الاسرار (وقد تقدم فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهي (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذي كافيه هو حركة القلم ومناجاة يذ كر قدرنا يسيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفنا وأصواتنا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أي بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

ولما منى عن افشاء السر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات مانعان أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكن في المثال الذي كافيه هو حركة القلم تحكي من مناجاة قدرنا يسيرا يفهم به على الاجال كيفية ابتناء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفنا وأصواتنا ولكن هي ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ماسودت وجهي بنفسي
ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمه وعدوانا فقال صدقت فقال
الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا كذا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من
وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه
وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا (٤٠٣) على شط الانهار متزهبا بين خضرة الاشجار

لخاءتني اليد بسكين
فتحت عني قشري ومزقت
عن ثيابي واقتلعتني من
أصلي وفصلت بين أنابيبي
ثم بزني وشقت رأسي ثم
غمستني في سواد الخبر
ومرارتني وهي تستخدمني
وتعشني على قشر رأسي
ولقد نثرت الملح على جرحي
بسؤالك وعتابك فتخ
عني وسل من قهري فقال
صدقت ثم سألت اليد
عن ظلمها وعدوانها
على القلم واشتداهمالة
فقالت اليد ما أنا اللحم
وعظم ودم وهل رأيت
لحما يظلم أو جسم يتحرك
بنفسه أما مركب مسخر
ركبني فارس يقال له
القدرة والعزة فهي
التي ترددني وتجول بي في
نواحي الارض أما ترى
المدر والحجر والشجر لا
يتعدى شيء منها مكانه
ولا يتحرك بنفسه اذ لم
يركبه مثل هذا الفارس
القوي القاهر أما ترى

أبيض مشرقا) أي منبرا (والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد
ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ماسودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي
مستقره ووطنه) ومحل اقامته (فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلمه وعدوانا) فهذا السواد الذي
تراهمه (فقال) الناظر للكاغد (صدقت فقال الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا
كذا عازما على ان لا أبرح عنها) أي لا أزول عنها (فاعتدى على القلم بطمعه) وفي نسخة بطمعه (الفاسد)
فاخذني (واختطفني من وطني) ومستقرى (وأجلاني عن بلادي) أي أبعدي عنها (وفرقت جعي وبددني كما
تري على ساحة بيضاء) يعني على صفحة الكاغد (فالسؤال) يتوجه (عليه لا على فقال) الناظر (صدقت ثم سألت
القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا على
شط الانهار متزهبا بين خضرة الاشجار) ممثلا لاطر باعند نسائم الاشجار (لخاءتني اليد بسكين) حاد (فتحت عني
قشري) أي ازاله (ومزقت عني ثيابي) هي تلك القشور التي عليه بمنزلة الثياب (واقتلعتني من أصلي وفصلت بين
أنابيبي) جمع انبوب بالضم وهو ما بين السكعين من القصب والقنا (ثم بزني وشقت رأسي وغمستني في سواد الخبر
ومرارتني) كانوا يدخلون في تركيبه شيئا من الثلاث تقع عليه الذباب ولا تقطعه الا رضة (وهوذا يستخدمني ويعشني
على قشر رأسي) وقلة كل شيء أعلاه (ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك) وهو كناية عن شدة الألم (فتخ
عني وسل من قهري فقال صدقت ثم) التفت (سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم) واقتطاعها اياه عن
منبتة ووضع أصله وجعه (واستخدامها) كيف نشاء (فقال اليد ما أنا اللحم وعظم ودم) ركبت بالعروق
والاعصاب (وهل رأيت لحما يظلم) أو يعتدى (أو جسم يتحرك بنفسه) من غير محرك له (وأما مركب
مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والشجر
والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه) الذي أقيم فيه (ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر
أما ترى أيدي الموتي تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث
لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة
عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها في نواحي الارض (فقال تدع عنك لومي) فان
الوم اغراء (و) دع (ومعاتبتي) فالتعب ازراء (فكم من لائم) غيره هو (ما لم) في نفسه أو المراد كم من لائم
غير ملئم (وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد
كنت راكبة اياها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي
اني ميتة أو معدومة) نظر الى ظاهر سكوني (لإني ما كنت أتحرك ولا أتحرك حتى جاءني موكل أرغبني وأرهبني
الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه
الا باسمه وهو موصياله) وبطشه (اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة) أي سعة

أيدي الموتي تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث
شأنني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقال تدع عنك لومي
ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها ر كنت لهارة كبة قبل
التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي اني ميتة أو معدومة لاني ما كنت أتتحرك ولا أتحرك حتى
جاءني موكل أرغبني وأرهبني الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه إلا
باسمه وهو موصياله اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة

عنه لو خلا في وراعي فقال صدقت ثم سأله ارادته الذي جرك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه
 ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصفاً قالت الارادة لا تجعل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم فاني ما انتهت بنفسى ولكن أنقضت وما انبعثت
 ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص
 للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باى جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري
 انى فى دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر الزمت طاعته الزما بل لا يبقى لى
 معهم ما حزم حكمه طاعة على المخالفة (٤٠٤) لعمري ما دام هو فى التردد مع نفسه را تحبى فى حكمه فاناسا كنهه لكن مع استنصار

وانتظار لحكمه فاذا
 انجزم حكمه أزعجت
 بطبع وقهر تحت طاعته
 وأشخصت القدرة لتقوم
 بموجب حكمه فسل العلم
 عن شأني ودع عني عتابك
 فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم
 وقد قدروا
 ان لا تدارقهم فالراحلون
 هم فقال صدقت واقبل
 على العلم والعقل والقلب
 مطالباً لهم ومعاتباً ايهاهم
 على استنراض الارادة
 وتسخيرها لاشخاص
 القدرة فقال العقل أما
 أنا فسرّاج ما شئت غفلت
 بنفسى وأكن أشعلت
 وقال القلب أما أنا فلوح
 ما انبسطت بنفسى ولكنى
 بسطت وقال العلم أما
 أنا فنقش نقشت في
 بياض لوح القلب لما
 أشرق سراج العقل وما
 انحططت بنفسى فكلم
 كان هذا اللوح قبل خال
 عني فسلم العلم عني لان
 الخط لا يكرن الا بالعلم

(عنه لو خلا في وراعي) و شأني (فقال صدقت ثم سأله ارادته ما الذي جرك على هذه القدرة
 الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصفاً قالت الارادة
 لا تجعل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم) وهو مضراع بيت من غير فاعل (فاني ما انتهت بنفسى ولكنى
 انتهت وما انبعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من
 حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني اذا مسكينة مسخرة
 تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باى جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري انى كنت فى دعة
 أى راحة (وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر
 وألزمت طاعته الزما بل لا يبقى لى معهم ما حزم حكمه طاعة على المخالفة لعمري ما دام هو فى التردد على نفسه
 والتجبر فى حكمه فاناسا كن لكن مع استنصار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت
 طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا أفرقهم فالراحلون هم)

وفى نسخة ان لا تدارقهم (فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً ايهاهم ومعاتباً ايهاهم على استنراض
 الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما أنا فسرّاج ما شئت غفلت بنفسى ولكنى أشعلت وقال القلب
 اما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكنى بسطت وقال العلم اما أنا كنهش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق
 سراج العقل وما انحططت بنفسى فكلم كان هذا اللوح خالياً عني فسل العلم) عني (فان الخط لا يكون الا بالعلم
 فعند هذا تتعتم السائل) أى اضرب (ولم يقنه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلتى ولا
 يزال يجلى من طمعت به في معرفته هذا الامر على غيره ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع
 كلاماً مقبولاً في الفؤاد وعذرا طاهر فى دفع السؤال فاما قولك) أيها العلم (اننى خط ونقش وانما خطى فلم
 فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب ولا لولا الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من
 النار وانى لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيئاً أسمع جميعه ولا أرى
 طمحناً) وهو مثل مشهور يضرب للعبان يوعده ولا يوقع ولا يخيل بعد ولا ينجز ولن يكسر الكلام ولا يعمل
 والجميع صوت الرحي والطمحن بالكسر اسم بمعنى المطعون (فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاءت
 مناجاة) تدفع بها الايام اقاتها (وزادك قليل ومركبك ضعيف هزيل والله لاك في الطريق الذى توجهت
 اليه كثير فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عمنه) واصل المثل لبس بعشك
 قادر جى (وكل ميسر لا خلق له) كفاي الخبر (وان كنت راغباً فى استتمام الطريق الى المقصد العالى) قالنى

فعند ذلك تتعتم السائل ولم يقنه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلتى ولا يزال يجلى من طمعت به في معرفة
 هذا الامر منه على غير ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في الفؤاد وعذرا طاهر فى دفع السؤال فاما
 قولك اننى خط ونقش وانما خطى فلم فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب ولا لولا الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا
 الا من النار وانى لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه ذلك شيئاً أسمع جميعه ولا أرى طمحناً فقال له العلم ان
 صدقت فيما قلت فبضاءت مناجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان الممالك في الطريق انى توجهت اليها كثيرة فالصواب لك ان
 تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عمنه فكل ميسر لا خلق له وان كنت راغباً فى استتمام الطريق الى المقصد فالتى

سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها أولعده كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفجر والجبال الشاهقة والبحار المغرقه ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت (١٠٥) ولقد قطعت منها ثلاث منازل في

أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منها واما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيئا يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيننا لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمعك وأنت شهيد) أي شاهد بقلبك (واعلم ان العوالم في طريقك هذه ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها) وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية والملك بالضم التصرف بالامر والنهي في الجمهور والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات وسعى عالم الشهادة بالاضافة الى الملكوت الذي هو عالم الغيب (ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت) وهو فعلوت من الملك وهو عالم الغيب المنص بارواح النفوس كما تقدم مرارا (وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفجر) جمع أفجع وهو الواسع (والجبال الشاهقة) أي المرتفعة (والبحار المغرقه) لتلاطم أمواجها (ولا أدري كيف تسلم فيها) واليه الاشارة بقول القائل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال دونهن ختوف

(والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت) وهو البرزخ المحبط بالآيات الحجة هذا هو قول الأكثرين وعند أبي طالب المكي عالم الجبروت عالم العظمة أي عالم الاسماء والصفات الالهية ويقرب منه قول من قال الجبروت هو حضرة الاسماء كان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها واسطة التصرف بين الاسماء والافعال كالطيف والقهر المنوس ما بين اللطيف والمظوف والقهار والمقهور وقال بعضهم عالم الملك هو الظاهر المحسوس وعالم الملكوت هو الباطن في القول وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما لا يحد بطرف من كل منهما ما ذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو المدرك بالحواس وعالم الجبروت هو المدرك بالماوراء وقال بعضهم كل عالم اتفق أهله على كلفه فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم العلوي وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم وعالم الجبروت باعتبار الانوار التي تهب عليهم لتقي بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بهامقاماتهم فلكل انوار كما في فلقه جميع ما سبق من أحوالهم وقال القاشاني عالم الارض وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الارواح والروحانيات لانها وجدت بامر الحق بلا واسطة مادة ومدة (ولقد قطعت منها ثلاث منازل اذني أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت) آخذ بطرف من كل منهما (لان عالم الملك أسهل منه) أي من عالم الجبروت (طريقا) لتعلمها بظاهر المحسوس (وعالم الملكوت أوعر منه) أي من عالم الجبروت (منهاجا) أي مسلكا (واما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء وتلاعبه) ولا هو في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي) من ملازمة كدورات الارض وهكذا شأن مياه القدرة فانها صافية أبدا (وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيئا يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيننا لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيننا لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة

قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع (٤٠٦) بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف

بالقلم اذ أنزل عليه قرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوائده ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلم الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبهه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظام ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره راج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فإنا أراك الانحشابين خولة التنزيه وأتونة التشبيه مذبذابين هذا وذا لا اله الا هو لا تشبه ذاته فكيف ترهت ذاته وصفاته تعالى عن

استدل به على سلكه هذا الطريق (قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى) أى اصرفه الى (فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه قرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وهو أول ما نزل من القرآن بمكة كإبراهيم مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبي موسى والبيهقي عن عائشة وقال مجاهد أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم كإبراهيم عبد بن جبر ورواه ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير مثله (فقال السالك قد فتحت بصري وحدقته فوائده ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلم الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة) يقال نجح القوم واتبعوا اذا ذهبوا اطلب السكالا في موضعه ثم كثرا استعماله في كل طلب والاسم النجعة بالضم (أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبهه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يجسم ولا هو في مكان) تعالى الله عن ذلك (بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظام ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره راج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فإنا أراك الانحشابين خولة التنزيه وأتونة التشبيه مذبذابين هذا وذا لا اله الا هو لا تشبه ذاته فكيف ترهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها وزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تنوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه ان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق آدم على صورته (رواه أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة بلقفا خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر الحديث وفي آخره فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينعص بعد حتى الآن وهو عند البخاري وحده في كتاب الاستئذان بلقفا المصنف وعند مسلم وحده اذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته وعند الطبراني على صورة وجهه وعند الدارقطني فان وجه الانسان على صورة الرحمن وقد تقدم في قواعد العقائد (الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا) فقد أثبت له ما هو من أوصاف الاجسام (كما يقال) في الاقوال السائرة (كن يهوديا صرفا) أى خالعا (والا فلا تلعب بالثوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا خلا) فالتنزيه من أوصاف الفعولية والتشبيه من أوصاف الاثنية وعلى هذا فالمنزّه خال من المشبه مؤثّر وهذا الذي ساقه المصنف هو على ظواهر قواعد الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان هو الجمع بين التنزيه والتشبيه وقد أشار الى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفصوص وقد طعن عليه علماء الرسوم طعنا كيا ومنشؤه عدم الفهم ونحن نسوق كلامه قال في فص فوح عليه السلام اعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق في الجانب الالهى عين التعديد والنقيض فالمنزّه اما جاهل واما صاحب سوء أدب ولكن اذا أطلقوا وقالوا به فالقاتل بالشرائع المؤمن اذا ترهه ووقف عند التنزيه ولم يرغب ذلك فقد أساء الادب وأكذب الحق والرسول عليهم السلام وهو لا يشعر ويخيل انه في الحاصل وهو في الفات وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولا سيما وقد علم ان السنة الشرائع الالهية اذا انطقت في الحق بما انطقت به انما جاءت به في العموم على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ باى لسان كان في وضع ذلك اللسان فان للعق في كل خلق ظهورا خاصا فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم الاعن فهم من

قال الاجسام وصفاتها وزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تنوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا ولا تلعب بالثوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا خلا

قال ان العالم صورته وهو بته وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن ف نسبت له لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ في حد الانسان مثلاً باطنه و ظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صورته فكذلك يحهل حد الله تعالى فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فالحق محال وكذلك من شبهه ومن تزده فقد قديمه وحده وماعرفه ومن جع في معرفته بين التنزيه والتشبيه وصفه بالوصفين فقد عرفه على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بمافي العالم من الصور فقد عرفه مجمل لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفته الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه عرف ربه ثم قال

فان قلت بالتنزيه كنت مقيداً * وان قلت بالتشبيه كنت محمداً

وان قلت بالامر بن كنت مسدداً * وكنت اماما في المعارف مسدداً

فمن قال بالاشفاق كان مشركاً * ومن قال بالافراد كان موحداً

واياك والتشبيه ان كنت ثانياً * واياك والتنزيه ان كنت مفرداً

قال الله تعالى ليس كمثله شئ فتزده وهو السميع البصير فشبهه قال الله تعالى ليس كمثله شئ فشبهه وثني وهو السميع البصير فتزده وأفراد انتهى نصه مع اختصار وتقر بهذا الكلام من وجهين * الوجه الاول فاعلم ان الانبياء عليهم السلام تزدهم الحق تعالى وبالغوا فيه ومع هذا فقد بلغوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كلمات تدل على التشبيه فالتنزيه واراد عنهم والتشبيه أيضا صادر عنهم فوجب الجمع بينهما فان قيل ان أولنا أو توقفنا أو أحدهم لم ذلك على الله تعالى مع الجرم بانه منزّه عن شائبة الامكان ارتفع التشبيه مطلقا ولم يبق منه أثر وبقي التنزيه المجرد الذي ليس فيه رائحة من التشبيه فكيف يجب الجمع بينهما وان لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم اليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لان التنزيه ينفي التشبيه والتشبيه يرفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفي في أمر واحد من وجه واحد محال * والجواب عنه في مقامين المقام الاول لما كانت هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الانبياء عليهم السلام من غير شك وجب علينا الايمان بها سواء أولنا أم توقفنا ونحن نغني بالتشبيه مجرد الايمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحا مجردا فان تلك الالفاظ تدل على التشبيه بلاشك غاية ما في الباب اننا ما نؤول أو نتوقف ونكل علمها الى الله تعالى وهذا لا ينافي التشبيه بهذا المعنى المقام الثاني ان أهل السنة أثبتوا الصفات الزائدة بقياس الغائب على الشاهد فهي معان مشتركة بيننا وبين الله تعالى وهذا القدر من التشبيه واف كاف ولهذا سميت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا بواسطة قياس الغائب على الشاهد الذي هو عين التشبيه وهذا المقام أقوى وأظهر من الاول لان فيه التشبيه واضح بغير شبهة وكما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير * الوجه الثاني اعلم ان الذات كما تقر عندهم مبدؤ جميع الاحكام والاثار ولها وجه العينية بالنسبة الى الاشياء ولها أيضا وجه الغيرية بوجه العينية تشبيه وجه الغيرية بتنزيه وفي الواقع انه عين من وجه وغير من وجه لا جرم كان التنزيه فقط تحديدا وتقييدا والتشبيه فقط أيضا تحديدا وتقييدا وكلا الطرفين افراط وتفریط وكلا الاعتدال هو ان نسبة الذات من حيث هي تنزيه ومن حيث العينية تشبيه بحيث لا يكون هذا مانعا من ذلك ولا ذلك مانعا من هذا فاذا المنزه الصرف ان علم هذا المعنى أولم يعلم وجرد التنزيه عن التشبيه فهو قليل الادب والتشبيه الصرف الخالي عن التنزيه كفر وضلال فالتنزيه من حيث الذات المنزه عن الكيف والتشبيه من حيث المعية والمقارنة ومبدئية لساير الاحكام وقال قدس سره في هذا الفصل أيضا لو أن نوحا عليه السلام جمع في دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جمع محمد صلى الله عليه وسلم في آية ليس كمثله شئ لقبلا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانه شبه ونزه في آية بل في نصف آية على تقدير أن تكون الكافي غير زائدة فثبت ان المثل تشبيه وفي مثل المثل تنزيه فإدعاء محمد صلى الله عليه وسلم قومه ليل ونهار بل دعاهم ليل في نهار ونهار في ليل يعني شبهه في تنزيه ونزه في تشبيه اهـ ويوضحه ما قاله الفخر الرازي

واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى انا ربك فلما سمع السالك (٤٠٨) من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة

غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان في نسبة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسسه نارا فلما نفخ فيه العلم بجودته اشتعل زينة فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهى فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كما هم أصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فضضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجراه الله تعالى عن خبر اذا لآن ظهر لي صدق أنبيائه عن أوصاف القلم فاني أراه قلمالا كالأقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات

في كتابه تأسيس التقديس وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثل شيء ودلالته على التنزيه ضعيفة اه وكان مراده بصف الدلالة تعظيمه به والسبب البصير مع وجود الكف لان المعنى مع وجوده ليس مثل مثله شيء وأما قول الشيخ قدس سره في قوله تعالى انى دعوت قومي ليلابوا نارا يعنى ايسل التنزيه فتمار التشبيه فهو من باب الاشارة لا من باب العبارة والتفسير اذا التنزيه نفي المعادلة والمساواة وهو أمر سلبى عدى فلا يدرك من الذات المتزهة لا السلب وأما هي في حد ذاتها فلم تدرك كمان القلم عبارة عن الليل لان امر عدى ولا يصرف فيها شيء فهو عدم الادراك فالليل يناسب التنزيه والتمار عبارة عن النور والنور أمر وجودى وهو يدرك ويدرك بواسطة الاشياء أيضا والتشبيه اثبات صفات وجودية حقيقة مثل السمع والبصر والكلام والبدن وغيرها والصفات الوجودية لها ظهور فالتمار يناسب النور وقس قوله في قوله تعالى انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسرار ان الاعلان تشبيه والأسرار تنزيه والدعوة قد تكون الى التنزيه فقط وقد تكون الى التشبيه فقط والكلم في الجمع بينهما حاول التنزيه فقط مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما توله المجسمة وهو كفر والثاني محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات النبوية له وهذا التشبيه أيضا مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما وهذه المرتبة من خواص أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم ذلك بتدبر ولا تجمل بالانكار والله أعلم ولنعنى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى (واطو الطريق) الطى خلاف التنزيه يقال طوى به طيا فانطوى وطى الطريق قطع المسافة فيه بسرعة (فانك بالواد المقدس طوى) عطف بيان للوادى وهو اسم بقعة بالقرب من جبل الطور (واستمع بسر قلبك لما يوحى) أى لما يلقى اليك وحيا وأوالها ما أوحى فى الروح (فلعلك تجد على النار) المتوقدة في شجرة خضراء (عدى) أى هاديا يبدلك على طريق سلوكك الى مولائك (ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى) عليه السلام (انى انا ربك الاعلى) وذلك من جميع جهاتك وجميع أعضائك (فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه) لم يكمل في أحد المقامين فضلا عن الجمع بينهما (فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زينه الذى في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسسه نارا فلما نفخ فيه العلم بجودته) مسسته النار و (اشتعل زينه فاصبح نورا على نور) الذى كان فيه (فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار) التى اوقدت في شجرة قلبك (هدى فانفتح بصره وانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كما هم أصناف العلوم) وأنواع المعارف والفهوم (وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فضضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجراه الله تعالى عن خبر اذا لآن ظهر لي صدق أنبيائه عن أوصاف القلم فاني أراه قلمالا كالأقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات

الى أشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالت على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال غسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني نبضته وهو الذى

برددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهسي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فن عمن الملك فقال القلم
 أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى
 شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه (٤٠٩) بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر

عشر وصفه والجله فيه
 انه عمن لا كالأيمان ويد
 لا كالأيدي وأصبع لا
 كالأصابع فرأى القلم
 محركا في قبضته فظهر له
 عند القلم فسأل اليمين
 عن شأنه وتحرريك للقلم
 فقال جوابي مثل ما سمعته
 من اليمين التي بدأتني
 عالم الشهادة وهي الحوالة
 على القدرة ذاليد لا حكم
 لها في نفسها وانما تحرركها
 القدرة لا محالة فاسافر
 السالك الى عالم القدرة
 ورأى فيمن العجائب
 ما استعجز عنه ما قبله
 وسألها عن تحرريك
 اليمين فقالت انما أنا
 صفة فاسأل القادر
 العمد على الموصوفات
 لا على الصلوات وعند هذا
 كاد أن يزيغ ويطلق
 بالجرأة لسان السؤال
 فثبت بالقول الثابت
 ونودي من وراء حجاب
 سرادقات الحضرة لا يستل
 عما يفعل وهم يستلون
 فغشيت هبة الحضرة فخر
 صغقا يضطرب في غشيت
 فلما أفاق قال سبحانك
 ما أعظم شأنك تبت اليك
 وتوكلت عليك وآمنت

برددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق (اذا بين القلم الالهسي و) بين (قلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في
 ظاهر الصورة فقال فن عمن الملك فقال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال
 والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه
 ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه
 واذا جاز وصف شيء منها لم تحتمله العقول لتصورها عن فهمها (والجله فيه انه عمن لا كالأيمان ويد لا كالأيدي
 وأصبع لا كالأصابع) هذا هو مذهب السلف من أكابر المحدثين والفقهاء والمتكلمين قالوا ان اليمين والاستواء
 والوجه واليمين والجنب والقدم وأمثالها كلها صفات حقيقية قائمة بذات الحق جل جلاله كما يقول به سائر أهل
 السنة في الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام من انها صفات حقيقية وقائمة بذات الحق
 تعالى ومع هذا يقولون ان سمعه لا كسمعنا وبصره لا كبصرنا وكلامه لا ككلامنا وقال الامام أحدان يديه
 ليست كيدي بنا ولكن له يدان هما صفاتان حقيقتان وكذا قال في الوجه وافقهم الامام أبو الحسن الاشعري في
 هذا المعنى لكنه في بعضه ادون جميع المنشآت وقد تقدم التفصيل في ذلك في شرح قواعد العقائد (فرأى
 القلم محركا في قبضته فظهر له عند القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحرريك للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين
 التي رأيتها في عالم الشهادة) والملك (وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما تحرركها القدرة
 لا محالة فاسافر) السالك (الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استعجز عنه ما) رأى (قبله وسألها عن
 تحرريك اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العمد على الموصوفات لا على الصفات) فان الموصوفات هي
 التي قامت بها تلك الصفات (وعنده هذا كاد) السالك (أن يزيغ) أي يميل (ويطلق بالجرأة لسان السؤال)
 فادركته العناية الالهية (ثبت بالقول الثابت) في قلبه (ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة) الربانية
 (لا يستل عما يفعل وهم يستلون فغشيت هبة الحضرة) فلم يستطع القيام معها (فخر صغقا) مندهشا
 (يضطرب في غشيت تلك مدة) كما جرى ذلك لوسى عليه السلام حين - ألقى الرؤبة (فلما أفاق) من غشيت (قال
 سبحانك ما أعظم شأنك) وأجل سلطانك (تبت اليك) أي رجعت عما كنت عازما عليه في السؤال عن مثل هذه
 الحقائق (وتوكلت عليك) فلا يتم مقام التوكل الا بعد ملاحظة عظمة شأنه وألوهيته والانصراف اليه بكنيته
 (وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك
 وبرضاك من سخطك) أشار بالأول الى المقام الموسوي اذ قال عقب افاقته سبحانك تبت اليك وبالثاني الى المقام
 الحمدي اذ قال أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك (ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتل بين
 يدك فأقول) رب (اشرح لي صدري لأعرفك) كما ينبغي أن تعرف فالنور اذ ادخل الصدر انشرح له وانفتح
 فانكشف له أسرار المعرفة (واحلل عقدة من لساني) أي رقة تمنع عن كمال الافصاح والافهام (لا تثنى عليك)
 بما أنت أهله وهذا أيضا إشارة الى المقام الموسوي (فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء) أي في
 الوصول الى غاية (وترى يد علي سيد الانبياء) محمد صلى الله عليه وسلم (بل ارجع اليه) واقتدبه (فما آتاك
 نغذه وما نهالك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وما قاله
 فقله) فبايغ أحد مقام ما باغ هو وليس لغيره الا اتباعه كفي الخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (فانه)
 لم لاحظ المعنى الجامع لصفات الألوهية كاد أن يحصل له الدهش والتعجب فادركته المنع حتى تحقق في تحجيره ولذلك

(٥٢ - اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا
 أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتل بين يدك فأقول اشرح لي صدري
 لأعرفك واحلل عقدة من لساني لا تثنى عليك فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء وترى يد علي سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك نغذه
 وما نهالك عنه فانتع عنه وما قاله لك فقله فانه

ما زاد في هذه الحاضرة على أن قال سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال الهى ان لم يكن للسان جراحة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودى اياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتديه فان أصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول (١٠) العجز عن درك الادراك فيكفيل نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن

حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا فاعد جبالنا فاعد هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والعلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدهما قبلوا عذرى فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهل الات قد عني صغ عذرك وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت والواحد القهار فأنتم الامسحرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلماذا كرك ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقبل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سائر السائر

(ما زاد في هذه الحاضرة على ان قال سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فهو المثنى على نفسه وهو المثنى عليه ازلوا بدوا جميع المحامد راجعة اليه (فقال) السالك (الهى ان لم تكن للسان جراحة في الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك) أى في منتهى درجاتها (فنودى اياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر) رضى الله عنه (فاقتديه) واسلك سبيله (فان أصحاب سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كالنجوم) المشرقة في السماء (بايهم) أيها المسافرون في سلوك طريق الحق (اقتديتم اهتديتم) الى من اليه السلوك ينشأ الى ما رواه عبد بن جريد من حديث ابن عمر أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ورواه غيره من حديث أبي هريرة وأسانيده ضعيفة وقال أحمد لا يصح وقال البرز مسكر وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد رويناه في حديث موصول باسناد غير قوي في حديث آخر منقطع قال والحديث الصحيح يؤدى بهض معناه وهو حديث أبي موسى المرفوع النجوم أممة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يودعون وأصحابي امنة لامنى فاذا ذهبت أتى أمي ما يودعون (أما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيل نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا فاعد جبالنا) قال المصنف في المقصد الاسنى فان قلت فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فاقول نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشفافره انيا فقد عرفوه أى بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق الاكبر حيث قال العجز عن درك الادراك بل هو الذي عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه ان لا أحيط بمحامد وصفات الهيئته وانما أنت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط بخلق من ملاحظة حقيقة ذاته الابدية والدة الشدة واما اتساع المعرفة فانما يكون في معرفة أسمائه وصفاته (فمن هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والعلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدهما قبلوا عذرى فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد) في الكلام السائر (اسلك داخل دهشة) ونعامة قلعوه بمرحبا (فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهل) منى (والآن قد صغ عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فأنتم الامسحرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلماذا كرك ذلك في عالم الشهادة) الذي هو أول عوالم السير (استبعد منه ذلك وقبل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سائر السائر ين اليه فانهم لا زالون مترقين من منزل الى منزل (ومن مقام الى مقام) الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحاضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبيين لادراكه بالحواس الخمس ظاهرا بالاضافة الى من يطالبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت) قال المصنف في المقصد الاسنى اعلم أن الاول يكون أولا بالاضافة الى شئ وان الاخر يكون آخر بالاضافة الى شئ وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشئ الواحد من وجه بالاضافة الى شئ واحد أولا وآخر جميعا بل اذا نظرت الى ترتيب الوجود ولاخفات ساسله الموجودات المترتبة فالتة تعالى بالاضافة اليها أول اذا الموجودات كلها استفادت الوجود منه

واما الى فانهم لا زالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحاضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبيين لادراكه بالحواس الخمس ظاهرا بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت

وأما هو فهو جود بذاته وما استفاد الوجود من غيره ومهم ما نظرت الى ترتيب السلوك ولا حظت مراتب السائر
اليه فهو آخر اذ هو آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته
والمزلة الاقصى هي معرفة الله سبحانه فهو آخر بالاضافة الى السلوك اليه أول بالاضافة الى الوجود فنه المبدأ أولا
واليه المرجع والمصير آخر وأما الظاهر والباطن فهما أيضا من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه
وباطنا من وجه آخر ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجه وبالاضافة الى
ادراكه وباطنا من وجهه وبالاضافة الى ادراكه فان الظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات والله
سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا ن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان
قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر وأما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فغامض
اذ الظاهر ما لا يتبارى فيه ولا يختلف الناس في ادراكه وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون
ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما جاوز من
حدده انعكس على ضده فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي
لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه ولا تخبين من هذا في صفات الله تعالى فان المعنى الذي به الانسان انسان
ظاهر باطن فانه ظاهرا ن استدلل عليه بافعاله المرتبة المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما
يتعلق بظاهر بشرته وليس الانسان انسا با بالبشرة المرتبة منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر اجزائه فهو هو
والاجزاء متبدلة ولعل اجزاء كل انسان بعد كبر سنه غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول
الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاعتداء وهو يته لم تبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل
بطريق الاستدلال عليها بانوارها وفعالها (فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من
انكشف له ان الفاعل واحد) وحيث انتهت بنا الكلام الى هنا فلنورد ما عترض على المصنف في هذا السياق
من أوله الى هنا قال المعتبر في جملة كلامه وكيف يتصور مخاطبة العقلاء للجمادات والجمادات للعقلاء وبماذا
تسمع تلك المخاطبة ابحاسة الاذن أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهي وما حد عالم الملك
وعالم الجبروت وعالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي
معتقد ها يكون مشبهاصرفا والصورة الباطنة التي يكون معتقدها منزها خلا وما معنى فاطو الطريق فانك
بالواد المقدس طوى ولعله يبعد ادواصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى أهل هل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع
ما يوحى من ليس بنبي اذ لك على طريق التعميم أم على طريق التخصيص ومن له بالتسليق الى مثل ذلك المقام
حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست بمنجورة على أحد الامن قعد عن سلوك تلك
الطريق وما يسمع في النداء اذا سمع هل اسم موسى أو اسم نفسه وما معنى الامر للسالك بالزجوع ونبيه
أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصلهم الى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة هو توحيد المقر بين وما معنى
انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرقيب الاعلى والى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي
يمنعه من البقاء في الذي وصل اليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في
غير الاحياء ولو ضلوا ما رجعو اما وصل من رجوع وقد أجاب المصنف عن هذه الاسئلة في الاملاء بما انصه اما خطاب
العقلاء للجمادات فغير مستنكر قديما نذب الناس الديار وسألوا الاطلاع واستخبروا والآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامهم كثيرا وفي الحديث اسكن حرافة فاعلم عليك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم سل الارض تخبر
عن شق أنهارها وغر مجارها وفتح أهواءها ورتق أجوافها وأرسل جبالها ان لم تحبك حوار الجابتك اعتبارا
وانما الذي يتوقف على الاذهان ويتغير في قبوله السامعون ويتعجب منه كلام الجمادات والحيوانات الصامتات
ففي هذا وقع الانكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذرو السمع من أهل الاعتبار واسكن لتعلم أن

فهكذا كان توحيد
السالكين لطريق
التوحيد في الفعل أعني
من انكشف له أن
الفاعل واحد

تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه في المشهور يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما يتلقى أهل
النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين في بعض الاوقات
كحنين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان بكفة حجر يسلم عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم في طريقه ومنها تلقى
الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود في خارج الحس ويعتري هذا في سائر الحواس كمثل ما يسمع
النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمرئي للنائم ليس له وجود في غير سمعه وأما ما يجده غير النائم
في اليقظة فمنها خاصة وعامة والعامة تشهد بصفة الخاصة كجاء في الحديث عن اليهود آخر الزمان الحجر ينادى
المسلم يا مسلم خلقي يهودى فاقته فان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا يذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر
من يتكلم عنه من يستتر عن الابصار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلامه يخلق الله تعالى في آذان
السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما قال في العرض الاكبر اذا نودي فيه باسم كل واحد على
الخصوص في الخلائق مثل المنادى اسمه به كثير وقد قالت العلماء انه لا يسمع النداء في ذلك الجمع الامن نودى
فيحتمل ان ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة اذنه ليحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا
يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت منه مقنع ومنها تلقى الكلام في العقل وهو المستفاد
بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير عن اللفظ المسمى بالسان الحال كما قال قيس

وأجهشت للتو بادحين رأيتهم * وكبر للرجن حين رأيت

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك في عيش وخفض جنات

فقال مضوا واستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدائن

وفي أمثال العوام قال الحافظ لا وتدل تشقني فقال الوندل الحافظ سل من يدقني فلو كانت العبارة يتأني منها ما عبرت
الابحاف استعير لها وعلى هذا المعنى حل كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والارض حين قالتا أيننا
طائعين وقوله عز وجل عن السموات والارض والجبال فأبين أن يحملننا وأشفقن منها ومنها تلقى الكلام
في الخيال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى نونس بن مقي عليه عباءة تان قطوانيتان يلبي وتجيبة الجبال
والله يقول لبيك يا نونس فقوله كأني يدل على انه تحلى حالة سمعت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لان نونس عليه
السلام قد مات وتلك الحالة منه قد سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود والخيال في البصر والوجود والخيال
في السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو أصواتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره
بما غاب عنه كقوله صلى الله عليه وسلم في صوت أبي موسى الأشعري وقد سمعه بترنم بالقرآن لقد أوتى من سارا من
مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وانما شبه صوته بمواوكة اذا سمع المرء بصوت مزامير وعود
لغناء على غير قصبة بخيل ممر بر أبواب الجنة وتشبهها بم الجاه صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فانت اذا
أحسن التصرف بين اثباتها ولم يعتكز غلط في بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عن نظر بمسكة نور الله
تعالى الى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له ما بال وجهك وكان أبيض مشرقا من نقا والآن قد ظهر عليه
السواد فلم سودت وجهك فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بشيء لكن سل الحبر
فانه كان مجموعا في المهبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي فلما وعدونا فقال
ما أنصفت فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعلم الفكر وحدد النظر وحل الكلام الى
أجزاء التي انتظم منها جلة ما بلغت فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب ان لم يعرف الناظر
الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما اذا صدق الناظر الكاغد ولم
صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيه ذلك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورد عليه الحس والمشكاة
استعارة نقلت من مشكاة الزجاج التي أعمرت بسراج النار الى حبر المعرفة الملقب بسر القلب تشبيها لانها
مسرجة الرب تعالى يشعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران

كتب المعارف المذهبة بأذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر
 لاجل التخصيص بالشرف والكاغد والخبر كناية عن أنفسهم لاعتبار غيرهما وجعلها مبداء طريقته وأول
 سلوكة اذهم ما في عالم الملك والشهادة الذي هو محل جملة الناظر في حال نظره واما سبب انه لم يعرف الكتابة ولا
 المكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وانما يروم معرفة قراءه الخطا الالهى الذى هو أبين وأدل
 على ما يفهم منه وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جواد فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغده فعلى
 قدر حال الناظر ان كاد مراد فيبقى الكلام في الحس بما ينبه على المطلوب من الحق وهو من الالتقاء في الروح
 فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيلقاه بلسان الحال
 المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصدق الناظر للكاغد في عذره وحالته على الخبر لم يكن بمجرد
 قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة وهذا دليلك الى اليد وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم
 الملك وأما ما يسمعه في عالم الجبروت وذلك من القدرة المحدثه الى العقل والعلم الموجودين في الانسان فمستقره
 في القوة الوهميه المدركة جنيح ما يستدعى وجوده جسميا ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم كاندرك
 السخلة عداوة الذئب وعطف امها فتنبع العطف وتنفر عن العداوة وأما ما يسمعه في حد عالم الملكوت وذلك
 من العلم الالهى الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه معد ومنه فسر القاب الذي يأخذ به عن الاثمة ويسمع
 ما بعد مكانه ودق معناه وغرب عن القلوب من جهة الفكر تصويره فاما أى شئ حقائق هذه المذكورات
 وما كنه واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك من علم لا يتنفع بسماعه مع عدم الشهادة
 والله قد عرفك بأسمائهم فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة كعلمك انك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات
 الى أن يخلق الله تعالى بأولى المشاهدات ويحصل بخالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى جيد

(فصل) والفرق بين القلم المحسوس في عالم الملك وبين القلم الالهى في عالم الملكوت أن القلم المحسوس كما
 علمته مجسمات طية الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهـ الاك خلفا عن مثله في الظاهر يجمعو لا تحت قهر سلطان
 الآدمى الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته مصر فاين أحوال متنافية كالعالم والجهل والظلم والعدل والشك
 والصدق وأما القلم الالهى فعباره عن خلق لله تعالى في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر
 الحسية الكائنة في عالم الملك يرى انه من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس كلها مصرف يمين الخالق بحكم ارادته
 على ما سبق به علمه في زل الأزل وانما سمي بهذا الاسم لاجل شبه لعمل ما يشتهى به غير انه لا يكتب الاحقا
 بحق والفرق بين عيني الآدمى وعين الله عز وجل أن عيني الآدمى كما علمت مركب من عصباء تعصى بقاؤها
 وعضل تعضل ادلاؤها وعظام يعظام بلاؤها ولحم يمتد وجلد غدير ذى جلد موصولة بمثلها في الضعف والانفصال
 ملقبة باليد وهى عاجزة عن كل حال وعين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هى عبارة عن قدرته وعند بعضهم
 صفة لله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق الله تعالى وهى واسطة بين
 القلم الالهى الناقش للعلوم المحدثه وغيرها وبين قدرته التى هى صفة لها مصرف اليمين الكائنة بالقلم المذكور
 بالخط الالهى المنبوت على صفحات المخلوقات الذى ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الاميون اذا شرحته
 صدورهم ويستجم على القارئ اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عيني الآدمى الا في بعض الاسماء لاجل الشبه
 اللطيف الذى بينهما في الفعل وتقريرا الى كل ناطق الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض وصحبه التغير وحد
 عالم الملكوت ما وجد الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما أشبه أن
 يكون في الظاهر من عالم الملك غير بالقدرة الازلية بها هو من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الاحاديث وللعلماء فيه وجهان فمنهم من
 يروى الحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فراه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله خلق آدم على

صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضوع ويكون الايماء به الى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن دليل السبب المنقول مما يعز وبعسر فليبق السبب على حاله وليتظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير في صورته عائدا على الله سبحانه ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة الى الله سبحانه وهذا المضروب على صورة آدم فاذا هو العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله عز وجل ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الاضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتماد العلي على الله سبحانه ففيها وجهان احدهما أن يكون اضافة ملك الله تعالى كما يضاف العبد والبيت والناقة واليمن على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة تخصيص به عز وجل فن جلهما على اضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الاكبر بحملته لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزأه وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الاكبر واذا شابهت جملة أجزاء جملة أخرى فالجملتان بلا شك متشابهتان فن نظر الى تحليل صورة العالم الاكبر فقسّمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحو من مناهما شئنهان فن ذلك انقسم قسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك انقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأشباه ذلك وقسمة أخرى وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس والى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها وهو الانسان انقسم الى ما يشابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمثابه لعالم الملكوت فضل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمثابه لعالم الجبروت كالادراكات بالحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقسمة أخرى وذلك أن العالم انحل الى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان يشابه سماء العالم من حيث ان كل ما علا فهو سماه وحواسه تشابه حواس الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشعة تستمد من نور الشمس فتضيء لها والحواس أجسام لطيفة تستمد من رواح قضى بذلك المدركان وروح الانسان مشابهة للشمس فيضيء العالم وهو نباته وحركته حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل في الظاهر عن أجزاء بدنه ونبات شعره وخلق حيوانه وجعلت الشمس وسط العالم تقطع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط العالم وهي تغرب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في أن لا يكون عقلها منها وبعثرى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوفه وبعثرى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهي العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل وفيما ذكرنا يحصل به لذوى العقول تنبيه فهذا آخر الكلام في أخذ وجهي الاضافة الذي في ضمير صورته والوجه الآخر هو ان من جل الاضافة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله عز وجل أنبأنا بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد مستكلم فاعل وخالق آدم عليه السلام حيا قادرا سميعا بصيرا عالما يريد امتكاما فاعلا وكانت لا دم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي الله سبحانه وتعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الاسماء تجتمع مع صفات آدم الالهي الاسماء التي هي عبارة بلفظ فقط لا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تبين ما بين الصورتين بابتداء وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود

فافهم هذا فانه من أدق مليق قرع سمك وبلغ قلبك ويهرع قلبك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جلت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبهامطلقا ومعناه لتتبعن انك من المشبهين لا من المنزهين فقرر على نفسك بالنسبة معتقدا ولا تنكسر كما قيل كمن هو دياوالا فلا تلعب بالثورة أى تتلبس بدنيهم وتريد أن لا تنسب اليهم وتعتكف على قراءة التوراة ولا تعمل بها وان كنت لا تعتقد الصورة فكأن منزها فلا مقصد ساخلا أى ليس تعتقد من الصورة المضافة الى الله تعالى الا الاسماء دون المعاني وتلك المعاني المسماة لا يقع اليه اسم الصورة وقد حفظ عن السبيل كلام في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قولاً يليغ المختصر احين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على معنى الاسماء والصفات لا على الذات فان قلت فكذلك قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال صورة لا كالصورة فلم أخذ عليه في ذلك واقعت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرض به أكثر العلماء أهل التحقيق فاعلم أن الذي ارتكبه ابن قتيبة رحمه الله تعالى نحن أشد اعراضاً منه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذي الممناب وأقدناك به بحول الله وقوته بل يدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم نخبرك اننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا في حالة الذات والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة رحمه الله تعالى انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أسرنا إليها وأخر جناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما أظهره شيء لم يكن له به الف تحجير وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي عند ذوى القصور وتشبيه وبين التأويل لم ينفعه فأثبت المعنى المرغوب عنه وأزال النقي ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فقال هو صورة لا كالصورة واسلك ساقطة لا قطة فتبادر الناس الى الأخذ عنه

* (فصل) * ومعنى فاطموا الطريق فانك بالوادي المقدس طوى أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى في الوادي وانما يقدم الوادي بما أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقام هو الا فالقصود منه ما نفي لا ما ظهر بالقول اذ الموضع لا تأثير لها وانما هي ظروف

* (فصل) * ومعنى فاسمع بسر قلبك لما يوحى فله لك تجدد على النار هدى ولعلك من سرادات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنار لك الاعلى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وموارث الصدق وغمار المعارف وارباح سلوك الطريق وبشارات قرب الوصول وسر القلب كما تقول اذن الرأس وسمع الاذن وما يوحى أى ما يرد من الله عز وجل بواسطة ملك أو القاء في روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله واعل حرف ترج والمعنى ان لم تردك آفة تقطعك عن سماع الوحي من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أو فتور بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسردقات المجدى بحجب الملكوت وما نودى به موسى عليه السلام هو علم التوحيد الذي وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فالننادى باسمه ازل وأبد هو اسم موسى لا اسم السالك لانه الموجود في كلام الله تعالى في ازل الازل قبل أن يخلق موسى وكلام الله صفة لا تتغير كما لا يتغير هو وقد زل قوم وعظم افتراؤهم حين جلاوص دور هذا القول عن اعتقاد اكتساب النيرة وعباد الله من أن يحتمل هذا القول ما جلاوص من الذهب السوء وهم يعرفون ان كثيراً من يكون بحضرة ملك من الملوكة الدينية وهو يخاطب انساناً آخر قد ولاد ولاية كبيرة وفوض اليه عملاً عظيماً وجباة جباة خطير او هو يناديه باسمه ويأمره بما يعتدل من أمره ثم ان السامع للملك الماض غير المولى لم يشارك المولى والمخلوع عاينه والمفوض اليه في شيء مما ولى وأعلى ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من خطوة القرية وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية والمفوض اليه الامر كذلك هذا السالك المذكور اذا وصل في طريقه بذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمباشرة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتمتع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يقصده هو بذلك اذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملائكة

وكفى بهم انهم حضرة الربوبية وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة ولا استوجب التكليم وسماع
الوحي مقصودا بذلك بحاوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين
خصه بمعنى آخر ربي على ذلك المقام اضعا فاجاز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء
وموسى عليه السلام نبي مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لان هذا المقام الذي هو المرتبة
الثالثة ليس من غايات مقام الولاية بل هو أول مبادئها أقرب منه الى غاياتها فمن لم يفهم درجات المقامات
وخصائص النبوات وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها واللعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا بطن
أنه مؤاخذ بكلامه ومحاسب بظنه ويقينه مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه خطاياه محصاة منه يقظاته
وغفلاته فبإلفاظ من قول الالديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى ونداء الله
كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبهنا ان
تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح ان يكون لغيره ممن ليس
بنبي ولا رسول فنقول اذ قيدنا التشعيب وقصدنا درة الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية
ما ورد ما قلناه ولا يكسره فمأ و جئت ان يكلمه قصدا ولا يتجرأ بالخطاب عدا وانما قلناه انه يجوز ان يسمع
ما يخاطب الله عز وجل غيره ممن هو أعلى منه فليس من سمع كلام الانسان مثلاما يكلم به غير السامع يقال
انه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله الذي خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه
ثم اذا ثبت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أن تقول نفوس ورود
الخطاب الى السامعين من الله عز وجل لا يمكن الاختلاف فيه فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله الذاتي القديم
بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يليق في روعه وبما
ينادي به في سمعه أوسره أو أشباه ذلك مما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى
مع موسى انهم سمعوا صوتا كالناتور وهو القرن فاذا سمع ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب في موسى
عليه السلام سمع كلام الله بالحقيقة التي هي صفة بلا كيف ولا صورة فظم بحروف وأصوات والذين كانوا معه
أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام
الله عز وجل اذ هي دلالة عليه فان قلت فما ينفي على السامع اذا سمع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وحدانيته
وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه بما يلحقه العلم الضروري فما أرى فانه النبي المرسل الابان شغل
باصلاح الخلق ودونه ولو كان عوضا منسه أخرأ عنه وقام مقامه فاعلم ان هذا الذي أوجب غورك ودوام ذلك
واعراضك عن العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالغمائل أثبت بعيد عن غور المطالب بعيد في شرك المعاطب فبعد
صوب الصواب عنيد عند صاحب الصواب ان الذي استحق به الناظر السالك الواصل الى المرتبة الثالثة سماع نداء
الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاول وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة
بالخطاب والقصد وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره هذا مع الإشارة باختلاف ورود
الخطاب اليهم مما يوجب ويقرر تبان ما بينهما فان فهمت الآن والافدعني لا تدر بحالي فان قيل ألم يقل الله
تعالى فلا ينظر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بتعاني بتجيب أو بتعير بحجاب وسماع
ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحسن أن أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على صحة تعدد الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية
وهو أن يكون معناه الامن ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول باخلاص واستقامة أو عمل بما جاء به لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل ينفي ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال
ان يكن منكم محدثون فمروا بكما قال وقال المؤمن ينظر بنور الله وفي القرآن العزير وقال الذي عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلعل ما غاب عن غيره من امكان اتيان ما وعده به وزاد أنه قد روي عليه

ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد نبأ الله سبحانه عن ذى القرنين من اخباره عن الغيب وصدق فيه حين قال فاذا جاء
وعدر بي جهله ذكاه وكان وعدى حقا وان كان وقع الاختلاف في نبوة ذى القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول
وهو خلاف المشر وط في الآية وان أراد أحد المرافعة بالاخبار لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يد الذي
عنده علم من الكتاب وأراد أن يروجه على غير لا يفرق بين السنة والحقائق فما يصنع فيما جرى للتخضر
وما نبأ الله سبحانه عنه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول الامن ارتضى من رسول فدل على أن في الآية حذف ينضاف معناه الى ما ظهر من الكلام
فكان سعد رضى الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام وهو غيب الله وأعلم أبو بكر رضى الله عنه بما في البطن
وهو من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا تجز العقول وتبهر المعاندو يحتمل أن يكون المراد من الآية
بالرسول المذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتكشف الغيوب فحق لم يرسل الله ملكا باعلام
غيب اما بخطاب مشافهة أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في بقطة أو منام لم يكن الى علم الغيب سبيل ويكون
تقدرا الآية فلا يظهر على غيبه أحد الامن ارتضى من رسول أن يرسله الى من يشاء من عباده في بقطة أو منام
فانه يتلوع على ذلك أيضا وتكون فائدة الاخبارهم ذى الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكفونات
واعلامه انه لم يصل اليها بنفسه لا بمخلوق سواء الا بالله عز وجل حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه اليه حتى
يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع الى الله سبحانه وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شئ من علم أو معرفة
أو غير ذلك الابارادته ومشيتته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون والله أعلم الامن ارتضى من رسول يريد من
سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول على يد رسول من الملائكة

(فصل) ومعنى ولا تتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصله الى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة
حال المقرين فاعلم أنه ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وانما خاصة من في مرتبة الصديقية عدم السؤال
لكثرة التحديق بالاحوال وخاصة من هو في مرتبة القرب كثرة السؤال طمعاني بلوغ الآمال وأمثالهما فيما
أشهر اليه مثال انسانين دخلا في بستان وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار
ويعلم أسماءها وما نفعها فهو لا يسأل عن شئ يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا ويعرف
بعضها ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقي وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال
عساه يتجاوز سؤال حاله ويتخلف مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما في ذلك الوقت أو أبدا لا بد
وتلك العلوم لا تنال بالكسب وانما تنال بالتحقيق الى الله فليس له لا تتخطى رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما
لا يتخطى به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الأكبر فاقننه في أحواله وسيرته
ففساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حال القرب وهو تلوا الصديقية هذا معناه

(فصل) ومعنى انصرف السالك الناظر بعد وصوله الى الرفق الاعلى انه لما وصل اليه بالسؤال صرف الى
مالا يقبه من الاحوال ليحكم ما بقى عليه من الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه من غرائب
العلم اذهب فاحكم ما هنالك وكذلك أعلمك من غرائب العلم فاما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع
بالتذكير وفوائد المزيد ووجه آخر ان لم يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق جزء المعرفة
بالبدن وممكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن في العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت
الاورصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قدر ما سبق في علمه ولم تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبي سليمان
الداراني لو وصلوا ما رجعوا الى حال الانتفاص من وصل الى حال الاخلاص والذي طمع الناظر في
الحصول فيسه بسؤاله وتماذيه الى حال القرب منه اذا لم يصلح لذلك ولم يصفه ولم يخلص في أعماله انتهى لفظ
الاملاء ولنعند الى شرح كلام المصنف (فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد) المشار اليه (الى أنه ينبغي على
الايان بعالم الملكوت فن لا يفهم ذلك أو يحجده فباطريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال انكارك

فان قلت فقد انتهى
هذا التوحيد الى أنه
يتبنى على الايمان به الم
الملكوت فن لا يفهم ذلك
أو يحجده فباطريقه
فاقول أما الجاحد فلا
علاج له الا أن يقال
انكارك

لعالم الملتكون كانكار الحمينة لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يشركوا بالحواس الخمس فلما حضض عالم الشهادة بالحواس الخمس فأتى الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شئ سواه فى انكارك لما شاهدناه (٤١٨) مما درء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لاننى

به فاعلمنا انراه في المنام فان
قال وأنا من جملتهم
فاني شاك أيضا في
المحسوسات فيقال هذا
شخص فسد مزاجه
وامتنع علاجه فيترك
أياماً - لائل وما كل
مريض يقوى على علاجه
الاطباء هذا حكم
الجاحد وأما الذي لا يجهد
ولكن لا يفهم فطريق
السالكين معه أن
ينظروا الى عينه التي
يشاهد بها عالم الملكوت
فان وجدوها صحيحة في
الاصل وقد نزل فيها ماء
أسود يقبل الازالة
والتنقية اشتغلوا بتنقيته
اشتغال الكمال
بالابصار الظاهرة فاذا
استوى بصره أرشد الى
الطريق ليسلكها كما

(كلوه بحرف وصوت وردوا ذرة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيدا اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين) وان السفينة تفسد برئيسين ومن المحال علاتا اتفاق الحاكمين المشتركين على تدبير واحد لا يعارض بعضهم بعضا (فية الاله على حد عقله الاله العالم واحد والمدير) في الكائنات (واحد اذ لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا) أى غالب بعضهم بعضا ففسد نظام العوالم بسببه ولم يبق على طريقة واحدة لكن الشمس والقمر تجرمان بحسبان واحد والجوار الخنس والبروج من النكواكب وسائر النجوم لم تختل أحوالها فيما خلقت له ولم تختل مواكزها ومسالكها والسماء قائمة قياما لا يختلف والسحاب يجري بالمانافع أهل الأرض في أوقات الحاجة اليه والحبوب والثمار تخرج على وتيرة واحدة والبشر كلهم وكل جنس من الحيوان على ما هو عليه من الصور المخصوصة بكل جنس فانقضاء لازم التعدد وهو الفساد معلوم قطعاً و يقينا فالمر وهو التعدد منتف قطعاً و يقينا فهذه الأدلة عقلية محضة على وحدانية البارئ جل جلاله (فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فيغرس اعتقاد التوحيد في قلبه فهذا الطريق اللائق بقدر

فهو في عالم الشهادة أيضا توحيده اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبه والبلد يفسد بامير من فقهائه
له على حدة عقله اله العالم واحد والمدير واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاده
التوحيد في قلبه بهذا الطريق الاتي قد ذكره:

عقله وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوراة فان ذلت فذل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان (٤١٩) الاعتقاد اذا قوى عمل الكشف

في اثاره الاحوال
الا أنه في الغالب
يضعف وينسارع اليه
لاضطراب والتزلزل غالبا
ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكام يحرسه
بكلامه وألى ان يتعلم
هو الكلام لبحر من به
العتيدة التي تاقظهم
استاذة أو من أوبه أو
من أهل بلده وأما الذي
شاهد الطريق وسلكه
بنفسه فلا يخاف عليه
شي من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا
وان كان يزداد وضوحا
كما ان الذي يرى انسانا في
وقت الاسفل لا يزداد يقينا
عند طلوع الشمس بأنه
انسان ولكن يزداد
وضوحا في تفصيل خلقه
وما شال المكشفين
والمعتدين الا كسحرة
فرعون مع أصحاب
السامري فان سحرة
فرعون لما كانوا مطلعين
على منتهى تأثير السحر
اطول مشاهدتهم
وتجسرتهم وأمن
موسى عليه السلام
ما جاوز حدود السحر
وانكشف لهم حقيقة
الامر فلم يكثر توبه

عقله) ولا يجدي معه الا ذلك فيصلى عقله الى ادراكه بطريق العبارة تكميلا للحمية (وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم) وذلك فيما ورد نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم -م رواه الديلمي من حديث ابن عباس (ولذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاوراة) وهذا يشير الى أن الملازمة في الآية عادية والحجة اقتناعية على ما هو الابق بالخطايات وقد سبق لهذا البحث المام بالتفصيل في شرح الكتاب الثاني عند ذكر برهان التامع (فان قلت فذل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوى) في القلب ورسخ (عمل عمل الكشف في اثاره الاحوال) من مكائدها (الا أنه في الغالب يضعف وينسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا) وقيل معتقد ثبت في اعتقاده (ولذلك يحتاج صاحبه الى متكام يحرسه بكلامه) بان يثبت بالادلة القوية وينفي عنه ما يرد عليه من الشكوك (أولى أن يتعلم هو الكلام لبحر من به العتيدة التي تاقظهم من أوبه أو من أهل بلده وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك) أي من الاضطراب والتزلزل وهو الذي هداه الله بنورا العقل المجرد عن الامور العادية وشرح صدره (بل لو كشف الغطاء) عن حقائق الامور (لما ازداد يقينا) فيها عما كان قد ظهر له وهذا القول قد نسب الى علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء لما زدنا يقينا وهذا المقام لا يخص به الا الاحكام من هذه الامة (ولكن يزداد وضوحا) وترقيها وهذا (كان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار) قبل طلوع الشمس (لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقه وما شال المكشفين) المشاهدين الذين انكشف لهم سر الطريق (والمعتدين الا كسحرة فرعون) الذين كان جهم لقاومة موسى عليه السلام وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا زهاء سبعين ألفا (مع أصحاب السامري) منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة والسامري هذا اسمه موسى بن طفر كان عالما منافقا من كرمات وقيل من باحري قال المسعودي السامرة فرقة من اليهود تخالفهم في أكثر الاحكام وينكرون نبوة داود عليه السلام وما بهداه من الانبياء وقالوا الانبياء بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ويقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهم صفات الكوشان والدوشان (فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر اطول مشاهدتهم) كثرة (تجسرتهم فرأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر) وتحققوا انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالتقاهم ذلك على وجوههم سجدوا لله توبة عما صنعوا واعتابوا وعظموا الساروا (فلم يكثر توبه فرعون) لانهم لما قالوا آيات هرون وموسى قال فرعون لا آمنتم به قبل أن أذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر (فلا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ولا صلبكم في جذوع النخل (بل قالوا لن نؤثر) أي لن نتخارك (على ما جاءنا) موسى به (من البينات) المعجزات الواضحات (والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض) أي ما أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما تصنع ما نهوا أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا (فان البيان والكشف يمنع التغيير) كما هو شأن عالم الملكوت (وأما أصحاب السامري) وكانوا زهاء خمسة مائة ألف (لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان) وهو العصا التي كانت في عنقه أمر بالقائم فاذا هي ثعبان مبين فتلفقت ما للقوام الحبال والعصى وقد دهنها بالزيت فلما أحست بحر الشمس تحركت (فلما نظروا الى عمل السامري) الذي كان اتخذ من حلي القوم وكانوا استعاروا أحلاما منهم القبط ليعيدهم فلم يردوا بخافة ان يعلمهم وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه وأوهم لهم السامري ان موسى انما أخلف معكم مبعاده لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان تحفروا حفرة وتمجروا فيها نارا

فرعون لا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم من النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عمل السامري

وسمعوأخواره تفسيرواو سمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوااله لا يرجع اليهم قولاولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى
ثعبان يكفر لا بحاله اذا نظر الى عمل لان كلهم ممن عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم المالكوت فهو من عند الله
تعالى فذلك لا يتجد فيه اختلافات وأضادا أصلا فان قلت ماذا كرته من التوحيد ظاهر مما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك
ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان
لم يرد أن يشاء لكان هذا مزملة القدم (٤٢٠) وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه

اذلوا كانت اليه لا تقدر
الى مشيئة أخرى وتسلسل
الى غير نهاية واذ لم تكن
المشيئة اليه فمما وجدت
المشيئة التي تصرف القدرة
الى مقدورها انصرفت
القدرة لا بحاله ولم يكن
لها سبيل الى المخالفة
فالحرية لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة متحركة
ضرورة عند انجزام
المشيئة فالمشيئة تحدث
ضرورة في القلب فهذه
ضرورات ترتب بعضها
على بعض وليس العبد
أن يدفع وجود المشيئة
ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود
الحركة بعد بعث المشيئة
للقدره فهو مضطرب
الجميع فان قلت فهذا
جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وأنت لا تنسك
الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو
انكشف الغطاء لعرفت
انه في عين الاختيار
مجبور فهو واذ انجبور

ونعقد كل ما معناه فافعلوا فخرج لهم عجل جسد من تلك الحلي المذابة (وسمعوأخواره) أي صوته وكان قد
قبض قبضة من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام فبذها في جوفه فجي وظهر له صوت (تغيروا وسمعوا قوله هذا
الهكم واله موسى) وهو من قول السامري قال ذلك أول مارآه فسمعوه واتبعوه (ونسوا انه) أي العجل
(لا يرجع اليهم قولاً) أي كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً) أي لا يقدر على انقاذهم
واضرارهم (وكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا بحاله اذا نظر الى عمل لان كلهم ممن عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم المالكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا يتجد فيه اختلافات وأضادا أصلا
فان قلت ماذا كرته من التوحيد ظاهر مما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر) لا مرية فيه
(الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا) فان من شأن المسخر ان
لا يكون له اختيار أصلا (فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان
هذا مزملة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ
لو كانت اليه لا تقدر الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية) والتسلسل باطل (واذا لم تكن المشيئة) اليه
(فمما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا بحاله ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
فالحرية لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في
القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس العبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطرب للجميع فان قلت فهذا جبر محض
وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى من غير أن تثبت له القدرة لا مؤثرة ولا كاسية وهو مذهب جهم بن
صقوان واتباعه (والجبر يناقض الاختيار) وهو طلب ما فيه خير (وأنت لا تنسك الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبر) لانه تعالى اجبر الناس على أمور
لا انفكاك لهم منها حسب مقتضيه الحكمة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة كراههم على المرض والموت
والبعث وسخر كل منهم لحرفة يتعاطاها وطريقة من الاعمال والاخلاق يتجرها فاما راض بصنعة لا يبغي عنها
حولا واما كاره يكادها مع كراهته كانه لا يجد عنها بدلا (فهو اذا مجبر على اختيار) أي في صورة مجبر
(فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا يليق بما نذكر
متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا بيان (علم المعاملة) ومباحث علم الكلام انما نذكر فيه على
سبيل التبعية (ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان) الذي هو التأثير من جهة مؤثر أعني أن يكون بإيجاده
أو بغيره و يعلم أو بغيره ويقصد أو بغيره (يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس
بالرئة والخجيرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد) فانه مضطرب مجبر في كل منها (ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور
فاعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه) أي وجه الماء (فلا طبعها) نسب

الى
على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا
يليق بما ذكر متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال
الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والخجيرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكننا تختلف وراء ذلك في أمور فاعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على
وجهه فعلا طبيعيا

ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون انخرق بعد التخلي ضرور ياوالتنفس في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد انخرق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرازا فعمل ارادى واسكنه اذا تامل صورة الابر في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة لتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختباري فهو (٤٢١) مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال

وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق فلا جرم تتبع الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما

الى طبيعة الانسان وهو المزاج المركب من الاخلاط (ويسمى تنفسه في الماء فعلا اراديا) منسوب الى الارادة وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل (ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق) كل من الماء والهواء (لا محالة فيكون انخرق بعد التخطى) والوئوع (ضرور ياوالتنفس) من الرئة وان لم يكن مثله فهو (في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد انخرق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه وكذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان) عليها (اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان اضطرازا فعمل ارادى ولكنه اذا تامل صورة الابر في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا) فصار حكمه حكمه في ظهور الجبر فيه (وأما الثالث وهو الاختيار فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يئال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا) في بادئ الرأي (ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه) بايضاح (وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد) ولا تحير (أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق لك) فلا جرم تتبع الارادة بالعلم (وتنبعث القدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختيارا مشتقا من الخير) افعال منه (أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير) بشير الى انه لازم ومن قال انه متعسفان معناه طلب الخير (وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف) عنه (ظهرت من غير روية وفكرة) بل على البدئية وهذا اقتصر الى الروية والفكر (فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعت باشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو بحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

يتوقف التمييز والعقل في نفسه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعت لتفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختيارا مشتقا من الخير أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البدئية وهذا اقتصر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعت باشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو بحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه لا العدم القدرة في اليد ولا العدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبثق بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا وقته نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لانطاق فان العقل هنا يتوقف في (٤٢٢) الحكم ويتدللانه تردد بين شر الشرين فان ترجحه بعد الروية ان ترك القتل أقل شرالم يمكنه

قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزا لا ميل فيه ولا صارف منه انبعث الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرى بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلا كولا يبال ولا يمكنه أن لا يرى نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه أن لا يرى نفسه ولا تتبع له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكل ولا فاذامعنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من غير لامنه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه أن لا يرى نفسه ولا تتبع له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما أن يكون منه فكل ولا فاذامعنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من غير لامنه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بان يكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه (لا لعدم القدرة في يده ولا لعدم السكين) أو بالسيف (ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبثق بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا له (وقته نفسه ليس موافقا له) فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لانطاق) لشدها (فان العقل هنا يتوقف في الحكم ويتدللانه تردد بين شر الشرين فان ترجحه بعد الروية) والفكر (ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزا لا ميل فيه ولا صارف منه انبعث الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف) وقد شهره (للقتل فانه يرى نفسه من) أعلى (السطح مثلا وان كان مهلا كولا يبال) من ذلك (ولا يمكنه ان لا يرى نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف) غير هلك كصا أو حجر أو نحوها (فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه ان يرى نفسه ولا تتبع له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر منه بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكل ولا فاذامعنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من غير لامنه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بان يكون الفعل خيرا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فاذامعنى كونه مجبرا على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنانا لما أى نوعا آخر (واتموا) أى اقتدوا (فيه بكاتب الله تعالى فسموه كسبا) يشير الى قوله تعالى لهما ما كسبت وعليهما ما اكتسبت والمراد باهل الحق هنا الاشاعة فانهم الذين سموا ذلك كسبا ولذلك ضربوا به المثل فقالوا أدق من كسب الاشعري واما ما تريد به فانهم استمروا على اطلاقهم بل منلفظ الاختيار وقد تقدمت الاشارة الى هذا في شرح قواعد العقائد (وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه) وحاصل ما ذكره في الكسب بعد نقل أقوال تقدم ذكرها في محلها ان القدرة بالنسبة الى المقدر تعلقين فغنى الكسب أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقا لا يترتب عليه وجود المقدر ومن ههنا قيل لم يثبت من معنى الكسب غير مقارنة بالقدرة بالفعل والذي يلوح بالتأمل الصادق ان الانسان اذا فعل فعلا اختاريا فلا محالة يتصوره أولا بوجه ملام وهذا التصور ليس من قبل نفسه عند غير المعبر له على انه قد يقع ذلك في نفسه من غير توهم اختيار منه ثم ينبعث من ذلك التصور شوق اليه فتشتاق نفسه الى حصوله وهذا الشوق أيضا من قبل الفياض لكنه يتفاوت قوة وضء فحسب تناوت النفات النفس الى ذلك المنصور واستحسانه فربما يعرض عنه ويتصوره بوجه غير ملام على وجه ما يضعف شوقه اليه وتقل رغبته فيه وربما يعجب به ذلك الامر زيادة إعجاب قديم ملاحظته اياه ذلك الوجه ويكسب عليها فيكمل شوقه اليه على حسب ذلك فينبعث منه طلب الى نعله وقصد الى تحصيله ليرتب منه الفعل عليه اما بخلافه تعالى على مجرى عادته أو بتأثير قدرة العبد ثم ان تمكن الانسان من الفعل والترك انما يتوهم من أمرين من هذه الامور الاول الاعراض عن تصور المطلوب على الوجه الملام والالتفات الى وجه آخره وترك ذلك وينبغي لمن يقول بكون الانسان قادرا أن يقول بذلك ان ليس فيه ما ينافي استبعاد الخالق بخاق الموجودات لكن الاظهر ان ذلك أيضا تابع للهيئات المزاجية والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية أو غير الخلقية كما هو مذهب الحكماء وامام الحرمين وان كان له أن يغير تلك الهيئة ويدلها بتوفيق الله تعالى بان يتمل في أفعاله وما هو داع اليها من أحواله والشأن

الطاب أيضا جبرا فاذامعنى كونه مجبرا على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنانا لما كسبا واوليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه

وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز وذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان ذلك فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بان (٤٢٣) بعض ذلك حدث عن بعض جهل

الطلب المنبعث عن الشوق المسمى بالقصد والارادة فينبغي أن لا يستند ذلك الى الانسان ولا يجعل متمكنا من تركه مثل الحياء والكسل ترتب سائر العادات على أسبابها والله أعلم (وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال) لانه أحدى الذات واحد الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد فلا يصح لديه تردد ولا مكان حكمين مختلفين بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه فلا اختيار الا لهي انما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس (وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز) اذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق بذاته تعالى (وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من مقدم فان قلت ذلك) واتخذته مذهباً (فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى) وذلك باطل (وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد باطل بل لا يصدر من فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته ويدل على ذلك قوله تعالى توحي أكلها كل حين باذن ربها والقول بالتولد هو قولنا ناسمه المعتزلي فانه زعم ان الافعال المتولدة لا يقدر عليها أحد الا فاعل لها عند هذا الجواب انه لو جاز ثبوت فعل لافاعله ولا قادر قدر على احداثه لم ينكر أن يكون ذلك حكم سائر الافعال فلا يكون في الفعل داليل على اثبات فاعل ولا صانع قادر كما انه لو جاز حدوث جسم لامن محدث لم ينكر حدوث جميع الاجسام لامن محدث أحدثها ولم يكن حينئذ في حدوث الاجسام دلالة على محدثها (بل حواله جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية) وهي الصفة التي لاجلها يكون القادر قادراً (وهو الاصل الذي لم تقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه ومعناه والكافة) من غيرهم (وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا) على قياس الغائب على الشاهد (وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول) وقد سبقت مباحث القدرة في شرح الكتاب الثاني من هذه الكتب (ولكن بعض المقدرات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة) فوجود الحياة شرط في وجود القدرة والعلم والارادة وحدث القدرة والارادة فيما ليس بحال وكل نوع من الادراك مختص بالحي والملاحيات فيه لا يصح أن يكون مدركا (وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازوم) فهمه من فهمه وجهله من جهله (وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا) لا فائدة فيه (بضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث) بقدرة القادر (على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حواله جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنهه ومعناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض المقدرات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازوم وكذلك جميع أفعال

الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا بضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

مقدوراً فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمه وتوحيده وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلاً لا يقرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن تقدراً انساناً محدثاً قد انغمس في الماء إلى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرفع وهو ملاقه فقدرة القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بهم ملاقاء الماء للأعضاء ولكنه لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل أن (٤٢٤) الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يغسل كان الماء ملاقاً ولم يكن رافعاً والماء لم يتغير

يكن رافعاً والماء لم يتغير
بما كان فكيف حصل
منه ما لم يحصل من قبل
بل حصل ارتفاع الحدث
عن اليدين عند غسل
الوجه فإذا غسل الوجه
هو الرفع للحدث عن
اليدين وهو جهل بضاهي
ظن من يظن أن الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة
بالإرادة والإرادة بالعلم
وكل ذلك خطأ بل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن اليد
بالماء الملاقي لها لا يغسل
الوجه والماء لم يتغير
واليد لم تتغير ولم يحدث
فيها شيء ولكن حدث
وجود الشرط فظهر أثر
العلة فهكذا ينبغي أن
تفهم صدور المقدورات
عن القدرة الأزلية مع أن
القدرة قديمة والمقدورات
حادثه وهذا فرع باب
آخر لعالم آخر من عوالم
المكاشفات فلنترك جميع

مقدوراً) فإن كل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه وكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستعمل في العقل وجوده فأنه قادر على إيجاده وأحدائه (فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمه) بالغية (وتدبير) خفي (وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلاً لا يقرب مبادئ الحق من الأفهام الضعيفة) القاصرة عن المدارك الخفية (وذلك بأن تقدراً انساناً محدثاً قد انغمس في ماء إلى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرفع للحدث وهو ملاقه فقدرة القدرة الأزلية حاضرة وملاقية للمقدورات متعلقة بهم ملاقاء الماء للأعضاء ولكنه لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يقول كان الماء ملاقاً ولم يكن رافعاً والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فإذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جهل بضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا يغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثه وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع

ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه
التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح بحال
كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على
القلب وما أعز حقيقة توبه عند العلماء الراغبين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد
أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الأفعال للعباد فان كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وان كان الله تعالى فاعلاً فكيف
يكون العبد فاعلاً لا وهو محمول بين فاعلين غير مفهوم

الفعل من فاعلين شرك (فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيين ويكون الاسم مجلدا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا يقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى) هو امره بذلك (والجلاد قاتل بمعنى آخر) هو مباشرته له (فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر فغنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد) لتلك الافعال (ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم) فالفاعل الثانى هو المظهر الذى فعل بيده وأجرى الفعل بواسطة هوئان ومحدث مفعول والاول القديم هو الفاعل الاصل (فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعامل بالعلة وارتبط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرة ثم ما اولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولا جمل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد) لانهم وسائط ومحال قدرته ومظاهر حكمته (ونسبها) أى تلك الافعال بعينها (مرة أخرى الى نفسه) لانهم اخترعوا وخلقوا وآياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر لانه تعالى ذو قدرة وحكمة فاطهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء على معانى الحكمة فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك فى توحيد من قبل ان الله سبحانه قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل نافع ضار لاشريك له فى أسمائه ولا نظيره فى أحكامه كما قال ان الحكم الا لله ولا يشرك فى حكمه أحد اول قوله تعالى وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير وكما هو الفاعل لكل شئ وحده لانه الاول كذلك هو القاطم به المتهم له بعد ظهوره وحده لانه هو الآخر (فقال تعالى فى الموت قلى يتوفاكم ملك الموت) الذى وكل بكم فاضاف التوفى اليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو التفصيل (ثم قال عز وجل) فى التوحيد (الله يتوفى الانفس حين موتها) والتى لم تمت فى منامها فى الاول أظهر الاواسط أسبابا وأثبت نفسه فيها فى الثانى رفعها وأظهر نفسه (وقال) تعالى (أفرايتم ما تخرثون) فذكر الاواسط لان الحرب عمل ونحن عبيد عمال ولانه صنعنا وحكمها عائد علينا لذلك (أضاف البنائهم قال تعالى اناصينا الماء صبا ثم شققنا الارض شقتا) الايات فاضاف تلك الافعال الى نفسه لانها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر (وقال ثم عز وجل) فى التفصيل (فارسلنا بها) أى الى مريم (روحنا فتمل لها بشرا سويا) أى صورة رجل أجل ما يكون (ثم قال) تعالى فى التوحيد (ففتحنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه السلام) فاضاف النفع اليه هنا (و) كذلك (قال الله تعالى) فى التفصيل والامرافلوا المشركين وفى مثله من ذكر الواسطة لاجل الامر (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل) فى آية واحدة تفصيل وتوحيد ولكن بطريق التلويح فى التوحيد (بل صرح) فى التوحيد (وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم و) كذلك (قال) تعالى فى نفى الاولية والآخرية من فعل الخلق للتوحيد (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا) فالنفي قوله وما رميت واثبات المسكان للتفصيل قوله اذ رميت (ولكن معناها) باطنا (اذ رميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فاميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذ هما

(٥٤ - (الحفاف السادة المتقين) - تاسع) فاتبع قراءته قبل في التفسير معناه اذ قرأ عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النقي والاثبات ظاهر اولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به ارميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به ارميا اذهما

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي (٤٢٦) علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه

وقال أفرأيتم ما تخفون
أأنتم تخفونه أم نحن
الخالقون ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في
وصف ملك الارحام انه
يدخل الرحم فيأخذ
النفطة في يده ثم يصورها
حسدا فيقول يارب
أذكر أم أنثى أسوي أم
معوج فيقول الله تعالى
ما شاء ويخلق الملك وفي
لفظ آخر يصور الملك ثم
ينفخ فيه الروح بالسعادة
أو بالشقاوة وقد قال
بعض السلف ان الملك
الذي يقال له الروح هو
الذي يولج الارواح في
الاجساد وأنه يتنفس
بوصفه فيكون كل نفس
من أنفاسه وحاليج في
جسم ولذلك سمي روحا
وما ذكره في مثل هذا الملك
وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم
فاما كون الروح عبارة
عنه فلا يمكن أن يعلم الا
بالنقل والحكم به دون
النقل تخمين مجرد وكذلك
ذكر الله تعالى في القرآن
من الأدلة والآيات في
الارض والسموات ثم
قال أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد وقال
شهادته أنه لا اله الا هو
فبين انه الدليل على نفسه
وذلك ليس متناقضا بل

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن (ومثله في اثبات
الاسباب ورفع حقيقته بقوله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم فأنبت ربه مكانا للعلم ثم رفع حكمه اظهرا للعالم فقال
فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبسودون وما كنتم تكتمون
(وقال) تعالى (علمه البيان) وهو شرح المجمع والمهم من الكلام (وقال) تعالى (ان علينا بيانه) أي كشف
مشكله ومبهمه (وقال) تعالى (أفرأيتم ما تخفون أأنتم تخفونه أم نحن الخالقون) (اضاف الامناء لبيان انه عمل
من الاعمال وهو صفتنا وحكمه عائد علينا كما اضاف الينا الحرف في التي بعد هذا ذلك و اضاف الخلق اليه لانها
آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر كما اضاف الزرع اليه في التي بعد هذا ذلك) ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (في جعل الله تعالى بحكمته وعزته عن مباشرة الاشياء بنفسه للخلق والحياة واسطة وذلك) (في وصف
ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النفطة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوي) أي
معتدل (أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك) (وفي لفظ وطبع الملك) (وفي لفظ آخر و يصور الملك
ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة) قال العراقي رواه البزار وابن عدي من حديث عائشة ان الله تبارك
وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فامن شئ الا
وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدي انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود
انتهى قلت وتعام الحديث عند البزار بعد قوله ماذا فيقول غلام أو جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم فيقول
يارب شق أم سعيد فيقول شق أو سعيد فيقول يارب ما أجله ما خلقتك فامن شئ الا ويخلق معه في الرحم الا أن
الهيثمى قال ان رجالا سبوا البزار ثقات وحديث ابن مسعود الذي أشار اليه العراقي في المتفق عليه لفظه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا ويؤمر بربع كلمات ويكتب عمله ورزقه وأجله
وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن جريح
في مجمعته والحاجي في فوائده بلفظ ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فيؤمر بربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله
وشق أو سعيد (وقد قال بعض السلف ان الملك الاعظم الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد
(وقيل انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه وحاليج في الجسم ولذلك سمي روحا) هكذا نقل القولين
صاحب القوت بقوله ويقال وقيل (وما ذكره) أي بعض السلف (في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل) الصريح (والحكم به دون النقل
تخمين مجرد) ثم قال صاحب القوت فعار العبد يظهر بين أربعة وهي حدود الحكمة ظاهران وهما الابواب
وباطنان وهما ملك الارحام وملك الارواح ثم ان الله تعالى قال في وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق
ومفهوم الحديث السابق أن المصور هو الملك فالحديث يدل على التفصيل ووصفه تعالى نفسه يدل على التوحيد
(وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الارض والسموات) في عدة آيات وهو مقام التفصيل
(ثم قال) تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وهذا مقام التوحيد (وقال) أيضا في مقام التوحيد
(شهد الله أنه لا اله الا هو بين انه الدليل على نفسه) وقال أيضا فيمبارى عنه تعالى في الاسرار ثلثات الدليل
على نفسه لا دليل أدل على مني (وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله
تعالى بالنظر الى الموجودات) وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم (وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله) وهو من أهل المرتبة الرابعة من التوحيد
وهو قوم رآوا الله سبحانه وتعالى ثم رآوا الاشياء بعد ذلك فلم يروا في الدار من غيره ولا اطلعوا في الوجود على
سواه (كما قال بعضهم عرف ربى برى ولولا رى لما عرفت ربى) ومقام من قبله لولا المرئى لما عرفت ربى (وهو

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال المصنف في المقصد الاسنى ولما كان أكثر الخلق يرون كل شيء سواء فيستشهدون بما يرون عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء والصديقون لا يرون شيئا سواء فيستشهدون به عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه) هو (الحق والميت ثم) جعل للاحياء واسطة كما جعل للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت و (فوض الموت والحياة الى ملكين في الخبران ملكي الموت والحياة تناظر افعال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فآوحى الله تعالى اليهما كونا على علمكما وما سخر تكلمه من الصنع فأنا المحيى و) أنا (المميت لا يميت ولا يحيى سوى) هكذا نقله صاحب القوت مصدرا بقوله وفي بعض الاخبار وكأنه يعنى به الاسرائيليين ولذلك قال العراقي لم أجده أصل في الباب مما يذكره المصنف قوله تعالى في التفصيل انهم اتخذوا الشياطين أولياء وقال في التوحيد اننا جعلنا الشياطين أولياء كما قال في التشابه وأصلهم السامري وقال في المحكم ان هي الا فتنتك تضل بهما من تشاء وقال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال أهل التفسير فاذا قرأه عليك جبريل فخذ عنه بعد قوله تعالى لا تتحرك به لسانك لتنجل به وكذلك قال جبريل عليه السلام لا هلك غلاما زكيا لان الله تعالى وهب له أن يهب لها فذكر نفسه وهو يشهد به ثم قال في الحرف الأخير ليهب لك يعنى الله سبحانه وتعالى ومثله قول موسى عليه السلام لأملك الانفسى وأنى لأجل ان الله تعالى قال ووهبنا له من رجتنا أخاه هرون نبيا وهو في الحقيقة لا يملك نفسه ولا أخاه اذ لا مالك أصلا الا الله تعالى وهذا على أحد الوجهين اذا كان وأخى في موضع نصب والوجه الآخر أن يكون في موضع رفع فيكون المعنى وأخى أيضا لا يملك الانفسى وقال تعالى في التفصيل لتثبيت الاحكام وتفضيل الانام أخرج قومك من الظلمات الى النور وقال أخرج الناس من الظلمات الى النور وفي مثله وانك لتهدى الى صراط مستقيم ثم رفعه في التوحيد وأثبت نفسه فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال في مثله انك لتهدى من أحبت قال صاحب القوت ولم يمنع وجود هذه الاواسط أن يكون الله تعالى هو الاول في كل شيء وهو الفاعل لكل شيء وحده لا شريك له في شيء وان يكون كله مكان الجريان الافعال الارادة أوله والقدرة من ورائه لم يقل أحد من المسلمين المالك الخلق ولا عزرائيل أماتني ولا اسرافيل أحياني كذا لا أيضا يصلح أن يقول الموقن المشاهد للتوحيد فلان أعطاني أو منعني كما لا يقول فلان رزقني وفلان قدر على وان جعل واسطة في الرزق وسبيل للتدبير والا كان عندهم مشركا في أسماء الله غيره اذ كان الله هو المانع المعطى الضار النافع كما هو المحيى المميت لا شريك له في ملكه ولا ظهر له من عباده في خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة توحيد العبد وهو من الشرك الخفى وقد قال بعضهم في معنى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال مؤمن بالله باقراره ان الله هو المقدر والمدبر ومشرك في الاعتماد على الاسباب ورد الافعال اليها ثم قال ومثل الاواسط من الاول مثل الآلة بيد الصانع ألا ترى انه لا يقال السفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد وانما يقال الحذاء حذى النعل وفلان ضرب العبد بالسوط وان كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال الا انها آلة بيد صانعها كذلك الخليفة يباشر من الاسباب في ظاهر العيان والله من ورائهم مخيط القادر الفاعل باطوائف القدرة وخفايا المشيئة ألم ترى قولهم الامير أعطاني كذا وخاع على كذا وان لم ينأوله بيده ولا يصلح أن يقال خادم الامير أعطاني لأجل انه جرى على يده وان كان باشر العطاء بنفسه اذ قد علم ان الخادم لا يملك ولا يتصرف في ملك الامير الا بأمره (فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تنافض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي نأوله النمرة خذها ولم تأنها لاتنك) قال العراقي رواه ابن حبان في كتابه روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله المطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورواه رجال الصحيح (أضاف الاتيان اليه وإلى النمرة ومعلوم ان النمرة لاتأتى على الوجه الذى يأتى الانسان اليها) فوجوه الاتيان مختلفة ولم يقل لاتنك كما جعل اذ لا بغية في

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيى والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين في الخبرين ملكي الموت والحياة تناظر افعال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فآوحى الله تعالى اليهما كونا على علمكما وما سخر تكلمه من الصنع وأنا المميت والمحى لا يميت ولا يحيى سوى فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تنافض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي نأوله النمرة خذها ولم تأنها لاتنك أضاف الاتيان اليه وإلى النمرة ومعلوم أن النمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها

وكذلك لما قال الثائب
أتوب الى الله تعالى ولا
أتوب الى محمد فقال صلى
الله عليه وسلم عرف الحق
لا الهه فكل من أضاف
الكل الى الله تعالى فهو
المحقق الذي عرف الحق
والحقيقة ومن أضافه الى
غيره فهو المتجاوز والمستعبر
في كلامه وللتجاوز وجه
كأن الحق حقيقة وجهها
واسم الفاعل وضعه
واضح اللغة للمخترع
ولكن ظن أن الانسان
مخترع بقدرته فسماه
فاعلا بحركته وظن أنه
تحقيق وتوهم أن نسبته
الى الله تعالى على سبيل
المجاز مثل نسبة القتل
الى الأمير فانه مجاز
بالإضافة الى نسبته الى
الجلاد فلما انكشف الحق
لا الهه عرفوا أن الامر
بالعكس وقالوا ان الفاعل
قد وضعه أمها للغوى
للمخترع فلا فاعل الا الله
فلا اسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز أى تجوز به عما
وضعه اللغوى له ولما
جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب
قصدا أو اتفاقا صدقه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شئ ما خلا الله
باطل

ذكر ذلك كمال البغية في قول المعطى أن يتبدأ من غير أن يسأل عند ارادة اظهار العطاء الامير أعطاني على يد
عبده فلان هذا الغول يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك (وكذلك لما قال الثائب أتوب الى الله ولا أتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لا الهه) وهو الايسر الذي قال اللهم انى أتوب اليك رواه أحمد عن
الاسود بن سريع به مرفوعا وقد رواه كذلك الطبراني والبيهقي والحاكم والضياء وتقدم في كتاب الزكاة
قال صاحب القوت وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بهم والاحكام عائدة الى الاسماء بالثواب
والعقاب فلم يصلح أن لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك انه هو بيدى ويعبد بيدى الاحكام من
الحاكم ويعبدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوما وهو
الجليل الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الامر وتوجهت الاوامر منه قبل المأمورات ومن هذا قوله
عز وجل ما عندكم ينفذ وما عند الله باق وجعلها عند في خزائنه الا انه أضاف الدنيا اليها ليرجع الاحكام
عنها وليزهدنا فيها أو أضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لغير غيبتها وقد قال تعالى نخبرها عن عيسى عليه
السلام واذننا من الطين ومثله قال فارزقوهم منها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماههم رازقين لما جرى
على أيديهم رزق أهلهم فهو عندى كقوله في مريم وهزى اليك بحدع النحلة تساقط عليه كرت طبا جنيوا وقد علمت
أن الرطب لم يتساقط به زهوا ولا فعل ولا جعل له زهوا في الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه
بيدها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعث عينا أشد بياضا من الثلج
وأحلى من العسل فشرب من احدها فغسل ماني جوفه من البلاء وغسل من الاخرى فزال ماني جسمه من
السقم والاذى ولا فعل لرجليه في اظهار العينين ولكن الله عز وجل خلق ذلك على يده وأجراه بواسطة تكريمه
له وآية وهبها ونحو ذلك قوله تعالى لاراهيم ثم ادعهم يا تينك نسيها فغسل كيفية احياء الموتى بيده تعالى
بدعوته عليه السلام وكان ذلك جوابا لمساءلة أنى كيف يحيى الموتى ولا مكان له في الاحياء وكان الله في الدعوة
كيف شاء وكذلك الموقن العارف ينطق عن الله فيكون الله تعالى المظهر لبيانه والمجرى على لسانه كما كلم موسى
عليه السلام من الشجرة وكان هو الحكم لعبد وصارت الشجرة حجابا أو جده والله غالب على أمره وكما ينطق
الروحاني من الملائكة على السنة النبوية وينطق الجناني من الارواح على السنة المجانية والله من ورائهم محيط
(فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لا الهه ومن أضافه الى غيره فهو
المتجاوز والمستعبر في كلامه وللتجاوز وجه كما كان للحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضح اللغة للمخترع
وهو المبتدع من غير سبب (ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم
أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الأمير فانه مجاز بالإضافة الى نسبته الى الجلاد فلما
انكشف الحق لا الهه عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه أمها للغوى للمخترع فلا فاعل الا
الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أى تجوز به عما وضعه اللغوى له ولما جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شئ ما خلا الله باطل

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لاحماله زائل

قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بل فقط قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته (٤١٩) بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة

الى الحى القيوم الذى
ليس كمثل شئ فانه قائم
بذاته وكل ما سواه قائم
بقدرته فهو الحق وما
سواه باطل ولذلك قال
سهل يمسكين كان ولم
تكن ويكون ولا تكون
فلما كنت اليوم صرت
تقول أنا أو أنا كن الآن
كلم تكن فانه اليوم كما
كان فان قلت فقد ظهر
الآن أن السكلى جبرفا
معنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف
غضبه على فعل نفسه
فاعلم أن معنى ذلك قد
أشرنا اليه فى كتاب
الشكر فلا نقول باعاده
فهذا هو القدر الذى
رأينا الرضى اليه من
التوحيد الذى يورث
حال التوكل ولا يتم هذا
الا بالاعان بالرجة
والحكمة فان التوحيد
يورث النظر الى مسبب
الاسباب والاعان بالرجة
وسعتها هو الذى يورث
الثقة بمسبب الاسباب ولا
يتم حال التوكل كما سيأتى
الا بالثقة بالوكيل
وطمأنينة القلب الى
حسن نظر الكفيل وهو
الاعان أيضا باب عظيم
من أبواب الاعان وحكاية
طريق المكاشفين فيه
تطول فلنذكر حاصله
ليعتقد الطالب لمقام

انتهى قلت لفظا الصحيحين أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لم يد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكذا دأب أمية بن أبي
الصلت أن يسلم ورواه كذلك أجدوا بن ماجه وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لم يد
* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقدر واه الترمذى كذلك قال صاحب القوت قال الشاعر ذلك وهو يعلم ان فى
الاشياء واسطى حق وأسباب صدق ثم لم يمنع ذلك ان قال هذا ايثار منه للتوحيد وتوحيد الامتوحيد هذا مع
قرب عهدهم بتكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت
أشبهت الباطل الذى لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى والاخر الابدى فهو
الحق ولا هكذا سواه انتهى وقد زاده المصنف وضوحا بقوله (أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو
باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الذى ليس كمثل
شئ فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل) وقال المصنف فى المقصد الحق فى مقابلة
الباطل والاشياء قد تستبان باضدادها وكل ما يخبر عنه فاما باطل مطلقا وأما حق مطلقا وأما حق من وجهه
باطل من وجهه فاما منع لذاته هو الباطل مطلقا والواجب لذاته هو الحق مطلقا والممكن لذاته الواجب بغيره
فهو حق من وجهه باطل من وجهه فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من جهة غيره مستفيد للوجود
فهو من هذا الوجه الذى يلى مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل فكذلك
كل شئ هالك الا وجهه وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك فى حال دون حال لان كل ما سواه أزلا وأبدا من حيث ذاته
لا يستحق الوجود وهو من جهة تعالى يستحق فهو باطل بذاته حق بغيره وعند هذا تعرف ان الحق المطلق هو
الموجود الحقيقى بذاته الذى منه يوجد كل حقيقة ثم قال وحظ العبد من هذا الاسم ان يرى نفسه باطلا ولا
يرى غير الله حقما والعبد وان كان حقا فليس هو حقا لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته
بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له وقوله فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الخ الحى الكامل المطلق هو
الذى تدرج المدرجات بأسرها تحت ادراكه والموجودات جميعها تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا
عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى والقيوم هو الذى قوامه بذاته وقيام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى وما
كان محتاجا فى قوامه الى وجود غيره لا يكون قائما بنفسه والقائم بنفسه مطلقا اذا قام به كل موجود فهو القيوم
لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله سبحانه وتعالى (ولذلك قال سهل) التسترى رحمة الله تعالى
(بمسكين كان) الله تعالى أزلا وأبدا (ولم تكن) أنت متصفابا بالوجود (ويكون) كما كان (ولا تكون)
أنت بل تبنى (فلما كنت اليوم) بين العدمين صرت (تقول أنا أو أنا كن) فيما أنت فيه (الآن كالم تكن
فانه اليوم كما كان) فى الازل نقله صاحب القوت وهو اشارة الى مقام اسقاط التدبير كما سيأتى الكلام عليه عند
قوله التوكل ترك التدبير (فان قلت فقد ظهر الآن ان السكلى جبر) فى صورة اختيار (فامعنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر) من الركن الثالث
منه عند قوله وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغي ان يفرح العاقل بها الى آخره راجعه
هناك (فلا تطيل باعاده) نانيا (فهذا هو القدر الذى رأينا الرضى اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل)
والتسليم ويثمره اذا ثبت فى النفس ثبوت الاعتقاديا أو كسفياء أو ذوقيا أو عرفانيا نتج عنه حال التوكل (ولا يتم هذا
الا بالاعان بالرجة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب) بأن الوجود بأسره فى قبضته
وقدرته وتحت قهره وأسره (والاعان بالرجة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب) ويتكشف لك
ان الرزق لا يتعدى المرزوقين لانه مخلوق لهم (ولا يتم حال التوكل كما سيأتى) قريبا (الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الاعان أيضا باب عظيم من أبواب الاعان) أى الاعان بسعة الرجة والوجود
والحكمة (وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقد الطالب لمقام التوكل اعتقادا طاعما
لا يستريب فيه) أى لا يدخله الريب والشك فيه (وهو ان يصدق تصديقا يقينيا بالضعف فيه ولا ريب ان الله
التوكل اعتقادا طاعما لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا بالضعف فيه ولا ريب أن الله

همز وجل لخلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى
لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم (٥٣٠) علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت

وعرفهم دقائق اللطاف
وخفايا العقوبات حتى
اطلعوا به على الخير
والشر والنفع والضرر ثم
أمرهم ان يدبروا الملك
والملكوت بما أعطوا
من العلوم والحكم لما
اقتضى تدبير جميعهم مع
التعاون والتظاهر عليه
أن زاد في ما دبر الله سبحانه
الخلق في الدنيا والآخرة
جناح بعوضة ولان
ينقص منها جناح بعوضة
ولان ان يرفع منها ذرة ولا
ان يخفض منها ذرة ولا
ان يدفع مرضا أو عيب
أو نقص أو فقر أو ضرر عن
بلي به ولا أن يزال صحة
أو كمال أو غنى أو ترفع
عن أنعم به عليه بل كل
ما خلق الله تعالى من
السموات والارض ان
وجعوا فيها البصر وطولوا
فيها النظر فما رآوا فيها من
تفاوت ولا فطور وكل
ما قسم الله تعالى بين عباده
من رزق وأجل وسرور
وخزن وعجز وقدرة وإيمان
وكفر وطاعة ومعصية
فكاه عدل محض لا جور
فيه وحق صرف لا ظلم
فيه بل هو على الترتيب
الواجب الحق على ما
ينبغي وكما ينبغي وبالقدر
الذي ينبغي وليس في

عز وجل لخلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من
الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم
على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطاف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضرر ثم
أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر
عليه ان زاد في ما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولان ينقص منها جناح بعوضة
ولان ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرضا أو عيب أو نقص أو فقر أو ضرر عن بلي به
ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو ترفع عن أنعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا
ارجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر فما رآوا فيها من تفاوت ولا فطور (هذا السياق منترع من القوت ولفظه
اعلم يقيناً ان الله تعالى لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والارضين على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه
وحكمة أحكمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم وأضاعفه علما وحكما وعقلا ثم كشف لهم
العواقب وأطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات والنقص ثم قال لهم دبروا
الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول على مشاهدتكم عواقب الامور وأطلاعكم على سرائر المقدور ثم اعانهم
على ذلك وقواهم له لما زاد تدبيرهم على ما تراءوا من تدبير الله من الخير والشر والنفع والضرر جناح بعوضة ولا
نقص عن ذرة ولا أوجب العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير ولا قضت بغير هذا التقدير
الذي بعينه يتقلب فيه ولكن لا يبصرون انتهى ويشهد لهذا السياق ما في الحلية في ترجمة وهب بن منبه قال ألم
يفكر ابن آدم ثم يتفهم ويعتبر ثم يبصر ثم يعقل ويتفقه حتى يعلم ان الله علمه يعلم العالم وحكمته بهاتين الخلق
ويدبرها أمور الدنيا والآخرة فان ابن آدم لم يبلغ بعلمه المقدور علم الله الذي لا مقداره ولن يبلغ بحكمته حكمته
الله تعالى التي بها يحيي الخلق ويقدر المقادير ثم قال المصنف (وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل
وسرور وخزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكاه عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه
بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي) قال صاحب القوت لانه أجراه على
ترتيب العقول وبمعاني العرف والمعتاد من الامور بالاسباب العقلية والواسط المشهورة على معيار ما طبع
العقول فيه وجعل المعقول عليه ثم غيب في ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى الماثبات فغاب بغيرها حسن
التدبير وجعل التقدير في عقل أكثر الناس الحكم واحتجوا بظواهر الرسم ونسوا سابق القسم وما يعقلها الا
الاعالمون ان في ذلك لايات للعالمين وهذه شهادة المتوكلين وهي مقامات النبيين (وليس في الامكان) هو
الامر الذي هو موضع القدرة ومحل القوة والتمكن وهو ما ليس بواجب ولا بمحال فمتنع لذاته (أصلاً أحسن منه
ولا أتم ولا أكمل ولو كان) كذلك (وادخر مع القدرة) عليه (ولم يفعل لكان بخلاف يناقض الجود وظلما
يناقض العدل ولو لم يكن قادر لكان عجزاً يناقض الألوهية) هكذا نص هذه العبارة في سائر نسخ الكتاب لاسيما
وفي أواخر بعضها انها نقلت من نسخة موثوقة بها معتمداً على صحتها وتقرر بهذا الكلام يظهر من معرفة أمرين
أحدهما ان المجمع عليه عند أهل السنن ان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل فكل ما صرح حدوته ونفوسهم
كونه ولم يستحل في العقل وجوده قاله سبحانه قادر على ايجاده واحداثه وكل ما استحاله وجوده لم يوصف أحد
بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لان العجز انما يصح عما يصح القدرة عليه وكل ما لا يصح ان يكون مقدوراً عليه فلا
يصح ان يكون معجزاً عنه ولذلك لا يوصف أحد بالعجز عن الجمع بين الضدين ولا بالعجز عن جمع العالم في قشر بيضة
ونحو ذلك لان ذلك مما لا يصح القدرة عليه فلا يصح العجز عنه ولذلك قالوا ان الانسان لا يوصف بالعجز عن خلق
الاعيان لانه لا يصح وصفه بالقدرة على خلقها وفي هذه المسألة خلاف مع جماعة من المعتزلة منهم أبو الهذيل

الامكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخر مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلاف يناقض الجود وظلماً
يناقض العدل ولو لم يكن قادر لكان عجزاً يناقض الألوهية

والشحام وثمامة ومعمر والاسواري والنظام والكرامية مجسمة خراسان مبسوط في محله والامر الثاني ان
 النقي في هذا الكلام ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجود انما هو منصب على كونه ابداع من الموجود
 فالنقي هنا كون شئ مما يمكن وجوده ابداع مما وجد مع قطعه بصلاحيه القدرة لايجادها فاذا فهمت الامرين
 سهل عليك حل الكلام وسيأتي ما يتعلق به تسليم اوردا (بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا
 وزيادة من الآخرة) قال صاحب القوت اعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع
 والفقر فيكون هذا رزقا للراهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وجاميته عن التكثر منها
 والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ماصرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة
 والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطه نظار كما حدثننا عن بعض العلماء ان بقا لاجاء اليه فقال اني
 كنت ابيع في محله لابقال فيها غـ برى فكنت ابيع الكثير ثم قد فتح على يقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شئاً
 فقال لا ولكن يزيد في بطلانك عن البيع (وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص) قد نقص حظاه الاوفر منها
 (فهو نعيم بالاضافة الى غيره) اذا كانت الدنيا ضدها (اذلولا الليل لماعرف قدر النهار) ولولا الكفر لماعرف قدر
 الايمان (ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة) ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة (ولولا النار لماعرف أهل الجنة
 قدر النعمة) فهذا اقل وخط فيه من حيث الحكمة التي يجب الايمان بها فهذا بعض أسرار كونه ابداع (وكان
 فداء ارواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل بتقديم الكامل على الناقص عين العدل)
 والمراد بالكمال الانسان ووصفه بذلك بالاضافة الى البهائم فانها ناقصة ولما كان بقاء الانسان يحتاج الى غذاء
 يستملكه قوته امتن الله عليه بخلق البهائم فكانت لحومها أغذية له يشير الى ذلك قوله تعالى ومن الانعام
 حوله وفرش (فكذلك تفخيم النعم) أي توفيرها وتكبيرها (على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل الكفران عين العدل) كما ورد في الخبر انه يقال للمسلم هذا الكافر فداؤك من النار
 (ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
 بالاضافة) فان درجات الاحياء ثلاثة درجات الملائكة ودرجات الانس ودرجات البهائم فامداد جنة البهائم فهي
 أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الإدراك الفعال وفي ادراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص وأما
 درجات الملائكة فهي أعلى الدرجات لقرهم امن حضرة القدس وأما الانسان فدرجته متوسطة بينهم ما كانه
 مركب من ما والاغلب عليه في الأول البهيمة ثم بشرق عليه في الآخر نور العقل فيأخذ بذلك شهما من الملائكة
 والمقصود ان الكمال والنقص من الامور المتضائفات (فقتضى الجود) سعة (الحكمة خلق الكامل
 والناقص جيعا) ولولا ذلك لماعرف أحدهما من الآخر فهو هذا بعض أسرار كونه ابداع (وكان قطع اليد اذا
 تأكلت) أي أصابها مرض الاكلة ولادواء لها الا لقطع (ابقاء على الروح) أي على حياته (عدل لانه
 فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت) الواقع (الذي) هو (بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة)
 من الغنى والفقر وحسن الصورة وقبحها والصحة والمرض والتوفيق والخذلان والايمان والكفر والطاعة
 والمعصية (فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لالعب فيه) ويشهد لادعية هذا التفاوت ما أخرجه عبد الله بن
 أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهم واللالكا في السنة وابن منده في
 كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبي بن كعب في قوله تعالى واذا خذركم بنى آدم الآية قال جمعهم
 فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم وأدم ينظر اليهم فرأى الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال
 يا رب لا حوليت بين عبادك قال اني أحببت ان أشكر وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده في الرد على الجهمية من
 حديث أبي هريرة قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فخرت منه كل نعمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم عرضها
 على آدم فاذا فهم الاجزء والارص والاعى وأنواع الاسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذي بيتي فقال كي
 تشكر نعمتي فهذا نص من الله تعالى على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفه الكمال والنقص حتى انه

بل كل فقر وضرر في الدنيا
 فهو نقصان في الدنيا
 وزيادة في الآخرة وكل
 نقص في الآخرة بالاضافة
 الى شخص فهو نعيم
 بالاضافة الى غيره اذ لولا
 الليل لماعرف قدر النهار
 ولولا المرض لما تنعم
 الاصحاء بالصحة ولولا النار
 لماعرف أهل الجنة قدر
 النعمة وكان فداء
 أرواح الانس بأرواح
 البهائم وتسليطهم على
 ذبحها ليس بظلم بل
 تقديم الكامل على
 الناقص عين العدل
 فكذلك تفخيم النعم على
 سكان الجنان بتعظيم
 العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل
 الكفران عين العدل
 ومالم يخلق الناقص لا
 يعرف الكامل ولولا
 خلق البهائم لما ظهر
 شرف الانس فان الكمال
 والنقص يظهر بالاضافة
 فقتضى الجود والحكمة
 خلق الكامل والناقص
 جيعا وكان قطع اليد
 اذا تأكلت ابقاء على
 الروح عدل لانه فداء
 كامل بناقص فكذلك
 الامر في التفاوت الذي
 بين الخلق في القسمة في
 الدنيا والآخرة فكل
 ذلك عدل لاجور فيه
 وحق لالعب فيه

جعل أنواع البلاء متفاوتة ارادة الشكر فلا ترى ذابلاء الا وهو يرى من هو اشد بلاء منه ولا ذالحال سى الا وهو يرى من هو اسوأ حالاً منه ولو من نوع آخر فتري مثلاً الفقير الذى لا يجد قوته ويبيت البالي طوا يارى من هو ذنف ملازم الوساد وهو كثير المال فيشكر الله تعالى على العافية وذلك الدنف يرى ذلك الفقير وهو يقنى القوت فلا يجده فيشكر ان رزقه الله الغنى مع سقمه ولم يجعله يتكفف الناس وثرى الملك ينظر الى ما حوله من النعيم ونفوذ الامر فيشكر الله ان جعله امر الامور وما كالا يملو كاترى آحاد الرعية ينظر الى ما يقاسيه الملك من انكاد الدين و همومها وخروج الخوارج عليه وانتشار المفسدين والقطاع وخوفه على نفسه مما يغتاله أو يسلب منه ملكه أو يقصد بانواع المكاييد ثم ما يتبع ذلك من الحساب يوم القيامة على كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم بما أمر الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم وانفاذ أوامر الله فيهم وايصال حقوقهم اليهم وعلى كل ذرة من مال قبضها أو صرفها هل أخذ كما أمر الله تعالى وصرفها فيما أمر الله تعالى فيحمد الله ذلك المسكين ان لم يجعله ملكاً فخيراً فلا ترى من الناس الا شاكر كل بحسب حاله فانظر الى هذه الحكمة البديعة فى جعل الخلق مع تباين أحوالهم متفاوتين فى الحال الواحد مقولين بالتشكين لا بالتواطؤ و فذو الفقر متفاوتون ليرى كل دونه وكذا ذو البلاء الى غير ذلك وارادة الشكر من المقاصد المعبرة بدليل ما فى الخبر ما أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ووجه آخر فى خلق المسكر وهات وما فيها من الفوائد الدينوية والاخرية وهى خمسة كما تقدم للمصنف فى كتاب الشكر وأوصلها العز بن عبد السلام الى سبعة عشر فى تأليف مخصوص وقد قال خيرة الله لعبده فيما يكره أكثر من خيرته له فيما يحب وفى الخبر عجبت للمؤمن وقضاء الله له خير ان أصابه خير أو شر وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى اذهب ان لا تنهم الله على نفسك فهذا نوع من أنواع الموجودات تبين فيه وجه الابدعية بالنسبة الى ضده فقس على ذلك سائر الأنواع وقد يكون الشئ أبدياً فى وقت وخلافه أبدياً فى وقت آخر ومن ثم يوجد الله الرخا فى وقت والغلاء فى وقت آخر وفى مكان دون مكان وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والامن والخوف والصحة والسقم وذلك لعلم الله بحكمته البالغة ان الابدع فى هذا الوقت ايجاد أحد الضدين الى وقت كذا فاذا جاء ذلك الوقت فالابدع ايجاد ضده فيوجد على حسب حكمته ومن قدح فى شئ من هذا فقد قدح فى الحكمة وعارض حكمة الحكيم برأى من عنده زعم بحججه انه أسد ما اقتضته الحكمة وشرع ذلك قصة المنسوخ من الشرائع والاحكام فان الله تعالى عالم بحكمته البالغة ان الابدع شرع هذا الحكم فى هذا الوقت فشرعه الى وقت كذا فاذا جاء الوقت فالابدع شرع خلافه فيشرعه وقد نص بعض أرباب البيان فى نقد بروجع اعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال لاشك فى ان البارئ تعالى عالم بجميع أصناف الكلام فاختر لكتابه أفصحها وجهاً فآثره عليه فلا يمكن أفصح منه وكذلك نقول فى الموجودات علم الله فى كل موجود جميع الوجوه الممكن ايجادها على أوجه كثيرة غير ذلك الا أنها ليست بابدع والابدع الوجه الذى أوجده الله عليه ونقول فى خلق الانسان انه يمكن بروجه على أوجه غير الصورة التى أبرزها الله عليها من جعل رأسه أسفله أو فى ظهره مثلاً أو كونه بعين واحدة أو كونه يديه أو عينيه خلف أو كونه فى رأسه أو بطنه أو غير ذلك من الوجوه الممكنة التى لا نشك فى صلاحية القدرة لها لكانها ليست بابدع والابدع هذه الصورة الموجودة لما فيها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وهذا نص قاطع فى ان الصورة التى خلق عليها الانسان لا ابداع منها وكذلك نقول فى سائر الحيوانات انهم موجودون على الصورة التى لا ابداع منها مع صلاحية القدرة لايجادها على صور شتى لكن ما وجدت عليه ابداع وشاهده قوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه قال ابن عباس أحسن كل شئ خلقه فجعل السكاب فى خلقه حسناً واه ابن أبي حاتم وقال أيضاً خلق الله لكل شئ ما يشاء كله من خالق وما يصلحهم من رزقه تخلق البعير خلقاً لا يصلح شئ من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل شئ من خلقه وخلق الدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البر وخلق لدواب البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البحر فذلك قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر رواه الطبرانى فى المعجم الكبير

(وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الأطراف مضطرب الامواج قريب السعتم من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين) اذ توغلا فيه ولم يكونوا اقوياء في علوم المكاشفة فاضطربت عليهم امواج القدرة فاندشت عقولهم وفغرت سماسح العزة فاهما فاصطكت افهامهم (ولم يعلموا) قبل دخولهم (ان ذلك غامض) خفي المدرك (لا يعقله الا العالمون) بالله وبافعال الله المكاشفون بانوار الله (وراء هذا البحر) العظيم المتلاطم (سر القدر الذي تخبر فيه الاكثرون) واندش فيه المخلصون (ومنع افشاء سره المكاشفون) روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس قال لما بعث الله موسى وانزل عليه التوراة قال اللهم انلرب عظيم ولوشئت ان تقاطع لا طعب ولوشئت ان لا تعصى لماعصيت وانت تحب ان تقاطع فكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسئل عما أفعل وهم يستألون ثم سأل عزير مثل ذلك فاجابه اني لا اسئل عما أفعل وهم يستألون فابت نفسه حتى سأل ثلاثا فقال الله تعالى ان تستطيع ان تصر صرة من الشمس قال لا قال ان تستطيع ان تنجي بمكالم من ربح قال لا قال ان تستطيع ان تنجي بمكالم من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على ذلك الذي سألت عنه اني لا اسئل عما أفعل وهم يستألون ثم سأل عيسى فاجابه كذلك فجمع عيسى من تبعه فقال القدر سر الله فلا تكفه ورؤى اوتويعم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تنفوس الله عز وجل سره وقد تقدم ونقل المصنف في مقدمة التفات وانما منع عن ذكر سر القدر يعني وهو القدرة من شأنها ان تتعلق بالمال لانه يومهم عند العوام عجزا قال فالصواب ان يلقي الهم ان الاول قادر على كل شيء ليجب ذلك تعظيما في صدورهم فلو فصل وفسرت الامور الى تمكينة وغير تمكينة لظنوا ان ذلك عجز قال فهذا سر القدر على ما قيل (والحاصل ان الخير والشر) كل منهما (مقضى به) ومريض به فانه خير بالذات والشر بالعرض وكل بقدر (وقد صار ما مضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه) قال المصنف في المقصد الاسنى اذا كان معنى الحكمة ترتب الاسباب وتوجهها الى المسببات كان المتصف بها على الاطلاق حكيم ما لم يلقاها لانه مسبب كل الاسباب جللتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره اصل وضع الاسباب لتوجه الى المسببات هو حكمه واجبا له لاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تتحول ولا تزول الى وقت معلوم كالارض والسموات والكواكب وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تتقدم الى ان يبلغ الكتاب أجله ووضعه اياها ونصبه لها وقضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي هو كالمع البصر والقضاء هو الوضع السكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسياتها المحدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وكذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره (بل كل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أي سطر في اللوح رواء ابن المنذر عن ابن عباس قال فتادة أي محفوظ مكتوب رواء عبد بن حميد (وحصوله بقدر معلوم مستطر وما أصابك) من الخير والشر والنفع والضرر (لم يكن ليخطئك وما أخطاك) منها (لم يكن ليصيبك) رواء أحمد والطبراني والبرازن من حديث أبي الدرداء لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه ورجال الطبراني نقات فالعلم بهذه الاشياء وطمانينة القلب بها وسكينة العقل عند دور ودها وان لا يضارب بالراى والمقول ولا يتنازع بالتشبيه والتمثيل هو من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحده الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصا في التوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انهم الله تعالى مشيئة وحكما بمنزلة الحيط الذي ينظم عليه الحب وان التوحيد منظم فيه فاذا انقطع الحيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره وأما فضل التوكل فيكون عن مشاهدة الوكيل لانه في مقام المعرفة برؤية عين اليقين (وانتقصر على هذه المرامى) أى الاشارات (من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام

وهذا الآن بحر آخر
عظيم العمق واسع
الأطراف مضطرب
الامواج قريب في السعة
من بحر التوحيد فيه
غرق طوائف من
القاصرين ولم يعلموا ان
ذلك غامض ذلك لا يعقله
الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي
تخبر فيه الاكثرون
ومنع من افشاء سره
المكاشفون والحاصل
ان الخير والشر مقضى
به وقد كان ما مضى به
واجب الحصول بعد
سبق المشيئة فلا راد
لحكمه ولا معقب
لقضائه وأمره بل كل
صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم
منتظر وما أصابك لم يكن
ليخطئك وما أخطاك لم
يكن ليصيبك ولنتقصر
على هذه المرامى من
علوم المكاشفة التي هي
أصول مقام

(التوكل) وعليها بناؤه ومستقره (ولنعني الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى) وسياق المصنف هذا من أول قوله ولا يتم هذا الا بالايان والرحمة الى هنا شوهد تبدل على صحته من أقواها وأقربها اليه قول المصنف نفسه في كتابه جواهر القرآن وهذا نصه لا يكتفي الايمان بالتوحيد في انارة حالة التوكل حتى يضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان تعتقد ختماً أو ينكشف لك بالبصرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علماً وحكمة ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخبير والشر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم أن يزبدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضرب وجه وكفر ولا أن يغيروا قسمة الله من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً لمحض الجور فيه وخفاصراً لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصاً يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعاً ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يخل على الخلق أصلاً ولم يدخر في اصلاحهم أمراً وهذا بحر زالح في المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وبحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرون في تأويله الا الراسخون هذا نصه بحروفه وقال في موضع آخر من الجواهر أيضاً قد أنكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط والجواب ان الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع يتصور من ثلاثة أوجه أحدها أن يدهشه مشاهدة المحبة وافرطها عن الاحساس بالالم والثاني أن يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمع تبرع الله الثواب على البلاء كما يرضى بالمدد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشيئا وكذلك يرضى التاجر بمسقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا شاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الآخرة الثالث ان يعتقد ان الله تعالى تحت أقداره عجوبة لطيفة من لطائفه وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجري في العالم ان تعجبه تعجب موسى عليه السلام من الخضر عن السر الذي أطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما في عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى ثم ساق قصتين احدهما للرجل الذي كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله والثانية للقارص الذي نسي صرة فيها الف دينار ولولا أنه سيأتي سياقه في كتاب الرضا لذكرتهما فن أيقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فقد رضى بما دبره الله في ملكوته وههنا جوه أربعة تشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذي هو كماله البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء فانها ترتبت على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها أو أكمل ولو كان وادخل كان بخلا لا جوداً وعجزاً يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك سر القدر وكان من عرف ذلك لم ينطوئه سيره الاعلى الرضا فكذلك كل ما يجري من الله تعالى وبلى هذين السياقين ما ذكره في كتابه المسمى بالاربعين في أصول الدين قال في الاصل التاسع من أصول الدين الرضا بالقضاء ان المسببات ترتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وايسر في الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان لمكان بخلا لا جوداً أو عجزاً يناقض القدرة وبلى هذه السياقات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن اسحق الشافعي الصوفي في كتابه مقاصد منجيات الاحياء وهذا نصه بعد ان ذكر مراتب الايمان فقال حينئذ ترجع أيم الناظر اليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نوراً بتوجهك واعمالك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً فنشرق في قلبك بهذا ما أشرق في قلوب أنبيائه كما قال تعالى حاكياً عن نبيه ان ربي على صراط مستقيم أي مستقيم في أحكامه وأقضيته التي قدرها في ازاله وانها على أتم أنواع الكمال والاتقان وان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من العلم والحكمة ما تحتمله نفوسهم

التوكل ولترجع الى علم
المعاملة ان شاء الله تعالى
وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد كل واحد منهم عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف
لهم عواقب الامور وأطلعهم على سائر الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على
الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة والعلوم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزيدوا فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح
بعوضة ولم يقدروا على ذلك بل كل ما خلقه الله من السموات والارض ان رجح فيه البصر وطول فيه النظر ما يرى
فيه من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وقدره وعجز وإيمان وكفر
وطاعة ومعصية فكله عدل محض وحق صرف لانه لو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولو لا خلق البهائم لما
ظهر شرف بنى آدم فقطضى الحكمة والجود خلق الكامل والناقص جميعا والقدره صالحة واسعة لغير ذلك فلو
شاء لقطع الاسباب عن المسببات والمسببات عن الاسباب ولا وجد العالم على هيئة أخرى ولو شاء لخلق كلهم
سعداء أو كلهم أشقياء ولو شاء لخلق المعدمشقياء المشقى مسعدا الا ان الارادة خصت هذا التخصيص والله
فعل لما يريد وانما أوجدت الخلق القدرة فعل ما خصته الارادة جرت المقادير في الازل واستمرت في الابد
وجفت الاقلام بما اقتضى على الانام فلم يتقدم احد منهم قدرا ثم لم يتأخر الا بمقدار سابقة وكتابة لاحقة ولو
تهيأت أسباب السعادة كلها لا شقياء لما سعدوا ولتهيأت أسباب الشقاوة كلها لا سعداء لما شقوا واذا أراد
الله بغيرهم سوا فلا مرد له وان عيسى الله بغيره فلا كاشف له الا هو وان ردك بخير فلا راد لفضله بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطأك وما أخطأك لم يكن ليصيبك انتهى وفيه تفصيل لما
أجله المصنف من قبل صلوحيه القدر وسعته الغير ما ذكر وتأويل لقوله الذي أسقطه وهو ليس في الامكان أبدع
مما أبرزه وهو ان الارادة خصته هذا التخصيص وسيأتي لذلك مزيد في بيان وجوه التأويل ويشهد له ما قاله
الامام أبو العباس الاقليشي في كتاب الانباء في شرح الصفات والاسماء واما تأخر العالم مع تمام قدرة القادر
سبحانه فنه ما هو ضروري وليس بجعل جاعل ومنه ما هو اختياري والضروري استحالة قديم غير الله تعالى
فوجب بالضرورة أن يكون العالم متأخر الوجود عن الله تعالى واما الاختياري فوجوده في الوقت الذي وجد
وعلى الهيئة التي وجدت وكان في الامكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى الا ان الارادة خصته
هذا التخصيص والله تعالى اختار هذا التخصيص فكان فعله واقعا بقدرته وارادته واختياره وليس لفاعل سواه
استبداد في ابراده واصداره انتهى فهذا أحد وجوه أبعثه اذا تأملت عبارته وقال المصنف في المقصد الاسنى
في شرح اسمة العدل قال معناه العادل وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للظلم والجور وان يعرف العادل من لم
يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علما بأفعال الله تعالى
من ملكوت السموات الى منتهى الترى حتى اذا لم يرفي خلق الرحمن من تفاوت ثم رجح فارأى من فطور ثم
رجح كرة أخرى فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير قد بهر به جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها
لحقه تنذيع بقضاه شئ من معاني عدل الله وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملة وانقصها
وأعطى كل شئ خلقه وهو بذلك جواد ورثبه في موضعه الاثنية وهو بذلك عدل في الاجسام العظام في العالم
الارض والماء والهواء والسموات والكواكب وقد خلقها ورتبها فوضع الارض في أسفل وجعل الماء فوقها
والهواء فوق الماء والسموات فوق الهواء ولو عكس الترتيب لبطل النظام ولعل شرح وجه تحقيق هذا الترتيب
في العدل والنظام مما يصعب على أكثر الافهام فلننزل الى درجة العوام ونقول لينظر الانسان الى بدنه فانه مركب
من اعضاء مختلفة كما ان بدن العالم مركب من اجسام مختلفة قاو لا اختلافه أنه مركب من العظم واللحم والجلد
وجعل العظام عمادا واللحم صونا لها مكنتها لها والجلد صونا للحم ولو عكس هذا الترتيب وأظهر ما بطن لبطل
النظام وان خفي عليك وقد خلق الانسان من اعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين والانف والاذن فهو يخلق
هذه الاعضاء جوارد ويوضعها مواضعها الخاصة عدل لانه وضع العين في أولى المواضع بها من البدن اذن خلقها

على القفا وعلى الرجل وعلى اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من نقصان والتعرض للآفة
وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولوعلقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل
وكذلك وضع جميع الجوامع على الرأس فأنما اجواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولوضعها على الرجل
اختل نظامها قطعاً وشرح ذلك في كل عضو بطول فينبغي أن تعلم أنه لم يخاف شيئاً في موضعه إلا أنه متعين له ولولم يمان
عنه أو تيسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصاً أو باطلاً أو قبيحاً أو خار جاعاً من التناسب كره في المناظر وكان الانف
خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقصان إلى فوائده وربما يقوى فهمك على إدراك
حكمته فاعلم أن الشمس أيضاً لم تخلق في السماء الرابعة وهي في وسط السموات السبع هزلاً بل ما خلقها إلا
بالحق وما وضعها إلا موضعها المستحق لها لخصول مقاصدها منها إلا أنك ربما تعجز عن ذلك الحكمة فيها لثقل قليل
التفكير في ملكوت السموات والأرض وعجايبها ولو نظرت فيم الرأيت من عجائبها ما تستحقه عجايب بدنك
كيف لا وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولينك وفيك بعرفة عجائب نفسك فتفرغ للتأمل فيها
وفيما يكتنفها من الأجسام فتكون ممن قال الله تعالى فيهم سترهم أياتني في الآفاق وفي أنفسهم ومن أين لك
أن تكون ممن قال فيهم وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وانما تفتح أبواب السماء لمن لم يستغفره
هم الدنيا ثم قال في بيان حظ العبد من هذا الاسم ويكون الإيمان به قطع الإنكار والاعتراض ظاهر أو باطن
وتعامة أن لا ينسب شيئاً إلى الدهر ولا ينسب شيئاً من الأشياء إلى الفلك ولا يعترض عليه بما أجرى به العادة فحرت
مستمرة بحكمته وتقديره إلى حين يعاينها وينقضيها بل يعلم أن ذلك كله أسباب مسخرة وأنما ترتب ووجهت
إلى المسببات أحسن ترتيب وتوجهت بأقصى وجه العدل وقال في اسمه تعالى اللطيف والبالغة فهو من حيث دبر
الأمور حكيم ومن حيث أوجدها جواد ومن حيث رتبها مصور ومن حيث وضع كل شيء موضعه عادل ومن حيث
لم يترك فيه أدنى الرفق لطيف وإن يعرف حقيقة هذه الأسماء من لم يعرف حقيقة هذه الأفعال وقال في اسمه
تعالى المصور وأما اسم المصور فهو له من حيث ترتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من
أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقة الامن يعلم صورة العالم على الجلالة ثم على التفصيل فإن العالم كله في حكم شخص
واحد مركب من أعضائه متعاون على غرض مطلوب منه وانما أعضاؤه وأجزاءه السموات والكواكب والأرضون
وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتب أجزائه ترتيباً محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام لخصص بوجهه
الفوق ما ينبغي أن يعالو وبجهة السفلى ما ينبغي أن يسفل وكان البناء بضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها
لألا اتفاق بل بالحكمة والقصد لارادة الأحكام ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب في أسفلها
لأنهم دم البناء ولم تثبت صورته أصلاً وكذلك ينبغي أن تفهم السبب في علو الكواكب وتسفل الأرض والماء
وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم ولو ذهبت أنصف أجزاء العالم أو تخصصها ثم ندكر الحكمة
في ترتيبها الطال والنصور موجود في كل جزء من أجزاء العالم وإن صغر حتى في النملة والذرة بل في كل عضو من
أعضاء النملة بل الكلام بطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان ومن لم يعرف طبقات
العين وعددها وبنيتها وشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها قل يعرف مصورها بالبرسم الجميل

(فصل) وهذه نبذة من كلام أئمة السنة الموافقة في المعنى والملاحظة لعمدة ما تقدم تقرر به قال البيضاوي
في تفرقه تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً إلى قوله وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولله كونه
عالمه بكيفية الأشياء خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الانفع واستدلال بان كان هذا فعله على
هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالمه ان اتقان الأفعال بأحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الامن عالم حكيم رحيم وقال في قوله تعالى ان في خلق السموات والأرض آية اعلم أن دلالة هذه
الآيات على وجود الله ووحده من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلاً والكلام الجميل أنها أمور محكمة وجد
منها وجه مخصوص من وجوه محتملة واتجاه مختلفة اذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السموات أو بعضها

كالارض وان تحرك بعكس حركاتها وبجيت تصير دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها ورج وحضيض أصلا
 أو على هذا الوجه لبساطتها وتسواى أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته
 وتقضيه مشيئته وقال في قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم الى قوله والله يعلم وأنتم لا تعلم فيه دليل
 على ان الاحكام تتبع المصالح والراحة وان لم يعرف عنها ونقل الطيبي في هذه الآية عن الزجاجة أنه قال معنى
 كراهتهم القتال أنه من جنس غلظه عليهم ومشيئته لان المؤمن يكره فرض الله لانه تعالى لا يفعل الا ما فيه
 الحكمة والصالح وقال الطيبي في حاشية الكشف عند قوله تعالى والله لا يحب الفساد الفساد في الحقيقة اخراج
 الشيء من حاله المحمودة لا الغرض وذلك غير موجود في فعل الله تعالى وما تراه من فعله افساد فهو بالاضافة البناء
 وباعتبارنا فاما بالنظر الالهى فكذلك اصلاحه - هذا قيل يا من افساده اصلاح أى مانعه نحن افساد فهو
 بالاضافة البناء باعتبارنا المقصور ونظرنا وقال الفخر الاصبهاني في أول سورة آل عمران القيوم هو القائم باصلاح
 مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بجموع أمرين كونه عالما بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على
 وقها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شيء والثاني لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن أشار الى الاول بقوله ان الله
 لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والى الثاني بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء قال وفى
 هذا لطيفة أخرى وهى ان قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء لا يجوز اثباته بالسمع لان
 معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالما بكل شيء بل بالدلائل العقلية وهو أن يقال ان أفعاله تعالى بحكمة
 متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدلائل العقلية الدال عليه وهو انه هو الذى صورهم
 فى الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب الاعضاء المختلفة فى الشكل والطبع والصفة
 فبعضها عظام وبعضها أعصاب وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على
 أحسن التركيب وأكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نقطة أو على كمال علمه من
 حيث ان الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن عالم فكان قوله هو الذى يصوركم دالا على الامرين
 معا انتهى وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وقوله الرحمن الرحيم كالجنة على
 الوحدة فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفرعها ومساواة امانعة أو منعم عليه لم يستحق العبادة
 أحد غيره قال السعد فان قيل الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بنعمة ولا منعم عليها قلنا هى كلها من
 حيث القابلية والفاعلية وما يرجع الى الوجود والسببية نعمة ومرجع الشر والقبح الى العدم وقال
 السعد فى حاشية الكشف عند قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا من اللبعض بمعنى انهم لا يعطون
 الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذى استوجبوه فى الدنيا نظر الى المصالح وفى الآخرة نظرا الى الاستحقاق
 اذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطى ما ليس بمسحق وقال البيضاوى فى قوله تعالى والله يقبض
 ويبسط يده على من يشاء ويوسع على من يشاء حسب ما اقتضت حكمته وقال عند قوله تعالى قال ان الله اصطفى
 عليكم لما استبعدوا تلك طالوت لفقروا وسقط نسبهم رده عليهم ذلك بان العمدة فيه اصطفاه الله تعالى وقد
 اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وقال السعد عند قوله تعالى ان آناه الله الملك وقد حكى قول الكشف
 ان الله لا يوتى الكافر الملك يعنى انه قبيح قال لوسلم فامن قبيح الا يمكن ان يعتبر فيه غرض صحيح مثل الامتحان
 وقال التتبي السبكي فى تفسيره عند قوله تعالى حكمه بالغة أى تامة بلغت النهاية فى كل ما وصف به وقال الزجاج
 فى قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا معنى الكلام أنه قد فرض الفرائض
 على ما هو عنده حكمه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضعون الاموال على غير حكمته ولهذا
 أتبعه بقوله ان الله كان عليهما أى عليهما يصلى خلقه حكمهم فيما فرض وقال ابن عطية فى الآية هذا
 تعرض للحكم فى ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة وقال أبو جيان بين تعالى ان
 قصته هى القصة التى اختارها وشرعها وان الآباء والابناء شرع في ميراثهم ما شرع لا ندري نحن أيهم

أقرب نفعاً بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته فالذي شرعه هو الحق لا ما يخاطر بعقولنا فإذا كان علم ذلك عاراً بنا
عنا فلا نخوض فيما لا نعلمه أذهي أوضاع من الشارع لا نعلم علماً ولا ندر كها بل يجب التسليم فيها لله ورسوله
وجميع المقدورات الشرعية في كونها لا نعقل علماً مثل قسمة الموارث سواء وحكى المفسرون في معنى قوله
تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم قولين أحدهما أن هذا دليل على أن كل ما بين تحريره لنا وتخليه من
النساء في الآيات المتقدمة فقد كان الحكم كذلك أيضاً في جميع الشرائع والمثل الثاني أنه في بيان ما لكم في
المصلحة لأن الشرائع وإن كانت مختلفة في نفسها متفقة في باب المصالح ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم حكيم
أي عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الأشياء مواضعها بحسب الحكمة والاتقان انتهى وهذا الثاني مؤيد
لما تقدم تقرر به أن الشيء قد يشرع في وقت ويكون اذذاك أبدياً من خلافه لحكمة تقتضيه ثم يشرع في وقت
بعده بخلافه ويكون هذا الخلاف أبدياً في هذا الوقت من المشرع لما اقتضاه من الحكمة ونقل أبو حيان
عن بعض المفسرين واستحسنه في قوله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال فهو من الحسد
وعن ثقي مفضل الله به بعض الناس على بعض من الجاهل والمال لأن ذلك التفصيل قسمة من الله صادرة عن
حكمته وعلمه بأحوال العباد بما يصلح للمقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولهذا ختم الآية بقوله إن الله
كان بكل شيء عليم أي علمه محيط بجميع الأشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل منكم
من توسيع وتقتير فأياكم والاعتراض بنعم أو غيره انتهى وذكر البيضاوي في تفسير هذه الآية نحوه وقال
الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى وعلم آدم لأسماء كل ما ههنا دلالة على فضل العلم فانه سبحانه ما أظهر كمال
حكمته في خلقه آدم الأبا أن أظهر علمه فلو كان في الامكان وجود شيء أشرف من العلم كان من الواجب أن يظهر
فضله بذلك الشيء لا بالعلم انتهى فهذا تصريح من الامام بأنه ليس في الامكان أشرف من العلم وقال الفخر إنما
سأل الملائكة أسألو في حق آدم عليه السلام طلباً للحكمة فأجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أي ان
مصلحتكم ان تعرفوا وجه الحكمة على الاجال دون التفصيل بل ربما كان التفصيل مفسدة لكم وقال في
الآية بعدها علم أن الملائكة لما سألو عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته واسكانه اياهم الارض
وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الاجال بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أراد تعالى ان يزيدهم
بيانا وان يفصل لهم المجهول فيبين لهم من فضل آدم ما لم يكن اذ لم يعلموا ذلك بان علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
عليهم ليطهر لهم كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيبدأ كذلك الجواب الاجالي بهذا الجواب التفصيلي
انتهى وقال المفسرون في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم هذا نص من الله تعالى بأنه شرع الشرائع مختلفة على حسب ما اقتضته الحكمة وقال
البيضاوي في قوله تعالى بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي هو مختار في انفاقه بوسع تارة ويضيق
أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقال الراغب فيما نقله الطبري في حاشية الكشاف وكلاهما من
أئمة السنة والحكم والحكمة من أصل واحد الا انه اذا كان في القول قيل له حكم وقد حكم واذا كان في الفعل قيل له
حكمة وحكم له حكمة فاذا قلت حكمت بكذا فمعناه قضيت فيه بما هو حكمة وان كان كما يقال حكم فلان بالباطل
بمعنى أخرى الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى مقتضى الحكمة لا بحالة فبه بقوله ان الله يحكم ما يريد على ما يريد
بجعله حكمة خال للعباد على الرضا به فانه يحكم ما يريد وحكمه ماض ومن رضى بحكمه استراح في نفسه وهدى
لرشد ومن سخط تعدى حكمه واكتسب بسخطه سخط الله واهنته كما ورد من لم يرض بقضائي ولم يصبر على
بلائى فليطلب بأسواى وقال النووي في شرح المذهب في باب آداب العالم وطريقته في نفي الحسد ان يعلم ان
حكمة الله اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة ولم يذمه الله
احترازاً من المعاصي هذه عبارته وهو صريح في ان المعاصي وقعت على مقتضى الحكمة وانما تكره لان الله
ذمها وقال أبو حيان في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ختم

الآية بهذين الوصفين للإشارة الى انه انما ينبغي بحسب المصلحة والحكمة وقال أبو طالب المكي في مقام الرضا من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الاحياء ومن الرضا أن لا يذم شيئا مباحا ولا يعيبه اذ كان ذلك بقضاء مولاه مشاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله ومنهم من جعله من باب الادب بين يدي الله تعالى وأعظم من ذلك انها داخله في باب قلة الحياء ويصلح أن يكون هذا أحدهم الذي جاءه قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بأن يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عليه من الارفاق والالطاف اذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواء فيكون ذلك كفرا بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدله كفر الان أحدا لو اصطنع طعاما فعبته وذمته كره ذلك منك فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك وهذا داخل في معرفة معاني الصلوات وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعة وتحتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تديبره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شيء حكمة بالغته وفي كل صنعة صنع متقن لانك اذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها اذ كانت الصنعة بمجهولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها وقد كان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له وذلك ان الراضي عن الله تعالى متادب بين يديه يستحي أن يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما يشاء ويأمر في خلقه كيف يشاء والحاكم يحكم بأمره والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه قال أيضا في آخر مقام التوكل لو تمنى أهل النهى من أولى الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية الاماني فكوت أمانهم على ماتموا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تديبره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من كون أمانهم على ماتموا وأنزل من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقد قال تعالى موخا للانسان بمجهلا للتمني لقلة الايقان أم للانسان ماتمني فته الآخرة والاولى أن يحكم فبما ترك الاماني لانه قال ولواتبع الحق أهواهم ففسدت السموات والارض ومن فيهن هذا السوء علمهم بالتدبير وقوة جهلهم بعراقب المصير واختلاف أهواهم في معاني التقدير فالتوكل بحسب الله تعالى فهو به مسرور وفرح له بملكه مستسلم له في جميع أموره قال له الآخرة والاولى يحكم فبما يشاء كيف شاء انه على كل شيء قدير فعال لما يريد والعبد جاهل عاجز لا يقدر على شيء وهذا أول مقام من المحبة وأوسط حال في التوكل فقد كفي الخلاق هذا كله حسن تدبير الخلاق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والقدر الى بصيرة ويقين بالرحمة والنعمة يقع بهم مافي القلوب تسكين ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس وسيطاع العموم على سر هذا من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطيفة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراء من عجائب الخب في السموات والارض وقد اطعم الله على ذلك العلماء به في الدنيا قبل الآخرة وهو محمود مشكور له الحمد في الاولى على ما اظهر له الشكر في الاخرى على ما أخفى وستر ففي كل واحد منهما انعمة سابغة ورحمة واسعة وحكمة بالغته ولكن قد خلق العلماء باخلاقه فليس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف انتهى وقال الشيخ ابن عطاء الله قدس سره في لطائف المنن وناهيك به جلالة قدره أن التقى السبكي كان يفخر بحضوره في حلقة وعظمه كرفيه مانصه اعلم ان الله تعالى لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو نهي الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شيء يخرج عما أو كراهة الا والمصلحة لهم في تركه ولستنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل على سبيل التفضل فليت شعري اذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه انتهى وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقرئناه به

*(فصل) في نبذة أحاديث وآثار مناسبتا تقدم روى أبو تميم في الخليفة وابن أبي الدنيا في كتاب

الاولياء من حديث أنس يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا أغضب لاوليائي كما يغضب
 البيت الجرد الحديث وفيه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخل عجب
 فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
 لمن لا يصلح إيمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الصحة ولو أسقمته
 لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين ان لا يصلح إيمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني أدبر أمر عبادي
 بعلمي بقلوبهم اني أعلم خبير وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله تعالى ربمأسألتني وليي المؤمن
 الغني فاصرفه من الغنى الى الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره وربمأسألتني وليي المؤمن الفقير فاصرفه الى
 الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شره وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال موسى
 يارب أعطيت الدنيا أعداءك ومنعتها أوليائك فما الحكمة في ذلك فأوحى الله اليه أعطيتها أعدائي ليمرغوا
 ومنعتها أوليائي لينتصروا وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كليب الجهمي قال الله لولان الذنب
 خير لعبدي المؤمن من العجب ما خلعت بين عبدي المؤمن وبين الذنب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة
 لولان المؤمن يحب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهيم به ولكن الذنب خير له من العجب وروى البخاري في
 تاريخه من حديث أنس عجا للمؤمن ان الله لم يقض له قضاء الا خيرا له وروى ابن جرير في التفسير عن ابن
 عباس قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وان كان خلاف هواك
 فانه ثبت في كتاب الله قالت يا رسول الله فاین قال وعسى أن تذكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
 شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فهذه الاحاديث كلها شاهدة لسياق المصنف * وأما الآثار فمن سعيد بن جبیر
 قال قالت بنو اسرائيل يا موسى يخلق ربك خلقا لم يعذبهم فأوحى الله اليه ان ازرع فزرع ثم قال احصد فصد ثم
 قال ذره فذرا فاجتمع القشر فقال لا شيء يصلح هذا قال النار قال فكذلك لا أعذب من خلقي الا من استأهل
 النار رواء الطبراني في الاوسط بسند صحيح وسئل ابن عباس عن القدر فقال وجدت أصوب الناس فيه حديثا
 أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظرا ازداد تحيرا رواء الطبراني وقال
 وهب بن منبه يقول الله تعالى ان من عبادي المؤمنين من يسألني الشيء من العبادة فأجيبها عنه مخافة ان
 يدخل عليه الا عجب فيفسد عليه عمله وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان
 شره وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره وروى أحمد في الزهد عن أبي حازم
 قال ان الرجل ليدب الذنب وما عمل قط حسنة أنفع له منه ويعمل الحسنة وما عمل سيئة قط أضر عليه منها رواء
 عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وقال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب فوجدت الله يقول يا ابن آدم ان
 أحب ما تكون الي وأقرب ما تكون مني اذا كنت راضيا بما قسمت لك وأبغض ما تكون الي وأبعد ما تكون
 مني اذا كنت سائطا لاهيا عما قسمت لك يا ابن آدم أظنني بما أمرتك ولا تعاني ما يصلحك اني عالم بخلق رواء
 أبو نعيم في الحلية وغير ذلك من الآثار التي في ذكرها تطويل وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد واغاطة للمستريب
 * (فصل) * وهذه المسألة التي نحن في سياقها بآراء الشواهد عليها شهيرة بين العلماء وهي في بادئ النظر
 سهلة ولكن عند التأمل عقدة تعب في حلها كثير من الشيوخ واختلفت آراؤهم وكثر نزاعهم وتشعبوا فرقا
 وسلكوا فيها طرقا فنفهم من رد على المصنف ذلك ونسبه الى رأى الفلاسفة والاعتزال ومنهم من انتصر له وحاول
 عنه النضال ومنهم من زعم انها مدسوسة عليه وقوى ذلك الاحتمال وقد سبق مني وعد في مقدمة كتاب العلم
 حين ذكرت ترجمة المصنف واستطردت فيها الى ذكر مصنفاته ومقالاته والرد على الطاعنين في مؤلفاته وكلماته
 ان اذا وفقني الله تعالى ووصلت الى كتاب التوكل الذي هذه المسئلة مرسومة فيه أتسكلم عليها بما يسر الله
 لذهمي من مجموع كلام الأئمة تسليما وردا ونقدًا وها قد من الله تعالى علي وله الحمد المستقصي حتى يرضي
 ان وصلت الى هذا المقام بعد ان فات من ميقات الوعد الى اليوم نحو عشرة أعوام وقد أعطيت بمنة الله تعالى

لعبارة المصنف استحقاقها شرحا وكشفها بما له من الأدلة والشواهد وفي أثباتها فوائد ورائد وقد عني إلى الآن ان
أجمع كلام أولئك الفرق وأحكامهم بالانصاف تاركا سبيل الاعتساف فما كان صوابا فن الله تعالى وما
كان خطأ فن سوء فهمي وبلاغة قريحتي والمطالع يسامحني ويغض عن اساءتي فاني مقر بقله بضاعتي وقولص
نقل حصاني ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما عني من تقارفي كلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره
فيها واقتباسه منها فذلك أكد عليه أن يتعلمه ان لم يعلمه وأولى ما يلزم العمل به اذا علمه فما أتى على أكثرهم الا
انهم أتوا البيوت من ظهورها فشدوا عنها وغلفت في وجوههم وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها
للقوا بالرحب والجوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من حجب الغيب قال المصنف رحمه الله تعالى في اول
الاملاء أيها الطالب للعلوم والناس في التصانيف والمثرف على كلام الناس ليكن نظرك فيما تنظر فيه - بالله
ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أو الى من جعلت نظرك به اذا كان غيره من فهم أو علم أو خطا
أو امام متبع أو حجة ميزان أو ماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار عملا لغيره ونكصت على عقبيك
وخسرت في الدارين - فمقتك وعاد كل ما هو لك عليك فن كان رجولة ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحد وان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سراة واذا نظرت في كلام
أحد من الناس من قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كن يستغنى عنه في الظاهر وله اليه كبير حاجة في الباطن ولا
يقف به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات والصدور أفتح من الكتب المؤلفات واطمع بنظر
قابل في كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك وجه قدره ويفتح لك باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه
بفساد وليكن تحسین الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك مما تتيقن من معانيه فاذا رأيت حسنة
وسيلة فانشأ الحسنة واطلب المبادئ والاسئلة ولا تكن كالذباب تنزل على أقذر ما تجده ولا تنجل على أحد بالتخطئة
ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فاسلك عالم عور وله في بعض ما ياتي به احتجاب وناهيك
بما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن في الظاهر
بمحال واختلال فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل ال - لم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتي لك
فاحفظها وتذكرى اياك فلا تذهل عنه وأزيدك زيادة تقتضي التعريف باصناف العلماء لكي تعرف أهل
الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر متعة وتولي في وصفهم ابلغ غرض قال بعض علمائنا العلماء ثلاثة حجة وبحاج
ومحجوج فالحجة والحجاج عالمان بالله وبامره وبآياته علامتهما الخشية لله والورع والزهد والابتنان لكن الحجة
محفوظ من المراء والجدال فهو خير عليهم على صراط الله المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار
البسدة فقد أخرس المتكلمين وأغهم المخترعين برهانه ساطع وبيانه قاطع وبواضح برهانه ودلائله واضح
لحق المبين فهو رباني عليهم على صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبامره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله
برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد وبعده من بركات علمه ومحجبه العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد
العبيد الدنيا خادم لخدمته مامنون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد تقربه شانه الاحترار لنعم الله تعالى
والازراء بأوليائه ونفخه بلقاء أميره وصلة ساطعته قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بعلمه وأهلك من اتبعه واقتدى
به فويل لمن يحبه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو كل بدينه غير منصف لله في نفسه ولا ناصح له في عبادة فنه وذ
بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى فالصنفان الاولان من العلماء قد ذهبوا وان كان قد بقي
منهم فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة وذلك لما ظهر في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل اصلاح
والرشاد وأعز شي في الغالب على وجه الارض ما يقع عليه في الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور وبه وانما
الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجترأ وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدا وبالم يفعلوا
وهم أكثر من هم الارض وصير وأنفسهم أو ناد البلاد وارسان العوام وهم خلفاء ابليس وأعداء الحقائق
واخذان العوائد السوء عنهم يردعيب الحكم الشرعية وانتقاص أهمل الارادة والدين فاحذرهم قاتلهم

الله أنى يؤفكون اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم
أضل أولئك هم الغافلون هذا كله كلام المصنف في خطبة الاملاء وقد اختصرته في بعض المواضع ولما أخذنى
ذكر ما وعدنا به واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السيرة وغفران الجبرية فهو ربي ورب كل شئ واليه
المصير فاعلم ان الطائفة الاولى وهم الذين ردوا على المصنف هذه الجملة ولم يقبلوها وقابلوها على كلام أهل السنة
فوجدوها غير دائرة عليه واستشكلوا فيها أمرين الاول قوله ليس في الامكان أبدع مما أوجده الله والثاني قوله
في اقامة الدليل عليه لانه لو كان واذخره مع القدرة لكان بخلاف يناقض الجود الالهى وظلما يناقض العدل أو
لامع القدرة كان بخلاف يناقض القدرة الالهية فنقدوه بهذا الدليل انه محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ومحال
التوقف في هذا الدليل قوله وظلما يناقض العدل فان الناس قد توقعوا فيه موقالوا انما يناسب أصول المعتزلة
القائلين بوجوب الاصلح على الله والافعلى أصول أهل السنة انه لا يجب عليه فعل الاصلح ولا يكون منافضا لعدل
لان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل هذا الذى فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعة وتشعب ارجائه ولكن
الحاصل ما ذكرته فن هذه الطائفة الامام أبو بكر بن العربي شارح الترمذى وتلميذ المصنف فانه وقد عليه بالعراق
وأخذ عنه علما جاكاذ كره في العواصم والقواصم قال أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى
قال أبو بكر بن العربي قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولنا عظيم الله عليه أهل العراق وهو شهادة الله موضع
انتقاد قال ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة ولو كان في القدرة أبدع منه واذخره
لكان ذلك منافيا للجود وأخذ ابن العربي في الرد عليه الى أن قال ونحن وان كفاطرة في بحره فاننا لانرد عليه الا
بقوله ثم قال فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الحقائق ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق ومن تلاه
في الرد الامام أبو عبد الله المازرى والامام أبو الوائد العارطونى وهما لم يخصا بالرد عليه في هذه المسئلة بل أطلقا
القول في هذه المسئلة وغيرها في مواضع من كتاب الاحياء تبين فيها الفلاسفة لما زارى لما سئل عن كتاب
الاحياء ومصفه قال في الجواب هذا الرجل وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم
يحتكى لى نوعا من حاله وطريقته فأتلوج بها مذهبه وسيرته ما قام لى مقام البيان فانا أقصر على ذكر حال الرجل
وحال كتابه ثم ذكر انه اكتسبه قراءته الفلسفة خراة على المعاني وتسهيلا للمجموع على الحقائق وعرفنى بعض
أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ثم ذكر ابن سينا وانه يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من
الفلسفة وقد أجاب عنهما التاج السبكي بما مر أكثره في مقدمة كتاب العلم حاصله ان ابن سينا عنده من الهالكين
فكيف يعتمد عليه وليس في كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصنفه الا بعد ما زدرى علومهم ونهى عن
النظر في كتبهم وقد أشار هو الى ذلك في مواضع من الاحياء وأما هذه الجملة التي وقع فيها النزاع والخصام
ومكابرة الاداء الطغام فلا شك انها فلسفية وأوجب للمازرى ولا مثاله اعتقاد هذه الامور الزدية والخلاص منها
الحكم بانهم ادسوسه عليه معزوة كذباً وبهنا نال اليه فيج الله واضعها وعازيها اليه وصانعها اه ومن المعترضين
عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى المالكي صنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب
الاحياء للغزالي وقال المسئلة المذكورة لا تنمى الاعلى قواعد الفلاسفة والمعتزلة ومع رده على المصنف قد أساء
القول فيه جدا اذ تنقص من مقامه وغض من رتبته وهذا لاوافقته فيه أحد فان المصنف امام الدنيا والدين
وقطب العلم والحال والمقام امام المسلمين رافى لم أقف على كتابه المذكور وانما اطلعت على نقول منه
بالوساطة ومن نقل عنه الانكار امام عموما واما خصوصاً التتقى بن الصلاح ويوسف الدمشقي وابن الجوزي والتتقى
السبكي وابن قيم الجوزي بقوا لحافظ الذهبي وقد ذكر في تاريخ الاسلام الانكار عليه عن جماعة من الائمة ومن جاء
بعده هذه الطائفة الامام بدر الدين الزركشى فقد قال في تذكرة حين ساق هذه العبارة هذه من الكلمات العقم
التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع هكذا نقله غير واحد وله في توجيه الكلام أجوبة سيأتى ذكرها بعد ومن
جاء بعد هذه الطائفة بكثير فتعصب عليهم وطعن البرهان ابراهيم بن عمر بن حسن البهائى الشافعى أحد تلامذة

الحافظ ابن حجر فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه أحداها المقصد العالي في ترجحة الامام الغزالي مدحه في
أوله وأطال فيه ثم تعرض للرد عليه في هذه المسئلة والثانية تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان
والثالثة دلالة البرهان على ان في الامكان أبدع مما كان وكل من الثلاثة عندي قال في الثانية وبعد فهذا
كتاب سميت تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان اردفيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة
المطلقة بهذه العبارة التي عنوانها ان الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئا أبدع من هذا الذي كان من هذا
الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما غاب عنا باعلام الرسل عليهم السلام لان ذلك على زعمهم من قبيل
الحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الارادة عنه لان من شأنها أن لا تتعلق بالحال وهذا يشبه أن يكون قول من
يقول ان الاله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان أو أنه قول من يقول بقدم
العالم بالذات حتى لا يكون شئ سوى هذا الوجود المشهود دائما هو على زعمه ارحام تدفع وأرض تبلع وهو قول
أهل الطبيعة القائلين بان حوادث هذا العالم علتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض وهو باطل من الاول
أو قول من يقول بانه تعالى يجب عليه رعاية الاصلح وقد تناظر أهل السنة على رده واغتر بقولهم هذا بعض
الناس وأكذغروا زعمهم بهذه المقالة ان أخذها الامام حجة الاسلام وأودعها بعض كتبه وهو الامام الذي
لا مطعن في دينه ولا علم ولم يقصد بها ان يثبت عنه الاخبار غير انه ليس بمعصوم وهي زلة منه وقد رد عليه صناديد
العلماء في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مرفوضة أمانق له هذه العبارة فقال في كتابه المسمى
بالجواهر والاربعين في أصول الدين وفي الاحياء ثم ساق عبارة الاخيرين ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يطلع
عليه وقد سقناه نحن آنفا وهذه العبارة في موضعين منه ثم قال وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته
فاجاب كما عزي اليه ان صح ذلك عنه في كتاب اسمه الاملاء على الاحياء فقال مانصه فساقيه الخ كما سند كره
بعد ثم قال انتهى جميع ما وقف عليه من كلامه على هذا المعنى حسبا عزي اليه والله أعلم بحقيقة الحال هل
هو كلامه أو مدسوس عليه كمن ظننته قبل اطلاعي على هذه النقول كمدس عليه بعض المجرمين كتبها كاملة
كأنه على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك الى تشبیه فساد ما بالطنين في هذا الاستاذ واما تشبیه ما في تلك
الكتب من فساد الاعتقاد هذا وما تضمنته هذه النقول هو كما ترى ظاهر جرد في نسبة الله الى العجز عن ان
يبدع عالما أكمل من هذا العالم وفي انه بعد ابداع ما هو أكمل من هذا المحال حتى يصير مما ليس من شان القدرة
أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعاً ولا يثبت كون الشئ محالاً بمجرد الدعوى بل نقول انه ممكن فهو مقدور
عليه وادخاره لا يلزم منه بخل ولا عجز كما يلزم ذلك من خلق شخص من الاشخاص الادميين على غاية البشاعة
في صورته ومعناه خلقاً وخلقاً مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق حتى يكون على صورة من هو أكمل
منه سواء بسواء لاشبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادر على أن يبدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة
مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض بوجه ولو شاء الله ما اختلفوا ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولاشك ان ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا الخلف والتدابير والتباغض والتنافر ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى ولو شاء لا عطى كل نفس هذا ولو شاء لحفظ الارض من الفساد بعد اصلاحها ثم ذكر نقولاً من كتاب
الاحياء مما توافق مقصوده في ذلك عبارته في الصبر والشكر الذي يقول فيها ان كل مصيبة ومرض فيصور
أن يكون أكثر من ما قد متدورات الله لا تنتهي الخ قال فهذا نص في ان الله تعالى لو أراد أن يخلق عالماً أعظم
من هذا أو أبدع كان عليه هيناً ولا يلزم من ذلك محال ومن ادعى لزوم محال أو عجز أو بخل فليبينه حال كونه
مستغنياً لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل الذي من مفهومه انه لو فعل ما ينفي ما نسيه حكمته كان له ذلك ولم
يلزم منه محال مع أن الله ادعى انه يفعل ما ينفي الحكمة فكيف اذا فعل ما هو أحكم مما فعله أو لو كان قد ادخره لما
لأنه لم من الحكم ومنها عبارته في كتاب المحبة تعالى عن سهل الله عباده في هذه البلدة وسألوا الله أن لا يقيم الساعة
لم يقمها قال المصنف وهذه أمور ممكنة في أنفسها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وبجانب الملك والملكون

كثيرة ومقدورات الله لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له اه قال وهذا نص آخر منه على انه خلق عالم ابدع من هذا العالم يمكن فانه من جملة المقدورات التي قال وهو الحق انه لانهاية لها والفضل الذي نص على انه لا غاية له وجوز عدم قيام الساعة لانه يمكن مع انه يحيط بالحكمة ولولا هو لكان خلق هذا العالم صورته صورة العيب وقد قرر هو ان ترتيب الدنيا على الاخرة من جملة ما هو في نهاية الابداع وقد قدم في تلك الكلمات المعترضة ان المسببات رتبت على الاسباب على اكل الوجوه واحسنها وليس في الامكان احسن منها واكل ومن جملة المسببات التي دخلت تحت هذا النص يوم القيامة الذي رتبت على نظام الناس في الدنيا ليظهر فيه العدل وتزاجهم ليظهر الفضل وقد جوز ان لا يكون فان كان تركه احسن من فعله وابدع انتقض قوله على اكل الوجوه واحسنها وان كان تركه اقل حسنا من وجوده وهو كذلك بل لاشئ من الحسن في تركه انتقض قوله في الاملاء فليس في الامكان ان يفعل لانهاية ما تقتضيه الحكمة فكان له ان يفعل ما هو حكمة وليس هو النهاية مما تقتضيه الحكمة وهذا هو الحق وهو لا يستل عما يفعل وهو المختار في أفعاله ولا حد لحكمته كما انه لا حد له هو تعالى جده وتقديس مجده ثم ذكر انه لا ريب في ان الله تعالى قادر ان يجعل الجبال كلها ذهباً وعلى ينقل ان جبل قاسيون الذي يحب عن دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدله اشجاراً وانهم اراؤا كراشياً من هذا النمط مما لو عرض على أدنى الطلبة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلاً عن عالم فضلاً عن مثل حجة الاسلام ثم قال غاية القول في هذا ان قائله ظن ان وجود الابدع محال غير داخل تحت القدرة وهو غلط في ذلك هذا حاصل ما ذكره في تهديم الاركان وقد رد عليه الحافظ السيوطي فاحسن وأجاد حاصبه ما قدمنا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجودات ما ومنصب على كونه ابدع من الموجودات في حجة الاسلام كون شئ مما يمكن وجوده ابدع مما وجد مع قطع بصلاحية القدرة لا يجاده فقوله ان في القدرة جعل الكافرين كلهم مؤمنين على الفطرة مسلم لاشك في صلاحية القدرة لذلك كيف وقد قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا لكن النفي كون ذلك لو وقع ابدع والمدعى ان ما صنعه الله من جعل الناس قسمين مؤمنين وكفاراً ابدع من حيث الحكمة وكذا انقسامهم الى طائعتين وعصاة ابدع من جعلهم طائعتين وهذا هو السر الذي ورد انتهى عن كشف سره وقد لحظ فيه من حيث الحكمة انه لولا الكفر لم يعرف مقدار الامعان ولولا المعصية لم يعرف مقدار الطاعة ولولا النار لم يعرف مقدار الجنة فهذا بعض أسرار كونه ابدع وكذا نقول انه سبحانه قادر على جعل الناس كلهم اصحاء وغنياء وذوي حسن وجمال لكن جعلهم متفاوتين ابدع وقول المعترض في قدرة الله ان يجعل الجبال ذهبا مسلم ذلك وأكثر منه وقد عرض على نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك لكن الابدع ما صنعه ولو كانت الجبال كلها ذهبا لتعطال الوجود وترك الناس الزراعة وسائر وجوه المعيشة فيؤدي الى هلاكهم وهذا هو السرف في انقسام الناس الى زاهد وحريص ووضع الامل والرغبة في الدنيا ولو كان الناس كلهم زهادا ولا آمال لهم لم تركوا المعاش والمناجر والاسفار وجلب الامتعة من البلاد القاصية فلم ينتظم للناس أمر المعيشة فكان صنع الله ابدع وأضافوا كانت الجبال كلها ذهبا لاقتتلوا عن آخوهم كما يقع لهم حين يحسروا الفرات عن كثرة من ذهب كما في الحديث ولما كان ذلك الامر في ذلك الوقت ابدع لاقترب الساعة أوجده الله حيث نذر وقول المعترض ان في قدرة الله ازالة جبل قاسيون الخ هذا مسلم كيف وذلك كان لا محالة قرب الساعة كما قال تعالى ويوم نسير الجبال لكن اثباته الا ان ابدع من ازالته وان كان حاجبا للريح الطيب عن دمشق فاعل البارئ سبحانه علم بحكمته ان الاصح لهذه البلدة بحب الريح الطيب عنها ولا يستنكر ذلك قرب أمر حجة لا يصلح لها شم الريح الطيب وقد قال الاطباء ان الامكنة الرديئة تصح في الازمنة الوبدية فتصح عند فساد الهواء وتفسد عند طيب الهواء فقد تكون دمشق في علم الله كذلك فلم ان الاصح لها بحب الريح الطيب عنها وقد تكون الحكمة في ذلك راجعة الى الارساء لان الجبال لما خلقت لارساء الارض حين مادت فوضع كل جبل في مستقره لحكمة فلهذا لو ازيل عن مكانه أدخل بحكمة الارساء فان الابدع وضعه هنا وان

أدى الى ضرر آخر من حبس الريح لان مراعاة الاشدد ضررا مقدما على الاخف والحسن يترك لها هو أحسن منه والضرر يرتكب لدفع ما هو أشد ضررا منه وقول المترضى ان الله تعالى لا يجب عليه الاصلح هذا مسلم ومن ادعى انه واجب وانما نقول انه تعالى فعل الابدع في مصنوعاته فضلامه ومثالا وجوبا تعالى عن ذلك كما نقطع بانه يدخل أهل طاعته الجنة فضلامه لا وجوبا عليه ولو شاء لدخلهم النار لكنه لا يفعل كرامته فالحاصل اننا نقول ان كل موجود على وجه يمكن ايجاده على عدة أوجه أخرى وان القدرة صالحة لذلك غير ان الوجه الذي أوجده الله عليه أبدعها العلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه ولا ننفي أن يوجد بعده ضده ونقول انه اذا وجد ضده في الزمن الثاني كان ذلك الضد في ذلك الزمان الثاني أبداع من الضد الاول فكل موجود أبداع في وقته من خلافه والمعتزض فهم من الكلام انه اذا حكم على موجود بانه أبداع استمر ذلك الحكم فيه الى يوم القيامة واقتضى ايجاد ضده أحسن منه بعد ذلك فالزم عليه الاشكال وهذا غلط محض بل المقصود ان كل ما أوجده الله في وقت فهو فيه أبداع من غيره وله أن يوجد غيره في وقت بعده ويكون ذلك الغير في ذلك الوقت أبداع من الامر الاول وهلم جرا فبدى في اليوم الواحد اعداد كثيرة على سبيل التعاقب في كل ساعة منه ضد وكل واحد أو جد في ساعة أبداع فيها من غيره والذي أوجد في الساعة الثانية أبداع فيها من الذي أوجد في الاولى وهكذا وكل ذلك مناطه اعتبار الحكمة الله في أفعال الله وعلى هذا الاشكال البتة ولا يحتاج كلام حجة الاسلام الى تأويل ولا صرف عن ظاهره ونحن نرى أناسا أقامهم الله في أسباب وهم يظنون ان غيرها أحسن حالا منها فلا يزالون حتى ينقلوا منها الى غيرها فلا ينتظم لهم فيها أمر البتة يعودون الى شر ما كانوا عليه ويؤل أمرهم الى العود الى السبب الاول وهم اذا يعرف كل ذي بصيرة ان الابدع والاصح في حق كل أحد ما أقامه الله فيه فان قلت قد انتهت الكلام على الحكمة في أحوال العالم دون حكمة كله كاشتماله على الضدية مثلا من حيوان وجاد ومخلوق وساكن بحيث يمنع ايجاده وايجاد غيره على غيرها قلت قد تولى الله تعالى تبين حكمة ذلك في كتابه العزيز حيث قال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال المفسرون هذه اشارة الى المتضادات المتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان والهدى والضلالة والشقوة والسعادة ونحو هذا وفي ذلك دلالتان الاولى على انه تعالى فرد لا ضده ولا شبه ولا عدل ولا مثل والثانية على القدرة حيث أوجدت الضدين بخلاف ما يفعل بطبيعته واحدا كالسجين والتبريد هذه عبارة السبكي في تفسير هذه الآية نقلا عن مجاهد والطبراني هذا كله سياق الحافظ السيموطي رحمه الله تعالى وسياقي ايراد اعتراضه على كلام المصنف في الاحياء وفي الجواهر والاربعة عند ذكر سياق جواب الاملاء

(فصل) ومن المعتزضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسي المصطفي المتولد سنة ١٠٩٠ هـ فانه صنف كتابا سماه الذهب الابريز جيع فيه ما استفاده من شيخه الولي الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدي الشريف عبدالعزيز بن مسعود الحسني الادريسي الشهير بالدباغ قدس سره ونفعنا به قال فيه وسألته رضي الله عنه عما نسب لوجه الاسلام من قوله ليس في الامكان أبداع مما كان فقال رضي الله عنه القدرة الالهية لا تحصر والرب سبحانه لا يجزه شيء ثم قال قلت وهذا الكلام في غاية الاتقان والعرفان وقد استخرت الله تعالى غير مرة في أن أكتب شيئا في هذه المسئلة بحجة للخير ونصيحة للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الضروريات ولكنك لما كثر فيها القميل والقال واختلقت فيها أجوبة الرجال كادت تلحق بذلك بأدق النظريات فنقول مستعينا بالله وحوله ثم ساق عدة آيات وأخبار تناسب سعة المقدورات وقد ساق تلك الآيات بعينها البقاعي في رسالته ثم قال واذا تأملت هذه الآيات والاحاديث علمت انه الحق الواضح والطريق المستقيم الراجح وقد اعتنيت بسؤال العامة عن هذه المسئلة الذين قالوهم ضالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فأقول لهم هل يقدر ربنا على ايجاد أحسن من هذا

العالم فيقولون ومن يتوقف في هذا ويرى بنا على كل شيء قدر وقدرته نافذة لا يعجزها شيء من الاشياء اه قلت
 ومفهومه ان حجة الاسلام يتوقف في ذلك وينكر سعة القدرة وهذا من أعجب الجباب ولو سئل عنها حجة
 الاسلام ماذا كان جوابه وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة ثم قال قلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على
 ايجاد افضل من هذا العالم فقال لي ألا تسمع الى قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ولم يقيد الجديد
 بكونه دوننا فجاز أن يكون افضل منا أو مساوينا فأنعجبني والله فهمه اه قلت وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل
 فان في سعة قدرته ما يقتضي ذلك ولكنه لم يشأ باذهابنا فكأن وجودنا هو الابدع وليس في تنارة الحجة أن
 الابدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا يخطر ببال أحد ولا الكفار ثم قال قلت لبعض الفقهاء ما قولك في
 قول أبي حامد ليس في الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه الشعرا في غيره فقلت انما سألك عما عندك
 فيه فقال وأي شيء عندي فيه فقلت ويحك انها عقيدة أرايت ان قال لك قائل هل يقدر ربنا على ايجاد افضل
 من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله تعالى لا تنهاه في قدرته على ايجاد افضل من هذا الخلق بألف
 درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت له وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان
 ينافي ذلك فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء فاذا سألتهم عن عبارة أبي حامد
 استشعر واجلالته فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعوم القدرة وعدم
 نهاية المقدورات اه قلت لو تأمل السائل والمسؤول حق التأمل لعرفا أن العبارة المذكورة ليس فيها
 تعرض لنفي القدرة أصلا كيف وقد صرح باثباتها في الدليل حيث قال ولو لم يكن قادرا كان يحجزنا نقض
 الالهية فكيف يقال عليه مع ذلك انه نفي الدخول تحت القدرة وتبديل العبارة بسبب آخر غير مناسب
 خصوصاً للعامة فان التصرف في العبارات بغير المعاني وهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة في
 آخر مقام التوكل حث العبد على الثقة بمولاه والرضا بقضاء الله حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته
 لا استراحوا من القال والقال ثم هذه المسئلة لها طرفان فطرفها الخارج في علم الكلام الذي هو من توابع علوم
 المعاملة ان صحبت فيه النية وطرفها الداخل متصل بعلم كمال الايمان الذي هو داخل في جملة علوم المكاشفة ومن
 ورائه سر القدر المنهني عن افشائه كما أشار اليه المصنف في آخر السياق فالعلم بهام من عالم الملكوت ولا يفهمها الا
 من اطلع على هذا العالم ثم ان هذا المعارض لو تأمل ما أوردناه من الوصية المرضية لم يرجع الى نفسه بالسكوت
 وتأدب مع الله تعالى ومع أهله وخاصته ومن العجب أن مثل حجة الاسلام يحاطب بمثل هذه العبارات ويقال له انك
 تنكر قدرة الباري وتنسب اليها العجز وتنسب الى البخل وتقول بوجوب الاصح عليه أو تقول انه قائل بتقديم
 الزمان وما أشبه ذلك أن تعلم أملك البضاع ودايتك الرضاع ولو سلوا لاهل التسليم سلوا ثم قال سيدي أجد بن
 مبارك وكذا وقع له مثل هذه العبارة في مقاصد الفلاسفة وقد اخذت العلماء فيها على ثلاث طوائف فطائفة
 أنكرونها وادخلوها وطائفة أولتها وطائفة كذبت النسبة اليه وذهبت مقامه عنها ثم ساق كلام ابن العربي
 شارح الترمذي الذي سقناه أولاً ثم ذكر ابن المنير واعتراضه ثم ذكر كلام ابن أبي شريف في شرح المسامرة بعد
 ان ذكر ان في مقدورات الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم مانعه ثم ان ما في بعض كتب الاحياء ككتاب
 التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهل عن ابتناؤه على طريق الفلاسفة وقد أنكروه الاثمة
 في عصره اه قلت كيف يكون هذا ذهولاً من أبي حامد وقد ذكره في عدة كتبه كما تقدم نصراً ويحاولون بما
 ومن شأن الذاهل انه اذا نبه عليه في ذهوله يتنبه ويرجع الى الحق من غير تلعثم اذا كان منصفاً قوياً بالحق كما
 وقع له في مسئلة الدور فانه لما طهره الحق رجوع وصنف رسالة في الرد على نفسه وأنصف وهذه المسئلة قد
 أجاب عنها بنفسه وصمم عليها والمسئلة كما ذكرنا من علم سر القدر ومن علوم المكاشفة ولا يخفى توافق بعض
 عبارات الفلاسفة معها فينبغي التسليم فيها فانه أعرف بهم ممن أتى بعده وكل من تكلم فيها فأنها هو من جهله
 بحقائق عالم الملكوت فان تطابق ما بين العالمين في الحقائق والقواعد صعب وهو قد أشار الى ذلك بأنه قد غرق

فيه طوائف من القاصرين وكل متوغل في عالم الملك غير مطلع على أسرار ما بعده فهو من القاصرين فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه ولا يغرق مع الغارقين وله الويل ان لم يكن من الناجين

(فصل) * والطائفة الثانية قالت ان هذه المسئلة قد درست في كتبه قال البتاعي في الرسالة الاولى قد ألحقها في كتابه من لم يراقب الله تعالى والدليل على ذلك انها مناقضة لكلامه في جـ مع عقائده المشهورة وانه نقلها عن الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة وردها هو في كتابه تهافت الفلاسفة وأخذها أهل البدع منهم ونقلوها عنهم وأجمع الامّة على انها لا تعلق على الله تعالى لاجتماعهم على أن ما يوهم نقصا لا يقال عليه وهذه ان لم تكن تفهمه فهي اقوهمه ومن صرح بها بالخصوص البدر الزركشي كما تقدم النقل عنه ثم ساق النقول وقال في الرسالة الثالثة واذا تأمل حق التأمل مع تحكيم الشرع والخلو عن حظ النفس علم ان ما افعله الغزالي مما عزي اليه وهو شديد الشبه بكلام المعتزلة والفلاسفة كذب عليه لاتصع نسبته على هذا الوجه اليه لانه ان لم يكن عين ما نقل عن المعتزلة فهو شديد القرب منه عبارة ومعنى وانظر الى عبارة الاحياء والاملاء وعرضهما على كلامه في غيرهما تراها تنازعة الى ما يوهم نقصا في حق الله البتة فان رأيتهما أو كثيرا من جلهاء عين كلام المعتزلة الاخذين له عن الفلاسفة أو قريبة اليه جدا فانفها عن الغزالي لبعدها عما مضى من كلامه فان ذلك ممكن لان الحساد كثير ولهم مكر كبير وكيد تكاد منه الجبال تسير وقد كذبوا على غيره ليشوا باطلهم المقعد بحسن سيره وذلك أقعد في تزويه عنها وتبريته منها وان رأيت أن تثبتنا على وجهها وسياقتها من غير أن نجوز فيها تحريفا أو دسا لوجب زيفا أو لبسا ثم تؤول وترتكب وعراضا بحزنا وتعاسيفا خشنا عليها تقول فافعل ان استطعت ذلك الى ان قال ولا تستوحش من قولي ان ذلك مدسوس عليه لاجل كثرة الكلام وطوله مع أن الاحياء شهر النسبة اليه فاني لم أعن بذلك الجميع بل هو دون خسين كلمة وهي قوله في الجواهر ليس ليكون الكلام اثباتا لامكان الابدع وقوله ولو كان الى القدرة وقوله الواجب وقوله وليس في الامكان الى قوله الالهية اذا حذف هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شيء الا صيغة افعل وقد جرت العادة بالاثبات بها في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح واردة معنى من والذي دلنا على ارادته المبالغة مع استلزام الحقيقة المحال وهو تنهاى القدرورات قوله عقب ذلك في الدلالة عليه وأشار الى وجه اثباتهما أى العلم والقدرة بانه قادر على ابدائهم وابداء ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فهذا هو العذر عن الاحياء وعن الجواهر وأما الاملاء فليس مشهورا عنه فالظاهر ان الذي دس في الجواهر والاحياء اتقن دسه بما ذكره في الاملاء اه

ومن جوز الدس عليه واعتمده التقي السبكي واستحسنه مولاه التاج كما تقدم عنه في الكلام مع المازري وقال سيدي أحمد بن مبارك وأما الذين كذبوا نسبة هذه المسئلة اليه فستندهم انهم عرضوها على كلامي في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيضين فضلا عن أبي حامد فلذلك حكمتنا بطلان نسبتها اليه ثم ساق عن المستصفي والاقتصاد ثم قال وأنت اذا تأملت ما وقع للامام أبي حامد في الاقتصاد وفي مواضع من الاحياء أيقنت انها تناقض ما نسب اليه في المسئلة المتكلم فيها فانه قضى فيها بان ادخار الابدع مع القدرة عليه ظلم ويخل وقضى هنا بان صب العذاب والالام والاصاب على الخلائق عدل لا ظلم فيه والتناقض بينهما اظهر لا يخفى فان ادخار الابدع اذا كان ظاهرا يناقض العدل كان صب العذاب والالام والاصاب ظاهرا يناقض العدل بالاولى والاحرى وقد حكم عليه هنا بانه عدل لا ظلم فيه وقد صرح في المسئلة بانه ظلم يناقض العدل فيه تهاقت الكلامان وهذا المكان في الوضوح لا يخفى فان قلت كيف تكون المسئلة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولا سيما في الاملاء فان ذلك يقتضى انه وقف على اشكالها واشتغل بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه لبادر الى انكارها وتبرأ من قبحها وعوارها قلت لامانع من أن يقع الكذب عليه مرتين مرة في نسبة المسئلة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار ما معناه ان وجود مسئلة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة الى امام لا يدل على انه قالها حتى تنقل عنه نقل متواترا

ليستوى فيه الطرفان والواسطة وذلك مفقود في مسئلتنا قطعاً فلذلك قطعنا بانه لم يقلها حيث وجدنا مخالفة لعقيدة أهل السنة والكلام الغزالي في سائر كتبه اه قلت هذا الذي ذكره بعيد ولو كان ذلك في كتاب واحد كان الامر سهلاً وما كان الغزالي من الموصوفين بالبلاغة حتى يمشي عليه الدس في كتابه ويسكت عليه ولا يتفطن له مع رسوخ قدمه في علم الكلام وسائر العلوم وهبه انه فطن له ونهوه عليه واستشكاه ما كان مقتضى ورعه وعلمه ان يتبرأ منها ويصحح بان هذا ليس من كلامي بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة في معرفة اصطلاح القوم ووصية جامعة تقدم ذكرها ومن جملتها اذا نظرت في كلام أحد من الناس فلا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات واذا عرض لك فيه اشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلاف نغمة ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عنك فهمه الى آخر ما قال وهذه المسئلة المتنازع فيها كذلك فان ظاهرها يؤدي الى اختلال وقداعة اص عنها فهم العلماء الابطال فينبغي تسليمها لاهل فهمها والاشتغال عنها بما هو أهم في الحال وادعاء الدس في سائر كتبه حتى في الاملاء أبعد من الاول وما نقله عن القاضي أبي بكر الباقلاني فيه تضيق شديد فان الشرط الذي ذكره مفقود في غالب كتب الاسلام من الفقه والحديث التي عليها عمل الناس اليوم في الاحكام فضلا عن كتب الكلام والرفائق والتصوف ولئن سلمناه فانه يجبر الى فتح باب اللطعن على كثير من مؤلفات الائمة الاعلام فتنبه لذلك

(فصل) في ذكر الطائفة الثالثة وهم المنتصرون للمصنف فأولهم على الاطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه فانه سئل عنها في حياته وأجاب وهذا نصه في الاملاء قال السائل وما معنى ان ليس في الامكان أبدع من هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة على خلقه لمكان ذلك بخلاف يناقض الجود أو عجزاً يناقض القدرة الالهية فقال في الجواب معنى ان ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة عليه كان ذلك بخلاف يناقض الجود الالهى وان لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً يناقض الالهية وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج هذا العالم من العدم الى الوجود عجزاً مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لان تأخيرهما بالعالم قبل خلقه عن أن يخرج من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فاذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفناها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم بحجاري أفعاله ومصادر أموره وليتحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وادارته وقدرته وان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاقتان ومبلغ جودة الصنيع ليجعل كمال ما خلق دليلاً قاطعاً وبرهاناً واضحاً على كمال في صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان كل ما خلق ناقصاً بالاضافة الى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه لمكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلقه ناقصاً في أشخاص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه فلنا ذلك خلق للخلق عقولاً وجعل لهم فهم ما وعرفهم ما أكن وكشف لهم عما يحب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله داهم على نفسه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بعجزه فتسأل الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضاً فريعتهم بهذا ولا تشير به الى من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الفكر الصحيح في منشأته وبخترعته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تفرق في عجائباتها ولا لاحظا المكوت ببصر قلبه ولا جاوز الخنوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أغني التعميم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى السكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم اسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرج من العدم الذي هو نقيض الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله طبقات فمن حى وميت ومغترل وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وجليل وحقيق وصغير وكبير وغني وفقير

بأمور وأمر ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر ومن ذكر وأنتى وأرض وسماء وذنبا وآخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به وهو جود بقدرته وباق بعلمه ومنته إلى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته فسا أكل من حديثه الأقدمه ولا من تصرفه الاستبداده ولا من ملكه الاملكه فيعود الحديث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلقه كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخيل المعتوهين وزيف الزائعين علوا كبيرا هذا آخر ما نص عليه في الجواب وقد نقض البقاعى عبارة الاربعين والاحياء والاملاء فقال في الرسالة الثانية وأما التفصيل فقوله في الاربعين ان الاسباب رتب على المسببات على أكل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكل يلزم عليه أن ندع كل أحد على ما هو عليه فان الذى هو عليه مرتب على سبب من الاسباب على الوجه الذى ادعى انه لا يكون أحسن منه فيلزم من ذلك أن يجب علينا أن ندع الكافر على كفره والعاصى على عصيانه الى غير ذلك مما أمرنا الله بخلافه وقوله ليس في الامكان أحسن منها من مفهومه ان هداية الكفار لا تتم لكن لانه دون ما تنقضه نهاية الحكمة وهذا أمر يناقض صراخ آيات كثيرة وهو نقض للسريرة ولا سيما اذا قرنت هذا الكلام بما عقبه من قوله ولو كان أى غير ذلك ممكنا لكان أى إجماده لذلك الواقع مع ادخاره ذلك الاكمل بخلا لاجودا أو عجزا يناقض القدرة فان ذلك بوضع غايه الايضاح ما قلت ويفهم قوله وليس في الامكان أحسن منها ان ذلك غاية ما يمكن القدرة ان تصل اليه فيناقض حينئذ قول الحق نفسه ان المقدورات لانهاية لها وان كماله سبحانه لاحد له كما تقدم ويلزم عليه أن يكون سبحانه غير مختار في أفعاله وأن يكون مسه النصب في ايجاد كل شئ فان من بذل غاية وسعه في عمل شئ تعب ولا يكون في العادة ولا يدخل في العقل غير ذلك وهذا يناقض قوله سبحانه وما من من لغوب وزير بهذا الذى فهمته مما ذكره في الاربعين وضوحا وقوله في الاحياء ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فلكم عدل محض لاجور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منهم ولا أتم ولا أكمل فهذا يدل على قطعنا على أن ذلك الذى وجد من كل شخص بكل وصف قام به غاية ما اتصل القدرة اليه وهو واجب الوجود على ما هو عليه لا يمكن شئ غيره ولا أن يكون على حالة غير حالته التى وجد عليها أو انه ان تحول من حالة كان على دونها في الحسن فيلزم عليه أن يكون كفر الكافر أحسن من إيمانه وبريه وضوحا ما بعده من قوله ولو كان أى في الامكان أحسن منه وادخره مع القدرة ولم يفعل له لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولا شك ان هذا انما يكون كذلك من يتوجه عليه الحكم ليكون ثم من يوجب عليه أن يفعل غاية وسعه فان قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلا وجائرا وظلما وأما من تم ملكه وكل ملكه فانه لا يجب عليه شئ ولا ينسب الى ظلم وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة في وجوب رعاية الاصطلاح الذى هذا الكلام شديد النزاع اليه بل لا شك انه عين القول به وقوله ولولم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية هذا صحيح ولكن نجيل هذا المدعى ونقول هو قادر على كل ممكن وهذا من جملة الممكنات لانه لا دليل على استحالته وقوله اذلول الابل لماعرف قدر النهار الى آخره كلام صحيح في نفسه بالنسبة الى ما أوجده سبحانه الآن وأما انه تعالى لا يقدر على التعريف بغير ذلك فلا والله بل هو تعالى قادر على ان يعزفنا جميع الاشياء المتضادة قبل كونها ثم ساق حديث أبي هريرة في نظر جبريل عليه السلام الى الجنة وكيف حفها بالثمار والى النار وكيف حفها بالشهوات ثم قال في هذا أمران أحدهما انه خلق كلالا من الجنة والنار على انقص مما هي عليه الآن فعلم بطلان قوله انه اذا فعل فليس في الامكان ان يفعل الانتهاء ما تقتضيه الحكمة وهذا كما خلق الارض دون الراسى ثم أنها هالى الحد الذى أراده وهو قادر على أعلى من ذلك ولم يكن تأخيرها لما أخر من بخل ولا عجز تعالى الله عن ذلك والثاني انه يمكن معرفة الشئ قبل ايجادها ومن ثم تعرف بطلان قوله ولولم يخلق الناقص لم يعرف الكامل وأما قوله ان ذلك عدل فلا شك فيه والفضل أوسع ولو جعل الامر على غير ذلك لكان عدلا لانه لا يشل عما يفعل وأما كونه حقا لا لعب فيه بان يجعل بدل الكفر الإيمان وبديل

المعصية الطاعة ونحو ذلك ولو جعل بدل إيمان المؤمن كفر السكان ذلك حقاً لا لعب فيه ولو جعل بدل تنعيم الطائع عذاب السكان عدلاً لا جور فيه هذا دين الإسلام الذي لا ريب فيه وإن كنا نعلم أنه لا يفعل ذلك لأنه أخبر بخلافه وهو لا يبدل القول لديه وأما قوله في الاملاء ليس في الامكان أبدع صورة الخ فقد تقدم ما فيه وقوله وكيف يقضى عليه بالعجز فيمالم يخلفه اختياراً ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار الخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيمأذ كثرناه وما الفرق بينهما معناه أن قوله لو دخره مع القدرة لزم عليه العجز يلزم عليه ذلك بعينه قبل ابداع هذا العالم فإن اعتقاد المسلمين أن العالم حادث ولا شك أنه قبل احدثه كان مؤخر الإيجاد له مع القدرة عليه فإن قلت إن كل تأخير يلزم عليه العجز لزم وصفه بذلك في الازل قبل خلق العالم والأقرب أن قلت وجهها فاجاب بأن ذلك التأخير كان واقعاً تحت الاختيار الممكن حيث أن للفاعل المختار أن يفعل وإن لا يفعل يعني وتأخيره لأحسن منه ليس داخل تحت القدرة لأنه من قسم المحال الذي ليس من شأن القدرة أن تتعلق به وذلك لا يلزم عليه عجز لأنه ليس من شأن القدرة أن تتعلق به ولا يلزم عليه بحسب لانه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه وهو ناقص لأنه لو سلم كان مخلاً بما ألزم به من الجمل وهو لازم في الازل قطعاً لو صح دعواه وليس عنه جواب فإن سلم أن هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن وكان قد ادعى أن الادخار مع القدرة محال واسقاط الشق الذي لا جواب عنه يرجع عندي أن هذا الكلام مدسوس عليه وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه لكنه غير مسلم بل خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن ولا يثبت المحال بمجرد الدعوى بل على من يدعيه البيان وقوله فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أن الحكمة كلام يناقض الفعل بالاختيار فهو قطعاً قول من يقول أن الفعل ذاتي لا اختياري أو قول من يقول أن الفاعل الطبيعة لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة والاول قول القائلين منهم بعدم العالم بالزمان لا بالذات ويكفي في رده أن الله تعالى خلق الأرض أولادون الجبال فلما عادت أرساها بالجبال فسكنت فلم تخلقها أولاً على نهائية ما تقتضيه الحكمة ولقد كان تعالى عالماً بأن ما اضطرب ادخلها ولكن أنه أخر ذلك لحكم عظيمة منها تعليمنا أن لانهم بشئ من أمر الدنيا قبل الحاجة اليه بالفعل ومنها الرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة في أن فعله بالاختيار يخلق الناقص والكامل ولا يستل عمياً يفعل هذا آخر ما تقتضيه البقاعى على الكتب الثلاثة وقد بحثه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك حيث قال في الرد على جواب الاملاء خاصة إذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا اله الا هو فإذا كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم فيجب أن يكون هو السبب في تأخير وجود الابدع والاعراض عنه وحينئذ فقوله فليس في الامكان الانهائية ما تقتضيه الحكمة يقتضى أن الاختيار مسلوب عند الفعل وأنه تعالى يجب عليه فعل ما تقتضيه الحكمة وحينئذ فيقال لا يبي حامد فإذا كان الابدع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه فيقول لا محالة فيقال انما عدل عنه ليثبت له الاختيار فيقال له وكذا بعد الفعل انما يجب فعل الابدع ليثبت له الاختيار فإن قال عند الفعل فيسبب عنه وقبله فيثبت له لزمه نفي وصف الاختيار الثابت له أولاً ما ثبت قدمه استحالة عدمه فهذه حجة واضحة على حجة الاسلام اه قالت كل منهما ندن حول الحى ولم يحط بمراد المصنف ولا حام على ما هو بصدد وقوله مأخوذ من قول الفقهاء ان الاحكام تتبع المصالح والراحة بفعل سائر الافعال كذلك واقعة بحسب المصالح والراحة من غير تعرض لنفي القدرة أصلاً ولان نفي الاختيار عند الفعل فكل فعل أوجده الله تعالى دل إيجاده له على أن المصلحة في إيجاده أرجح منها في عدم إيجاده مع صلاحية القدرة قطعاً لعدم إيجابه وكل ما لم يوجد دل عدم إيجاده له على أن المصلحة في عدم إيجاده أرجح منها في إيجاده مع قدرته قطعاً على إيجاده هذا معنى كلامه في الاحياء وفي الاملاء ومقصوده بذلك حث العبد على منتهى مقام التوكل الذي هذه المسئلة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى كإدلال عليه سياق صاحب القوت ومساق كلامهما يدل على ما ذكرته حتى لا بأسى على شر أصابه ولا خسر فانه ومن ذا الذي يقول في شر أصابه أن القدرة لا تصلح لعدم إيجاده أو في خبر فانه انما لا تصلح

لا يجادده هذا لا يقوله عاقل لا مسلم ولا كافر فان أهل الملل اتفقوا على اثبات القدرة لله تعالى ولولا ما لو افهمنا
 ذكرناه أولاً ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان الوجود بل على كونه ابداع لم يتوقفوا في فهم كلامه ولا
 جلبوا هذه العبارات التي لا طائل تحت أكثرها فان النفي حينئذ وصف في صفات الممكن لا القدرة البتة ألا
 ترى انك لو قلت هذا الفعل ليس بحسن هل يكون في نفسك الحسن عنه قدح في القدرة أو تعرض لها بوجه
 من الوجوه لا فكذلك اذا قلت هذا الممكن ليس بأبداع وها أنت قد ادعيت في الوجود انه ليس بأبداع مما وجد فان
 كان في قول المصنف تعرض للقدرة فهو في قولكم أيضا ويلزمكم ما يلزمه وليس الامر كذلك لا في قولكم ولا
 في قوله ما ينفي القدرة أصلا وانما النفي منصب على وصف من صفات الوجود أو الممكن لا تعرض فيه للقدرة
 أصلا ومن المعارضين من ادعى انه ليس الكلام في افراد ما يوجد في هذا العالم بل الكلام انما هو في امكان عالم
 آخر غير هذا العالم وهو ممنوع بل الكلام انما هو في الاول كما هو مساق كلام المصنف نعم كلام الفلاسفة
 في الثاني وليس هو مراد المصنف ومن هنا جاء الغلط عليه فظنوا لاشتباه المقاتلين انهم جاوروا على محل
 واحد وليس كذلك لا محلا ولا تصورا ولا حكما وأما الجواب عن عدم ذكره في السؤال الذي تكلم عليه
 في الاملاء كلمة العدل واقتضاه على جملة الجود خاصة اما لكونه أبان لهم عن مراده بما حال التدريس
 أو عرفهم ذلك لكونهم من أهل الفطنة الزائدة والخبرة بمقاصد المصنفين والمناظرين فاستغنوا عن السؤال عنها
 وانما أوردوا عليه لزوم مثل ذلك من قبل ايجاد العالم فقط وطلبوا الفرق فبين لهم فرق ما بين الحالين
 وأما اطلاق لفظة البخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها المصنف المبالغة في تقريب الدليل الى الاذهان
 فكانه قال لاشك في ان البارئ تعالى جواد لا يبخل وهو منزوع عن البخل والجواد لا يخص بعبادته أحد دون
 أحد الاحكام وقد قدر على أناس ككوسع على آخرين فلو لم يكن تقييده على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح
 في حقهم لكان منافيا للجود والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي بصفة الجود والافضال وأنت اذا
 تأملت ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان النكتة في العدول عن فاعل الى فعال ان
 أدنى الظالم لو فرض صدوره من البارئ تعالى لكان عظيما بالاضافة الى جنبه كما يقال دولة العالم كبيرة وجاء النفي
 بحسب ذلك وتأملت قول المتنبي يحاطب بعض الكرام * ما من اذا وهب الدنيا فقد بخل * يريد ان مدح حبه
 تناهى في الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا كان بالاضافة الى ما يقتضيه مقامه بخلا انحل عندك
 الاشكال في اطلاق هذه اللفظة

(فصل) ومن المنتصرين الامام العارف المحقق الملقب بالشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي قدس سره وأورده
 في الفتوحات المكية وفي الفصوص وفي كتاب الشريعة ولفظه في الفتوحات على ما نقله الشعرا في
 الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية ان كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لانه ما ثم الا
 مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق تعالى وحده باجتماع جميع الملل والمرتبة الثانية للخلق فلو
 خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما يساويه في القدم
 لانه سؤال مهم في غاية المحال اه ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبي المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني
 رحمه الله تعالى ما نصه قال سيدي عبد الوهاب الشعرا في الجواهر والدرر سالت شيخنا رضي الله عنه عن قول
 الغزالي ليس في الامكان ابداع مما كان فان بعض أئمة المغرب أفتى بكفر قائل ذلك فقال رضي الله عنه بلغنا عن
 الشيخ محيي الدين انه كان يقول من كفر الغزالي بذلك فهو غير مصيب والجواب عن ذلك سهل وانه ما ثم في
 الوجود الامر بتبائن فالحق تعالى في مرتبة القدم والخلق كلهم في مرتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج
 عن مرتبة الحدوث ففراد الغزالي بنى الابدعية التحاق الحادث بمرتبة القديم وهذا غير ممكن اه وقد نقضه الشيخ
 سيدي أحمد بن مبارك فقال وهذا ليس من الجواب في شيء ولا نسبة بينه وبين مسئلتنا بوجه ولا بحال وانما يصح
 أن يكون جوابا لو كان مدعى الغزالي ان ليس في الامكان ابداع من القديم ومدعى المنكرين عليه ان في الامكان

ما هو أبدي من القديم فيكون الجواب عليه ان الحديث لا يبلغ القديم أبداً اما حيث كانت دعواه في مراتب الحدود وان ما وجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدي ومنه ودعوى المذكر من انه يمكن أن يوجد ما هو أبدي ومنه والالزام تنهى المتدورات وذلك يستلزم القصور في القدرة المفضي للجز فاني يلاحظ ذلك الجواب اه قلت جواب الشيخ الا كبر منترع من عبارة المصنف في آخر جوابه في الاملاء وهو قوله فمأكل من حدث الاقدمه الخ فالأبدية للقديم وليس في الممكن أن يخلق أبدياً منه لانه محال والقدرة لا تتعلق بالايمان ولو كان ممكناً وخلق لا لتحق المرتبة الثانية بالاولى ولزم منه صيرورة الحادث قدماً هذا الذي فهمته من عبارته والفهوم يختلف وقد ذكر الشيخ في الفتوحات في السؤال التسعين عبارة أخرى تشبه سياق المصنف قال المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لانه مخلوق لغيره لانفسه فالذي خلقه ما أعطاه الا ما يصلح أن يكون له تعالى والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلو علم انه مخلوق لربه لعلم ان الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه وهذه المسئلة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة كبرهم لها وهي مما يحتاج اليها في المعرفة المبتدى والمنتهى والمتوسط فلم يبق في الامكان أبدي من هذا العالم ولا أكمل في باقي في الامكان الا مثاله الى ما لانهاية له اه وفيها أيضاً في السؤال السادس والمائة ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الالمانية والالهية وهو المظهر الاكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الامكان أبدي من هذا العالم لاكمال وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة وناثباً له الاثر الكامل في جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر اه وفي حكمة الاشراق السهروردي المقتول ولا يتصور الوجود الا كجوه عليه اذ لو تصور الوجود وأمكن أن يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجب لذاته لعدم البخل قال الشارح وهو القطب الشيرازي وهذا ما ذكره الغزالي في بعض كتبه ونقله عنه الشيخ الكامل يحيى الدين في الفتوحات واستحسنه اه وقد تعلق المعتضون بهذا ان كلام المصنف مبني على كلام الفلاسفة وهو غلط فان مساق كلام المصنف غير مساق كلامهم ولا شبهة المقالتين ظن الشارح المذكور ان الغزالي اقتبس من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه به فتأمل وقال الشيخ الاكبر في الفصوص في الفصل الاووي فليس في الامكان أبدي من هذا العالم لانه على صورة الرحمن اه وقد اعترض عليه وانه منترع من كلام الفلاسفة وليس كذلك بل هو منترع من الكتاب والسنة والمراد بالعالم الانسان قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وفي الخبر المتقدم بذكره ان الله خلق آدم على صورته والآية نص قاطع في ان الصورة التي خلق عليها الانسان لا أبدي منها ما فهمنا من المحاسن والحكم

(فصل) ومن المنتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشي من كبار أئمة الشافعية قال السيوطي بلغني انه تكلم على هذه الكلمة في تذكرة فطلبته حتى وفقت عليه فقال فائدة قال الغزالي ايسر في الامكان أبدي من هذا العالم لانه لو كان ممكناً لم يفعل له كان بخلاف يناقض الجود او عجزاً يناقض القدرة وهذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع لكن الظن به انه انما أراد بها تعظيم صنعة الصانع لا بصنع أحد صنعه ولا تذكر في بواطن الابداع حكمته فقد أوجد ما لا يمكن العقل ان يجاريه فليس في الامكان يمكن أبدي من الانسان لاشتماله على أحكام أنواع الوجود فهو في غاية الحكمة بالنسبة الى ادراك العقول النيرة لا بالنسبة الى عالم السر والخطية الكامل المطلق الذي لا تنتهي أحكامه ولا تنفذ عجايبه فإرادته ليس في الامكان باعتبار ما تقتضيه العقول لا باعتبار ما في غيب الله تعالى ولهذا قال تعالى ويخلق ما لا تعملون فحكم العارف على قدر ادراكه لا على قدر أحكام ربه فان الرب تعالى محيط بكل شيء وليس لاحد احاطته بنوع من أنواعه من كل

وجه فان لكل نوع أحكاما متعددة منها ما أطلع الله عليها خواص خلقه ومنها ما هو راجع له قال ومنهم من قال معنى قوله ليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده فليس غير ذلك يعني انه ليس في الامكان أبدع من وجوده فانه يمكن في نفسه وما استفاد الوجود فلا أبدع في الامكان من الوجود وقد حصل فانه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الاول الذي يقول فيه ولعله انما أراد تعظيم صنعة الصانع مانصه وذلك لان الاله الحق سبحانه ثبت له الاختيار المطلق واستحال في حقه الظلم والخل والجور فوله في دليله السابق اذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخه مع القدرة عليه لكان بخلا وطمحا لذلك فعلى هذا فاذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يفعل ذلك لسبب الكمال اختياره وتعالى في عظمته وسلطانه لما قاله هنا من ان ذلك بخل وعجز وطمع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال وفي قوله بالنسبة الى ادراك العقول النيرة الخ فيه نظار فان العقول النيرة تدرك في بداية نظارها جواز وجود ممكن ابدع ولا تحتاج في ذلك الى فكر ورؤية لان ذلك راجع الى العلم بجواز الحقائق التي قبل انهما نفس العقل وقوله لحكم العارف على قدر ادراكه أقول ان ذلك يدق ويخفى على غالب العقول وأما الظاهر المبذول الضروري فلا فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ عبد الكريم الجبلي صاحب الانسان الكامل فانه أجاب بان كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح أن يرقى عن رتبته في العلم الالهي ولا ينزل عنها فصح قول الامام ليس في الامكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوي في كتاب الاجوبة المرضية ووجدت بخط شيخنا المرحوم الشمس الحفني رحمه الله تعالى هذا الجواب له أبسط مما هنا وذلك انه قال سئل عن هذا القول فاجاب انه قول صحيح لانما كان قد تعاقب به العلم القديم بلا شك وما تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة ابد الاذلو قبل الزيادة لقبها العلم القديم ولا قائل به فصح انه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى وهذا هو نص الشعراوي في الجواهر والدرر قال وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث ان الله جليل يحب الجمال اي ان الله صانع العالم والعالم كام في غاية الجمال فافيه شيء من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال فليس في الامكان أجل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم ولو أوجد تعالى ما أوجد الى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لان الحسن الالهي والجمال قد حازه وظهر به فانه تعالى أعطى كل شيء خلقه وهو جماله اذ لو نقص شيء منه لنزل عن دوحته كمال خلقه فكان قبيحا اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الجبلي وهو النص الاول الذي أوردته أولا فقال وهذا أيضا ليس بجواب لاننا سلم ان كل واقع في الوجود لا يرقى عن رتبته في العلم ولا ينزل عنها وذلك لا يستلزم انه لا يمكن وجود أبدع منه وانما يصح أن يكون جوابا لو كان كلام الغزالي هكذا ليس في الامكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أو ينزل عنها اه قلنا الذي فهمت من سياق عبارة الجبلي الثانية ان مراده اثبات الابدعية لهذا العالم بسبب تعلق العلم الالهي به الذي لا يتعلق الا بالاجل والابدع وهو لا يقبل الزيادة فلا أبدع منه حيث نذهب الى الاعتبار فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الشريف المحدث نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السهمودي الشافعي تزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومولده سنة ٨٤٤ هـ فانه صنف رسالة سماها ايضاخ البيان لمن أراد الحجة على ليس في الامكان أبدع مما كان ناقض بها رسالة ابن المنبر الاسكندري السابق ذكرها ولم اطلع عليها الا ان الشيخ سيدي أحمد بن مبارك قد طفر بها قال قد اطال نفسه فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة بخط مضموم وقد تصفحتها غاية وأعطيتهما ما تستحقه من الانصاف والتأمل فوجدتها اثره على ثلاثة أمور أحدها المصادرة عن المطالب والثاني ما وقع له من الغلط في القبح والحسن العقليين وهو أشد ما في رسالته شبهة والثالث عدم فهمه لكثير من كلام ابن المنبر على الوجه الذي ينبغي ثم ساق ايضاخ هذه الامور الثلاثة تركها طولها وكثرة الكلام عليها وقد قال في آخر كلامه وأما كونه لم يفهم مقاصد ابن المنبر فاني لا تعرض له لطول الكلام

فيه الا اني أقول قولاً مقتصراً وهو ان غالب ما ذكره ابن المنير صحيح حق لاشك فيه وردودانه على عبارة الاحياء مستقيمة لا عوجاج فيها وأجوبة السيد عن غير تامة الاحرفا واحدا فاني أخالف فيه ابن المنير وهو تنقصه من مقام أبي حامد وغضبه من رتبته فاني لاوافق على ذلك فان أباحامد امام الدين والدينار عالم الاسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة اليه في الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه في كتبه يرددها من كل وجه

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله محمد بن عمر المغربي تزيل مصر وهو شيخ كل من الحفاظ جلال الدين السيوطي وأبي النجاشي خلف اللقوي وعبد القادر بن حسين الشاذلي في التصوف فانه قال حين سئل عن هذه المقالة ان معناه ليس في الامكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وادراكه وأبدعيته خاصة به تعالى فان ذلك أكمل وأبدع حسنام من هذا العالم الذي أظهره لنا اذ لو كان هذا العالم يدخله نقص لتعدى ذلك الى خالقه فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقد أجمع أهل المال كلها على انه لا يصدر عن الكمال الا كمال قال تعالى والسماء بيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلوم ان الامتداح والامتداح لا يكون الا فيما هو كمال الاوصاف والا فكيف يمتن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بفضول هـذا نص الجواب في كتاب الاجوبة المرضية للشعراني وذكره في الجواهر والدرر الا أنه قال فان ذلك أكمل وأبدع حسنام من هذا العالم بالنسبة اليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى والسماء بيناها بايد الاية في مقام الامتداح واعلم ان الامتداح لا يكون الا فيما هو غاية ونهاية لاني المفضل اهـ وقد ساقه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك كما سقناه أو لا حرفاً بحرف واعترضه فقال وهذا ان سلم من التصحيف فليس بجواب أيضاً ما أولاه متدافع اذا أوله يقتضي نفى امكانه مطلقاً لو ثبت امكان الابدع لكان هذا الموجود ناقصاً بالنسبة اليه فيسرى النقص الى خالقه تعالى وحينئذ فتختار ما اقتضاه أول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره ولا نسلم لزوم النقص في الخالق سبحانه اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوته في الفاعل كما لا يخفى والا فالحادث كله ناقص لاحتياجه واقتضاه الى خالقه فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع أيضاً بالنقص بالحدوث واما ما نافي الاجماع الذي عول عليه لايتم في هذا الباب عليه لان المسئلة راجعة الى القدرة التي هي احدى معجمات الفعل التي لا يمكن اثباتها بالاجماع كما لا يخفى واما ما نافي الاجماع الذي هو حجة ومعصم هو اجماع هذه الامة الشريفة بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرهما من الملل وهذه الامة أثبتت لهم الاختيار وأن يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد اهـ قلت وان تأملت هذه الردود وتوجدتها في معرض السقوط اما أولاً فان المجيب أشار بأول جوابه الى مقام المعرفة المعاني الصفات الذي هو من جملة مقامات الرضا وهو مشاهدة الصانع في جميع الصنعة والنظر الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا ينظر شيئاً بعين النقص والاحتقار فانه بمنزلة الغيبة لصانعه لانه صنعه ونتاج حكمته ونفاد علمه وحكم تدبيره له في كل شيء حكمة بالغة لانه اذا عبت صنعة أحد أو ذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمته أظهرها اذ كانت الصنعة بمجبوله لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها فهذا معنى قوله لتعدى الى خالقه وهو كلام صحيح وقدم تفسيره نقلاً عن أبي طالب المكي وغيره فهذا مقام المحب الراض عن الله متادب بين يديه يستحي ان يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص الى ما صنعه فانظر أين هذا المقام من قول المعارض اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوت النقص في الفاعل فالمجيب في وادو بين الوادين كباين السماء والارض وأهل مشاهدة هذا المقام انما ينظرون الى ما أعطاهم الكشف الصحيح المطابق بمعياريه اليقين وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة وحينئذ ظهر لك أن لا تدافع في كلام المجيب وقوله والا فالحادث كله ناقص الخ هذا ممنوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضايقات فقد يكون الشيء كاملاً من وجه ناقصاً من وجه آخر فهو بالنظر الى أنه صنعة الحكيم القادر فانه في غاية الاتقان والكمال ليس فيه نقص أبداً ويكفي في ثبوت كماله هذا القدر من هذا الوجه فبطل قوله

فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع لنقصه بالحدوث وامانا نيا نقول المعترض لان
المسئلة راجعة الى القدرة الخ قلت بل المسئلة راجعة الى اول مقام من المحبة الذي هو من مقامات الرضا واسط حال
في التوكل والتسليم والتفويض وكل منهما من مقامات اليقين وابواب الايمان ولاذ كرفها بالقدرة نفيوا اثباتا
فان ادعت انها تفهم العجز في القدرة الالهية فاقر أصدر كلام المصنف يظهر لك اثباتها فاسمن موحده تعالى
معترف برؤيته شاهد لوحدايته الا وهو معترف بكلامه تعالى في ذاته وفي صنعه مفعول الى امره مستسلم
له فهذا هو الذي اراده المجيب بقوله وقد اجتمع اهل الملل على ان هذه الجلة ساقطة في سياق الجواهر والدرر كما
قدمناه وامانا لا نقوله وهذه الامة اثبتت لربها الاختيار كأنه فهم ان قول المجيب لا يصدر من الكامل الا
كامل مما لوهم سلب الاختيار عن الفاعل المختار بل يكون بالاجاب بالذات كما نقوله الفلاسفة وليس كذلك
ومن أين يؤخذ ذلك منه فالفاعل المختار كامل في ذاته وصفاته وله الاختيار قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل
والكامل في ذاته وصفاته فاعل مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وصنعه الذي اظهره على وصف الكامل والتمام
لانقص فيه من حيث انه صنعه وهو القادر المطلق الصانع البديع المتقن لاله الا هو سبحانه وتعالى
* (فصل) * ومن المنتصرين الامام المشهور شيخ الاسلام زكريا الانصاري وهو ممن جمع الله بين الفقه
والتصوف قال لا يحل لاحد ان ينسب الى أبي حامد القول بأنه تعالى عاجز عن ايجاد ما هو ابدع من هذا العالم فان
هذا الفهم منشؤه توهم ان المراد بالامكان في عبارته بمعنى القدرة أي ليس في القدرة ابدع مما كان وليس
كذلك بل هو بمعنى المشهور المقابل للامتناع والاجاب لكن بحذف مضاف أو بجعله بمعنى الممكن من باب
التي المصدر على اسم الفاعل ففاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب الامكان أو ليس في الممكن ابدع مما
تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على
ايجاد ابدع مما فعله بكل أحد وهو باطل عند حجة الاسلام كسائر اهل السنة لبنائه على وجوب الاصلح عليه
تعالى وهو اصل باطل الى أن قال فعلم ان حجة الاسلام لم يرد بالامكان في كلامه القدرة لانه لو اراده لرجع
كلامه حينئذ الى كلام المعتزلة الى أن قال وبذلك علم ان اللفظ المذكور لا يحتاج الى حل وانه لا ينبغي أن يقال
دس عليه أو انه زلة منه أو غير ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه
الذي قرره فليعتمد ذلك في هذا المقام فانه من مزال الاقدام اه وقد اعترضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال
ولا ينبغي ما فيه وما عول عليه في دفع الحال عن حجة الاسلام بحمل الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه
فان المحذور بحاله لان المعنى حينئذ ليس في جانب الامكان أو في الممكن ابدع مما كان فيلزم أن يكون الابدع
المفروض في جانب الامتناع أو في الممتنع وكونه في جانب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا أيضا
فاذا كان في جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيساو قول من قال لا يقدر على ايجاد الابدع المفروض لان
الابدع اذا كان في جانب الامتناع فليس في القدرة ايجادا فالحال لازم على حمل الامكان على معنى القدرة أو
على معناه المشهور المقابل للايجاب والامتناع وهو ظاهر وقوله مفاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب
الامكان ابدع مما تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس المدعى
ان العدم ابدع من الوجود حيث يكون نفيه الذي هو كلام حجة الاسلام غير حق البتة وقوله ومفاد عبارة
المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على ايجاد الابدع أقول هو لازم لكلام حجة الاسلام على ما أولته
أيها المجيب فان الابدع اذا لم يكن في جانب الامكان لزم انه في جانب الامتناع لزم قطعاً ان القدرة لا تتعلق
بالممتنع فجاء المحذور اللازم وقوله وبذلك علم الخ أقول اياك أن تغتر به هذا الكلام فان غاية ما فيه ان
الامكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور وقد عات ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب
اعتقاده على الوجه الذي قرره أقول حاش لله أن يعتقد أحد أن الابدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعل له كان
مخيراً فان هذا عين رعاية الصلاح والاصح الذي هو عين مذهب المعتزلة وانما الذي يجب اعتقاده انه تعالى فاعل

بالاختيار لا يستل عما يفعله وربك يخلق ما يشاء ويختار و يخلق ما لا تعلمون ولا يحيطون به علما اه قلت كلام المحيب منتزع من الجواب الثاني الذي قرره الزركشي وسبق بيانه وتوضيحه ان المراد بما تعاقبت به القدرة هو العالم المشهود الموجود جميع أجزائه الروحانية والجسمانية والجوهرية والعرضية اذ بظهوره ظهرت آثار صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن والانسان الكبير فكان بهم هذا المعنى أبدع ثم قال وهو حق اذ الوجود غير من العدم أي لظهور المرجح وهو تعلق العلم والارادة والقدرة به وخلاف المعلوم وقوعه محال كما هو مقرر عندهم وابداع عالم غير هذا وان كان ممكنا بالنظر اليه فليس بممكن بالنظر الى علم الله تعالى لوقوع أحد الامكانين واحدية المشيئة فيه وماتعاقبت المشيئة الالهية بكونه فلا بد من كونه وما لا بد من وقوعه لا يتصف بالامكان بالنظر الى هذه الحقيقة الحشوية وكلام صاحب الفتوحات نص في أن المرجح لا يفارق كلاً من الوجود والعدم حيث قال في الباب السابع والاربعين وثلاثمائة ان الاشياء لما كان الامكان لا يفارقها طرفه عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح منها لانه لا بد أن يتصف باحد الممكنين من وجود وعدم اه يوضحه قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز يرأى بممتنع ولا ينتفي الامتناع الا عند امكان الذهاب والاتيان بخلق جديد لكنهم لم يعاينوا الواقع ترجيح للوجود الى الاجل المسمى مع النص ان الامكان ما فارقوه وكذلك قوله تعالى ان يشأ يذهبكم أي الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قد رافق المقدورية فرع الامكان مع ان الواقع ترجيح الابقاء فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الحافظ الكبير جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى فانه صنف كتابا في هذه المسئلة وسماه تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان رديه على البرهان البقاعي تأليفه المتقدم ذكره قال فيه وبعد فقد نقل عن الامام حجة الاسلام ولي الله تعالى أبي حامد الغزالي رضي الله عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان وقد استذكر ذلك بعض العلماء الموجودين وادعى ان ذلك امام مدسوس في كتابه أو زلة صدرت من عالم وان هذا الكلام يلزم منه استنجاز القدرة الالهية واستقصاها كما يقوله الفلاسفة أو وجوب الاصلح على الله كما يقوله المعتزلة وألف في ذلك كتابا سماه تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان وذكر فيه أشياء مما تعرض على أجهل السوق ولم يشك في صلاحية القدرة فضلا عن طالب علم فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ولما رأيت هذا الكلام من المنكر صادرا عن عدم الوقوف على مقصد حجة الاسلام تعجبت من ذلك كل العجب وقد وقع الاحاح على في الكتابة بالرد عليه وأنا أرى ان الاولى السكوت ولزوم البيوت حتى شرح الله صدرى لآبانه مقصده هذا الامام بالطريق القويم رجاء الهداية الى الصراط المستقيم فرقت هذه الاحرف بسميتها تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان ثم ذكر فيه أشياء نفيسة وتحقيقات بدیعة واستدل على المطلوب بكلام الائمة وأحاديث وآثار وأحسن فيه غاية الاحسان وقد ادرجت غالب ما أورده في أثنائه ما تقدم من السياق على حسب المناسبة ومن جملة ما ذكر فيه وكنت قد توقفت فيما استشكلوه من كلامه أياما حتى من الله على بحله بعد التضرع اليه فالحمد لله والحمد لله الاسلام رضي الله عنه انما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معا لئلا يدعى عدم الامكان على المذهبين فكانه قال هو محال اجماعا من الفريقين اما على مذهب أهل السنة فلان ادخاره مناف للفضل وهو الذي عبر عنه بالجلود الالهية واما على مذهب المعتزلة فلان ادخاره عندهم ظلم ينافي العدل فأتى بكل جملة لفريق وليس مراده بالجلتين التقرير على مذهب واحد وتظير ذلك ما لو مثل الشافعي عن رجل توشأ ولم ينو ومسح القليل من رأسه فقال وضوءه باطل لانه لم ينو ولم يمسح ربع رأسه فاصد بذلك بطلان وضوءه اجماعا ولو اقتصر على قوله لانه لم ينو لكان كافيا لكنه لا ينتهض دليلا على الإبطال الاعلى مذهبه فقط لا على مذهب الحنفي فضم اليه ما يقرر باطله على مذهب غيره أيضا ويؤيد ان هذا الذي فهمته هو مراد الغزالي انه لم يذكر الجلتي الا في الاحياء فقط ولم يذكر في الجواهر جملة العدل بل اقتصر على جملة الفضل والجلود التي يتم بها اللبس على مذهب أهل

السنة اما اكتفاء بذلك وعدم الالتفات الى مذاهب المبتدعة واما ارادة الاجاز واما ازالة اللام الذي توهمه عبارة الاحياء اه وقد تعرض له الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال لوعبر حجة الاسلام كذلك اقرب الحال ولكنه قال لو ادره مع القدرة لكان بخلافه بقاؤهم من أهل السنة ينزهون ربهم عن وصفه بالخل فقد بان ان العبارة الاولى لا تأتي على مذهب أهل السنة قال ابن التلمساني في شرح المعالم بعد ذكره مذاهب البغداديين من المعتزلة في وجوب رعاية الاصلح وهو لاخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو ان الله تعالى جواد وان الواقع في الوجود هو أقصى الامكان ولو لم يقع لم يكن جوادا وقال ابن الهمام في المسامرة ان المعتزلة يقولون ان ترك مراعاة الاصلح بخل بحسب تنزيه الباري عنه فكان الشق الثاني مفرع على أصول المعتزلة كذلك الشق الاول اه قلت جواب السبوطي رحمه الله تعالى في غاية التحرير والاتقان وليس فيه الا الذي أشار اليه المعترض من ذكر لفظ البخل وهو قد أجاب عنه في كتابه المذكور ولو اطلع عليه المعترض لهدرت شقشقة وذلك فيما أورده سابقا وهو قوله واما اطلاق لفظ البخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها الغزالي المبالغة في تقريب الدليل الى الأذهان فكأنه قال لاشك ان الباري تعالى جواد لا يخل وهو منزّه عن البخل والجواد لا يخص بعباده أحد دون أحد الحكمة وقد قرع على أناس كما وسع على آخرين فلولم يكن تقديره على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للجد والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والافضل وبقية هذا الكلام أسلفناها فاطلبها فيما تقدم ثم قال والعجب كل العجب من انهم حجة الاسلام بانه في هذه المسئلة تازع الى مذاهب المعتزلة وهو قد صرح في كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال في صدر كلامه وما خلق الله من ايمان وكفر وطاعة ومعصية الخ فانظر كيف نسب خلق الكفر والمعصية الى الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة والمعتزلة لا يقولون بذلك بل يزعمون انهم ما من خلق العبد كما هو معروف عنهم

(فصل) ومن المنتصرين ولي الله العارف به سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد نقلنا عنه فيما سبق جواب الشيخ محيي الدين والشيخ عبد الكريم الجبلي ومحمد المغربي نقل ذلك في كل من كتابيه الجواهر والدرر والاجوبة المرضية وقال في الكتاب الاخير بعد نقل الاجوبة ما لفظه وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعي في هذه المسئلة مؤلفا وحاصله انه بعزل عن مراد الامام الغزالي بكل وجه كما بينته في رسالة الفتح بالاجوبة عن أهل الشطط وفي كتابنا المسمى بطهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وهو في مجادين ضخمين اه ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أنقل منهما شيئا

(فصل) ومن المنتصرين البرهان ابراهيم بن أبي شريف المقدسي وهو أخو الكمال وأصغر منه سنا وعاش بعده زمانا طويلا قال ما نصه وليس في مقالة حجة الاسلام ايحاج شيء ولا تنحجر على القدرة ولا نفي لقدرته تعالى غن غير هذا العالم بل هو قادر على ابراز عالم لانهاية له اول لكن لتعلق العلم القديم ووقوع اختياره وارادته لايجاد ما اتصف بالابدي لكونه بالا على ما تقتضيه صفاته وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي ليس فيما تعلقت القدرة وسبق به العلم والارادة من الممكنات أبدع مما وجد لما قررناه اه قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك وفيه نظر من وجهين أحدهما بانه جعل سبق العلم والارادة دليلا على ان ما وجد هو الابدع وهو لا يدل على ذلك وانما يدل على ان ما وجد وجد عن علم واردة وهل هو أبدع أو لا يبقى ما هو أعم ناهيها انك قد علمت ان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية له فعلى تقدير أن تتعلق الاوصاف القديمة بوجوده في دائرة الامكان ما لا يتناهي من افراده والحبيب ظن ان الابدع جزء شخص لا تعد فيه فاذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحالة غيره والا كان العلم جهلا وحيث كان الابدع كليا لانهاية لافراده لم يلزم من وجوده فرد منها انتفاء غيره عن دائرة الامكان

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ أبو الموهب التونسي الشاذلي قال قوله ليس في الامكان أبدع مما كان قلنا ما كان الحكمة الالهية لا ما كان القدرة الربانية وهذا هو الاثنى بكلام حجة الاسلام اه قال الشيخ سيدي

أجدين مبارك لا نسلم انه لا يمكن ذلك في الحكمة الالهية فاذا كانت متعلقات القدرة لانهاية لها كانت الحكمة الالهية لانهاية لها لانها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لانهاية لها فلزم قطعان الحكمة الالهية لانهاية لها ومن الذي يجترئ على حكمة الله تعالى ويقول انها محصورة ومقتورة

(فصل) ومن المنتصرين الامام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي فانه سئل عن هذه المقالة فأجاب بقوله ان ايجاد عالم آخر ابدع من هذا العالم مستحيل لانه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة عن الله تعالى ولو كان جازا لورد به الكتاب قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فعلم ان ذلك مستحيل ولانقص في القدرة اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك وفيه نظر من وجوه أحدها ان الكتاب والسنة قد وردا بذلك وقد سبق ذلك في صدر الكلام يعني به ما أورده من الآيات التي أوردها الباقى في رسالته وكذلك أورد جلا من الاحاديث فانها ان الكتاب والسنة انما يستدل بهما في الامور النقطية التي لا تدخل للعقل فيها وأما احكام العقل الصرفة التي قبل انما انفس العقل التي هي العمل بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فهي من الامور الضرورية التي لا يحتاج فيها الى دليل نقلي نالها انما ذكره معارض بكل علم يدعي كعلمنا بان الاربع زوج وانها نصف الثمانية وان الواحد نصف الاثنين فيقال ان هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سنة فتكون مستحيلة لان كل ما ليس في الكتاب ولا في السنة مستحيل على قاعدة جوابه

(فصل) ومن المنتصرين العارف بالله أبو العباس أجدين أجدين عيسى البرنسي الشهير بزروق قال في شرح القواعد للامام حجة الاسلام عند قوله فيها ولا موجود سواء الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأتمها وأعدلها فقال يعني كل بارز بالقدرة وتخصص بالارادة وأتقن بالعلم الالهى لا يصح أن يكون ناقصا في وجوده لكمال الاوصاف المنسوب اليها بقصدها وتقصيدها ثم التقيع والخسبين العقلية في محله والعمادى في محله والشرعى في محله لان ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة اليها وعلى ما ذكر هنا يخرج ما نسب اليه من قوله ان ليس في الامكان ابداع مما كان يريد ان ما كان ويكون الى الابد متى حصل في حيز فلا ابداع منه لان العلم اتقنه ولا نقص في اتقانه والارادة خصصته ولا نقص في تخصيصها والقدرة أبرزته ولا نقص في ابرازها فبروزها على ابداع الوجوه وأكملها وعلى هذا تفهم هذه الحكمة والارادة والقول بقصور القدرة ومأمعها من الاوصاف وذلك باطل لا يقوله أحق فضلا عن عاقل اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الاثر يستلزم نقص المؤثر وأوصافه لكان وجوده غير الابدع مستحيلا ولكان وجود الابدع واجبا وذلك يجر الى التعليل وينتج الاختيار فالصواب ان ذلك للاروم ممنوع ووجود الابدع وغيره جائز والاختيار شامل والقدرة عامة ولا نهاية لتعلقها فانها هذا ان اراد للاروم في نفس الامر وان اراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة في نظرنا وراينا فقد سلم ما فيه من كلام الزركشى

(فصل) ومن المنتصرين عبد القادر بن مصطفى الصفوري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨١ كتب الى الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن أجدين سالم الحنبلي من مدينة نابلس سنة ١١٧٩ قال أخبرنا المحدث المعمر عبد الرحمن بن يحيى الدين بن سليمان الدمشقي أخبرنا الامام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر العلواني المحمدي الدمشقي قال قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الصفوري اعلم أن المحال على قسمين محال لذاته ومحال لغيره فان الممكن قد يصير محالا لغيره واجبا لغيره مثاله بعث الموتي من قبورهم يمكن في حد ذاته لانه اذا خلى العقل ونفسه حكم بجوازه لكن لما أخذ خبر سبحانه صار واجبا للوقوع بالنظر الى ان خبر الله لا يتخلف وعدمه صار محالا لغيره بهذا الاعتبار فاذا تقر بذلك علمت ان ما قاله الاسلام حق وابضاه انما هو بعد ان تعلم ان علم الله قديم وأنه تعلق في الازل بان الممكن الذي وجد يوجد في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي صفة وحينئذ فوقعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره لانه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلا وانه محال في حق الحكيم الخبير العليم القدير والارادة والقدرة

تعلقهما بالممكن انما يكون على وفق تعلق العلم القديم به وحينئذ تعلم ان عدم امكان ابداع مما كان ليس فيه نسبة
الجهل ولا نسبة العجز الى الملك الديان وكيف ذلك بحجة الاسلام الذي ملأ من معلوماته الدنيا بل عدم امكانه انما
هو لعدم تعلق الارادة والقدرة بما يلزم عليه من المحال فتدبر ذلك بندفع عنك خيال أو هام من لم يعلموا مواقع
الكلام ولم يدروا دقائق العلوم فكل مطمع انظارهم اعتراضاً كابر العلماء والطعن على ورثة الانبياء
كأنهم صاروا وهم ضد افصر في الله أذهانهم عن الوصول الى غوامض المعاني وتمسكوا بظواهر المباني ومن أجاب
بان ما موصولة لم يصادف محال لان المنقول عن الامام انه قال ليس في الامكان الخ وليس هو الا ليس اه فهذا
ما بلغني من كلام الائمة في تحقيق هذه المقالة ردوا وتسالموا لم آل جهدي في جمعها وحسن ترتيبها مع الكلام في
بعض المواضع منها والكلام فيها كثير وما غاب عني أكثر مما حضر لدي ولكن قليل بوعي خير من كثير ينسى
ولقد عرفت ان أنحو منحى الكرام وأدلى دلوى مع هؤلاء الاعلام وان كنت مزجى البضاعة سكيناً بخلافه عند
أرباب هذه الصناعة فأقول ناظراً الى سياق المصنف من أوله متنبها لسريره في خصوص هذا المقام اعلم أنه
ذهب المليون كلهم الى ان الله تعالى قادر أي يصح منه ايجاد العالم وتركه فليس شيء منهما لازماً لذاته بحيث
يستحيل انفكاكه عنه وأما الفلاسفة فاتهم قالوا ايجاد العالم على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلقه عنه
فانكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم انه نقصان وأثبتوا له الايجاب زعمانهم انه الكمال التام وأما كونه
تعالى قادراً بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو متفق عليه بين الفريقين الا أن الحكماء ذهبوا الى أن
مشيئة الفعل الذي هو الفيض والوجود لازمة لذاته كزوم سائر الصفات الكمالية فيستحيل الانفكاك بينهما
فقدم الشرطية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية ممتنع الصدق وكلنا الشرطيتين صادقتان في حق الباري
سبحانه وأما الصوفية قدس الله أسرارهم فيثبتون له تعالى ارادة ذاتية زائدة على الذات والعلم بالنظام الاكمل
واختيارا في ايجاد العالم لكن لا على النحو المذكور من اختيار الخلق الذي هو تردد واقع بين أمرين كل منهما ممكن
الوقوع عنده فيترجح عنده أحدهما بجزء فائدة أو مصلحة يتوخاها فمثل هذا يستنكر في حقه سبحانه كما تقدم
بيان ذلك في تقرير المصنف قبل هذه المقالة فانما معلوماته تعالى سواء قدر وجودها أو لم تقدر مرتسمة في عرصه
الامكان أزلاً وأبداً مرتبة ترتيباً لا اكمل منه في نفس الامر وان خفي ذلك على الاكثرين فالاولية بين أمرين
يتوهم وجود كل منهما انما هو بالنسبة الى المتوهم المتردد اما في نفس الامر فالواقع واجب وماعده مستحيل
الوجود وعلى هذا يخرج هذه المقالة فتدبر والله أعلم * (تنبيه) قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك في آخر كلامه
على هذه المقالة فالحاصل ان ما نسب اليه في المسئلة ان كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه في مواضع من
كتابه الاحياء وان كان دليله البخل فقد نفاه في كتابه الاقتصاد وان كان دليله انه يخالف الحكمة فقد أبطله
في الاحياء وفي الاقتصاد وان كان دليله الاستحسان العقلي ومراعاة الصلاح والاصح فقد أبطله فيهما وفي
القسطاس وان كان دليله الاستحسان المنفق عليه الذي عول عليه السيد السهمودي فقد أبطلناه فيما سبق وان
كان دليله ما سبق في العلم والمشيئة كما عول عليه المذكور أيضاً فقد ذكرنا انه مصادرة على المطلوب وان كان دليله
ان الناقص لا يصدر عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق اه وقد فهم من كلامه ان المسئلة باطلة بسائر وجوهها
وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وانه محكوم عليها بالفساد وهو أمر عجيب ولو فتحت له كوة الى عالم
الملوك ل شاهد ما شاهد الصالحون ويكشف له من أسرار ما كشف للعارفين وقد فهموا قوله تعالى وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وعقلوا قول المبلغ صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم البيان كل
البيان حقيقة بيان البيان محرم عند ذوي الايقان ومقام الصالحين يقصر عن شهادة الشاهدين وقد سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم أرنا الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل
اللهم أرني الدنيا كما يراها الصالح من عباده فالصالحون في الغرف آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على
أمره لا حول ولا قوة الا بالله ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الايمان ان الامام أباح مد الغزالي من

(الشعار الثاني من الكتاب) في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعمل وبيان التوكل بترك الادخار (٤٦٠) وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته

أكثر أهل الباطن وهذه المقالة قد نسبت اليه واعتاص في فهمها أهل الظاهر فالاولى التسليم له اذ ليس أهل الظاهر رجة على أهل الباطن في شيء الا وهم عليهم رجة في مثله والايمان ظاهري وباطني والعلم بحكم ومتشابه ولأن أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة لهذه في الدين والاضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم وهذا لا يفتن له الغافلون ولا يشهد العموم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذارأيت الاشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد بعين واحد رأيت مالم تر قبل ذلك وسمعت مالم تسمع وفهمت مالم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجايبا فاذالم تر عجايبا رأيت العجب وقد أفدناك بحمد الله تعالى من غرائب ما عندنا والى الله يرده العلم فيما دق وجل وظهر واستتر وانما ينطق اللسان بما انطقه الله به وهو مستعمل بما استعمله الله به اذ كل ميسر لما خلقه وقد انتهت الكلام على مقالة الامام انجاز الماوعدنا به آفاقا فسأل الله تعالى أن يصرف عنا من الكدورات ويحسينا من مضلات الاهواء في مجارى المقدورات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه أولى العزم والظفر وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونسأله الصفع الجليل

*(الشعار الثاني من الكتاب) (في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ) المراد بهم السادة الصوفية (في حد التوكل) واختلافهم فيه (وبيان التوكل في الكسب للمنفرد) بنفسه (والمعمل) أى المترزج صاحب العيال (وبيان التوكل بترك الادخار) للفقير (وبيان التوكل في دفع المضار) عن نفسه (وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره) أوردته في ستة فصول

*(الفصل الاول في بيان حال التوكل) وفيه أيضا ذكر الاسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة * اعلم أنا (قد ذكرنا ان مقام التوكل) كغيره من مقامات المقيمين (ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم في الفصل الذي قبله وذ كرنا أنه ينبغي عليه حال التوكل والتسليم فاذا ثبت في النفس ثبوت الاعتقاديا أو كسفيما أو ذوقيا أو عرفانيا تيج عنه الحال فشرع في ذكر الحال وقال (فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل (وانما العلم أصله) وأساسه (والعمل غرضه) ونتيجته (وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم) فيه (وتكلم كل واحد عن مقام نفسه) الذي أقيم فيه (وأخبر عن حده) ورسمه (كأخبر عن عادة أهل التصوف به) وقد يكون ذلك لاخبارا عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم (ولافائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من) لفظ (الوكالة) بفتح الواو والكسر لغة فيه (يقال وكل أمره الى فلان) من باب وعدوك بالفتح ووكولا بالضم (أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه) واكتفى به (ويسمى الموكل اليه وكيلا) فهو فاعل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل اذا كان بمعنى الحافظ ومنه قوله تعالى ونعم الوكيل وجمع الوكيل وكلاء (ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه) كلاهما بمعنى الآن الاتكال من باب الافتعال والاسم منه التوكلان بالضم والتوكل من باب التفعّل (مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا) فهذه المعاني لازمة للمفوض اليه (فالتوكل) حينئذ (عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) ووثوقه به (وانعزب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس) وزور (فوك للخصومة) عنه (من يكشف ذلك التبليس) عنه (لم يكن متوكلا عليه ولا وثق القاب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة) ثم فصل تلك الامور وقال (اما الهداية فليعرف بها مواقع التبليس) وبحال التزير (حتى لا يخفى عليه من غوامض الخيل شيء) فهذا

*(بيان حال التوكل) * قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم * فاما الحل فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل غرضه وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كأخبر عن عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس فوك للخصومة من يكشف ذلك التبليس لم يكن متوكلا عليه ولا

وأما القدرة والقوة فليست تجري على التصريح بالحق فلا يدهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تاليس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجريا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلييس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلييس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من الجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شا كافي هذه الاربعة أو في واحدة (٤٦١) منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه

الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي مترعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كمالو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لا جهله فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة

يستدعي هداية تامة وبصيرة نافذة في أمور الدعاوى وكلام الخصوم فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم فيكون سبباً لتلاف حق الموكل (وأما القوة والقدرة فليست تجري) أي لاجل أن يكون جريشاً (على التصريح بالحق) غير متعنع (فلا يدهن) مدهانة (ولا يخاف) في حركاته (ولا يستحي) من التسكام بالحق (ولا يجبن) عن الخصم (فانه ربما يطاع على وجه) من وجوه (تاليس) خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به) فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم أيضاً (وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان) ولو كان ضعيف القلب أو البدين (على الإفصاح عن كل ما استجريا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلييس) من خصمه (قادر بذلاقة لسانه) أي طلاقته (على حل عقدة التلييس) فمن كان كليل اللسان غير مفصص عن وجه البيان ربما يغلبه خصمه (وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه من الجهود في حقه) لا يقصر بوجه من الوجوه (فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره) أي لا يشغله (ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك) فالاغتناء بالامر لا بد من مراعاته (فان كان شا كافي هذه الاربعة) بمجموعها (أوفي كل واحدة منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله) ولم يثق به (بل بقي مترعج القلب) فلقه (مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره) أي يخافه (من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين) على الله تعالى (في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى) مرتبة (اليقين الذي لا ضعف فيه) أصلاً (كمالو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله) ويشقي ويتعب ليكملها (فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية) وبجزومه (وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار) والشهرة المنقولة على السنة الناس (بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصور الحق بالباطل) أي على صورته (أو الباطل بالحق) أي على صورته وفيه ورد ان من البيان لسحرا (فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف) من الله تعالى بان يلهم في روعه (أو باعثة اذ جازم أن لا فاعل) في الحقيقة (الأن الله كما سبق) في التوحيد (واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد) بأسرهم (ثم تمام العطف والعناية والرحمة) الموسعة (بجملة العباد والاحاد تسلك لاحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه) من الوجوه (ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة) والتغير يقال حال الشيء حولا اذا تغير عن أصله (والقوة عبارة عن القدرة) في أحد الاصول الثلاثة نفسه وبدنه وقنيتيه وقد جاء تفسيره في حديث مرفوع لا حول عن

والتجربة وتواتر الاخبار بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعثة اذ جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بكنهه ورحمته لك عناية ورحمة تاكل لاحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة

فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الخصال الأربع أو إضعاف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعاً لآلوههم وطاعته عن غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة وربما نفر طبعه (٤٦٣) وتعذر عليه تناوله ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك

وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره إلا أن ولا يحيبه من كان قادراً عليه كما أنها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات وذلك جبين في القلب وهو نوع ضعف فلما يتخيلوا الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل بالبقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهم يحصل سكون القلب وطماً نيتته فليسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طماً نيتته معه كما قال تعالى لا تراهيم عليه السلام أولم تؤمن قال بلى ولكن لبطمئن قاي

المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله وفي القوت قيل لسهل ما التوكل قال التبري من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل يعني بهذا أن لا تنظر إلى حركتك مع الحركة اذهو الأول ولا إلى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيتة اذهو الثبات الآخر فتكون الأولية والآخرة حقيقة شهادة لك لربه أنه أول آخر بعين اليقين فيخرج نفي الشرك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة اليقين أي فعندها يصح توكل بشهادة الوكيل (فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الخصال الأربع) أو إضعافها (وإضعاف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه) أي المرض المانع لحال التوكل بعد اليقين بالتوحيد بالافعال لان الوهم يتعلق بالتقديران الاحتمالية (فان القلب قد ينزعج تبعاً لآلوههم وطاعته من غير نقصان في اليقين) وقد ينقاد لطاعة الوهم كما ينقاد لطاعة العقل فاذا زار الشيطان بغروره ووعده بالفقر وخوف منه تعلق الوهم بإبعاد الشيطان فخبثت النفس وخبث طبعها شفقة على نفسها فيبقى العقل وما فيه من اليقين مستوراً تحت ضباب الوهم وشهوة النفس فان ازداد اليقين ضياء واشتعلت فيه ناراً أيد الله العقل بالملك الملهم حتى يمد به يعلم يدفع به وسوسة الشيطان وكيدته فحينئذ يشعشع شمس اليقين ضباب الوهم وخبث النفس ويتغير القلب عما كان عليه ويعتمد على الله تعالى ويطمئن اليقين بعد ان كان معتمداً على الاسباب مطمحاً بتدبيره وحوله وقوته ويعرف يقيناً ان لا حول ولا قوة إلا بالله وكل يقين لا ينشأ عنه حال هذا سيبه (فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة) أي الخمر (ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله) لما قام به من الوهم (ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش) واحداً (أو يبيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره إلا أن ولا يحيبه وان كان قادراً عليه) فانه ليس بممتنع ولو كان حياً لا يدعى القوة والشجاعة عليه (كما أنها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه) فان كل ذلك غير ممتنع (مع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات) وهذا كله عمل الوهم المتعلق بالظنون والاحتمالات البعيدة والنور من الحقائق الجارية على اختلاف العادات (وهو نوع ضعف فلا يتخيلوا الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى) هذا الضعف (فيصير مرضاً) سوداوي (حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل بالبقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهم يحصل سكون القلب وطماً نيتته والسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طماً نيتته معه كما قال تعالى) مخاطباً لخليله عليه السلام حين سأله عن احياء الموتى (أولم تؤمن) أي أولم تصدق بقلبك (قال بلى ولكن لبطمئن قاي فالتمس أن يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به) وكان قد حصل له عليه السلام مرتبة اليقين أولاً فطلب أن يرفى إلى مقام عين اليقين المعبر عنه بالطمأنينة (ولا تطمئن) النفس (باليقين في ابتداء أمره إلى ان يبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة) فتسكن حينئذ تحت الامور وتزاولها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات (وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر باب المال والمذهب) المبتدعة (فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني) مطمئن القلب إلى نصرانيته (ولا يقين لهم أصلاً وانما هم كما قال تعالى في أمثالهم) (يتبعون الظن ومانهوى النفس) مما تعارضهم من الشهوات (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الذي يتبصرون به (وهو

سبب
فالتمس أن يكون مشاهداً احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ في الآخرة إلى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أبواب المال والمذهب فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وانما يتبعون الظن ومانهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه فاذا الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالحصول الاربعة أحد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى (٤٦٣) وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون

من ثقته انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من استعز بالعبيد أذله الله تعالى واذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات ***(الدرجة الاولى)*** ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحال في الثقة بالوكيل **(الثانية)** وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غير هاولا يفرع الى أحد سواها ولا يعتمد الاياها فاذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه أمر في غيبتها كان أول سابق الى لسانه يا أمه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانه لا يفرع عنه فانه قد وثق بكفالاتها وكفائتها وشهقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك التمييز الذي له ويطمن انه طبع فيه (من حيث ان الصبي لو طوب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه ككف به كما يكف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقائقاً فان الطفل متوكل على أمه) والى هذه الدرجة أشار من قال المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوى اليه ألا ترى أنه كذلك المتوكل لا يهتدى الا الى ربه عز وجل نفعه القشيري وجعل الكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة أن يكون في قوة اعتماده كرجل له كثر لا ينفذ فلا يعرف طريق غيره فلا يسأل عن غنى هذا وقوة اعتماده قال

احضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه ككف به كما يكف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقائقاً فان الطفل متوكل على أمه

والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني قبل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية (٤٦٤) وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه * (الثالثة) وهي أعلاها

وهذه أقوى من الاولى (والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار) أبو محمد (سهل) رحمه الله تعالى (حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني) على الله أي فلا يتمنى على الله شيئا نظرا الى ثقته (قال) وما (أوسطه قال ترك الاختيار) لله تعالى (وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه) ولفظ القوت قبل وما أعلاه قال لا يعرف الا أن من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذكر كلاما انتهى ولعل عدم ذكره نظرا الى حال السائل فإنه لم يكن ممن يخبر بذلك والا فقد قال سهل بنفسه أول مقام في التوكل كذا وكذا وأشار الى الدرجة (الثالثة) وهو في سياق المصنف (وهي أعلاها) أن (يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه) في حال (الا أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلاً يحدث جبراً فيكون باثناً عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها وبعد وخلفها بل هو مثل صبي علم أنه وان لم يزعق بأمه فالأم تطأ به وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله له وان لم يسألها اللبن فالأم تفتحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداءً أفضل مما يسئل فكم من نعمة من نعمته ابتداءً قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق) لها وانما يثمر ذلك لانه مدحوش فرح بوجود الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط) وقد أشار الى كل من المقامين كلام الصوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجدناهم يعمدون (ولكنه عز بزنادر) الوقوع (والمقام الثاني والثالث أعزها) وأقلها (والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه) وثباته (أبعد منه) أي أكثر بندا من وجدانه (بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب) الظاهرة (طبيع) مركز فيه (وانقباضه) عنه أمر (عارض) والعارض سر ربع الزوال (كأن انبساط الدم الى جميع الاطراف) من البسطن (طبيع وانقباضه عارض) يكون نارة وتارة

أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلاً يحدث جبراً فيكون باثناً عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها وبعد وخلفها بل هو مثل صبي علم أنه وان لم يزعق بأمه فالأم تطأ به وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله له وان لم يسألها اللبن فالأم تفتحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداءً أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداءً قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء

والمقام الثاني والثالث أعزها والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب وطبيع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف وطبيع وانقباضه عارض

(والوجه)

والوجس عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قديم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع الى الله بالدعاء والانهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي (٤٦٥) بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك

تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه بإشارته بان يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل بالحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً لكونه عليه اذ ليس هو فزعاً منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحاجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الامن السجل فتمام توكله ان كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته ووافيقه مضاهها

(والوجس عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني) فانه (يشبه صفرة المحموم فانه قديم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول) والحاصل أن عزة وقوع تلك الاحوال لضرة مادة البشرية والدرجة يجب اكتسابها بأسبابها عند هجوم النفس على الاسباب المحرقة لدواعي الحاجات ولو قام الخلق كلهم بهذا القدر من الواجب من التوكل فضلا عن المستحب للزهم الاجال والاقتصاد في الطلب ولم يرف في الدنيا شرطي ولا مكاس ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت) مدهوشا فرحا بالرازق عن الرزق (والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع) والالتجاء (الى الله تعالى بالدعاء) والتضرع (والانهال) وهو (كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه بإشارته فانه يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل بالحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً لكونه عليه) في تلك الخصومة (اذ ليس هو فزعاً منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحاجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله) فهذا ما يعرفه بإشارته الصريحة (وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا من السجل) وهو الدفتر المكتوب فيه أصل المعاملة أو الوثيقة التي أثبت فيها أصل ما يتخاصمون عليه (فتمام توكله ان كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته ووافيقه مضاهها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا الاستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد ان حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال) ترد عليك (في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كان كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال) قريبا (فاذا فرغ المتوكل

(٥٩ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا الاستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال فاذا فرغ المتوكل

الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضاً بلا جدوى فاذا
لا يصير مفيداً من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمد المحتاجة وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا الاحول ولا قوة الا بالوكيل
الآن هذه السكامة لا يكمل (٤٦٦) معناها في حق الوكيل لانه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهم مفيدين في انفسهم حاولوا يكونوا مفيدين

لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد الذي جعلهم مفيدين اذ جعلهم - ما شرطنا ما سيقول من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لاحول ولا قوة الا بالله حقاً وصدقاً شاهد هذا كما كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فحين يقول لاحول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه السكامة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بغير فهم لفظها وهيئات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه السكامة وثوابها الى كلمة لاله الا الله وثوابها كنسبة معنى احداها الى الاخرى اذ في هذه السكامة اضافة شيتين الى الله تعالى فقط وهما الاحول والقوة واما كلمة لاله الا الله فهو نسبة السكالى اليه فانظر الى التفاوت بين السكالى وبين شيتين

الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضاً بلا جدوى فاذا لاحول ولا قوة الا بالله (فاذا لا يصير مفيداً من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمد المحتاجة وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا الاحول ولا قوة الا بالوكيل الان هذه السكامة لا يكمل معناها في حق الوكيل) في الخصومة (لانه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لهم مفيدين في انفسهم حاولوا يكونوا مفيدين وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين اذ جعلهم - ما شرطنا ما سيقول من بعدهما من الفوائد والمقاصد) قال المصنف في المقصد الاسنى الوكيل هو الموكل اليه الامور واسكن الموكل اليه ينقسم الى من يوكل اليه بعض الامور وذلك ناقص والى من يوكل اليه السكالى وليس ذلك الا الله والموكل اليه ينقسم الى من يستحق ان يكون موكولاً اليه لا بذاته ولكن بالتوكل والتفويض وهو ناقص لانه فقير الى التفويض والتولية والى من يستحق لذاته ان تكون الامور موكولة اليه والقلوب متوكة عليه لا بتولية ولا تفويض من جهة غيره وذلك هو الوكيل المطلق والوكيل ايضا ينقسم الى من يفي بما واكل اليه وفاء تاماً من غير قصور والى من لا يفي بالجميع والوكيل المطلق هو الذي الامور موكولة اليه وهو ملزم بالقيام بها وافي باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط (فاذا لاحول ولا قوة الا بالله حقاً وصدقاً شاهد هذا) كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فحين يقول لاحول ولا قوة الا بالله) منها ما رواه الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لاحول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أسرها الهم ورواه ابن أبي الدنيا في الفرج وابن النجار نحوه وروى الطبراني وابن عساکر من رواية جهم بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه لاحول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة من قالها أذهب الله عنه - سبعين باباً من الشر أدناها الهم - وعنده البهقي من حديث أبي هريرة الأودك على كنز من كنوز الجنة لاحول ولا قوة الا بالله للمجتمعات من الله الا اليه وفي رواية له ألا ذلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لاحول ولا قوة الا بالله فيقول الله أسلم عبدى واستسلم ورواه الحاكم كذلك ورواه مسلم بالفظ الأودك على كنز من كنوز الجنة لاحول ولا قوة الا بالله وقدره البخارى من حديث أبي موسى الأشعري وقدرى من حديث قيس بن سعد بن عباد بلهظ الأودك على باب من أبواب الجنة لاحول ولا قوة الا بالله رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح غريب وابن سعد والحاكم والطبراني والبيهقي ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ مثله وروى عبد بن حميد والطبراني من حديث زيد بن ثابت الأودك على كنز من كنوز الجنة تكثرون من لاحول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث أبي أنس الأودك على أبواب كلمة من كنز الجنة أكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله في أخبار آخر تقدم ذكرها في كتاب الدعوات (وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه السكامة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بغير فهم لفظها وهيئات فان ذلك جزاء) مرتب (على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه السكامة وثوابها الى كلمة لاله الا الله كنسبة معنى احداها الى الاخرى اذ في هذه السكامة اضافة شيتين الى الله تعالى فقط وهما الاحول والقوة) ونظيرها عن غيره تعالى (واما كلمة لاله الا الله فهو نسبة السكالى اليه) فلامعبود الا هو ولا معصود الا هو ولا موجود الا هو (فانظر الى التفاوت بين السكالى وبين شيتين لتعرف به ثواب لاله الا الله بالاضافة الى هذا وكذا كرنا من قبل ان للتوحيد قشر بن) الاعلى والاسفل (ولبن) الخارج والداخل (فكذلك لهذه السكامة ولسائر السكامات) قشر بن ولبن (وأكثر الخلق قيدوا بالقشر بن) قصورهم في فهمهم (وما طرقتوا الى اللين والى اللين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم) (من قال لاله الا الله

لتعرف به ثواب لاله الا الله بالاضافة الى هذا وكذا كرنا من قبل ان للتوحيد قشر بن ولبن فكذلك لهذه السكامة ولسائر السكامات وأكثر الخلق قيدوا بالقشر بن وما طرقتوا الى اللين والى اللين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لاله الا الله

صادقا من قلبه من اجله او جبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف الغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد (٢٦٧) بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث

وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم الخاضعون نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سر موضوعة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الماعوا الظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيبة (أي مطلقة) في الرضا متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزول والسفاد وهو الركب على الأناث (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيها هيها ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجلة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما ونجسها ما أنشدني بعضهم في الذم رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

صادقا لمخلصا من قلبه وجبت له الجنة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم قلت حديث زيد بن أرقم عند الطبراني وفيه مخلصا دون صادقا وفيه دخل الجنة وفي آخره قبل وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله ورواه كذلك الحكيم وأبو نعيم في الحليسة ورواه ابن النجار من حديث أنس مثله وفيه بعد قوله الجنة قبل أفلا أبشر الناس قال اني أخاف أن يتكلموا ورواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد بدون تلك الزيادة وكذلك رواه الطبراني من حديث أبي شيبة الخدرى وقد تقدم كل ذلك في الدعوات ومعنى الاخلاص بلالة الله عند الخاصين به أن يشهدوا أن لا نافع ولا ضرر ولا معطى ولا مانع الا الله ولا هادى ولا هادى ولا مضل الا الله كما أنه لا اله الا الله هذا عندهم في قرن واحد وبمشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل لهاديين وضلين كما جعل معطين وماتعين ولكن من بعد اذنه حقيقة ومشيئته وقدرته وحكمته (وحديث اطلق من غير الصدق والاخلاص) كما في حديث سلمة بن نعيم الاشجعي عند الطبراني في الاوسط من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق (أراد بالمطلق المقيد) بالوصفين (كما أضاف الغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به) الايمان المقيد (بالعمل الصالح) فكذلك هنا (فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما) أي حركة اللسان وحديث النفس (ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون) في أعمالهم الصادقون في أقوالهم (نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى) متفاوتة (وان كان لا ينتهي الى الملك أما ترى ان الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال) والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وثلاثون من الآخرين (على سر موضوعة) أي منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الملك والظل والفواكه والاشجار والحور العين) فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة (وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين) وقيل لما شبه حال السابقين في التنعم بأكل ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكل ما يفتناه أهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين حالين (ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيبة) أي مطلقة (في الرضا متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزول والسفاد وهو الركب على الأناث) (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيها هيها ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجلة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما ونجسها ما أنشدني بعضهم في الذم

رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزول والسفاد أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيها هيها ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شئ منجذب اليه

وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتابة وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا بحالة وهو لا هم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل وإنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو أما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال وإذا كان هذا كلاما معترضاً فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لاله الا الله ومعنى قول (٤٦٨) لاحول ولا قوة الا بالله وأن من ليس قائلهم ما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان

قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزاً فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدّة نظره فهني مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون إذا ثبتوا

(وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتابة وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا بحالة وهو لا هم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل) شبههم بالانعام لما في قصوى همهم الميل الى الذات الحسية التي تزول سريعاً ثم قال بل هم أضل (وإنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو) لما فيها من النقص في الادراك (وأما الانسان ففي قوته ذلك) لانه خلق بميماً ملكي فهو مرتبة بين مرتبتين (والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال) لانه ترك ما هو قادر عليه وتقدم انشاد قول الشاعر

ولم أزد في عيوب الناس عيباً * كنقص القادرين على التمام

(واذ كان هذا كلاماً معترضاً) بين كلامين سبق لادنى مناسبة (فلنرجع الى المقصود) المهم فيما نحن فيه (نقد بينا معنى قول لاله الا الله) في التوحيد (ومعنى لاحول ولا قوة الا بالله) قريباً (ومن ليس قائلهم ما عن مشاهدة) معنيهم ما (فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله تعالى وهما الاحول والقوة) فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين (في المعنى الباطن) ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفهما بالصغر تجوزاً فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليس من جهة الآدميين بل هو من خالق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وهما أهل اليونان (وطوائف كثيرة) من الطبائعين والحكماء (من يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر) بنصفين (بحدّة نظره) ودقة فكره (فهني مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون) عن أسرار التوكل (إذا ثبتوا لانفسهم أمراً) زاعين بذلك تنزيه الباري عما لا يليق (وهو) في الحقيقة (شرك في التوحيد) واثبات خالق سوى الله تعالى (فأي مزلة أعظم من هذه) فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا) قريباً (انه ليس في التوحيد الاعقبان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيوم والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك أعظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها (وتفسيرها وبيانها) فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الاحول والقوة والتوكل على الواحد الحق) وهكذا عبر به عنه بعض الشيوخ (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) والله الموفق بكرمه

(الفصل الثاني في بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)

(اعلم) لانفسهم أمراً وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الاعقبان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيوم والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك أعظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الاحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى *(بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)*

ليبين أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي قلت لأبي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن عيذك ويسارك ما تحرك لذلك سرله فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة (٤٦٩) التوكل فما ذكره أبو موسى فهو خير

(اعلم) وفي نسخة ليتبين (أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي) هكذا في النسخ وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة إلى ديبيل الرملة قرية بها أو هو بفتح الدال وباء تحته ساكنة وباء موحدة مضمومة إلى الديلي مرسي من مرامي السند وقد نسب إلى كل منهما جماعة من أهل العلم ولم أجدا لأبي موسى ترجمة (قلت لأبي يزيد) يعني البسطامي قدس سره (ما التوكل فقال ما تقول فيه أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي) أي الحيات (عن عيذك ويسارك) أي وغيرهما (ما تحرك لذلك سرله) لقوة اليقين بالله والاعتماد عليه (فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك) وفي نسخة لك (تمييز عليهما) وفي نسخة بينهما أي بأن ميزت أحدهما عن الآخر يعني اخترت لنفسك شيأ (خرجت من جملة التوكل) لأن الاعتماد على الله تعالى ينافي أن تنسب لنفسك فعلا لأنك لا تعلم مصطنك في أي جهة لافي النعم ولا في العذاب فلا يليق بك تمييز ولا اختيار وذكر نعيم الجنة وعذاب النار لأنهما أشد من غيرهما والأفليس مرادين بل المراد مطلق النعيم والعذاب ولفظ القشيري في الرسالة وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله السيرواني يقول سمعت أبا موسى الديلي يقول قيل لأبي يزيد ما التوكل فقال لي ما تقول أنت فيه والباقي سواء وهذا يدل على أن السائل له على التوكل غير أبي موسى (فما ذكره أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل) وأعلاها (وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة) الإلهية (وأن ما فعله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل القول بالعدل والحكمة ووراءه سر القدر) الذي نهى عن كشف سره وهذا السياق مؤيد لما قلته التي تقدم ذكرها (وأبو يزيد) قدس سره (قلما يتكلم الامن أعلى المقامات وأقصى الدرجات) لعل حاله وتكفيه في مقامه (وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار) الذي يجبل نور (أذ سدا منافذ الحيات) بقطع من رذاته (الآن يقال فعل ذلك بيده) وفي نسخة برجله (ولم يتغير بسبب ذلك سره) أي باطنه (أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم) عزاه رزين لانسائي ورواه ابن الجوزي في الوفاء وقد تقدم الكلام عليه (لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره) وتغيره (لامر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال) أي لأن مقام الصديق يقتضي التبري من الحركة مطلقا الآن يقال أن ذلك كان في مبادئ سلوكه قبل أن يتشرف بمقام الصديقية (ولكن سيأتي أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا تحول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري (قدس سره) عن التوكل فقال هو (خلع الأرباب) وهو ما سوى الله تعالى بما عاك القاب عادة ويكون مسخره بمنزلة العبد (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى (وخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد) فان من اتخذ غير الله تعالى موحده (وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال) فقد أشار إلى العلم الذي هو أساس التوكل والعمل الذي هو غرته (وليس فيه تعرض صريح للحال) للذي من نتائج الاعمال (وإن كان اللفظ يتضمنه) فتكون دلالة عليه بالالتزام (قيل له زدنا) في البيان بعبارة

عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أعز أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار أذ سدا منافذ الحيات الآن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لامر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه

لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا تحول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الاسباب فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا

فقال القاء النفس في العبودية (٤٧٠) واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقاموا على حمدون القصار عن

أخرى ليفهم (فقال القاء النفس في) أحكام (العبودية) بان يكون دائماً مشغولاً بما أسره ونسي عنه (واخراجها) من دعوى (الربوبية) وسلبها عنها (وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط) فانه ما لم يتبرأ منها لم يتصف بالعبودية المحضة وهو تفسير باللازم نظرنا الى فهم المخاطب ولفظ القشيري وسمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمي يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصري وسأله رجل فقال ما التوكل فقال فساقه (وسئل) أبوصالح (حمدون) بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى (عن التوكل) ماهو (فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذه اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل أبوعبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما اليك فلا اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرعه غيره وهو

التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذه اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل أبوعبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما اليك فلا اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرعه غيره وهو

عليه

حال عز تر في نفسه ودراهم ان وجد أبعده منه وأعز وقال أبوسعيد الخراز التوكل اضطراب بلاسكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به

عليه (واضطرابه بلاسكون اشارة الى فزع اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيدته الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها) والذي فهمته من قول أبي سعيد انه أشار بقوله ذلك الى أن ترك الأسباب ليس من التوكل في شيء وإنما القصد عدم سكون القلب اليها بحال فهذا هو معنى قوله اضطراب بلاسكون ثم بعد مباشرته لها ان تغيرت فلا يضطر بالذلك بل يديم سكون قلبه اليه مسيهاً ويؤيده ما قال سهل فيما نقله القشيري التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب يستغنى بقى على حاله فلا يترك سنته اهـ أى يكون السابق لقلبه سكونه الى الله تعالى بلا اضطراب في التعلق بالأسباب فأشار به الى تمام التوكل الذي هو عدم الركون الى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها فلا يقوم عبودية الأسباب الاعلى ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل الاعلى قدم العبودية فأراد بالاضطراب الاول الضرب في الارض للتكسب ان كان معيلاً أو أراد بالاضطراب الثاني وهو المنفى تعلق القلب وان شئت قلت التوكل هو اضطراب بلا اضطراب أو هو سكون بلا سكون ویراد بالسكون الاول التعلق بالسبب والثاني سكون القلب وكلام أبي سعيد من أبدعه وأحسنه وما شرحناه به أقعد مما أشار اليه المصنف والله أعلم (وقال أبو علي) الحسن بن علي (الدقاق) النيسابوري شيخ القشيري (للتوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخيرين أعلى مما قبله كما أفاده سياقه هنا (فالتوكل يسكن الى وعده تعالى بقوله وما من دابة في الارض الا على الله زفهاؤه اختيار) (والمسلم يكتفي بعلمه تعالى بحاله فانه يعلم ما هو فيه) (وصاحب التفويض يرضى بحكمه) تعالى أى بكل ما يجري به الله تعالى عليه ووافق غرضه أو خالفه ولا اختيار لهما لانهما مسلما وفوضا الامور اليه تعالى يفعل بما هما هو صلاح لهما نقله القشيري في اعنائه (وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك) وظاهر هذا تفضيل مقام التسليم على التوكل والتفويض وسأنت في التنبيه ما يؤيد بذلك ويؤيد ما شرحناه قول القشيري بعده وسعته يعني الدقاق يقول التوكل بداية والتسليم وسائط والتفويض نهاية اهـ أى ان التوكل اعتماد والتسليم راحة والتفويض رقاد والتفويض رضاء يجري ان الاحكام قال وسعته أيضاً يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء والتفويض صفة الموحدين والتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خاص الخواص وقال أيضاً التوكل صفة الانبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السكالي أبو بكر محمد بن اسحق في مقاصد المنجيات والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم لان غاية جلب النفع ودفع الضرر والتفويض والتسليم ينشآن عن ملاحظة علم الله وحكمته وتقديره للاشياء في ازلها وحقيقتها ما لا انقياد والاذعان للامر والنهي وترك الاختيار في الفعل بل في جلاله ما حكم الله به وقضى لان المنفعة التي يطلب المتوكل جلبها والمضرة التي يطلب دفعها قد يعكسان فتكون المضرة منفعته والمنفعة مضرة ولذلك علمنا الله ربنا وخالفنا التفويض والتسليم وترك الاختيار بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فنسب ذلك الى علمه وأثبت لنفسه وسلبه عنا بقوله وأنتم لا تعلمون (وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا تظلم به فان الكشف) عن الحقائق (أنفع من الرواية والنقل) المجرد (فهذا ما يتعلق بحال التوكل) ولا بأس أن نورد ما قاله الشيوخ ولا سيما في بعض ما قالوه حقيقة التوكل وفي بعضه اشارة الى أعلى مقاماته ومعرف ذلك مهمة فنقول قال صاحب القوت قال بعض العارفين لماسئل عن حقيقة التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لا جلاله يكفي أو يعافى أو يوفى فجعل نظره الى توكله علة في توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا ملل ولا يكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضاً الذي هو طريقه وقد عبرت طائفة من أهل المعرفة عن هذا المعنى بعبارات فقال أبو تراب الخشبي التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية وقال الزقاق التوكل ردا العيش الى يوم واحد

واضطرابه بلاسكون
اشارة الى فزع اليه
وابتهاله وتضرعه بين
يديه كاضطراب الطفل
بيدته الى أمه وسكون
قلبه الى تمام شفقتها
وقال أبو علي الدقاق
التوكل ثلاث درجات
التوكل ثم التسليم ثم
التفويض فالتوكل
يسكن الى وعده والمسلم
يكتفي بعلمه وصاحب
التفويض يرضى بحكمه
وهذا اشارة الى تفاوت
درجات نظره بالاضافة
الى المنظور اليه فان العلم
هو الاصل والوعد يتبعه
والحكم يتبع الوعد ولا
يبعد أن يكون الغالب
على قلب المتوكل ملاحظة
شيء من ذلك وللشيوخ
في التوكل أقاويل سوى
ما ذكرناه فلا تطول بهم
فان الكشف أنفع من
الرواية والنقل فهذا ما
يتعلق بحال التوكل والله
الموفق برحمته ولطفه

واسقاط هم غد وقال غيره التوكل هو الخلود تحت الموارد وكان بعض أشياخنا اذا سئل عن التوكل أجاب عنه
بعين الحقيقة فيقول هو أن تكون مع الحق كالم تكن فان الحق الآن كالم نزل وقال الجري التوكل معاينة
الاضطرار أي يكون بضاعته عند مولاه الافلاس وحاله في الاعمال الاياس وقال سهل التوكل هو التبري من الحول
والقوة وقال غيره هو عدم الاهتمام بما قد كفى كمالهم الصحيح بالدواء اذا عوفي وكان الحسن يقول التوكل هو
الرضا وهو اشارة الى أعظم ثمراته وقيل هو تسليم الاقدار كلها لا القادر واعتقاد أن جميعها قضاءه وقدره وهو اشارة
الى القدر المأمور وضمنه وقال ابن عطاء ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى
النار وكذلك قال أبو عبد الله القرشي في التوكل انما هو اطمان الى الله سر او جهرا ورضى به كفيلا ونحوه قال
رويم انما التوكل الثقة بالله في كل ماضن في حال وقال أبو موسى الديلمي التوكل هو أن يستوى عندك البداية
وباب الطاق وقال غيره التوكل استيلاء الوجد على اشارة وحذف التشرف الى الرفاق يعني يغلب ووجه اشارة
بقول أو همة فيشغله عن التفرغ الى غيره وقيل التوكل هو الكف عن الاغيار في السر والعلانية والسكون الى
الخلق بلا واسطة وقال سهل التوكل هو التقوى واحتج بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان المعنى اعبدهم بالتوكل
وقال مرة هو اظهار الفقر والفاقة اليه وافقه في ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطي فقال التوكل هو قصد
الفاقة والافتقار وقال النهر جوري التوكل نسيان حظوظ النفوس وقال الخواص التوكل الا كنفاء بعلم الله
فيك من تعلق القلب بسواه وقال يحيى بن معاذ من حقيقة التوكل ترك العبد محابه لمحاب الله واختياره لاختيار الله
وتدبيره لتدبير الله بالغناء عن نفسه وبالنظر الى مجاري الاحكام والقدر وهذا اشارة الى المقام الثالث وقال أيضا
التوكل على ثلاث درجات ترك الشكايه والرضا والمحبة فترك الشكايه أن لا يشكوره والرضا ان يرضى بما قسم له
والمحبة أن تكون محبته في قضاء الله تعالى فأولها للصالحين والثانية للاولياء والثالثة للابدال وهذا اشارة الى
درجات البداية أما توكل النبيين والصديقين فهو أن لا يركن القلب الى سبب ولا مخلوق ولا ينظر الى مادون
الله نظرة وهو من عزائم التوكل قال وأخبرني بعض الاشياخ عن أبي علي الروذباري انه قال التوكل على ثلاث
درجات الاولى منها اذا أعطى شكر واذامنع صبر والثانية المنع والعطاء عنده واحد والثالثة المنع مع الشكر أحب
اليه من اختياره وقال غيره التوكل على ثلاث درجات اولها الصبر عند البلاء وأوسطها الشكر عند شهود البلاء
وآخرها الرضا بمجاري الاقدار والاحكام هذا ما انتقته من كتاب قوت القلوب مع الاختصار وقد ذكر القشيري
في الرسالة بعض ما هو في القوت فلنذكر ما لم يذكره صاحب القوت قال جدون التوكل هو الاعتصام بالله وقد
أشار بذلك الى عموم التوكل في المقامات الثلاث وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضى
بالله وكبلا وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال أن لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقك الهول
نزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها وذكر القشيري قول أبي تراب الخشبي السابق الا انه زاد
بعد قوله بالرؤيت والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر وقال ذوالنون التوكل ترك تدبير
النفس والاختلاص عن الحول والقوة وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه
وقال سهل التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد وهذا اشارة الى مقام التسليم وفيه ترك الاختيار وقال غيره
التوكل أن يستوى عندك الاكثار والتقل وهذا اشارة الى مقام من مقامات التوكل وقال ابن مسروق التوكل
الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وهذا اشارة الى مقام التقوى وفيه ترك الاختيار وهو المقام الثالث
وقال أبو عثمان الحبري التوكل الا كنفاء بالله مع الاعتماد عليه وهذا اشارة الى المقام الثاني وسئل الرزاق عن
التوكل فقال هو الا كل بلا طمع وهذا اشارة الى احسدى أماراته. وقيل التوكل نفي الشكوك والتقوى الى
ملك الملوك أراد بنى الشكوك قوة اليقين وأطلق التوكل على التقوى وهو أعلى منه لانه من ثمراته كما أن
اليقين من أصوله ففيه اشارة الى الاصل والثمره وقيل التوكل الثقة بما في يدى الله تعالى والبأس عما في أيدي
الناس وهذا اشارة الى سبب التوكل الذي هو الاعتماد على الله لا على نفسه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكير

*** (بيان أعمال المتوكلين) ***
 اعلم ان العلم بورث الحال
 والحال يثمر الاعمال وقد
 يظن ان معنى التوكل ترك
 الكسب باليد وترك
 التدبير بالقلب والسقوط
 على الارض كالخرقة
 الملقاة وكالعدم على
 الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع
 والشرع قد أتى على
 المتوكلين فكيف ينال
 مقام من مقامات الدين
 بمحظورات الدين بل
 تكشف الغطاء عنه
 ونقول انما يظهر تأثير
 التوكل في حركة العبد
 وسعيه بعلمه الى مقاصده
 وسعي العبد باختياره ما
 أن يكون لاجل جاب
 نافع هو مفقود وعنده
 كالكسب أو لحفظ نافع
 هو موجود وعنده كالادخار
 أو لدفع ضرر لم ينزل به
 كدفع الصائل والسارق
 والسباع أو لازالة ضرر
 قد نزل به كالتداوى من
 المرض فقصود حركات
 العبد لا تعد وهذه
 الفنون الاربعة وهو
 جاب النافع أو حفظه
 أو دفع الضرر أو قطعه
 فلنذكر شروط التوكل
 ودرجاته في كل واحد
 منها مقررنا بشواهد
 الشرع

في التقاضى في طلب الرزق وهذا اشارة الى ثمره من ثمرات التوكل لان نفسه فان من توكل على الله ولم يلتفت الى
 غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان أمر بالاكتساب * (تنبيهه) * تقدم أن التوكل مع
 شرفه مخفض الرتبة عن التسليم والتفويض وهل التفويض أعلى مقاماً أو التسليم فنهى من قال التفويض
 أعلى ومنهم من قال التسليم أعلى وعلى كل حال فالواجب على العبد لجهله أن يستخير الرب تعالى لعلمه وكمال
 قدرته فما للعبد العاجز الجاهل الا الذل والاذعان وترك الاختيار اذ لو فرضنا أن الله تعالى صب على عباده بلاء
 عريان المصلحة لكان يجب على العبد التسليم والاذعان لانه أحكم الحاكمين فقد قال صاحب القوت اعلم أن
 العلماء بالله لم يتكاهموا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولا ليشترطوا عليه
 حسن القضاء بما يحبون ولا ليلبدل لهم حريان أحكامهم بما يكرهون ولا ليغير لهم سائق مشيئته الى ما يعقلون
 ولا ليحول عنهم ما مضى من سنته التي قد خات في عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار الى ما يعملون هو أجل في
 قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا الواعظ قد عارف بالله تعالى أحده هذه المعاني مع الله في توكله
 لكان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله عصية وكان ما فات عليه من حقيقة التوحيد أشد عليه مما
 أدرك من توهم التوكل وانما أخذوا ونسبهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه باي
 معنى جرى اه فان قال قائل ان كانت الارادة قد خصت الاشياء ووضعتها في مراتبها والقدرة توجب
 ذلك بالضرورة في الوقت المقدر اذن المحال أن تخصص الارادة شيئاً ولا توجد القدرة على وفاء
 التخصيص فافائدة التوكل وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالجواب عن هذا كالجواب في مسألة
 الدعاء فكأن الدعاء عبادة في نفسه فكذلك التوكل عبادة تعبد بالله تعالى به وهو والدعاء من جهة الاسباب
 التي رتب عليها مسبباتها ولذلك قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافر من لا مولى لهم ومعلوم
 أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافر من الا أن للمؤمنين ولاية خاصة سوى الولاية العامة بسبب توكلهم على
 مولاهم وكما أن الدعاء اذا وافق المشيئة حصل المدعو به بعينه وان لم يوافق المشيئة عوض عن المدعو المطلوب
 اضعافاً فكذلك المتوكل يتوكل على الله في جميع أموره والرب تعالى يجرى عليه أحكامه التي سبقت بها مشيئته
 فان وافقت غرض المتوكل فهو الرزق بالشهد وان خالفت غرضه عوضه الله تعالى على توكله اضعافاً ذلك ومن
 هنا قالوا ان التسليم أفضل درجات التوكل لانه يثبت على أعز أنواع العلم والحكمة وهو الذي يشير اليه سياق
 المصنف فيما مضى كما نبهنا عليه آنفاً والله أعلم

*** (الفصل الثالث في بيان أعمال المتوكلين) ***

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان العلم بورث الحال والحال يثمر الاعمال) فالعلم هو الاصل والعمل ثمرة الحال والحال
 يتبع العلوم والاعتقادات وقد تحزب الناس في ذلك احراباً بين القائل بطلع الاسباب وبين القائل بالدخول فيها
 وبين المتوسط بطريق الاجمال في الطلب ولكل فريق وجه مع قصوره عن الاحاطة بمقاصد الشرع في وسائل
 العبادات من مقاصدها وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر روابط المقاصد واقتقارها الى الاسباب واستغناء
 بعض المقاصد عن الدخول في الاسباب مع وجه الافضل في ذلك فقال (وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب
 باليد وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكالعدم على الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أتى على المتوكلين) ومدحهم كفى غير آية وغير حديث (فكيف ينال مقام
 من مقامات الدين بمحظورات الدين) وفي نسخة بمحظوراته (بل تكشف الغطاء عنه) بالتحقيق في ذلك (ونقول
 انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد والسعي بعلمه) وفي نسخة بعمله (الى مقاصده وسعي العبد باختياره)
 لا يخلو (اما أن يكون لاجل جاب نافع وهو مفقود عنه كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود وعنده كالادخار أو
 لدفع ضرر ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضرر قد نزل به كالتداوى من المرض فقصود حركات
 العبد لا يعدو) أى لا يجاوز (هذه الفنون الاربعة) وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو قطعه فلنذكر
 شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقررنا بشواهد الشرع

(الغن الأول) في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تعد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومدا اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك اذا انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفعل وكيف تعمل على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك فتكون كالمهتول لا تدري كيف تفعل وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيقول بينك وبينه (أو يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضده فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطررها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما (الاولين) من السلف الصالحين) ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق (ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

(٤٧٤)

تعالى فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك

(الغن الاول) في جلب النافع (فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الاولى المقطوع به) أي بحصول السبب بعده (وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف) ولا ينفك (كأن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج) الى الاكل (ولكنك لست تعد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي) والحركة (ومدا اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه) بعد المضغ (باطباق أعالي الحنك على أسافله) لبتيسره الابتلاع (فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك) من غير حركة منك (فقد جهات سنة الله تعالى) في عباده وكذلك الحال في الشرب بان يكون الماء بين يديك وأنت عطشان فلا تتناوله وتقول أنا متوكل وتناول اياه حركة والحركة تناقض التوكل فالدخل في هذا واجب وتركه حرام فلو ترك هذا اعتمادا على الله بان يخلق له ربا غير شرب كان جاهلا عاصيا (وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر) وحرث (أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام) من غير من بشر (فكل ذلك جنون) وجهل (وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك) فلا بد من اعتقاد ذلك (وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفعل) وكيف تعمل على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك) فتكون كالمهتول لا تدري كيف تفعل وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيقول بينك وبينه (أو يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضده فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطررها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما (الاولين) من السلف الصالحين) ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق (ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفعل وكيف تعمل على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك

القوافل

وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو

يبعث حية ترجمك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح وعليه فلتعمل فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل * الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطررها الناس الا نادرا أو يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزل التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق (ولكن فعل ذلك جائز)

وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يـ عليه الخواص فان قلت فهو ذاسعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهد هوا وسواها (١٧٥) على الصبر عن الطعام أسبوعا وما

يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية فبعد هذين الشرطين لا يتخلف غالب الامر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة أوقرية أو الى حشيش يجترى به فيجابه بجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض في التوكل) ولغز القوت وكان ابراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تغارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الر كوة والحبل والابرة والخيط والمقراض ادخارها من غير ما يتجدد نفعا (وسببه انه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض) وانما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة) في مشيه (لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق) من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الدار كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالب العند) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء مما يوجد في البوادي) وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغانى يقول كان ابراهيم الخواص مجردا في التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمتنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فقرائض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فر بما يتفرق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

القوافل بغير زاد رجاء تسخير الناس له والجلوس في المساجد تفرغ للعبادة وغلق الابواب على الامتعة وشرب الادوية المجرية للحمية في الغالب فالتلبس بهذا كله مباح في الشرع غير واجب تركه ولا فعله وأصل التوكل واجب فيبقى الدخول في الاسباب المتفاوتة على أصل الاباحة والمباح ينقلب فضيلة بالمقاصد (وهو) أى ترك استصحاب الزاد في الاسفار (من أعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت (فان قلت هذا سعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة) أى الدخول في البرية بغير تخيير ولا قافلة ولا زاد سبب للهلاك وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحا (فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه) في الحضر (وجاهد هوا وسواها) وعودها (على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى) بان لا تسقط قوته في القيام في صلاته (والثاني) قوة الحال وغلبة الانس وهو (أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية) التي لا تعد قوتها في الجلة (بعد هذين الامرين لا يتخلف في غالب الامر في البوادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة) وهي منزلة العرب وفي نسخة محلة (أوقرية أو الى حشيش يزحى وقته به) تزجية (فيحي به بجاهد نفسه) صابرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان يقول) ابراهيم (الخواص ونظراؤه من المتوكلين) كما صرح بذلك الخواص نفسه في كتاب التوكل والمراد بنظرائه مثل يحيى بن معاذ الرازي وكان يوسع في التوكل بالاسباب ويأمرهم من غير مساكنة لها ولا وقوف معها وهو أوسع طريقا وأبسط حالا من الخواص ولكن مسلك الخواص أعلى وحاله أسنى على ضيق في طريقه وقبض في حاله وتشديد وعزيمة في مقامه من توكله ومنهم أبو تراب النخشي وذو النون المصري وحاتم الاصم وعلى الصوفي رحمهم الله تعالى وقد ذكر صاحب القوت لكل منهم ما يدل على شدة عزائمهم في التوكل (والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل) ولغز القوت وكان ابراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تغارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الر كوة والحبل والابرة والخيط والمقراض ادخارها من غير ما يتجدد نفعا (وسببه انه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض) وانما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة) في مشيه (لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق) من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الدار كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالب العند) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء مما يوجد في البوادي) وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغانى يقول كان ابراهيم الخواص مجردا في التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمتنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فقرائض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فر بما يتفرق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتشكف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالب العند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق بالدرجة الثانية لانه

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوئاً الى فيه فيبين الدرجتين فرقاً ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لاماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً من الزهاد فارق الامصار وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله جل ذكره اليه وعزني لأرزقك (٤٧٦) حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصرو وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب

فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي فإذا التبتاعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوئاً الى فيه فيبين الدرجتين فرقاً ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لاماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه (كما روى أن زاهداً من الزهاد) في بني اسرائيل (فارق الامصار) بنية التوكل (وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله اليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصرو وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي) نقله صاحب القوت بلفظ حدثت عن رجل تفرد في فلاة من الارض وانقطع عن الخلق وقال ان كان لي رزق أتاني قال فليت أياما لم يأت به شيء حتى أضربه الضعف وقال يا رب ان كان لي في الارض رزق فأتني به والا فاقبضني اليك قال فأوحى اليه وعزني وجلالي لأرزقك حتى تدخل المصرو وتقعدين ظهوري الخلق قال فعدل الى أقرب الامصار اليه ودخل مسجداً فأتاه انسان بطعام وأتاه آخر بشرب فأكل وشرب فأوحى اليه أردت ان تبطل حكمتي وتسقط حكمي بتوكلك على ان أرزق الخلق بايدي الخلق أحب الي (فإذا التبتاعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض أصل) التوكل كما ضربناه مثلاً للوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب) الخفي (لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البوادي اذا لم يكن مهلكاً نفسه كما تقدم فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد) هذا (ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق) وصوله (ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام) لانه تسبب لاهلاك النفس نظر الظاهر الشرع وكان هذا العموم المتوكلين والا فقد نقل صاحب القوت عن بعضهم قال قلت لبعض الساف لوان عبداً دخل بيتاً وطوى عليه باباً ولا يعلم به أحد أكان رزقه يأتيه فقال نعم فقلت ومن أين يأتيه فقال من حيث يأتيه ملك الموت (وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة) من ذكر وقراءة ومراقبة وغيرهما من أنواعها (فالكسب والخروج) الى الناس ومعاملتهم (أولى له ولكن ليس فعله) ذلك (حراماً الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال) ان لم يمكنه الكسب (والكسب) ان كان مطبقاً له (وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البادية اذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة قال الكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً الا أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل (٤٧٧) الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو

من مقامات التوكل وهو
أن يشتغل بالله تعالى ولا
يهتم برزقه فان الرزق
يأتيه لا محالة وعند هذا
يصح ما قاله بعض العلماء
وهو أن العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كالجوهر
هرب من الموت لا دركه
وأنه لو سأل الله تعالى
أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصيا ولقال له
يا جاهل كيف أخلقك
ولا أرزقك ولذلك قال
ابن عباس رضي الله
عنهما اختلف الناس
في كل شيء الا في الرزق
والاجل فانهم أجمعوا
على أن لا رازق ولا مبيت
الا الله تعالى وقال صلى
الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا
ولزالت بدعاتكم الجبال
وقال عيسى عليه السلام
أنظروا الى الطير لا تزرع
ولا تحصد ولا تدخر والله
تعالى يرزقها يوم يوم
فان قلتم نحن أكبر
بطونا فانظروا الى الانعام
كيف يقبض الله تعالى لها
هذا الخلق للرزق وقال
أبو يعقوب السوسى
المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعضهم

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل الى الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى) مع كمال الحال
وغلبة الانس (واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من) جملة (مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى) بذكر
وفكر ومراقبة (ولا يهتم برزقه فان الرزق) مضمون (يأتيه لا محالة) حتى يظهر له ملك الموت فينشد ذيقطع
عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة واليه يشير كلام أكثر الشيوخ في معنى التوكل فن كانت مشاهدته
في القسم المعلوم سقيا عنه جملة من الهموم واستراح العباد من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه (وعند هذا يصح
ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كالجوهر هرب من الموت لا دركه) ولغذا القوت ويقال
لو هرب العبد من رزقه لا دركه في وقته كالجوهر هرب من الموت لا دركه هكذا هو في موضع آخر كما وينبغي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو هرب أحدكم من رزقه لا دركه رزقه كالجوهر هرب من الموت لا دركه أجله (وان لو سأل الله
تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان) في سؤاله ذلك (عاصيا ولقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك) نقلة
صاحب القوت ويؤيد الاول ما ورد في الخبر أن الرزق ليطالب العبد كما يطلبه أجله رواه الطبراني والبيهقي من
حديث أبي الدرداء ورجاله ثقات وصححه الحافظ ابن حجر وفي رواية لابي نعيم في الحلية عنه ان الرزق ليطالب
العبد أكثر طلبا للعبد من أجله وقال صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي أتاه فتاؤه ثمرة وقال له خذها ولولم تأتها
لاتمك وتقدم هذا للمصنف ألا ترى انه قال لا تنه الثمرة وهي لا تسعى بنفسها ولكن يستسعى اليها بنظرها
يدفعها اليك فكذلك الرزق على تصرفين رزق طلبته فتلقاه ورزق يطلبك فيلقاك وما ليقك فقد لقيته وفي
خبر آخر لكل عبد رزق لا محالة وروي لكل عبد رزق هو آكله وأثره واطنه وحشف هو قاتله وأما القول
الثاني فروى عن سهل من قوله ولغظه لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه ما استجاب له أبدا ويقال له اسكت
يا أحمق لولم أرد أن أرزقك ما خلقتك أنا الذي خلقتك لا بد أن أرزقك كما خلقتك (ولذلك قال ابن عباس)
رضي الله عنه (اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مبيت الا الله
تعالى) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا ولزالت بدعاتكم الجبال) هكذا هو في القوت قال العراقي تقدم قرييادون هذه الزيادة
التي في آخره ورواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين ولوعرقت الله حق
معرفة لمشيتم على الجور ولزالت بدعاتكم الجبال رواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلادون
قوله لمشيتم على الجور وقال هذا منقطع انتهى قلت ورواه ابن السني من حديث معاذ أيضا كما رواه محمد بن
نصر وعندهما زيادة ولو خفتم الله حق خفتم العلم الذي ليس معه جهل ولكن لا يبلغ ذلك أحد قيل
يا رسول الله ولأنت قال ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كاهل رزقه والحكيم الترمذي في النوادر
بلفظ لو خفتم الله حق خفتم العلم الذي لا جهل معه ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعاتكم الجبال (وقال
عيسى عليه السلام) في معنى الحديث السابق (انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى
يرزقها يوم يوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام) هي أكبر منكم بطونا (كيف يقبض الله لها
هذا الخلق للرزق) كذا في القوت ورواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى
عليه السلام اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم انظروا الى هذا الطير يغدو وروح لا يحتر ولا يحصد الله تعالى
يرزقها فان قلتم نحن أعظم بطونا من الطير فانظروا الى هذه الايام من الوحش والجر تغدو وتروح لا تحتر
ولا تحصد الله يرزقها اتقوا فضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله رجز (وقال أبو يعقوب السوسى) من
السوس بلدي لا هواز من أخذ عن عبد الواحد بن زيد وعنه أبو يعقوب النهرجوري (المتوكلون تجرى
أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون) ولغذا القوت المتوكلون تجرى أرزاقهم
بعلم الله واختباره على بد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون (وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة) ولفظ القوت وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بالذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار والتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو محبوب الخلق معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكده والذين يأكلون أرزاقهم بعز بغير مهنة ولا انتظار ولا ذلة فالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون قسمهم من يده بعز وبه تم الكلام على الدرجة الثانية فان قلت فما المقاصد التي ترجح الدخول في الاسباب المظنونة أو ترجح ترك الدخول فيها فقول يختلف ذلك باختلاف الاحوال ولرخص الدخول في الاسباب المظنونة أحوال الحالة الاولى انه لو ترك السبب يمتنع المتعلق بحاله ومقصده لا تشتغل عن العبادة والذكر والفكر ومقصود الشرع بالتوكل والسبب فراغ القلب لذلك فيكون الدخول في السبب فضيلة في حقه قال الله تعالى وما جعله الله الا بشئ لئلا يفتروا عليه ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فخر فناجل جلالة ان امداد الاولياء بالملائكة وسيلة لطمانينة نفوسهم عند اضطراب طبع البشرية الذي لا يدخل تحت اختيار العبد لكنه مشاغل القلب مزاحم لذلك كراهة طمئن قلوبهم بما أمدهم به حراسة لقلوبهم عن نزغات النفس والعدو وسلب النصر عن الملائكة وأضافه الى نفسه لانه الفاعل على الحقيقة فهكذا ينبغي ان تفهم مثل هذه الحالة الحالة الثانية ان يكون اماما متبوعا فيدخل في الاسباب ويحمل في سفره الزاد ويستعمل في مرضه الدواء ليعتدي به في ذلك وهو متعلق بالله تعالى في الباطن لا يلتفت الى الوسائط وهذه طريقة الانبياء والعلماء والمشايخ الحالة الثالثة رجل استوى عنده وجود الاسباب وعدمها فعدمها عنده كوجودها ووجودها عنده كعدمها فان شاء تلبس به لانه مشغول بالسبب عن السبب وان شاء تركها لعله بقيام الحق عليه كفيلا وان لاطفه بعبد أسببا خفية لا يطلع عليها العباد دون الاسباب الظاهرة ولذلك ترجح ترك الدخول في الاسباب المظنونة بعكس هذه الاحوال اذن العباد من لا يتفرغ للعبادة لا يترك الاسباب وهو الاغلب فترجح الترك في حقهم وهذه الحالة أسلم من الاولى فكم من عابد متعلق بالاسباب يظن انه منقطع القلب عنها فاذا انقطعت الاسباب أضعفت اضطرب قلبه وانزعجت نفسه وظهر نقصه لانه كان يعتقد ان حياته بالله وان كانت هذه الحالة أيضا لا تخلو من غرور وفهم من عابد تارك للاسباب يعتقد انه زاهد تقي وان عرض عليه شيء من الاسباب مالت نفسه اليه ورغبت لما كانت فيه من الزهد والتقوى وانما كان ذلك بسبب الفسق والعجز فالاختانات هي التي تخرج ما في النفوس من المكامن الجيدة أو الرديئة ولذلك رأى العلماء كل محنة منحة لما فيها من النعمة باظهار ما في نفوسهم من مكامن العدو حتى يلقي الله بقلب سليم عن غيبه ويقياس على ما قدمناه في جلب المنافع ازالة الضرر وسيأتي الكلام على ذلك للمصنف في بيان ان ترك التداعي قد يحمد في بعض الاحوال والله أعلم (الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي) مسيبتاتها عن موهومة لامظنونة ولا مقطوع بها وهي التي (يتوهم) افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها) أولها أو أسطها أو غايتها (وهو الذي الناس فيه) قدامه وألفوه طريقة (أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباح) وكل ذلك يناقض التوكل وتركه من أعمال المتوكلين (فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة) أو مضية الى شبهة (فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل) أصل (التوكل) فان قلت قد زعمت ان التوكل واجب وقلت ان الاستقصاء في الاسباب الموهمة مبطل له ولا يبطل الواجب الا بفعل حرام فمن زاد على بابه فقلا نانيا وثالثا كان فعله حراما وما ذهب الى هذا أحد من العلماء قلنا هات ثلاث درجات طرفان وواسطة الدرجة الاولى الدخول في الاسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش بستر عيب العين المعيبة

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة
الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباحا فاما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل

طلبنا زيادة الثمن وادخار الاقوات وما أشبهه فالاجماع قائم على ان التوكل يبطل بهذه الاسباب الدرجة الثانية
 كزيادة فضل وتدقيق حيلة وادخار قوت يزيد على سنة فقد رأى بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كإسباني
 قريبا والذي يظهر كقوله محمد بن اسحق الصوفي انه يبطل كماله لأصله وسيأتي الكلام عليه الدرجة الثالثة
 وهي المتوسطة بين الطرفين واليه أشار المصنف بقوله (وهذا مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل
 نسبة الرقبة والطيرة والسكى بالاضافة الى ازالة الضرر) وقد ذهب الخواص في كتاب التوكل الى ذلك وتبعه
 صاحب القوت واية تبع المصنف وتنويسي الخواص وأبو طالب المكي حتى صادرت المقالة منسوبة الى المصنف
 واحتج الخواص على ذلك بقوله (فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك) يشير الى حديث ابن
 مسعود الذي تقدم ذكره آنفا وفيه قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتون ولا يتطرون ولا يسترقون
 وعلى ربهم يتوكلون (ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا يأخذون من أحد شيئا ولم يصفهم
 بانهم يتعاطون هذه الاسباب) وقد فضلهم صلى الله عليه وسلم ومدحهم بما تقدم ثم سألهم عكاشة أن يجعله
 منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه يراه معه زاده وشهد فيه القوة والتحقيق فاهله لذلك ولما قال له الاستراخ
 الله ان يجعلني منهم احتذاه ولم يرد ذلك فيه ولا وجده منه لم يؤله ولم يعززه اذ المقامات لا يقتدي بها ولا يغفل
 فيها كما لا تدعى لانها مواجيد قلوب بايجاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب فمن سماها بغير قوة بتسور
 فانه ينكص عنها قبل البلوغ فيثور لانها تنهار به لما ردا اليه من نفسه وطبعه فساله يشهد صلى الله عليه وسلم
 ذلك مقامه ولم يرمه قوته واعلامه أوقفه على حده وحكم عليه بوجده وردة الى ضعفه ومنعه من تصوره وعسفه
 فردودا جملأ لانه كان صلى الله عليه وسلم حبيبا كريما فقال قد سبقك بها عكاشة والذي ذهب اليه محمد بن
 اسحق الصوفي ان هذا أيضا يدل على بطلان كمال التوكل لأصله لانه الذي ورد في السبعين ألفا الذين يدخلون
 الجنة بغير حساب واذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك وذلك لان التوكل يراد ذاته ولغيره أما كونه مرادا
 لذاته فلان أصله الايمان بالله وأما كونه مرادا لغيره فلو جهن أحد ههما واجب والاخر مستحب أما
 الواجب فلنكفه عن الاسباب المحظورة والمكرهة القريبة من المحظورة وأما المستحب فلنكفه على الاجمال في
 الطلب وتفريغ القلب عن كل شاغل من الاكوان ولولم يكن فيه الاعراض الانتباه الى الله وتعلق القلب به وهو
 المقصد الاسنى من بعثة الانبياء لكفى فاذا فهمت هذا تزلت على هذين الوجهين تلك الدرجات والله أعلم (وأما
 هذه الاسباب التي يوثق بها في المسيبات مما تكثر فلا يمكن احصاؤها وقال أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله
 تعالى (في) حقيقة (التوكل انه ترك التدبير) وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الامل
 وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعني انك شاركت الربوبية في حب وصف البقاء (وقال) أيضا
 (ان الله عز وجل خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما جعل) يحجبهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط
 الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية (وقال صاحب القوت بعد ان نقل
 القولين ما نصه قد كثر قوله رحمه الله تعالى في ترك التدبير وينبغي ان يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك
 التصرف فيما وجه العبد فيه وقد أبج له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد وقد
 كان له أرض زرعهما فكان يدبر شأنهما رأى يبعها في آخر أمره وفرق عنها انما يعني بترك التدبير ترك الاماني
 وقول لم كان هذا اذا وقع الامر ولم لا يكون كذا اولو كان كذا فيمالم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم
 وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشقة وجريان الحكم ويعني ترك التدبير فيما بقي
 وما ياتي بعد أي لان في مثل هذا يقول لا تشتغل بالفكر فيما التدبير به بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك في
 الوقت الذي هو أزم لك وأوجب عليك حتى تكون فيما ياتي من الاحكام والتصرف في ترك التدبير والتقدير
 لها بالزيادة والنقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عسدا الى آخره بالتقديم والتأخير تكون في ذلك كما
 كنت فيما قدم مضى فالقرب ان الانسان لا يدبر ما قدم مضى قال فينبغي أن يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير له

وهذا مثل الاسباب التي
 نسبتها الى جلب النافع
 مثل نسبة الرقبة والطيرة
 والسكى بالاضافة الى
 ازالة الضرر فان النسبي
 صلى الله عليه وسلم وصف
 المتوكلين بذلك ولم يصفهم
 بانهم لا يكتسبون ولا
 يسكنون الامصار ولا
 يأخذون من أحد شيئا
 بل وصفهم بانهم يتعاطون
 هذه الاسباب أو أمثال
 هذه الاسباب التي يوثق
 بها في المسيبات مما يكثر
 فلا يمكن احصاؤها وقال
 سهل في التوكل انه ترك
 التدبير وقال ان الله
 خلق الخلق ولم يحجبهم
 عن نفسه وانما يحجبهم
 بتدبيرهم ولعله أراد به
 استنباط الاسباب البعيدة
 بالفكر فهي التي تحتاج
 الى التدبير دون الاسباب
 الجلية

فإذا قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بهم عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الأسباب على ثلاث مقامات * (الأول) * مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي (٤٨٠) بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو

قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده * (المقام الثاني) * أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معقولة على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالعودة في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه اليه لاي سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتخريك دواعيهم * (المقام الثالث) * أن يخرج ويكتب اكتسابا على الوجه الذي

تاركه لا إقامة فيه بمعاني ما ذكرنا أكثره اياه فيما مضى فيستوى عنده الحالات لان الله أحكم الحاكمين وان العبد مسلم للاحكام والافعال راض عن مولاه بالافذار مع جهله بعواقب المسأل فترك التدبير بهذه المعاني هو من اليقين واليقين هو شهادة المعرفة بحقيقة الحق المبين فاذا جعل تعالى قلب المؤمن مكانا لذلك كمن فيه على قدر المكان ما يليق به فهذا تفسير قوله الذي كان يقوله ومقتضاه بامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت أنا وأنا كن فيما أنت الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان وتقدم في التوحيد وقد كان يقول أيضا الزهر انما هو ترك التدبير وهذا يعني ترك الاسباب التي توجب التدبير أو اخراج السبب الذي يجب تدبيره لأنه يكون متسببا متيقنا للاسباب وهو ترك تدبيره لان التدبير في هذا الموضع انما هو التمسك بالقيام بالاحكام ووضع الاشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الاشياء وهو عاقل متميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام مع امساكه وانما يقول تارك الاشياء المدبرة وازهد في الاسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير لسقوط احكامها عنك ولا ستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل حجة قوله رحمه الله في ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين (فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به وإلى مظنون) به (وان المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الاسباب على ثلاث مقامات (الأول مقام) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (ونظرائه) الذين تقدم ذكرهم (وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد) يحمله ويشكل عليه بل (ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر) على التوكل (أسبوعا وما فوقه) بيوم أو يومين (أو تيسير حشيش له) من حشائش الارض (أو قوت) من يد آدمي (أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك) فان الذي يحمل الزاد) معه (قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن فقده) وقد أنكر عليه ابن القيم وجماعته في تقريره على هذه الحالة وتقدم الجواب عنه في مقدمة كتاب العلم (المقام الثاني ان يقعد في بيته أو مسجد) من مساجد المسلمين (ولكنه في القرى والامصار فهذا أضعف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معقولة على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالعودة في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه اليه لاي سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتخريك دواعيهم) له (وتخريك دواعيهم) الى اكرمهم (المقام الثالث أن يخرج ويكتب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب) والمعاش (وهذا السعي لا يخرج به أرباع مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك على عرض أن يهلك) رفق نسخته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في الحظ بل يكون نظره الى الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع) على الكاغذ (فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك) الموقع (انه بما يتحرك وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم) فالنظر الى القلب دون الملك تصور

ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج به أرباع مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة وجهل نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في الحظ بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بما ذاعيل وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم

ثم ان كان هذا المكتسب مكتسب العياله أو ليفرق على المساكين فهو بيده مكتسب وبقبله عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذ روعيت فيه الشروط وانضاف اليه (٤٨١) الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي

الله عنه لما يورع بالخلافة أصبح أخذ الأتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فن أولى به هذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشرط كان راعياً في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو لان الشيطان لا سلطان له على القلب الا بواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لا اختلاف الاحوال في القوة والضعف في العباد من لا يتأقلمه التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلمه ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقاً اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وجوه (ثم ان كان هذا المكتسب مكتسب العياله) ان كان معيلاً (أوليفرق على المساكين) ان كان منفرداً (فهو بيده مكتسب وبقبله عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته) أوفى مسجد أشار اليه الخواص في كتاب التوكل وسـ يأتى قريبا بيان عبارته (والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان) النبي صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك أهلي ومالي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دولتي على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشئ من سمن واقط فلو كان الكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكله ولا كنهه أحب ادخال المشقة على نفسه وكره التعم واختار ايثار أخيه بما آثره رعايته لحق أخوته وأعلى منه مقام ما روى ان أبا بكر (الصديق رضي الله عنه لما يورع بالخلافة) وتم له الامر (أصبح وأخذ رزمة الاتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي) الامن يشتري الثوب (حتى كرهه المسلمون) ومنعوه من ذلك (فقالوا كيف يفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة) فبلغه ذلك (فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له) من بيت المال (قوت أهل بيت من المسلمين) لا وكس ولا شطط (فلما رضوا بذلك) جميعاً وانفقوا عليه (رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى) من الاشتغال بالكسب الا تراه كيف آثر القيام بحكم الله عليه وكان ذلك هو علم حاله ومقتضى علمه (ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق) رضي الله عنه (في مقام التوكل فن أولى به هذا المقام منه) وهو امام الائمة وقطب الصديقين (فدل على انه كان متوكلاً) بالاعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب) وبانه انتقل من الحكم الاول الى الامر الثاني بحكم حاكم أوجبه عليه وبتصريف الوكيل على توكيله فيه (وبشرط كان راعياً في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار) لغد (ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره) الى غير ذلك مما تقدم في آداب الكسب (فن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو لان الشيطان لا سلطان له على القلب الا بواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لا اختلاف الاحوال في القوة والضعف في العباد من لا يتأقلمه التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلمه ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقاً اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهم ما وكن من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دنانيراً (٤٨٢) ولا استريح منه إلى قبراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد

وثبوته وادوام استقامة أهلها وزمها لقلوبهم هي مقامات (وقال أبو جعفر) كذا في النسخ وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلم ويقال عمرو بن مسلم (الحداد) النيسابوري والمعروف أنه أبو حفص لا غير (وهو شيخ الجنيد) في التصوف (رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً) أو عشرة دراهم (ولا أبيت منه دنانيراً ولا استريح منه إلى قبراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل) دخول (الليل وكان الجنيد) رحمة الله تعالى يتأدب معه كثيراً وكان (لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي) من الله (أن أتكلم في مقامه) أحواله (وهو حاضر عندي) كذا في القوت وبلغني أنه ترك العمل لما نظر إليه الغلام الذي كان ينفخ عليه الكبر فراه يدخل يده في الكبر وهو يتأطى فيخرج الحديد جراً ورده إلى الكبر فغشى على الغلام ثم حدث به الناس وكانوا يغتابونه وينظرون إليه فترك الصلعة قال وبلغني في سبب هذا أنه مثل بآي شيء ثلث هذه المنزلة أن لا تحرق النار فقال بدعوة فاسق فقيل كيف هذا قال وجدت مع أهلي رجلاً ففرعاً عني شديداً فاخذت بأيديهما وقلت أخرجاً بسلام فقال لي الرجل جعل الله عليك النار برداً وسلاماً فهذا من أجابة دعوته بسترى على مسلم ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت أبا حفص الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق وأخذ كل يوم أجرة ولا انتفع منها بشربة ماء ولا بدخله حمام وكنت أجيء بأجرني إلى الفقراء في مسجد الشونيزية وأكون على حالي اه وهذا مقام بالغ في التوكل لأن من عرف بالكسب والاستغناء عنه بالنسبة لم يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته في شيء من الدنيا (واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية) وزوايا المساجد (مع معلوم) معين (بعيد من) وصف (التوكل فإن لم يكن) هناك (معلوم) معين (ولا) وقف (حبس عليها) وأمر الخادم بالخروج للطلب والسؤال (لم يصح معه التوكل الأعلى ضعف) لاستناد القلب في الجملة إلى ما يأتي به الخادم (ولكن يقوى بالحال والعلم) بعدم الركون واسقاط النظر عن الوسائط فيكون (كتوكل المكتسب) كما سبق (وان لم يسألوا) بانفسهم ولا بواسطة الخادم (بل فنعوا بما يحمل اليهم) من حيث لم يحتسبوا (فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق) أي في حكمهم (ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة) كما سبق فربما في كتاب الكسب (فان قلت فما الاصل) في حق السالك (أن يقعد في بيته أو يخرج) إلى السوق (ويكتسب فاعلم أنه ان كان) بمن يتفرغ ترك الكسب لفكروذ كر (ومراقبة) وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة ما بين صلاة وقراءة (وكان الكسب يشوش عليه ذلك) ويفرق وقته واهمته (وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل) إلى البيت (فيجمل إليه شيئاً) من الدنيا (بل يكون قوى القلب في الصبر) على شدائده (والاتكال على الله تعالى فالقعود له) بهذه الشروط (أولى) من الخروج والكسب فهذه شروط خمسة الأولى تفرغ القلب للذكر والفكر وهذا هو الأصل والثاني كون الكسب مما يمنع من هذا التفرغ فان كان لا يمنع فالخروج أولى الثالث عدم تشوش النفس إلى ما يأتي بواسطة الناس فاذا تشوشت فالخروج أولى الرابع قوة القلب في الصبر أي حتى على الموت على هذه الحالة ان لم يأتيه رزقه فاذا لم يكن عنده الصبر على ذلك فالخروج أولى الخامس قوة القلب على الاتكال على الله تعالى فالجري ما جرى لا يتحرك قلبه في باطنه أصلاً وهذا الشرط روح الاربعة المذكرة وقد فصل المصنف ما ذكرناه فقال (وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس) بما يأتي منه (فالكسب أولى لان) اضطراب القلب يشعر عن عدم قوة قلبه على الاتكال على مولاه (استشرف القلب إلى الناس سؤال بالقلب) وهو عندهم أشد من سؤال اللسان (وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وأمر الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الأعلى ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل فنعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فما الاصل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم أنه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكروذ كر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيجمل إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود

كلام القوم في القوت قال بعض المتوكلين من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من
 عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظار الغير الله تعالى وقال بعض العلماء من طرقة فاقة سبعة
 أيام فتصور قلبه طمعاً خلق أو تشرفا الى عبد فالسوق أفضل من المسجد وقال أبو سليمان الداراني لا خير في
 عبد لم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب حتى يطارق بسبب وقال بعض علماءنا إذا استوى عنده وجود
 السبب وعدمه وكان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه فترك الكسب
 والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده بمعاده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد
 التوكل فقال إذا دخل عليه الضرفي جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلاً بحاله ونظر الى
 قيام الله عليه وقال الخواص في كتاب التوكل لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون
 مطالباً قد اغتنته الحال عن المكاسب وأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عزوف بحول بينه وبين التكاف
 فالعمل أولى به والكسب أجل له وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكاف يعني أن يكون قد كفي
 بالكفاية القاطعة من قلبه عن التكاف الظاهر من جوارحه وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا
 لا يضعف الى تطالع وتشرف بقول معلوم هذا من كسبه الذي أحل به أفضل له من طمعه في غيره الذي كره له هذا
 كله كلام الخواص وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور ولم يؤث المر يدون الامن جهتين من قلة الصدق
 واصابة الحق ومن ركوز الادلة الى الدنيا فدلوه على علوم أنفسهم وصدق المر يد في ايثار الخول ولزوم الباب
 و فراغ القلب وخوف فوت الوصول والتارك للتكسب والتصرف في الاسواق اذا كان في أدنى كفاية واعين
 بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكسب اذا خاف ان لا ينال المعيشة الا بجمعة الله تعالى من
 دخول في شبهة أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول
 الآفات والفساد في الاكتساب فترك مباشرة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب
 الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب وقد قدم مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم
 توه سقط عنه حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا الاستئثار كالإظهار ولا المعائن كالخبر
 والتكسب ليس بفرض وقد يفترض باحد معنيين بوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجهه من الوجوه أو
 بان يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض مما لا بد منه ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول
 ترك المكاسب مع الحاجة اليها كسل والتكسب مع الاستغناء عنه كافة وقال في موضع آخر من كتابه وبعض
 العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهو لا يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن التحرك
 أعلى لان ذلك معلوم ويعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم
 واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو المقام ولعمري التحقيق ان الحركة في طلب المضمون
 للخصوص عقوبة فقد سكون القلب الى الرب كما ان ترك الحركة في أعمال البر والقربات عقوبة سكون
 النفس الى حظوظ الشهوات والعدول من القول في تفصيل ترك التكسب وفعله وفقد المعلوم ووجده ان العبد
 لا يفضل بفقد الغنى ووجد الفقر ولا يشرف بالقعود عن الحركة من غير ابعاد ولا يعلو بالتحرك الى الاسباب
 بغير ايجاد وانما يوصف في ذينك بالفقر والاباحة لكن يفضل بحاله من مقامه من زهد أو رضا أو صبر وتوكل
 أو اقتطاع الخدمة أو إقامة بشغل متصل بصدق معاملة فبهذه المعاني يقع التفضيل عند العلماء فان كان ذو
 المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقيناً ففضل على من لا معلوم له بمن نقصت معرفته ولا يكون سكون
 القلب وطمأنينة النفس أيضاً مع وجود المعلوم علة في الحال اذا ثبت المقام وصح القصد وحسن التصرف
 والعقد ولكن لا يكون مقاماً يرفع به ولا حالاً يفضل فيه عند طائفة من العارفين الا ان الطمع في الخلق وتشبث
 القلب مع وجود معلوم أو الكفاية نقصان عند الكل وقطع الطمع في الخلق وفقد الشرف الى معتاد منهم أو
 ما لوف بهم واجتماع القلب مع العدم وفقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة فاما سكون القلب واجتماع بهم

وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فرد فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فإنه يقبل فحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذوكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الخضر ورضى بعجتي ولكنى فارقته خيفة أن تسكن نفسى إليه فيكون نقصاً في نوكلى فإذا اكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصده الاستكثار ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه ان سرق

وفقد الاستشراف إلى الخلق مع العيال وثبوت الأحكام فهو أفضل وأشرف وهذا حال الأقوياء وطريق الأنبياء اتفقوا على ذلك وأما اضطراب القلب وتفرقة الهم مع وجود العيال فإن كان لاجلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا نقص فيه وقد يوجب عليه وأما مشتات الهم وتفرق القلب ووجد الاهتمام في حال الوحدة للمنفرد فقصيب من الرغبة موفور وصاحبه فيه غير معذور وقد يكون مأزوراً وهذه النصوص كلها شواهد لسباق المصنف ثم قال (وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم) لأن فيه طمعاً في غير مطلق ونظراً إلى غير الله تعالى واتباعاً لما يوت من غير أحوالها وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسألة والاستشراف إلى الخلق تزيماً للفقراء ورداً لهم إلى الله عز وجل ولما منعوا منهم ما جعل لهم هذا العطاء بذلوا إلى قبوله عوضاً لهم عنها كما جعل للأشرف خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تشريفاً لهم وتفضيلاً وقد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (قد أمر) صاحبه (أبا بكر المروزي) نسبة إلى مرو والرو مدينة بخراسان والنسبة على الاختصار (أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه) فأعطاه (فرد) ولم يأخذه (فلما ولي) الفقير بظهوره ومشي (قال له أحمد الحق) فاعطه فإنه يقبل (الآن) فحقه فأعطاه فأخذه فسأل المروزي (أحمد عن ذلك) أى كيف رد في الأول وأخذ في الثاني (فقال) أنه (كان قد استشرفت نفسه) لذلك (فرد وكان قد أحسن) فلما خرج منصرفاً (انقطع طمعه وأيس فأخذه) لذلك كذا في القوت والعارفين في ذلك أحوال متفاوتة فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك إذا جاءهم السبب بعد قطع الهمم ورواه منهم من كان يأخذه فيخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وتأديباً لها (وكان) إبراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (إذا نظر إلى عبد في العطاء) وخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً (نقله صاحب القوت) قال وحديثي شيخ عن رجل دفع إليه ديناراً بمكة وهو لا يعرفه فقبله فلما كان الغد رأى حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقبل إبراهيم الخواص فجاءه بالتسعة الأخرى وكان قد أعد العشرة له فلم يقبل وقال صوفى لا يكون بحريف (وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره) وكان كثيراً أسفاراً في البوادي المنقطعة والطرق المجهولة فقال (رأيت الخضر ورضى بعجتي ولكنى فارقته خيفة أن تسكن نفسى إليه فيكون نقصاً في نوكلى) فمكّن لقيه للخضر أمثالاً من الله تعالى به في دعوى مقام التوكل فثبتت والا فالخضر مستغن عن صحبتته لكمال قوته وهذا القول أخرجه القشيري في الرسالة قال وسعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن أحمد يقول حكى لنا ابن أبي الشيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك فقال لقيني الخضر فسألني الصعبة فخشيت أن يفسد علي نوكلى لسكوني إليه ففارقته (فاذا المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب) (الكسب) والمعاش (ولم يقصده الاستكثار) والادخار (ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً) قال الخواص دخول الآفات ومساكنتها القصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلاً على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلاً على صحة جسمه وديمام قوته وأنه لا يرزق إلا من كده أو يكون متوكلاً على ماله بأن يتق به أو بطمان اليه ويحسب أنه ان اقتصر انقطاع رزقه أو يكون متوكلاً على جاهه ومنزلته عند الناس أو على ديانته وأنه معروف بالصلاح أو على أنه لا يرزق إلا من أجل تقواه ونحوه بأن يتوكل على علمه وما يعرف الناس من فضله فهذه المعاني كلها تخرج من كل التوكل وقد تخفى دقائقها وتدفق خفاياها ويقع الوهم عن وقعت به أنه من المتوكلين على الوكيل أو الناظرين إلى القريب الكفيل وإنما يقطن لذلك جهالة العلماء الراسخون وسماسة الصادقين الزاهدون المتصفون بالعلم المنورون باليقين القائمون على الدوام بالشهادة الناكبة عن مالوف النفس والعادة فنظر إلى هذه المعاني من الأسباب والأشخاص أو سكن إليها سكوت أنس فيقوى قلبه بوجودها فإنه يضطر بيوستوحش أو يضعف قلبه لفقدها وذلك كله على نوكله (فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه ان سرق

بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله و بعده
واحدا فان لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن (٤٨٥) اليه وكان بشري يعمل المغازل فتركها

وذلك لان البعادي كاتبه

قال بلغني انك استعنت

على رزقك بالمغازل

أرأيت ان أخذ الله

سمعك وبصرك الرزق

على من فوقك ذلك في

قلبه فأخرج آله المغازل

من يده وتركها وقيل

تركها لما نوهت باسمه

وقصد لاجلها وقيل فعل

ذلك لما مات عباله كما

كان لسفيان خمسون

دينارا يتجسس فيها فلما

مات عباله فرقها فان قلت

فكيف يتصور أن يكون

له بضاعة ولا يسكن اليها

وهو يعلم ان الكسب

بغير بضاعة لا يمكن فاقول

بان يعلم ان الذين يرزقهم

الله تعالى بغير بضاعة

فهم كثرة وان الذين

كثرت بضاعتهم فسرفت

وهلكت فيهم كثرة وان

يوطن نفسه على ان الله

لا يفعل به الا ما فيه

صلاحه فان أهلك بضاعته

فهو خير له فله لو تركه

كان سببا للفساد دينسه

وقد لطف الله تعالى به

وغايته ان يموت جوفا

فينبغي أن يعتقدا ان

الموت جوفا خير له في

الآخرة مهما قضى الله

تعالى عليه بذلك من غير

تقصير من جهته فاذا

بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به (و قد) كان بشري (من الحارث الحافي رحمه الله تعالى
بضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله و بعده واحدا) على السواء (فان من لم يسكن الى شيء) سكوت
أنس (لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن اليه) وأنس به واليه يشير قول الشاعر
ومن سره ان لا يجد ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخافه فقد

أي لا يسكن الى شيء هو يفقد عنه فيضطرب قلبه لفقده (و قد) كان بشري (من الحارث الحافي رحمه الله تعالى
يتكلم في الحلال و بشدة فيه فقل له يا أبا نصر فانت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل
وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك وقال مرة ولكن يدأقصر من يدأقصره أصغر من لقمة وكان رحمه الله تعالى
(يعمل المغازل) يتسبب بها (فتركه) أي العمل وفي نسخة فتركها أي المغازل (وذلك) أي كان سبب تركه
(لان البعادي) هكذا في النسخ وفي نسخة بالغين المعجمة وفي أخرى بالقاف ولم يتضح لي وجه الصواب فيه والى
أي شيء ينسب ولا عرفت هذا الرجل (كاتبه قال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل) أي بصنعها وبيعها
(أرأيت ان أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقك) وفي نسخة فوقر (ذلك في قلبه) بشاهد منه (فأخرج
آله المغازل من يده وتركها) وتركها (التكسب بها كذا في القوت) (وقيل) بل (تركها لما نوهت باسمه وقصد
لاجلها) وطلبت لاجلها فقيل المغازل البشرية كذا في القوت وقيل فأي هذين كان قد أنسج له طريق سلكه
بعد الطريق الأول (وقيل) بل (فعل ذلك لما مات عباله) أي زوجته وأولاده فانه ما كان ابعج له التكسب
الا لاجلهم (كما كان لسفيان) الثوري رحمه الله تعالى (خمسون دينارا يتجسس فيها فلما مات عباله فرقها) ولغظ
القوت وقد كان لا ثوري خمسون دينارا يتجسس فيها ثم أخذها في آخر أمره ففرقها على اخوانه وترك التكسب
ويقال انه فعل ذلك لما مات عباله وكان قد بقي بعدهم وحيدا وقال زافر بن سليمان كان لسفيان عندي ثمانية
درهم بضاعة فكنت أبضع له بها فقال ذات يوم هاتها فجعلها اصرار وقسمها انتهى وقد تقدم عن سهل أيضا انه
كان له أرض يرزقها ثم في آخر أمره باعها و فرق غنمها على المساكين (فان قلت كيف يتصور أن يكون له بضاعة
وهو لا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن) والجواب عن ذلك سهل لاننا نقول السكون على
قسمين سكون بالظاهر وسكون بالباطن فالذي يخرج عن التوكل هو سكون أنس بباطن قلبه مشاهد به
مفوض له أمره معتمدا عليه فلا يخرج به عن التوكل وقد قرر المصنف فقال (فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم
الله تعالى بغير) وفي نسخة من غير (بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرفت وهلكت فيهم
كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فله لو تركه كان
سببا للفساد دينسه) فكم من شخص فسد حاله ودينه بسبب ماله وافتتانه به (وقد لطف الله به) وهذا يرجع الى
الايمان بسعة حكمة الله تعالى وهو واجب (وغايته ان يموت جوفا فينبغي أن يعتقد في قلبه (ان الموت جوفا
خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك) وقدره في الازل (من غير تقصير من جهته) وهذا يرجع الى
الايمان بالقدر خيره وشره وحاوله ومره وهو ايضا واجب (فان اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها) فصحت على ما تقدم أن بعضهم قال التوكل هو استواء الامرين (ففي الخبر ان العبد ليهم من
الليل بأمر من أمور) الدنيا من (التجارة) وغيرها مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق
عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا خريفا فيظن (وفي نسخة يتطير) بجواره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي
الارحة (رحمه الله بها) هكذا هو في القوت قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند
ضعيف جدا نحوه الا انه قال ان العبد لي شرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث نحوه انتهى قلت لفظ
الحلية ان الرجل لي شرف في التجارة والامارة فيطلع الله عز وجل اليه من فوق سبع سموات فيقول اصر فوا

اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه
فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا خريفا فيظن بجواره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي الارحة رحمه الله بها

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدرى أيهما ما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لاحد ابن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما سمعت منه راحة هذا كلامه مع عاقله ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أذكر كنهه واعلمه أراد ادرالك أقصاه وما لم يكمل الاعيان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتحناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم وان يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد

هذا من عبدی فانی فی قیضته له أدخلته النار فی صبح قیطان بحیرانه من سبقنی هكذا رواه من حدیث ابن عباس
وقدر واه أیضاً عن ابن مسعود موقوفاً علیه وروی الطبرانی من حدیث ابن عباس ان الرجل لیطلب الحسابة
فیزویه الله عنه لما هو خیر له فیهتم الناس ظالم الهم فیقول من سبقنی (ولذلك قال عمر رضی الله عنه لا بأبی
أصبحت غنیاً أو فقیراً فانی لأدری أیهم حاحیر لی) فهذا إشارة الی ان العبد علی کل حال عاجز جاهل لا یدری
بواطن أحواله والرب عالم قادر محیط بعمل العبد سره وجهه مقدور للأشیاء خبیر بخفایا الغیوب مطلع علی
حقائق الاحوال وقدر وی نحو هذا القول عن عبد الله بن مسعود رواه الطبرانی من طریق علی بن ندیم عن
فیض بن جعفر عنه قال ألا حبذا المکر وهان الموت والفقر وما أبالی باهم ما ابتلیت ان كان الغنی ان فیه للعطف
وان كان الفقیر ان فیه للصبر وقدر واه أبو نعیم فی الخلیة من طریقهم (ومن لم یتکامل بقیته بهذه الامور لم
یتصور منه التوکل) وبه یعرف أن التوکل لا یختص بتوکل الاسباب وترك الاذخار بل یم أبواب الایمان والعلوم
والمعارف والاحوال (ولذلك قال أبو سلیمان الدارانی لاجدین أبي الحواری) رحمة الله علیهما ابن أبي الحواری
تلیذه (لی من کل مقام نصیب الامن هذا التوکل المبارك فانی ما شمت منه رائحة) ولفظ القشیری یا أجدان
طرق الآخرة كثيرة وشیخان عارف بکثیر منها الا هذا التوکل المبارك فانی ما شمت منه رائحة انتهی ولفظ
القوت وكان سهل یقول لیس فی المقامات أعز من التوکل وقد ذهبت الانبیاء بحقیقته وبقي منها صیابة استغناها
الصدیقون وبعض الشهداء فن تعلق بشئ منه فهو صدیق أو شهید وقال أبو سلیمان الدارانی فی کل المقامات
لی قدم الا هذا التوکل المبارك فمالی منه الامشام الرجح (هذا مع علو قدره) فی مقام التوکل وغیره من المقامات
(ولم ینکر کونه من المقامات الممكنة ولکنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه) وفیه دلالة علی کمال أبي
سلیمان واقاراره علی نفسه بان التوکل أعلی المقامات وأعلاء الذی هو التفریط أو التسلیم لم یمکن فیه بعد ما
حقیقة أوتأ. بیال نفسه بتقصیرها فی نیلها أعلی المقامات واما تأدبا وتبرأ من حوله وقوته وهو اللائق بحاله وکمال
معرفته (وما لم یتکمل الایمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان کل ما یقدره) سبحانه (علی العبد من فقر
وغنی وموت وحیاة) وقبض وبسط (فهو خیر له مما یمتناه العبد لم یكمل حال التوکل فینی التوکل علی قوة
الایمان بهذه الامور كما سبق) فی التوحد فان قوی ایمانه قوی توکله (وكذا سایر مقامات الدین من الاقوال
والاعمال تنبئ علی أصولها من الایمان وبالجملة التوکل مقام مفهوم ولکن یستدعی قوة القلب وقوة الیقین
ولذلك قال سهل) التستری رحمه الله تعالی (من طعن علی التکسب فقد طعن علی التوحد) ولفظ القوت وقد
كان أبو حامد یقول من أنکر التکسب فقد طعن فی السنة ومن أنکر القعود عن التکسب فقد طعن فی
التوحد وقد بعث النبی صلی الله علیه وسلم الی الخلق وهم أصناف کلهم الیوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن
یسأل فسا قال للناحر ترک تجارتک ولا قال للقاعد اکتسب ولا نهی السائل عن ان یسأل بل أمر ان یعطى ولكن
بالایمان والیقین فی جمیع أحوالهم وتركهم مع الله فی التدبیر فعمل کل واحد بعمله فی حاله انتهی وأورده
القشیری فی الرسالة بعبارتین الاول قال سهل التوکل حال النبی صلی الله علیه وسلم والتکسب سنته والثانیة
سمعت أبا عبد الرحمن السلمي یقول سمعت عبد الله بن علی یقول سمعت أجدین عطاء یقول قرأت علی محمد بن
الحسین قال سهل بن عبد الله من طعن فی الحركة فقد طعن فی السنة ومن طعن فی التوکل فقد طعن فی الایمان
انتهی والمراد بحال صلی الله علیه وسلم فی القول الاول أن یتوکل التوکل السابق لقلب العبد فی تحصیل مقصوده علی
الله وسنته أن یتوکل السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذکور فی تحصیل مقصوده اعتماده علی التکسب
المتعتمد من حیث انه سنة الله ورسوله جرت به کما هو العادة فی ربط المسببات بالاسباب مع اعتقاده ان الفاعل هو
الله تعالی وأنه لا فعل للاسباب والمراد بالحركة فی القول الثانی التکسب والمراد بالطعن فی السنة الانکار بما حرم
بذلك کحفز الخندق ولبس النرع والتحصن وحمل الزاد فی الاسفار وقد قال تعالی وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخیل الا یتیه والمراد بالطعن فی التوکل أن یقول ان المقدّر یحصل بفعل الله وبفعل غیره وکونه طعنا

فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى (٤٨٧) الشيطان يعدكم الفقر ويامركم

بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان

الانسان بطبعه مشغوف

بسماع تخويف الشيطان

ولذلك قيل الشفيق

بسوء الظن مولع واذا

انضم اليه الجبن وضعف

القلب ومشا هدة

المتكلمين على الاسباب

الظاهرة والباعثين عليها

غلب سوء الظن وبطل

التوكل بالكلية بل رؤية

الرزق من الاسباب الخفية

أيضا تبطل التوكل فقد

حكى عن عابد أنه عكف

في مسجد ولم يكن له

معلوم فقال له الامام لو

اكتسبت لكان أفضل

لك فلم يجبه حتى أعاد

عليه ثلاثا فقال في

الرابعة جهودي في جوار

المسجد قد ضمن لي كل

يوم رغيفين فقال ان

كان صادقا في ضمانه

فكوفك في المسجد خير

لك فقال يا هذا لو لم

تكن اماما تنق بين

يدي الله وبين العباد

مع هذا النقص في

التوحيد كان خيرا لك

اذ فضلت وعد جهودي

على ضمان الله تعالى

بالرزق وقال امام المسجد

لبعض المصلين من

في الايمان أو التوحيد حيث أشرك معه تعالى في الفعل غيره قال صاحب القوت وأخبرني أن موسى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول يقول رجل شيخنا ابن سالم أنحن متعبدون بالكسب والتوكل فقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنته وانما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فاباح لهم طلب المعاش بالكسب الذي هو سنته ولولا ذلك لهلكوا واما ابن عطاء فانه كان يقول ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسني لا تمنعوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله سكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله (فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان بما يوسوس اليه ويلقنه (ولذلك قيل) في الركعات السائرة (الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن) يشاهد باطل (وبطل التوكل بالكلية) لنقص التوحيد وبطلان الاعتماد والتفويض (بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل) من أصله (فقد حكى عن عابد) من العباد (انه عكف في مسجد) أي لازم جلوسه فيه فلم يخرج أصلا (ولم يكن له معلوم) من رزق يأتيه من جهة معلومة (فقال له الامام) الذي يصلي بالناس في ذلك المسجد حين رآه معتكفا (لوا اكتسبت) أي خرجت الى السوق وبشرت الكسب (لكان أفضل لك) من عكوفك هنا (فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة) هنا (جهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين) فهو ياتي الى جهما (فقال ان كان صادقا في ضمانه ففكوفك في المسجد خير لك) لاجل حصول الاطمئنان (فقال) العابد للامام (يا هذا لو لم تكن اماما تنق بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد جهودي على ضمان الله تعالى بالرزق) كذا في القوت وأورده ابن عطاء الله في التنوير بلفظ رأيت بعضهم جالسا يلزم المسجد ولا يخرج منه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يأكل فقال له من أين تأكل فقال له ان لي صاحبا وديا وعدني كل يوم رغيفين فهو ياتيني جهما فقال أما الآن فنعم فقال له ذلك العابد يامسكين وثقت لي بوعده جهودي وما وثقت لي بوعده الحق سبحانه وهو الصادق الحق وقد قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فاستحيها ذلك الرجل وذهب (وقال امام المسجد لبعض المصلين) الذين يصلون وراءه وقد رآه في رزق غير مكتسب (من أين تأكل) يا فلان (فقال) له (يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك) كذا في القوت وسأفه ابن عطاء الله في التنوير بلفظ ان رجلا صلى خلف الامام أيا ما فقال له الامام يوما ونجب من ملازمته وتركه الاسباب من أين تأكل فقال فف حتى أعيد صلاتي فاني لأصلي خلف من شك في قسمه الله تعالى (وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان) تنظر الى حالة نفسك وقيام الرب تعالى بك من حالة الى حالة من وقت تكونك من نطفة الى خروجك من المشيمة واغتذائك بلبن أهلك الى تسخير الخلق لك الى حالة البلوغ فخالك بعد البلوغ كحالك في أول أمرك في الكفاية والتسخير ولا يصدك عن ذلك الار جوع النفس الى تدبيرها وحولها وقوتها وقد كانت قبل ذلك لا تدبير لها ولا حول ولا قوة والفكر في مثل هذا بحر لا ساحل له ثم تكرر على سماع ما ورد من الاخبار والآيات والآثار ثم (تسمع الحكايات) المنسوبة للمتوكلين والمنقطعين الى الله تعالى الدالة على كمال أحوالهم (التي فيها عجائب صنع الله تعالى) بهم وسعة بره عليهم (في وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى

بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه

وفيه عجائب قهر الله تعالى في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم
فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فقال (٤٨٨) بقيت في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى

انقطاعه إلى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم عن
حذيفة) بن قتادة (المرعشي) شيخ هبيرة البصري (وقد كان خدما ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (فقال له
ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا) معه (في طريق مكة أياما لم نجد طعاما) ناكله (ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك) أثر (الجوع فقلت هو ما أرى الشيخ فقال علي) أي جنى
(بدواة وقرطاس فكتب به فكتب) في القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطي الاسباب وهو (بسم الله
الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى) كما قيل

وظنوني مدحتهم جميعا * وأنت بما مدحتهم مرادى

(وكتب شعرا) مانصه * (أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) * وهذه الثلاثة مما أمر العبد بها (أنا جائع أنا
ضائع) أي عطشان (أنا عاري) وهذه الثلاثة مما ينفع العبد في أتية الله بها * (هي ستة وأنا الضمين
لنصفها) وهي الثلاثة الأولى بالمرئ (فكن الضمين لنصفها يا باري) * أي قري بيا مني والمعنى كن مستمرا على
ضمي إليك والافهوت تعالى قد ضمن لهم ذلك أي أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل علي بما ضمنته * (مدحى لغيرك) بالله
كأنه (لهب نار) وفي نسخة وهج نار (خفتها) أي دخلتها (فأحر عبيدك من دخول النار) أي من مدح غيرك
(ثم دفع إلى الرقعة) المكتوبة (فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك) فلا
يكون لك اختيار في شخص دون آخر (قال فخرجت فأول من لقيت رجل كان على بغلة فنأولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها) وقرأها (بكي وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فرفع إلى) للشمري
(صرة فيها) ثمانية دينار (وفي نسخة درهم) (ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن ركب البغلة فقال لي) (هذا)
(وفي نسخة هو) (نصراني فكتب إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها) أي الصرة (فانه يجيء الساعة فلما
كان بعد ساعة دخل) وألفظ الرسالة (وإني) (النصراني) وأكب على رأس ابراهيم) يقبله (وأسلم) على يديه
ببركة وقوفه على الرقعة التي كتبها ابراهيم وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدما ابراهيم
ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن
أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة
فكان مشى وبدوس ويصلي على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فخرجت فكتبته بما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى
أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

ودفع إلى الرقعة وقال اخرج ولا يعلق سرك بغير الله واعطها أول من تلقاك فخرجت فاستقبلني رجل راكب على
بغلة فاعطته الرقعة فقرأها وبكى وقال أين صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني الخراب فخرج من
كبه صرة دينار فاعطاني فسألت عنه فقيل هو نصراني فرجعت إلى ابراهيم وأخبرته فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم فقال يا شيخ قد حسن ارشادك إلى الله فأسلم
وصار صاحب ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى (وقال أبو يعقوب) يوسف بن نافع (البصري الاقطع) ويعرف
أيضا بالتوام (جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا) يبدني من الجوع (فخذتني نفسي بالخر وج)

ابراهيم وقال يا حذيفة
أرى بك الجوع فقلت
هو ما أرى الشيخ فقال
علي بدواة وقرطاس
فكتب به فكتب بسم الله
الرحمن الرحيم أنت
المقتود واليه بكل حال
والمشار اليه بكل معنى
وكتب شعرا
أنا حامد أنا شاكر أنا
ذاكر
أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين
لنصفها
فكن الضمين لنصفها
يا باري
مدحى لغيرك لهب نار
خضتها
فأحر عبيدك من دخول
النار * ثم دفع إلى الرقعة
فقال اخرج ولا تعلق
قلبك بغير الله تعالى وادفع
الرقعة إلى أول من يلقاك
فخرجت فأول من لقيت
كان رجلا على بغلة
فنأولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها بكى
وقال ما فعل صاحب هذه
الرقعة فقلت هو في
المسجد الفلاني فدفع
إلى صرة فيها ثمانية
دينار ثم لقيت رجلا آخر
فسألت عن ركب
البغلة فقال هذا نصراني
فكتب إلى ابراهيم
وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم
وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدما ابراهيم ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة فكان مشى وبدوس ويصلي على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فخرجت فكتبته بما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عاري هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

يدى ووضع فطره وقال
هذه لك فقلت كيف
خصصتني بها قال اعلم انا
كنا في البحر منذ عشرة أيام
وأشرفت السفينة على
العرق فذرت ان خلصني
الله تعالى ان تصدق
بهذه على أول من يقع
عليه بصري من المجاورين
وأنت أول من لقيتـه
فقلت افتحها ففتحها فاذا
فيها سيدة مصرية ولوز
مقشور وسكر كعاب
فقبضت قبضة من ذا
وقبضة من ذا وقلت رد
الباقى الى أصحابك هدية
منى اليكم وقد قبلتها ثم
قلت في نفسي رزقك
يسبى اليك من عشرة
أيام وأنت تطلبـه من
الوادى وقال بمشاد
الدينورى كان على دين
فاستغل فأسبى بسببه
فرايت في النوم كأن
قائلا يقول يا بخيل أخذت
علينا هذا المقدار من
الدين خذ عليك الاخذ
وعلىنا العطاء فاحاسبت
بعد ذلك بقا الاولاقصا
ولا غيرهما وحكى عن
بنان الحال قال كنت
في طريق مكة أحمى عمر
مصر ومعى زاد فجاءنى
امرأؤ قالت لى بان

اطلب شيء آكله (فخرجت الى الوادي على اجد شيئا يسكن قاي) وفي نسخة ضعفي (فرايت سلجمة) هي نبت
(مطروحة) على الارض (فاخذتها فوجدت في نفسها منها وحشة وكان قائل يقول لي جئت عشرة ايام واخره
يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد الحرام ففقدت فاذا انا برجل اعجمي جالس) وفي نسخة
جاء فثنا (بين يدي ووضع قطرة) وهي ما يصان فيه المكاتب (فقال هذه لك فقلت كيف خصصتني) أي لم
خصصني بهذه (قال اعلم انما كلاني البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق) من تعاصيف الرياح
وبذركل واحد من ان خلاصنا الله تعالى ان يتصدق بشيء (فندرت) انا (ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه)
القمطرة (على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين) بالحرم (وانت أول من لقينته فقلت افتحها ففتحتها
فاذا فيها) كحل (سميد مصري) من خالص لباب البر (ولو زمقشور وكسر كعاب) أي عقد (فقبضت قبضة
من ذا وقبضة من ذا وقلت له) (رد الباقي الى صبيانك) هو (هدية مني اليكم) أي لصبيانكم (وقد قبلتها) بما
فيها قبل هديتي للباقي (ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام ورايت تطلبه من الوادي) حاصل ذلك انه
لما اشرفت همته وألقى السلجمة ثم رجع الى الحرم مؤذبا نفسه في عدم صبرها عن الطعام وفي شرها معتمدا
على الله بان ياتيه بما هو أشرف وأطيب من السلجمة انا العجمي بالقمطرة وأعلمه بسبب نذره منذ عشرة ايام
فوجد نفسه وقال لها يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة ايام وانت تطلبينه من الوادي ثم امسك نفسه عن
قبولها بشرة وقال للعجمي افتحها فلما افتحتها ووجد ما فيها مما ذكر لم يأخذها كلها بل أخذ منها ما رجعوه في
الوقت وقال له قد قبلتها ووافاء بذكرك ووهبت الباقي منها لصبيانك وهذا كمال في كسر النفس مع شدة الحاجة الى
الطعام ورفع الهمة والاعتماد على الله في ان ياتي له بمثل او يرفع منه عند الحاجة وهذه الحكاية اوردها
القشيري في الرسالة (وقال) ابو الحسن (ممشاد الدينوري) رحمه الله تعالى (كان علي دين) لزمني في طاعة
(فاشغل) به (قلبي فرايت في النوم كأن قائل يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ) ولا تبال
(عليك الاخذ وعلينا العطاء) قال (فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم) كذا في النسخ وفي بعضها
ولا غيرهم واذك ان من عامله عرف حاله وانه لا مال له وان معاملته محض خير وانما عامله على انه اذا فزع الله عليه
بشيء اتاهم به ونبه في الرزق اعلى ان الله تعالى اذا لم يقض الدين عنه في الدنيا رضى عنه اربابه في الآخرة لانه
الترمه لوجهه كالانقراض للفقراء وهذه الحكاية اوردها كذلك القشيري قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول كنت عند ممشاد الدينوري فخرى حديث الدين فقال كان علي دين فساقتها
(وحكى عن أبي) الحسن (بنان بن محمد) الحال الواسطي تزيل مصر والمتوفى بها سنة ٣١٠ هـ (قال كنت
في طريق مكة أجيء من مصر ومعى زاد) حلت معى (لجاءتني امرأة) وكانت وليدة مكاشفة أدبني الله بها
لزمي اني تمكنت في التوكل وقد حلت الزاد (و) ذلك انها (قالت يا بنان أنت جالس تعمل على ظهرك الزاد
وتتوهم) في نفسك (انه لا يرزقك) بدونه (قال) فتنهت من قولها (فرميت برادي) ومشيت على قدم
التوكل (ثم أتني على ثلاثون) من الايام (لم آكل) فيها شيئا (فوجدت خلخالا) بالنخ مرصيا (في الطريق
فقلت في نفسي أحله حتى يجي عصا حبه فرمى بعطيني شيئا فاردته عليه فاذا أنا بملك المرأة) فد طهرت لي (فقلت
لي أنت تاجر تقول) في الخلخال (عسى يجي عصا حبه فاتخذ منه شيئا) وادفع له خلخاله ولم لاندفعه فلا تأخذ
منه شيئا (ثم رمت لي شيئا من الدراهم وقالت انفقها) على نفسك (فاكتفيت) أي فاخذتها واكتفيت
(بها الى قريب) من (مكة) وفي بعض النسخ الى قريب من مصر فادب بنان مع علور تبتة مرتين بالمرأة الاولى
انكارها عليه حل الزاد مع زعمه التمكن في التوكل والثانية قولها له أنت تاجر الخ زاعانته على حاله بما أعطته له

(٦٢ - (انحاف الساده المتقين) - تاسع) أنت حال تحمل على ظهورك الزاد وتوهم انه لا يوزنك قال فرسيت
 زادي ثم اتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي اجله حتى يحى عصا حبه فرما يعطيني شيئا فارد عليه فاذا انا بئناك
 المرأه فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يحى عصا حبه فما خدمته شيئا ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت أنفعاها فاكنت فبیت هم الى قريب من مكه

وحكى أن بنانا احتاج الى جارية فتخدمه فان بسط الى اخوانه فخدموه له ثمها وقالوا هو ذا يحيى والنضر فنشترى ما يوافق فلما ورد النضر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما البست للبيع فالحوا عليه فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته (٤٩٠) القصة وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل

الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقى القرص عنده وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره واكتيت أن لا أدخل المرحلة الا ان أحل اليها ففكرت لنفسى في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه ف جاء فاحرقوني وجلوني الى القسرية وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى اقتنعه عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة ف جاء عمر فقال له انى قد اشتقت اليك فانا

من الدراهم وهذه الحكاية أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (وحكى) أيضا (ان بنانا) المذكور رحمه الله تعالى (احتاج الى جارية فتخدمه فان بسط الى اخوانه) في تحصيلها له (فخدموه له ثمها وقالوا هو ذا يحيى والنضر) عندك وحيث (تجى والنضر) الذين يبيعون الجوارى (فنشترى) لك (ما يوافق) غرضك (فلما ورد النضر) عليها (اجتمع رأيهم على واحدة) منهم (وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما البست للبيع فالحوا عليه) في مساومتها (فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته) هذه (القصة) ففيه دلالة على ان الله تعالى لطيف بمن يتوكل عليه ويقضى حوائجه وهو لا يشعر فانه تعالى لما علم حاجة بنان الى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير امره ألقي الله في قلب تلك المرأة بسمرقند ارسال هذه الجارية اليه وهذه أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت) جوعا (فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه) غيره (وان لم ياكله فلا تعطه شيئا غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقى القرص عنده) فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل وأقيم الحرص حرص العبد على الشيء حتى لا ينتفع به في نفسه فضلا عن غيره من المحتاجين اليه كما هنا وهذه الحكاية أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (فأندثنان الحق تعالى انما ضمن الكفاية للمحتاج وهذا قد أغناه بالقرص فاعتمد عليه فقد تسبب في اهلا كه نفسه بحرصه عليه وفيه تنبيه على ان المتوكل يكون وثوقه بما في يده الله أو ثق بما في يديه (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) البغدادي المتوفى سنة ٢٧٧ (دخلت البادية) مرة (بغير زاد) لاصحح توكلنى (فاصابني) فيها (فاقة) أى جوع شديد (فرايت المرحلة) أى القرية (من بعيد فسررت بانى) قد (وصلت) أى بقرب وصولي لها (ثم فكرت في نفسي انى سكنت) أى حصل في هذا السرور وسكون (واتكلت على غيره) تعالى في تحصيل ما أنا محتاج اليه فعزمت على مخالفة نفسي (واكتيت أن لا أدخل المرحلة) أى حلفت ان لا أدخلها (الا ان أحل عليها ففكرت لنفسى حفرة وواريت فيها جسدى الى صدرى) ناديا للنفس وتوبيخا لها (فسمعت) وفي نسخة فسمعوا (صوتا في نصف الليل عاليا) يقول (يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه ف جاء فاحرقوني وجلوني الى القسرية وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب) زمانا (حتى اقتنعه عمر) فسأل عنه فدل عليه (فاذا هو قد اعتزل) الناس (واشغل بالعبادة ف جاء عمر فقال له انى قد اشتقت اليك) حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغتنى عن عمر وآل عمر فقال له (عمر رحلك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى في السماء وأنا أطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت) وكانت موعظته فيه (فكان عمر بعد ذلك ينابيه) أى يأتيه نوبة بعد نوبة في الاحيان (ويجلس اليه) ويجتمع اليه فقله صاحب القوت وقال فهذه علامة مراد مطلوب

الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغتنى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحلك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى في السماء وأنا أطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه

وقال أبو جزة الخراساني حجبت سنة من السنين فيينا أنا مشى في الطريق اذ وقعت في بئر فزارعتني (٤٩١) نفسي ان استغيث فقلت لا والله

لا استغيث فما استتممت
هذا الخاطر حتى مر
برأس البئر وجلان
فقال أحدهما للآخر
تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه
أحد فأنابا بعب وبارية
وطموا رأس البئر
فهمت ان أصبح فقلت
في نفسي الى من أصبح
هو أقرب منهما وسكنت
فيينا أنا بعد ساعة
أنا بشي جاء وكشف عن
رأس البئر وادلى برجله
وكانه يقول تعلق بي في
هممة له كنت أعرف
ذلك فتعلقت به فأخرجني
فاذا هو سبع فروهتف
بي هائف يا أباجزة أليس
هذا أحسن نجيتك من
التلف بالتلف فشيت
وأنا أقول
نهاني حيائي منك أن
اكشف الهوى
وأغنيتهني بالفهم منك
عن الكشف
تلطفت في أمري فأبدت
شاهدي
الى غائي والالطف يدرك
بالالطف
ترأيت لي بالغيب حتى
كانما
تبشرني بالغيب أنك في
الكف
أرأيتني من هيتي لك
وحشة
فتؤنسني بالالطف منك
وبالالطف

والطالب المردود اذا تعلم ان القرآن افتقر الى الخلق وازداد طمعاً ففهم وطني في القرآن وتكبر فالقرآن حجة تكشف
المرادين والمردودين وهي غنى للموقنين وفقير للظالمين (وقال أبو جزة الخراساني) مشهور بكنيته نيسابوري عن
أقران الجنيد مات سنة ٢١٠ (حجبت سنة من السنين) على قدم التجربة والتوكل (فيينا أنا مشى في الطريق
اذ وقعت في بئر) عادية (فزارعتني نفسي ان استغيث) باحد (فقلت لا والله لا استغيث) توخي النفس (فما
استتمت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر وجلان فقال أحدهما للآخر) وأنا أسمع حديثهما (تعال يا فلان
حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) كذا في النسخ وكذا هو في الرسالة والاولى فاتبأ ويحتمل ان
يكون معهما غيرهما كالخادم لهما (بقصب) فارسي (وبارية) أي حصير (وطموا) أي سدوا رأس البئر
(فهمت ان أصبح) من داخل البئر فيسمعهم واصوت فيخرجوني منها (فقلت في نفسي الى من أصبح هو أقرب
منهما) وفي نسخة أصبح الى من هو أقرب منهما وفي أخرى أشكو بدل أصبح (وسكنت) أي حصل لي السكون
والاطمئنان وفي نسخة سكنت (فيينا أنا بعد ساعة) وقد ذهب الرجلان (اذا أنا بشي جاء وكشف رأس البئر
وأدلى برجله) فيها (وكانه يقول تعلق بي في هممة) أي صوت خفي (له كنت أعرف ذلك منه) أي فهمت
منه انه يقول تعلق بي (فتعلقت به فأخرجني فاذا هو سبع) سخره الله لي (فر) أي جاوزني (وهتف بي عاتف)
فقال (يا أباجزة اليس هذا أحسن) من نجائك قبل طمر رأس البئر (ان نجيتك من التلف) أي من الهلاك
(بالتلف) أي المتلف (فشيت وأنا أقول)

(نهاني حيائي منك ان أكرم الهوى * وأغنيتهني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبدت شاهدي * الى غائي والالطف يدرك بالالطف)

أي أبدت حالي الحاضر لحالي الغائب عني

(ترأيت لي بالغيب حتى كانما * تبشرني بالغيب أنك في الكف

أرأيتني من هيتي لك وحشة * فتؤنسني بالالطف منك وبالالطف

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة)

فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الايات ان الله تعالى يرى العبد
من عجائب قدرته ولطفه مما يغيبه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة يرى المذوكل ان الافعال كلها لله
تعالى فانه المحرك له والمسكن له وقد كان قادراً على ان يحفظ هذا من الوقعة في البئر ليطهر تحقيق توكله ولهذا لم يصح
في البئر حين سدر أسهامه انه كان ممتكاً من إزالة البارية عن رأسه بل كافة ان تعين عليه الطلوع وهذه
الحكاية مع الايات أوردها القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أبو جزة الخراساني
حجبت سنة من السنين فساقها وقد اعترض المنكر على المصنف خاصة في نقر رفع أبي جزة الذي ذكر ثم على
الصوفية عامة وقالوا ان الذي فعله أبو جزة لا يجوز شرعاً وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الاجوبة
المرضية وقد سبق في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك وحاصله انه لا ينبغي المبادرة الى الاعتراض فان أباجزة لم
يصدر منه ذلك الا بعد ان منح الله تعالى يقيناً كاملاً وقلبا مشاهداً وحالاً غالباً وجزاً جزاً وعاجزاً عليه ان يلتفت
الى غير مولاه أو يرى معه فاعلا وسبقه الى هذا الجواب القطب عبد الله بن سعد الباقى قدس سره فقال في
جملة كلامه ولوانه كان حصل لهذا المنكر على أبي جزة نفحة من نفحاته لما أنكر عليه قال والعجب كل العجب من
ينكر ويعترض على من يراه من الاولياء فانما عساوى الحق تعالى مشاهدته لا يرى في الملك والمال كوت الامن
هو أشق عليه من أمهبل من نفسه مع انه لما وقع لابي جزة شاهد عظيم في الشرع وهو ما رقع لسيدنا ابراهيم
عليه السلام لما ألقى في النار وجاءه جبريل عليه السلام فقال أنا جبريل ألك حاجة قال أما إليك فلا قال فسل
ربك ينحك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام الامن كمال يقينه وفنائه عن
نفسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله (وأمثال هذه الوقائع مما يكثر) وقوعها (واذا قوى الايمان به وانضم

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوى الايمان به وانضم

اليه القدرة على الجوع ندر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بانه ان لم يسبق اليه رزقه في أسبوع فالوقت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم التوكل به هذه الاحوال والشهادات والا فلا يتم أصلاً * (بيان توكل المعجل) * اعلم أن من له عيال في حكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامر من أحدهما قدرته على الجوع أسبوعاً من غير اشتراشاق وضيق نفس والا تخراً أبواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفساً بالموت ان لم ياته (٤٩٢) رزقه عما يابان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة

فيري انه سبق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد ولا يجوز تسكين العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أي يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادوا وكذا سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الاتوكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب بعد ما ولي الخلافة (فاما دخول البوادي وترك العيال توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بامرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد يفضى الى هلاكهم ويكونون هم مؤخذاً بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت

اليه القدرة على الجوع قدر أسبوع) أو ما يقاربه (من غير ضيق صدر) ولا ملالة نفس (وقوى الايمان بانه ان لم يسبق اليه رزقه في أسبوع فالوقت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم) وصف (التوكل بهذه الاحوال والشهادات والا فلا يتم أصلاً) والله الموفق

* (بيان توكل المعجل) *

أي صاحب العيال من زوجة وولد (اعلم) هذا الله تعالى (ان من له عيال في حكمه يفارق المنفرد) المتجرد (لان المنفرد) المتجرد (لا يصح توكله الا بامر من أحدهما قدرته على الجوع أسبوعاً من غير اشتراشاق) أي تطلع (و) من غير (ضيق نفس) منه (والا تخراً أبواب من الايمان ذكرناها من جملتها (ان يطيب نفساً بالموت) ويوطنها عليه (ان لم ياته رزقه علماً) منه (بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة) درجات (في الآخرة فيري انه سبق اليه خير الرزقين) له (وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد) هذا بخلاف المعجل اذ (لا يجوز تسكين العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادراً وكذلك سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الاتوكل المكتسب وهو المقام الثالث) من مقامات التوكل (كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب) بعد ما ولي الخلافة (فاما دخول البوادي وترك العيال) هملاً (توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بامرهم توكل في حقهم فهو حرام وقد يفضى الى هلاكهم ويكونون هم مؤخذاً بهم) اذ كل راع مسئول عن رعيته (بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا بان تساعد على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتشتوش عليه عبادته لم يجز له التوكل) قال ابراهيم الخواص في كتاب التوكل وليس للعبد ان يحمل حال عياله على حاله الا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم واغتيابهم بضرهم لمعرفتهم بفضل الفقر كما عرفته فإثر حينئذ ان يسير بهم سيرته ويسقط عنه الكسب لاجلهم لانهم كهول في الحال مع سقوط المطالبة عنهم له لحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من السلف (ولذلك روى ان أبا تراب) عسكر بن حصين (الخشبي) نسبة الى نخشب مدينة بجوار اراء النهر عرت فقبل لها نفس شيخ عصره عالم زاهد ورع متوكل روى عن محمد بن عبد الله بن نمير وعنه محمد بن عبد الله بن مصعب وغيره ما بالبادية سنة ٢٤٥٠ قيل ختمته السباع وقال القشيري صحب حاتماً الاصم وأباحاتماً العطار البصري (نظر الى صوفي مديده الى قشر بطيخ) مرعى في الطريق (ليأكله بعد ثلاثة أيام) لم يأكل فيها شيئاً (فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق) نقله القشيري الا أنه قال أكره الزم السوق (أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام) أي ان حاله ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله وعدم صبره وشدة ميله الى الطعام ومن هذه صفته بقاءه مع سبب واتقاه شيئاً فشيئاً عن عبادته أولى من خروجه عما يبده جلة (وقال أبو علي) أحمد بن محمد (الروذباري) البغدادي تزيل مصر والمتوفى بهاسنة ٢٢٢ أخذ في التصوف عن الجنيد وشيخه في الفقه أبو العباس بن سريج وفي الادب ثعلب وفي الحديث ابراهيم الحزبي (اذا قال الفقير بعد

خسة

على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل له حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده ولا يجوز

له أن يضيعها الا أن تساعد على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتشتوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روى ان أبا تراب الخشبي نظر الى صوفي مديده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام وقال أبو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادر او ملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه (٤٩٣) الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى

الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا أن الناس عدلوا الى أسباب اظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم - باساعة الظن وطول الامل ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له انكشافا عظيما ان الله تعالى لم يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه اما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب ثم قد فها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علقه مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقائه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يبرزه الى دار يتعرف فيها بفضل وعذله اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات الطعام (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكلا بالثدي مستحق الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحضت الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفتروا مستهضلا لا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافق الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطم) وأرحى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافة سابقها للعباد في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتعل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب) نقله القشيري في الرسالة (فاذا بدنه عياله) أي بمنزلة عياله (فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد) وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله (الان وافق اختيارهم اختياره فيكونون كهو في ما سبق) (وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب) كجانه ليس تلبسها (بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادر او ملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب) فقد روي القشيري بسنده الى ابراهيم الخواص قال بينما أسير في البادية فاذا بهم اتف بهم تنف فالتفت اليه فاذا عرابي فقال لي يا ابراهيم التوكل عندنا أي في البوادي أقم عندنا حتى يصح توكلك الاتعلم ان رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك اقطع رجاءك عن البلد ان توكل (الان الناس عدلوا الى أسباب هي أفضل منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساعة الظن وطول الامل ومن هنا قال بعضهم في حشد التوكل هو احسان الظن وقصر الامل (ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطيف حكمته وجبل قدرته (تدبيره لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه اما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب ثم قد فها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علقه مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقائه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يبرزه الى دار يتعرف فيها بفضل وعذله اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات الطعام (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكلا بالثدي مستحق الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحضت الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفتروا مستهضلا لا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافق الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطم) وأرحى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافة سابقها للعباد في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتعل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض

تعالى اليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافق الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطم وطواحين لاجل المضغ فاذا كبر واشتعل بيسره أسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فبينه بعد البلوغ جهل محض

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً
وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على
قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم
قلبه ورق عليه وانبعث له داعية (٤٩٤) الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه (لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه) وما هي الا رأفته سبحانه (فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة) من مؤمن وكافر (حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته) وتيسير طلبته (فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا) من قبل (لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فارأوه محتاجاً لورأوه يتيماً) لأمله (لسلط الله داعية الرحمة) ومستحق الشفقة (على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب) وأعوام الرخاء (يتيم قدمات جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل برأسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده) وبشوا فيها في ذلك ما يلزمه الاستسلام اليه تعالى والتوكل عليه (فلماذ ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ) أو يتعالي على التدبير أو ينازع المقدير (ولم يشتغل في الصبا) وقبل الصبا (وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن القائم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت) قوتها بالاضافة الى شفقة الوالدين (فيخرج من مجموعهما ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التبع) فان عباد الله ليسوا بالمتهمين كفى حديث فضالة (والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر) وهو ابن الرومي (حيث يقول)

(جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين)

قوله سيان بالكسر وتشديد التخمية أي مستويان والغشاوة أي اسم الجالد الذي يكون على الجنين وهي المشيمة وقد وجد البيهتان هكذا بخط النور في هامش كتابه مختصر علوم الحديث وقد كتب على بن العز الحنفى بخطه على قوله بما يكون مسلم وعلى قوله والسكون لانسلم وعلى قوله لرزق لانسلم وعلى قوله والجنين مسلم ثم عارض ذلك بآيات وهي هذه

يتال الرزق في وقت بسعي * وفي وقت بلا سعي يكون * وكسب الرزق نوع منه فرض

فلا تنجح الى كسل يشين * بمشي في مناسكها أمرنا * وفي تغدو وخصا تستبين

جری قلم القضاء بكل هذا * وفي كل ميسر اليقين * ومن اياك نعبد خذ دليلاً

وقل اياك أيضاً نستعين * ومن قاس القوي على ضعيف * كن قاس الصديق بمن يمين

فصل من ربك التوفيق واحرص * على ما فيه نفعك مستبين

وكن متوكلاً مع فعل ما قصد * أمرت به وذاذبا ودين

(فان قلت الناس يكفلون يتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه) عن الاضطراب (وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا) وقوته كقوتنا (فليجهد لنفسه) وليكتب (فاقول ان كان هذا القادر بطالاً)

لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجاً لورأوه يتيماً لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب يتيم قدمات جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل برأسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألف نعم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعهما ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التبع والافتصار على قدر

فارغا

الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين فان قلت الناس يكفلون يتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه وأما هذا فبالغ قادر على

الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالاً

فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفريط بالله تعالى في الباطل والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو موطن على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكافونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقر رجبته في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما روى الى الآن عالم أوعاد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فأت جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد رعبه فان من كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقي الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر

(٤٩٥)

قلب الام لولدها فقد
دبر الله تعالى الملك
والمسكون تديرا كافيها
لاهل الملك والمسكون
فن شاهد هذا التدبير
وثق بالمدير واشتغل به
وآمن ونظر الى مدير
الاسباب لا الى الاسباب
نعم ما دبر تديرا يصل الى
المشتغل به الخلو والطيور
السمان والطياب الرفيعة
والحيول النفيسة على
الدوام لا لمحالة وقديع
ذلك أيضا في بعض
الاحوال لكن دبره تديرا
يصل الى كل مشتغل
بعبادة الله تعالى في كل
أسبوع قرص شعير أو
حشيش يتناوله لا لمحالة
والغالب انه يصل أكثر
منه بل يصل ما يزيد على
قدر الحاجة والكفاية
فلا سبب لترك التوكل الا
رغبة النفس في التمتع
على الدوام ولبس الثياب
الناعمة وتناول الاغذية
اللطيفة ولبس ذلك من
طريق الآخرة وذلك
قد لا يحصل بغير اضطراب

فارغا (فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه) ولا للسؤال (فان التوكل مقام عظيم) (من جملة مقامات الدين) ومنشؤه من خالص اليقين (يستعان به على التفريط بالله تعالى في الباطل والتوكل) ليس هو من رجاه (وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو موطن على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكافونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقر رجبته في قلوب الناس) ويثبت (حتى يحملوا اليه مؤن كفايته وانما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس) من المشاهد (وما روى الى الآن عالم أو عابدا استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فأت جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد رعبه فان من كان الله عز وجل له) (ومن كان همه هما واحد أكفاه الله همه) (ومن اشتغل بالله عز وجل) وأحبه (ألقي الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها) وقد جاء في الخبر اذا أحب الله عبدا ألقي حبه في قلوب الناس وفي لفظ قذف حبه في قلوب الملائكة ثم يقذفه في قلوب الآدميين (فقد دبر الله تعالى الملك والمسكون تديرا كافيها لاهل الملك والمسكون) لقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية (فن شاهد هذا التدبير) البليغ وثق بالمدير واشتغل به وآمن (ونظر الى مدير الاسباب لا الى الاسباب) ولا يصح مقام من مقامات اليقين الا باسقاط التدبير مع الله وتعلقه بمقام التوكل والرضا بآب من تعلقه بسائر المقامات فن لازم من التي قياده الى الله واعتمد في كل أموره عليه الاستسلام لجريان المقادير (نعم ما دبره تديرا يصل الى المشتغل به الخلو والطيور السمان والطياب الرفيعة والحيول النفيسة) المرفهة (على الدوام لا لمحالة وقديع ذلك أيضا في بعض الاحوال لكن دبره تديرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لا لمحالة والغالب انه يصل أكثر منه بل ويصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة) في كل وقت (وليس ذلك من طريق الآخرة) الا من قهر نفسه وملكها أو أراد بما ذكر اظهرها من الله به عليه بشرط أن يكون وجوده وعدمه عنده سمين (وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فان الاضطراب ضعيف عنده من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطعن الى اضطرابه بل الى مدير الملك والمسكون تديرا لا يجاوز عبدا من عباد رزقه وان سكن الانادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أغرم ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى اذ قال وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدنيار (نقله صاحب القوت قال وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا قد جاوز العقول فلعل يطعمهم الموت) وقال (أبو أمية) وهيب بن الورد) المسكي يقال اسمه عبد الوهاب رحمه الله تعالى (لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك) ولفظ القوت وروينا عن سفيان عن وهيب بن الورد لو ان السماء لم تحترق والارض لم تنبت ثم اهتممت بشئ من رزقي لظننت اني كافر وفي رواية عن وهيب منذر بعين سنة لو كانت السماء رصاصا والارض نحاسا لم أهتم برزقي ولو

وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فان الاضطراب ضعيف عنده من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطعن الى اضطرابه بل الى مدير الملك والمسكون تديرا لا يجاوز عبدا من عباد رزقه وان سكن الانادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أغرم ما قاله الحسن البصري رحمه الله اذ قال وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدنيار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء رصاصا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك

فهمت أن التوكل مقام

مفهوم في نفسه ويمكن

الوصول اليه بأن قهر نفسه

وعلمت أن من أنكر أصل

التوكل وامكانه أنكره

عن جهل فإياك أن تجمع

بين الأفلاسين الأفلاس

عن وجود المقام ذوقا

والأفلاس عن الإيمان به

علما فإذا علمك بالقناعة

بالنزال القليل والرضا

بالقوت فإنه يأتيك

للمحالة وإن فررت منه

وعند ذلك على أنه أن

يبعث إليك رزقك على

يدي من لا تحسب

فإن اشتغلت بالتقوى

والتوكل شاهدت

بالتجربة مصداق قوله

تعالى ومن يتق الله يجعل

له مخرجا ورزقه من

حيث لا يحتسب الآية

إلأنه لم يتكفل له أن

يرزقه لحم الطير ولذائذ

الاطعمة فتضمن الا

رزق الذي تدوم به

حياته وهذا المضمون

مبدول لكل من اشتغل

بالضامن وأطمأن إلى

ضمانه فإن الذي أحاط

به تدبير الله من الأسباب

الخفية للرزق أعظم مما

ظهر للخلق بل مداخل

الرزق لا تحصى وبحجابه

لا يهتدي إليها وذلك لأن

ظهوره على الأرض وسببه

في السماء قال تعالى وفي

اهتممت به لظننت أني مشرك وقال بعض أهل المعرفة قد صدق وهيب لو أن الهم داخل عليه في تصديقه كان الشك قد نقص تصديقه وكان يكون شاكلا أنه ليس من جهة التصديق والصدق الاهتمام بالرزق لأن الرزق جزء من مائة جزء قد وقع تصديق المؤمن به في لم يصح تصديقه في هذا الجزء الواحد لم يصح في سائر الأجزاء قال والتصديق مقتضى السكون والطمانينة والنفس تدعو إلى الحركة طمعا في استجمال أخذ الأسباب فن كان محققا لتصديقه بالسكون أنصرف عن اجابة داعي النفس بالحركة إلى السكون الذي يقتضى منه التصديق وشغل قلبه بالعمل في تصحيح تصديقه (فإذا فهمت هذا فهمت أن التوكل مقام) شريف (مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه بأن قهر نفسه) وروضا بالتدريج على الصبر على المكارة (وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وامكانه) انما (أنكر عن جهل) به عنه (فإياك أن تجمع بين الأفلاسين أفلاس عن وجود المقام ذوقا وأفلاس عن الإيمان به علما) أي فإن لم تكن من الذاتية لهذا المقام فاقبل الدرجات أن تكون من المصدقين له علما ومعرفة (فإذا علمك بالقناعة بالنزال اليسير) مما هو في يدك (والرضا بالقوت) المتيسر (فإنه سيأتيك للمحالة وإن فررت منه) ولذلك قال على رضي الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق يطلبه فسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي يطلبه رزق الثمال وهو طلب فضول القوت (وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) تمامها ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود قال في قوله تعالى يجعل له مخرجا أي أن يعلم أنه قبل الله وأن الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعاقبه وهو يدفع عنه وقوله لا يحتسب يقول من حيث لا يدري وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب من طريق ابن مسعود مثله والآية تزلزل في رجل من أن يجوع كان قد أسر ابنه فشكا أوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال اتق الله واصبر فلم يلبث حتى جاء ابنه واستاق غنم العدو وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم أن أكتب إليه يعني ابنه ومعه بالتقوى والتوكل على الله (الأنه) تعالى (لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة) وغيرها من فضول الأقوات (فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته) وهو الرزق الطالب (وهذا المضمون مبدول لكل من اشتغل بالضامن) جل جلاله (وأطمأن إلى ضمائه) وسكن إليه قلبه (فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى وبحجابه لا يهتدي إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء) وهي من عالم الملكوت (قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما تعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها) بتفاصيلها لأنهم من عالم الملكوت وذكر الشيخ ابن عطاء الله في كتاب التنوير لهذه الآية فوائد مالم تلخصها أي ياهذا المطلاع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الأرض ليس رزقك عنده انما رزقك عندي وأنا الملك القادر ولاجل هذا المسمع بعض الأعراب هذه الآية تنخرنا فتهوينا فإنا نخرجها إلى الله تعالى وهو يقول سبحانه الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فانظر كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفعهم عباده إليه وأن تكون رغبتهم فيما لديه كما قال في الآية الأخرى وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم لتجاس الهمم إلى بابيه وتفتح القلوب إلى جنبه فكأن سماء يا علوا ولا تكن سفلما أرضا ولا تكن

ابعد نفوذ في علوم الحقائق * وبعد انبساط في مواهب خالقي

وفي حين اشراف على ملكوته * أرى باسطا كلها إلى غير رازقي

وكيف تقره بالربوبية يوم ألتبس بربك وتعرفه وتوحده هناك وتجهله ههنا وقد توارى عليك احسانه وعجزك

فضلك وامتنانه كما قيل في القلب لكم منزلة علياء * لا تسكنها سعادى ولا ليلاء

في الزعر فتسكن فهل يحمل بي * أن أنكركم وحيثي شطاء

فهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين وقد تضمنت ذكر

ولهذا دخل جماعة على

الجنيد فقال ماذا نطلبون

قالوا نطلب الرزق فقال

ان علمتم أى موضع هو

فاطلبوه قالوا نسال الله

قال ان علمتم أنه ينساكم

فذكروه فقالوا ندخل

البيت ونتوكل ونظنر ما

يكون فقال التوكل على

التجربة شك قالوا فما

الحيلة قال ترك الحيلة

وقال أحمد بن عيسى

الحرار كنت في البادية

فقال جوع شديد فقلت

نفسى أن أسأل الله تعالى

طعاما فقلت ليس هذا

من أفعال المتوكلين

فقال بئس أن أسأل الله

صبرا فلما هممت بذلك

سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم أنه من قريب

وأنا لا نضيع من أماننا

ويسألنا على الاقتار جهدا

كأننا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت أن من

انكسرت نفسه وقوى

قلبه ولم يضعف بالجبن

باطنه وقوى إيمانه

بتدبير الله تعالى كان

مطمئنا النفس أبدا

وأنقا بالله عز وجل فان

أسوأ حاله أن يموت ولا

يبدأن يأتيه الموت كما يأتي

من ليس مطمئنا فاذا

تمام التوكل بقناعة من

جانب ووفاء بالضمون

من جانب والذي ضمن

رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها صادق فاقنع

الرزق ومجمله والتشبيه له بأمر لا يخفاه فيه وفيها فوائد الأولى ما علم سبحانه كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرذ كره كما تكرر رتبو وروء عوارضه على القلوب كما تكرر راحة إذا علمت ان الشبه مستمكنة في نفس الخصم ليكون ذلك أو كفى في الخفة فذكر في هذه الآية تحمل الرزق وبينه لتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع إيهام المحل كالضمان مع تبينه فهذا أبلغ في ثقة النفس به وأقوى في دفع الشك فيه الثانية يحتمل انه أراد اثبات رزقكم أى اثباته من اللوح المحفوظ ففيه اعلام إيهام ان الشيء الذى منه رزقكم أثبتناه عندنا فى كتابنا وقضينا به بحيث نتنا من قبل وجودكم فلا شيء تضاربون وما لكم الى لتسكنون وبوعدي لا تتقون ويحتمل انه أراد بالرزق الماء وقال ابن عباس هو المطر فيكون الشيء الذى منه أصل رزقكم ولا الماء في أصله رزق الثالثة يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تعجيز العباد من دعوى القدرة على الأسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء على الارض لم تعطل كل ذى سبب فكانه يقول ليست أسبابكم هى الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وببدي تيسر أسبابكم لاني أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم الرابعة في اقتران الرزق بالامر الموعد فائدة جلية وذلك ان المؤمنين علموا ان ما وعدهم الحق لا بد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فذكائه تعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توقعون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون وكما أنكم عن استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربو يبتنا ووقته الهيتمنا انتهى (ولهذا دخل جماعة على الجنيد) رحمه الله تعالى (فقال ماذا نطلبون فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم هو فى أى موضع فاطلبوه) ففيه إشارة الى أن الرزق أسبابه حيث لا يطالع عليه (قالوا فسل الله ذلك قال ان علمتم انه) تعالى (ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل ونظنر ما يكون فقال التوكل على على التجربة) بان تدخلوا البيت مجر بين الله هل يرزقكم (شك) أى في الضمان وهو كفر (قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة) واعتمادكم بقلوبكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به ولفظ القشيري دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا فسل الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة انتهى ومنه أخذ الشاعر فقال * انما الحيلة فى ترك الحيل * هو إشارة الى اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير وقد قال بعضهم من لم يدبر دبره وقال القطب أبو الحسن الشاذلى قدس سره ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا أى ترك التدبير هو عين التدبير كما ان ترك الحيلة هو عين الحيلة والله در القائل

امطرى لو اؤاجبال سرديب * وفيضى جبال تكرر وتبرا

أنا ان عشت لست أعدم رزقا * وأذامت لست أعدم قبراً

(وقال) أبو سعيد أحمد بن عيسى (الحرار) رحمه الله تعالى وكان من المتوكلين (كنت في البادية) على قدم التوكل (فقال جوع شديد) أى بعد مضي عشرة أيام (فقلت نفسى أن أسأل الله طعاما) يرزقنيه فأكلاه (فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين) فان مقتضى هذا المقام تغليب علمه تعالى بحال العبد وعدم المبادرة الى السؤال فانه سوء أدب (فقال بئس أن أسأل الله صبرا) على الجوع (فلما هممت بذلك) سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم انه من قريب * ونحن لا نضيع من أماننا

ويسألنا على الاقتار جهدا * كأننا لا نراه ولا يرانا

أى فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الاضطراب والقلق (فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى) إياه فى سائر أطواره وشؤنه (كان مطمئن النفس أبدا وأنقا بالله عز وجل) فى حسن وفائه وصدق ضمانه (فان أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت وان طال كما يأتي من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بـكل بقناعة من جانب ووفاء بالضمون من جانب) والذي ضمن رزق (القانعين بهذه الأسباب التي دبرها) باطيف حكمته (صادق) فى وعده وضمائه (فاقنع) ليصح توكلك

وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما ورد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكن منتظر الاسباب بل
لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا (٤٩٨) لعلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي أن

(وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما ورد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك ولا تكن في توكن منتظرا) (كلاما تكون منتظرا
لقلب الكاتب) (الموقع) (بل لقلب الكاتب فانه) (أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد) (في الوجود
فلا ينبغي أن يكون النظر الاليه) وفيه تلويح الى مقام وحدة الوجود عند الصوفية (وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد) يحمله (و) كذا من (يقصر في الامصار وهو خامل) الذكر (وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام) المتيسر (مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ)
والانواع المختلفة (وثوب خشن) من مستعمل ثياب بلده مما (يليق باهل الدين) ولا يكون من الشطار والجندي
(فهذا يأتيه من حيث يحتسب و) من حيث (لا يحتسب على الدوام) من غير انقطاع (بل يأتيه اضعافه فتركه
التوكل واهتمامه بالرزق) المضمون (غاية الضعف والقصور فان اشتاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين) أولى الصالح المتين (وهو
بالعلماء) بالله وأحكامه (أقبح لان شرطهم القناعة) وهذا الاهتمام بضاده هو قبيح بذوى الاعيان أن ينزوا
حاجته - ثم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدايته وانفراد برؤيته موهم يسمعون قوله تعالى أليس الله بكاف عبده
وذلك من العلماء أقبح فرفع الهمة عن الخلق وعدم الاهتمام بالرزق هو ميزان العلماء وسبيل الرجال كما توزن
الذوات توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمذنب بحزقه (والعالم
القانع يأتيه رزقه) بل (ورزق جماعة كثيرة ان كانوا مع) وقد ابتلى الله بحكمته العلماء الذين ليسوا بقانعين
ولا في وصفهم صادقين باظهار ما كنتموهم من الحرص والشره والريبة وأسروا في أنفسهم من الشهوة فابتذلوا
نفسهم لآبناء الدنيا مباسطين لهم ملائحين موافقين لهم على ما رآهم مدفوعين على أبوابهم فلقدهم منهم الحق صمة
كشفهم اعوارهم أولئك هم الكاذبون على الله الصادون لاعباد عن صحبة أوليائه فهم حجب أهل التحقيق
وسحب شيوخ أهل التوفيق ضرر بوابطوهم ونشروا اعلامهم وليسوا ردهم فاذا وقعت الحيلة ولوا على
أعقابهم ناكسين (الا اذا أراد) ذلك العالم القانع (أن لا يأخذ) رزقه (من أيدي الناس و) لا (ياكل) الا
(من كسبه) فذلك له وجه لائق بالعالم العامل) الصادق في علمه وعمله (الذي سألوه بظواهر العلم والعمل) فقط
(ولم يكن له سير بالباطن) بالتهذيب والرياضة (فان الكسب) أي الاشتغال به (يمنع من السير بالفكر
الباطن) الا أن يكون قويا من لآلهية تجارة ولا يبيع عن ذكر الله (فاشتغاله بالسؤال) الباطن حينئذ (مع
الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل) وهذا هو المقصود الاعظم من
التوكل بل ومن سائر مقامات الدين (و) فيه أيضا (اعانة للمعطي على نيل الثواب) وماله تترب فائدتان
احدهما أفضل من واحدة ومن ذلك في الخبر أوحى الله الى موسى اني اجعل أرزاق أوليائي على أيدي العاصين
ليؤجروا فيهم فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع
في المعرفة واليقين فهو مال للمعطي الموصل وطريق للاخذ المتوكل كافي الخبر ما للمعطي من سعة باعظام أجرا
من الاخذ اذا كان محتاجا فسيحان مطرق الطرق وسبب الوصولات الى الآخرة بزلل القربان (ومن
نظر) بعين التأمل (الى مجاري سنة الله تعالى) التي خلت في عباده (علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب) فكلم
من ذكر محروم وكم من غني محدود (ولذلك سأل بعض الكاسرة) أي ملوك القروس (حكيم من حكماهم
عن الاحق المرزوق والعاقل المحروم) عن الرزق ما للسرفيسه (فقال) الحكيم (أراد الصانع) جل جلاله

يكون النظر الاليه
وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد
ويقعد في الامصار وهو
حامل وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع
في اليوم والليلة بالطعام
مرة واحدة كيف كان
وان لم يكن من اللذائذ
وثوب خشن يليق باهل
الدين فهذا يأتيه من
حيث يحتسب ولا يحتسب
على الدوام بل يأتيه
اضعافه فتركه التوكل
واهتمامه بالرزق غاية
الضعف والقصور فان
اشتاره بسبب ظاهر
يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في
حق الخامل مع الاكتساب
فالاهتمام بالرزق قبيح
بذوى الدين وهو بالعلماء
أقبح لان شرطهم القناعة
والعالم القانع يأتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة وان
كانوا معه الا اذا أراد أن
يأخذ من أيدي الناس
وياكل من كسبه فذلك
له وجه لائق بالعالم العامل
الذي سألوه بظواهر العلم
والعمل ولم يكن له سير
الباطن فان الكسب
يمنع من السير بالفكر
الباطن فاشتغاله بالسؤال

مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطي على نيل
الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الكاسرة حكيم من حكماهم عن الاحق المرزوق
والعاقل المحروم فقال أراد الصانع

(ان يدل) بذلك (على نفسه) انه الواحد الاحد الرازق (اذلوزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن لارازق غيره ولا تنق بالاسباب الظاهرة لهم) قال الشاعر
ولو كانت الارزاق تجري على الجأ * هلكن اذا من جهلن الهائم
نقله صاحب القوت الا انه قال علموا أن الصانع هو الرازق والحاصل أن من كان ذاهم بلوم من حرف أو معتاد من
الفي لم يصح توكله مع سكوته اليه وطما ينتميه لان ذلك علة في حاله وحيرة لتوكله وقد يصح التوكل مع ذلك بثلاث
معان أن لا يعرض منه عوضا يقوم مقام السبب الواصل اليه وان يقطع همه عنه وعن جميع الخلق وأن
يكون منقطعاً الى الله تعالى مشغولاً بتجديده لا بباطال الامر وحال نفسه والله الموفق

(اعلم) هــد الله تعالى (أن مثال الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السؤل) جمع سائل (وقفوا في ميدان) موضع واسع مشرف (على باب قصر الملك) ينظر منه اليهم (وهم يحتاجون الى الطعام) ماياً كونه فاشفق الملك عليهم (فأخرج اليهم غلاماً كثيراً) من عنده (ومعهم أرغفة كثيرة من الخبز) برسمهم (وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين و بعضهم رغيفاً رغيفاً ويجهدوا في أن لا يعطوا عن واحد منهم وأمرهم منادياً حتى نادى فيهم أن اسكنوا) ولا تقلقوا (ولا تعلقوا بالغلمان) اذ اخرجوا اليكم كل ينبغي أن يطعمه كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعاماً فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فزع باب الميدان وخرج منه (اتبعته بغلام يكون موكلا به الى أن أتقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي واسكن أخفيه) عنكم (ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد) الذي آناه من يد الغلام وهو ساكن غير مضطرب (فاني أخصه بخلة سنينة في الميعاد المذكور لعقوبته الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فإعقوبه عليه ولا خلة تلك الليلة جاعاً غير مشحط على الغلمان ولا قائل لبته أوصل الى رغيفاً (فاني غدا أستورزه) أى اتخذه وزيراً) وأقوض ملكي اليه فانقسم السؤل الى أربعة أقسام قسم غلبت عليهم بطونهم) فظهر منهم شرهم الى الطعام (فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة) اختياراً منهم للحظ العاجل (وقالوا من اليوم الى غد فرج) والحكم الظاهر في الحال (ونحن الآن جاعون وبادر والى الغلمان) وتعلقوا بهم (فأخذوهم واخذوا) منهم (الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا) عند معاناة العقوبة (ولم ينفعهم الندم وقسم) آخر منهم (تركوا التعلق بالغلمان) واذا هم (خوف العقوبة) في الميعاد (ولكن أخذوا رغيفين أغلبه الجوع فسلبوا من العقوبة) لعدم تعلقهم بهم (وما فازوا بالخلة) لاضطرابهم (وقسم) ثالث منهم (قالوا ان اجلس برأى من الغلمان حتى لا يحطوا بنا ولكن نأخذ اذا أعطونا رغيفاً واحداً ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلة ففازوا بالخلة وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا ان اتبهونا وأعطانا رغيفاً واحداً وان أعطونا) ولم يقع بصرهم علينا (فاسيناً شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على

الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جاعون فبادوا الى الغلمان فاذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعليق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيطين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلة وقسم قالوا ان اجلس برأى من الغلمان حتى لا يحطوا ولكن نأخذ اذا اعطونا رغيفا واحدا ونقتنع به فلعلنا نفوز بالخلة ففازوا بالخلة وقسم رابع اختفوا في زوايا المبدان وانحرفوا عن مرأى عين الغلمان وقالوا ان اتبعونا واعطونا فاعتبر رغيفا واحدا وانحطونا قاسينا شدة الجوع فلعلنا نقوى على

ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فنانفعهم ذلك اذا تبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد او جرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الدوران اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعاما فلسنا نطبق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة في الدنيا (٥٠٠) وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة

للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخنفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربع ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف والله المستعان) * (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين أدبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطرار والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا) قدر ما يسعه (ان كان محتاجا لكل ذلك) ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخنفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربع ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف والله المستعان) * (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين أدبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطرار والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا) قدر ما يسعه (ان كان محتاجا لكل ذلك) ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف * (الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار) فن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا

* الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من (٥٠١) المتوكلين أصلاً وقد قيل لا يدخر

من الحيوانات الثلاثة
القارة والجملة وابن دم
* الحالة الثالثة أن يدخر
لاربعين يوماً فما دونها
فهذا هل يوجب حرمانه
من المقام المحمود الموعود
في الآخرة للمتوكلين
اختلفوا فيه فذهب
سهل إلى أنه يخرج عن
حد التوكل وذهب
الخواص إلى أنه لا يخرج
باربعين يوماً ويخرج
بما يزيد على الاربعين
قال أبو طالب المكي
لا يخرج عن حد التوكل
بالزيادة على الاربعين
أيضاً وهذا الاختلاف
لا معنى له بعد تجوز
أصل الادخار نعم يجوز
أن يظن ظان أن أصل
الادخار يناقض التوكل
فاما التقدير بعد ذلك فلا
مدرك له وكل ثواب موعود
على رتبة فانه يتوزع على
تلك الرتبة وتلك الرتبة لها
بداية ونهاية ويسمى
أصحاب النهايات السابقين
وأصحاب البدايات أصحاب
اليمين ثم أصحاب اليمين
أيضاً على درجات وكذلك
السابقون وأعلى درجات
أصحاب اليمين تلاصق
أسافل درجات السابقين
فلا معنى للتقدير في مثل
هذا بل التحقيق أن التوكل
بترك الادخار لا يتم إلا
بقصر الامل وأما عدم

بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيد هاعلموا (الحالة الثانية) هي (المقابلة لهذه المخرجة له من حد التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلاً) وظاهره أن الادخار فوق السنة يبطل التوكل وقال السكال بمحمد بن اسحق والذي أراه أنه يبطل كماله لا أصله (وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الثلاثة القارة والجملة وابن آدم) نقله صاحب القوت (الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوماً فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) في الآخرة (للمتوكلين اختلفوا فيه وذهب أبو محمد سهل بن عبد الله التستري) رحمه الله تعالى (إلى أنه يخرج عن حد التوكل) ولفظ القوت ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد (وذهب ابراهيم بن أحمد الخواص) رحمه الله تعالى (إلى أنه لا يخرج بآربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الاربعين) حكاه هكذا في كتاب التوكل (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في القوت (لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين أيضاً) وهذا اللفظ في القوت وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله للعبادة اطاعة ولاة وخدمته والجهاد في سبيله وليستعقب ويستقبل ويصلح بالطاعة والعلم ما أفسد بالهوى والجهل فيفضل بذلك وهذا طريق طائفة من الراجين والمؤانسسين والمحبين وحسن الظن وإن كان أمله للعبادة لأجل متعة نفسه وأخذ حفظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فاسرى النقص إلى توكله ومات نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل فإذا جاز للمتوكل تأميله البقاء لشهر أو شهرين جاز له الادخار لذلك إلا أن طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوماً يخرج من حد التوكل عند الخواص ولا يخرج منه من حده عندى وأكره للمتوكل الادخار أكثر من أربعين يوماً كما يكره تأميل البقاء لا أكثر من أربعين يوماً ومن ادخل صلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه إلى الناس أن كان مقامه السكون مع المعلوم فلا ذخاره أفضل ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد والخواص ولا يخليه عندى من حال فيه ومن قوى يقينه وحسن ظنهم وصبره وصح زهده فترك الادخاره أفضل اه (وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من سياق عبارة القوت أن سهلاً رحمه الله تعالى يقول إن أصل الادخار يناقض التوكل فقد روى عنه انه قال علامة التوكل لا يسأل ولا رد ولا يحتكر ورأه الغشيري بسنده إلى أبي علي الرودباري قال قلت لعمر بن سنان احك لي عن سهل بن عبد الله حكايه فقال انه قال فذكره الا انه قال ولا يحبس بدل قوله لا يحتكر (و) أيضاً (كل ثواب موعود) في الآخرة (على رتبة) من رتب الايمان (فانه يتوزع) أى ينقسم (على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين) لانهم سبقوا في تلك الرتبة وبلغوا منتهى الدرجات واليهام الإشارة بقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات (وأصحاب البدايات) الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون (أصحاب اليمين) وهم المقتصدون (ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين) فنهاياتهم بدايات السابقين (فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق) الجامع لكلامهم (أن التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الامل) واليه الإشارة بقول صاحب القوت وترك الادخار انحما هو حال من مقامه قصر الامل (وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده) الامارواه صاحب الحلبة بسنده إلى ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لو هيب يا أبا أمية أتعب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلى أتوب فقال ووهيب فانت قال ورب هذه البنية تلاتا وددت أنى مت هذه الساعة (أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره) في القسلة والكثرة (وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات) فثم من إذا أصبح (لم ينتظر المساء) وإذا أمسى لم ينتظر الصباح (وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

أمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

بؤمل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة مقصدها بيان مقدار ما رخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد (٥٠٢) أربعين يوما لمرحبه وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال عليه السلام ان

الله خسر طينة آدم بيده
أربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطينة
التخمر كان موقوفا على
مدة مبلغها ما ذكر فاذا
ما وراء السنة لا يدخله
الاجحك ضعف القلب
والركون الى ظاهر
الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق
باحاطة التدبير من
الوكيل الحق بخفايا
الاسباب فان اسباب
الدخول في الارتفاعات
والزكوات تتكرر بتكرار
السنين غالبا ومن ادخر
لاقل من سنة فله درجة
بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن
درجته كدرجته من امل
شهر او لادر جتم من امل
ثلاثة أشهر بل هو بينهما
في الرتبة ولا يمنع من
الادخار الا قصر الامل
فالا فضل ان لا يدخر أصلا
وان ضعف قلبه فكما قل
ادخاره كان فضله أكثر
وقد روى في الفقير الذي
أمر صلى الله عليه وسلم
عليه كرم الله وجهه
وأسماء أن يغسله فغسله
وكفناه ببرذته فلما دفنه
قال لأصحابه انه يبعث
يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر ولولا

بؤمل سنة) وكذا من لم يؤمل أكثر من أسبوع أقرب من بؤمل شهرا (وتقييده باربعين) أي من أربعين يوما
وقيده بهذا العدد (لاجل ميعاد موسى عليه السلام) في قوله تعالى وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة
(بعيد) والاستدلال به على مسئلة الادخار غير صحيح (فان تلك الواقعة مقصدها بيان مقدار ما رخص الاقل فيه
ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا باربعين يوما) التي هي ثلث الثلث من السنة (لرسر) الهى
(جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور) وتتمها (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خسر طينة آدم
بيده أربعين صباحا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان باسناد
ضعيف جدا وهو باطل اه قلت ورواه من رواية أبي عثمان النهدي عنهما وله ظنه ان الله عز وجل خسر طينة
آدم أربعين يوما ليلة ثم أخذها بيده ثم قال هكذا قطعها بيده فخرج في يمينه كل نفس طيبة وخرج في يده الاخرى
كل نفس خبيثة ثم شبك بين أصابعه حتى خلطها فلذلك يخرج الحى من الميت والميت من الحى والمؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلفظ ان الله تعالى خسر طينة آدم أربعين
صباحا ليلا بها ثم ضرب بيده اليمنى وكذا يديه يمين فقطع قطعة ثم خلطها فخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن وليس في سياق حديثهما قوله بيده وقد روى الديلمي من حديث الحرب بن نوفل خلق الله ثلاثة أشياء
بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده وعند مسلم من حديث أبي هريرة خلق الله آدم
يوم الجمعة بيده الحديث وفي الذهب الابريز لسيدي أحمد بن مبارك وسمعت بهيعنى شيخنا السيد عبد العزيز بن الدباغ
قدس سره يقول ان الله تعالى لما أرا خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام وتركها في الماء عشرين
يوما وصورة في أربعين يوما وتركه عشرين يوما بعد التصوير حتى انتقل من الطينة الى الجسم فجمعهم فجمعهم ذلك
ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله الى الجنة ونفخ فيه من روحه اه (لان استحقاق تلك
الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر) قال سيدي عبد العزيز بن المذكور خلق الله بعض الاشياء
ورتب خلقها في أيام وأجره شيئا فشيئا لانه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملائكة الاعلى لان في تنقل ذلك الحادث
من طور الى طور ومن حالة الى حالة وظهور أمره شيئا فشيئا لا يكفى من جمعهم الملائكة الاعلى الى الارتفاعات
اليه فالتعجب في أمر الله من ذلك الحادث والتفكير في شأنه وكيف يتخلقه وماذا يكون منه والى أى شئ يصير فهم
يرتقبون الحالة التي يخرجون عليها فاذا حصل لهم من التوحيد ما لا يكفى ولا يحصى وفي زمن الارتقاب يحصل
لهم من العلم بالله والاطلاع على باهر قدرته وسر بانها في المقدرات شئ عظيم فلا يظنونهم شئ من أسرارها
في ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه التفهم التام فالتدريج لهذه الحكمة والحكمة أخرى وهي انه بهذا التدريج
وانتظار خروج الحادث والشوق اليه فوجد مخلوقات أخر مثل هذا الحادث أو أعظم فله تعالى في كل شئ أسرار
وحكم (فاذا ما وراء السنة لا يدخله الاجحك ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق) سبحانه (بخفايا الاسباب فان اسباب الدخول في
الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرار السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن درجته كدرجته من امل شهرا ولادر جتم من امل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة
ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالا فضل أن لا يدخر أصلا فان ضعف قلبه واضطربت نفسه (فكل ما قل
ادخاره كان فضله أكثر) ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصمغ زهده فترك الادخاره أفضل (وقد روى في
الفقير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا وأسماء) رضى الله عنهما (أن يغسله فغسله وكفناه ببرذته فلما
دفنه قال لأصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس
الضاحية قلنا وماهى يا رسول الله قال ان كان لقوام صوما كثيرا لذكر الله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى (٥٠٣) الوكيل الحق فان كان يستشرف في نفسه

اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بهم بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فإقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كإمكان صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعفاء وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد فهمهم ولمسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله له وعليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث) وتعامه ومن أعطى حظه منهما لم يبال بخالفاته من قيام الليل وصيام النهار قال العراقي لم أجده أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا اه قلت رواء صاحب القوت بسنده الى شهر بن حوشب عن أبي أمامة وقد تقدم في آخر كتاب الزهد والفقرمة فلا بد ان يكون سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء فلذلك تأخر عن درجة السابقين وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك الادخار مقتضى اليقين وحال أولى العزم من الصابرين (وليس الكوز) الذي يشرب منه (والسفرة) التي يأكل عليها (وما يحتاج اليه على الدوام) من الاوزم الضرورية (في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فاذا كان يستشرف في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التي هي المقصود من التوكل (فالادخار له أولى) لدفع الاضطراب من التفرغ (بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك) أي امسك الضبيعة (له) وفي حقه (أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله) وهذا طريفة جماعة من العارفين من المتوكلين قد اتسع قلبهم بهذه الحالة حتى قوى على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها وهو كال في الولاية (ورب شخص يشغله وجود المال) فهذا لا يتأتى له التوكل الا بالزهد فيه فهو شرط في حقه ومنهم من لا يشغله ويرتق عنه الى غيره وهو بذلك أمواجة فلا يشترط في حقه الزهد في الاموال والاسباب (ورب شخص يشغله عدمه) فيضطر بقلبه لذلك (والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها) وقد سبق بيان ذلك في كتاب ذم الدنيا (ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بهم بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فإقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كإمكان صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعفاء وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد فهمهم ولمسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله له وعليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

فدرا حاجته كان صواب القوى ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعفاء وتسكين القلوبهم (م وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه

وسلم لعيله قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخله شيئا أغد) وقد سبق ذلك أيضا هناك وأم أيمن اسمها بركة وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لها يا أمه وكانت تتولى خدمته رضى الله عنها (ونهى بلالا) رضى الله عنه (عن الادخار في كسرة خبز) كان (ادخرها ليفطر عليها) قال العراقي هذا لم أره قلت المعروف فيه عن ادخار تمر كان ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا) قال العراقي رواه البراء من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اه قلت لفظ البراء والطبراني من حديث ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخريه لك ولضياقتك فقال أما تخشى أن يفور رطلها بخار من جهنم أنفق يا بلال فذكره ورواه العسكري في الامثال من حديث عائشة ولفظه أنفق بلالا ورواه البراء عن مسروق عن بلال مثله ورواه الطبراني من هذا الوجه الا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى باللفظ ولا تخافين بدل ولا تخش وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بإسقاط ما هنا (وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب) قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو بقية حديث التقي الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقد تقدم اه (اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت ونهى بلالا عن الادخار لنفسه لتقدي به أهل المقامات وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب فهو امام المقر بين وذكري للمتوكلين (وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكن عليه السلام ترك ذلك تعلم الاقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم (تطيبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط) من رحمة الله (فيتكون الميسور من الخير عليهم المعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الارحة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفي القوت وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تاوريل الخبر ان الله يحب أن يؤخذ رخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال ما كان من أمر نخذ بالوسع وما كان من نهى فنخذ بالشد فيه قال وكان يضرب للمدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابله فيقال له خذ رغيضا فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قبل له خذ أربعة أرغفة قال فكذا ترك الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الاله اذ العارفين لانهم على عين اليقين قد أقسموا بشهادة عين التوحيد فيظنون بنورا لا قلبية والآخرة قلوبهم عند جودات عندهم اذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاءه ينفعون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو من يدلهم لان هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به وهو لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤمرون بالتصفيق والاخلاص اذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم بما قامون وأما تارك المكاسب وقاطع النسب ممن لا علم له من الاولياء فانهم تركوا الادخار لانه مقتضى حالهم وفيه استقامتهم مقامهم وصناعتهم

وسلم لعيله قوت سنة) رواه الشيخان وقد سبق في كتاب الزكاة (و) قد (نهى أم أيمن وغيرها أن تدخله شيئا أغد) وقد سبق ذلك أيضا هناك وأم أيمن اسمها بركة وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لها يا أمه وكانت تتولى خدمته رضى الله عنها (ونهى بلالا) رضى الله عنه (عن الادخار في كسرة خبز) كان (ادخرها ليفطر عليها) قال العراقي هذا لم أره قلت المعروف فيه عن ادخار تمر كان ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا) قال العراقي رواه البراء من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اه قلت لفظ البراء والطبراني من حديث ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخريه لك ولضياقتك فقال أما تخشى أن يفور رطلها بخار من جهنم أنفق يا بلال فذكره ورواه العسكري في الامثال من حديث عائشة ولفظه أنفق بلالا ورواه البراء عن مسروق عن بلال مثله ورواه الطبراني من هذا الوجه الا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى باللفظ ولا تخافين بدل ولا تخش وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بإسقاط ما هنا (وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب) قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو بقية حديث التقي الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقد تقدم اه (اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت ونهى بلالا عن الادخار لنفسه لتقدي به أهل المقامات وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب فهو امام المقر بين وذكري للمتوكلين (وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكن عليه السلام ترك ذلك تعلم الاقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم (تطيبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط) من رحمة الله (فيتكون الميسور من الخير عليهم المعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الارحة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفي القوت وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تاوريل الخبر ان الله يحب أن يؤخذ رخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال ما كان من أمر نخذ بالوسع وما كان من نهى فنخذ بالشد فيه قال وكان يضرب للمدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابله فيقال له خذ رغيضا فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قبل له خذ أربعة أرغفة قال فكذا ترك الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الاله اذ العارفين لانهم على عين اليقين قد أقسموا بشهادة عين التوحيد فيظنون بنورا لا قلبية والآخرة قلوبهم عند جودات عندهم اذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاءه ينفعون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو من يدلهم لان هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به وهو لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤمرون بالتصفيق والاخلاص اذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم بما قامون وأما تارك المكاسب وقاطع النسب ممن لا علم له من الاولياء فانهم تركوا الادخار لانه مقتضى حالهم وفيه استقامتهم مقامهم وصناعتهم

واذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فواجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم قشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقهم وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل (٥٠٥) حاليْن أحدهما انه أراد كيتين من النواكبا

قال تعالى تكوي بها

حاشاهم وحنوهم

وظهورهم وذلك اذا كان

والله اعلم بالصواب

۱۱۰ کمال

وَأَسْأَلُكَ مَعَ أَهْلِ كَدِّهِ

عامہ فہرست
المجلد الاول

والثاني ان لا يكون ذلك

عن تلبیس فیدون المعنی

به النقصان عن درجة

کمالہ کیا نقص من جمال

الوجه أتركبتين في

الوجه، وذلك لا يكون عن

تلمیذس فان کل ما خلفه

الرحا فيه نفعان:

دوختہ فی الاشیخہ

لا تفرأ عن الدنيا

• بولي احمد من الدين

سَيَاغُ نَعَصٍ بَعْدَ رَمَلٍ

الأحرار وأما بيان أن

الأدخار مع فراغ القلب عن

المدخل ليس من ضرورته

بطلان التوكل في شهادته

ماروی عن بشرقال

الحسين المغازلي من

أصحابه كنت عند: خلافة

من النهار فدخل عامه

روحاً کہا۔ اُسم، خُفیف

العواد من فقار البهشم

قال، وما رأيته فاملاحد

غیر مقلود و دفعہ الی کفا

وہی وہی ہے۔

أَلَا يَتَذَكَّرُ

اطيب ما بعد عليه من
الطاهر الطاهر الطاهر

الطعام الطيب وما في

والله اعلم بالصواب

دلت و در همه له و مال لی

رَادَانِ يَعْلَمَانِ التَّوَكُّلَ

فلو بهم خلوصهم ولافراد سيرهم (فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة) صدى بن عجلان (الباهلي) رضى الله عنه (ان بعض أصحاب الصفة توفي فساو جده كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه) فتشوه (فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان) قال العراقي رواه احمد من رواية شهر بن حوشب عنه (وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أمواولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين أحدهما انه أراد كيتين من النار كما قال تعالى فتكوى بهم اجباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله حال اظهار الزهد والفقرو) وصف (التوكل) وترك الادخار (مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس) ولذلك شدد عليه وغلاظ بكيتي نار وعلى هذا الوجه اقتصر صاحب القوت (والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كينقص من جبال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يوثق أحد شيئا من الدنيا الا ينقص بقدرة من الآخرة) وهذا الوجه هو الذي يقيم الحكاية كما لا يخفى (وأما بيان ان الادخار مع فراغ القاب عن المدخول من ضرورة بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن) أبي نصر (بشر) بن الحرث الحافى قدس سره (قال الحسين المغازلي من أصحابه) نسب الى عمل المغازل قال (كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عايم رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال) الحسين (وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفاهم دراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب) قال (وما قال لي قط مثل ذلك قال جئت بالطعام فوضعت بين يديه) فاكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذ الرجل وجعه في ثوبه) وجعله تحت يده (وحمله معه وانصرف) قال (فمحببت من) فعله (ذلك وكرهته) اذ لم يأمره بذلك ولا هو استأذنه فيه (فقال لي بشر) بعد وقت (لعلك أنكرت فعله) ذلك (قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال) تعرفه قلت لا قال (ذلك أخونا فتح) بن شخرف (الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما أراد أن يعلم ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار) هكذا نقله صاحب القوت وعماد لك على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين مانقله صاحب القوت قال وحدثني بعض الصوفيين ان بعض الاشياخ لم يكن يبيت شيئا لئلا وكان مهمما ففتح له شيء من النهار أخرجه قبل الليل ففعلت أخرجه قبل الصبح ثم قلت هي ليلة فاذا أصبحت أخرجه قال فجعلته في وسطى ونمت فرأيت في المنام كأن في وسطى ثلاثة زناير قال فاعتممت وجعلت أحلها وأعجب من ذلك فقال لي قائل هذه الثلاثة دراهم التي ادخرتها قال فانهت فزعا فممت فدفعته في الوقت الى بعض الفقراء قال وحدثني بعض الاشياخ عن بعض الصوفيين انه كذلك كان يخرج كل ما فتح له الى اخوانه الفقراء ولا يدخل لنفسه شيئا قال ففتح لي مرة دينار وكان على دينار ديننا فجعلت أومل بين أن أحبس به اقضاء ديني وبين أن أخرجه الى ما عودت من خديقتي قال فقوى على شاهد العلم فقلت امسا كد الدين أولى لانه قد استحق على قال فلم أنفقه على اخواني وكان ينتاب ويستضاف قال فضرب على ضرب من أضراسي تلك اللبلة فلم أتم فأشير على بقلعه فقلعته ثم قال خطر بقلبي خراج الدينار ثم قلت الدين أو جب فحبسته قال فضرب على في الليلة الثانية ضربس آخر أسهرني قال فنزعته ثم قال ذكرت شأن الدينار فقلت لعل عوقبت بحبسه قال فاخرجه قبل الليل قال فنهتني هاتفلوم فخرجه لقلعنا سنالك ضربس اسحق لا يبق في فيك ضربس واحد فذه مطالبات الخصوص لعل مقاماتهم مخصوصون به

(٦٤ - (اتحاد السادة المتقين) - ناسع)

كل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شيء كثير فأخذته الرجل وجعته في ثوبه وجهه معه وانصرف فبعثت

اسمع لم يضر معه الاذخار

(الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأساً (٥٠٦) أما في النفس فكان النوم في الارض المسبعة أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل

مشدد عليهم فيعدون غيرهم قال وكذلك بلغني ان بنانا الحلال لم يكن يدخر شيئاً للغد ولا يبيت من النهار فحدثني بعض الاشياخ عن رآه وقد دفع اليه بمكة كيسا فيه خمسة مائة درهم قال فصره صررا وجعلها في ركوته ثم طاف بها على دور حول المسجد الحرام فجعل يلقيها الى الفقراء صرة صرة وهو يمشى حتى أنفـذها فقلت لانظرن من أين فطره هذه الليلة اذ لم يترك لنفسه شيئاً فلما كان بين العشاءين طاف في الوادى طوفة ومد يده وقال ثم شئـتـه فجعل في كفه وسعة فعدل الى باب الصفا فعددا كاه وشرب من ماء زمزم ودخل الطواف قال فسألتـه عن ذلك من الغد فقال ما حدثت نفسي أن أعيش الى الليل ولو قوى في قلبي ذلك لحبست منه القوت فهذا طريق هؤلاء ساكوه بزاذه بتقوى مثلهم اذ جعلت قلوبهم أوعية لمراده وحدثت عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلامهم طريقا وأسرعهم سبيقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيها فذهبت لاختطو اليهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملأئكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم ثم تمنعوني مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الاقيص واحد ومن كل شئ واحد وأنت لك قيصان ومن أشياء قال فانتبهت با كحارينا فجعلت على نفسي أن لا أم لك من كل شئ الا واحدا والله أعلم

(الفن الثالث في بيان مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة) للضرر (رأساً ما في النفس فكان النوم في أرض مسبعة) أى ذات سباع (أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل الى السقوط أو) تحت (السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة) ولا يصح توكله في شئ من ذلك ولومات مات عاصيا (نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم فيها من شرط التوكل) ومن أعمال المتوكلين (وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية) والطيرة فانها أسباب مسبباتها عنها موهومة لا مقطوع بها ولا مظنونة (فان السكى والرقية قد يقدمهم على المحذور دفعا لما يتوقع) أى يتوهم من الشفاء (وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة) والدفع (ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين) فى قصة عكاشة (الابتك السكى والرقية والطيرة) فقال هم الذين لا يكتون ولا يرقون ولا يتطيرون (ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع لم يلبسوا جبة والجنبه تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب) فالسكى والرقى والطيرة من الدرجات المتوسطة بين المرتجتين والمتوسط بين طرفين مشكل فى كل حال وظاهر سياق المصنف دال على بطلان التوكل بذلك تبعا لصاحب القوت وقال السكالك محمد بن اسحق الصوفى الصحيح عندي انه يبطل كماله لأصله لان الحديث ورد فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (نعم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة) من الضرر (وان كانت مقطوعة بها) (وجه فاذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى) والاتصاف منه (فشرط التوكل الاحتمال والصبر) على الاذى من الفعل وتر جج جانبه على جانب الدفع (وهذا هو توكل الخصوص قال الله تعالى) لنبه صلى الله عليه وسلم (فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون) أى توكل عليه واستعمل الصبر (وقال تعالى) حكايه عن الرسول عليه السلام (ولنصبرن على ما آذيتمونا على الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل) حين أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالناسى بهم فى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال (ودع أذاهم وتوكل على

والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية فان السكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك السكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجنبه تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب انعم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب

الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا على الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع أذاهم وتوكل على

الله وقال سبحانه وتعالى
 فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل وقال تعالى
 نعم أجر العاملين الذين
 صبروا وعلى ربهم
 يتوكلون وهذا في أذى
 الناس وأما الصبر على
 أذى الحيات والسباع
 والعقارب فترك دفعها
 ليس من التوكل في شيء
 إذ لا فائدة فيه ولا يراد
 السعي ولا يترك السعي
 لعينه بل لأعانه على
 الدين وترتب الأسباب
 ههنا كترتها في الكسب
 وجلب المنافع فلا تطول
 بالأعادة وكذلك في الأسباب
 الدافعة عن المال فلا
 ينقص التوكل باغراق
 باب البيت عند الخروج
 ولا بأن يعقل البعير لأن
 هذه أسباب عرفت بسنة
 الله تعالى ما قطعها وأما
 ظنا ولذلك قال صلى الله
 عليه وسلم للأعرابي لما
 أن أهمل البعير وقال
 توكلت على الله أعقلها
 وتوكل وقال تعالى خذوا
 حذركم وقال في كيفية
 صلاة الخوف وليأخذوا
 أسلحتهم وقال سبحانه
 وأعدوا لهم ما استطعتم
 من قوة ومن رباط الخيل
 وقال تعالى أوسى عليه
 السلام فاسر بعبادي
 ليلا والمحصن بالليل
 اختفاء عن أعين
 الأعداء ونوع تسبب

الله لقوله عز وجل ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والانذير (وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام في التوكل حتى يستوى عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الأذى يستخرج بذلك منه رفع السكون إلى الخلق والنفاذ إلى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطالب للمعاوضة حياة من الله تعالى واجلاله وخوفه منه وحباله (و قد وصفهم الله تعالى بذلك طاهرا وباطنا فالظاهر (قال) الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فلما علموا صبروا وعلى عملهم ثم توكلوا عليه في صبرهم فاجزل ذخرهم عنده منة وأنعم أجرهم والباطن فيما أنبر عنهم انما استطعتم لوجه الله لا تريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطالب (وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لأعانه على الدين وترتيب الأسباب هنا كترتها في الكسب وجلب المنافع فلا تطول بالأعادة) هذا كله في الأسباب الدافعة عن النفس (وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغراق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير) بالعقل (لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ما قطعها وأما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أهمل البعير) أي تركه سائبا (وقال توكلت على الله أعقلها وتوكل) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكرو رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد صحيح بلفظ قيدها اه قات ورواه الترمذي في الزهد وفي العلل وابن أبي الدنيا في التوكل والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية والقشيري وابن عساكر والضياء كلهم من طريق المغيرة بن أبي قرة السدوسي سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله أعقلها وتوكل وأطلقها وتوكل قال أعقلها وتوكل كل يعني الناقة وقال الترمذي قال عمرو بن علي يعني الفلاس شيخه قال يحيى بن سعيد القطان أنه منكر ثم قال الترمذي وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه وإنما أنكره القطان من حديث أنس وقدر وي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أرسل ناقتي وأتوكل قال أعقلها وتوكل ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وجعل في روايتهما القائل عمر لنفسه وكذا هو عند أبي القاسم بن بشر في أماليه وأخرجه البيهقي كذلك من حديث جعفر لكن مر سلا قال وقال عمرو بن أمية يا رسول الله وذكره وهو عند الطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ قيدها وتوكل وعند الخطيب في رواية مالك وابن عساكر من حديث ابن عمر قال قلت يا رسول الله فذكره مثله وفيه محمد بن عبد الرحمن بن ريسان متر ولشوفي رواية للبيهقي من حديث عمرو بن أمية قيد وتوكل وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا غيلان بن عبد الصمد حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدري حدثنا خالد بن يحيى حدثني عبي الغيرة بن أبي قرة عن أنس بن مالك قال جاء رجل على ناقته فقال يا رسول الله أدعها وتوكل فقال أعقلها وتوكل (وقال تعالى) يا أيها الذين آمنوا (خذوا حذركم) أي اسلحتكم (وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال) في جهاد الكفار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ترهبون به عدو الله وقال تعالى فاسر بأهلك بقطع من الليل (وقال تعالى أوسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والمحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار) أي غار ثور عند ارادة الهجرة (اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر) العارض منهم ومثل هذا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينحصر ولو فرضنا وليا من أولياء الله اتسع قلبه بهذه الحالة حتى قوى قلبه على الدخول في الأسباب مع ملاحظتها كان ذلك كمالا في ولايته لأنها ترتب الأنبياء عليهم السلام ومن لم ير الأسباب رأسا فقد جهل ما بين السماء والأرض الا اذا كان ذاهلا عنها لا يستغراقه بمسبب الأسباب فهذه عند العلماء بالله حالة المقربين من الصديقين (وأخذ

واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر وأخذ

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك (٥٠٨) شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا سابقاً (ان المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة) من الاولياء (ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك) باطنه ولم يدخله الرعب أصلاً (فاقول وقد حكي عن جماعة منهم انهم ركبوا الاسد وسخروه) كما وقع ذلك لابراهيم بن أدهم وغيره كما في الحلية ووقع مثل ذلك لابراهيم الخواص إذ كان يقصد الفباض المسبعة وجبل الحيات والادوية الغامضة الموحشة يبيت فيها وعالج شأن جماعة من الجن في البراري والغار والكهوف والغيران وكلوه في قصص كثيرة كما في القوت (فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات) ومن فضائل بعض مقامات المتوكلين ومقتضى أحوال بعض الموقنين (وايس ذلك) كله (شرطاً في التوكل) ولا من فرضه وانما فرض التوكل عقد العقد والاستسلام بحسن التقوى ليس للرب ونفي عوارض الآفات الداخلة على المتوكل من السكون الى الاسباب والركون الى الخلق في المعتاد (وفيه) أي في هذا المقام (اسرار) غريبة (لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت هل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل) الى تلك المقامات (لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه) لاجل الاختبار حتى لا يقع في غرور (أن يسخر لك كلب هو معك في اهالك) أي جللك (بسمي الغضب) شبهه في كون كل منهم معقورا (فلا يزال بعضك وبعض غيرك) ولذلك قال بعض الرهبان لما قيل له يا راهب لست براهب انما أنا ساجر كلب أخاف أن بعض الناس أراد به نفسه (فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى) أي أغرى (لم يستش الا باشارتك) أي لم يثق الا بها (وكان مسخر لك) متقاداً في طوعك فاذا انتم لك ذلك (فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع) في البر (وكلب دارك أولى من أن يكون مسخر لك من كلب البوادي وكلب اهالك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن) الذي هو النفس الامارة بالغضب (فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر) فهذا أحد العلامات فاختر بها نفسك (فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق باباً حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً) وما فعله ظاهره يناقض التوكل (فاقول يكون متوكلاً بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع) عن بيته لم يندفع (بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه) ولولا دفع الله لم يندفع والا (فكم من باب يغلق ولا ينفع) بل يكسر الغلق ويؤخذ ما فيه أو يتسور عليه (وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت) من عقاله (وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب) من حيث لا يدري (فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب) ومسخرها ومسملها وهذا انما يصل اليه بقوة عمله في توحيد الباري جل جلاله (كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته) ومساعدته (وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت) من المتاع (من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني) من المتاع (هبة)

أعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في اهالك يسمى الغضب فلا يزال بعضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى لم يستش الا باشارتك وكان مسخر لك فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بان يكون مسخر لك من كلب البوادي وكلب اهالك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق باباً حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً فاقول يكون متوكلاً

بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني هبة

فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به وما أغماقت الباب تحسب من قضا تلك وتسخطاله بل جري على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب فلا تنقذ الابل كما سبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فبينما أن يكون ذلك عنده انعمت جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا (٥٠٩) أو فرحا بذلك عالماته ما أخذته

تعالى ذلك منه الا
ليز يد رزقه في الآخرة
فقد صرح مقامه في التوكل
وظهر له صدقه وان تالم
قلبه به ووجد قوة الصبر
فقد بان له انه ما كان
صادقا في دعوى التوكل
لان التوكل مقام بعد
الزهد ولا يصح الزهد
الا من لا يتأسف على
ما فات من الدنيا ولا
يفرح بما يأتي بل يكون
على العكس منه فكيف
يصح له التوكل نعم قد
يصح له مقام الصبر ان
أخفاه ولم يظهر شكواه
ولم يكثر سعيه في الطلب
والتجسس وان لم يقدر
على ذلك حتى تاذى
بقله وأظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب
بيده فقد كانت السرقة
مزيد له في ذنبه من
حيث انه ظهر له قصوره
عن جميع المقامات
وكذبه في جميع الدعاوى
فبعد هذا ينبغي أن
يجتهد حتى لا يصدق
نفسه في دعاؤه ولا
يتدلى بجمل غرورها
فانها خداعة أمارة

محضة منك (فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به) على كل حال (وما أغماقت الباب تحسب من قضا تلك وتسخطاله بل جري على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب) على مسيبتاتها (فلا تنقذ الابل كما سبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم) ذلك المتوكل (اذا عاد فوجد متاعه في البيت) لم يؤخذ (فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقا فانظر الى قلبه فان وجده راضيا أو فرحا بذلك عالماته ما أخذ الله ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة) وانه ما من رزق ينقص له من الدنيا الا وهو زيادة له في رزق الآخرة كما سبق (فقد صرح مقامه في التوكل وظهر له صدقه) فيه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه أعطى ثواب السالكين الراضين كما جاء في الخبر يارب من أولياؤك من خلقك قال الذي اذا أخذت منه المحبوب فسامني (وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد) وان لم يكن شرط فيه (ولا يصح الزهد الا من لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه) كما تقدم في كتاب الزهد (فكيف يصح له التوكل) وهو لم يكن في مقام الزهد ومقامات اليقين التسعة كلها على ترتيب ومثل هذا جناية من المؤمنين يستغفرون الله منه ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصي (نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس) فهو يعطى ثواب الصابرين المجاهدين (وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السرقة مزيد له في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات) الصبر والشكر والتقوى والزهد والتوكل والتوكل والرضا (و) ظهر أيضا (كذبه في جميع الدعاوى) فليكن على نفسه وليستأنف التوبة والدخول في الطريق (فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤه ولا يتدلى بجمل غرورها فانها خداعة) غرارة (أمانة بالسوء مدعية للخير) فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين (فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ) والمتوكل لا يأوى على مال ولا متاع (فاقول للمتوكل لا يخاف بيته من متاع كقصعة بالكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت) كصبرة يرقد عليها ويصلي فوقها وسادة يضعها تحت رأسه (وقد يدخل في يده مال) من ارث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (وهو بمسكه) عنه بعد أن يغفل من قوته (لجيد محتاجا في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله) بل هو مدخر لحقوق الله التي أوجها عليه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدا علوا (وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي) يحفظ (فيستزاده وانما ذلك في الماء كولد في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد) من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون (وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى مع شدة مذهبه في الادخار (ياخذ

بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول للمتوكل لا يخاف بيته من متاع كقصعة بالكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو بمسكه لا يحتاج في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماء كولد في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ

في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قال فكيف يصح وراثة لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتاسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسك واغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لم حاجته اليه فكيف لا يتاذى قلبه ولا يحزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ولو لان الخير له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بانه تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل أن تكون خبرته في أن يبتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر (٥١٠) فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن

في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة) ويقول هي من لوازم الدين (دون الزاد لكن سنة الله جارية في الفرق بين الامر من فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لاحتجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيملأ رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع فانه ان ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به الا بالاحتمال أن تكون خيبرته في أن يتبلى بفقده ذلك حتى ينصب) أو يتعب (في تخصصه بل غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله عز وجل علم ان الخيرة في كانت في وجودها الى الآن) فكانت في حيازتي (والخيرة الى الآن في عدمها لما أخذها مني فيمثل هذا الظن يتصور ان يدفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية منه وتلطفاً وشفقة عليه ورحمة (وهو كالمرضى بين يدي الطبيب الشفيق) المحب لبقائه (يرضى بما يفعله) معه (فان قدم اليه لغذاء فرح وقال لولاه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قرب به الى وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أضاف فرح وقال لولا ان الغذاء يضرنى ويسوقني الى الموت لمأحل بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى) وعنايته به (مابعد المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التردد أصلاً ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بأمره (قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنياً أو فقيراً فاني لا أدري أيهما خير لي) وقد سبق (فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه ولا يسرق فانه لا يدري أيهما خيره في الدنيا أوفى الآخرة فكم من مناع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان) ولولاه لما هلك (وكم من غنى يتبلى بواقعة لا جل غناه يقول باليتنى كنت فقيراً) فالخيرة لله سبحانه في سائر الاحوال

*** (بیان آداب المتوکلین اذا سرق متاعهم) ***

اعلم انه (للمتوكل آداب) سواء كان منفردا أو مع علائقك الآداب ينبغي مراعاتها وهي (في متاع بينه إذا خرج عنه) حاجته (الاول أن يغلق الباب) فهذا جازئله (ولا يجوز أن يستقصي في أسباب الحفظ كالناسه من الجيران الحفظ مع الغلق وتجميعه أغلاقا كثيرة) فالاستقصاء في هذا بخودك ما ينقص التوكل لانه يدل على عدم الثقة بالله وقبل يبطل كماله لأصله (فقد كان) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لا يغلق بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا) كذا في القوت وأخرج أبو نعيم في

يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عبادته لم يكن فرحه بالأسباب فإنه لا يدري الحلية
 أي الأسباب خيرة كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أهي ما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه
 أو لا يسرق فإنه لا يدري أهي ما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكم من غنى يتلى بواقعة لا حول
 غناه يقول باليتنى كنت فقيرا * (بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم) * للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه (الأول) أن يغلق الباب
 ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالنساء من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلظا فكثيره فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابا ولا يكن يشده
 بشرطه يقول لولا الكلاب ما شدته أيضا

(الثاني) أن لا يترك في البيت متاعا يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم أو ماساكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس إلى العدو (٥١١) أن اللص أخذها فأكاله احترز أن يعصى

السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فمأليه من أخذها (الثالث) أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينزوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقيرا أحدهما أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فأنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما أن جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمسلم آخر أو هو مما ينزوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينزوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قبل يارسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن المعاصي فإن ذلك نصره وراه أجد وعبد بن حيدو البخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كجهوم فهو الحديث (وعفوه عنه أعدام للظلم ومنع له) فإذا عفا عنه فقد منع عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفو عنه مقام ربه وهما لا يدخل في إشفات الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليتحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الإزلي) الذي سبق في الكتاب الأول (ولكن ليتحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم يعد للثمن وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبع مائة درهم) كآته قد أنفقه في سبيل الله يحسبه ذلك (لأنه) قد كان (نواه وقصده) وإن لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها (أو كلاً على ممكنها) (إنه)

الحلية من طريق يوسف بن عطية الصفار عن مالك بن دينار قال من دخل بيتي فأخذ شيئاً فهو له حلال أما أنا فلا احتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح (الثاني) أن لا يترك في البيت متاعاً يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم واما ماساكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة (فأخذها منه ثم بعد أيام (قال) له) (خذها لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس إلى العدو أن اللص أخذها) قد تقدم عند أبي نعيم في الحلية أخرجه من طريق الحرث بن نهران الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركوة قال فكانت عنده قال فبغت يوماً فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن نهران تعال فخذ ركوتك فقد شغلت على قلبي الخ والمصنف تبسع صاحب القوت فانه هكذا ذكره عن المغيرة وعلماهما قصتان (فكانه احترز من أن يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان) الدار في رحمة الله تعالى لتليذه أجد بن أبي الحواري حين سألته عن هذه القصة (هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فمأليه من أخذها) قال صاحب القوت وهذا كما قال أبو سليمان لأن الزهد إذا حق دخل الرضا والتوكل فيه ولقول مالك أيضاً وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون سبباً لمعصية الله ولكن قول أبي سليمان أعلى لأجل مقام التوكل والرضا (الثالث) أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينزوي عند خروجه) منه (الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه) فإن الرضا حال التوكل (ويقول) اللهم إن جميع (ما) في منزلي إن سلطات عليه من (ياخذ السارق فهو منه في حل أو هو) صدقة (في سبيل الله تعالى فإن كان) لا أخذ (فقير فهو عليه صدقة) منى وفي القوت إن كان لا أخذ فقيراً حله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه وإن كان غير ذلك صرفها إلى فقير وهو مأجور على الصدقة وعلى السارق والبغى إذا حلهما على ذلك الحاجة (وإن لم يشترط الفقر فهو أولى) ولفظ القوت قد كان بعض السلف إذا أخذه الشيء يشترط فيقول إن كان فقيراً فهو صدقة عليه وإن كان محتاجاً فهو منه في حل انتهى ووجه أولوية عدم الاشتراط لأن الله تعالى حكماً حقيقة في الغيب والظافاً ومصالح وحسن توفيق لاهل ولايته بحيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون كما يستخرج لهم رزقهم من الحرام والحلال وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والمحال وكما يعلمهم الفهوم ويظهر لهم العلوم من الجلال بحسن عنايته بهم وفضل أثر قولهم (فتكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقيراً أحدهما أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فأنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما أن جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمسلم آخر أو هو مما ينزوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينزوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامثل قوله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قبل يارسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن المعاصي فإن ذلك نصره وراه أجد وعبد بن حيدو البخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كجهوم فهو الحديث (وعفوه عنه أعدام للظلم ومنع له) فإذا عفا عنه فقد منع عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفو عنه مقام ربه وهما لا يدخل في إشفات الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليتحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الإزلي) الذي سبق في الكتاب الأول (ولكن ليتحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم يعد للثمن وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبع مائة درهم) كآته قد أنفقه في سبيل الله يحسبه ذلك (لأنه) قد كان (نواه وقصده) وإن لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها (أو كلاً على ممكنها) (إنه)

أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه أعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الإزلي ولكن يتحقق بالزهد نية فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كإروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها (أو كلاً على ممكنها) (إنه)

أجر غلام ولد له في ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان لم يولد له) فقال أنت تخلقه أنت ترزقه اليك مجياه
وعماته أقرها قرارها وذاك هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلاً (لانه ليس اليه في أمر
الولد الا الوقاع فاما الخلق والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لك ان توابه على فعله وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة الرابع انه اذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن) عليه (بل يفرح ان أمكنه ويقول
لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى) لعله بان الوكيل اعلم بالصحة وفي القوت ولا ينبغي للمتوكل الموقن
أن يحزنه ما حوله من قبضته وهي خزائنه الى خزائنه الاخرى التي هي يد غيره فما لعله بهبه له فيكون رزقه
أو ينشأ به باحكامه فيه فيخرج أيضاً من يده لانه خرج من الدار شي والله حكمة وابتلاء في كل شيء فالخزن
والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جنابة من المؤمنين يتوبون الى الله تعالى منها لانه تعالى قد أمرهم
بترك الاسي على ما فات من الدنيا وقلة الفرح بما آتاه منها الا لا بد في كونها لانه قد علمه وبعد علمه قد كتبه ثم
اعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين لان جميع ذلك قد سبق في كتاب وجرى به القلم في اللوح أفلا
يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاة فبأسي على ما ليس له ويحزن على
ما استودعه لما منه استرجعه أو يفرح بما لم يكن في علم الله سبق له لانه لم يكن يعلم هل كان وهبه فيبقى عليه
أو أعـبـره وأودعه فيرتجعه منه فلما أخذ من يده ورد الى معطيه ومودعه وكانت يده مع ذلك خزنة الوكيل
وقبضته أيقن انه لم يكن له وانما كان ودبعة عنده فاذا حزن وساء فقد شك لما يقن وجهل اذ علم ورغب
وكان ينبغي أن يكون زهد فأي شرك في الملك أظهر من هذا فهو ثمة الملك للاختيار بالتقليد ولو سمع ما علم
من قوله ولم يكن له شريك في الملك ثم ردوا الى مولاهم الحق لقال تحقيرة لاتصدق ان الله وانا اليه راجعون
فايقن ان ما في يده لمولاه اذا العبد وماله لسيده ثم أيقن انه اليه راجع وان ما خرج من يده فانه في قبضة الله لم
يخرج من خزائنه ولا نقل من ملكه ولا حول من داره لانه في الدار بعد لم يخرج وانما نقله من تمالك أدنى اليوم
الى ملك أعلى غد وذلك حسن اختيار من المختار وبلوى اختبار من الجبار فلهذه شهادة الموقنين بعين اليقين وهو
مقام الشاهدين ثم قال وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لسكل من ذهب له مال في سفر أو حضر
ولسكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقد هابط قلبه وكانت في خلده ووجده وان لم
ينطق بها أو يظهرها وهو وجد الراضين وحال المتوكلين وان لم يتسكاهوا به أو يعلم منهم فاكثرت الناس ايماناً
وأحسنهم يقيناً فلهم غما أو يسرهم أسمى على ما فات من الدنيا أو نفعهم شهادة من رأى ذلك نعمة أو جبت عليه
شكر فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها فان وجد المتوكل لرحله
بحاله أو رد عليه بعد أخذ له يضره ببقية شيئاً وكان له أجور بما ذكرناه من الاعمال الصالحة بالنيات التي
وصفناها ولا اعلم هذا القول واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينقصه شيئاً
ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء حكم الله تعالى ببقائه ولا يدخر تلك العقد لهذا بقية ما حكم الله بذهابه ومع ذلك
فيكون له حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات (ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبلغ
في طلبه وفي اساعة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة
فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو في ملكه في نفس
(العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين) ولفظ القوت بعد قوله ومع ذلك فيكون له
حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات الاشياء واحداً من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع فانه
ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل الله فيه فرد الامر به اليه ثم رد عليه لم يستحب له في الورع أن يتركه ولا أن
يرجع فيه في حسن الادب لانه قد كان جعله في سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه قد صح تفويضه
الى الوكيلين في الحالين جميعاً فيكون رد ما ياء عليه لانه كان قد وهبه له وانما روعه بفقده وبمنزلة ابتداء اعطائه منه
(وقدر وى ان ابن عمر) رضي الله عنه (سرق له ناقة فطلبها حتى أعيانها قال) هي (في سبيل الله فدخل المسجد

أجر غلام ولد له من ذلك
الجماع وعاش فقتل في
سبيل الله تعالى وان لم
يولد له لانه ليس أمر الولد
الا الوقاع فاما الخلق
والحياة والرزق والبقاء
فليس اليه فلو خلق
لك ان توابه على فعله
وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة (الرابع)
انه اذا وجد المال
مسروقاً فينبغي أن لا
يحزن بل يفرح ان أمكنه
ويقول لولا ان الخيرة
كانت فيه لما سلبه الله
تعالى ثم ان لم يكن قد
جعله في سبيل الله عز
وجل فلا يبلغ في طلبه
وفي اساعة الظن بالمسلمين
وان كان قد جعله في
سبيل الله فيترك طلبه
فانه قد قدمه ذخيرة
لنفسه الى الآخرة فان
أعيد عليه فالاولى أن
لا يقبله بعد أن كان قد
جعله في سبيل الله عز
وجل وان قبله فهو في
ملكه في ظاهر العلم لان
الملك لا يزول بمجرد تلك
النية ولكنه غير محبوب
عند المتوكلين وقد روى
ان ابن عمر سرق ناقة
فطلبها حتى أعيانها قال في
سبيل الله تعالى فدخل
المسجد

قال نعم انى لأزال خرينا
انى يوم القيامة قلت ولم
قال انى لما رأيت منازلى
فى الجنة رفعت لى مقامات
فى علمين ما رأيت مثلها
فبما رأيت ففرحت بها
فلما هممت بدخولها
نادى مناد من فوقها
اصرفوه عنها فليست هذه
له انما هي لمن أمضى
السبيل فقلت وما مضى
السبيل فقبل لى كنت
تقول لاشئ انى فى سبيل
الله ثم ترجع فيه فلو
كنت أمضيت السبيل
لامضيتا لك وحكى عن
بعض العباد بمكة أنه كان
نائما الى جنب رجل معه
هميانه فانبته الرجل
ففقد هميانه فاتهم به
فقال له كم كان فى
هميانك فذكر له فعله
الى البيت ووزنه من
عنده ثم بعد ذلك اعلمه
اصحابه انهم كانوا أخذوا
الهميان من جامعهم فداء
هو واصحابه معه ووردوا
الذهب فاي وقال تخذه
حلالا طيبا فانا كنت
لاعود فى مال آخر جته
سبيل الله عز وجل فلم
يقبل فالحوا عليه فديعا

(٦٥ -) (انخاف الساده المتقين) - (تاسع)
 ابغاله وجعل بصره صررا ويبحث بها الى
 هكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبه في العاطيه فقير افغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيه
 فعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات * (الخامس) * وهو أقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي ظلمه بأحد
 دل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فيما أصيب به

فكذلك كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغباً في عطية فقير أو غاب عنه كان بكرة رده إلى البيت بعد إخراجها فيه طمعه فقيراً آخر وكذلك يفعل في البراهم والدنانير وسائر الصدقات ***(الخامس)*** وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاختلاف فعل بطل توكله وذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضاً فيما أصيب به

ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله قبل وما منعك أن تزوجه قال كنت فيها هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تنعولوا (٥١٤) وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه وقبل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعوا على

ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لورد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لاني كنت قد أحلته له وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً وأكثر بعض شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى يتصف للحجاج من انتهك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم الظالم بسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم * (السادس) * أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

بالعفو عن الظالم وتفضيل العايفين عن الناس فاولم يكن هذا أفضل ما مدحوا به ولا فضلاً بفعله وهذا مذهب الأكثر وهو أحب الي وكذلك كان رأي السلف الاول قلت واليه مال المصنف (في الخبر) قال صلى الله عليه وسلم (من دعا على ظالمه فقد انتصر) رواه ابن أبي شيبة والترمذي وضعفه وابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة بلفظ على من ظلمه (وحكى ان الربيع بن خيثم) الثوري السكوني العابد تابعي ثقة (سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً) درهمهما (وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم) من الناس يخزنون له و (بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله) من مربوطه (قبل وما منعك أن تزوجه قال كنت فيها هو أحب الي من ذلك) يعني الصلاة قال (فجعلوا يدعون عليه) الله يفعل به كذا وكذا (فقال لا تفعلوا وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه) فلولاه اعتقه وتحليله والعفو عنه لكان من المعاونين على الأثم والعدوان وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً ثم قال تدمه من الظلم فذلك نصر لك اياه فهذا الولا عفو عن ظلامته كان قد خذله وما نصره ولم يحطه أحد من السلف في هذا الفعل بل فعل ذلك على التفضيل له (وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له ألا تدعوا على ظالمك قال ما أحب ان أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لوردت عليك) سرقك كنت تأخذها (قال لا آخذها ولا) كنت (انظر اليها لاني قد كنت أحللتها له) وفي نسخة أحلته لها نقله صاحب القوت (وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً) كذا في القوت قال وذهب لبعض المسلمين مال فجاءه بعزونه عليه فقال علام تعزوني على أمر الله فوالله ما خزنت على ذهابه قبيل ولم قال شغلني الشكر عليه من الحزن (وأكثر بعضهم شتم الحجاج) بن يوسف الثقفي (عند بعض السلف في ظلمه) قيل هو الحسن البصري (فقال له لا تغرق في شتمه) أي لا تبلغ ولا تكثر (فان الله تعالى ينتصف للحجاج من انتهك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه) وفي نثر الخبر المأثور من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على ظالمها أحسب في سرقة لا يستحق عنه يقول لا توسع عليه في التوسيع عليه نقصان من ظلامة المظلوم بقدر ذلك إلا أن يصير للظالم زيادة بفضل ما انتهك منه (و) بطابقه ما جاء (في الخبر) الآخر (ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم) وألفظ القوت ان العبد ليظلم بالظلمة أو يسرق له الشيء فلا يزال يدعو عليه ويسببه حتى يستوفي بقدر ظلامته ويبيق للظالم فضل يؤخذه من المظالم وقد تقدم في كتاب آفات اللسان (السادس) أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

ان لم يكن لك غم انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضل رضى دنابر وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال ألعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف

رضي الله عنهم أجمعين * (الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر وكداواة المرض وأمثاله) * (٥١٥) اعلم أن الـ

رضي الله عنهم أجمعين) وقد كان أبو ساهبان الداراني يقول إنما البغض لاهل المعاصي عند النظر اليهم عليها
فاذا تفكرت فيما يصبرون اليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب

(الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر وكداواة المرض وأمثاله اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الاسباب المزيلة
للمرض أيضا تنقسم الى مقطوع به كالسوء المزيل لضرر الجوع والى مظنون
كالنفد والحاجة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والبرودة
وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالسحر والرقية أما المقطوع) به (فليس من التوكل) أي من
شرطه (تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم المتوكلين) في الحديث السابق (وأقواها السحر وتلبه الرقية والطبيرة آخر درجتها والاعتماد عليها
والإتكال عليها غاية التعمق) والتدقيق (في ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة) بين المقطوع والموهوم
(وهي المظنونة كالداء بالاسباب الظاهرة عند الأطباء ففعلة ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه
ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الاحوال وفي بعض الأشخاص فهي على
درجة بين الدرجتين و) مما (يدل على ان التداعي غير مناقض للتوكل فعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وأمره أَمَا قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام
يعنى الموت) قال العراقي واه أجد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله الا السام وهو عند ابن
ماجه مختصر ادون قوله عرفه الخ واسناده حسن وللمزمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك الالهزم
والطبراني في الاوسط والبراز من حديث أبي سعيد الخدرى ومن حديث ابن عباس الا السام وسندهما
ضعيف وللبخارى من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء الا أنزل الله له شفاء ولمسلم من حديث جابر السكدي داء
دواء انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك الحكيم وابن السني وأبو نعيم في الطب والحاكم والبيهقي
ولفظه ما أنزل الله من داء الا أنزل الله معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وهو عند ابن ماجه مختصر من حديثه
ولفظه ما أنزل الله داء الا أنزل الله الدواء وفي رواية له من حديث أبي هريرة مثله الا انه قال شفاء بعد الدواء
ومثله في حديث ابن مسعود عند النسائي وابن حبان والحاكم وفي آخره زيادة روى الخطيب من حديث
أبي هريرة ما أنزل الله عز وجل داء الا وقد جعل له في الارض دواء علمه من علمه وجهله من جهله وبقية حديث
جابر عند مسلم فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى وأما ذكر السام ففي حديث أبي سعيد ان الله تعالى لم
ينزل داء الا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله الا السام وهو الموت هكذا رواه ابن السني وأبو نعيم في
الطب والحاكم وذكر الهمرم في حديث ابن مسعود ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له شفاء الا الهمرم فعليك
بالبان البقر فانهم انهم من كل شجر هكذا رواه الحاكم والبيهقي وقد جاء ذكره ما جمعا في حديث أسامة بن
شريك الاتداو وافان الله لم ينزل داء الا وقد أنزل له شفاء الا السام والهمرم هكذا رواه ابن حبان (وقال) صلى الله
عليه وسلم (تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء) قال العراقي واه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ
له من حديث أسامة بن شريك انتهى قلت وفيه زيادة في آخره عند ابن حبان وقد ذكر قبل هذا رواه أبو
نعيم في الطب من حديث ابن عباس تداووا ان الله عز وجل لم ينزل في الارض داء الا أنزل له شفاء وروى أجد
والطحاوى وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال
جاءت الاعراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فقالوا يا رسول الله أنتدوى قال نعم ان الله لم ينزل داء الا
أنزل له شفاء الا الموت والهمرم تداو واعباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء الاداء واحدا الهمرم وروى
القضاعى من طريق الاعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء (وسئل)
صلى الله عليه وسلم (عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله تعالى) قال العراقي رواه

اب المزيلة للمرض أيضا
تنقسم الى مقطوع به
كالسوء المزيل لضرر
العطش والخبر المزيل
اضرر الجوع والى مظنون
كالنفد والحاجة وشرب
الدواء المسهل وسائر
أبواب الطب أعني معالجة
البرودة بالحرارة والحرارة
بالبرودة وهي الاسباب
الظاهرة في الطب والى
موهوم كالسحر والرقية
أما المقطوع فليس من
التوكل تركه بل تركه
حرام عند خوف الموت
وأما الموهوم فشرط
التوكل تركه اذ به وصف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المتوكلين وأقواها
السحر وتلبه الرقية والطبيرة
آخر درجتها والاعتماد
عليها والاتكال الهيا غاية
التعمق في ملاحظة
الاسباب وأما الدرجة
المتوسطة وهي المظنونة
كالداء بالاسباب الظاهرة
عند الأطباء ففعلة ليس
مناقضا للتوكل بخلاف
الموهوم وتركه ليس
محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون أفضل من
فعله في بعض الاحوال
وفي بعض الأشخاص
فهى على درجتين
الدرجتين ويدل على أن
التدوى غير مناقض
للتوكل فعلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره أَمَا قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت
وقال عليه السلام تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله

الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح انتهى
قلت حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرأيت رقي نرقى
بها وأدوية تتداوى بها الحديث قال ابن عبد البر ذكره يعني أبا خزيمة بعضهم في الصحابة الحديث خطأ في رواه
عن الزهري وهو تابعي وكأنه جنح الى تعوية من قال عن ابن أبي خزيمة عن أبيه وقال ابن فيكون أخرج حديثه
الباوردى والطبراني أيضا من طريق عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري وقيل عن الزهري وعن ابن أبي خزيمة
عن أبيه وروى بها ابن عبد البر (وفي الخبر المشهور ما مررت) ليلة أسري بي (بملا من الملائكة الا قالوا) يا محمد
(مرأيتك بالحمامة) لانهم من بين الامم كلهم أهل يقين وإذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر
بالقلب وبالطبع وقال التوربشتي وجه الحمامة من في أمر الحمامة سوى ما عرف منها من المنفعة العائدة على
الابدان أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد وبين الترقى الى عالم الملكوت الاعلى والوصول
الى الكشوفات الروحية وغلبة تزدج جاع النفس وصلايتها فإذا ترف الدم أو رثها ذلك خضوعا وخودا
ولينوار رقة ولذلك تنقطع الادخنة المنعشة عن النفس الامارة وتحسم مادتها فتزداد البصيرة نور الى نورها
قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث ابن عباس
نحوه عليك بالحمامة وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت في سند
الترمذي أجده بنديل الكوفي قال في الكشاف لينة ابن عدى والدارقطني ورضيه النسائي وعبد الرحمن بن
اسحق ضعفوه وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الضبي كفى الميزان وعدوا من منا كبره هذا الحديث ولذلك
قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث المعاصي انه منكر وروى الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الطب عن
عبد الجيد بن صفي بن صهيب عن أبيه عن جده رفعه عليكم بالحمامة في جوزة القحذورة فانه دواء من اثنين
وسبعين داء وخسة أدواء من الجنون والجدام والبرص ووجع الاضراس (وفي الحديث أنه أمر بها) أي
بالحمامة (وقال احتجموا) ارشاد الازاما (لسبع عشرة وتسع عشرة واحد وعشرين) من الشهر العربي
(لا يتبيخ بكم الدم) أي يشور ويغلب (فيقتلكم) أي فيكون ثورانه سببا موتكم وهذا فيه كمال شفقته على
أمته قال العراقي رواه ليزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفع الترمذي بلفظ ان خير
ما احتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البزاران الطريق المتقدمة
أحسن من هذا الطريق ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة
الحديث انتهى قلت لفظ البزار احتجموا الخمس عشرة أو لسبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين
الحديث وقد رواه كذلك الطبراني والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس ولفظ المرفوع
عند الترمذي من حديثه ان خير ما احتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم احدى وعشرين
وليس فيه ذكر التبيخ ولفظ ابن ماجه من حديث أنس من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة وتسعة عشرة
واحدى وعشرين لا يتبيخ باحدكم الدم فيقتله وروى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة
من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحد وعشرين كان له شفاء من كل داء وقوله لا يتبيخ أي
لثلاثين فيخذف حرف الجر مع ان قال ابن الاعرابي تبيخ الدم وتبرق نار وهاج (فذكر ان تبيخ الدم
سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم الملهك وبين
اخراج العقرب من الثياب واخراج الحية من البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلا) قال ابن
القيم هذا موافق لاجماع اطباء ان الحمامة نصف الشهر وما بعده من الربع الثالث من أربع الشهر أنفع
من أوله وآخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعل علة الامر به انهم يحل اختيار هذه الاوقات اذا أرادت لحفظ الصحة
فان كانت ارض فعلت وقت الحاجة انتهى وقال ابن جرير هذا اختيار من صلى الله عليه وسلم لاوتر من أيام
الشهر على الشفع لفضل الوتر عليه وانما خص امره بحالة انتفاص الهلال من تنهاى تمامه لان ثوران كل

وفي الخبر المشهور ما
مررت بملا من الملائكة
الاقالوا مرأيتك بالحمامة
وفي الحديث أنه أمر بها
وقال احتجموا السبع
عشرة وتسع عشرة
واحدى وعشرين لا
يتبيخ بكم الدم فيقتلكم
فذكر أن تبيخ الدم
سبب الموت وانه قاتل
باذن الله تعالى وبين أن
اخراج الدم خلاص منه
اذا لا فرق بين اخراج الدم
المهلك من الالهات وبين
اخراج العقرب من تحت
الثياب واخراج الحية من
البيت وليس من شرط
التوكل ترك ذلك بل هو
كصب الماء على النار
لا طفاؤه ودفع ضررها
عند وقوعه في البيت
وليس من التوكل الخروج
عن سنة الوكيل أصلا

تأثير وتحرك كل علة انما يكون فيما يقال من حين الاستهلال الى الكمال فاذا اتناهى غماؤه وتم تمامه سكر فامر
بالاحتجام في الوقت الذي الاغلب فيه السلامة الا ان يثور الدم وتدعو الضرورة لبعضهم في الوقت المكروه
بحيث تكون غلبة السلامة في عدم التأخير فية على حينئذ انتهى وقال صاحب القوت وفي ذكرك تبيع الدم
دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه اريد به هذه الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التي
جعلت حقوقا واسبابا للموت واحسب هذا القدر من العدد دلاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي
الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في ارض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان
يحتجموا في كل شهر مرة الى أن يجازي الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر (و) قد روى
(في خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر) العربي (كان له دواء من داء سنة) قال
العراقي رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واحد
اختلف على روايه في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف انتهى قلت حديث معقل بن يسار رواه
أيضا ابن سعد وابن عدى والبيهقي ولفظه من سياق المصنف وحديث أنس رواه البيهقي أيضا ولفظه لسبع
عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء سنة وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال وفي خبر مثله عن
الاعمش من احتجم يوم السبت نفعه قال الاعمش فجر بته فنفعتني انتهى قلت وقد روى في المرفوع ما يناقض
ذلك روى الشيرازي في الاقباب والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة من احتجم يوم الاربعاء أو يوم السبت
فراى في جسده وضحا فلا يلومن الانفسه وصححه الحاكم وتعبه الذهبي (وأما أمره) صلى الله عليه وسلم فقد
أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى بالحجامة أما الامر بالتداوى فقد تقدم في حديث أسامة بن شريك من
رواية أصحاب السنن وفيه تداؤوا بعباد الله وفي حديث ابن مسعود تداؤوا بالبان البقر رواه الطبراني والخطيب
وفي حديث زيد بن أرقم تداؤوا من ذات الجنب رواه أحمد والطبراني والحاكم وأما أمره بالحجامة فسيأتى في
قصة علي وصهيب بعده قال صاحب القوت وروى أبو قتادة عن كعب الاحبار يقول الله عز وجل انى أمان الله أشجع
وأداوى فتداؤوا وافتلداوى رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه
وقد قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أى ضيق وربما كان التداوى فضلا في ذلك المعنيين أحدهما
أن ينوى اتباع السنة والاخذ برخصة الله تعالى وقبول ما جاء به الحنفية السمحة والثاني أن يجب سرعة
البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعى في أوامره اذا كانت العلل قاطعة من التصرف في العمل ومشغلة بالنفس
عن الشغل بالآخر (وقطع) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن معاذ) بن النعمان الانصارى الاشهل أبي عمرو سيد
الاوس شهد بدرا (عرقاى فصدته) كذا في القوت قال العراقي رواه مسلم من حديث جابر قال رى سعد في أكله
فخسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث انتهى قلت روى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك
شهر حتى حكم في بني قريظة وأجبت دعوته في ذلك ثم انتقص جرحه فمات أخرج ذلك البخارى وذلك سنة خمس
(وكوى) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن زرارة) بن عدس بن عبيد أبي امامة الانصارى الخزرجى التجارى قديم
الاسلام شهد العقبتين مات قبل وقعة بدر ووقع في القوت ما نصه ولوى أسعد بن زرارة من القوة هكذا هو باللام
وفي الهامش بارائه لوى أى عالج اه وأخاله تعجيفا والصواب كوى وقال العراقي رواه الطبراني من حديث
سهل بن حنيف دون ذكر سهل التمسى وقال الحافظ في ترجمة أسعد من الاصابة وقال عبد الرزاق عن معمر عن
الزهري عن أبي امامة بن سهل قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة
العقبة وقد أخذته الشوكة فكواه الحديث وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري هذا هو
المحفوظ ورواه عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وهى شاذة ورواه رفعة بن صالح عن
الزهري عن أبي امامة بن سهل عن أبي امامة أسعد بن زرارة الرواية وانما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن
زرارة والله أعلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعلى) رضى الله عنه (وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب

وفي خبر مقطوع من
احتجم يوم الثلاثاء
لسبع عشرة من الشهر
كان له دواء من داء سنة
وأما أمره صلى الله عليه
وسلم فقد أمر غير واحد
من الصحابة بالتداوى
وبالحجامة وقطع لسعد بن
معاذ عرقاى فصدته
وكوى سعد بن زرارة
وقال لعلى رضى الله تعالى
عنه وكان رمد العين
لا تأكل من هذا يعني
الرطب

وكل من هذا فانه أوفق لك يعني ساقا قد طبخ بدقيق شعير (قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر انتهى قلت ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كل منها وراقم على ليا كل فقال له باعلى انك نافه حتى كف على قال وصفت له شعيرا وسقا فحنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على من هذا فاصب فانه أوفق لك لفظ أبي داود وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث فليح وتعتب بانه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحيى الاسلمى عن أبيه عن يعقوب نحوه قال الحافظ في الاصابة فليح بن سليمان اسمه وكنيته أبو يحيى وابنه محمد من رجال البخارى وابن أبي فديك من أقرانه فله جله عنه ولم يفصح باسم ابنه لصغره فقال محمد بن أبي يحيى والد ابراهيم شيخ الشافعى وليس هو به بل رجوع الخبر الى فليح كما قال الترمذي (وقال) صلى الله عليه وسلم (لصهيب) بن سنان رضى الله عنه (وقد رآه يا كل التمر وهو وجع العين تا كل تمر وأنت أرمد فقال انى آكل من الجانب الاخر فتبسم صلى الله عليه وسلم وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت انه كان يتكحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال انه منكرو فيه سيف بن محمد كذبه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين انتهى قلت وبخط الحافظ ابن حجر لابي نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن غنم مثله وفيه الواقدي انتهى وانما خص الليل بالاكتحال لانه في النوم يتمكن التكحل في طبقات العين ويظهر تأثيره فيها وشربه صلى الله عليه وسلم الدواء كل سنة كان لغيره فان عرض له ما يوجب شربه في اثناء السنة شربه أيضا (وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقر بغيرها) ولفظ القوت وقد تداوى في غير خبر من العقر وغيرها وقال العراقي رواه الطبراني باسناد حسن من حديث جبلة بن الازرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس الحديث وله في الاوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى تهمج كفامن شونيز وشرب عليه ماء وعسلا ولا يعل والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ما وسم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور انتهى قلت حديث جبلة بن الازرق رواه أيضا البخارى في تاريخه وابن السكن والبغوى كلهم من طريق معاوية بن صالح عن صالح بن راشد بن سعد بن جبلة بن الازرق وكانت له حجة قام صلى الله عليه وسلم الى جانب جدار كثير الاجرة لما طهرا أو عصرا فلما جلس لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس فافاق فقال ان الله شفاني وليس بريقكم قال لا أعلم له غيره وقال البغوى ابن السكن ليس له غيره (وروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا نزل عليه الوحى صدع رأسه) من شدة ما يلقاه منه (وكان يغلفه بالخناء) لتخف حرارة رأسه فان فور اليقين اذا هاج اشتعل بورود الوحى فيلطف حرارته بذلك قال العراقي رواه البرازيل ابن عدى في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في اسناده على الاحوص بن حكيم انتهى قلت وكذلك رواه ابن السنى وأبو نعيم في الطب (وفي الخبر انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب قالت هي سلمى أم نافع امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها أيضا مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذي وقد رواه من طريق فائد مولى أبي رافع عن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع عن جده وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة أو نكبة الا أمرنى أن أجعل عليها الخناء (وقد جعل) صلى الله عليه وسلم (على قرحة خرجت به ترابا) قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة كان اذا اشتكى الانسان الشئ منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وجعل سفيان بن عبد الله الراوى سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا انتهى ولفظ القوت فروينا انه جعل على أصابعه السبابه من ريقه ثم وضعه على تراب فقال تربة أرضه بريقة

وكل من هذا فانه
أوفق لك يعني سقا
قد طبخ بدقيق شعير
وقال لصهيب وقد رآه
يا كل التمر وهو وجع
العين تا كل تمر وأنت
أرمد فقال انى آكل من
الجانب الاخر فتبسم
صلى الله عليه وسلم وأما
فعله عليه الصلاة والسلام
فقد روى في حديث من
طريق أهل البيت انه
كان يتكحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب
الدواء كل سنة قيل
السناء المسكى وتداوى صلى
الله عليه وسلم غير مرة
من العقر بغيرها
وروى أنه كان اذا نزل
اليه الوحى صدع رأسه
فكان يغلفه بالخناء وفى
خبرانه كان اذا خرجت
به قرحة جعل عليها
خناء وقد جعل على
قرحة خرجت به ترابا

وماروي في ندائه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعله فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدناو يت بكذا البرئت فقال لا آتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وان اتداوى به فبئرا فقال لا آتداوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرافوا جس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروى (٥١٩) في خبر آخر ان نبيا من الانبياء عليهم

السلام شكاه لعله يجدها
فاوحى الله تعالى اليه كل
البيض وشكاني آخر
الضعف فاوحى الله تعالى
اليه كل اللحم باللبن فان
فيه ما القوة قبل هو
الضعف عن الجماع وقد
روى ان قوم ماشكوا الى
نبيهم فوج أولادهم فاوحى
الله تعالى اليه مرهم ان
يطعموا نساءهم الحبالى
السفرجل فانه يحسن
الولد يفعل ذلك في الشهر
الثالث والرابع اذ فيه
يصوراته تعالى الولد وقد
كانوا يطعمون الحبلى
السفرجل والنفساء
الرطب فهذا تبين ان
مسبب الاسباب أخرى
سنته بربط المسببات
بالاسباب اظهار الحكمة
والادوية أسباب مسخرة
بحكم الله تعالى كسائر
الاسباب فكما ان الخبز
دواء الجوع والماء دواء
للعطش فالسكتنجين دواء
الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لا يفارقه
الا في أحدهما أمرين

بعضنا شفا علم ايضا باذن ربنا ثم جعله على قرحة في رجليه (وماروي في تدائه) صلى الله عليه وسلم (وأمره بذلك) أصحابه كثير (خارج عن الحصر) والضبط لكثرته (وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم) وهذا كتابان مشهوران بهذا الاسم أحدهما للأحافظ أبي بكر بن السني والثاني للحافظ أبي نعيم الاصبهاني قال صاحب القوت وهو صلى الله عليه وسلم أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء المقربين فان قيل انما تداءى لغيره وليس ذلك قلنا فلا ترغيب عن سنته ولا ترهيب في بغيته ان كان فعل ذلك لنا فلا ترد عليه لئلا يكون فعله لغوا والرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعن في الشريعة وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهرة للخلق ليقنفوا آثاره (وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل مرة) بعله فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدناو يت بكذا البرئت فقال لا آتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له (ان دواء هذه العلة معروف مجرب وان اتداوى به فبئرا فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه (فبرئ) تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرافوا جس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري) كذا في القوت (وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكاه) الى الله تعالى (عله يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض) كذا في القوت (وشكاني آخر) الى الله تعالى (الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيه ما القوة قبل هو) ولفظ القوت أحسنه (الضعف عن الجماع) وأضن في ذكر البيض شكاه الولد فامر به وذكروا بن منه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان أحسن السيرة في رعيته فاوحى الله الى شعيب عليه السلام قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك (وقدر وى) أعجب من ذلك (ان قوم ماشكوا الى نبيهم) عليه السلام (فوج أولادهم فاوحى) الله تعالى (اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد) (وقيل (يفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع) من حمل المرأة) اذ فيه يصور الله الولد) ولفظ القوت لان الولد يصور فيه ما (وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فهذا تبين ان مسبب الاسباب) جل اسمه (أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهار الحكمة) عرفها من عرفها وعرفها من جهلها (والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب) لا فرق فيها (فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكتنجين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحد أمرين أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدركه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول) فصار عنده جليا واضحا (و) الامر الثاني (ان الدواء يسهل) المعدة (والسكتنجين يسكن الصفراء) بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال) فلا يعمل به (وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء) كافي مرض الاستسقاء (ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدركه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكتنجين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب من الدوايع والداء فقال آه الى متى قال فما يصنع الاطباء قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادي (٥٢٠) حتى يأتي شفاؤى أو قضائى فاذمعتى التوكل مع التداوى التوكل بالعالم والحال كما سبق فى

قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالسكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد السكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامروها انه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالسكى الاول دواء يغنى عنه ليس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية مخدور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك لم يرسول الله

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل اشتغاله) بالاسباب مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام انه قال يارب من الدوايع والداء فقال تعالى منى قال فما يصنع الاطباء) حينئذ قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادى حتى يأتي شفاؤى أو قضائى) نقله صاحب القنون الآتية قال أو قبضى قال ويقال ان بين الدوايع والداء حجاب المشيئة فلا ينفذ الدواء حتى ينكشف الحجاب (فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعالم والحال كما سبق) بيانه قريباً (فى قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالسكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع) فلم جعل فى السقم الموهوم (فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور) وسقى الحوار للمبرود فهذه هى الاسباب الظاهرة (وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد السكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب) فى البوادر فانهم يستعملونه وذلك لعدة الادوية عندهم (فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنه بامروها انه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالسكى الاول دواء يغنى عنه ايس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية مخدور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما) من الادوية (ولذلك لم يرسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى) رواه الطبرانى من حديث سعد الظفرى قال الذهبى الاصح انه سعد بن النعمان يدرى ورواه الترمذى والحاكم من حديث عمران بن الحصين قال الحافظ فى الفتح سنده قوى وهو منسب نزيه حيث أمكن الاستغناء عنه بغيره وأما قولهم آخر الطب السكى فهو كلام مشهور عنه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذلك كان أحداً ما يحمل عليه النهى عن السكى وجود طريق مرجو للشفاء سواء (دون الرقى) جمع رقية بالضم وهى ما يعوذ بها قال العرافى رواه البخارى من حديث ابن عباس رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة انتهى وأما ما رواه الحاكم من حديث ابن مسعود نهى عن الرقى والتعاظم والتولة فمحمول على ما اذا كانت الرقية بغير القرآن وأسماء الله وصفاته وأما ما جاز قال ابن التين الرقى بذلك هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الابرار حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عارض هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزوم من زعم تسخير الجن تأتى مركبة من حق وباطل تجتمع الى ذكر أسماء الله وصفاته ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئاً من شوب الشرك وفي الموطأ أن أبابكر رضى الله عنه قال لليهودية التى كانت ترقى عائشة رضى الله عنها رقية بالكاتب الله (وكل واحد منهما) من السكى والرقى (بعيد عن) صفة (التوكل وروى عن) أبى نجيد (عمران بن الحصين) بن عبيد الخزاعي رضى الله عنه أسلم فى وقعة خيبر وتحول الى البصرة فات بها (اعتل) فى بطنه فظل صريعاً ثلاثين سنة على سر من حديد قد نصبه فى أوسطه لموضع الغائط لانه كان سطوحاً لا يستطيع القيام (فاشاروا عليه بالسكى فامتنع) منه (فلم يزالوا به) يلحون عليه (وعزم عليه الامير) هو عبيد بن زياد كما عند الدارمى (حتى اكنوى) فى بطنه سبع كيات (فكان) رضى الله عنه (يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنويت انقطع ذلك عني) كذا فى القنون (و) فى رواية (كان يقول اكتبوا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن) يعنى الكيات وروى الحسن عن مطرف بن عبد الله قال تيننا عمران بن الحصين نعوذه وكان قد اكنوى فى بطنه فقال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن السكى فاكتمونا فاكتمونا

ولا السكى دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالسكى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامر حتى اكنوى فكان يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتبوا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت

ثم تاب من ذلك وأتاب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة وقال لطرف بن عبد الله ألم تر الى الملائكة التي كان أكرم مني الله بها قدردها الله تعالى علي بعد ان كان أخبره بفقدها فاذا السكى وما يجرى (٥٢١) مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه

يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها والله أعلم (بيان ان ترك التدوى قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) * اعلم ان الذين تداءون السلف لا يقتصرون

ولا أنجح عناور واه الحارث بن أبي اسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمران انه شكك ابنه فلبث زمانا طويلا فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال ان أحب ذلك الى أحبه الى الله قال حتى اكتبوى قبل وفاته لستين وكان يسلم عليه فلما اكتبوى فقده ثم عاد اليه وفي لفظ آخر كانت الملائكة تزوره فبأنس به حتى اكتبوى (ثم تاب من ذلك وأتاب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة) قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة وفاة ثم يقول عنه أهل البصرة انه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتبوى (وقال) رضى الله عنه (لطرف بن عبد الله) بن الشخير العامري التابعي البصري (ألم تر ان الملائكة التي) كان (أكرم مني الله بها) اقدردها الله تعالى علي بعد ان كان أخبره بفقدها) رواء الدارمي قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ابو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال قال عمران بن حصين اني محدثك بحديث انه كان يسلم علي وان ابن زياد أمرني فاكتبوى فجلس عني حتى ذهب أثر السكى قال صاحب القوت فلو لان ذلك كان عنده ذنب ما ندّم عليه ولما تاب منه ولولا انه كان نقصا ما صرفت الملائكة عنه (فاذا السكى وما يجرى مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم فدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها) والله أعلم

(و يدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم) هذا الله تعالى (ان الذين تداءون والسلف) كثير من (لا يقتصرون ولكن قد ترك التدوى أيضا جماعة من الاكابر فر بما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كما لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله وقدرى عن أبي بكر رضى الله عنه انه) لما مرض (فيل له لودعونا لك طيبيا فقال الطيب نظر الى وقال اني فعال لما أريد) رواء أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا أأندعولك الطيب قال قد رأيت قالوا فاي شئ قال لك قال اني فعال لما أريد رواء أبو نعيم في الحلية من طريقه (وقيل لابي الدرداء) رضى الله عنه (في مرضه ما تشكى قال ذنوبي فقيل فماتت شهى قال مغفرة ربي قالوا أأندعولك طيبيا قال الطيب أمرضني) أخرجه أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن حفص السديسي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو هلال حدثنا معاوية بن مرة ان أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشكى يا أبا الدرداء قال أشتكى ذنوبي قالوا فماتت شهى قال أشتهى الجنة قالوا أأندعولك طيبيا قال هو أصح بعني قال صاحب القوت وقدر ويناه أيضا عن ابن مسعود (وقيل لابي ذر) رضى الله عنه (وقدر مدت عيناه لوداويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما) نقه له صاحب القوت (وكان الربيع) بن خيثم الثوري السكوني العابد (أصابه فالج) وهو مرض منشؤه البرد يمنع الاعضاء من التحرك (فقيل له لوداويت فقال قد هممت) على ذلك (ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا) كانت فيهم الاوجاع (وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقي شيئا) نقله صاحب القوت وفي هذا المعنى ما نسب للامام الشافعي رضى الله عنه

(و يدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم) هذا الله تعالى (ان الذين تداءون والسلف) كثير من (لا يقتصرون ولكن قد ترك التدوى أيضا جماعة من الاكابر فر بما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كما لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله وقدرى عن أبي بكر رضى الله عنه انه) لما مرض (فيل له لودعونا لك طيبيا فقال الطيب نظر الى وقال اني فعال لما أريد) رواء أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا أأندعولك الطيب قال قد رأيت قالوا فاي شئ قال لك قال اني فعال لما أريد رواء أبو نعيم في الحلية من طريقه (وقيل لابي الدرداء) رضى الله عنه (في مرضه ما تشكى قال ذنوبي فقيل فماتت شهى قال مغفرة ربي قالوا أأندعولك طيبيا قال الطيب أمرضني) أخرجه أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن حفص السديسي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو هلال حدثنا معاوية بن مرة ان أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشكى يا أبا الدرداء قال أشتكى ذنوبي قالوا فماتت شهى قال أشتهى الجنة قالوا أأندعولك طيبيا قال هو أصح بعني قال صاحب القوت وقدر ويناه أيضا عن ابن مسعود (وقيل لابي ذر) رضى الله عنه (وقدر مدت عيناه لوداويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما) نقه له صاحب القوت (وكان الربيع) بن خيثم الثوري السكوني العابد (أصابه فالج) وهو مرض منشؤه البرد يمنع الاعضاء من التحرك (فقيل له لوداويت فقال قد هممت) على ذلك (ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا) كانت فيهم الاوجاع (وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقي شيئا) نقله صاحب القوت وفي هذا المعنى ما نسب للامام الشافعي رضى الله عنه

ان الطيب بطبسه ودوائه * لا يستطيع دفاع مقدور ألقى
مالا للطيب عوت بالداء الذي * قد كان يبري مثله فيما مضى
هالك المداوى والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال صاحب القوت وقد كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فعلم عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلاة ثم يرده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة كانا شاشط من عقال فاذا قضى صلاته رجع اليه الفالج

لوسألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو

(٦٦ - (اتخاف السادة المتقين) - ناسع)

أهم علي منهما لو كان الربيع بن خيثم أصابه فالج فقيل له لوداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقي شيئا

وكان أحد بن حنبل يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر الطبيب
بها أيضا إذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى
قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم
الاختصاص الصوارف عن التداوى فنقول (٥٢٢) ان ترك التداوى أسبابا * (السبب الأول) * أن يكون المريض من المكاشفين

كما كان قبل ذلك (وكان أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك
التداوى من شرب الدواء وغيره) نقله صاحب القوت قال (وكان) تقوم (به علل فلا يخبر الطبيب أيضا) إذا
سأله (كذا في القوت) (وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى (متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في
جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلا بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه) نقله صاحب القوت (فإذا منهم
من ترك التداوى وراءه) واعتقده من الصديقين والسلف الصالح (ومنهم من كرهه) (الأثناء مخصوص بخصوص
وطريق الخاصة الأقوياء ولا يسلكه الشوب من العموم والضعفاء وذلك مذهب إبراهيم الخواص وطريقه
كان يرى ان المتوكل اذا تداوى نقص بذلك حقيقة (ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين
(أفعالهم الاختصاص الصوارف عن التداوى) فقد يترك بعض الأولياء التداوى لأسباب أخر ترجح بذلك أعمالهم
ولا يكون تركا لاسنة انما يتركون الفضل للأفضل (فنقول ان ترك التداوى أسبابا) ستة (الأول أن يكون
المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وان التداوى لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده نارة برؤيا
صادقة) تأتي كفلق الصبح (ونارة بحس وظن ونارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضى الله
عنه التداوى) فيما سبق من قوله (من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضى الله عنها في
أمر الميراث انما هما أختك وما كان لها الأخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم انه كان
قد كوشف بانها حامل بانثى) هذه القصة ذكرها الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في كتابه سماه المقامات العلية
في الكرامات الجليلة يقول فيها بعد ان ذكر جلة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
وسرت سر برته الى أصحابه * فلهم خوارق ما ذاعها مدعى
فلمسك الصديق امداد السما * ولم تلج من بعده في مجمع
ومقالة في بنت خارج واقع * حقان الصديق أحسن موقع
ثم ساق بسنده الى عائشة رضى الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال يا بنيتة فإن أحب
الناس غنى الى بعدى أنت وان أعز الناس فقرا الى بعدى أنت وانى كنت نخلتك جادعشرين وسقامن مال
فوددت والله انك كنت خوتيه وأخذتبه فانما هو أخوالك واختالك قالت قلت هذا أخو اى فبن أخى قال
ذو بمان ابنة خارجة فاذا ظننا جارية فكان كذلك وقد تقدم ذلك للمصنف (فلا يبعد أن يكون قد كوشف
أيضا بانتهاء أجله والافلاظن به انكار التداوى) مطلقا كيف (وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تداوى) كما تقدم قريبا (وأمر به) كما في حديث اسامة بن شريك وتقدم (السبب الثاني أن يكون المريض
مشغولا بحاله وبخوف عاقبه واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا
بحاله) أى الاشتغال بهمهم ديني أشرف من التداوى وعليه يدل كلام أبي ذر إذا قال انى عنها مشغول (وكلام
أبي الدرداء) رضى الله عنه (إذا قال انى اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه
بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته) فانه في شغل شاغل (أو كالحائف الذى يحمل الى ملك
من الملوك ليقتل) وتحقق ذلك (إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون
ذلك انكارا لكون الحزن نافع من الجوع ولا) يكون (طعنا فمن أكل ويقر من هذا اشتغال سهل)

وقد كوشف بأنه انتهى
أجله وان الدواء لا ينفعه
و يكون ذلك معلوما عنده
نارة برؤيا صادقة ونارة
بحس وظن ونارة
بكشف محقق ويشبه
أن يكون ترك الصديق
رضى الله عنه التداوى
من هذا السبب فإنه كان
من المكاشفين فإنه قال
لعائشة رضى الله عنها في
أمر الميراث انما هما
أختك وانما كان لها
أخت واحدة ولكن
كانت امرأته حاملا
فولدت أنثى فعلم انه كان
قد كوشف بانها حامل
بانثى فلا يبعد أن يكون
قد كوشف أيضا بانتهاء
أجله والافلاظن به
انكار التداوى وقد شاهد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم تداوى وأمر به
(السبب الثاني) *
أن يكون المريض
مشغولا بحاله وبخوف
عاقبه واطلاع الله تعالى
عليه فينسيه ذلك ألم
المرض فلا يتفرغ قلبه
للتداوى شغلا بحاله
وعليه يدل كلام أبي ذر

التستري

إذا قال انى عنهما مشغول وكلام أبي الدرداء إذا قال انما اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه

خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته أو كالحائف الذى يحمل الى ملك من الملوك ليقتل إذا
قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافع من الجوع ولا طعنا فمن أكل ويقر من
هذا اشتغال سهل

حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم فقبل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو
الذكر قيل سألناك عن طعمه الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه امارأت الصنعة اذا
عبثت ردوها الى صانعها حتى يصلحها * (السبب الثالث) * أن تكون العلة مزممة (٥٣٣) والدواء الذى يؤمر به بالاضافة

الى علته موهوم
النفع جار مجرى السكى
والرقية فيتركه المتوكل
واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم اذ قال ذكرت
عادا وغود وفيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى
أى ان الدواء غير موثوق
به وهذا قد يكون كذلك
فى نفسه ونذ يكون عند
المريض كذلك لقلة
ممارسته للطب وقلة
تجربته له فلا يغلب على
ظنه كونه نافعا ولا شك فى
ان الطبيب المجرب أشد
اعتقادا فى الادوية من
غيره فتكون الثقة
والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة
وأكثر من ترك التدوى
من العباد والزهاد هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء
عنده شيأ موهوما لا أصل
له وذلك صحيح فى بعض
الادوية عند من عرف
صناعة الطب غير صحيح
فى البعض ولكن غير
الطبيب قد ينظر الى
الكل نظرا واحدا فيرى
التدوى تعسفا فى
الاسباب كالسكى والرقى

السترى رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب القوت (حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم)
الذى به الحياة والقوام لكل شئ (فقبل انما سألناك عن القوام) أى ما تقوم به البنية (فقال القوام هو
العلم) فانه يقوم الاعمال (قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكرا قيل سألناك عن طعم الجسد) الذى
هو الغذاء الظاهر (قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه) فهو
أول من ينظر فيه (امارأت الصنعة اذا عبثت) بفساد (ردوها الى صانعها حتى يصلحها) اذ هو يعرف فسادها
من صلاحها ويعرف كيف يصلحها وهذا هو مقام التفويض والتسليم من التوكل (السبب الثالث أن تكون
العلة مزممة) مستمرة (والدواء الذى يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم) غير متيقن ولا مظهر
(جار مجرى السكى والرقية فيتركه المتوكل) اذ فيه تضيق العمر والمال فى لاشئ (واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم) رحمه الله تعالى (اذ قال ذكرت عادا وغود) وكانت فيهم الاوجاع (و) كان (فيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى أى ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك فى نفسه وقد يكون عند
المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا) (ولا شك ان فى الطبيب
المجرب أشد اعتقادا فى الادوية من غيره) لكمال ممارسته فيها (فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة) وأكثر من ترك التدوى من العباد والزهاد) بل وبعض صلحاء العامة (هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له) وهذا مشاهد (وذلك صحيح فى بعض الادوية عند من
عرف صناعة الطب غير صحيح فى البعض) وفى بعض النسخ وذلك غير صحيح فى بعض الادوية صحيح فى البعض
(ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التدوى تعسفا فى الاسباب كالسكى والرقى فيتركه
تو كالا السبب الرابع أن يقصد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله
تعالى أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد
عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه
على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن ابى وقاص وقال
صحيح على شرط الشيخين اه قلت سياق حديث سعد بن أبى وقاص أقرب لسياق الضنف وفيه أشد الناس بلاء
لانياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة
ابتل على قدر دينه فإيبرج البلاء حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة كذا رواه الطيالسي وأحمد
وجهد بن جيد والدارى والبخارى والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويلييه سياق حديث أبى سعيد
أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف
دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة ورواه ابن حبان فى صحيحه وروى
الطبرانى من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ورواه أحمد
بإغظ أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدم ذكر بعض ذلك (وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج ذهبه كالابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم
من يخرج أسود محترقا) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده فى مسنده اه

فيمتركه تو كالا * (السبب الرابع) * أن يقصد العبد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى
أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم
الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج كالذهب الابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا

وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن تسكرها وشيا وهو خير لكم وكل سهل يقول ترك (٥٢٥) التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر

عن الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يحب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شئ من الدواء قائما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم يأخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا أفضل من أمثال الجبال والمرض لا يمنع من أعمال الجسم هذا مذهبهم (المرضى لا يمنع من أعمال القلب بل من أعمال الجوارح) وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وأمراض القلب للمنافقين (السبب الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) (السبب الخامس) * أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف

من المعاصي وكفر به عنه الخطايا (وان توفيته توفيته الى رحمتي) ولا ذنب عليه فابدال صفة بحسن اختيار الله له في الدنيا والآخرة من حسن اختياره وشهوته قال العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم فأت وقدرى ذلك من حديث أبي هريرة بلفظ اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول انظر اما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه حمد الله وفعاد ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى ان انا توفيته ان أدخله الجنة وان انا شفيتها ان أبدله لخير من لجه ودماخير من دمه وان أسكفر عنه سياته رواه الدارقطني في الغرائب وابن حجر في عوالي مالكا وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدى ببلاء فصر لم يشكنى الى عواده ثم ابرأته أبدلته لخير من لجه ودماخير من دمه وان أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وان توفيته توفيته الى رحمتي وروى ابن عساكر عن مكحول مرسل اذا مرض العبد يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فاني أعلم به وأنا قيده قال صاحب القوت ومن فضل تارك التداوى ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التي كان يعملها في الصحة وانه يجزى له من الحسنات ما كان يجزى له أعماله فكتب الملك أعماله الصالحة خير له من أعماله لانها قد دخلها الفساد واختار الله له أن يستعمله بالوجاع خير من اختياره لنفسه أن يشتغل الى الله بالأعمال الصالحة (وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس) كذا في القوت قال العراقي تقدم ولم أجده مرفوعا (نقل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب) ولفظ القوت قيل هو ما أدخل عليها من المصائب في النفس والاموال فهي تسكره ذلك وهو خير لكم (واليه الاشارة بقوله وعسى أن تسكرها وشيا وهو خير لكم) وعسى أن تسكرها وشيا وهو شر لكم وقال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعني الامراض والعلل وهو نقصها من أوصافها وقواها وزيادة معانيها وهو خير له اذا صبر وفضل له ان يسكر ودرجات اذا رضى وتوكل (وكان سهل) التسترى (يقول) ان ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر (به عن الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات) نقله صاحب القوت قال (وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها) قد (كان يداوى الناس منها) قال (وكان) رحمه الله تعالى (اذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يحب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شئ من الدواء قائما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم يأخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه) (كان مذهبه) رحمه الله تعالى (ومذهب سائر المتوكلين (من البصريين تضعيف قوة النفس) واسقاطها (بالجوع) والطي الكثير (وكسر الشهوات) حتى لا يكون لها حراك لاجل الله لان عندهم ان قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وجب لقاء الناس والاجتماع مع الخلق وفي ذلك وجود المعاصي ودخول الآفات والهوى وطول الرغبة والحرص على الدنيا وحب البقاء يقول فاذا أدخل الله عليها الامراض من حيث لا يحتسب فلا يتعالم لضعفها عن افعال المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة (لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح) بقوة الجسم هذا مذهبهم (والمرض لا يمنع من أعمال القلب الا اذا كان أمله غالبا) عليه (مدهشا) له (و) لذلك (قال سهل) رحمه الله تعالى (علل الاجسام رجعت لعل القلوب عقوبة) وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وأمراض القلب للمنافقين (السبب الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) و (عاجز عن تكفيرها) واما طمها (فيرى

غالب مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رجعة وعلل القلوب عقوبة * (السبب الخامس) * أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى

المرض اذا طال تكفيرا فترك التدوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال
الحى والميلة) قبل هى حرارة الحى وهجتها وقبل هى الحى التى تكون فى العظام (فى العبد حتى يمشى على الارض
كالبردة وما عليه خطيئة) قال العراقى رواه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبرانى من حديث
أبي الدرداء نحوه وقال الصداق بدل الحى والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس مثل المرض اذا صعد برأ من
مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفاتها ولونها أو أسانيد ضعيفة اه قلت وحديث أخرجه كذلك
الحكيم والبخارى والديلمى وابن عساكر وروى الشيرازى فى الالقاب والبيهقى من حديث أبي هريرة لا تزال
المؤمن يصاب فى ولده وخاصة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ورواه أحمد وهناد وابن حبان وأبو نعيم والحاكم
والبيهقى بلفظ لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة (وفى الخبر
حتى يوم كفارة سنة) قال العراقى رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال
لبلة بدل يوم اه قلت رواه من طريق الحسن بن صالح عن الحسن بن عمر وعن إبراهيم النخعى عن الأسود عن
ابن مسعود رفعه ولفظه الحى حظ كل مؤمن من النار وحي ليله تكفر خطايا سنة بحجرة وكذلك رواه الديلمى
فى مسند الفردوس وأعله ابن طاهر بالحسن بن صالح وقال تركه يحيى القطان وابن مهدي وله شاهد عن أبي
الدرداء موقوفا بلفظ حتى ليله كفارة سنة رواه ابن أبي الدنيا فى المرض والكفارات له من طريق عبد الملك بن
عمر عنه وأما لفظ المصنف فرواه تمام فى فوائده من طريق أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبيرة عن أبي
هريرة رفعه حتى يوم كفارة سنة ولكن بزيادة حتى يومين كفارة سنتين وحتى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين
وروى ابن أبي الدنيا من طريق حوشب عن الحسن بن مسعود ان الله ليكفر عن المؤمن خطايا ما كلفها بحمى
ليله وقال ابن المبارك عقب رواية له انه من جيد الحديث ومن طريق هشام عن الحسن قال كانوا يرجون فى
حتى ليله كفارة لما مضى من الذنوب وشوا هذه كثيرة يؤكدها بعضها بضعاء سنة بحجرة بالجيم كعظمة أى تامة
كذا فسر الديلمى وقال صاحب القوت ومن الفضائل ان الامراض مكفرة للسيئات فاذا كره الامراض بقيت
ذنوبه عليه موفرة ثم ساق الخبر المذكور (فقبل لانها تدقوة سنة) قال صاحب القوت هذا أحسن ما سمعت
فى تأويله اه فقد قال بعض اطباء من حم يومالم تعاوده قوة سنة فجعلت مشوبته على قدر رزقه (وقيل)
لان (للانسان ثلاثا توستون مفصلا تدخل الحى فى جميعها) أى حتى يوم فى جميع المفاصل (وتجدر من كل
واحد المفاصل يكون كل ألم كفارة كل يوم) نقله صاحب القوت وكذا كان أبو هريرة يقول أحب الاوجاع
الى الحى لانها تعطى كل مفصل حقه من الاجر بسبب عموم الوجع ثالث وهو ان الحى تؤثر فى البدن
تأثير الا زوال بالكتابة الا الى سنة وقد أفاد هذا الخبر ان المرض صالح لتكفير الذنوب فيكفر الله به ما يشاء منها
وتكون كثرة التكفير وقلته باعتبار مدة المرض وخفته (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحى سأله يزيد بن ثابت) رضى الله عنه (ربه عز وجل ان لا يزال محمولا فلم تكن الحى تغفره حتى مات رجه
الله) نقله صاحب القوت قال ويقال أيضا أبي بن كعب (وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحى
لا تزالهم) كذا فى القوت وقال العراقى روى أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى باسناد جيد أن رجلا
من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الامراض التى تصيبنا لما فيها قال كفارات قال أبى فان قلت قال وان
شوكة فنافقوها قال فدعا أبى أن لا يفارق الوعل حتى يموت الحديث وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث
أبي بن كعب انه قال يا رسول الله ما خير الحى قال تجرى الحسنة على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب
عليه عرق فقال انى أسألك حتى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا مسجد نديك الحديث فالاسناد مجهول قاله على بن
المديني (ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كرميته) فصبر (لم يرض له ثوابا دون الجنة) رواه هناد
والترمذى من حديث أبي هريرة بلفظ يقول الله تعالى من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون
الجنة ورواه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس قال الله تبارك وتعالى لا أقبض كرميتي عبدى وحبيبتيه فصبر

المرض اذا طال تكفيرا
فيتترك التدوى خوفا
من أن يسرع زوال
المرض فقد قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال
الحى والميلة بالعبد
حتى يمشى على الارض
كالبردة ما عليه ذنب ولا
خطيئة وفى الخبر حتى
يوم كفارة سنة فقبل
لانها تدقوة سنة فقبل
لأنسان ثلاثمائة وستون
مفصلا تدخل الحى فى
جميعها ويحسد من كل
واحد المفاصل يكون كل ألم
كفارة يوم ولما ذكر صلى
الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحى سأله يزيد
ابن ثابت ربه عز وجل
أن لا يزال محمولا فلم
تكن الحى تغفره حتى
مات رجه الله وسأل
ذلك طائفة من
الانصار فكانت الحى
لا تزالهم ولما قال صلى
الله عليه وسلم من أذهب
الله كرميته لم يرض له
ثوابا دون الجنة

قال فلقد كان من الانصار من يمتنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
 ما يرجو في ذلك من كفارة خطاياهم وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء (orv) فقال يا رب ارحمه فقال تعالى كيف

ارحمه فيمياه ارحمه أى
 أكفر ذنوبه وأزبدى
 درجاته * (السبب
 السادس) * أن يستشعر
 العبد في نفسه مبادئ
 البطور والطغيان بطول
 مدة الصحة فيترك التداوى
 خوفا من أن يعاجله
 زوال المرض فتعاوده
 الغفلة والبطور والطغيان
 وطول الامل والتسوية
 في تدارك الفئات
 وتأخير الخيرات فان
 الصحة عبارة عن قوة
 الصفات وبها ينبعث
 الهوى وتتحرك الشهوات
 وتدعو الى المعاصي وأقلها
 أن تدعو الى التمتع في
 المباحات وهو تضييع
 الاوقات واهمال اللزج
 العظيم في مخالفة النفس
 وملازمة الطاعات واذا
 أراد الله بعدد خير لم يخله
 عن التنبه بالامراض
 والمصائب ولذلك قيل لا
 يخلو المؤمن من علة أو
 قلة أو ذلة وقدرى أن
 الله تعالى يقول الفتر
 سجننى والمرضى قبدى
 أحبس به من أحب من
 خلقى فاذا كان فى المرض
 حبس عن الطغيان
 وركوب المعاصى فإى
 خير يزيد عليه ولم ينبغى
 أن يشتغل بعلاجه من

الحكمى و يرضى بقضائى فارضى له ثوابا دون الجنة ورواه أبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمى عبد لم أرض له ثوابا
 دون الجنة وفى الباب عن جماعة من الصحابة قد سبق فى كتاب الصبر (قال فلقد كان فى الانصار من يمتنى العمى)
 ولفظ القوت قال فلقد رأيت الانصار يمتنون العمى قال ولما جاءت الحى تستأذن على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اذهبى الى أهل قباع وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى يحبون أن يتطهروا أى من الاثام والذنوب
 بالحى والامراض فالويل لمن فى ذلك الا حبة الله وشهادته بظهوره العبد بالعله لكان نصيبا موفورا قال فاسقعتهم
 الحى وأنهم سكتهم فخاذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه كفها قال ان أحببتهم تركها وكانت لكم طهورا
 فقالوا بل نتركها فاشكر الله صبرهم فأخبر بحبته لهم فكان من هذا أن تلك الامراض اختيار الله وايتبار بحبته
 وانهم أفضل بحسن ثناء الله عليهم باختيارهم (وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول
 المصائب والامراض على جسده وماله ما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياهم) نقله صاحب القوت قال فالصديقون
 يتلون بعلل الجوارح والمنافقون بأمرض القلوب لان فى أمراض الاجسام ضعفها عن الاثام والطغيان
 وفى أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان (وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم
 البلاء فقال يا رب ارحمه) فإنى قدرجته (فقال تعالى) وحيا اليه (كيف ارحمه فيمياه ارحمه) نقله صاحب
 القوت (أى به أكفر ذنوبه وأزبدى درجاته) وقال الله تعالى فى تصديق ذلك ولورحناهم وكشفنا ما بهم من
 ضرر للجوارح الآية فأخبر أن ترك الرحمة لهم من الامراض لطفا بهم ورحمة بالنته لهم قال صاحب القوت وروينا
 أن عبد الواحد بن زيد خرج فى نفر من اخوانه الى بعض فواحي البصرة فاوهم المسير الى كهف جبل فاذا
 فيه عبد مقطوع بالجزام يسبل جسده فيحاو صديدا وقالوا يا هذا الودحان البصرة فتعالت من هذا الداء الذى
 بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سدى سلطت على هؤلاء يسخطون عليك ويكرهون الى قضاءك سيدى
 أستغفرك من ذلك الذنب لك العقبى أن أعود فيه أبدا صرفهم عنى أرددهم عنى قال وكأجاعة فى املك كازوس
 دوابنا ولا قدرنا على ضبطها حتى ردتنا عنه الى البصرة (السبب السادس) أن يستشعر العبد فى نفسه مبادئ
 البطور والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطور
 والطغيان أو طول الامل والتسوية فى تدارك الفئات وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات
 وبها ينبعث (الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي وأقلها أن تدعو الى التمتع فى المباحات وهو
 تضييع الاوقات) فبالا طائل تحتها (واهمال اللزج العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا أراد الله
 بعدد خير لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب) وقدرى أحد من حديث عبد الله بن مغفل اذا أراد الله
 بعدد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا الحديث (ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة) فى جسمه (أو قلة) فى ماله
 (أو ذلة) وقيل أيضا المؤمن لا يخلو من علة أو ذلة فاذا لم يتدأ فله أعمال حسنة منها أن ينوى الصبر على بلاء الله
 والرضا بقضائه والتسليم لحكمه ومنها أن موله أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقبسه
 بالامراض عن المعاصى (وقدرى أن الله تعالى يقول الفقر سجننى والمرضى قبدى أحبس به من أحب من
 خلقى) نقله صاحب القوت (فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه)
 وقد حبس عن ارتكاب ما يوجب عليه النار (لم ينبغى أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى
 ترك المعاصى) فلا يأمن ان تدأوى فعوى أن تقوى النفس فينتشر هواها لان المعاصى فى العوائى وعلة سنة
 خير من معصية ساعة (فقد) روى الدينورى فى المجالسة عن ابن ضريس قال بعض الحكماء انما لك من العمر
 ما أطعت الله فيه فاما ما عصيته فلا تعده عمرا اه ومن هنا قولهم لا بعد من العمر الا اوقات الخير و (قال بعض
 العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وان كنت

فأنت فى عافية وان كنت

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعنى أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبادى من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافى مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا بعد الفراغ فجاء من تذرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أى انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أى لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديدا للتوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم الذات) يعنى الموت أى قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطنى بالارسال ولفظه عند العسكروى فى الامثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من مجالس الانصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكر هاذم الذات فانه لم يذكر فى كثير الاقله ولا فى قليل الاكثره ولا فى ضيق الاوسع ولا فى سعة الاضيقها وفى الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فانه يحصى الذنوب ويذهب الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهنى ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمنى ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أى رسوله الذى يتقدمه فى تسخيه يرد الموت (فهى مذكره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم فى الطب من طريق جاد بن سلمة عن على بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله فى الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يخبس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد فى الزهد وابن أبي الدنيا فى المرض والكفارات وأبو نعيم فى الطب والبيهقي والقضائى فالو نعيم رواه من طريق جاد بن زيد عن جهمد وجبيب وثابت وعلى بن زيد فى آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جرير بن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضائى من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثنى أبو الخطاب حدثنا بشير بن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم فى الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعنى أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبادى من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافى مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا بعد الفراغ فجاء من تذرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أى انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أى لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديدا للتوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم الذات) يعنى الموت أى قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطنى بالارسال ولفظه عند العسكروى فى الامثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من مجالس الانصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكر هاذم الذات فانه لم يذكر فى كثير الاقله ولا فى قليل الاكثره ولا فى ضيق الاوسع ولا فى سعة الاضيقها وفى الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فانه يحصى الذنوب ويذهب الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهنى ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمنى ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أى رسوله الذى يتقدمه فى تسخيه يرد الموت (فهى مذكره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم فى الطب من طريق جاد بن سلمة عن على بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله فى الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يخبس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد فى الزهد وابن أبي الدنيا فى المرض والكفارات وأبو نعيم فى الطب والبيهقي والقضائى فالو نعيم رواه من طريق جاد بن زيد عن جهمد وجبيب وثابت وعلى بن زيد فى آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جرير بن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضائى من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثنى أبو الخطاب حدثنا بشير بن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم فى الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

وقال تعالى أولاد برون
 انهم يقتنون في كل عام
 مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
 ولا هم يذكرون قبل
 يقتنون بامراض
 يختبرون بها ويقال ان
 العبد اذا مرض مرضين
 ثم لم ينجب قال له ملك الموت
 يا غافل جاءك مني رسول
 بعد رسول فلم تجب وقد
 كان السلف لذلك
 يستوحشون اذا خرج
 عام لم يصابوا فيه بنقص
 في نفس أو مال وقالوا لا
 يخلو المؤمن في كل أربعين
 يوما أن يروى روعة أو
 يصاب ببلية حتى يروى
 أن عمار بن ياسر تزوج
 امرأة فلم تكن تمريض
 فطلقها وان النبي صلى
 الله عليه وسلم عرض
 عليه امرأة فحكي من
 وصفها حتى هم أن
 يتزوجها فقبل وانها
 مرضت فطلقها لاجحة
 لي فيها وكر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 الامراض والوجع
 كالصداع وغيره فقال
 رجل وما الصداع ما
 أعرفه فقال صلى الله عليه
 وسلم البك عني من أراد
 أن ينظر الى رجل من
 أهل النار فليتنظر الى هذا
 وهذا لانه ورد في الخبر
 الحى حظ كل مؤمن من
 النار وفي حديث

بهذا كله انه حديث مرفوع والمصنف تابع صاحب القوت فانه لم يصرح بانه وارد (وقال تعالى أو
 لا برون انهم يقتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قبل يقتنون
 بالامراض) والاسقام (يختبرون بها) كذا في القوت (ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم ينجب قال له
 ملك الموت) يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب (الا ان آتيتك بنفسى أضربك ضربة أقطع
 منك الوتين كذا في القوت) وقد رواه أبو نعيم في الحلية عن مجاهد بن عوف عن مرضه العبد الا رسول ملك
 الموت عنده حتى اذا كان آخر مرضه عرض له أناه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك
 رسول يقطع أثرك من الدنيا (وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج) منهم (عام لم يصابوا فيه بنقص
 في نفس أو مال) كذا في القوت (وقالوا) ولفظ القوت ويقال (لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروى
 روعة أو يصاب ببلية) ولفظ القوت بنسبة وزاد في كانوا يكرهون فقد ذلك في نصاب هذا العدد غير أن نصابوا
 فيه بشئ (حتى روى أن عمار بن ياسر) رضى الله عنه (تزوج امرأة فلم تكن تمريض فطلقها) كذا في القوت
 (وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض) وفي نسخة عرضت (عليه امرأة فحكي) أي ذكر (من وصفها حتى هم
 أن يتزوجها فقبل وانها مرضت فطلقها لاجحة لي فيها) كذا في القوت قال العراقي رواه أحمد من حديث
 أنس بن مالك بأسناد جيد (وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والوجع كالصداع وغيره فقال
 رجل وما الصداع) و (ما أعرفه) وفي رواية ذكر كرت الحى فقال ما أصابني قط (فقال صلى الله عليه وسلم البك
 عني من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فليتنظر الى هذا) كذا في القوت قال العراقي رواه أبو داود من
 حديث عامر الراعى أن النبي صلى الله عليه وسلم عرض (في أسناده من لم يسم اه) قلت رواه هو وأحمد من طريق أبي
 اسحق عن أبي منظور عن عمه عامر الراعى قال أتانا ببلادنا اذا رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا قالوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاقبلت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث
 وذكر البخاري في تاريخه أن أبا أويس رواه عن أبي اسحق فقال عن الحسن بن عمار عن أبي منظور وقد
 أخرج عن أبي خزيمة وابن السكيت وغيرهما الحديث من طريق أبي اسحق قال حدثني رجل من أهل الشام
 يقال له أبو منظور فهاذا علي وهم أبي أويس قال البخاري أبو منظور ولا يعرف الا بهذا (وذلك لانه ورد في
 الخبر الحى حظ كل مؤمن من النار) وهذا التعليل لا يستقيم الامع ذكر الاربعة الثانية التي ذكرتها وهي
 موجودة في القوت وسقطت من سياق المصنف ولعله من النسخ قال العراقي رواه البزار من حديث عائشة
 وأحمد من حديث أبي أمامة والطبراني في الاوسط من حديث أنس والديلمي في مسند الفردوس من حديث
 ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقها حسن ولابن ماجه من حديث أبي هريرة انه عاد مريضاً من وعك
 كان به فقال ان الله عز وجل يقول هي نارى أساطها على عبدى المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في
 الآخرة وأعله الدارقطني بان الصواب انه عن كعب اه قلت لفظ حديث عائشة عن البزار الحى حظ
 كل مؤمن من النار وقد أعله الدارقطني بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف قلت ولكن حسن المنذرى اسناده
 ولفظ حديث أبي أمامة عند أحمد الحى كبير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار قال المنذرى
 لاباس بأسناده وقد رواه أيضا الطبراني وابن مردويه وأبو بكر في الغيلانيات ولفظ حديث ابن مسعود عند
 الديلمي الحى حظ كل مؤمن من النار وحكى ليله تكفر خطايا سنة مجرمة وقد رواه كذلك القضاعى في مسند
 الشهاب وهذا قد تقدم الكلام عليه قريباً وأما حديث أنس عند الطبراني في الاوسط فروى كما تقدم وروى
 أيضا بلفظ الحى حظ أمي من جهنم وسنده كذلك ضعيف وفي الباب عن عثمان بن عفان وأبي رباحة الانصارى
 لحديث عثمان أخرجه ابن عساكر في تاريخه بلفظ الحى حظ المؤمن من النار يوم القيامة وحديث أبي رباحة
 رواه ابن البخاري في تاريخه بلفظ الحى كبير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار وفي لفظ وهي نصيب المؤمن
 من النار رواه هكذا الطبراني وابن قانع وابن مردويه والسيرازى في الالغاب وابن عساكر (وفي حديث

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشر من مرة وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأولاهم من يدا فيها من حيث رأوا التداءى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم* (بيان الرد على من قال ترك التداءى أفضل بكل حال)* فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة وانقصا عند تبخيل الدم فان قيل ان ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا (٥٣٠) عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال

وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما وباء ذريعا فاسترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلتى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نمرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشر من مرة وفي لفظ حديث (آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أقفله على أسناد قلندري الطبراني في الاوسط من حديث عائشة قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله قال يا عائشة ان شهداء أمتي اذا القليل من قال في يوم خمسة وعشرين من مرة اللهم بارك لي في اليوم وفيما بعد اليوم ثم مات على فراشه أعطاه الله أجرا شهيدا في اسناده من لا يعرف حاله (ولاشك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأولاهم من يدا فيها من حيث رأوا التداءى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم) فبمثل هذه الاسباب ترجح الاعمال بعضها على بعض ولا يكون خلاف السنة والله أعلم

(بيان الرد على من قال ترك التداءى أفضل بكل حال)

(فلو قال قائل ان التداءى انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره) اى ليجعله سنة للامة (والافهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال) على ذلك (ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة وانقصا عند تبخيل الدم) أى هيجانه (فان قيل ان ذلك أيضا شرط فيكون من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا) أى لا يزيلها (عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عليهم (في قصة الطاعون) المشهورة (فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية) وهو موضع بالقرب من دمشق (بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا) أى كثيرا (ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلتى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نمرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية) (فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منخصة والاخرى مجذبة) أى لا كلاهما (أليس ان رعى المنخصة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه (ابسأله عن رأيه) فى ذلك (وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عنى فى يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

إذا

الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه

فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منخصة والاخرى مجذبة أليس ان رعى المنخصة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عنى فى يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وسلم يقول

إذا سمعتم الوباء بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس (رواه مالك وأحمد والشيخان من حديث ابن عباس
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بصريخه أمة الأجناد أبو عبيدة بن الجراح
وأصحابه فآخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأتريين
فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمري ولا نرى أن
نرجع عنه وقال بعضهم معك بقية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء
فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع إلى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلموا سبيل المهاجرين واختلفوا
كأختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم
يختلف عليهم رجلاً فقالوا نرى أن نرجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر في الناس إلى مصبح
على ظهر فاصبحوا عليه فقال أبو عبيدة وهو ذاك أمير الشام فراراً من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا
عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرايت لو كان لك ابل كثيرة فهبطت وادباله عدوتان
احدهما من خصبة والآخرى جديبة أأستان رعت في الخصبة رعتيها بقدر الله وان رعتيها في الجديبة رعتيها
بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيثاً في بعض حاجاته فقال ان عندي من هذا العلم سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً
منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف زاد ابن خزيمة في صحيحه بالناس وذكر سيف في الفتوح عن مشايخه ان
الطاعون وقع بالشام في الحرم وصفر ومات فيه الناس ثم ارتفع فكتبوا إلى عمر بذلك فخرج حتى إذا كان
قريباً من الشام بلغه انه كان أشد ما كان فقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بأرض
فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا عليكم فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون منها قلت أما حديث
عبد الرحمن بن عوف المتقدم فقد روي أيضاً من حديث أسامة بن زيد ورواه الطبراني والبيهقي ومن حديث
سعد بن أبي وقاص ورواه الطيالسي والبراز وقد وردت أخبار كثيرة موافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف
وفي لفظ من حديث أسامة الطاعون بقية رجلاً وعذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا وقع
بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تهبوا عليه هكذا رواه الشيخان
والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة وفي رواية لمسلم الطاعون آية الرجز ابتلى الله به أناساً من عباده فإذا
سمعتم به فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفرروا منه ورواه الطبراني بلفظ الطاعون ببلد
وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تدخلوا عليه ورواه أحمد والطبراني والبيهقي وابن
قانع من حديث عكرمة بن خالد عن أبيه أو عمه عن جده إذا وقع الطاعون في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وان
كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها وأما الآية التي استدلل بها بعض الصحابة وهي قوله تعالى ألم ترالى الذين خرجوا
من ديارهم الآية قال السكبي كانوا ثمانية آلاف وقال قتادة وقع الطاعون فخرج منهم الثلثان وبقي الثلث ثم
أصابهم نفر جوا كلهم فاما نهم الله عقوبة وقال الحسن ما نوا قبل آجالهم ثم أحياهم إلى آجالهم وقيل ان
خروجهم كان لغير ذلك قال الزخشري ومن بديع التفسير ان معنى ألوف أى قلوبهم مؤلفة انما خرجوا فراراً
وانه جمع ألف مثل شهود وشاهد وقال الفخر الرازي يمكن أن يكون المراد ان كل واحد منهم آلفاً لحياته محباً
له هذه الدنيا (فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من
شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل
غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن

إذا سمعتم بالوباء في أرض
فلا تقدموا عليه وإذا وقع
في أرض وأنتم بها فلا
تخرجوا فراراً منه ففرح
عمر رضي الله عنه بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق
رأيه ورجع من الجابية
بالناس فاذا كيف اتفق
الصحابة كلهم على ترك
التوكل وهو من أعلى
المقامات ان كان أمثال
هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهى عن
الخروج من البلد الذي
فيه الوباء وسبب الوباء
في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار
من المضر والهواء هو
المضر فلم يرخص فيه
فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير
منهي عنه إذا نجامة
والغصد فرار من المضر
وترك التوكل في أمثال
هذا مباح وهذا لا يدل
على المقصود ولكن

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى (٥٣٢) أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة (وغيره) ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخص غالباً من الاثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرق والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضاً للتوكل ولم يكن منهيًا عنه ولكن صار منهيًا عنه لانه انضاف اليه أمر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعدين (ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم بانفسهم فيكون ذلك) الخروج (سعيًا في اهلاكم تحقيقًا وخلاصهم منتظرًا كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعًا بخلاص وهو قاطع في اهلاكم الباقين والمسلمون كالبنين يشد بعضهم بعضًا) وقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي موسى والراهمري في الامثال من حديث أبي هريرة وأبي سعيد المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا (والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه تداعى اليه سائر الجسد بالجى والسهرو في لفظه المسلمون كرجل واحد ورواه أحمد وأبو نعيم في الحلية بلفظ ان اشتكى رأسه اشتكى كله ورواه الراهمري في الامثال بلفظ المسلمون كالرجل الواحد ان اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده وقدرى نحوه من حديث سهل بن سعد المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كأيام الجسد لما في الرأس رواء ابن المبارك وأحمد والرويانى والطبرانى وأبو نعيم في الحلية والضياء (فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعاليى) اعلم أن بعض أهل العلم ذكر ان النهى عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فرار منه أمر تعبدي لا يعقل معناه اذ الفرار من المهالك مأمور به وقد صح النهى هنا فكان السرفيه لا تعلم حقيقته فالاولى فيه التماسك والامتناع * وذهب كثيرون الى التعليل وذكر ذلك حكيمًا مناسقًا المصنف هنا وحاصله انهم لو تواردوا على الخروج لبقى من وقع به عاجزًا عن الخروج فضاعت مصالح المرضى لفقدهم والموتى لفقدهم بجهازهم ولما بقي خروج الاقوياء من كسر قلوبهم لاقدرة لهم على الخروج ومنها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع فيه فاذا وقع والشخص بها فالظاهر مداخلة سببه له فلا يفيد الفرار منه بل ان كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس ولهذا رجع ان تصرفات الصحح في البلد الذي يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت ومنها ان الخارج يقول لولم أخرج لمات ويقول المقيم لو خرجت كما خرج فلان

بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعاليى النهى لسلامت

اسلمت فيقع في الاوالمتهى عنها ولهذا قال ابن عبد البر وروى عن ابن مسعود ان الطاعون فتنه للمقيم والخارج ومنها زعم بعض أهل الطب ان الذي يقع به الوباء تنكيف أو واح أهله بكيفية هواء تلك الاماكن وتألفها أمر جهم وتصير لهم بمنزلة الاهوية الصحيحة لغيرهم فاذا انتقلوا الى الاماكن الصحيحة الهوا لم يوافقهم بل اذا الهوا الصحيح استعجب معه الى القلب ما يجده من الابخرة الردية التي حصل تنكيف بدنه بها فيصل الى القلب فيقع ذلك المرض الذي فرمنه فتمنع من الفرار منه من هذه الحبيثة وهذا فيه نظر والمتقدم ما تقدم (وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم) في تعهد مرضاهم وموتاهم أي فليس له الدخول في ذلك البلد (نعم لو لم يبق في البلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا) نظرا الى اقتقادهم (لأجل الاعانة) لهم (أولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على راء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم) قال العراقي رواه أحمد بن حنبل حديث عائشة بأسناد جيد ومن حديث جابر بأسناد ضعيف وقد تقدم اه قلت أما حديث عائشة فلفظه عنده الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفارم منها كالفار من الزحف ورواه ابن عدي والطبراني في الاوسط بافظ الطاعون شهادة لأمي ووخراً عداكم من الجن يخرج في آباط الرجال مرافها الفار منه كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد ورواه هو أيضا وعبد بن حنبل وابن خزيمة بافظ والصابر فيه كالصابر في الزحف (فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد يكثر في مثل هذا وانما شرف العلم وفضل لأجل ذلك) ثم اعلم ان العلماء اختلفوا في أن ينهى عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم أو هو للتنزيه على قولين وربما استدلل من قال انه ينهى تحريم في بعض طرق الخبر السابق والفارم منها كالفار من الزحف قال ابن عبد البر الطاعون موت شامل لا يحل لأحد أن يفر من أرض تزل فيها اذا كان من ساكنها ولان يقدم عليه اذا كان خارجا عن الأرض التي تزل بها وقال التاج السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون مذهبنا وهو الذي عليه الاكثر انه للتحريم قال وقال بعض العلماء هو للتنزيه وانفق على جواز الخروج لشغل عرض غير الفرار قال وليس محل النزاع فيمن خرج فارا من قضاء الله تعالى فذلك لا سبيل الى القول بانه غير محرم بل الظاهر ان محل النزاع فيما اذا خرج للتداوي ورد عليه الحافظ ابن حجر في بذل المساعون بأن هذا ليس بظاهر لان الخروج للتداوي ليس حراما في مذهب الشافعي وجاعة وهو قد صحح ان الخروج حرام فكيف يجعل محله ما اذا خرج للتداوي والخروج للتداوي ليس بحرام بل العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما اذا خرج فارا من المرض الواقع مع اعتقاده انه لو قدره الله عليه لأصابه وان فراره منه لا ينبغي من قدر الله لكن يخرج مؤملا أن نجو قال الحافظ واحتج من أجاز الفرار بأمور * الاول قال الطحاوي بعد ان أورد حديث لا يورد مريض على معص ذهاب قوم لهذا وقالوا انما كره ذلك مخافة الاعداء وأقروا باجتناب ذي الداء والفرار منه واحتجوا برجوع عمر من سرغ بسبب الطاعون خشية أن يعديه من دخل عليه ثم أجاب الطحاوي بان الامر بترك القدوم عليه ملو كان للخوف من أن يعدي كان لاهل الموضع الذي وقع فيه أيضا الخروج فلما منعوا ثبت ان المعنى الذي منعوا من القدوم عليه غيره وهو خوف أن يصيبه بتقد بر الله فيقول لولا اني قدمت هذه الأرض لما أصابني فامر أن لا يقدم جسمها للمادة وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي تزل بها البلاء ليسلم فيقول لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها ولعله لو كان أقام بها ما أصابها من ذلك شيء فامر بترك القدوم على الطاعون للمعنى الذي وصفنا * الثاني قال التاج السبكي احتجوا بالقياس على الفرار من الأسد والعدو الذي لا يقدر على دفعه فان الكفار وقطاع الطريق اذا قصدوا من لا طاقة لهم بهم جاز التخلي من بين أيديهم ونقل فيه الكمال الهراسي الاتفاق فقال لا نعم خلافا في الجواز وان كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص والجواب ان السلامة من الأسد والعدو

وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على راء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك

فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف (٥٣٤) على نفسه طغيان العاقبة وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج

الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضعهفه عن الجمع قال هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوى

وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب

وفتداه فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عند وجود

نادر والهلاك معهما كالتيقن فصار كالتقاء الانسان نفسه في النار بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به الطاعون فان السلامة فيه كثيرة وان لم تكن غالبية * الثالث القياس على الخروج من الارض المستوحشة كقصة العربيين والجواب ان ذلك من باب التداوى وترك ما لا يوافق المريض من الاغذية والاهوية في تأثير المرض فكان الخروج من الارض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوى قال التاج السبكي وعندى في هذا الجواب نظر قال الحافظ ابن حجر كان وجهه لقائل أن يقول ان الطاعون أيضا ينشأ من فساد الاهوية فالخروج من البلد الذي يقع بها ينبغى أن يكون جائزا مطلقا كما جاز للعربيين وهذا يمتشى على القول بان الطاعون من طعن الجن والحق ان خروج العربيين لم يكن لقصد الفرار أصلا وانما كان لمحض التداوى كما تقدم عن الطحاوى وكان خروجهم من ضرورة الواقع لان الابل ما كان تنهيا أقامت في البلد وانما كانت في مراعيها ودواؤهم كان بالبانهم أو أبو الهوا وسنة شاق تلك الرايح فكان الخروج عن البلد ضمنا لا مرسحا تحقيق الوجود بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون الى بلد آخر فانه خروج اليه بالقصد لا مرسحا اذ لا يؤمن من وقوع الطاعون في البلد الاخر * الرابع قال الزركشي احتجوا بالقياس على الفرار من المجدوم فروى البخاري من حديث أبي هريرة وفروى من المجدوم كما تفر من الاسد والجواب من وجهين أحدهما قال ابن الصلاح تبعا لغیره جامع بين ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو لا يورد مريض على مصح وحديث فروى المجدوم فرارك من الاسد مع حديث لا عدوى ان هذه الامراض لا تعدى بطبعها ولكن الله تعالى جعل مخالطة المريض بها للمصح سببا لعدائه مرضه ثم قد يخلف ذلك عن مسيبه كسائر الاسباب فانهم اذ كره ابن خزيمة والطحاوى وأصله لابي عبيدة القاسم بن سلام وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لوانى ما أورده عليه لم يصبه من هذا المرض شي والواقع انه لو لم يورده لاصابه بتقدير الله عليه فنهى عن ابراده لهذه العلة التي لا يؤمن على الناس غالبا من وقوعها في قلوبهم والله أعلم (فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العاقبة وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضعهفه عن الجمع) بين الشغلين (قال هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوى) وقد مر بيان ذلك تفصيلا (وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدتها) فعدمها كوجودها ووجودها كعدمها فان شاء تلبس بها (فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب) فهو مشغول به عن الاسباب وان شاء تركها العلم بقيام الحق عليه كفيلا (ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا) وتحدعه كيف (وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها) هذا تقدم بلفظ عرضت عليه مفتاح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

المشاهدة

المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء

المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره

الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

استعمال الدواء جرياً على سنة الله تعالى وتزجيها
 سنة الله تعالى وتزجيها
 لامتته فيما تمس اليه
 حاجتهم مع انه لا ضرر
 فيه بخلاف ادخال الاموال
 فان ذلك يعظم ضرره
 نعم التداوى لا يضرك
 من حيث رآه الدواء
 نافعاً دون خالق الدواء
 وهذا قد نهى عنه من
 حيث انه يقصده الصحة
 ليستعان بها على المعاصي
 وذلك منهى عنه والمؤمن
 في غالب الامر لا يقصد
 ذلك وأحدهم المؤمنين
 لا يرى الدواء نافعاً بنفسه
 بل من حيث انه جعله
 الله تعالى سبباً للنفع كما
 لا يرى الماء مرياً ولا
 الخبز مشبعاً فكذلك
 التداوى في مقصوده
 كحكم المكسب فانه ان
 اكتسب للاستعانة على
 الطاعة أو على المعصية
 كان له حكمهما وان
 اكتسب للتنعم المباح فله
 حكمه فقد ظهر بالمعاني
 التي أوردناها ان ترك
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض الاحوال وأن
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض وأن ذلك
 يختلف باختلاف
 الاحوال والاشخاص
 والنيات وان واحداً
 من الفعل والترك ليس
 شرطاً في التوكل الا ترك

المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله وتزجيها الامته فيما تمس اليه حاجتهم) من
 الضروريات مع انه لا ضرر فيه لانه من أمور الآخرة (بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم
 التداوى لا يضرك الا من حيث رآه الدواء نافعاً دون خالق الدواء وهذا أمر منهى عنه ومن حيث انه يقصده
 الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهى عنه) وكذلك اذا كان يستعان بالصحة على البطالة واضاعة العمر
 في الفضول فهذا أيضاً قد نهى عنه (فالؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحدهم المؤمنين لا يرى الدواء نافعاً
 بنفسه بل من حيث انه جعله الله سبباً للنفع كما لا يرى الماء مرياً ولا الخبز مشبعاً فكذلك التداوى في مقصوده
 كحكم المكسب فانه ان اكتسب للاستعانة حتى على الطاعة أو على المعصية كان له حكمهما وان اكتسب للتنعم
 المباح فله حكمه) قال صاحب القوت والاصل في التداوى وتركه ان المتوكل قد علم في توكله ان العلة وقتاً اذا
 انتهت اليه برأ العليل باذن الله تعالى لا بحاله ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاؤه في عشرة أيام وان
 لم يتداوأرأه في عشرين يوماً فيه ترخص العليل باباحة الله له فيقطع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أسرع
 لشفاؤه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفي وان التداوى بعينه لا ينفع لان الله تعالى هو الشافي
 وهو النافع فالشفاء والنفع فله به يده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعل الا اذا كانت
 العقاقير مطبوعة بمجولة تجبولة على خلقة الخلق لاجل الاسباب فيها وجعلها لاجل الجعل فيها والخاصة منها ليس من
 عمل المتطبيب وان كان يعمل بهم او يجمع بينهم بين العليل لانه أظهر على يده سبب الرقة فان الله تعالى خالق جميع
 ذلك وفاعله وكذلك أيضاً عند العارفين الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كيان المال لا يغني والعدم لا يفقر لان
 الله سبحانه هو المطعم المسقى كهو المشبع المروي كما هو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والري
 في المطعم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر بحكمته ورحمته كما ان الله عز وجل هو المجمع المظمئ فيدخل
 الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيدهما بما أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار
 ويدخل النهار على الليل فيقلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهب به سواء هذا عند الواحد من من صفة
 الليل والنهار ومن العلى والادوية بتسليط الشئ على ضده فيزيله بغلبة قهره باذنه فالعلم به هذه المعاني عقد هو
 الايمان والشهادة لها قائمة به وجداء هو اليقين والشرك في هذه الاشياء في العوام أخفى من ديبب النمل
 على الصفا والموقنون الصحيح والتوحيد من جميع ذلك برآء فان تعجل العليل البرء بالتداوى كان ذلك بقضاء
 الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان ناوياً في تداويه واستجبال شفاؤه الطاعة لمولاه والقيام
 بين يديه للخدمة كان مثاباً على ذلك فاضلا فيه غير منقوص في مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه
 والنعيم بالعوا في فان ذلك باب من أبواب الدنيا ودخول فيما ابغ منها وهو يخرج من فضيلة التوكل وحقيقته
 بمقدار ما ينقصه من الزهد في الحياة والنعيم وان أراد باستجبال العوا في قوة النفس لاجل الهوى والسمي
 في مخالفة المولى كان مأزوراً بسوء نيته ووجود عزمته ويخرج من المباح الى الحظر وذلك يخرج من حد
 التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا وموتها وان كانت نيته في تعجيل العوا في النصرف للمعاش
 والتكسب للانفاق أو الجمع نظرياً شأه فان كان بسعي في كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجحاف
 لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو عليه مأجور ولا يخرج من التوكل وان كان
 بسعي في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق الحق هذا بالطبقة الثالثة من العاصين وهذا
 من أكبر أبواب الدنيا وما بعده من المولى فهذه نيات الناس في التداوى المحمود والمذمومة (فقد ظهر
 بالمعاني التي أوردناها ان ترك التداوى قد يكون أفضل في بعض الاحوال وان التداوى قد يكون أفضل في
 بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحداً من الفعل أو الترك ليس
 شرطاً في التوكل الا ترك الموهومات) التي هي (كالكسب والرفق فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين)
 والله الموفق

الموهومات كالكسب والرفق فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

* (بيان أحوال المتوكلين في اظهار المرض وكنمائه) * اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانها سلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار (٥٣٦) ثلاثة * (الاول) * أن يكون غرضه التدلوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لاني معرض

الشكاية بل في معرض الحكاية لما طهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه وكان أحمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (الثاني) أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا جدد المرض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تابع به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز وروى انه قيل لعلي في كيفية أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال علي (أتجدد على الله فاحب أن يظهر) لهم عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثيرا قال الشورى انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري أضي الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الي من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبه هذا كما حتى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

* (بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكنمائه) *

(اعلم) ونقل الله تعالى (أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبراني وابن عساکر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى قلت وفي لفظ للطبراني ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو من أعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمانها سلم عن الآفات) ولفظ القوت ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلمه على معنى التحدث بهم مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا بالقضاء راضا أو يكون بذلك مظهر للمحجز والافتقار بين يدي مولا أو راغب في دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بهم انشر الشكر (فقد كان) أبو نصر (بشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه) فيصف له أشياء (و) قيل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يخبر) الطبيب (بامراض يجدها) ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (تقدم) قري بالله كان ممن يكتم الامراض فلا يخبر بها أحد فاعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحد غير الطبيب وهو محمول على اختلاف الاحوال والاوقات (الثاني) ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به) بان كان اماما يستمع اليه وتقتبس منه الآثار (وكان مكينا في المعرفة) يخبر بعلمه وقلبه راض عن الله فيما قدره (فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم) أي يكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله تعالى (قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (اذا جدد المرض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى) نقله صاحب القوت (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز (لما روى أنه قيل لعلي كرم الله وجهه) وهو (في مرضه) كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال علي (أتجدد على الله فاحب أن يظهر) لهم عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثيرا قال الشورى انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري أضي الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الي من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبه هذا كما حتى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

انه شكاية فقال أجدد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة وتأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم (اياه) حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل له العافية فهم هذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

فان خلت عن قرية السخطا وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى لتاثره
لانه ربما يوههم الشكاية) من الله تعالى (ولانه ربما) لا يؤمن من دخول الآفات عليه في الاخبار بان (يكون
فيه تصنع وتزيف في الوصف على الموجود في العلة) وغير ذلك (ومن ترك التداوي توكل فلا وجه في حقه للاظهار
لان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الافشاء) ولفظ القوت لان في الشكوى استراحة للنفس
من البلى والاستراحة بالدواء الذي هو اباحة المولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى (وقد قال بعضهم
من بث) أي أظهر ما يلي به (لم يصبر) أي لم يكن من الصابرين فان الصبر يقتضي عدم البث قلت وهذا قدرى
مرفوعا روى عبد الرزاق وابن جرير عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود رفعه مثله ورواه ابن المنذر وابن
مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله ورواه ابن مردويه من
حديث عبد الله بن عمر مثله وروى ابن عدى والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من كنو ز البركتان
الصدقة وكنهان المصيبة ومن بث لم يصبر (وقيل في قوله تعالى فصبر جميل) والله المستعان قال (لا شكوى
فيه) كذا في القوت روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال الصبر الجميل الذي ليس فيه الشكوى الا الى الله عز وجل
وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبان بن أبي جيلة قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال ليس فيه جزع (قيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب
بصرك) وحكى ظهرك (قال مر الزمان وطول الاحزان) قال (فاوحى الله اليه تفرغت بشكواي) وفي نسخة
تشكواي (الى عبادي) وفي نسخة الى خالي (قال يارب أتوب اليك) هكذا في القوت وروى عبد الرزاق وابن
أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت ان يعقوب
عليه السلام كان قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخرقه فقل له ما بلغ بك هذا قال طول
الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوى قال خطيئة أخطأتها فاعزلى وروى ابن أبي حاتم
عن نصر بن عزلى قال بلغني ان يعقوب عليه السلام لما طال خزنه على يوسف ذهب عيناه من الحزن فجعل العواد
يدخلون عليه فيقولون السلام عليك يا نبي الله كيف تجدك فيقول شيخ كبير قد ذهب بصري فاوحى الله اليه
يا يعقوب شكوتني الى عوادك قال أي يارب هذا ذنب علمته لا أعود اليه فلم يزل بعد يقول انما أشكواي وخزني
الى الله وروى اسحق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ
والطبراني في الاوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان ليعقوب عليه السلام
أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي أذهب بصري
فالبكاء على يوسف واما الذي قوس ظهري فالخزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله
عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي تشكوى الى غيري فقال يعقوب انما أشكواي وخزني الى الله
فقال جبريل الله أعلم بما تشكوا الحديث (وروى عن طاوس ومجاهد) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين
(انهما قال لا يكتب على المريض انينه في مرضه) كذا في القوت قلت وقد روى هذا مرفوعا من حديث علي يكتب
أنين المريض فان كان صابرا كان أنينه حسنا وان كان أنينه جوعا كتب هالوعا لأجرله ورواه أبو نعيم
(وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى) ولفظ القوت يدل على الشكوى (حتى قيل
ما أصاب ابليس لعنه الله من أتوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فجعل الانين خطه) أي خط الشيطان (منه)
كذا في القوت وهذا اذا كان جوعا وتسخطا وكرهية لما قدره الله تعالى عليه كما فهم ذلك من حديث علي السابق
لاما طلق الانين فان المريض قد يضطر اليه وهو مع ذلك راض بقلبه مطمئن النفس بما قدره الله عليه صابر غير
متسخط كيف وقد ورد أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على الفراش عبادة وتقبله من
جنب الى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله يقول الله سبحانه ملائكتنا كتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل
في صحته فاذا قام ثم مشى كان كن لا ذنب له ورواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة وقالوا له معروفون

فان خلا عن قرية
السخطا وعن النيات
التي ذكرناها فلا يوصف
بالتحريم ولكن يحكم
فيه بان الاولى تركه
لانه ربما يوههم الشكاية
ولانه ربما يكون فيه
تصنع وتزيف في الوصف
على الموجود من العلة
ومن ترك التداوي توكل
فلا وجه في حقه للاظهار
لان الاستراحة الى الدواء
افضل من الاستراحة
الى الافشاء وقد قال
بعضهم من بث لم يصبر
وقيل في معنى قوله فصبر
جميل لا شكوى فيه وقيل
ليعقوب عليه السلام ما
الذي أذهب بصرك قال
مر الزمان وطول الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه
تفرغت لشكواي الى
عبادي فقال يارب أتوب
اليك وروى عن طاوس
ومجاهد انهما قال لا يكتب
على المريض انينه في
مرضه وكانوا يكرهون
أنين المريض لانه اظهار
معنى يقتضي الشكوى
حتى قيل ما أصاب ابليس
لعنه الله من أتوب عليه
السلام الا أنينه في مرضه
فجعل الانين خطه

وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظر اما يقول
لعواده فان جد الله واثنى عليه بخير دعواله فان شكوا ذلك تكون) ولفظ القوت انظر وا
ما يقول عبدي لعواده فان جدني واثنى علي بخير دعواله وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني
في الغرائب وابن مخرم في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظر اما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه جد الله تعالى رفعا ذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا
توفيتي اذ دخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا) وانما كره بعض العباد العباد خشية الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق
بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (وهيب) بن الورد المكي
(وبشر) بن الحرث الخافي رجهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عواد) رواه أبو نعيم في
الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البرائي حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال)
أيضا (لا أكره العلة الا لاجل العواد) ولفظ القوت ما أكره العلة الا لاجل العباد وبه تم كتاب التوحيد
والنوكل وشرحه بمئة الله وحسن عونه وتوفيقه ولتختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت
وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضر وبه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال ابراهيم الخواص من صم فوكله في نفسه صم
توكله في توكله وقال بشر الخافي يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله مرضى بما يفعل الله
به وبسنده الى الكافي سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب
بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضر بنا لاجله برانا وقال الحسين بن
منصور والحلاج المتوكل الحق لا يأكل وفي البلدان هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله
بلا علاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها
علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فن ايسر له رزق على الله فاطرده
عنه وبسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشا فقلت جني أم انسى فقال جني
فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال لا اخذ
من الله وبسنده الى أبي حمزة قال اني لاستهي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا
يكون شبعي على الشبع زادا أنزده وسئل جردون عن التوكل فقال تلك حالة لم يبلغها بعد فكيف يتسكلم في
التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فقد قدمت القافلة فرأيت قداحي واحدا
فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في
جيبها فخرجت عشرين درهما فقلت خذها وامكثي حتى تلحق القافلة لتكثري بها ثم اتيتني الليلة حتى أصلي
لأن أمرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دراهم من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من
الجيب وأنا أخذت الدراهم من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول الا شربة من ماء زمزم فضى
عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما رأيت لو غارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا
حيث أردتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حذنا
حسن المراعاة فقال له هل لك في الحبة فقلت اني أجوع فقال ان جعت معك فبقينا أو بعة أيام ففتح علينا
بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أن لا آخذ ذو اسطة فقلت يا غلام دفعت فقال يا ابراهيم لا تبهرج فان الناقذ بصير
مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن تدع عليك موارد الفاقات فلا تسهم نفسك الا الى من اليه السكيات وسئل
الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على
استقاط الطمع لباس عمافي أيدي الناس وقيل جامع الثوري في البادية فتهف به هاتف أيما أحب اليك سبب

بالثقة الاحسين بن أحمد البخاري فانه مجهول (وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظر اما يقول
لعواده فان جد الله واثنى عليه بخير دعواله فان شكوا ذلك تكون) ولفظ القوت انظر وا
ما يقول عبدي لعواده فان جدني واثنى علي بخير دعواله وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني
في الغرائب وابن مخرم في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظر اما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه جد الله تعالى رفعا ذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا
توفيتي اذ دخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا) وانما كره بعض العباد العباد خشية الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق
بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (وهيب) بن الورد المكي
(وبشر) بن الحرث الخافي رجهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عواد) رواه أبو نعيم في
الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البرائي حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال)
أيضا (لا أكره العلة الا لاجل العواد) ولفظ القوت ما أكره العلة الا لاجل العباد وبه تم كتاب التوحيد
والنوكل وشرحه بمئة الله وحسن عونه وتوفيقه ولتختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت
وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضر وبه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال ابراهيم الخواص من صم فوكله في نفسه صم
توكله في توكله وقال بشر الخافي يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله مرضى بما يفعل الله
به وبسنده الى الكافي سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب
بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضر بنا لاجله برانا وقال الحسين بن
منصور والحلاج المتوكل الحق لا يأكل وفي البلدان هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله
بلا علاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها
علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فن ايسر له رزق على الله فاطرده
عنه وبسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشا فقلت جني أم انسى فقال جني
فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال لا اخذ
من الله وبسنده الى أبي حمزة قال اني لاستهي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا
يكون شبعي على الشبع زادا أنزده وسئل جردون عن التوكل فقال تلك حالة لم يبلغها بعد فكيف يتسكلم في
التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فقد قدمت القافلة فرأيت قداحي واحدا
فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في
جيبها فخرجت عشرين درهما فقلت خذها وامكثي حتى تلحق القافلة لتكثري بها ثم اتيتني الليلة حتى أصلي
لأن أمرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دراهم من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من
الجيب وأنا أخذت الدراهم من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول الا شربة من ماء زمزم فضى
عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما رأيت لو غارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا
حيث أردتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حذنا
حسن المراعاة فقال له هل لك في الحبة فقلت اني أجوع فقال ان جعت معك فبقينا أو بعة أيام ففتح علينا
بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أن لا آخذ ذو اسطة فقلت يا غلام دفعت فقال يا ابراهيم لا تبهرج فان الناقذ بصير
مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن تدع عليك موارد الفاقات فلا تسهم نفسك الا الى من اليه السكيات وسئل
الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على
استقاط الطمع لباس عمافي أيدي الناس وقيل جامع الثوري في البادية فتهف به هاتف أيما أحب اليك سبب

أو كفاية فقال الكفاية ليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوماً لم يأكل وبسنته إلى الحسن الخياط قال كنت عند بشر الخافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله لكم فقالوا تخرج معنا قال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل من أحد شيئاً وإن أعطانا أحد لا نقبل فقالوا إيمان لا نحمل فتحم وإيمان لا نسأل فتحم وإيمان لا نقبل إن أعطينا فهذا ما لا نستطيع فقال أخرجتم متوكلين على زاد الحجاج وقيل لحبيب العمري لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة وقيل من وقع في ميدان التفويض برف إليه المراد كما ترف العروس إلى أهلها والفرق بين التفويض والتضييع أن التفويض في حقك وهو محمود والتضييع في حق الله وهو مذموم انتهى ما في الرسالة وقال صاحب القوت حدثنا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة فقلت أي الأعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل وقصر الأمل وفي وصية لقمان ومن الإيمان بالله التوكل على الله وإن التوكل يحبب العبد إلى الله وإن التفويض إلى الله من هدى الله ويهدي الله يوافق العبد رضوان الله ومن موافقة العبد رضوان الله يستوجب كرامة الله وكان سهل يقول العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حدود ولا غاية ينتهي إليه وقال التوكل واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان وقال التوكل هو التفويض ثم الرضا وكان الحسن يقول الغنى والعز يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا به وطناه وفي هذا المعنى قيل

يجول الغنى والعز في كل موطن * ليستوطن قلب امرئ إن توكل

ومن يتوكل كان مولاه حسبه * وكان له فيما يحاول معقلاً

إذا رضيت نفسي بمقدور حفظها * تعالت وكانت أفضل الخلق منزلاً

ويقال إن الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق فإن ذلك من قلة الفقه عن الله وضعف التوكل عليه وقال ابن يعقوب السوسي المتوكل إذا رأى السبب أودم أو مدح فهو مدح لا يصح له التوكل وقال الخواص التوكل هو الاكتفاء بعلم الله فبك من تعلق القلب بسواه وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله استغنيت به عن علي ما أنانيه فاستغنيت بقوله تعالى وإن يسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله قلت إن أراد أن يضرنى لم يقدر أحد أن ينفعني وإن أعطانى لم يقدر أحد أن يمنعني وقوله سبحانه فاذكروني أذكركم فاستغنيت بذكرك عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فإني الله ما هممت برزقي منذ قرأتها فاسترحمت وقال سهل ليس مع الإيمان أسباب إنما الأسباب في الإسلام يعني ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها وانغماس في الطمع في الخلق يوجد في مقام الأسباب فقال المتوكل سكوت القلب عن الاستشراك وقطع الهم عن التطلع لما بأيديهم وعكوف القلب على المدبر الحق مشغول الفكر بقدرة المقدر لا يحمله عدم الأسباب على ما حذرته العلم عليه وذمه ولا يمنع أن يقول الحق وإن يعمل به أو يوالي في الله ويعادى فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعاً منهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا يدخله طوارق الحاجات ونوازل الضرورات في الانحطاط في أهواء الناس والميل إلى الباطل أو في السكون عن حق إن يلزمه أو يوالي عدواً أو يعادى ولي البرى بذلك حاله عندهم أو بشكر بذلك ما أسدوه إليه بالكف عنهم ولا يرى الصنعة التي قد عرف بها القوة نظره إلى الصانع ولا يتصنع لصنع دخيلة لعله يسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يسكن إلى عادة عن خلق ولا يثق بمعتاد من مخاوف إذا يقن برزقه وضربه ونفعه من أحد فهذه المعاني من فرض التوكل فإن وجدت في عبد خرج بها من حد التوكل دون فضائله ويدخله في ضعف اليقين وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الأسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعلوا في مفارقة الأوطان وفي التغرب عن الأمصار والآلاف والآلاف فاخرجوا ذلك حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق إليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم

وخالفوا علماء الظاهر الى علوم الباطن ومقتضى مشاهدتهم ومواجيد حالهم ثلاث سكن قلوبهم الى غير الله ولا تقف همهم مع السلوى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا سكنا سواه ولا يسكنون الى هوى النفس فيخذعوا بسكونهم عن سكون القلب فيسي ذلك عقولهم ويوهن عزيمتهم ويضعف يقينهم الذي هو الاصل فيخسر وارأس المال ونفوسهم حقيقة الحال فاذا برجعون وبأى شهادة يقومون

(فصل) وقال بعضهم التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لاجله يكفي أو يعافى فجعل نظره حال توكله علتسه لان توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خال ويقوم له بشهادة منه بلامل ولا يكون بينه وبين الوكيل شئ ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضا الذى هو طريقه وجاء رجل الى بشر الحافى فقال انى قد عزمت على السفر الى الشام وليس عندى زاد فأتى فقال يا هذا اخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ماليس لك عمل مالك وشكار جل الى الفضيل حاله فقال يا هذا أمد برا غير الله تريد وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى وقد رفها أقواته ساخلق الارزاق قبل الاجسام بالفي عام فالتوكل لا يطالب مولاه برزق غد كذا لا يطالبه مولاه بعمل غد ويقال من اهتم برزق غد فهو خطيئة تكتب عليه وقال الثورى الصائم اذا اهتم فى أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وكان أبو سهل يقول لنقص ذلك من صومه وقال أعرف فى البصرة ٣ بقرة يغدى على مولاهم برزقهم من الجنة وعشائرون منازلهم من الجنة وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لم نواقل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باى شئ تنعشى واذا تعشوا قالوا باى شئ تغدى وقال مرة لم يكن لى من التوكل والرضا نصيب فهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقهما لا يصلح رسمه فى كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاها كمن باعها ياهاهم ٣ فزهدوا فى كون كن لاجل كان توكله على كينونة الكينونات وحياء منه ان يعارضوه فى قدرته أو ينازعوه فى ملكه أو يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه فى كونه لان تدبيره عندهم أحكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشد اجلالا مما نقدر نحن ونعلم

(فصل) قال سهل فى معنى قول الله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت يحو الاسباب من قلوب العارفين ويثبت القدرة ويحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب فى صدورهم وقال خلق الله النفس متحركة ثم أقرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا هو خصوص وان تركها تحركت بطبعها وهذا هو الخذلان وكان الخواص يفرق بين العموم والخصوص بوجود الحركة والسكون فقال القلوب على حالين فمن دامت حركته وسعته كان موصوفاً بنفسه لغلبة شاهد النفس عليه لقوله تعالى وكان الانسان عجولا ومن دام سكونه كان موصوفاً بالحق لغلبة شاهد الحق فى سكينته لقوله تعالى لا يذ كر الله تطمئن القلوب وقال النهر جوى فى معناه قلوب الاولياء مواضع المطالع لا تتحرك ولا تنزعج بل تطمئن خوفاً ان يرد عليه من حاجة مطالعة فتجده مترسماً بسوء الادب وقال بعض أهل المعرفة فى تأويل قوله تعالى ورزق بك خير وأبقى قال هو التوكل لانه أبقى للعبد من الطالب وخيره من السعي والتعب وروى ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ادرك لى لطف الفطنة وخفى اللطف فأنى أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذباية فاعلم انى وقعتنا فسلانى أرفعها قال وما خفى اللطف قال ان أتتك فولة مسوسة فاعلم انى ذكرك بها وكان الخواص يقول من رجع عند الشدايد الى سبب أو علاج يستشفى به أو حركت رهبة المخلوقين صفته فقد برئ من خصوص التوكل وبقي مع عمومهم وقال السرى رحمه الله تعالى ثلاث يستبين بهن اليقين بالخوف موطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل ايماناً من اذارضى لم يختر جه رضاه الى باطل واذا غضب لم يختر جه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ماليس له وقدر وى ذلك مستند فهذه أوصاف المتوكل وهى علامة حسن اليقين وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام يا بنى يستدل على تقوى العبد بثلاث حسن توكله فيما يأتيه وحسن رضاه فيما أتاه وحسن صبره فيما فاته

*** (فصل) *** لا يضر التصرف والتكسب من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص حاله اذا أحكم فيه معنيين النظر الى الوكيل في أول الحركة فيكون متحركاً به والرضا في الحكم بعد التصرف فيكون مطمئناً به وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال فان كان حال المتوكل التصرف فيما قدر وجهه فيه دخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في تصرفه معتمد عليه واثق به في حركته مكتسب فيما يقبله فيه ولاه متيقن فيما يسببه له ويوجهه فيه وكياله وهو عالم باذن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه تجتمع الخلق بجانبه غير متشتت بتفرق همه متبع للسنة والاثر تارك للترفعة والنعمة فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فساكنها وسكن الى سكون نفسه في بطلانها وفراغها من هم الآخرة طلباً لراحتها ومن دخلت عليه الآفة في ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين واقتطع فليقعده عن الاكتساب ومن اعتل بالتكسب فليداو بتركه ومن صح فيه وأوجب الحكم فليكتسب والتكسب خير من التشرع الى الخلق ومن الطمع فيهم واعتباد المسألة وسالكه على طريقه فهو يصل وان كان في طريقه بعد التوكل اذا اعتدبه واقتطع عن أربه ناظر الى الوكيل منتظر للوارد متفرغاً للفوائد أفضل اذ صح في ذلك وصدت حاله واستقام عليه فهو طريق قريب وسالكه مقرب

*** (فصل) *** قال أبو يعقوب السوسى التوكل على ثلاث مقامات عام وخاص وخاص خاص فن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله وتحقق اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب فتصرف لغيره فهو خاص خاص قال وهذا وصف الطبقة العليا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم يوردهم اليقين من الدنيا فادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا راقبين لهم فتصرفوا فيها من التعلق بها وقال أيضاً الناس في التوكل على ضربين طالب له ومطلوب به فالمطلوب بالتوكل مستعمل بحقائقه مرفوع الى أعلى غاية لمطالب بالعمل فيه بحق نفسه وذنب آثاره مجزومة وشاهد الطالب له توجه بالزهد وترك الاسباب القاطعة وعمل في حذف كل شاغل يشغله أو يحول بينه وبين قصده فهو مجتهد في الانفراد

*** (فصل) *** قال بعضهم التوكل العمل في قطع الطمع ونفي الركون الى الاسباب ويكون نظراً لله في المنع أفضل عنده من نظره اليه في العطاء وان يجدي المنع من الخلاوة ما لا يجد للعطاء ومن علم ان الله قصده فالمنع فرح وعلامة تروكه الى من عوده البر من الخلق ترك القيام عليه بالحق وترك النصيحة له والانبساط اليه وكثرة السلام عليه دون غيره ممن لا يبره ودوام تطلع القلب الى لقائه ومحبة أسبابه وعلامة تروكه الى الاسباب خوف زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق عليه الوهن والتسلل بما بقي خوف الفقر

*** (فصل) *** من ألطف ما قبل في السكون الى غير الله والنظر الى سواء قول أهل المعرفة في معنى قول الخليل عليه السلام واجنبي وبنى ان تعبد الاصنام قال ان أسكن الى الخلوة وهبته الى أو بنظر نبوة الى النبوة التي جعلتها لهم فيحتجبون بذلك عنك وقال بشر ان العبد ليقرأ أياك نعبد وأياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما أباي تعبد ولا بي تستعين لو كنت أباي تعبد لم تؤثره والى على رضى ولو كنت بي تستعين لم تسكن الى جلدك وقوتك ولا الى مالك

*** (فصل) *** قال أبو تراب النخشي ليس التوكل ان تتوكل لتكفي ولو عرض ذلك للمتوكلين لتأبوا ولكن نحل بقلبه الكفاية بالله فصدق الله فيما ضمن فالق الكفن بين يديه وقال الخواص بلغنا انه التقي موسى والخضر عليهما السلام وكان موسى أشد جوعاً من الخضر فاذا غزا الان قد سقط أحدهما مشوا الى الخضر وسقط الآخر مذنباً بجلده ورأسه الى موسى فقال له الخضر قم يا موسى فبقدر ما بقي في نفسك من الاهتمام برزقك تتعب فاعلم اني أنا توكلت فكيف وانت اهتممت فعميت وروى من طريق آخر قال موسى للخضر كيف هذا وقع اليك

نصفه مشويا ووقع نصفه لي نيا فقال له الخضر انه لم يبق لي في هذه الدنيا أمل وفي رواية ليس لي في هذا الخلق حاجة وكان بشر رجه الله تعالى فصبر الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى وقت صلاة أخرى وكان اذا صلى الظهر يقول للبحير ان اطلبوا الحكم من يصلي ليكم العصر وكان يقول أنا ضيف في دار مولاي ان أطمعني أكلت مني أطمعني وإن أجاعني صبرت حتى يطعمني

*** (فصل) *** قال الخواص الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق الا بالتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت يصبح ذلك قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فهذا الخطاب من الله خالقه يقتضي من الخلق ترك جل الارزاق لوقت لم يات لطيفة من الله دعاهم منها الى مواضع الراحة من الاشتغال بحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل باستخراجها اليهم وحجة منه عليهم ألزهم اياها وقوله تعالى بالضممان لارزاق الخلق الله يرزقها واياكم يقتضي السكون اليه بالثقة به فيما ضمن وتكفل باستخراجها والصبر على وعده حتى يخرج اليه المضمون من أما كنهه قال ففي هذا دليل على تجوز الحركة والسبب لاحتوكل وان ذلك لا ينقص توكله اذ الدابة المرزوقة بالله من الله وقد تدب وتسير الى مواضع الرزق وقد تدخر النملة والفارغة وهما من الدواب وقد يجمع بعض الطير في عشه ويجلب الى وكرة لكن يحتاج المتوكل في دينه وحركته وذخره بمعنى النملة الهامام وتوفيقا ونظر الى الوكيل معقول وتدبير وكذلك القول في التمثيل الوارد في الخبر السابق تعدد خواصا وتوكل بطنا فالطير وان لم يكن من وصفها ان تحمل ولا من فعلها ان تدبر وتعمل فانها تتحرك وتقصده لقوله تعدد وقد تها تسبب وقصدها أما كن معاشها تعيش وقد أضاف الرزاق اليه وجع بيننا وبينه فيه فقال وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم به برازقين الهوام والانعام فعمنا واياها بالتحمل الينا بان المعاش في الارض منه علينا انعام

*** (فصل) *** قال الخواص الذي قيد ان يسرح في الارض حيث شاء فله تصديقه بمجيء الارزاق اليه حيث كان وضعف علمه بان الله معه في كل مكان وان الله تعالى يضيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء فن كان ناظر الى الله فيما يفتخ به اسباب الرزق معتمدا عليه في استخراجها كان البر والبحر والسفر والخضر عليه سواء لان من تولى الله كفايته في الخضر تولى كفايته في السفر ومن كان معتمدا على تكافئه وحيلته لم يتهيأ له ان يفارق العمران ولوان عبد امع مولاه في السفر لمكان قلبه قد سكن اليه ان يطعمه حيث سافر معه وهكذا من علم ان الله سبحانه معه لم يخف ان يحمل زاد ولا اداة ويصح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل وقد أعطاه ثمرة لولم تأنها لا تنك دلالة على ترك الحركة وتوكله في حركته بعد حجة الضمان لمجيء الارزاق لوقتها ونهيه عن السعي الا ما وقع التصديق بمجيئه لوقته قال صاحب القوت وهذا طريق الاقوياء الصابرين وليس هذا طريق الضعفاء المريدين اذ لا يقاس الضعيف الجزع بالقوى الصبور وكان منهم ابراهيم الخواص وأبو تراب النخشي وذو النون وحاتم الاصم وعلي الرازي فان هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من الوقائع يدل على أحوالهم

*** (فصل) *** قال الخواص الاستطاعة على ثلاثة وجوه أعلاها استطاعة بقوة المعرفة وصحة التوكل وهذه الطائفة نفذت بصدق موكلهم تعرج على سبب ولا استأذنت أحدا ولا يقع الاستئذان الا من ضعف المعرفة وقلة الهداية وكل من استأذن فالرفق به أولى كما في الخبر اعقلها وتوكل والاستطاعة الاخرى قوة البدن والصبر على المشي والضر والنالسة بسعة المال فن لم يكن عنده أحد هذه الوجوه فليستوقف عن الحج والزاد مباح للعموم الا ان الله تعالى قد دل على خبر الزاد بقوله فان خبر الزاد التقوى فن ترزدا التقوى نحاولم يخف في طريقه لان الله مع الذين اتقوا ومن التقوى ان لا يقول العبد غدا في من أين لقول الحق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب يقول الله تعالى ابن آدم اتق ونم حيث شئت فالرزق ليس فيه توكل وانما فيه تدبر ويقوى على قدر مغرقه بما صبره ولمن صبر ومعنى الصبر حبس النفس على الوعد بمجيء المضمون ومنعهما من الحركة والتطلع الى مجيئه حتى يسوق الله الاقسام من أما كنهها فتخرج الصابر الى سبب يشتد في بالحرارة من نفسه فقد خرج من حالة الصبر ضيقا من تحمل مؤنته وهذا مقام المؤمن القوي من المتوكلين

(فصل) قال صاحب القوت أخبرني أبو بكر بن يعقوب الوراق عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول ان سمع المتوكل خلفه بحركة شديدة فجرد لها قلبه خرج من حده هذا التوكل المخصوص التفت اليها ولم يلتفت وهكذا وطالت أيامه بالسيرة البرية اذا كان فيها واستعان في مسيره بعكازة يتوكأ عليها ومنطقة يشدها وسطه أو يغبر عليه عند رؤية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كسائر الناس وهذا وجد في قلبه الميل الى الخلقان دون الجدد خرج في جميع هذا من حده التوكل وقال أيضا أكثر الخلق تعلقوا بالاسباب فاذا صحت المعرفة لله بالقلب سكن القلب الى ما في الغيب أشد من سكنه الى ما في اليد من الاسباب الظاهرة لان ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه وماله عند الله هو الباقي يأتي به على أوقاته فاذا كان القلب قويا عند زوال الدنيا وادبارها متبرما بما في اليد منها صم التوكل واذا ضعف المرآة في القلب ركن القلب الى الاسباب وخاف من زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق القلب الخزع والتغير من خوف الفقر

(فصل) قال السري رحمه الله تعالى في قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما ان المتقي يكون رزقه من كسبه لان الله تعالى يقول وبرزقهم من حيث لا يحتسب فإنه يقول اجعلنا اماما للمتوكلين الذين أرزاقهم لامن اكسابهم بل من حيث لا يحتسبون وهو لاعلمهم أهل الصفة والصفاء الصوفيون الذين توكأوا على الله بالله لا في الارزاق ولا في العالم يدعاهم من الارفاق كما قال قائلهم الدنيا فانية والاخرة باقية والارزاق مفروغ منها فعلى ماذا أتوكل انما أتوكل عليه ان لا يبعدني من قربه وقال بعضهم الاعتماد على الخلق هو الخذلان ومن اعتمد بسوى ربه في توكله خاب سعيه

(فصل) ويستوى عند المخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسابك كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم اذ كان المعطى عندهم واحدا والعطاء كله رزقا فاذا كانت الايدي ظروف العطاء فسواء كان الطرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب سواك لك اذ جميعهم رزقك ومثل هذين أيضا يستوى عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بأيديهم من الحركة وترتيب العرف والعادة لان القدرة أيضا بمنزلة طرف للعطاء ظهر العطاء بها كأيدي العباد من يد الانسان نفسه أو يد غيره فهذه المعاني الثلاثة عند الموقفين الموحدين سواء لا يترجح بعضها على بعض لرحمة ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم اذ كله حكمة بالغتوقدرة نافذة على حكم واحد وقادر واحد

(فصل) الاسواق موائد الاباق يطعم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته أما سمعت قول الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي ما أريد ان يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق أي انه لا يظالمهم ان يرزقوا نفوسهم اذ خدموه فذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد التي أباحها المولى ثم اختار لنفسه أحدها وهو الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبد أحدها فجعلها عبيدة وتنزه عن أحدها وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عوم العبيد في الوجوه الثلاثة من الاطعام لانفسهم وهو التكبس وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الأعلى في السموات والارض فيبقى العبيد من الله بحكمين أحدهما مع اختياره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعمايه الرزق كيف شاء ومتى شاء وهو لاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد من التكسب لانفسهم جعل ذلك رزقاً منهم لهم يجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهو لاء عوم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي الوالى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها لهم وضرب بها المثل بيننا وبينهم انهم اختاروه كان ذلك لهم

(فصل) التوكل على الله لا يمنع دخول المصوص ولا يمنع وقوع الاقتدار للبلوى يعو الدار والاختيار للمعروفين الاختيار وقد قال أبو يزيد قدس سره وهو من أعلى المتوكلين ما سافرت في قافله قط الا انقطع على الطريق وقال آخر من نظرائه ما خرجت في سفر قط ومعى سبب لاسلط الله على من يأخذه حتى أبقي مع الله بالله

مجرد بلا سبب فهذه آيات بر الله بها أوليائه اليه في تسلطات بدلهم بها عليه ليرجعوا اليه فالتوكل على الله تعالى في الاسباب لا يوجب بقاء العبد ولا يثاره بما لا يحفظها عليه ولا يقدم شيئا عن شيء ولا يؤخره لصالح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين للزهدة وغمرته فهو بر التوكل الى أصله وذلك وصف صادق للمتقين ولولا الامتحان لكثير الصادقون ولولا الانحراج من المعتاد والمألوف لكثير الصالحون فاذا كان مقام التوكل الرضا بجريان القضاء والمحبة لمواقيع البلاء لم يبال بقي ماله وسلم سببه الذي توكل عليه عنه أو عطف اذ كان محبة وكيله فيه ورضاه به فمعرضه من موافقة محبته وحلا وقضاء فضل من اتلاف نفسه ودنياه * (فصل) * المتوكلون على درجات منهم من توكل على الله تعالى تعظيما واجلالا ومنهم من توكل عليه ثقة به وتفر بها له ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده لتحقيق صدقه ومنهم من توكل عليه حبالة ومنهم من توكل عليه استسلاما للشاهد من قرب عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه خوفا منه ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ومنهم من توكل عليه تسليح له من جيل معاملته ومنهم من توكل عليه ليحفظه فيما استخفظه فيما له عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته وكلهم توكل عليه لان توحيد له وشهادة قيمته ذلك يقتضيه فهذه كلها مواجيد أوليائه ومنهاج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضها أعلى مقام من بعض وبعض المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليح له وتحبب اليه وقد ذكرنا من توكل العوام ما يستحي العارفون من ذكره وهو التوكل عليه في القوت لانه هو المقيت كلها والمحبي المميت فكما يحب ويحب فكذلك يرزق القوت

* (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربيع المحبتات من كتب احياء علوم الدين) *

* (فصل) * قبل اسهل رجه الله تعالى متى يصلح للعبد التوكل قال اذا علم ان تدير مولاه خير من تديره لنفسه وان نظار مولاه أحسن من نظره لنفسه فترك الفكر فيما كان والتمنى لما يكون ويترك التدبير والله عاقبة الامور وهو على كل شيء قد يرشكروا الى هذا انتهى بنا الكلام على شرح مقام التوكل والحمد لله على نعمائه والصلوة والسلام على سيد أنبيائه وخيرته من أوليائه قال المؤلف نبجز ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاثنين لست يقين من ذي القعدة سنة ١٢٠٠ والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر) الحمد لله الذي رفع الحجاب عن قلوب الاحباب * وألهمهم بدوام ذكره والانس به والرضا لاصابة لمحبة الصواب أجده جدا أستوجب به مزيد الثواب وأستزيده زيادات أولى الالباب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بقلبه غير مرتاب متلذذ في دار الوصال رائق الشراب * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص الاحباب * المرسل بأشرف كتاب * المؤيد بفصل الخطاب في أبجل خطاب * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الانجاب وأصحابه المكرمين الاقطاب وعلى كل تابع لهم باحسان مالمع البرق وهمل السحاب * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح * (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا) *

وهو السادس والثلاثون من كتب الاحياء لادام الله عليهم قطب العلماء الاعلام أبي حامد حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي سقى الله ريسه ها طلات رحمة وأسبغ على حظيرته سابعات مغفرته يسى اب مطالعه بما تضمنه من مطالع الاسرار ويذهل فكر معانيه بمنايا مطاويه من معاني مشارق الانوار وينفض عن مكان اشاراته المرموزة العجيبة ويسمع بأفشاء أسرار فوائده المستطعة الغريبة كشفت أثبت به حجة الصواب وبيانا تتهج به بصائر أولى الالباب من رام مساومته قصده الحيرة والاندھاش أو سام معارضته عارضه الذهول وطاش في الهام من مخدرات حسان أ بكر وغوان لم يطمشهن انس ولا جان وبجتهيات في خدور الخيام لم يظفر بوصولهن الامن جفا من مضاجعه أ طيب المنام وجد في أنوار الاطال مع الطلاب فنال بما

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات الى زخرف (٥٤٥) الدنيا ونضرت له وصفي أسرارهم من

ملاحظة غير حضرته
ثم استخلصها للعكوف
على بساط عزته ثم تجلى
لهم بأسمائه وصفاته
حتى أشرقت بأفوار
معرفة ثم كشف لهم
عن سبحات وجهه حتى
احترقت بنار محبته ثم
احتجب عنها بكنه جلاله
حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته
فكلمات اهتزت للملاحظة
كنه الجلال غشبهام
الدهش ما غبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما
همت بالانصراف
آيسة نوديت من
سرادقات الجلال صبرا
أيها الآيس عن نيل
الحق بجعله له وعلمته *
فبقيت بين الرد والقبول
والصد والوصول غرقى
في بحر معرفته وبحرقة
بنار محبته والصلاة على
محمد خاتم الانبياء بكل
نبوته وعلى آله وأصحابه
سادة الخلق وأئمة وقادة
الحق وأزمته وسلم كثيرا
* (أما بعد) * فان المحبة
لله هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة
العلیما الدرجات فما
بعد ادراك المحبة مقام
الاهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها
كالشوق والانس
والرضا وأخواتها

لم يكن له في حساب ولقد أرخيت فيه أعنة الانصاح مع الاختصار التام وآثرت التخفيف لا التطفيف لئلا
تكل عن مطالعته أفهام الخواص والعوام والله تعالى أستعينه فيما أروم وأستهديه انه هو القادر المجيب
لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب
أوليائه) هم الموالون بولايته المحبون له لذاته المستهترون بذكره المهيمون في محبته (ونزهها) أي قدسها
وطهرها (عن الالتفات الى متاع الدنيا) هو اسم لما يستمتع الانسان به من اعراضها (ونضرت له) أي زينته
ومحبته والضمير واجع الى المتاع وفي بعض النسخ الى زخرف الدنيا ونضرت له الزينة كما قال تعالى
حتى اذا أخذت الارض زخرفها (وصفي) من التصفية وهو التخليص (أسرارهم) جمع سر بال كسر وهو
الطيف من الروح وهو محل الشاهدة كإكان الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (عن ملاحظة غير حضرته)
والملاحظة النظر باللباط وهو مؤخر العين وبين حضرته ونضرت نجاس (ثم استخلصها) أي اتخذت ذلك
الاسرار خالصا (للعكوف) أي الاقبال والافتقار والالزمة (على بساط عزته) وأصل البساط الارض
الواسعة الارباع والعزة الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن (ثم تجلى لها) أي أسرارهم وفي نسخة لهم
(بأسمائه وصفاته) أي بمعانيها وامتيازها عن الذات بقدر ما يتصور في حقهم وأصل التجلي ما ينكشف
للقلوب من أفوار الغيوب (حتى أشرقت بأفوار معرفته) وهو السبيل المفتوح للخلق وفيه تفاوت مراتبهم (ثم
كشف لهم عن سبحات وجهه) أي جلاله وعظمته وبهائه (حتى احترقت بنار محبته) أشار به الى الخبر الوارد
المتقدم بذكره ان الله سبعين سجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (ثم
احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت) أي حارت (في بيداء) أي صحراء (كبريائه وعظمته فكلمات اهتزت)
أي تحركت (لملاحظة كنه الجلال غشبهام من الدهش) والحيرة (ما غبر في وجهه العقل وبصيرته) يشير
بذلك الى السبيل المسدود في المعرفة الا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الاسنى
في حقه انه لا يهتز أحد من الخلق لشيئه وادراكه الارذنة سبحات الجلال الى الحيرة ولا يشرب أحد للملاحظة
الاغطى الدهش طرفه (وكلما همت بالانصراف) عن تلك الملاحظة حالة كونها (آيسة) أي فاطمة أمها في
النيل والادراك (نوديت من سرادقات الجلال) وأصل السرادقات ما يدار حول الخيمة بلا سقف (صبرا أي
الآيس عن نيل الحق بجعله وعلمته) فالانسان خالق من عجل وجبل بوصف الجهل وهو وصف له ذاتي فيجعله
إذا تمكن لا يدرك غور الامور ويجعله قد يفوته الفوز بالسرور ولو صبر وتأنى لئال ما تمنى (فبقيت بين الرد
والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته) غير متفلسة ولا غائبة وهذا هو مقام الفرق من ثمرات المحبة
(وبحرقة بنار محبته) والمحبة فرع من المعرفة فن لم يعرف لم يحب ولذلك أخذ كرام المحبة بعد المعرفة (والصلاة)
والسلام (على) سيدنا (محمد خاتم الانبياء) والمرسلين وجودا كما انه فاتحهم نشاء (بكمال نبوته) وتسام رسالته
(وعلى آله وأصحابه سادة الخلق) أي رؤسائهم (وأئمة) الذين يقتدى بهم (وقادة الحق وأزمته) جمع قائم
وزمام فالقائد هو رئيس القوم والزمام ما تزم به الناقة أي تحبس وهو كالطام أي هم يقودون أهل الحق الى
الحق ويؤمنونهم عن الميل الى ضده (وسلم كثيرا أما بعد) فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليما الدرجات وهو الثامن من مقامات اليقين وعند أبي طالب المكي هو التاسع منها وذلك لانه
قديم كرم مقام الرضا على مقام المحبة وعكسه المصنف قد قدم ذكر المحبة على مقام الرضا قال صاحب القوت المحبة
من أعلى مقامات العارفين وهي ايثار من الله لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم (فأما بعد ادراك المحبة
مقام) أحوال (الاهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها) مما يضاف اليها
فما يضاف الى الانس القرب والسكينة والطمانينة والانبساط والغيرة ومما يضاف الى الشوق الوجد والقلق
والدهش والهيمه والتمكين ولها ثمار أخر لا يطالع عليها السالك حتى يعثر عليها فلا مطمع في الانتهاء ولا محبة
فضله وهي متضمنة ان معرفة الله أكد المعارف فانه أظهر الموجودات أولها معرفة خاصة بها ويضاف اليها

ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها واسائر المقامات ان عز وجودها فلم تحل القلوب عن
الايان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكسر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى
وأما حقيقة المحبة فحال الامع الجنس (٥٤٦) والمثال ولما أنكسر والمحبة أنكسر والانس والشوق ولذا المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه

ولا بد من كشف الغطاء
عن هذا الامر ونحن
نذكر في هذا الكتاب
بيان شواهد الشرع في
المحبة ثم بيان حقيقتها
وأسبابها ثم بيان أن لا
مستحق للمحبة الا الله
تعالى ثم بيان أن أعظم
الذات لذة النظر الى وجه
الله تعالى ثم بيان سبب
زيادة لذة النظر في
الآخرة على المعرفة في
الدنيا ثم بيان الاسباب
المقوية لحب الله تعالى
ثم بيان السبب في تفاوت
الناس في الحب ثم بيان
السبب في قصور الافهام
عن معرفة الله تعالى ثم
بيان معنى الشوق ثم
بيان محبة الله تعالى
للعبد ثم القول في علامات
محبة العبد لله تعالى ثم
بيان معنى الانس بالله
تعالى ثم بيان معنى
الانبطاط في الانس ثم
القول في معنى الرضا
وبيان فضيلته ثم بيان
حقيقته ثم بيان أن
الدعاء وكرهه المعاصي
لاتناقضه وكذا الفرار
من المعاصي ثم بيان
حكايات وكلمات للمحبين
متفرقة فهذه جميع
بيانات هذا الكتاب * (بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض) ثابت بدليل
قطعي الثبوت والدلالة (وكيف يفرض مالا وجوده) هذا انكار على من أنكسر المحبة أصلا وسبب انكارهم
ايها انهم راوا ان الحدود لاتزيد بها الاخفاء وجميع من تكلم فيها انما هو في أسبابها وجهاتها وعلاماتها
وشواهدا وغرائها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ثم رد على من فسر بها بالطاعة فقال
(وكيف يفسر الحب بالطاعة) والانقياد لنيل الثواب (والطاعة تبغ الحب وغرته) فكيف تكون الثمرة
حد للمعمر والتابع حدا للمتبع (فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطبع من أحب) فسلم من ذلك ان
تفسر بها بالطاعة تفسير باللازم وليس بحد تام ولا تحد بحد أو وضع منها فحدها وجودها ولا تحد بوصف أظهر
منها (وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأتي الله بقوم (يحبههم ويحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان
الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما عارض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقوله تعالى)
ومن الناس من يتخذ من دون الله آندادا يحبونهم كحب الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو اشارة الى أن
الايان يحرض على حب الله تعالى ويدعو اليه قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فابان

الذكر والفرق والذوق والمحظ والوقت والصفاء ولها حقيقة تضاف اليها النفس والفرق والغيبة والسكر
والصحو والفناء والوجود والجمع والتعظيم (ولا قبل المحبة مقام) أو حال (الا وهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة
والصبر والزهد وغيرها) فهي ميراث التوحيد والمعرفة وبه يظهر سر تاخير المصنف اياها بعد التوحيد (وسائر
المقامات ان عز وجودها فلم تحل القلوب عن الايمان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى
أنكسر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى في لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى) والازدياد من الاعمال لينال
به الثواب (وأما حقيقة المحبة فحال الامع الجنس والمثني) وفي نسخة الامع الجنس والمثال (ولما أنكروا)
حقيقة (المحبة أنكروا) ثم انهم مثل الانس والشوق ولذا المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه) وهذا كلام
قاصر النظر على المحسوسات لا يلتفت له ولا يرجع اليه فان الاجماع قائم على ان العلم لذيق في نفسه وليس بينه
وبين المحسوسات نسبة وليس للمحبة معنى غير الميل الى اللذيق الموافق كما سيأتي بيانه ومتى بطلت مسئلة المحبة
بطلت مقامات الايمان والاحسان جميعها وتعلقت منازل السير فان المحبة روح كل مقام ومثله وعمل فاذا
خل منها فهو ميت ونسبته الى الاعمال كنسبة الاخلاص اليها بل هي حقيقة الاخلاص (ولا بد من كشف
الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع) من الكتاب والسنة واجماع الامة (في
المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى) وحده (ثم بيان أن أعظم اللذات
لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب
المقوية لحب الله تعالى ثم بيان تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى
ثم بيان معنى الشرف ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس
بالله تعالى ثم بيان معنى الانبطاط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان
ان الدعاء وكرهه المعاصي لاتناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه
جميع بيانات هذا الكتاب) وهي خمسة عشر

ان
بيانات هذا الكتاب * (بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) * اعلم أن الامة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله
الله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجوده وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبغ الحب وغرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد
ذلك يطبع من أحب وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله

أن اتبع نبيه صلى الله عليه وسلم من موجبات محبة الله عز وجل فإذا كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إيمانا وجب أن يكون حب الله الموجب له إيمانا (وهو) أيضا (دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت اليه) لفظ القوت وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى ولكن محبته على قدر إيمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استحبابهم له التوحيد والازم أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد في التزام الأمر وفي تسليم الحكم فليس ذلك يكون إلا عن محبة وان تفاوت المحبوب على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغيرا لا يصغر عن المعرف من عرف ولا يكبر على التوبة كبير ولو كان على كل العالم قد أوقف لأن الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دلائل على تفاوتهم في المحبة لأن المعنى أشد فاشد ولم يقل شديد الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله أن أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على أن تفاوتهم في الأكرام على قدر تفضلهم في التقوى ولم يقل أن الأكرام المتقون فالمتقون متزايدون في الحب لله على تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له (وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان) بالله (في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزق) لعقيط بن عامر بن المتفق العامري (العقيلي) وأدبني المتفق رضي الله عنه (يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما) قال العراقي أخرجه أجدب زيادة في أوله وفيه انقطاع انتهى قلت لفظ الحديث أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وأن تحترق بالنار أحب اليك من أن تشرك بالله وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا الله فإذا كنت كذلك دخل حب الإيمان في قلبك كمدخل حب الماء لظما في اليوم القاطن قال السيوطي في الجامع الكبير بعد أن ذكره حسن (وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) كذا في القوت قال العراقي متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يحب دلاوة الإيمان حتى وذكره زيادة انتهى قلت الذي في المتفق عليه من حديث أنس بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في الشعب كلهم من حديث أنس ورواه أيضا البغوي والطبراني والبخاري من حديث أبي امامة توفي رواية لابن حبان من حديث أنس ثلاث من كن فيه كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما والرجل يحب القوم لا يحبهم إلا في الله والرجل أن يذوق في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا (ومن حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده من حديث عبد الله بن هشام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا أتأمن من كل شيء إلا نفسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك قال عمر فأنت الآن والله أحب الي من نفسي فقال الآن يا عمر اه قلت حديث أنس أخرجه كذلك أحمد وعبد بن جيد والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظهم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وأما حديث عبد الله بن هشام فأخرجه أحمد مختصرا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأما تلك القصة فأخرجها البخاري في مناقب عمر وفي الاستئذان وفي النذور عن أبي عقيل زهدة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام قال كما مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فذكرها (كيف وقد قال تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم الآثية) وتماها وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسبها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الفاسقين فإبانهم - إذا أحب الله وحب رسول الله وجهاد في سبيله فرض لانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب إليهم منه (وانما أجرى ذلك في معرض التهديد والانسكار) قال العراقي ورواه البيهقي في الشعب عن أبي عبد الله

وهو دليل على إثبات
الحب وإثبات التفاوت
فيه وقد جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحب
لله من شرط الإيمان في
أخبار كثيرة إذ قال أبو
رزق العجلي يا رسول
الله ما الإيمان قال أن
يكون الله ورسوله
أحب اليك مما سواهما
وفي حديث آخر لا يؤمن
أحدكم حتى يكون الله
ورسوله أحب إليه مما
سواهما وفي حديث
آخر لا يؤمن العبد حتى
أكون أحب إليه من
أهله وماله والناس
أجمعين وفي رواية ومن
نفسه كيف وقد قال
تعالى قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وأخوانكم
الآثية وانما أجرى ذلك
في معرض التهديد
والانسكار

ابن خفيف دخل البصرة على أبي العباس بن سريج فقال له ابن سريج أين تعرف في نص الكتاب ان محبة الله فرض فقال لا أدري ولكن يقول القاضي فقال قوله عز وجل قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى فتر بصوا والوعيد لا يكون الا على ترك الفرض (وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة) فيما شرعه من الاحكام (فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب اه قلت ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وأحبوا أهل بيتي قال البيهقي في الشعب قال الحلبي وهذا يحمل على أن يكون عاملا لانعمه كما هو وأن يكون اسم الغذاء في الطعام والشراب حقيقة ولما عداها من التوفيق والهداية ونصب اعلام المعرفة وخلق الخواص والعقل مجازا أو يكون جميع ذلك بالاسم مراد فقد روى ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي رواية ذاق طعم الايمان وانما يكون الطعم لا لاذية وما يجري مجراها فاذا جاز وصف الايمان بالطعم جازت تسميته غذاء فيدخل الايمان وجميع نعم الله عز وجل في هذا الحديث اه وقال صاحب القوت عقب ايراد هذا الحديث فدل ذلك على فرض الحب لله وان تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن أفضل ما أسدى اليمنان نعمه المعرفة فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحجوب لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حب الله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته اتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه فيها مثل الكبر وحب الغنى والعز وطلب الذكركم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حب الحبيب وأتبعهم لا تاروا وشبههم هديا بشيئله (و) قد (يروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للبلاء وعن فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله اياي وروى أن رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للبلاء وعن فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وفي الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فأقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل (٥٤٩) قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء

انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت

اليه وقد قال نبينا صلى

الله عليه وسلم في دعائه

اللهم ارزقني حبك وحب

من أحب بك وحب ما

يقربني الى حبك واجعل

حبك أحب الي من الماء

البارد وجاء اعرابي الى

النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله متى

الساعة قال ما أعددت

لها فقال ما أعددت لها

كثير صلاة ولا صيام الا

اني أحب الله ورسوله

فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم المرء مع

من أحب قال أنس فما

رأيت المسلمين فرحوا

بشيء بعد الاسلام فرحهم

بذلك وقال أبو بكر

الصديق رضي الله عنه

من ذاق من خالص محبة

الله تعالى شغله ذلك عن

طلب الدنيا وأوحشه

عن جميع البشر وقال

الحسن من عرف ربه

وقاص قال كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبيه وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار اليه (وفي الخبر المشهور ان إبراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فأقبض) وهكذا هو في القوت قال العراقي لم أجده أصلا قلت وكأنه من الاسرائيليات (وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه) ولفظ القوت بعد قوله بكل قلبه عندها يستأنق اليه مولاه فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه (وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحب بك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد) ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء بلفظ اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد وقد تقدم في كتاب الدعوات وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال بلغنا ان داود عليه السلام كان يقول في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الي من سمعي وبصري ومن الماء البارد (وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلات ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك ورواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحببه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون عنه بالدنيا) نقله صاحب القوت (ويروى ان عيسى عليه السلام مر في سياحته بثلاثة نفر من العباد قد نخلت أبدانهم) أي ضعف (وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى) من التحول والتغير (فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف) مما يخاف (ثم جاؤهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا) من أولئك (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاؤهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أمتجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم (٥٥٠) ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا

ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا (من أولئك) وكان على وجوههم المرائي من النور (أي تلعب وجوههم اضاءة كاضاءة المرائي) فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل (لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته) فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون أنتم المقر بون (نقله صاحب القوت بلفظ وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم ما أنتم فقالوا نحن عباد قال فلا شيء تعبدتم فقالوا خوفا من الله من ناره نخفنا منها) وقال عبد الواحد بن زيد البصري العابد (مررت برجل قائم في الثلج) في يوم بارد (فقلت له) أمتجد البرد فتنتقل عنه (فقال من شغله حب الله لم يجد البرد) روى (عن سري) بن المغلس (السقطي) رحمه الله تعالى (قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد) صلى الله عليه وسلم (غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا) حيث خوطبوا بذلك الخطاب (وقال هرم بن حيان) العبدى قال ابن عبد البر هو من صغار الصحابة وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه) برحمته (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروجه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (عفو) تعالى (يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده يدهش ماديته فكيف لطفه وفي بعض الكتب) المنزلة ان الله تعالى يقول (عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا) قال القشيري رأيت ذلك بخط الاستاذ أبي علي رحمه الله تعالى يعني الدقاق (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (منقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب) نقله القشيري في الرسالة (وقال يحيى بن معاذ) أيضا في جملة ما كان يخاطب به مولا (الهي الى مقيم بضائك مشغول بضائك صغيرا أخذتني اليك وسر بلتني بمعرفتك وأمكننتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال ستر وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبنا تسقيني من حياضك وتملئني في رياضك ملازما لامرك ومشغوبا بقولك ولما طر شاربي) أي بقل (ولاح طارئ فكيف انصرف عنك اليوم كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة) والدمدمة الحركة الخفية والهمهمة الصوت الخفي (لاني أحبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف) وله مثل هذا الكلام في الرجاء وكانت وفاته سنة ٣٥٨ (وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به) فانه أكيد والله الموفق

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها) الجالبة لها (ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي ان يعلم ان هذه المادة تدور على خمسة أشياء أحدها الصفاء والبياض ومنه قيل حبب الاسنان لبياضها وانضارتها الثاني العلو والظهور ومنه حبب الماعوج حبا به وهو ما يعاوه من النفحات عند المطر وحبب الكاس منه الثالث الانزوم

عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروجه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفو يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده يدهش ماديته فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهى الى مقيم بضائك مشغول بضائك صغيرا أخذتني اليك وسر بلتني بمعرفتك وأمكننتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال ستر وتوبة وزهدا وشوقا

ورضا وحبنا تسقيني من حياضك وتملئني في رياضك ملازما لامرك ومشغوبا بقولك ولما طر شاربي ولا ح طارئ فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به *(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)* اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى * فأول ما ينبغي ان

يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور (٥٥١) أن يتصف بالحب جاد بل هو من

خاصية الحى المدرك ثم
المدركات فى انقسامها
تنقسم الى ما يوافق طبع
المدرك ويلآئه ويلآذه
والى ما ينافيه وينافره
ويؤلمه والى ما لا يؤرقه
بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه لذو راحة فهو
محبوب عند المدرك وما
فى ادراكه ألم فهو
مبغوض عند المدرك
وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه
محبوبا ولا مكروها فاذا
كل لذى محبوب عند
المتذبه ومعنى كونه
محبوبا ان فى الطبع
مبغولا اليه ومعنى كونه
مبغوضا ان فى الطبع
نفرة عنه فالحب عبارة عن
ميل الطبع الى الشئ المألذ
فان تأ كذا ذلك الميل
وقوى سمي عشقا
والبغض عبارة عن نفرة
الطبع عن المؤلم المتعب
فاذا قوى سمي مققا فذا
أصل فى حقيقة معنى
الحب لا بد من معرفته
(الاصل الثانى)
ان الحب لما كان تابعا
للادراك والمعرفة انقسم
لأحالة بحسب انقسام
المدركات والحواس
فلكل حاسة ادراك لنوع
من المدركات ولكل

والثبات ومنه حب البعير وأحب اذ ابرك فلم يقم الرابع الباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه
الحبة الواحدة الحبوب اذ هى أصل الشئ ومادته وقوامه الخامس الحفظ والامساك ومنه حب الماء الذى
يحفظه فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة فانها صفاء المودة وهيجان
ارادة القلب وعملها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها للزوما لا يفارق
ولا عطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه والاجتماع عزمانه وارادته وهمومه على محبوبه فاجتمعت
فيها المعانى الخمسة وضعت المعناها حزين مناسب للشئ غاية المناسبة الحما التى هى من أقصى الخلق والباء للشفقة
التي هى من نهاية قللها الابتداع واللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه
واعطوا الحب حركة الضم التي هى أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماء وقوتها واعطوا الحب
وهو المحبوب حركة الكسر وذلك لخفة ذكر المحبوب على قلوبهم - وألستهم مع اعطائه حكم نظاره كنهه وذبح
للمنه ودو المذبح فتأمل هذه المطابقة والمناسبة المحيية بين الالفاظ والمعنى يطالعك على قدر هذه اللغة الشريفة
وان لها شأننا ليس كسائر اللغات ثم ينبغى بعد معرفة ذلك أن يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك
اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه (وما لا يعرفه كيف يحبسه) ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جاد بل هو من
خاصية الحى المدرك) هذا قول الاكبرين وكان ممنون يقدم المحبة على المعرفة كما نقله القشيري أى لى لى لى
شغل العارف بمعرفة واستغراقه فى مناجاته حتى يفنى عن نفسه والمحبون يتبع معهم بقايا يتبعهمون فيها
بمحبوبهم وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين وقد أشار القشيري الى ترجيح قول ممنون حيث قال وعند
محبة محبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهوة وفى حيرة وفناء فى هيمة فتأمل (ثم المدركات فى انقسامها تنقسم الى
ما يوافق طبع المدرك ويلآئه ويلآذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤرقه بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه راحة فهو محبوب عند المدرك وما فى ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذى محبوب عند المتذبه ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع
ميل الىه ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ المألذ تأ كذا ذلك
الميل وقوى سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمي مققا) وهذا قد صرح
به أئمة اللغة قالوا العشق أشد الحب والمقت أشد البغض ثم ان العشق هو سابع مرتبة من مراتب الحب اذ
مراتب الحب عشرة أولها العلاقة ثم الارادة ثم الصباية ثم الغرام وهو حب لازم للقلب ملازمة الغريم لغريمه
ثم الود وهو وصف المحبة وخالصها ولها ثم الشغف وهو وصول الحب الى شغاف قلبه وهو جلدة رقيقة على القلب
ثم العشق وهو الحب المفرط الذى يخاف على صاحبه منه وبه فسر ولا تحملا لما لا طاق فيه ثم التيم وهو التسذل فى
الحب ثم التعبد وهو فوق التيم فان العبد الذى ملك المحبوب رقه فلم يقل به شئ من نفسه البتة بل كله لمحبوبه
ظاهرا وباطنا والمرتبة الأخيرة الخلة التى انفرد بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وهى المحبة التى
تخلت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (فهذا أصل فى حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته) وهو الأول
(الاصل الثانى ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لأحالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل
حاسة من الحواس الخمس (ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة فى بعض المدركات) دون بعض
(وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت تلك المدركات (محبوبا) عند الطبع السليم) عن النقص (فلهذا
العين فى الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة) فهى لا تكاد تفتقر عن النظر اليها
(ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة) والالحن المستلحة فلها تعشق فى ذلك ولو كانت تلك النغمات من
غير جميل الصورة وقد تكون مع جمال الصورة فيلذ كل من العين والبصر ومن ذلك سماع محاسن الاوصاف
من رجل لم يقع عليه البصر واليه الاشارة بقول القائل * والاذن تعشق قبل العين أحيانا * (ولذة الشم فى

واحد منها لذة فى بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبا عند الطبع السليم فلهذا العين فى الابصار وادراك
المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى

الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة فسمى

الطيب محبوبا وعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات وعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قاب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وماتميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب

الروائح الطيبة) الزكية مثل المسك والعود والعنبر وأشباهاها (ولذة الذوق في الطعوم) الطيبة (ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرعة عيني في الصلاة) رواه النسائي من طريق سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرعة عيني في الصلاة وليس فيه لفظ ثلاث ومن هذا الوجه أخرجه أحد رؤسنا أبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن وآخرين وقد تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح وكتاب ذم الدنيا وهذا موضع ثالث فقول السخاوي في المقاصد انه رواه في الاحياء في موضعين قصور عن تصحيح الكتاب (فسمى الطيب محبوبا وعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبا ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات) بدليل افرادها في جملة مستقلة (ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس) رائد على الجنس (مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قلب) وقد يكون الانسان بلا قلب (ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان) فان لها ادراكها امكنه فاصر عليها (فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب) كما زعمه المنكرون لمحبة العبد لله تعالى (فاذا قد بطلت خاصية الانسان وماتميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها) أي لا مضايقة وهو مفاعلة من الشرح وقد فسر قوله تعالى لمن كان له قلب تارة بالعقل وتارة بالنور والمنسبط في القلب والاول أكثر وبه يتميز عن درجة الهائم فانه به يكمل فعله لانه يدعو الى أفعال بخالفة لمقتضى الشهوة والغضب بخلاف الهائم ففي فعلها نقص لكونه مقصورا على مقتضاهما كما ان في ادراكها نقصا (وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر) فانها هي القوة المنورة بنور القدس ترى حقائق الاشياء بواطنها وهي التي تسمى بالقوة القدسية وأما البصر الظاهر فهو للنفس ترى به صور الاشياء وظواهرها (والقلب) المنور بالنور القدسي (أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا المييل الى ما في ادراكه لانه كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلا يجاوز ادراك الحواس أصلا) وقد أفصح المصنف عن هذا المقام في كتابه مشكاة الانوار فقال اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقائص فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعده من ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغفل كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فلهذا سبع نقائص تفارق العين الظاهرة وفي قلب الانسان عين هذه صفة كالهواهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني ودع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضيف البصيرة كثرة المعاني فتغني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن الجنون وتسمية عقلا متباعدة للجمهور وفي الاصطلاح فنقول العقل أولي بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع اما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه بل علمه بعلمه نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا تنصق ولما يدرك بالاله الاجسام الثابتة أن العين لا تبصر ما بعده منها ولا ما قرب منها

بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا المييل الى ما في ادراكه لانه كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا

* (الاصل الثالث) * ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم (٥٥٣) يرجع منه حظ الى الحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك

مفردا والعقل يستوى عنده القريب والبعيد ويعرج في طرفه الى أعلى السموات رقبيا وينزل في لحظة الى تخوم الارضين هو يا الثالثة ان العين لا تدرك الاماليس وراء الحجاب والعقل يتصرف فيما وراء حجاب السموات وفي الملا الأعلى كتصرفه في عالمه الخاص به بل الحقائق لا تتحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات بين مقاربة له تضاهي لحجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل قواها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى باطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط سببها وعلوها وحكمتها وانها محدث وكيف خلقت ولم خلقت وعلى أي مرتبة في الوجود نزل وما نسبتها الى سائر خسوفاته الخامسة أن العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والبصر والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والام والذلة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى فهو ضيق انجال مختصر المجري لا تسعه مجازة عالم الالوان والاشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام في أصلها أخس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أخس أعراضها والموجودات كلها انجال للعقل في تصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا فالأسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن أين للعين الظاهرة مجاراة مساواته السادسة ان العين لا تبصر الا لما نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا لمتناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية بل يدرك علمه بالشئ وعلمه بعلمه بالشئ فبقوته في هذا الوجه لا تقف عند نهاية السابعة أن العين تبصر الكبير صغيرا ترى الشمس في مقدار سخن والكواكب في صور دائرية منشورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعا فامضا عتق ترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكنا ترى الصبي ساكنا في مقداره والعقل يدرك أن الصبي في النمو والتزايد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك في لحظة أميالا كثيرة وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزّه عنها فان قلت ترى العقلاء يغلطون في نظارهم فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاما وقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليه انتهى المقصود منه (الاصل الثالث أن الانسان لا يخفى انه يحب نفسه) أي يعمل اليها بالطبع والضرورة (ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه) لذاته (وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع اليه حظ الى الحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا محبوب لان النقص فاقد للكمال والعدم نقص بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم محقود في الصفات

متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو والملازم للمحب وأي شئ أتم ملازمة من نفسه ودوام وجوده وأي شئ أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا

الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب العظمى بين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب
لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب والمكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك
الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوب لكونها سبب لثباتها وسببها الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت
الرتبة والافضل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن (٥٥٥) لاحسانه فمأحب ذاته تحقيقا

بل أحب احسانه وهو
فعل من أفعاله لو زال
زال الحب مع بقاء ذاته
تحقيقا ولو نقص نقص
الحب ولو زاد زاد وينتقل
اليه الزيادة والنقصان
بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه * السبب
الثالث أن يحب الشيء
لذاته لالحظ ينال منه
وراء ذاته بل تكون
ذاته عين حظه وهذا هو
الحب الحقيقي في البالغ
الذي يوفق بدوامه وذلك
كحب الجبال والحسن
فان كل جبال محبوب عند
مدرك الجبال وذلك لعين
الجبال لان ادراك الجبال
فيه عين اللذة واللذة
محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظن ان حب الصور
الجميلة لا يتصور الا لاجل
قضاء الشهوة فان قضاء
الشهوة لذة أخرى قد تحب
الصور الجميلة لاجلها وادراك
نفس الجبال أيضا الذي فيجوز
أن يكون محبوبا لذاته
وكيف يشكر ذلك
والخضرة والماء الجاري

الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب
لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب والمكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك
الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوب لكونها سبب لثباتها وسببها الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافضل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن (٥٥٥) لاحسانه فمأحب ذاته تحقيقا بل أحب احسانه وهو
فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد وينتقل اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لالحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي في البالغ الذي يوفق بدوامه وذلك كحب الجبال والحسن فان كل جبال محبوب عند مدرك الجبال لان ادراك الجبال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجبال أيضا الذي فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف يشكر ذلك وتوكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخضرة والماء الجاري قال العراقي رواه أبو نعيم في المعجم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت هذا لفظ أبي نعيم وقد أخرجه ابن السني في الطب لفظ المصنف الا انه قال كان يحبه النظر الى الخضرة والى الماء الجاري أخرجه ابن عمر والسدي عن القاسم بن مطيب الجملي عن منصور بن عبد الرحمن الجني عن أبي عبد مولى ابن عباس عن ابن عباس والقاسم بن مطيب ضعفه قال ابن حبان كان يخطي على قلة رواية وقال في الديوان استحق الترتيب والطابع السامية فاضية باستاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار الملحة الالوان الحسنة النقش المناسبة الشكل حتى ان الانسان لتفرج عنه الغموم والهجوم بالنظر اليها لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذذة وكل الذي محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا أحديشكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال قال الراغب الجمال ضربان أحدهما يختص بالانسان في نفسه وفعله والثاني ما يصل منه لغيره ومنه الحديث المذكور تبيينها من تفيض الخبرات الكثيرة فيجب من يتصف بذلك اه قال العراقي رواه مسلم في أثناء حديث لابن مسعود اه قلت وقدر ريت هذه الجملة صدر حديث عند الحكم من حديث عبد الله بن عمرو هكذا من غير زيادة وقدر روى زيادة ويجب أن يرى نعمته على عبده رواه أبو نعيم من حديث أبي سعيد وزيادة ويجب معاني الامور ويكره سفسافها رواه الطبراني في الاوسط وابن عساكر من حديث جابر روى ابن عساكر عن ابن عمر ان أبا رجحانة قال يا رسول الله اني لاحب الجمال حتى في نعلي وعلاقة سوطي أفن البكر

محبوب لا ليشرب الماء وتوكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخضرة والماء
الجاري والطابع السامية فاضية باستاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار الملحة الالوان الحسنة النقش المناسبة الشكل حتى ان الانسان
لتفرج عنه الغموم والهجوم بالنظر اليها لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذذة وكل الذي محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه
عن لذة ولا أحديشكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

* (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال) اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغاب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن (٥٥٦) الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين

تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول بكل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر مكر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يابق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها

ذلك قال ان الله جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده الكبير من سفة الحق ونقص الناس اعمالهم وروى مسلم والترمذى من حديث ابن مسعود ان الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق ونقص الناس وقدر واه الطبراني من حديث أبي أمامة نحوه ورواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة مرسلنا نحو حديث جابر (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم) أرشدك الله تعالى (ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الاتناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة) وسواد الشعر وسعة العين وارتفاع الارنية (الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا متقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة (وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه) والكلام فيه (وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق) الصريح (ونقول كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق له الممكن به) سواء كان معنى ثبت في ذاته أو لمعنى ثبت في غيره وسواء كان ذلك مما استحسنته العقل أو الهوى أو الحس (فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال) واليه المنتهى في الاستحسان (فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر) ويقع الاستحسان على ذلك القدر الحاضر (فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون) هذا مما يتعلق بظاهره وفي الالوان اختلاف الناس وانما يقع الاعتبار فيها بما تميل اليه النفوس والريجات وهي تختلف ويأتحق بذلك الشببات (وحسن عدو) وارتكاض (وتيسر ك) أى الجملة (وفر) أى الرجعة (عليه) وهذا مما يتعلق بباطنه فانها أخلاق باطنية قد تكون خلقه وقد تكون من طول الرابضة والتعذيب وهو الاكثر (والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها) أى تقابلها (واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها) بالحدود المذكورة في فن الخط (ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) ولكل ذلك نظائر وأشياء لا تحصى (فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال

واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق

بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته (ص ٥٥٧) أرباب المذاهب وليت شعري من

يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب وانما يحبه اصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع ولشهره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره أو يحب علياً رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة التي هي أقوى من نور البصر الظاهر (وكل هذه الخصال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا) ذواتهم بالابصار والحقوا أعصارهم (بل على حب ارباب المذاهب) المتبوعة (مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك) وأحمد (وغيرهم) رجهم الله تعالى (حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته ارباب المذاهب) وأكثر ذلك في ديار خراسان فيما سبق من الزمان (وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع) جيلة (التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع) بين الناس (ولاشهره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة) الباطنة (فاما الحواس فقاصرة عنها) أي عن ادراكها (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويحب علياً رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره) من خصال الخير (فعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحموده التي هي مصادر السيرة الجيلة) ومن جيلة ذلك السر الذي كان وقربه صدره (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جيلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فعلم ان من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحموده التي هي مصادر السيرة الجيلة فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جيلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجيدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتميا بالسخاوة ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار فاذا اليس (٥٥٨) حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي

قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبهيم الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء لجمال صورته الباطنة (السبب الخامس) المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه (اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا) عن بصره (أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجيدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس (التي تدرك بالحواس) الظاهرة (بل لما وصف الناس حاتميا) الطائي (بالسخاوة ووصفوا خالدًا) بن الوليد رضي الله عنه (بالشجاعة) أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك (الموجودين) (في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير) على المحاويع من أهل ملكته (غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار) الموجب لعدم الوصول الى تلك الاقطار (فاذا اليس حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها) لان كل ذلك تابع للادراك (ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة) بسبب انتشار صدره بافاضة النور القدسي عليه (كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء) عليهم السلام (لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم) الارواح جنود مجنونة (فاتعارف منها اتلف وماتنا كرمها) (اختلف) رواه البخاري من حديث عائشة وأجد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة والعقيلي والدارقطني وأبو نعيم من حديث علي والطبراني من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث سلمان وقد تقدم الكلام عليه (وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه ان يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن) وجعل الكمال مجددين اسحق الصوفي رحمه الله تعالى هذه الاقسام كلها راجعة الى سببين أحدهما الانعام والثاني الجمال وسيأتي نص كلامه في آخر هذا الفصل (فلما اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان حسن الخلق كامل

العلم تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فاتعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلما اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان حسن الخلق كامل

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الحاصل بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب للاحالة في أعلى الدرجات فلبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى * (بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده) * وان من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباء لان محبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوالبصائر الا الله تعالى ولا مستحق (٥٥٩) للمحبة سواء وايضا بان ترجع الى

الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانما حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى * فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقائه وكله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصه وقواطع كماله فهذه جملة كل حي ولا يتصور أن ينفل عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان حب الله تعالى من عرف نفسه وعرف من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعانه لا

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الحاصل بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب للاحالة في أعلى الدرجات فلبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى

* (بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى) *

(وحده وان من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته الله تعالى و) (حب الرسول) المرسل من عنده (محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباء) الذين هم أحب الله (لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر) المتورة (الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواء وايضا بان ترجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانما حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى فاما السبب الاول) من الاسباب الخمسة (وهو حب الانسان نفسه وبقائه وكله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصه وقواطع كماله فهذه جملة كل حي ولا يتصور أن ينفل عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه) بغاية النقص (وعرف ربه) بغاية الكمال (عرف قطعانه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله تعالى مصيره) وبالله تعالى قيامه (فهو المخترع الموجد له وهو المبق له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف) وظلمة خالصة (لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد) من المحاول الى الثبات ومن العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقها موجد ومخترعها مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة) لاعينه لان الانسان لا يحب الامن يعرف فالمحبة تتبع المعرفة بالضرورة يفهم هذا من قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سخطه نفسه أى جهلها بمعرفة النفس موجبة لمعرفة الرب (تتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

وجوده من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقها موجد ومخترعها مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة فتتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى (٥٦٠) الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فان الكل بالآخر قادرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن

وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهم العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذا انكشف لآرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الإبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتهما أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فإذا كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضض عالم البهائم اعلم أن في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة إليها عالم الشهادة ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقدر به القصور في حضض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الإنسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير إلى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة إلى اللب والصور والقلب بالإضافة إلى الروح والظلمة بالإضافة إلى النور والسفل بالإضافة إلى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرفون إلى العالم الأسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها بل داعية إلى طلب القرب إلى الله تعالى فمن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفان تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهة من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهة من الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكآل ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقد تقدم قريباً (وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي هو قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل) ومداره (وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجرة) ولذا قيل للعقل الأول الظل الأول لانه أول عين ظهرت بنوره تعالى وقبلت صورة الكثرة التي هي شئون الوحدة الذاتية وقيل للإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية ظل الاله وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي بكر السلطان ظل الله في الارض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله (والنور بالإضافة إلى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر) وهذا السياق اذا تأملته رأيته مائلاً إلى وحدة الوجود الذي قال به أهل الحقيقة وهي مشكلة مشهورة شديدة الاختلاف بينهم وبين علماء الظاهر وقد أشار المصنف إلى ذلك في عدة مواضع من كتابه هذا منها في هذا الموضع ومنها ما سر في كتاب الصبر والشكر وهو قوله النظر بعين التوحيد المحض يعرفك انه ليس في الوجود غيره تعالى الخ وصرح بذلك في كتابه مشكاة الانوار وغيره وقد صرح بها الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفتوحات (بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهم العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذا انكشف لآرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الإبصار) وأقوى منها (ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتهما أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى) فالنور الحق هو الله تعالى لذاته وبذاته ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها وهي مستفادة من النور الأول وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره وكل ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهره والثاني كنسبة النور إلى الشمس (ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق) لاتساعها وضيق ظروف الامثلة (فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضض عالم البهائم اعلم أن في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة إليها عالم الشهادة ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقدر به القصور في حضض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الإنسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير إلى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة إلى اللب والصور والقلب بالإضافة إلى الروح والظلمة بالإضافة إلى النور والسفل بالإضافة إلى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرفون إلى العالم الأسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها بل داعية إلى طلب القرب إلى الله تعالى فمن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفان تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهة من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهة من الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكآل ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاكره البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضض عالم البهائم

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعداها اذ ليس يحيط بها احصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتهم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك (٥٦١) وألزم في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه

في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فليست أعداها اذ ليس يحيط بها احصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتهم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وخلق داعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك والى في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لك لا يستطيع مخالفته ولا يقدر على مجاوزته (فالحسن) في الحقيقة هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك فهو مظهر من مظاهر قدرته (فصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته في نفسك محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسحار لحاجاته (أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق للطاعة والمحبة كما كان الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه) ظاهر (فلا يلقى في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فليست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر الجليل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) أجلا (بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من له عوضا هو أرح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خايع الامير الى من

(٧١ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع)
المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسحار أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكأن الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقى في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فليست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر الجليل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خايع الامير الى من

نطلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديني وادنيا في بذله فبذلك الثاني انه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينيا متمولا بل الحظوظ كلها أعوض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع (٥٦٢) الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان

خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديني وادنيا في بذله فبذلك الثاني انه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينيا متمولا بل الحظوظ كلها أعوض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض) وانما قلنا على وجه الكمال فان العبد قد يتجمل بهذا الوصف بالاكتساب بنوع من التكلف وهو مع ذلك ناقص بالإضافة الى الجواد المطلق والمحسن (فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطابع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولا بما يجادهم) واخراجهم من العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (ونانبا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترقيهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجملهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد) وهي الرئة (ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

كان في الطبع حسب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الأول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو

البغض مع انك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولا بما يجادهم وثانبا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترقيهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجملهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزاو اندخضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تخرم بعدم حاجتها ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره بحسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لالخط ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة (٥٦٣) بعين الرأس والى جمال الصورة

الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) بتهديتها ونجريدتها عن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزاو اندخضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تخرم بعدم حاجتها ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره بحسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لالخط ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة (٥٦٣) بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) بتهديتها ونجريدتها عن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمه الله عليه فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم

بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يجب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فأين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل وما أوتيتهم من العلم الا (٥٦٤) قليلا بل لواجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة

وبعوضة لم يطلعوا على
عشر عشر ذلك ولا
يحيطون بشئ من علمه
الا بما شاء والقدر اليسير
الذي علمه الخلاق كلهم
فبتعليمه علموه كما قال تعالى
خلق الانسان علمه البيان
فان كان جبال العلم
وشرفه أمرا محبوبا وكان
هو في نفسه زينة وكالا
للموصوف به فلا ينبغي
أن يحجب هذا السبب الا
الله تعالى فعلموا العلماء
جهل بالاضافة الى علمه
بل من عرف أعلم أهل
زمانه وأجهل أهل زمانه
استحال أن يحجب بسبب
العلم الاجهول ويترك
الاعلم وان كان الاجهول
لا يخلو عن علم ما تقتضاه
معرفته والتفاوت بين
علم الله وبين علم الخلاق
أكثر من التفاوت بين
علم أعلم الخلاق وأجهلهم
لان الاعلم لا يفضل
الاجهول بالعلوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان
ان ينالها الاجهول
بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله تعالى على

بالارشاد والتعليم) والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل (الخبائث) والباطنة (والشهوات الغالبة) على باعثة الحق (الصارفة عن سنن الخير) والصالح (الجاذبة الى طريق الشر) وبمثل هذا يجب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فأين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل وما أوتيتهم من العلم الا (٥٦٤) قليلا بل لواجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة

علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية اذ معلومات لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية (وأما صفة القدرة) فهي أيضا كمال والعجز قدرته نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيق حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالد رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهم ما واستيلاءهما على الاقران فيصاف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ورياء بمجد دلالة السماع فضلا عن المشاهدة وبورث ذلك حبا في القلب ضرور بالامتصاص فانه نوع كمال فانسب الا آن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأتمتعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مائة مائة

قدرته وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ور يا حها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين (٥٦٥) اذ قال انما مكنته في الارض فلم يكن

جميع ملكه وساطنته
الا بتمكن الله تعالى
ايه في خز من الارض
والارض كلها مدرة
بالاضافة الى اجسام
العالم وجميع الولايات
التي يحظى بها الناس
من الارض غير من
تلك المدرة ثم تلك الغيرة
ايضا من فضل الله تعالى
وتمكنه فيستحيل أن
يجب عبدا من عباد الله
تعالى لقدرته وسياسته
وتمكنه واستيلائه وكما
قوته ولا يجب الله تعالى
لذلك ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فهو
الجبار القاهر والعلیم
القادر السموات مطويات
بيمينه والارض وملكها
وماعليها في قبضته وناصية
جميع المخلوقات في قبضة
قدرته ان اهلكهم من
عند آخرهم لم ينقص من
سلطانه وملكه ذرة وان
خلق أمثالهم ألف مرة
لم يعي بخلقها ولا عيسه

قدرته (واما بلغها) وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته (من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها) من ملكوت الارض وجبالها وبحارها ور يا حها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات كالقمل (لاهاكه) ما اهلك النمرود في التوار يخ وأما هالك الفيل به فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدبيري وغيره ان البعوض اذا دخل في اذن الفيل كان سبب هلاكه ولذلك لا يزال يحرك آذانه شبه المراويح لئلا يقربه البعوض (فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه) ومع ذلك فهي ناقصة الا لتناول البعض الممكنات ولا تصلح للاختراع بل الله سبحانه هو المخترع لمة قدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ جميع اسباب الموجودات المقدورة (كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين) الاسكندر (اذ قال انما مكنته في الارض) وآتيناه من كل شئ سبيبا (فلم يكن جميع ملكه وساطنته الا بتمكن الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غير من تلك المدرة ثم تلك الغيرة ايضا من فضل الله وتمكنه فيستحيل أن يجب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكما قوته ولا يجب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعلیم القادر) ملك الاوائل والاواخر (السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وماعليها في قبضته ناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقها ولا عيسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو ائمن آ ن نار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مومجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مسخر امضطرا هو عين النقص والعيب واليه الاشارة بقول بعض العارفين وجود ذنب لا يقاس به ذنب ويقول الشيخ زسلان * كالك شرك خفي (فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور ان ينعم عنتم في الكمال على

لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو ائمن آ ن نار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مومجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مسخر امضطرا هو عين النقص والعيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور ان ينعم عنتم في الكمال على

غيره فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا (٥٦٦) وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه

نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لاندله الصمد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الازلى الذي لا أول لوجوده الابدى الذي لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات

غيره) بحيث يصل الى غاية ليس وراءها من يد من كل وجه (فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره) اذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده (فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب) المبرأ عن الاعتلال والاختلال (وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول) بمانه وتفصيله (وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا نطول بذكره) لانه لا يليق بهذا المقام (فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لاندله الصمد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذى لا يعزب) اى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا تنفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الازلى الذي لا أول لوجوده الابدى الذى لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال) وهذه كلها صفات الجلال وهى اذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جلالا وسمى المنصف بها جبلا وانما كان الحق هو الجبل المطلق لان كل ما فى العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس فى الوجود موجد له السكال المطلق الذى لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم (الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال) مشبرا الى هذا المقام (سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) سبحانه (لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث عائشة اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد تقدم وعند ابن خزيمة من هذا الوجه وأعوذ بك منك لأحصى مدحك الاثناء عليك وفى آخر عنده أيضا من وجده آخر عنها وبغفوك من عقوبتك وبك منك أثنى عليك لأبلغ كل ما فى وفى آخر عند الخليلي من وجده ثالث عنها لأحصى أسمائك ولا ثناء عليك وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث على رضى الله عنه (وقال سيد الصديقين) أبو بكر (رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لا يجعل الخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته) قال المصنف فى المقصد الاسنى نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشف ما فهمه انما سافروا ما فقد عرفوه أى بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وهو الذى أشار اليه الصديق بقوله المذكور بل هو الذى عناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لزمانة فى العبارة عنه بل معناه انى لا أحيط بمحمدك

وصفات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لم يجعل الخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً أي ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوعون الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرته على جماله وجلاله أن يطاع عليه الأمن سبقت له منه الحسنى الذين هم (٥٦٧) عن نار الحجاب بعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون

وصفات الهيئت وانما أنت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط بخلق من ملا حظة حقيقة ذاته الاباحية والدهشة انتهى (فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً) بمعنى الطاعة والامتثال (أي ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوعون الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه) وهم أهل البصيرة الباطنة (فسبحان من احتجب عن بصائر العميان) وهم الذين فقدوا تلك البصيرة (غيرته على جماله وجلاله أن يطاع عليه الأمن سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى) يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم (يترددون) وبحكم مبالغتهم في علمهم (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) والحاصل أنه إذا ثبت أنه جليل فكل جليل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله ولذلك كن الله محبوباً ولكن عند العارفين والمنكرين لهذا جاهلون ومن جهل شيئاً أعاده وهذا كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوباً ولو كن عند المبصرين لا عند العميان (فالحب بهما السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص وكذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن أود الأوداء) أي أكثرهم وذا (إلى من عبدني بغير نوال) أي عطاء (لكن لي عطي الربوبية حقها) كذا في القوت (وفي الزور) فيما نقله ابن منبه (ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار) أي جاء أو خوفاً (لوم أخلق جنه لا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع) كذا في القوت (ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا) ونغيرت ألوأهم فساءلهم عن حالهم (فقالوا نخاف النار) مر على آخرين فرأهم كذلك وسألهم فقالوا (نرجو الجنة فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فجوتم ومر بقوم آخرين فرأهم) كذلك فسألهم (فقالوا نعبده حباً له وتعظيمه بالجلال فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقم) وقد مر هذا قريماً ببسط ممانهنا وفيه فقول لهم أنتم المقررون أنتم المقررون وقد ذكره صاحب القوت باللفظين (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج التابعي السابري رحمه الله تعالى (إني لاستحي أن أعبد الله للثواب والعقاب فإكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء إن لم يعط لم يعمل) نقله صاحب القوت فقال ومن أقم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول إني لاستحي من ربي أن أعبد الله للثواب فإكون كالاجير السوء إن لم يعط أجزعه لم يعمل ولكن أعبدته بحبة له رواه أبو تميم في الحلية عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير والهيثم بن جميل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم إني لاستحي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً فإكون كالاجير إذا عمل لم يعط أجزه ولكن أعمل تعظيمه (وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء إن لم يعط أجزاً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل) لفظ القوت وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالاجير السوء إن لم يعط أجزاً لم يعمل وقال العراقي لم أجده أصلاً (وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء بمنجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه) كل ذلك للتناسب (وانس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف) أي المستقل بالحرفة والكسب (وانس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح) وبالعكس (وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد به الأخبار والآثار كما استقصينا في باب الآخرة في الله في كتاب آداب

وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن لي عطي الربوبية حقها وفي الزور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنه ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حباً وتعظيمه بالجلال فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقم وقال أبو حازم إني لاستحي أن أعبد الله للثواب والعقاب فإكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ولا كالاجير السوء إن لم يعط أجزاً لم يعمل

وكالاجير السوء إن لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء إن لم يعط أجزاً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء بمنجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وانس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد به الأخبار والآثار كما استقصينا في باب الآخرة في الله في كتاب آداب

الصحة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب النجاة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناعب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقضي حب الله تعالى المناسبة (٥٦٨) باطنية لا ترجع إلى المشابهة في الصور والاشكال بل إلى المعان باطنية يجوز أن يذكر بعضها

في الكتب وبعضها
لا يجوز أن يسطر بل
يترك تحت غطاء الغبرة
حتى يعثر عليه السالكون
للاطريق اذا استكملوا
سرط السالكين فالذي
يذكر هو قرب العبد
من ربه عز وجل في
الصفات التي أمر فيها
بالاقتداء والتخلق باخلاق
الربوبية حتى قبل تخلقوا
باخلاق الله وذلك في
اكتساب محامد الصفات
التي هي من صفات
الالهية من العلم والبر
والاحسان والطف
واقاضة الخير والرحمة على
الخلق والنصيحة لهم
وارشادهم الى الحق
ومنعهم من الباطل الى
غير ذلك من مكارم
الشريعة فكل ذلك
يقرب الى الله سبحانه
وتعالى لانه عنى طلب
القرب بالمكان بل
بالصفات وأما ما لا يجوز
أن يسطر في الكتب
من المناسبة الخاصة التي
اختص بها الادي
فهي التي يوصي بها

الصحية فلا يطلب منه واذ كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كنسابة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطاع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجنونة فما تعارف منها اثلت وماتنا كرمها اختلف تقدم قريبا (فالتعارف هو التناسب والمثلنا كرهو التباين) أي فما تناسب منها في عالم الازل حصل بينها الائتلاف في عالم الشهادة وماتباين منها هناك أوجب حصول الاختلاف ههنا (وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنه لا ترجع الى المشابهة والصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السالك) ووصلوا الى مقام القرب (فالذي يذكره هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتراد اذ الخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله) أي تخلقوا بها في صفاته وأسماؤه (وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللاطف والفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة) وذلك فيما أمكنه منها (فكل ذلك تقرب الى الله تعالى) لانه به يصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا للملأ الأعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى (لا يعني طلب القرب بالمكان بل بالصفات) ومهما تفاوتت درجات الكمال واقصر منهن الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الاله ولم يكن للموجودات الاخر كمال مطابق بل كانت لها كالات تفاوتة بالاضافة فأكملها أقرب لا محالة الى الذي له الكمال المطلق أعني قريبا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان (واما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص به الاكبر) دون سائر المخلوقات (فهو التي يومئ اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي اذ بين انه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق) وهكذا شأن أمور الربوبية ألاله الخلق والامر (وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) ففعواله ساجدين (ولذلك اسجده الملائكة) ان ذلك النفخ والتسوية ومن قوله وأوضح من ذلك الى هنا قد سقط من بعض النسخ وقد أشار الى ذلك المصنف في كتاب النفخ والتسوية ومنهم من أنكر نسبة هذا الكتاب اليه كما ذكرنا في مقدمة كتاب العلم (وبشر اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بذلك المناسبة) لانه أنموذج من نور الله تعالى ولا يخالو الا نموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا ركن ماهر للتعطيل لسر الآية (واليه ومز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه (حتى ظن القاصرون) من العلماء (أن لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس) الظاهرة وأنكروا الصورة الباطنة المدركة بالبصيرة الباطنة (فشبهوا وجسمه وصوره واتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا) واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرصت فلم تعدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدته عنده (روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى

قوله تعالى ويستلوا نكاح الروح من الروح من أمر ربي أذنب إن الله أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك يقول
قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي والذالك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى أنا جعلناك خليفة في الأرض اذلّم يستحق آدم
خلافه الله تعالى الابتك المناسبة إليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة
الظاهرة المدركة بالحواس فشهوا وجسمه وأصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وإليه الإشارة بقوله تعالى موسى
عليه السلام مرضت ألم تعذبني فاعلى يارب وكيف ذالك قال مرضت عبدك والآن لم تدره ولو لم تدره وجدته في يدي

يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال ما علمت ان عبدى
 فلا نمرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لو جدتني عنده الحديث (وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواطبة على
 النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت
 سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي
 هريرة وقد تقدم قلت رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد
 وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد آستحل بحمار بني ومات تقرب الى عبدى
 بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كتبت عنه التي يبصر بها واذنه
 التي يسمع بها يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي
 يتكلم به وان دعاني أجبتني وان سألتني أعطيتني الحديث وروى ابن السني في الطب من حديث ميمونة قال الله
 تعالى ما تقرب الى العبد بمثل أداء فرائضه وانه ليتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت رجله التي
 يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به ان سألتني أعطيتني وان دعاني أجبتني
 وروى في حديث أنس ومات عبد الى عبدى المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدى المؤمن بمثل أداء
 ما أقرضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومريدا
 الحديث رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في
 الاسماء وابن عساكر وقال المصنف في مشكاة الانوار منتهى معراج الخلائق فملكته الفردانية فليس وراء
 ذلك مرتقى اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافية يستدعي بانه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذ ارتفعت
 الكثرة خفت الوحدة وطلبت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتقى فاستحال الترقى
 واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان من تغيب
 حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراف من علو الى اسفل لان الاعلى له اسفل وليس له أعلى فهذه غاية
 الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجمله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه
 الا العلماء بالله فاذا انطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعدان قال العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو
 نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو بعد منه اذ قال هـ ذا المستغرق بالفردانية أيضا نزول الى السماء
 الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس وتحرريك الاعضاء واليه الاشارة في الخبر صرحت سمعه الذي يسمع
 به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر
 والناطق اذا لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركت هـ ذا الموحد من السماء الدنيا
 واحساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يتربى من سماء العقل في منتهى معراج
 الخلائق وملكته الفردانية الى سبع طبقات ثم بعده يستوى على عرش الوحدة ومنه يدبر الامر لطبقات
 سماواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يعين الناظر فيه فيعلم
 أن ذلك له تأويل كقوله انا الحق وسبحاني بل كقوله مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه (وهذا
 موضع يجب قبض عنان القلم فيه) فما يطبق الناس من هذا الفن أكثر من هذا المقدار (فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصر من مالوا الى التشبيه الظاهر) فلم يفهموا من الصورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس وكذا
 في النزول الى السماء الدنيا واضرب ذلك الى (عالين مسرفين) تجاوزوا في الحدود (وجاوز واحد المناسبة الى
 الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق) والقول بالاتحاد باطل لان قول القائل ان العبد صار الرب كلام
 متناقض في نفسه وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون الا بطريق التوسع اللائق بعبادة الصوفية
 والشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام في الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر
 * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * وذلك مؤول عنده فانه لا يعني انه هو تحقيقا بل كانه هو فانه مستغرق

وهذه المناسبة لا تظهر الا
 بالمواطبة على النوافل
 بعد احكام الفرائض
 كما قال الله تعالى لا يزال
 يتقرب العبد الى
 بالنوافل حتى أحبه فاذا
 أحبته كنت سمعه الذي
 يسمع به وبصره الذي
 ينطق به وهذا موضع
 يجب قبض عنان القلم
 فيه فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصر من مالوا
 الى التشبيه الظاهر والى
 غالين مسرفين جاوز
 واحد المناسبة الى الاتحاد
 وقالوا بالحلول حتى قال
 بعضهم انا الحق

الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز ومن لم يجد في القلب الا جلال الله وجله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لانه هو حقيقة وخلق بين قولنا هو وكأنه هو ولكن قد يعبر بقولنا هو وعن قولنا كأنه هو وقول أنا الحق اشهر به الحسين بن منصور الحلاج وقد أجاب عنه المصنف في المقصد الاسنى فقال حظ العبد من اسمه تعالى أن يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد وان كان حقا فليس هو حقيقة نفسه بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى فانه موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا اتحاد الحق له فقد أخطأ من قال أنا الحق الاباحد وجهين أحدهما ان يعنى انه بالحق وهذا بعيد لان اللفظ ينابى عنه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى فهو بالحق الثاني أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أخذ كلية الشئ واستغرقه فقد يقال انه هو فان جاؤ هذين التأويلين الى الاتحاد فذلك محال قطع او اما الحلول فهو أيضا باطل فان المفهوم منه أمران أحدهما النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالبرى عن معنى الجسمانية يستحيل في حقه ذلك والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فان العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بانه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدفع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحمل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة الواقعة بين الاجسام فلا يتصور الحلول بين عبيدين فكيف يتصور بين العبد والرب (وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الله) وقد غلطوا في ذلك ومنشأ غلطهم انهم نظروا الى كمال ذاته وقد تزين بماتلا في فيه من حلية الحق فظنوا انه هو الله (وقال آخرون) منهم (تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به) أى اتحد الناسوت باللاهوت وكل هذه اخلاط فاحشة تقضى المروق عن الدين والوقوع في الكفر الصريح (واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل) المفهوم من قوله تعالى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير (واستحالة الاتحاد والحلول) وكذا استحالة الانتقال والاتصاف بامثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة (وانضح لهم مع ذلك حقيقة السير فهم الاقلون ولعل أبا الحسن) أحد بن محمد (النورى) البغدادى المتوفى سنة ٢٩٥ من أقران الجنيد نسب الى نور الوعظ (عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل اذ انشد له)

(لازلت أنزل من وداك منزلا * تخير الالباب عند نزوله)

(فلم يزل يعدو في وجده) حتى وقع (على أجرة قد قطع قصها وبقى اصوله) محمودة كالسنان (حتى تشق قدما وتور متاومات من ذلك) وقد تقدم هذا في كتاب الوجد والسماع (وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذه هي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهره في حق الله تعالى تحقيقا بجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر) والكشوفات الباطنة (حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العبيان حب غير الله تعالى فقط) وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفى في مقاصد الخفيات مانصه الناس يتفاوتون في الحب تفاوتا لا ينحصر على قدر الاسباب الموجبة لحب الله تعالى فان المحبة تكون مسببة عن معرفة انعام الله تعالى واحسانه وافضاله وتكون مسببة عن جمال الله وكماله وهذه أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلها متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيها شغل عن الله ولان الاحسان يزيد وينقص وهذا المحبة الناشئة عن الجمال والكمال من أثر نعم الله على العباد لانهم تعريفا له بما هو به وتقريب منه لان التصور يصير كامنا تحت أشعة الافضل اذا امتلا القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للعالم والامام الغزالي ذكر للمحبة أسبابا خمسة اذا أهملت النظر فيها رأيتها داخله تحت هذين السببين اما المحبة العبدية من أجل ان الله خلقه وأبقاه وخلق له الآلات المكمل لبقائه فهو من جملة احسان الله اليه واما محبته لاجل احسانه العام على سائر العباد فهو من جملة الفعل وكماله الذاتى واما محبتك العبدية لاجل الاوصاف الباطنة من العلم والقدرة

وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الله وقال آخرون منهم تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول وانضح لهم مع ذلك حقيقة السرفهم الاقلون ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل لا زلت أنزل من وداك منزلا

تخير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على أجرة قد قطع قصها وبقى اصوله حتى تشقت قدما وتور متاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذه هي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهره في حق الله تعالى تحقيقا بجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العبيان حب غير الله تعالى فقط

ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا حرج لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقا فالإسهام (٥٧١) فيه أصلا * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى

والارادة وموازة الارواح القدسية وتزويجها عن الحلول في المواطن والقرب والبعد والكمية فذلك أيضا من افضال الله تعالى على عبده لانه الذي خلقه وعدله وخلق له بعد التعديل روحا مقدسة من الحس وعوارضه وأقام له بها اعراضا شريفة هي علوم ومعارف يعرف بها ربه انتهى * ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب الخمسة يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الاوصاف و) نهاية (الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا حرج لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقا فالإسهام فيه أصلا) أي لا يشارك وهذه الخواص الالهية ليست الله تعالى ولا يعرفها الا الله تعالى فلا حرج لا يتصور أن يعرفها الا هو أو من هو مثله واذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره وهذا يشترش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم القول بالتعطيل وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام والله الموفق * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم)

(وانه لا يتصور ان يؤثر عليه لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة) ولم يكن له منها نصيب واخر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذات) بأسرها (تابعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع لجملة من القوى والغرائز) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية (ولكل قوة وغريزة) منها (لذة) يدرك بها الملائم من حيث انه ملائم (ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا) لا فائدة فيها ولا حكمة (بل ركبت كل قوة وغريزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام) من المغضوب عايمه (فلا حرج لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام) للبدن (فلا حرج لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم) وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة يلتذ بتذكريها (فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة) فما كان ملائما يسمى لذة ومالا فالما وكل ذلك (بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي) والفيض القدسي (لقوله تعالى أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فذلك النور هو الذي يفسح له الصدر فينور بأشعة (وقد تسمى العقل) وقد يسمى عين القلب وقد يسمى الروح وقد يسمى النفس الانسانية (وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين) وكل ذلك تعبيرات عن عين في القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة (ولامعنى للاشتغال بالاسامي) المختلفة (فان الاصطلاحات مختلفة) ولا مشاحة فيها (والضعيف البصيرة ربما (يظن أن الاختلاف واقع في المعاني) فيتوهم كثرتها بكثرة اسمائها (لان الضعيف شأنه) أبدا (يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب) فان دائرة المعاني أوسع من دائرة الالفاظ فلا تسكاد الالفاظ تحيط بها كما ينبغي) فالقلب مفارق لساير أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسب تلك الغريزة عقلا متابعة

والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليه لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة) * اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز وكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا حرج لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا حرج لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة

بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لساير أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسب تلك الغريزة عقلا

بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذم بعض الصوفية والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي ان تدم وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة فائدة حتى أن الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم (٥٧٢) باللاعب بالشرط نج على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك

لفه رط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر كاذبة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلوم فان كان المعلوم شريفا كان العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

للجمه ورفى الاصطلاح ونعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن المجنون وعن البهيمة (بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا) وسماه العلوم المحصلة من طريقه بالعقولات (ولهذا ذم بعض الصوفية) لما يطرأ في تلك العلوم التي طريقها العقل من الخيالات والادهام والاعتقادات ما يكون سببا لفاش اغلاطهم (والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم) والأطفال والمجانين (ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات) وأنفسها وأعلىها وهي الحقيقة بان تسمى باسم النور وأولى بهذه التسمية من العين الظاهرة (فلا ينبغي أن تدم) ولا ينسب اليها النقص (وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة فائدة) هي أنفس الذات واعلاها (حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم) أي المباراة ومنازعة الغلبة (والتدح به) بين الناس (في الاشياء الحقيرة فالعالم باللاعب بالشرط نج على خسته) وقلة قدره (لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال) وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذلك وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه) ويرتاح اليه (ثم ليس لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر) والادب (كاذبة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلوم) فان كان المعلوم شريفا كان العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال

رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل فان اطلع على أسرار

الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبداع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتمل (٥٧٣) من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النفس الى الوجه

الجميل الفائق الجمال
لذة النظر الى مادونه في
الجمال وانما تعرف أقوى
الذات بان تكون مؤثرة
على غيرها فان المخبر بين
النظر الى صورة جميلة
والتمتع بمشاهدتها وبين
استنشاق روائح طيبة اذا
اختار النظر الى الصورة
الجميلة علم انها لذته
من الروائح الطيبة
وكذلك اذا حضر الطعام
وقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج على
اللعبة وترك الاكل
فيعلم به أن لذة الغلبة في
الشطرنج أقوى عنده
من لذة الاكل فهذا معيار
صادق في الكشف عن
ترجيح اللذات فتعود
وتقول تنقسم الى ظاهرة
كـ لذة الحواس الخمس
والى باطنة كـ لذة الرياضة
والغلبة والكرامة والعلم
وغيرها اذ ليست هذه

والجمال والبهاء والجلال أعظم) وأجل (من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها) وعظمها (وعجائب أحوالها وصف الواصفين) وان بانوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب وسائر الحواس الخمس) الظاهرة والباطنة (فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتمل) أى الهاج الشهوة (من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النظر الى الوجه) الحسن (الجميل الفائق الجمال لذة النظر الى مادونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخبر بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها لذته من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة) على قرنه (في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل) ولولا ذلك لترك اللاعب واشتغل بالاكل (فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود وتقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كـ لذة الحواس الخمس) من ابصار واستماع وشم وذوق ولمس (والى باطنة كـ لذة الرياضة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة) أقوى (وأغلب على ذوى السكال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج) وهو الحلوى المتخذة من السكر واللوز (وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة) دنيتها (ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة) رفيعها (حي القلب) كامل العقل (منور البصيرة) اختار الرياضة) والغلبة والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره للرياسة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة) بمقتضى طبيعتهما (وإن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية) بعين البصيرة (ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وغاية العبارة عنه ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى

اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى السكال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره للرياسة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى

لهم من قرءة أعين وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين برأسهم لعلمه بظنار رياسته وفناهم من علمه رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلق عواها وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من آتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون على ما فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام ملكته من أعلى علمين إلى أسفل السافلين فأنه أخالية عن (٥٧٤) المزاجات والمكدرات متسعة لامتواردين علمها لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث

التقدير السموات والأرض وأذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضاها فلا يزال العارف بطاعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وانما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخلصها من جنسها فأما ما يتبعها فلا ولا تحسب من الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

لهم من قرءة أعين) وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (انه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وذلك فيما قاله حاكياً عن ربه عز وجل أعدت لعبادى الصالحين الحديث رواه البخارى من حديث أبي هريرة (وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد) عن الخلق (والفكر والذكر) ويرابط قلبه على المراقبة (وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة) والاستعلاء (ويستحق الخلق الذين برؤسهم) ويعلو عليهم (لعلمه بظنار رياسته وفناهم من علمه رياسته وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلق عواها) ولا عن القدرة (وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من آتيانه مهما أخذت الأرض) أى أرض الوجود (زخرفها) أى زينتها (وازينت) أى تلاتها بكلماتها (وظن أهلها أنهم قادرون على ما فيستعظم) وتعام الآية أنها أمر نالها وأنها أروا والمراد باتيان الامر هو الموت (فليست عظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته) العلية (وأفعاله) ومعاملاته مع عبده (ونظام ملكته من أعلى علمين إلى أسفل السافلين فأنه أخالية عن المزاجات) والمدافعات (والمكدرات متسعة لامتواردين علمها لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض) وانما خص العرض دون الطول لان الطول تابع للعرض أولان العرض أقل من الطول فاذا كان عرضها هكذا فبالطول (يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فإما من ثمره يقطفها الا وينت مكانها مثلها وأحسن منها ولا يخرج على قاطفها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وانما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها) ويجرد هاعنها (ويخلصها من جنسها فأما ما يتبعها فلا) قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية) وتعامها فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا تظن ان هذا مخصوص بالمتقون في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد في المعركة) وفي الخبر ان الشهيد يتن في الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) في الخبر أيضاً (ان الشهداء يسمعون لو كانوا علماء يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بحسبه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلاً الا أنهم يتفاوتون في سعة تفرغاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظراتهم وسعة عارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة كهاوان هذه اللذة لا تكون لهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه) اذ لا عقل لهم وان لذة المحسوسات والشهوات تكون

لذوى الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يسمعون لو كانوا علماء يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بحسبه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلاً الا أنهم يتفاوتون في سعة تفرغاتهم بقدر تفاوتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة كهاوان هذه اللذة لا تكون لهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان (٥٧٥) يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب

العلوم وان لم يشتعوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وتحلل الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أبطأ معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أمرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف في قلبه قابله عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا ما لا يدرك الا بالذوق) العرفاني الذي هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه قلبه الجدوى) أي القائدة (فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أذل الأشياء وأنه لاذة فوقها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان الله عباد ليس يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) نفسه صاحب القوت (والذي قال بعض اخوان معروف) الكرخي قدس سره (له أخبرني) عنك (يا أبا محفوظ) وهي كنية معروف (أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أي ذلك البعض (ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ قال وأي شئ القبر والبرزخ فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كماله جميع هذا) نقله صاحب القوت وزاد فقال وحدثت عن عبد الوهاب الحبي قال رأيت أحمد بن نصر الخزازي في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال أدخلني عليه في داره بسط لي حصيرا من لؤلؤ وطرب عن عيني فقال يا أحمد قتلت في وصبرتي فقلت نعم يا رب فقال ها أنا ذا أنزل اليك حتى تنظر الى وجهي جل جلال وجه ذي الجلال (وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا) ولفظ القوت مستغفرا (بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه) زاد في القوت والمحبة لله يجب النصب لله تعالى (ورأي بعض الشيوخ) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحنفي قدس سره (في النوم) ولفظ القوت وحدني بعض الاشياخ عن منصور الحارثي وغيره انه رأى بشر بن الحرث في النوم (فقال) فقلت له (ما فعل أبو نصر النار) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين سنه روى له مسلم والنسائي (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (الوراق) البغدادي ثقة مات سنة تسعين ومائتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي (قال تركتهما الساعة

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة على غيرها من الازدات) فاما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف وفي مفهومه لم يذق لم يعرف كما قيل

ولو يذوق عاذلي صباي * صباي لكنه ما ذاقها

وفي أول قصيدة ابن عني من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح بشره (ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتعوا بطالب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وتحلل الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها) والبحث عنها (فانها أبطأ معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أمرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف في قلبه قابله عند حصول الكشف من الفرح) والارتياح (ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا ما لا يدرك الا بالذوق) العرفاني الذي هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه قلبه الجدوى) أي القائدة (فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أذل الأشياء وأنه لاذة فوقها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان الله عباد ليس يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) نفسه صاحب القوت (والذي قال بعض اخوان معروف) الكرخي قدس سره (له أخبرني) عنك (يا أبا محفوظ) وهي كنية معروف (أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أي ذلك البعض (ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ قال وأي شئ القبر والبرزخ فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كماله جميع هذا) نقله صاحب القوت وزاد فقال وحدثت عن عبد الوهاب الحبي قال رأيت أحمد بن نصر الخزازي في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال أدخلني عليه في داره بسط لي حصيرا من لؤلؤ وطرب عن عيني فقال يا أحمد قتلت في وصبرتي فقلت نعم يا رب فقال ها أنا ذا أنزل اليك حتى تنظر الى وجهي جل جلال وجه ذي الجلال (وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا) ولفظ القوت مستغفرا (بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه) زاد في القوت والمحبة لله يجب النصب لله تعالى (ورأي بعض الشيوخ) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحنفي قدس سره (في النوم) ولفظ القوت وحدني بعض الاشياخ عن منصور الحارثي وغيره انه رأى بشر بن الحرث في النوم (فقال) فقلت له (ما فعل أبو نصر النار) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين سنه روى له مسلم والنسائي (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (الوراق) البغدادي ثقة مات سنة تسعين ومائتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي (قال تركتهما الساعة

بعض اخوان معروف الكرخي يا أبا محفوظ أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كماله جميع هذا) وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه رأي بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة

بين يدي الله تعالى بالكلمات وبشرى بان (٥٧٦) قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه ومع علي بن الموفق

بين يدي الله تعالى بالكلمات وبشرى بان (٥٧٦) قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه ومع علي بن الموفق
قال رأيت في النوم كأنني
أدخلت الجنة فرأيت
رجلا قاعدا على مائدة
وملكان عن يمينه وشماله
يلقمانه من جميع
الطيبات وهو يأكل
ورأيت رجلا قاعدا على
باب الجنة يتصفح وجوه
الناس فيدخل بعضا
ويزج بعضا قال ثم جاوزتها
الى حظيرة القدس
فأريت في سرادق العرش
رجلا قد شخص ببصره
ينظر الى الله تعالى لا
يطرف فقلت لرضوان
من هذا فقال معروف
الكرخي عبد الله لاخوفا
من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبالة فاباحه النظر
اليه الى يوم القيامة
وذكر ان الآخرين
بشرى بن الحرث وأجد بن
حنبل ولذلك قال أبو
سليمان من كان اليوم
مشغولا بنفسه فهو غدا
مشغول بنفسه ومن كان
اليوم مشغولا بربه فهو غدا
مشغول بربه (الرابعة) ابنة اسمعيل العدوي البصرية العابدات رجها الله تعالى وكانت احدي المحبين ماتت سنة ١٣٥
وكان الثوري يقدسه عديدين يدعيها ويقول علمنا بما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل
أنت لولا أنك تحب الدنيا وقد كان الثوري زاهدا عالما الا انها كانت تجعل ايشا ركتب الحديث والاقبال على
الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل ايمان حقيقة و (ما حقيقة ايمانك
قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء ان خاف عمل) او اذا أعطى عمل (بل عبدته
حبالة وشوقا اليه) وروى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحى أن أسأل الدينيمان بملكها فكيف أسألها
من لا يملكها فكان هذا جوابا لانه قال سألني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبتها بأما حتى سئلت أن
يدخل علمها فقالت له يا شهواني أطلب سهوانية مثلك أي شيء رأيت في من آله الشهوة وخطبها محمد بن سليمان
الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر اجعلها لك فكسبت اليه ما يسرني
انك لي عبد ودان كل مالك لي وانك شغلتنى عن الله طرفه عين (و) قد (قالت في معنى المحبة) أبا تانا (نظاما)
تحتاج الى شرح جلها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الضبي وعبد الواحد
ابن زيد وحامد بن زيد وهي هذه

(أحبك حبين حب الهوى * وحبالانك أهل لذل * فاما الذي هو حب الهوى

فشغلي بكرك عن سواك * وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للعجب حتى أراك

قال رأيت في النوم كأنني
أدخلت الجنة فرأيت
رجلا قاعدا على مائدة
وملكان عن يمينه وشماله
يلقمانه من جميع
الطيبات وهو يأكل
ورأيت رجلا قاعدا على
باب الجنة يتصفح وجوه
الناس فيدخل بعضا
ويزج بعضا قال ثم جاوزتها
الى حظيرة القدس
فأريت في سرادق العرش
رجلا قد شخص ببصره
ينظر الى الله تعالى لا
يطرف فقلت لرضوان
من هذا فقال معروف
الكرخي عبد الله لاخوفا
من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبالة فاباحه النظر
اليه الى يوم القيامة
وذكر ان الآخرين
بشرى بن الحرث وأجد بن
حنبل ولذلك قال أبو
سليمان من كان اليوم
مشغولا بنفسه فهو غدا
مشغول بنفسه ومن كان
اليوم مشغولا بربه فهو غدا
مشغول بربه (الرابعة) ابنة اسمعيل العدوي البصرية العابدات رجها الله تعالى وكانت احدي المحبين ماتت سنة ١٣٥
وكان الثوري يقدسه عديدين يدعيها ويقول علمنا بما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل
أنت لولا أنك تحب الدنيا وقد كان الثوري زاهدا عالما الا انها كانت تجعل ايشا ركتب الحديث والاقبال على
الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل ايمان حقيقة و (ما حقيقة ايمانك
قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء ان خاف عمل) او اذا أعطى عمل (بل عبدته
حبالة وشوقا اليه) وروى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحى أن أسأل الدينيمان بملكها فكيف أسألها
من لا يملكها فكان هذا جوابا لانه قال سألني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبتها بأما حتى سئلت أن
يدخل علمها فقالت له يا شهواني أطلب سهوانية مثلك أي شيء رأيت في من آله الشهوة وخطبها محمد بن سليمان
الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر اجعلها لك فكسبت اليه ما يسرني
انك لي عبد ودان كل مالك لي وانك شغلتنى عن الله طرفه عين (و) قد (قالت في معنى المحبة) أبا تانا (نظاما)
تحتاج الى شرح جلها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الضبي وعبد الواحد
ابن زيد وحامد بن زيد وهي هذه

أحبك حبين حب الهوى
وحبالانك أهل لذل
فاما الذي هو حب الهوى

فلا الجدي ذاولا ذاك لي * ولكن لك الجدي ذاولا ذاك

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الايات بكلام ساطع الانوار يعرف من رزقه وينكره من حرمه والمصنف رحمه الله تعالى أشار الى زبدة كلامه فلو رد كلامه اولاً ثم كلام صاحب القوت قال المصنف (ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة وبمحبه لما هو اهل له الحب لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين) فقد اشار بذلك الى ان كلامها يدل على ان المحبة بهذا السبب اقوى الاسباب واثبتها دواما واصحاب القوت فقال فاما قولها حب الهوى وقولها حب انت اهل له وتفرقتا بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويحسبه من لم يشهده وفي تسميته ونعت وصفه انكار من ذوى العقول من لا ذوق له منه ولا قدر له به ولكننا نجمل ذلك وندل عليه من عرفه معنى حب الهوى اى رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لامن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فتختلف محبتي اذا نعتت ابرت الافعال لاختلاف ذلك على ولكن محبتي من طريق العيان فقررت منك وهربت اليك فاشتغيت بك لما تفرغت لك كما قال المحب فرغت قلبها اشتغالا بذكري * وكذا كل فارغ مشغول

فلا الجدي ذاولا ذاك لي
ولكن لك الجدي ذاولا
وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى
حب الله لاحسانه اليها
وانعامه عليها بحفظ
العاجلة وبمحبه لما هو
اهل له الحب لجلاله وجلاله
الذى انكشف لها وهو
اعلى الحبين واقتواهما
ولذة مطالعة جمال
الربوبية هي التي عبر
عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال
ما كبا عن ربه تعالى
اعددت لعبادى الصالحين
ملاعين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب
بشر

وعلى هذا المعنى قوله تعالى واصبح نؤاداً مومناً فاعزأى ملائكة كره حتى فاض فكدت ان تظهره فتقول هو ابني فعبر عن الملأ بالفراغ من ضده لولان اولياءه عليه بطناً فكظمت ولولم تفعل لاطهرت ولولأظهرته لقتل وأما الحب الثانى الذى هو اهل له تعنى حب التعظيم والاحسان لوجه العظيم ذى الجلال تقول ثم انى مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل ان أنظر اليك فى الآخرة على الكشف والعيان فى محل الرضوان لان حى لك لا يوجب لك جزاء عليه بل يوجب على كل شئ مما لا يطيقه ولا أقوم بحقه فيه أبداً اذ كنت قد أحببتك فلزمنى خوف التقصير ووجب على الحياء من قلة الوفا والخوف لما تعرضت به من حبك اذ ليس كذلك شئ كما قال المحب

أصبحت صبا ولا أقول بمن * خذوا لمن لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هوائى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى
لولان الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق فالحب لا يلام لغيبة النفس عنه والانام تقول فتفضلت على بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلت فاريتنى وجهك عندك آخر كما أريته اليوم عندي أولاً فلك على ما تفضلت به فى ذلك عندي فى الآخرة ولا جدلى فى ذاهنا ولا جدلى فى ذلك هنالك اذ كنت أنا وصلت اليها بك فانت المحمود وفيها لانك وصلتني بمافهنا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحقين وقد كانت تذكر الانس فى وجدها وترتفع الى وصف معنى من الخلقة فى قولها السائر

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جالوسى
فالجسم منى للجليل مؤانس * وجيب قلبى فى الفؤاد أنيسى
ومن قولها النادر فى مقام الخلقة وتخللت مسالك الروح منى * وبه سمي الخليل خليل
فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكنت كنت الغليل

وقد أهل ذلك لها كل من نقله عنهم العلماء ووصفوها به فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح من معنى كلامها لانا طمنا بتقولها ذلك ان كان لها فى المحبة قدم ولا يسعنا ان نشرح فى كتاب حقيقة كشف ما أجلتنا ولان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل بمحبته ولا يقتضى الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيئاً لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرب جاء الذى ضده الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف الموت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت (ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما كبا عن ربه تعالى اعددت لعبادى الصالحين) أى حضرتى من الجزاء (ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث

وقد تعجل بعض هذه المذات في الدنيا ان انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك على قلبي اُنقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليلا ينادي جليسه وقال اذ بلغ الرجل في هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون (٥٧٨) ما يقوله جنونا وكفرا فتصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرعة العين التي لا تعلم

نفس ما أخفى لهم منها
واذا حصلت انمحقت
الهموم والشهوات كلها
وصار القلب مستغرقا
بنعيمها فلو ألقى في النار
لم يحس به الاستغراق
ولو عرض عليه نعيم الجنة
لم يلتفت اليه لكمال
نعيمه وبلوغه الغاية التي
ليس فوقها غاية وليت
شعرى من لم يفهم الا
حب المحسوسات كيف
يؤمن بلذة النظر الى
وجه الله تعالى وماله
صورة ولا شكل وأي معنى
لوعده الله تعالى به عباده
وذكروه انه أعظم النعم
بل من عرف الله عرف
ان المذات المفرقة
بالشهوات المختلفة كلها
تنطوي تحت هذه اللذة

كما قال بعضهم
كانت لقلبي أهواء مفرقة
فاستجمعت مذرا تلك العين
أهوائى
فصار يحسدني من كنت
أحسده
وصرت مولى الورى مذ
صرت مولائى
تركت للناس دنياهم
ودينهم
شغلا بذكرى ياديني
ودنياي

أبي هريرة روى عن ربه بن جرير عن أبي سعيد عن قتادة عن سلاور روى ابن جرير أيضا عن الحسن بلاغا بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقد تعجل بعض هذه المذات في الدنيا ان انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني) لاجد الحضور (فاقول يا رب أو يا الله فاجد ذلك أنقل على قلبي من الجبال) قبل له ولم قال (لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه) انما هي اشارات وملاحظات ومناعات وملاطفات فصاحب هذا المقام ممن عجّل له هذه اللذة وقد صدق فيما قال فان النداء لا يكون الا للغائب ومن كان الذي يناديه جليسه هو أنيسه فيستغنى عن نداءه كيف وهو مستغرق في الهم به ويستأنس له ما جاءه في الخبر قال الله تعالى يا موسى أنا جالس من ذكرني ويشبه ان يكون هذا مقام رابعة قدس الله سرها اذ قالت وحبيب قلبي في الطواد أنيسى * وقال صاحب القوت عقيب الكلام السابق الا أنه مستبعد ان يقول مأخوذ عليه ان يكون فقهيا بما يقول ولا يخرج من موضع القرب وان وقع عليه الحكم بالقول والفعل ولكل مقام مع الله تعالى فقد خفي ولكل عالم بالله اللطيف علم لطيف غريب (وقال بعضهم اذ بلغ الرجل في هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة) كفى القوت ولفظه واقد قال لرجل من أهل المعرفة اذ بلغ أحدهم من هذا العلم الغاية وماه الخلق بالجملة (أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا وكفرا) زاد صاحب القوت فقال وقال آخر اذ انتهت معارفهم انتهت الى حيرة ودهشة انتهت ومن ذلك قول ابن عباس لو فسرت لكم آية كذا وماها لم يمتوني بالجملة أي لقلتم بكفري فانه لا يرجع بالجملة الا من ارتد عن دينه (فتصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرعة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها) من أنواع الانصبة (واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى في النار لم يحس بها) ولم يدرك لها المألى (لاستغراقه) بكايته (ولو عرض عليه نعيم الدنيا لم يلتفت اليه) أصلا (لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية) ولا بعد هاسرى (وليت شعرى من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل) تعالى الله عن ذلك (وأى معنى لوعده الله تعالى به عباده وذكروه انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان المذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة) وهذا هو معنى الحب الاول الذي أشارت اليه رابعة قدس الله سرها (كما قال بعضهم) أي من المحبين مشير الى هذا المقام

(كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذرا تلك العين أهوائى)
أى كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلبية القلب ووجه المحبة وأنسى
ماسواك والبه يشير قول القائل وأنت جعت من قلبي * هوى قد كان مشتركا
(فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى اذ صرت مولائى)
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرى ياديني ودنياي
(ولذلك قال بعضهم) أي من المحبين مشير الى هذا المقام
(وهجرة أعظم من ناره * ووصله أطيّب من جنته)

وما أرادوا به هذا الا اشارة الى القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنسكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط (وبه تمتعه) ومثال أطوار الخلق في لذاتهم (هو) (ما ذكره) هنا (وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غير رتبة ما يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء

ولذلك قال بعضهم وهجرة أعظم من ناره * ووصله أطيّب من جنته وما أراد به هذا الا اشارة

ثم لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنسكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما ذكره وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غير رتبة ما يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب فيستحققر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياضة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بالآية ثم بعده هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحققر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل (٥٧٩) بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك

الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فاننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المخيلة والاجسام المتأولة والمشكلة من أشخاص الحية وان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله

تعال وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرهما من رأى انسانا ثم غض بصره ثم غض بصره في خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف

(الاشياء) فاذا دخل وطبعه مال الى ما قبل عليه (ثم تظهر) فيه (بعده) غريزة أخرى بها يدرك (لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب) فيشتغل بها (فيستحققر معها لذة اللعب الذي كان يميل اليه ويحبسه ثم تظهر) فيه (بواي) غريزة أخرى يدرك بها (لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها) من اللعب والزينة (في الوصول اليها ثم تظهر) فيه بعده غريزة أخرى يدرك بها (لذة الرياضة والعلو والتكاثر) بالاموال والاولاد (وهي آخر لذة الدنيا وأعلىها وأقواها) ولذا كانت آخر ما يخرج من دماغ الانسان من لذات الدنيا هي كما قال بعضهم أما العلو في النفس منه شيء (كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الآيات) فقد أشار فيه الى تلك المقامات الثلاث (ثم بعده) ذات تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله) وبمعالته (فيستحققر معها جميع ما قبلها) من الذات (فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا) وما بعد العلوم والمعارف شيء (وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فاننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) اذا كشف الغطاء وارتفع الحجاب وتحققت الحقائق وتجلي الاسرار وبصاف كل واحد ما قدم من خير أو شر محضرا وبشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وعنده يقول له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

(بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة على المعرفة في الدنيا) (اعلم) هذا الله تعالى (ان المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال) وهي قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك (كالصور المخيلة والاجسام المتأولة المشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها) من صفات المعاني (ومن رأى انسانا ثم غض بصره ووجد صورته حاضرة في خياله) بعد غيبوبة مادته بعض البصر (كأنه ينظر اليها) بقوة الحس المشترك (ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالروية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى) وقت الضهور (عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف) وتتمام الوضوح (فاذا الخيال أول الادراك) وهو خزانة الحس المشترك (والروية هو استكمال الادراك الخيال) أي ما تخيله في تلك القوة (وهو غاية الكشف وسمى ذلك روية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى روية) فلا اختصاص للرؤية بالعين (واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى لها والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح) مثل (ما بين التخيل والمرئي

فان صورة المرئي صارت بالروية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والروية هو استكمال الادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك روية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى روية واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين التخيل والمرئي

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وأصلها ادراك المرئي وهو على أضرب بحسب قوة النفس (وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية ولم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل) أي التصور في الخيال (فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام) (ان تراني) أي مادامت محجوبا بحجاب الحياة وقال سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله ان سيدنا موسى عليه السلام من أكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات العلية لا تخلص لاهلها من مشاهدة أفعالها ولا تصفوعها الا لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع ولوانقطعت طرفة عين لانهدا لوجود واختل نظام العالم فسامن وجود الا وفيه فعل الله وهو مادته والسبب في بقاءه وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية ولولاه تعالى حجب ذاتا بقاءه فيها لاحترقت الذات وذاب كل حادث في العالم فلما لم تصف المشاهدة لاهلها وصارت الافعال المتقدمة بمنزلة القذى في البصر سأل موسى عليه السلام به أن يقطع عنه الفعل حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاء فقال له به عز وجل اذا قطعت الفعل عن الحادث اختلت ذاته وهذا الخيال أقوى منك ذاتا وأصلب منك جرما فانظر اليه فان استقر مكانه بعد قطع فعلي عنه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للعجل وقطع عنه الفعل الحجاب له من سطوة الذات العلية تدكدك الخيال وتطارت اجزؤه حتى صعد موسى عليه السلام اه (وقال تعالى لا تدركه الابصار في الدنيا) لوجود الحجاب المانع من الرؤية (والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج) قال العرفي هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين انها قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب وليسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر أيت ربك قال نوراني اراه وذهب ابن عباس وأكثرا العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي ذر قال فيه أحدهما زلت له منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء وفي رواية لا حجة من حديث أبي ذر رأيت نورا اني أراه ورجال اسناد هار جال الصحيح اه قلت ورواية أبي ذر الاولى رواها كذلك الطيالسي والترمذي وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك قال فذكره وروى عبد بن حنبل وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه ورواه النسائي مثله الا أنه قال ولم يره ببصره وقد روى عن أبي العالية مثله كذا رواه ابن جرير وأخرج عبد بن حنبل والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال لقي ابن عباس بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انابني هاشم نزعهم ونقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلام موسى مرتين قال مسروق قد دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء فقله شعري فقلت ويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية فقد أعظم الغريرة ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الامرتين مرة عند سدة المنهية ومرة عند جباله سمائة جناح قد سد الاق واما قول ابن عباس فروى عنه من طرق بالفاظ مختلفة فعند الطبراني وابن مردويه عنه قال ان محمدا رأى ربه مرتين ببصره ومرة بفؤاده وعند ابن مردويه عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات عنه قال قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وروى النسائي والحاكم وصححه

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية ولم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ان تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار أي في الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج

زيادة الكشف والوضوح كما ضرب بنامن المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في مغرفة الله تعالى اثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها باعتبارها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرسومة هي المتخيلة بعينها في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا آتّم لنا نورا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل

يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلالها بكثرتها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر خاصة) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اه قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلي بن عبدة هو النعماني رواه عن ابن علية وفي الخبر الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لابي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر من هودونه) في المعرفة (يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضى الله عنه (بل لا يجد الا عشره عشره ان كانت معرفته في الدنيا عشره عشره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسروقه في صدره فضل لاحتلاله بتجلى انفراديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة واكن بشيء وقر في قلبه رواه الحكميم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرون في الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثرون في العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ) كان (يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وكذلك لما قيل لربعة) بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجارثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بن زيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلالها بكثرتها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر خاصة) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اه قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلي بن عبدة هو النعماني رواه عن ابن علية وفي الخبر الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لابي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر من هودونه) في المعرفة (يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضى الله عنه (بل لا يجد الا عشره عشره ان كانت معرفته في الدنيا عشره عشره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسروقه في صدره فضل لاحتلاله بتجلى انفراديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة واكن بشيء وقر في قلبه رواه الحكميم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرون في الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثرون في العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ) كان (يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وكذلك لما قيل لربعة) بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجارثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بن زيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لربعة ما تقولين في الجنة فقالت الجارثم الدارقطني انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربحا يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فاذة الرؤية ان كان لها نسبة الى اللذة المعرفة فهي قليلة وان كان أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها (٥٨٣) فاعلم أن هذا الاستحقاق للذة المعرفة

صدر من الخلو عن المعرفة
فمن خال عن المعرفة
كيف يدرك لذتها وان
انطوى على معرفة ضعيفة
وقلبه مشحون بعلائق
الدنيا فكيف يدرك لذتها
فلا عارفين في معرفتهم
وذكركهم ومناجاتهم لله
تعالى لذات لو عرضت
عليهم الجنة في الدنيا
بدلا عنها لم يستبدلوا
بهذا الجنة ثم هذه اللذة
مع كمالها الانسية لها أصلا
الى لذة اللذات والمشاركة
كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رؤيته ولا
لذة استنشاق روائح
الاطعمة الشهية الى ذوقها
ولا لذة للمس باليد الى
لذة الوقاع واطهار عظم
التفاوت بينهما لا يمكن
الابضرب مثال فنقول لذة
النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب
أحدها كمال جمال
المعشوق ونقصانه فان
اللذة في النظر الى الاجل
اكمل لاحالة والثاني كمال

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه) ففي الخبر يبعث كل عبد على مامات عليه رواه عبد بن جيمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر ورواه البغوي والطبراني والحاكم في الكشي من حديث زيد بن حارثة ورواه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عمر ورواه ابن حبان من حديث جابر أيضا زيادة المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم (ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربحا يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان) فقدر وي من حديث علي الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان رواه ابن ماجه والطبراني وتمام والسيرازي في الاقواب وأوردته ابن الجوزي في الموضوعات (فان قلت فاذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقاق للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة فمن خال عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلا عارفين في معرفتهم وذكركهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها الانسية لها أصلا الى لذة اللذات والمشاركة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا لذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية) اللذينة (الى ذوقها ولا لذة للمس باليد الى لذة الوقاع واطهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الابضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا باسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجل أكمل لاحالة والثاني كمال القوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء والادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد) عنه (والرابع اندفاع العوائق المشوشة) أي الموانع المكدرة (والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح) البدن (الفازع) البال (التجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر أنت في نفسك) عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزنا بئر تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يتخلو عن لذة ما

قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح انفاغ التجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزنا بئر تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يتخلو عن لذة ما

من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انتهت فيها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليماً فارغاً وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبق للاولى اليهائسية بعددها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاستغلال به والعقاب والزنا بغير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب (٥٨٤) مثال قصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى المالا على والتفاتنا الى أسفل

من مشاهدته معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهك بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي
سائما فارغا وهدمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تنضاعف المدة
حتى لا يبقى للاولى البهائم نسبة يعتد بها كذلك فانهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالسر الرقيق مثال البدن
والاشتغال به والعقارب والزنا بغير مثال الشهوات الخفية المشوشة من داخل (المتسلطة على الانسان من الجوع
والعطش والغضب والغم والحزن) وأشياء ذلك (والحب مثال تقصير النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق
الى المالا اعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة وتلفاته الى اللعب
بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفة فلا يتحول عن هذه المشوشات ولا
يتصور أن يتحول عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا حرج بل يعرض من الشواغل والافكار
والخواطر ما يشوشه وينغصه) ويكدر عليه (وهذه ضرورة دائمة) لا تنفك (في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه
اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت) فعند ذلك يحصل التجريد والراحة (وانما العيش عيش
الآخرة) كما ورد به الخبر (وان الدار الآخرة لاهى الحيوان لو كانوا يعلمون) كما في الكتاب العزيز (وكل
من انتهى الى هذه المرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر لا راحة للمؤمن في الدنيا
دون لقاء الله عز وجل وفي أقوالهم الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب (الامن حيث ينتظر زيادة استكمال
في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فلا حاطة بكنهه جلال الله بحال) الا ما كان من
طريق الاسماء والصفات (فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار ملكته وقويت كثرة النعيم في
الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا) اذهى
مررة للآخرة (ولا زرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) قال العراقي رواه ابراهيم الحارثي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن
لهيعة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في
طاعة الله والد المطلب عبد الله بن حنطب مختلف في محبته ولا جد من حديث جابر ان من سعادة المرء أن يطول
عمره ويزقه الله الالة وللترمذي من حديث أبي بكره ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال
عمره وحسن عمله قال هذا حسن صحيح وذكره ابن حبان في الصحابة وقال ابن عمر له صحة وقال الترمذي بعد ان
ساق له حديثا من طريق عبد العزيز بن المطلب عن أبيه عن جده في فضائل قرين هذا امر سل وعبد
الله بن حنطب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فهذا اختلافهم فيه وحديثه المذكور رواه كذلك القاضي
والحاكم والديلمي من حديث ابن عمر وأما حديث جابر فقد رواه أيضا الحاكم ورواه أبو الشيخ في كتاب
الثواب بدون ان وأما حديث أبي بكره رواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر
الناس من طال عمره وساء عمله ورواه بالجله الاولى فقط أحمد وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي أيضا من
حديث عبد الله بن بسر (لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بعبادة الفكر والمواظبة على
المجاهدة والانقطاع من علائق الدنيا والتجرد للمطلب ويستدعي ذلك أمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

لا ساحل له فالأحاطة بكنهه جلال الله محال فكما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار ملكته وقويت كثرة النعيم في الآخرة لنفسه وعظم كآله كلما كثرت البذور وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله لأن المعرفة إنما تتكامل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمدامة المكر والمواطبة على المجاهدة والانتقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زماناً لا يحاله فمن أخب الموت أحبه لأنه رأى

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما
تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت أحبوا البقاء
وان ضاقت تنمو الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية كرهنا أألمن
سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كالم تكن (٥٨٥) الرياسة أألمن المطعومات عند الصبيان

فان قلت فهذه الرؤية
محلها القلب أو العين في
الآخرة فاعلم أن الناس
قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا
يلتفتون الى هذا الخلاف
ولا ينظرون فيه بل العاقل
ياكل البقل ولا يسأل
عن المبقلة ومن يشتهي
رؤية معشوقه يشغله
عشقه عن أن يلتفت
الى أن رؤيته تخلق في
عينه أو في جبهته بل
يقصد الرؤية ولذتها
سواء كان ذلك بالعين
أو غير هاتان العينين
ونظروا لانظر اليه ولا
حكم له والحق فيه أن
القدرة الازلية واسعة
فلا يجوز أن تحكم عليها
بالقصور عن أحد
الامرئين هذاني حكم
الجواز فاما الواقع في
الآخرة من الجائزين
فلا يدرك الا بالسمع
والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من
شواهد الشرع أن ذلك
يخلق في العين ليكون

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له
بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما
سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا (ان اتسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تنمو الموت وكل
ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة الرؤية ومعنى الرؤية
ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها أألمن سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى
النقصان كالم تكن الرياسة أألمن المطعومات (عند الصبيان) فان أنكر وافبعذرهم لنقصانهم عن
درجة الكمال (فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسأل عن المبقلة)
ويأخذ الهدية ولا يسأل عن الجالب (ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت الى أن رؤيته
تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غير هاتان العينين ونظروا لانظر
اليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الازلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالقصور عن أحد الامرئين هذاني
حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع) اذ لا مدخل للعقل فيه (والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في
الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا للضرورة والله أعلم) فروى أحمد والشيخان من حديث
أبي هريرة أن الناس قالوا هل نرى ربنا يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم هل تظنون في رؤية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب وهل تظنون في رؤية الشمس ليس دونه سحاب فانكم ترونه كذلك الحديث بطوله
ورواه كذلك من حديث أبي سعيد وروى الطيالسي وأحمد والشيخان وابن خزيمة من حديث أبي سعيد هل
تظنون في رؤية الشمس بالظاهرة سحابا ليس معها سحاب وهل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر سحابا ليس
فيها سحاب ما تظنون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث بطوله وروى النسائي
وابن ماجه بعضهم عند مسلم من حديث أبي هريرة هل تظنون في رؤية الشمس في الظاهرة ليست في سحابة
هل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة فوالذي نفسي بيده لا تظنون في رؤية ربكم عز وجل
الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث

(بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) *

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان أسعد الخلق حال أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى)
والعرض عليه (ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه) وحنينه اليه
(وتمكن من دوام مشاهدته أبدأ الأباد من غير منغص و) لا (مكدر ومن غير قريب ومزاحم) له في مشاهدته
(ومن غير خوف انقطاع) أو نقص (الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

(٧٤ - (انجاف السادة المتقين) - (تاسع) لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى

على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا للضرورة والله تعالى أعلم (بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) * اعلم ان أسعد الخلق حال في
الآخرة أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول
شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبدأ الأباد من غير منغص ومكدر ومن غير قريب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الآن هذا النعيم على
قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت (٥٨٦) الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وهو فيها وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة الذي هو أساس الإيمان (وأما قوة الحب واستيلاؤه) عليه بالكلية (حتى ينتهي الى) حد (الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون) وقد تقدم ان العشق هو مبالغة الحب (وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء) اليه يشير قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أي وانما هو قاب واحد لا يتسع لسببين (وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيده وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هوا) أي جعل هواه وما يحبه ما لو هاله ومعبودا وتقديده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البراء والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشركم الناس قال في أخاف أن يتسكروا (ومعنى الاخلاص أن يخص قلبه الله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط) ولذلك اختار مشايخ هذه الطائفة العلمية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف في معنى الاخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تتجزه عن محارم الله وراه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدينيا يحبه) أي بمنزلة السجين عليه (لانها مانعة عن مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب) فهذا لاحاله يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه) أي طال عليه (نفخ من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها والافجع دميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون سحبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كأنه لا يقرب لانس من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان) ان أرضيت احداهما أضحت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور في نهج البلاغة (وهما كالشرق والمغرب) روى ذلك من كلام

الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيده وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هوا) أي جعل هواه وما يحبه ما لو هاله ومعبودا وتقديده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البراء والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشركم الناس قال في أخاف أن يتسكروا (ومعنى الاخلاص أن يخص قلبه الله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط) ولذلك اختار مشايخ هذه الطائفة العلمية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف في معنى الاخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تتجزه عن محارم الله وراه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدينيا يحبه) أي بمنزلة السجين عليه (لانها مانعة عن مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب) فهذا لاحاله يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه) أي طال عليه (نفخ من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها والافجع دميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون سحبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كأنه لا يقرب لانس من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان) ان أرضيت احداهما أضحت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور في نهج البلاغة (وهما كالشرق والمغرب) روى ذلك من كلام

حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه فخل من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرطان وهما كالشرق والمغرب

وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد اليهما بزمام الخوف والرجاء فاذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه (٥٨٧) الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كاذكرناه

كتب الاحبار كافي الحلية وقد سبق كل ذلك في كتاب ذم الدنيا (وقد انكشف ذلك لذوى القلوب) والبصائر (انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد) عنها (وملازمة الصبر) بأنواعه المذكورة في محله (والاعتقاد اليهما) أى الى طريق الزهد والصبر (بزمام الخوف والرجاء) فما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك بزيادة والحمد لله تلاً الميزان وسبحان الله والحمد لله تلاً ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) كاذكرناه في أول كتاب الطهارة (فلا نعيده نانيا) السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال) ألم تركب (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) فعرفنا أن لها أصلاً ثابتاً في القلوب بما أمدها به من النظر والاعتبار وعرفنا أن لها فرعاً في السماء) فعرفنا أن لها أصولاً ثابتاً بسبب ما جابها عليه من محبة سعادتها وكمالها (والله الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكأنها دلكها وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً في الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول) وهو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله ولله (وهو الآخر) أى العمل هو الآخر لانه تنشئه الواجيد على القلوب والجوارح (وانما الاول علم المعاملة وغرضه وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجبل وأدركه بالعين الظاهرة أجبه ومال اليه ومهما أجبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي (من الكدر) والذكر الدائم (في كل حال) والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء واليه الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب أى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجبل وأدركه بالعين الظاهرة أجبه ومال اليه ومهما أجبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي (من الكدر) والذكر الدائم (في كل حال) والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجبل وأدركه بالعين الظاهرة أجبه ومال اليه ومهما أجبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجهد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

الاقو ياغو يكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره والى الضعفاء يكون أول معرفتهم بالافعال ثم يعرفون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى أول يكف بربك انه على كل شئ شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي ربي ولولا ربي لم اعرفت ربي والى الثانى الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وبقوله عز وجل أول ينظروا فى ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظر واما ذاقى السموات والارض وبقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق (٥٨٨) الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر

خاصا وهو حسبر وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكير والا اعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى إيرادها فى الكتب وأما الطريق الاسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس والمنايع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته كما قال القائل

فواعبها كيف يعصى الله * أم كيف يحجده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مداما السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماتي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مداما السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماتي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين المنظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

بالاضافة الى الملايكة وملائكة السموات فانك ان تنظرت فيه امن حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظرت الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظرت الى صغر (٥٨٩) الشمس بالاضافة الى فاعلم ان الذي هي

مركوزة فيه فانه لانسبة
لها اليه وهي في السماء
الرابعة وهي صغيرة
بالاضافة الى ما فوقهما من
السموات السبع ثم
السموات السبع في
الكرسى كملقة في فلاة
والكرسى في العرش
كذلك فهذا انظر الى
ظاهر الاختصاص من
حيث المقادير وما أحقر
الارض كلها بالاضافة
اليها بل ما أصغر الارض
بالاضافة الى البحار فقد
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم الارض في
البحر كالاصـطبل في
الارض ومصدق هذا
عرف بالمشاهدة والتجربة
وعلم أن المكشوف من
الارض عن الماء كجزرة
صغيرة بالاضافة الى كل
الارض ثم انظر الى
الآدمي المخلوق من
التراب الذي هو جزء
من الارض والى سائر
الحيوانات والى صغره
لاضافة الى الارض ودع
عنك جميع ذلك فأصغر
ما نعرفه من الحيوانات
الى بعوض والنحل وما
يجري مجراه فانظر في
البعوض على قدر صغر
نذره وتأمله بعقل حاضر

بالإضافة الى الملائكة وملائكة السموات فالتكامل انظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيّف وستين مرة) وروى أبو الشيخ في العظمة عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش (فانظر الى صغر الارض بالإضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالإضافة الى ذلك الذي هي مركزه في نفسه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي) أي السماء الرابعة (صغيرة بالإضافة الى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكرسي حلقة) ملقاة (في فلاة) من الارض (والكرسي في العرش كذلك) وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق الضحاك عن ابن عباس قال لوان السموات السبع والارض السبع ثم وصلن ببعضهن ببعض ما كن في سعة الكرسي الانجلة الحلقة في المفاضة وروى ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة عن أبي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا حلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال ان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وروى عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وبصر كل سماء وأرض يعني غلط ذلك مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والارض السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء (فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقدار وما أحقر الارض كلها بالإضافة اليها بل ما أصغر الارض بالإضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض) قال العراقي لم أجده أصلاً (ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء بجزء صغير بالإضافة الى كل الارض) ومساحة بسيطها مائة ألف ألف وثلاثة وثمانون ألف ألف وثلاثمائة ألف وعشرون وأربع مائة ميل ومساحة بسيط عمارتها من الربع المسكون ثمان وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألفا ومائة أميال ونسبتها الى مساحة بسيط الارض كلها السدس والسادس العشر تقريباً وذلك من أقصى العمارة تقريباً بالمشرق الى أقصى المغرب طولاً ومن حيث خط الاستواء الى حيث يرتفع القطب ستة وستون جزءاً وربع وثمانين جزءاً عرضاً (ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالإضافة الى الارض) وما أودع الله فيه من أسرار العالم الكبير (ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه فانظر الى البعوض) وهو صنفان صنف يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة واليه أشار الجوهري بقوله وصنف في خلقه القليل وهو المعروف بالناموس وهو المراد به هنا (على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القليل الذي هو أعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوماً مثل خرطوم خيطه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للقليل زيادة جناحين) في كل ناحية ورجلين للقليل أربعة أرجل وخرطوم وذنب والبعوض مع هذه الاعضاء رجلاً زائداً وأربعة أجنحة (وانظر كيف قسم أعضاء الظاهرة فأثبت جناحيه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره) وأودع في مقدمة دماغه قوة الحفظ وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر وخلق له حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس وحاسة الشم (ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبر في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والحاذية

والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان
غذائه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آله الطير ان الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى مسام
بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم مع
دقته وجوفه حتى يجري فيه الدم الرقيق (٥٩٠) وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده

والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات) وخلق له منفذا للغذاء ومخرجا للفضلة وخلق له جوفاً
ومعياً وعظاماً لتشد الزخشي في الكشف

ويرى نياط عروقها من لهما * والمخ في تلك العظام النحل
(هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذائه دم الانسان ثم انظر
كيف أنبت له آله الطير ان الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى
مسام بشرة الانسان) التي يخرج منها العرق فيتوخاها (حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم قواه حتى يغرز فيه
الخرطوم) ويستدعضه ويقوى على خرق الجلود الغلاط قال الرازي

مثل السقاة دائماً طينها * ركب في خرطومه ما سكينها
(وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع رقبته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى
باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه) فهو له كالباعوم والحقوم (ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه
حيلة الهرب واستعداداً لته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص
ويهرب ثم اذا سكنت يعود) الى عمله وفيه من الشره انه يمس الدم الى أن يموت أو يهجر عن الطير ان (ثم انظر
كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان
صغير لم تحمل حدقة الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقتين القذية والغبار خلق
للبعوض والذباب يدين) وهما الزائدتان على الفيل المتقدم ذكرهما (فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببديه) وكلاهما من ذوى الخراطيم (وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان) لكل
حدقة جفنتان أعلى وأسفل (حتى ينطبق احدهما على الآخر وأطرافهما محادة فيجتمع الغبار الذي يلحق
الحدقتين يرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن
صورة العين) وقد خصت الحكمة الالهية لون السواد بذلك والبياض يفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى
ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يهرق نور العين ويحرقه كانه يمسح الضعيف في جنب القوى
(وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما
البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين) ولكنه ليس ظاهر البادئ
النظر كما يظهر من الذباب (ولاجل ضعف ابصارها تراها تنهات) وتناسط (على السراج لان بصرها ضعيف
فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت
المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب
الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق) واليه أشار القائل وأحسن

لهيب الحدحين بد الطرفي * هوى قلبي عليه كالغراش
فأخرقه فصار عليه خالا * وهذا ترالدنسان على الحواشي
(ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

بيده فعلمه حيلة الهرب
واستعداداً لته وخلق
له السمع الذي يسمع به
خفيف حركة اليد وهي
بعد بعيدة منه فيترك
المص ويهرب ثم اذا
سكنت اليد يعود ثم انظر
كيف خلق له حدقتين
حتى يبصر موضع غذائه
فيقصده مع صغر حجم
وجهه وانظر الى أن
حدقة كل حيوان صغير
لم تحمل حدقة
الاجفان لصغره وكانت
الاجفان مصقلة لمرآة
الحدقتين القذية والغبار
خلق للبعوض والذباب
يدين فتتنظر الى الذباب
فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببديه وأما
الانسان والحيوان الكبير
فخلق لحدقتيه الاجفان
حتى ينطبق أحدهما
على الآخر وأطرافهما
محادة فيجتمع الغبار الذي
يلحق الحدقتين يرميه الى
أطراف الاهداب وخلق
الاهداب السود لتجمع
ضوء العين وتعين على
الابصار وتحسن صورة

العين وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع
الابصار وأما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولا جعل ضعف ابصارها تراها تنهات على
السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم
الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه
مرة أخرى الى أن يحترق ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

الفراس في التفاهت
على النار اذا تلوح للآدمي
أنوار الشهوات من
حيث ظاهر صورتها
ولا يدري أن تحتها السم
النافع القاتل فلا يزال
يرى نفسه عليها إلى أن
ينغمس فيها ويتقيد
بها ويهلك هــ لا كما
مؤبد أفليت كان جهل
الآدمي كجهل الفرش
فانها باغترارها بظاهر
الضوء ان احترقت
تخلصت في الحال
والآدمي يبقى في النار
أبد الأباد أو مدة مديدة
ولذلك كان ينادي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اني ممسك
بمحجزكم عن النار وأنتم
تتهاقون فيها تهاقت
الفرش فهذه لمعة عجبة
من عجائب صنع الله
تعالى في أصغر الحيوانات
وفيها من العجائب ما لو
اجتمع الأولون والآخرون
على الاطاعة بكنهه عجزوا
عن حقيقة ولم يطلعوا
على أمور جلية من ظاهر
صورته فاما خفايا معاني
ذلك فلا يطلع عليها
الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة
وأعاجيب تخصه
لا يشاكره فيها غيره
فانظر الى النحل وعجائبها
وكيف أوحى الله تعالى

على شهوات الدنيا صورة الفراس) وهي ذباب مثل البعوض واحدة فراشة (في التفاهت على النار اذا تلوح
للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه
عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هــ لا كما مؤبد أفليت كان جهل الآدمي كجهل الفرش بانها
باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أباد أو مدة مديدة) وقال
المصنف في موضع آخر من الحيوان ما اذا شاهد شيئا يحفظه وارث سمته صورته في ذهنه فاذا رآه مرة أخرى عرفه
كالذباب ترى الشعير والعصا ومنه ما اذا شاهد شيئا لم يحفظه ولم ير سمته عنده صورته كالفرش فانه يجد المصباح
فيرى بنفسه فيه ويجد حوراته ثم يعود ويرى بنفسه اليه ولوارث سمته عنده صورته لما عاد اليه اهـ (ولذلك
كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني ممسك بمحجزكم عن النار وأنتم تتهاقون فيها تهاقت
الفرش) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة مثنى ومثل امي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب
والفرش يقعن فيها فانا آخذ بمحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله وسلم من حديث
جابر وأنا آخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وقد تقدم قلت لفظ المتفق عليه من طريق أبي الزناد
عن الاعرج عن أبي هريرة مثنى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاعت ما حولها جعل الفرش وهذه الدواب التي
يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهم ويغلبهم فيقتحمون فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بمحجزكم عن النار
هلم من النار هلم من النار فتغلبوني تقتحمون فيها ورواه كذلك أحمد والترمذي ولفظ حديث جابر عند مسلم
من طريق همام عن أبي هريرة مثنى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الفرش والجناد يقعن فيها وهو
يذهب عنها وأنا آخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وقوله بمحجزكم
بضم الحاء المهملة ورفع الجيم جمع حجرة بالضم وهي معقد الازار والسر اويل واذا أراد الرجل امساك من يخاف
سقوطه أخذ بذلك الموضع منه قال النووي في شرح مسلم مقصود الحديث انه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط
الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحوصهم على الوقوع في ذلك مع منعه اياهم وقبحه على
مواضع المنع منهم بتساقط الفرش في نار الدنيا هو واضع فكلما حارب على هلاك نفسه سارع في
ذلك بجعله وقال أبو العباس القرطبي في شرحه هو مثل الاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاةنا وحوصه على
تخليصنا من المهلكات التي بين أيدينا ولجئنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وقال القاضي أبو بكر بن العربي
هذا مثل غريب كثير المعاني المقصود منه ان الله ضرب مثلا لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية
للدخول فيها وما منى عنها وتوعد عليها وأنها ذكرك بذلك تغلب الشهوات على التقوى باسم انها مصلح ومنافع
وهي نكتة الامثال فان الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلاك وإنما يأتونه باسم النجاة والمنفعة كالفرش تقتحم
الضياء ليس لتهلك فيه ولا كنهاتنا نسبه وهي لا تبصر بحال حتى انها في ظلمة فتعتقد ان الضياء كوة تستظهر فيها
النور فتقصد هالاجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر بذلك هو الغالب من أحوال الخلق أوكله اهـ وقد جاء ذكر
تهاقت الفرش في حديث آخر رواه البيهقي في الشعب عن النوفاس بن سمعان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال أراكم تهاقون في الكذب تهاقت الفرش في النار الان كل كذب مكتوب على ابن آدم كذبا بالاحالة الا
أن يكذب الرجل في الحرب الحديث ورواه كذلك ابن جرير والخراطي في مساوي الاخلاق وروى ابن لال
من حديث أسماء بنت يزيد مالى أراكم تهاقون في الكذب كما تتابع الفرش في النار (فهذه لمعة في عجائب
صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الاطاعة بكنهه عجزوا عن
حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليه الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة (بل وأعاجيب تخصه) دون غيره (لا يشاكره فيه غيره) فان شئت بيان ذلك (فانظر الى
النحل) ذباب العسل واحدة نحلة للذكور والانثى (وعجائبها) قال الزجاج سميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس منها
العسل الذي تخرجه (وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)

وذلك قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون قال في عجائب
 المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذا وحي الله فيه إلى النحل صنعة العسل بين سبحانه وتعالى أن في النحل
 أعظم اعتباراً أمل كمال طاعتها وحسن اتتمارها الأمر بها كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأماكن الثلاثة من الجبال
 والشجر وحيث يعرش الناس أي بينون العروش فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الثلاثة البتة وتأمل كيف كان
 أكثر بيوتها في الجبال وهو المقدم في الآية ثم الأشجار وهي دون ذلك ثم العروش وهي أقل بيوتها وانظر كيف
 أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهي تتخذها أولاً فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت
 وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لانه تعالى أمرها أولاً باتخاذ البيوت ثم بالاكل بعد ذلك (و) انظر كيف
 استخرج من لعبها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخرة ضياء لف ونشر مرتب وفي قوله من لعبها
 إشارة إلى أن العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور ونقل ابن عطية في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه
 قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير القم
 قلت والمعروف من كلامه فاشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وقد تقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا والتحقيق
 أن العسل يخرج من بطونها ولا يدري من فيها أو غيره وقد صنع أرسطاطاليس بيتاً من زجاج لينظر إلى كيفية
 ما تصنع فابت أن تعمق حتى لطخت من باطن الزجاج بالطين ذكره القزويني وفي تفسير الكواشي الأوسط أن
 العسل ينزل من السماء فينبث في أماكن فتأني النحل فتشربه ثم تأني الخلية فتلقيه في المهبأ للعسل في الخلية لا كما
 يتوهمه بعض الناس أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحل في المعدة عسلا هذه عبارة (ثم) لو تأملت
 عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار فيستحيل في جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطر
 المقنطرة وهذا الذي دل عليه القرآن واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى وفي هذا المعنى قول
 عائشة حرست نحل العرفط حتى شبت رائحته برائحة المعافير (واحترازها عن النجاسات والافذار) فلا تقع
 الأعلى الطيبات من الثمار والأزهار وتخرج جميعها في الخلية لانه منقح الريح (وطاعتها الواحد من جلستها)
 يسمى البعسوب (هو أكبرها شخصاً وهو أميرها) ومن خصائصه أنه ليس له حمة يلسع بها أو فضل ملوكها
 الشقر وأوسطها الرقط بسواد ولا يتم أمرها إلا به وقد جاء ذكره في حديث أبي امامة أن أحدكم إذا أراد أن
 يخرج من المسجد تداعت جنودا بليس واجتمعت كما تجتمع النحل إلى بعسوبها رواه ابن السني في اليوم والليلة
 وروى ابن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على أنت بعسوب المؤمنين (ثم) ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل
 والانصاف بينها حتى أنه يقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة (أي أنها إذا رأت فساداً من ملك أمانة
 تعزله وأما أن تقتله وأكثر ما يقتل خارج الخلية) (لقضيت منها عبداً) وفي نسخة العجب (أن كنت بصير في نفسك
 وفارغان هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة أخوانك) قال القزويني هو حيوان
 ذوقهم وكيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة باصول السنة وأوقات المطر وتدير المربع والطاعة لأميره
 والاستسكانة لكبيره وقائدة بديع الصنعة وقال غيره ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعاً نقياً بين فيه
 بيوتاً من الشمع أولاً ثم البيوت التي يأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً والذكور أصغر حجماً من
 الانثى وهي تكثر المادة داخل الخلية وإذا طارت خرجت باجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية والنحل
 يعمل الشمع أولاً ثم يلقى البذر لانه ينزله العسل الطائر فاذا القته قعدت عليه وتحضنه كما يحضن الطائر فيكون البذر
 دون البيض ثم يبيض الدود وتغذي نفسها ثم تطير وهو لا يقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد وتلا بعض
 البيوت عسلاً وبعضها فراخاً والملوك لا تخرج إلا مع جيل النحل فإذا عجز عن الطير جلته والنحل يجتمع فيقسم
 الاعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقي الماء وبعضها يبنى البيوت ومن طبعه أنه يهرب
 بعضه من بعض ويقا تل بعضه بعضاً في الخلأياو يلسع من دنا من الخلية وإذا هلك منها شيء داخل الخلية أخرجه
 الأحياء إلى خارج وهو يعمل زمان الربيع والخريف والذي يعمل في الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير

وكيف استخرج من
 لعبها الشمع والعسل
 وجعل أحدهما ضياء
 وجعل الآخرة ضياء
 لو تأملت عجائب أمرها
 في تناولها الأزهار
 والأنوار واخترازها عن
 النجاسات والافذار
 وطاعتها لواحد من جلستها
 هو أكبرها شخصاً وهو
 أميرها ثم ما سخر الله
 تعالى له أميرها من العدل
 والانصاف بينها حتى أنه
 يقتل على باب المنفذ
 كل ما وقع منها على نجاسة
 لقضيت منها عبداً آخر
 العجب أن كنت بصيراً
 في نفسك وفارغان هم
 بطنك وفرجك وشهوات
 نفسك في معاداة أقرانك
 وموالاة أخوانك

ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهوان أوسع الاشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى (٥٩٣) لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها

مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تراص الجمل من حيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النخل على صغر حجمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر به هذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة فانبذ الدنيا وراء ظهرك) كما قال القائل متى مالتق من تهوى * دع الدنيا وأهلها واستغرق العمر في الذكرك الدائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

ويشرب من الماء ما كان عذبا صافيا يطلبه حيث كان ولا يأت كل من العسل الا قدر شبعه واذا قل العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاذه لانه اذا نفذ أفسد النحل بيوت المولك وبيوت الذكور وربما قتلت منها ما كان هنالك قال حكيم اليونان لتلامذته كونوا كالنخل في الخليا قالوا كيف قال انها لا تترك عندها بطالا لانقته وأقصته عن الخلية لانه يضيق المكان ويظي العسل ويعلم النشيط التكسل والنخل يسلم جاده كالحيات وتوافقه الاصوات اللذيذة المغاربة ويضمر السوس ودواؤه أن يطرح في كل خلية كف ملح وان تفقع في كل شهر مرة وتدخل باخشاء البقر ومن طبعه انه اذا طار من الخلية ابرعى وعاد تعود كل نخلة الى مكانها لا تخطئه وأهل مصر يحولون الخليا في السفر ويسافرون بها الى موضع الزهر والشجر فاذا اجتمع الى المرعى فتحت ابواب الخليا فيخرج منها ويرعى يومه أجبع فاذا أمسى عاد الى السفينة وأخذت كل واحدة مكانها لاتغير عنه وروى البيهقي في الشعب عن مجاهد قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فحاسبته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث ان مثل المؤمن مثل النخلة ان صاحبته نفعك وان شاورته نفعك وان جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النخلة كل شأنه منافع قال ابن الاثير وجه المشابهة بين المؤمن والنخلة حذق النخل وفطنته وقلة أذاه وحفادته ومنفعتاته وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الاقذار وطيب أكله وانه لا يأت كل من كسب غيره ونحوه وطاعته لاميره وان للنخل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تفرقه عن عمله ظلمة الغفلة وزعيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وداء السعة ونار الهوى (ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس الذي لا يتخرق) فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها) واحاطتها (وهوان أوسع الاشكال واحوالها) أي أجبعها (المستديرة) أي المستديرة الشكل (وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فخرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تراص الجمل من حيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل) فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وبيانه ان الاشكال من الثلاثة الى العشرة اذا جمع كل واحد منها الى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما فراج الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى أمثاله اتصل به كانه قطعة واحدة كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيبكار وذلك من أثر صنع اللطيف الخبير والهامة اياها (فانظر كيف ألهم الله النخل على صغر حجمه ولطافة وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر) أي السالك (بهذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار) الطوال (دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط به علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالحاصل بالسهولة الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكرك الدائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

(٧٥ - (اتحاف السادة المتقين) - (تاسع) جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالحاصل بالسهولة الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكرك الدائم والفكر الملائم فحاصلك تحظى منها بقدر

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخره * (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) * اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة لأنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء (٥٩٤) التي قرعت سمعهم فلتلقوها وحفظوها ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخره) وسعادة أبدية لا انصرام لها أبدا والله الموفق
* (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) *

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها) وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالغنى في المال فمن واحد يكاد الدائق والدرهم ومن واحد يكاد الفا كذا العلوم بل التفاوت في العلوم أعظم لان المعلومات لانهاية لها وأعيان الاموال اجسام والاجساد متناهية لا يتصور أن ينتهي النهاية عنها فإذا قد عرفت كيف تفاوت الخلق في بحار معرفة الله تعالى وان ذلك لانهاية له (وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فلتلقوها وحفظوها) فهو السبيل الذي فتح لهم فيه وفيه تفاوت مراتبهم (ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب) جل جلاله (ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث) فيها (وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون) ايها بالمعاني الفاسدة (هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون) فهوؤلاء ثلاثة اصناف (وقد ذكر الله حال) هذه (الاصناف الثلاثة في قوله) فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية) وتماها وأمان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأمان كان من المكذبين الضالين فزل من جيم وتصلية بحيم وبيان تفاوت المراتب هو انه لا يخفى عليك انه ليس من يعلم انه عالم قادر على الجمله كمن شاهد عجائب آياته في لمكونات السموات والارض وخلق الارواح والاجساد واطلع على بدائع المماكة وغرائب الصنعة معناني التفصيل ومستغرق في دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات المالاكية القريبة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهم من البون البعيد مالا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تفاوت الانبياء والاولياء (فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقهاء يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد) وأنقول ان الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بوابداره ويعرفه المزني تليذه والبواب يعرف انه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله الى الله على الجمله والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل بمعرفة محيطه بتفاصيل صفاته ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تليذه الذي لم يحصل الا نوعا واحدا فضلا عن خادمه الذي لم يحصل شيئا من علومه بل الذي حصل علما واحدا فاما يعرف على التحقيق عشرة اذا سواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه فان قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه الا بالاسم واهم ام الجمله وهو انه يعرف انه يعلم شيئا سوى ما علمه فكذلك فانهم متفاوتون الخلق في معرفة الله تعالى وأيضا (فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وغرف به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهوؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقهاء يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف

به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

مجل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشه والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاعاى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخبر فيه لبه ويرداد (٥٩٥) بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا تا عالمه فقد علمنا شيئا مبهمالا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علما بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فزلان الثمرة تدل على المثل كانه كلما ازداد التليد حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه لهم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجهاله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأكبر تفضيلا)

(بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى) *

(اعلم) وفلق الله تعالى (ان أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها المعنى) تقدمت الاشارة اليه وحاصله ان المحبة هي الوصلة بين العبد وبين الله تعالى في الدنيا والآخرة اذ العارف لا يفارق المعروف كمالا ير يدعنه بدلالا من معرفة الله اذ المعارف والأشياء وأشهاها للقلوب لان كل ذات جيلة على اختلاف أنواعها ومراتبها لا يميل اليها البصر أو البصيرة الا وهي تشهد كمال خالقها وكمال صانعها وكلما كانت الصنعة شريفة جيلة دلت على شرف ذات الخالق وكمال صفاته من العلم والحكمة والقدرة فان كانت القلوب تميل الى الذات الجميلة وتلتذ بادارا كها فالتذاهب بالاشرف أشرف وبالاكمل أكمل والمعنى هذا سبق النظر الى الخالق قبل الخلق وهذا لا يكون الا لمن غلبت روحانيته على جسمانيته والافن غلبت جسمانيته على روحانيته سبق نظره الى الخالق دون الخالق وانعدم التذاهب بالعلوم والمعارف وهو جل الاسباب المانعة من معرفة الله تعالى والافقرة الله أظهر المعارف ووجوده أظهر الموجودات ومما مثلنا في الغفلة عن معرفة الله ووجوده الا كمن غفل عن وجود نفسه وكونه موجودا حيوا وذلك

مجل والبصير (الماهر) اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشهر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته (صنع الله المتقن وتصنيفه) وإيجاده (والاعاى يعلم ذلك ويعتقده) (وأما البصير) في العلم (فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخبر فيه لبه ويرداد بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا تا عالمه فقد علمنا شيئا مبهمالا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علما بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فزلان الثمرة تدل على المثل كانه كلما ازداد التليد حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه لهم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجهاله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأكبر تفضيلا)

تفضيلا) (بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه) * اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن يكون معرفة أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها المعنى

لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيا فإننا نعلمه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعالیه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله تعالى وقدرته (٥٩٦) وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر

ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطافه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة السكاكيب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنه

أما لافه بوجوده أو شغل قلبه بهم من المهمات اذهله عن وجوده والافن يظهر له وجود نفسه تظهر له وجود الله تعالى لأن نفسه ونفس العالم أثر من آثار قدرة الله تعالى وهذا المعنى (لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته) أي ظاهر جلده (وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وعلمه وإرادته وكونه حيا فإننا نعلمه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس) أي لا ندرك (بشئ من الحواس الخمس) الظاهرة (ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته) أي حركة يده (فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعالیه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطافه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة السكاكيب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنه

من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها لا هو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله) إذ كل ذرة فأنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها أعضاءنا وأوتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فأننا نعلم أنهم لم تأتلف بانفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما بقي في الموجد شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب (الاد هو شاهد) عليه ودليل (ومعرف عظم ظهوره فأنه يرت العقول ودهشت عن ادراكه فإن ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهم اخفاؤه في نفسه وغموضه) وذلك لا يخفى مثاله والا تخربا ينهاه وضوحه) إلى الغاية (وهذا كما أن الخفاش) بضم وتشديد طائر معروف قيل هو الوطواط غريب الشكل والوصف (يبصر بالليل) ويلتمس الوقت الذي لا ضوء فيه (ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستتاره) لكن لشدة ظهوره وكثرة انتشار ضوءه (مع ضعف بصره فإن بصر الخفاش ضعيف لشدته ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف

يظهر نور الشمس اذا اشرق فتسكتون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفاءه فسيحان من احتجب باشراق (٥٩٧) نوره واختفى عن البصائر والابصار

بظهوره ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فاننا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزل عند الشمس فلو كانت دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن أنه لاهية في الاجسام الأوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فاننا نشاهد في الاسود والاسواد وفي الابيض والابيض فاما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فها هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

يظهر نور الشمس اذا اشرق (وكذا ضوء القمر وفيه يقول الشاعر مثل النهار يزيد ابصار الوري * نور او يعمي أعين الخفاش) (فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره) وهو قرب الغروب وفي هذا الوقت ينتشر البعوض يطلب القوت وهو دماء الانسان وينتشر الخفاش يطلب البعوض (فكذلك عقولنا ضعيفة) لا شعاع لها (وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفاءه وفي هذا المعنى أنشدني شيخنا المرحوم العارف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العبدورسي الحسيني قدس الله سرفه في ثامن عشر رجب سنة ١٣٣١ بالطائف لبعضهم ذكر الاله الزم هديت لذكركه * فبسه القلوب تطيب والافواه * واجعل حلال نقاه ان أخال التقي يا صاح من كانت حلاله نقاه * واستعمل الافكار في ملكوته * مستغرقا في الكشف عن معناه ولتخضع النعمان خلع محقق * خلى عن الكونيين في مسراه * ولتفن حتى عن فتائل انه عين البقاء ونشد ذلك تراه * واذا بدا فاعلم بانك لست هو * كلا ولا أيضا تكون سواء شيان ما اتحدوا لكن ههنا * سريضيق نطقنا عما هو * يا سامعا ما قد اشرت له أما قلب يفكر ما وعث أذناه * أزل الحجاب حجابنا لم يكشف * لك سر ما قد غاب عنك سمناه ان الاله أجل مامت معرف * من لا يراه قد استبان عماه أني يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه

(فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره) وفي حقائق الاسماء للشيخ الاكبر قدس سره وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملا الاعلى يطالبونه كما يطالبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملا الاعلى في الطلب واختلاف في الكيفية لانهم يطالبونه بالنور الالهي لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمتهم محتجب عن العقول فاني لهم سبيل الوصول الى أسرار الدان وحقائق الصفات انتهى (ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر) واشتبه الحال (ومثاله نور الشمس المشرق) البسيط (على الارض فاننا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن أنه لاهية في الاجسام الأوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فاننا نشاهد في الاسود والاسود وفي الابيض والابيض فاما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فها هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فها هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

(09A)

لا يرى الا الله تعالى ولا

وَعَرَفْ غَيْرَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ

يعرف غيره يعلم انه ليس

في الوجود الا الله وأفعاله

اثر من آثار قدرتہ فہی

تابعة له فلا وجود لها

بالحقيقة دونه وانما

الوجود للواحد الحق

الذي به وجود الافعال

كلها ومن هذه حاله فلا

ينظر في شيء من الأفعال

الاورى فيـه الفاعل

ويذهل عن الفعل من

حيث أنه سماء وأرض

و حیوان و شجر ریل

بِنظَرِ فِہِ مِنْ حِثِّ اَنِّہِ

صنع الواحد الحق فلا

نکون نظر، مجاوزہ الی

غمره کن نظر فی شعر

انسان أو خطه أو تصنيفه

ورأى فيه الشاعر

والمصنف ورأى ناره

من حيث أثره لا من حيث

انه خبر وعفص وزاج

مرقوم علی بیاض فلا

يكون قد نظر الى غير

المصنف وكل العالم

تصنيف الله تعالى فن

نظار الیہ من حیثانہ

فَعَلِ اللّٰهُ وَعَرَفَهُ مِنْ حَيْثُ

انه فعل الله واحبهم من

مَحِثْ اَنَّهُ فَعَلَ اللّٰهُ لَمْ يَكُنْ

ما طرأ الا في الله ولا عارفا
الا ان لا اله الا الله كان

لا تلتفتوا الى الالهة

قال: كانا فيمن: ما وافق

١٢

المسالك

الامانة ولا يحبها الا له وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله

بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث أنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من

قال كذا بنا فلهذا بنا عناقية بنا لا نحن

فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم (٥٩٩) فهذا هو السبب في قصور الافهام عن

معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وأفقها فسقط وقعا عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة خفيف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب بخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانحمال في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء ولا يحول في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر في وصف التجلي والحمد

السالك اذا انتهى سلوكه الى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضعحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد واليه يشير الحديث الا الهى فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره وحينئذ بما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف منه بالمقال ونحن على ساحل الثمني نفترق من بحر التوحيد بدور الامكان ونعرف بانه طريق منافيه العيان دون البرهان الثاني ان الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وانما الكثرة في الاضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسرب اذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة ويتكرر في النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا والاتحاد لعدم الاثنية والغيرية انتهى وقد تقدم ان من الصديقين من قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله معه ومنهم من ترقى فقال ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله قال المصنف في مشكاة الانوار روي عن الاصفهاني هذا الكلام بعض الشاذين ففهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل نقول بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء فانه يظهر كل شيء والمظهر لا يقارن بالمظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ان المظهر قبل المظهر وفوقه وانه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن أنه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي في درجتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليحجر هذا النمط من العلم فاسكن علم رجال وكل ميسر (فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة لهم للغرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وأفقها فسقط وقعا عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة خفيف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب بخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانحمال في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء ولا يحول في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر في وصف التجلي والحمد

(لقد ظهرت فانتخفي على أحد * الاعلى أكله لا يعرف القمر)

هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سر هذا الامر فيحقق ولذلك قيل لقد ظهرت فانتخفي على أحد * الاعلى أكله لا يعرف القمر

وبروي لا يبصر القمر
وزاد صاحب القوت
قال وأنشد بعضهم في وصف التوحيد والتعزير بمعناه

لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر * وكيف يدرك من بالعين مستترا
ليكن عرفت بما عرفت من خبر * وكيف يعرف من بالخبر مختبرا
فصرت أسعى لا تار لنا رسمت * وغابت العين لا رسمها ولا أثرا

ثم قال والكلام في التجلي والاحتجاب والجمع والاتصال لأرسنه في كتاب لانه يؤدب العقول فتتمفر منه فتطرحه وتضييق عنه القلوب فتقبض عليها فجمع وانما أمله من قلب الى قلب أو عيه من عين الى عين وقال المصنف في المقصد الاسنى الظاهر الباطن وصفان من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه آخر وبالإضافة الى ادراكه فان الظهور والباطن انما يكون بالإضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا من طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان قلت اما كونه باطنا بالإضافة الى ادراك الحواس فظاهر واما كونه ظاهرا بالإضافة الى ادراك العقل فغامض اذا الظاهر مالا يتجلى فيه ولا يخاف الناس في ادراكه وهذا ما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره فكل ما جاوز عن حده انعكس على ضده ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستعجده ولا تفهمه الا بمنال فاقول لو نظرت الى كلمة واحدة وكاتب يكتبها الاستدلال على كون الكاتب عالما قد راسمها بصيرا واستفدت منها اليقين بوجود هذه الصفات اذ لك الكاتب بل لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حتى ولم يدل عليه الصورة واحدة فكيف شهدت هذه الكامة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فامن ذرة في السموات والارض من ذلك وكوكب وشمس وقر وحيوان ونبات وصفة وموصوف الا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وخالق خلقها وقدرها وخصصها بخصوص من صفاتها بل لا ينظر الانسان الى عضون من أعضائه نفسه وجزء من أجزائه ظاهرا وباطنا بل الى صفته من صفاته وحالته من حالاته التي تجري عليه فغير اختياره الا وراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بحواسه في ذاته وخارجها من ذاته ولو كانت الاشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت ونجست لشدة الظهور ومثاله ان أظهر الاشياء ما تدركه الحواس فأنظرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر نور الشمس المشرق على الاجسام الذي به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الاشياء المتلونة ليس فيها الألوان انها فقط من سواد وجره فاما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مغارق اللون فلا وسوى هؤلاء انما تنبهوا على قيام النور بالمتلونات بالتفرقة التي يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار فان الشمس لما تصور غيبتها بالليل عرف الفرق بين التأثر المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور اذا أضيف حالة الوجود الى حالة العدم فادركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين ولو طبق نور الشمس على الاجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الألوان مع أنه أظهر الاشياء بل هو الذي يظهر جميع الاشياء ولو تصور لله تعالى غيبة عن بعض الامور لانهم دمت السموات والارض وكلما انقطع نوره عنه ولا دركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة في الشهادات والاحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخطائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره في أول حقائق الاسماء لما ذكر أن الملائكة

ليكن بطنت بما أظهرت
مختبئا
فكيف يعرف من
بالعرف قدس ترا

الاعلى يطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملائة الاعلى في الطلب واختلغا في الكيفية فانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهوجلت عظمتهم محجب عن العقول فاني لهم ذلك قال ومن هذا النوع من يطلبه به ليكون الحق سمعه وبصره ومنهم من يطلبه بنظرة العقل وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كتاب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجامع من العنة وهذا شيء لا يقوم عليه دليل سوى الذوق وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لاولي الابصار فالوصول الى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يزيد الناظر الاحيرة وانما يعلم بالعلام الحق على الوجه الذي يليق بحاله لمن اختصه من عباده فن قال ان الحق جلت عظمتهم يعرف بدليل فانه يضرب في حديد بارد ومن هذا قال من قال العلم حجاب فالت بريد هذا القائل المصنف كما صرح به في كتاب الشريعة انتهى قال بريد العلم النظاري فاهل الله علموا الحق باعلامه تعالى لكون الحق علمهم لما كان سمعهم وبصرهم ومثل هؤلاء لو تصور فهم نظركم لكان الحق عين فكبرهم لكان لا يتصور من يكون مشهدة هذا أن يكون له فكر بل هو مع الفهم من ضروب الهام الحق من غير تفكير لا سهل ولا صفاته في صفات الحق ومن كان فهمه عن تفكير فاهو من أهل الذوق ثم قال عند ذكره الظاهر الباطن الظاهر لنفسه فما زال ظاهرا والباطن عن خلقه فلم يزل باطنا فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعناية اعلم أن لاهل الكشف مرتبتين احدهما أعلى من الثانية فيكامل يكون له به وهو السابق وعارف يكون له بنفسه وهو المقصد المتحقق بحقائق العبودية المتصف بجميع الاحوال والمقالب في اطوار المقامات وهو برزخ بين الكمال والنقصان فهو اذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره لانه قائم للحقوق بنفسه ولم يثبت لظهور الحق الامن الحق بصره وأما الكامل فهو له به لانبغسه فله الثبات في كل موطن بالقوة الالهية السارية في ذاته فلا يبتغي حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الاحوال والمقامات لكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد في الخبر انما نحن به وله وهو يته الدائرة الوجودية والصاعدي في الدائرة معني الهابط وما انقسمت دائرة الوجود الا بالخط الموهوم ولا وجود لها وهو عين المقيد واذا كان الحق سمع المقيد وبصره ارتفع التقييد والخط ولم يبق سوى الدائرة فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره وجلالة بروره ادرت شدة ظهوره خفاء فسبحان من احتجب باسراق نوره واختفى عن العقول والابصار شدة ظهوره واماسر بطون الحق من اسم الباطن فهو ان يعلم أن رؤية الشيء تقتضي العلم به وهو علم الرائي انه رأى شيئا وما حاط علمه بما رآه وعند أهل ٣ لا تنضب طرؤية الحق ولا ياضبط لا يقال فيه انه يرى أو يعلم فمآرأه الامن رأى انه مآرأه ولا يعلم الامن علم انه مآرأه فالحجب الالهية أيدام سدولة بينه وبين خلقه ولورفعت لاحرق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه والحجب ان كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات وان كانت غير مخلوقة فلا حجاب ولا احتجاب فالخلق فيها انها سر أخفاها الله تعالى عن خلقه سمي ذلك الاخفاء حجابا فالنور منها ما حجب من المعارف النظارية والظلمانية ما حجب به الامور الطبيعية والرسومية وليس الاندراج النور الادنى في الاعلى كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس ولما كانت الاشياء تحفظ بالحدود فاذا جاوز الشيء خده انعكس ضده كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد القول والادراك بطن واستتر عن العامة فلم يظهر لهم الامر على ما هو عليه وحد العارفين في معرفته ان يعرفوا أنه لا يعرف اذ لو عرفوا لم يكن باطنا وهو الباطن والبطون يختص بالمكنات كما أن الظهور يختص بالوجود والبطون الذي وصف به نفسه انما هو في حق الممكن فلم تكن باطن الحق والحق ظاهره لانه من بطون الحق ظهر الكون وبما ظهر استتر وفيما بطن ظهر فالظهور عين البطون لما ان الاسخريين الاول انتهى وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعاقبها ثم شرع المصنف في ذكر ما يثمر المحبة من الشوق والانس والرضا وغير ذلك مما سبأني بيانه الان صاحب القوت جعل الرضا مقام مستقلا من مقامات اليقين كمقام المحبة والشيخ أبو اسمعيل الهروي جعله ملحقا بمقام التوكل كالتسليم والتفويض قال لانهم آداب وذكريه أحوال في باب المحبة وعداهم مقامات على طريق منازل العبد الى الله تعالى وفي الله تعالى حالا بعد حال وهذا وسمه البرق

٣ هكذا هو بالاصل

* (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) * اعلم أن من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والا تارأما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى أمر والموجود لا يطلب (٦٠٢) ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلا

فلا يشاق اليه فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابدال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد برأه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاع بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والوجسد والنزق والالحظ والوقت والصفاء والنفس والفرق والغيب والسكن والفناء والبقاء والوجود والجمع والتعظيم والانس والقرب والسكينة والعامانية والانبساط والاذلال والغيرة والشوق والوجد دوله أحوال ثلاثة الدهش والهيجان والتمكين قال الكل محمد بن اسحق الصوفي وهذا الترتيب أول من ترتيب غيره لانه يحصل الجمع بين معرفتها وبين علم تدرجها في السلوك والمنزلات والله سبحانه يفتح على كل عبد من عباده من تقديم وتأخير وقد يعطى الله بعض العارفين واحداً منها وقد يعطيه كلها ويعطى اضعاها الى ما لا نهاية له مما لا نعرف له وجوداً ولا رأياً له رسمها ولا سمعنا له ذكرها قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

* (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) * وهو غار المحبة وسئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد وهو أفضل من الانس ولذلك قدمه لان الانس قصر نظره على ما لا ينكشف له من جمال المحبوب ولم يمتد نظره الى استكشاف ما غاب عنه والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بان الذي انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالنور بالنسبة الى سعة الوجود لله المثل الاعلى (اعلم) وفقك الله (ان من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق) الى الله تعالى (اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب) فاذا انتفت المحبة انتفى ما هو من غاها اذ لا محالة ان الثمرة تبع للعمر (ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى) يا عجب أصل المحبة (وكون العارف مضطراً اليه بطريق الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى طلب أمر) ونزول النفس اليه (والموجود لا يطلب) ولا تشوق اليه النفس (ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلاً فلا يشاق اليه) لا تقطع الاطماع منه (فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية) بحاسة البصر (فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق) روى القشيري عن بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسخر على الفرقة فاذا وقع اللقاء طفى واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقبل ابعضهم هل يشاق فقال لا ان الشوق الى غائب وهو حاضر (ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابدال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد برأه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاع بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والثاني) أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاع بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال
الوضوح بالمشاهدة وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد
نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى
أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا
الى أن يحصل له أصل المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة (٦٠٣) واضحة ولا معرفة غامضة والشوق

الاول ينتهى في الدار
الآخرة بالمعنى الذي
يسمى رؤية ولقاء
ومشاهدة ولا يتصور
أن يسكن في الدنيا
وقد كان ابراهيم بن
أدهم من المشتاقين فقال
قلت ذات يوم يارب ان
أعطيت أحدا من
المحبين لك ما يسكن به
قلبه قبل لقائك فأعطني
ذلك فقد أضرب
العلق قال فسرأيت في
النوم انه أوقفني بين
يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني
أن أعطيك ما يسكن به
قلبك قبل لقائي وهل
يسكن المشتاق قبل لقاء
حبيبه فقلت يارب نمت
في حبك فلم أدر ما أقول
فاغترى بوعلى ما أقول
فقال قل اللهم رضى
بقضاءك وصبرنى على
بلائك وأوزعنى
شكر نعمائك فان هذا
الشوق يسكن في

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات) وأيضاً فإن الصور
تتنوع عليهم في تجليات المشاهدة مع أحادية العين في نفس الامر (وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا)
وصورها (فانما كمال الوضوح بالمشاهدة) العيانية (وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة) حين
يبايع الكتاب أجله (وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعى الشوق)
وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما (الثاني ان الامور الالهية لانهاية لها ولا حد لها ينتهى اليه) وانما
ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة (والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل
المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة) كما هو مقتضى
الترقى والزيادة (والشوق الاول ينتهى في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور
ان يسكن) هذا الشوق (في الدنيا فقد كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من المشتاقين) وكانت له أما كن
من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عليه (فقال ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضرب القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني ان أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه) أى هل
يسترجح المحب الى غير معشوقه قال (فقلت يارب نمت في حبك فلم أدر ما أقول فاغترى بوعلى ما أقول فقال قل
اللهم رضى بقضاءك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك) نقله صاحب القوت ورواه أبو محمد السراج
في مصارع العشاق بسنده الى ابراهيم بن عبد الله البطي عن ابراهيم بن أدهم قال وجدت يوما راحة وطاب قلبي
لحسن صنع الله واختباره لى فقلت فساقه الى قوله فلم أدر ما أقول وقد لاحظ هذا المعنى القطب أبو الحسن
الشاذلى قدس سره فادرج هذه الكلمات في خزنة الكبير مفرقة في موضعين منه وفيه اشعار بان الادب مع الله
مطلوب في كل حال فان الله تعالى قد يعرض عن محبيه تعززاليرتجهم الشوق اليه ويطلقهم الاسف عليه
ويستخرج منهم لطف التعلق له ثم ينظر اليهم في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظر واليه بحيث يعلمون
فيسكنون بالادب بين يديه (فان هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبهه أن لا يكون له نهاية لافى
الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعمى فى الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله
ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
انضاحا تاما (فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال
مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر
متوالية) أى متتابعة (الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد وتكون لذة ما يتجدد من ألطاف
النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم يحصل به

الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبهه أن لا يكون له نهاية لافى الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعمى فى الآخرة من جلال الله
تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك
شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد
وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم
يحصل فيه

كشفي في الدنيا أصلاً فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولا يكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وبناتكم لنا نوراً واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم (٦٠٤) النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو

المراد بتمامه وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزاد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو ولم ينكشف لنا فيه بعدما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه * وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال أبو الدرداء لكعب أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى

الكشف في الدنيا أصلاً فاذا كان غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولا يكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور والمعنى وهو أن ينعم عليه بتمام النور ومهما تزود من الدنيا أصل النور (ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه) والاول اوفق بلفظ الاتعالم (وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزاد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو) لانه من الامور الغيبية وليس للعقل فيها مجال (ولم ينكشف لنا فيه بعدما يوثق به) ويعتمد عليه وانما نحن على بحر التمني (فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً) ويرزقنا اتباعه (فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك) رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ اللهم اني أسألك الرضا بالقضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وروى ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر بلفظ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيري وما علمت الوفاة خيري اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفد وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا ربنا بنة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا ابن أبي قحاش حدثنا سمعيل بن زرارة عن حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بن عمار بن ياسر صلاة فاجزها فقلت خففت يا أبا اليقظان فقال وما على من ذلك فلقد دعوت الله سبحانه بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب فساقه الا انه قال كلمة الحق بعد كلمة الاخلاص وقال نعيماً لا يبيد بدل لا ينفد وقال بعد القضاء كما عند المصنف والباقي سواء وقدرناه أيضاً ابن الجارفي تاريخه هكذا وروى أبو نعيم في الحلية من حديث الهيثم بن مالك الطائي اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي واجعل خشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا في دنياهم فافقر رعي من عبادتك (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لكعب) الاخبار رجع الله تعالى (أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود ابلغ أهل أرضي اني حبيب لمن جالسني وأبليس لمن أنس بذكرى) وللفظ القوت مؤنس لمن أنس بذكرى وأبليس لمن أنس بي (وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني

جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود ابلغ أهل أرضي اني حبيب لمن جالسني وأبليس لمن أنس بذكرى ومونس لمن أنس بي وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني ومطيع

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسه وأحبيته حباً لا يتقدمه أحد من خلق من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي واتسوا بي أو أنسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي (٦٥٥) وخلقت قلوب المشتاقين من نوري

ونعمتها بجلاي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبداً من عبادي يحبوني وأحبههم وبشتاقون الى وأشتاق اليهم ويدكروني وأذكروهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حدوث طريقتهم أحببتك وان عدت عنهم مقنك قال يارب وماء علامتهم قال يارب وعون الظلال بالنهار كما راعى الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاجوبهم وناجوهم بكلامي وتعلقوا الى بانعامي فبين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتهون من حبي أول ما أعطيتهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم ثم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيهم قال صاحب القوت بعد ان ذكره بطوله فهو لاء الذين أقبل الله تعالى بوجهه عليهم هم الذين أحبوه بكل قلوبهم فكان كما قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكان كما قال جزاء عافا فأنظر الى وجهه بنور وجهه فتجلى بوصف محبوب فاحبوه بكرو وبناعنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فانه تعالى لا ينظر الى الاجسام والنفوس لانهم من الدنيا وهو لا ينظر اليها انما ينظر الى الاعمال والقلوب لانهم من الآخرة وهو ينظر اليها بعينه فتزداد اشراقاً وحسننا عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى قلوب المؤمنين وأعمالهم فبنوره رأوه فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم وأعمالهم شبه قلوبهم فانه تعالى ينظر اليهم كمنظره الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فعرفهم بظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والاسماء فهم عرفوه بالمالك والحكمة وشهدوه بالقدم والازلية عن معنى ما نظره اليهم فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيم في غير مشوقه المشتاقون مقررون بما شهدوا من الشوق وهم المأمورون بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مشوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله موسى عليه السلام أطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلى المشتاقين من أجلى المحبين ثم قال مقام الشوق في المحبة يجمل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه الا أناد كرم من ذلك ما سمعناه فلا تنكرون لاحباء الله وأوليائه فضلا ولا تخرجن فيه بالتدبير والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما شمل حالهم ووجدتهم يحبهم كل فضل (و) قدر وينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسه وأحبيته حباً لا يتقدمه أحد من خلق من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي واتسوا بي أو أنسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي (٦٥٥) وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلاي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبداً من عبادي يحبوني وأحبههم وبشتاقون الى وأشتاق اليهم ويدكروني وأذكروهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حدوث طريقتهم أحببتك وان عدت عنهم مقنك قال يارب وماء علامتهم قال يارب وعون الظلال بالنهار كما راعى الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاجوبهم وناجوهم بكلامي وتعلقوا الى بانعامي فبين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتهون من حبي أول ما أعطيتهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم ثم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيهم قال صاحب القوت بعد ان ذكره بطوله فهو لاء الذين أقبل الله تعالى بوجهه عليهم هم الذين أحبوه بكل قلوبهم فكان كما قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكان كما قال جزاء عافا فأنظر الى وجهه بنور وجهه فتجلى بوصف محبوب فاحبوه بكرو وبناعنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فانه تعالى لا ينظر الى الاجسام والنفوس لانهم من الدنيا وهو لا ينظر اليها انما ينظر الى الاعمال والقلوب لانهم من الآخرة وهو ينظر اليها بعينه فتزداد اشراقاً وحسننا عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى قلوب المؤمنين وأعمالهم فبنوره رأوه فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم وأعمالهم شبه قلوبهم فانه تعالى ينظر اليهم كمنظره الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فعرفهم بظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والاسماء فهم عرفوه بالمالك والحكمة وشهدوه بالقدم والازلية عن معنى ما نظره اليهم فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيم في غير مشوقه المشتاقون مقررون بما شهدوا من الشوق وهم المأمورون بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مشوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله موسى عليه السلام أطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلى المشتاقين من أجلى المحبين ثم قال مقام الشوق في المحبة يجمل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه الا أناد كرم من ذلك ما سمعناه فلا تنكرون لاحباء الله وأوليائه فضلا ولا تخرجن فيه بالتدبير والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما شمل حالهم ووجدتهم يحبهم كل فضل (و) قدر وينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيهم في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

الى واني لاجل قلوبهم بيدي فاضعها على سماءي ثم ادعوت نجباء لا اوثكتي فاذا اجتمعوا بسجدوا الى فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا الى والسكن دعوتكم لاجل قلوب المستحقين الى واباهي بكم اهل الشوق الى فان قلوبهم لتضي في سماءي ملائكتي كما تضي الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المستحقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طر يقا ينظرون به الى زدادون في كل يوم شوقا قال داود يارب ارنى اهل محبتك فقال يا داود انت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا اتيتهم فاقرتهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرتكم السلام ويقول لكم الاتسألون حاجة فانكم احبابي واصفيائي وأوليائي (٦٠٦) افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فانهم داود عليه السلام فوجدتهم عند عيين من العيون

يتفكرون في عظمتهم
الله عز وجل فلما نظروا
الى داود عليه السلام
نمضوا ليتفرقوا عنه
فقال داود اني رسول الله
اليكم جئتكم لابلغكم
رسالة ربكم فاقبلوا نوحه
والقوا اسماعهم نوحه
قوله والاقوا ابصارهم
الى الارض فقال داود
اني رسول الله اليكم
يقرتكم السلام ويقول
لكم الاتسألون حاجة
الاتنادوني اسمع صوتكم
وكلامكم فانكم احبابي
واصفيائي وأوليائي
افرح لفرحكم واسارع
الى محبتكم وانظر اليكم
في كل ساعة نظر الوالدة
الشفيقة الرقيقة قال
فجرت الدموع على
خدودهم فقال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن
عبيدك وبنو عبيدك
فاغفر لنا ما قطع قلوبنا
عن ذكرك فيما مضى

(الى) وهي عين البصرة (واني لاجل قلوبهم بيدي فاضعها على سماءي ثم ادعوت نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا بسجدوا الى فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا الى والسكن دعوتكم لاجل قلوب المستحقين الى واباهي بكم اهل الشوق الى فان قلوبهم لتضي في سماءي ملائكتي كما تضي الشمس لاهل الارض يا داود) انه من ذكرك في ذكرته ومن افس بي انسته ومن جلس الى جالسته لاني انا اكرم الكرماء واحكم الحكماء يا داود (اني خلقت قلوب المستحقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي) اصله مجدين سقطت النون للاضافة ثم شددت الياء ولفظ القوت محدثين (وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طر يقا ينظرون به الى زدادون في كل يوم شوقا قال داود) يارب ارنى اهل محبتك فقال يا داود انت جبل لبنان (وهو بضم اللام وسكون الموحدة كانه مثني لبن جبل من جبال الشام شاهق) فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا اتيتهم فاقرتهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرتكم السلام ويقول لكم الاتسألون حاجة فانكم احبابي واصفيائي وأوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فانهم داود عليه السلام فوجدتهم عند عيين من العيون يتفكرون في عظمتهم الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نمضوا ليتفرقوا عنه (اي خوفا منهم عن شغلهم بغير الله تعالى) فقال داود (عليه السلام) (اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالتي بكم فاقبلوا نوحه والاقوا اسماعهم نوحه والاقوا ابصارهم الى الارض فقال داود عليه السلام) (اني رسول الله اليكم يقرتكم السلام ويقول لكم الاتسألون حاجة الاتنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبابي واصفيائي وأوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرقيقة) لولدها (قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم) اي كبيرهم في السن (سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من اعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاجترى على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتم بذلك المنية علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقنا ومننت علينا بالتفكير في عظمتك أفجرتي على الكلام من هو مشغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدفون نورك) ولفظ القوت منك (وقال الآخر كنت ألسنتنا عن دعائك لعظيم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترى العبد على سيده اذا أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نور انهم تدي به في الظلمات

من اعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك
وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاجترى على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتم بذلك المنية علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقنا ومننت علينا بالتفكير في عظمتك أفجرتي على الكلام من هو مشغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدفون نورك وقال الآخر كنت ألسنتنا عن دعائك لعظيم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترى العبد على سيده اذا أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نور انهم تدي به في الظلمات

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال

بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال لي يستعجلي القدوم وأنا أكره ان أميته لانه موضع نظري لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيت يادادود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه ونهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي (به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجان الحب ومراتي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجدوه وعبر عن وجهته به دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجدهم واكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكيتهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصح رسمه في كتاب لان الكتاب يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا ما قصرت عنه أوهامهم ولم يفكر فيه قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فاوهم ضبطه ونشئت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولو كان الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبه اللذين هما سبب هذا الفضل هو رفض الدنيا وأبنائها فهو أصل كل مرتبة عالية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهى (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) يادادود (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام (قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال لي يستعجلي القدوم وأنا أكره ان أميته لانه موضع نظري لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيت يادادود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه ونهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي (به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجان الحب ومراتي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجدوه وعبر عن وجهته به دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجدهم واكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكيتهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصح رسمه في كتاب لان الكتاب يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا ما قصرت عنه أوهامهم ولم يفكر فيه قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فاوهم ضبطه ونشئت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولو كان الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبه اللذين هما سبب هذا الفضل هو رفض الدنيا وأبنائها فهو أصل كل مرتبة عالية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهى (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) يادادود (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان

أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي وفي أخبار داود أيضا ان الله تعالى أوحى إليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان

في قلب ياداو دخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا بخالطة ودينك فقلد نيم ولا تقلد دينك الرجال اماما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلد نيمه حقا على اني اسارع الى سياستك وتقوى عليك واكون قائداً ودليلك اعطيك من غير ان تسألني واعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضف الاشياء الى التضاد عما كنت تكون (٦٠٨) متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة

في قلب واحد ياداو دخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا بخالطة ودينك فقلد نيم ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلد نيمه حقا على اني اسارع سياستك وتقوى عليك وأكون قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد جعلت على نفسي ان لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضعف الاشياء التي لا تضاد عما كنت تكون متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أجمع لهم مالا عني رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير (ضعني بين عينيك وانظر الى بصير) ولفظ القوت بعين (قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسوية فواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد من فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها ياداو دلان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبه عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك علما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطع الطريق على عبادي المريد استغن على ترك الشهوات بآدمان الصوم وياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداو يك مداوة) ولفظ القوت انما أداريك مداوة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي) قال صاحب القوت بعد ان ساق بطوله واعلم ان كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه لان وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده ثم ان كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما انه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأذبه بين يديه وعبدته وتعبده بجمعني من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك الا انه كما تقول في الدعاء الى الله تعالى والادلة عليه والطريقين للعباد اليه ان كل داع ودليل دعا الى الله فمن حيث دعاه الله تعالى اليه ودل على الله فمن حيث دل عليه وطرق اليه سبيل العبادات وسهل منهاج النقيات فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل اليه (وأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (ياداو دلو بعلم المدبرون عني كيف انتظاري

اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أجمع لهم مالا عني رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسوية فواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد من فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها ياداو دلان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبه عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك علما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطع الطريق على عبادي المريد استغن على ترك الشهوات بآدمان الصوم وياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداوة) ولفظ القوت انما أداريك مداوة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي) قال صاحب القوت بعد ان ساق بطوله واعلم ان كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه لان وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده ثم ان كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما انه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأذبه بين يديه وعبدته وتعبده بجمعني من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك الا انه كما تقول في الدعاء الى الله تعالى والادلة عليه والطريقين للعباد اليه ان كل داع ودليل دعا الى الله فمن حيث دعاه الله تعالى اليه ودل على الله فمن حيث دل عليه وطرق اليه سبيل العبادات وسهل منهاج النقيات فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل اليه (وأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (ياداو دلو بعلم المدبرون عني كيف انتظاري

فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك علما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطع الطريق على عبادي المريد استغن على ترك الشهوات بآدمان الصوم وياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداوة (لتقوى على ثوابي اذا مننت عليك به واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود ياداو دلو بعلم المدبرون عني كيف انتظاري

لهم ورفق بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لما تواسوا وقالوا في وقفات وصالهم من محبتي ياداد هذه ارادني في المدير من عني فكيف ارادني في المقبلين على ياداد احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدى (٦٠٩) اذا اذبر عني واجل ما يكون عني اذا

رجع الى فهذه الاخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانسا وانما تحقيق معناها يكشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك

ولتقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب

التوايين ويحب المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعد بكم بذنوبكم وقد روى انس

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبد لم يضره ذنب والنائب من الذنب كن لذنبله ثم تلان ان الله يحب

التوايين ومعناها انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله

لهم ورفق بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لما تواسوا وقالوا في وقفات وصالهم من محبتي ياداد هذه ارادني في المدير من عني فكيف ارادني في المقبلين على ياداد احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدى (٦٠٩) اذا اذبر عني واجل ما يكون عني اذا رجع الى فهذه الاخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانسا وانما تحقيق معناها يكشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

(اعلم) ارشدك الله تعالى (ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولتقدم الشواهد) الدالة (على محبته) تعالى له (فقد قال الله تعالى) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضلهم وما بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) كأنهم بنيان مرسوم وقد روى في الخبر ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار (وقال تعالى ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين ولذلك رد الله سبحانه على من ادعى انه حبيب الله) واحج عليهم (فقال قل فلم يعد بكم بذنوبكم وقد روى) اسمعيل بن ابي زياد عن ابيان عن (انس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبد لم يضره ذنب والتائب من الذنب كن لاذنب ثم تلا ان الله يحب التوايين) ويحب المتطهرين كذا في القوت قال العراقي ذكره صاحب الفردوس ولم يخبر به ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة انتهى قلت رواه بتمامه ابن ابي الدنيا والقشيري في الرسالة وابن النجار في تاريخه قال القشيري حدثنا ابو بكر بن فورك اخبرنا احدث بن محمود بن خوزاد حدثنا محمد بن الفضل بن جابر حدثنا سعيد بن عبد الله حدثنا احدث بن زكريا حدثنا ابي قال سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التائب من الذنب كن لاذنب له واذا احب الله عبد لم يضره ذنب ثم تلان ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين قبل يارسول الله ما علامة التوبة قال الندامة وتقدم في التوبة (ومعناها انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام) فقد ورد الاسلام يحب ما كان قبله رواه ابن عساکر من حديث خالد بن الوليد ورواه ابن سعد من حديث الزبير بن العوا وايضا من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده رفعه (وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدينيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب) قال العراقي رواه احدث وصححه اسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

الله ومن أكثر ذكر الله عليه
السلام قال الله تعالى لا
يزال العبد يتقرب إلى
بأنواف حتى أحبه فإذا
أحبه كنت سمعته الذي
يسمع به وبصره الذي
يبصر به الحديث وقال
زيد بن اسلم ان الله يحب
العبد حتى يبلغ من حبه
له ان يقول اعلم ما شئت
فقد غفرت لك وما ورد
من الفاظ المحبة خارج
عن الحصر وقد ذكرنا
ان محبة العبد لله تعالى
حقيقة وليست بمجاز
المحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس
الى الشيء الموافق والعشق
عبارة عن الميل الغالب
المفرط وقد بينا ان
الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق أيضا وان
الجمال والاحسان نارة
يدرك بالبصر ونارة يدرك
بالبصيرة والحب يتبع
كل واحد منهما فلا
يختص بالبصر فاما حب
الله للعبد فلا يمكن أن
يكون بهذا المعنى أصلا
بل الاسمى كلها اذا
أطلقت على الله تعالى
وعلى غيره الله لم تنطلق
عليهما بمعنى واحد أصلا
حتى ان اسم الوجود
الذي هو أعم الاسماء
اشتركا لا يشمل الخلق

رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله (أحبه الله) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد
باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الخ فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة انتهى قلت
ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه
الله وروى الشطر الاول والثاني في سياق المصنف ابن منده وأبو عبيد من حديث أويس بن خولى والشطر
الاول فقط أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة والشطر الاخير فقط ابن شاهين من حديث عائشة (وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبه كنت سمعته الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث) أوله من آذى لي ولبياء فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي
بشيء أفضل من ادعاء ما فرضته عليه وما يزال عبدي الخ وتماه ويده التي يبطش بها ورجله التي تمشي بها
فلئن سألتني أعطيتهم ولئن استعاضوني لأعذته وما ترددت في شيء أنا فاعله تردى عن نفس المؤمن يكره الموت
وأكره مساءته رواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك
ابن عبد الله بن أبي غر عن عطاء عن أبي هريرة قال الذهبى هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء
وتفرد به خالد عن سليمان ورواه أبو نعيم في أول الحلية من طريق ابن المؤمل والسراج كلاهما عن ابن كرامة
وقد تقدم قريبا (وقال زيد بن أسلم) العدو مولا هم التابعي الثقة وكان كثير الارسال (ان الله يحب
العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعلم ما شئت فقد غفرت لك) كذا في القوت (وما ورد من ألفاظ المحبة
خارج عن الحصر) فن مشهور ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة اذا أحب الله عز وجل عبدا
نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي الحلية من حديث أنس اذا أحب الله عبدا قذف حبه في
قلوب الملائكة الحديث (وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذا المحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى الشيء) الملائم (الموافق والعشق) الذي هو أحدم مراتبها (عبارة عن الميل الغالب
المفرط) المتجاوز عن الحد وقد اختلف في اطلاقه وقد أنكره جماعة من العلماء في الرسالة للقشيري سمعت
أبا علي الدقاق يقول العشق مجاوزة الحد في المحبة والحق لا يوصف بأنه مجاوز الحد فلا يوصف بالعشق ولو جمع
الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحسان قدر الحق فلا يقال ان عبدا جاوز الحد في محبة الله ولا يوصف
الحق بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه ففني العشق ولا سبيل له الى وصف الحق لامن الحق للعبد ولامن
العبد للحق انتهى والذي يقتضيه سياق المصنف هنا وفي بعض مواضع أخر سبق من الكتاب جواز اطلاقه في
وصف العبد مع الله تعالى وقال صاحب القوت وقد كان أبو يزيد وأبو شعيب المقتفع وسري بن مفلس وأبو عبد
الله بن الجلاء والجنيد بعدهم رجهم الله تعالى يذكرون العشق في مقامات خليل ومحب وزاد أبو يزيد ذكر
العشق في مقام وجعله معشوقا وقد كان يشير بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كلهم يريدون وصفان الحب
مخصوصا لاعتبار فعل ولا سبيل بل لوصف تعالى به ثم قال الآن هذا ليس من معارف العامة ولا تهدي اليه قلوبهم
ولا يقدر في جوهر عقولهم وليست صفاتهم مكانا لهذا ولا أخلاقهم مخلقة عليهم ولا علومهم نافذة فيه فذكره
مذكرا لان العقول تنكره والقلوب تنجسه والهمم لا تسرى فيه فلذلك كان طمعه أحسن من نشره وانما ينتسخ
من قلب الى قلب وقدر وينال فقط من هذا المقام في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك
منقطع الى وتدعى عشقي وتسمى الظن بي وقد تقدم باقيه (وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق
أيضا وان الجمال والاحسان نارة يدرك بالبصر ونارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر)
هذا ظاهر في حب العبد لله تعالى (فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسمى كلها
اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره الله تعالى) لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذي
هو أعم الاسماء اشتركا لا يشمل الخلق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا لوجود المتبرع وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه قال السيد الشيرازي في الرسالة الوجودية التي عبر عنها بعض العارفين بالفارسية مانصه اعلم أن الوجود له مراتب الأولى وجود مستفاد من الغير وهو المشهور عند العقلاء في الماهيات الممكنة فهذا الابد من ثلاثة أشياء أحدها ذات ماهية الممكن والثاني وجود وهو مستفاد من الغير والثالث هو الغير مفيض الوجود على الماهية ولا شك أن انفكاك الوجود في هذه الموجودات بنظر ذاتها جائز بل واقع الثانية ذات تقتضي وجودا من حيث أن انفكاكه محال كوجود واجب الوجود عند جمهور المتكلمين فهذه الابد من الاثنينية أحدها ذات الواجب والثاني وجود وهو المستفاد منها وانفكاك الوجود من هذه الموجودات محال لكن باعتبار مغايرتها للذات في التصور يمكن انفكاكه الثالثة موجود بوجده وذاته عينه وقائم بذاته لا بغيره حقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون إلا أمرا واحدا وهو موجود ووجود الأشياء موجود منه فلا اتحاد الوجود والذات انفكاك التصور محال وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن التصور وهذا كمال الواجب الوجود عند المتكلمين وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود بحت يعني في واجب الوجود لا يكون شيئا ذات وجود هو عارض لها بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته وهم مع الطائفة الأولى متفقون عليه بهذا المقدار ولم يقولوا الوجود عين الموجود هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وإن كان يمكن هذه المرتبة فورية الوجود لا بد هو واجب الوجود لا هذا وأرباب النظر يقولون العقل يحكم حقيقة واجب الوجود ينبغي أن يكون وجود واجب الوجود لا ينبغي أن يكون كلياً يعني لا يكون كلياً وعموم عارض له لأنه إن كان كلياً لابدان يكون في الخارج له صورة فيلزم أن يكون واجب الوجود مكملاً كلياً وتعين التركيب على واجب الوجود محال بل ينبغي لواجب الوجود أن يكون في حد ذاته متعينا وتعينه عين ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب والتعدد فينبغي أن يكون الواجب قائم بذاته وإن كان قائماً بالغير فيكون محتاجا إليه ونسبة الاحتياج إلى الواجب محال بل تصور الاحتياج إليه كفر فيلزم أن تكون حقيقة الوجود عين الواجب حقيقة الوجود بذاته يكون متعينا حقيقيا وقائما بذاته فينبغي تعدد حقيقة الوجود بحسب الأفراد وعروض حقيقة الوجود لماهيات الممكنة من الحالات وقد فهم من هذا أن واجب الوجود وجود مطلق والمراد بالمطلق أن لا يكون عارض الماهية بل قائم بذاته ومقيد بتعيينه بذاته متعين ومقيد وأن إطلاق الوجود على غير واجب الوجود مجاز لأن الوجود عارض ولا جزؤه ولا عينه بل موجودية الأشياء لها تعلق به وله أثر فيها ولا يكون الوجود لها عارضا ولا فيها هذا كلام أبواب البحث والنظر والعقل والصوفية يقولون عندنا طريق غير طريق العقل وهو المكاشفة والعقل فيها عاجز وقد تقر عندنا أن حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الإطلاق أيضا وهذه الحقيقة في جميع الأشياء تنصف بوجوه التجلي والظهور يعني لا تكون الأشياء خالية عنه وإن كانت خالية من حقيقة الوجود فإن لوحظت باعتبار الإطلاق المذكور سميت أحادية الجامعة وباعتبار عدم القيود والتعينات سميت أحادية الصرفة اهـ (وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيره فكل ذلك لا يشبهه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق إلى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل) قال المصنف في المقصد الاسني وكان إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا أن أنفسنا ولم نعرفه إلا بأنفسنا إذا لم لا يتصور أن يفهم معنى قولنا أن الله جميع والا كما لا يعرف معنى قولنا أنه بصير وكذلك إذا قال القائل كيف يكون الله عالما بالأشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فإذا قال كيف يكون قادر فنقول كما تتدبر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئا إذا كان فيه

من وجود الله تعالى
فالوجود التابع لا يكون
مساويا للوجود المتنوع
وإنما الاستواء في إطلاق
الاسم نظيره اشتراك
الفرس والشجر في اسم
الجسم إذ معنى الجسمية
وحقيقتها متشابهة فيهما
من غير استحقاق
أحدهما لأن يكون فيه
أصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادة من
الآخر وليس كذلك
اسم الوجود لله ولا خلقه
وهذا التباعد في سائر
الاسامي أظهر كالعلم
والارادة والقدرة وغيره
فكل ذلك لا يشبهه فيه
الخالق الخلق وواضع
اللغة إنما وضع هذه
الاسامي أولا للخلق فان
الخلق أسبق إلى العقول
والافهام من الخالق
فكان استعمالها في
حق الخالق بطريق
الاستعارة والتجوز
والنقل

والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح هذا الخيال تصوري نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال (٦١٢) وجمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا

ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة اليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فيها ما يناسبه ويشاركة ولو في الاسم لم يتصور فهمه ألبتة فاعرف أحد الانفسه ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتقدس عن ان تشبه صفاتنا (والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح وهذا الخيال تصوري نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل جلال وكمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجدد ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز رغبته ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الانفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه) اما الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه (أي بعين بصيرته الباطنة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه) اما (الى ارادته ذلك في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم علمه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه) فمحبته العبد لله لاجل حب الله له ووجد الله لعبده من أجل حبه له فالسعداء من العباد محببون محبودون من الله والله محمود منهم ومحمد الله نالوا جده كما نالوا بحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في الرسالة المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها العبد وأخبر عن محبته للعبد فانه سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لاتتعلق بالقديم اللهم الآن يحمل على ارادة القرب اليه والتعظيم له ثم قال فمحبته الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رغبته ارادة الانعام فالرغبة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرغبة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رغبة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعوم النعم تسمى رغبة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا لمحبة الحق للعبد مدحه له ونشأه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبة للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقي العبد به حالة مخصوصة برقيه اليها كما قال بعضهم ان رغبته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا لمحبة من الصفات الخيرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير فاما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالليل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكما له يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لاتتعلق بالقديم أي الارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها التخصيص فلا

ولا يتصور تجدد ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز رغبته ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الانفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه) اما الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه (أي بعين بصيرته الباطنة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه) الى (الى ارادته ذلك في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم علمه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه) فمحبته العبد لله لاجل حب الله له ووجد الله لعبده من أجل حبه له فالسعداء من العباد محببون محبودون من الله والله محمود منهم ومحمد الله نالوا جده كما نالوا بحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في الرسالة المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها العبد وأخبر عن محبته للعبد فانه سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لاتتعلق بالقديم اللهم الآن يحمل على ارادة القرب اليه والتعظيم له ثم قال فمحبته الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رغبته ارادة الانعام فالرغبة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرغبة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رغبة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعوم النعم تسمى رغبة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا لمحبة الحق للعبد مدحه له ونشأه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبة للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقي العبد به حالة مخصوصة برقيه اليها كما قال بعضهم ان رغبته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا لمحبة من الصفات الخيرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير فاما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالليل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكما له يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لاتتعلق بالقديم أي الارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها التخصيص فلا

تتعلق

المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سبيبا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو ليسترج بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرايه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للملائمة وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والحاصل الجيدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك واخر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الحاصل الجيدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل (٦١٣) وحجب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني

انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق فهمك لدخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات الهائم والسباع والشياطين والتخلق بكلام الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما ينظر هذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الا بمثال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

تتعلق بالقديم كالاتفاق بالمستحيل وحاصل ما ذكره من الاقوال أربعة وهي ترجع الى قولين الارادة والكلام لرجوع الفعل الى الارادة والخبرية الى الكلام (ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه) والمثول بين يديه (لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو ليسترج بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرايه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للملائمة وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجد) (واكتسب من الحاصل الجيدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) الى الملك (فحب الله) تعالى (للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات الهائم والسباع والشياطين) من الحرص والطمع والكبر والغضب والشهوة وغير هامن الرذائل (والتخلق بكلام الاخلاق) ومحاسنها (التي هي الاخلاق الالهية) وقد تقدم ذكرها (فهو قرب بالصفة لا بالمكان) فان قلت طاهره يشير الى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى لانه اذا تخلق باخلاقه كان شبهه له ومعالمه شرعا وعقلانه تعالى ليس كمثل شيء وانه لا يشبهه شيء قلت لا ينبغي أن يظن ان المشاركة بكل وصف توجب المماثلة بل المماثلة عبارة عن المشاكلة في النوع والمماثلة والخاصة الالهية لا يتصور فيها مشاركة البتة (ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما ينظر هذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الابدال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

في درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا حجب الله العبد بغيره من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقده فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزله والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف (٦١٤) العبد العبدانه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب

الله عند ابتلاء فأحب الله عن المجاوزة (ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال) وسبب ذلك تفاوت درجات القرب بتفاوتهم في درجات المعرفة وإنما كان هذا التفاوت لانهاية له لان ما لا يقدر الا آدمي على معرفته من معلومات الله تعالى لانهاية له وما يقدر عليه أيضاً لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه متناهياً ولكن مقدور الا آدمي من العلوم لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود متناهياً نعم الخارج إلى الوجود متفاوت في القلة والكثرة وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة والكمال والقرب (فإذا حجب الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه) وعري عنه (فاقد له فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزله والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى) فليست محبة العبد له متضمنة ميلاً ولا احتفاظاً كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللعوق والدرك والاحاطة (فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف العبدانه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان أحب الله البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً) هكذا هو في القوت وقد رواه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم قريباً (فعامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره) فلا يشغله بسواه (قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى جارا فتركبه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغاني عن نفسه بحمار وفي الخبر إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم انه يريد مصافيك وقال بعض المريدين لا ستأذ قد طولعت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فاشترت عليه آية قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيهما عدا حتى يبلوه) أي يختبره كذا في القوت (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاحراً من قلبه يأمره وينهاه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبداً خيراً اه قلت وليس عند الديلمي قوله زاحراً من قلبه (وقد قال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبداً خيراً ابصره يعيب نفسه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم (فأخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله) له (وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه المدبر لأمره) والمزكي لفعله (والمزني لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله تعالى) للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

الله عند ابتلاء فأحب الله البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً فعامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره فتركبه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغاني عن نفسه بحمار وفي الخبر إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم انه يريد مصافيك وقال بعض المريدين لا ستأذ قد طولعت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فاشترت عليه آية قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيهما عدا حتى يبلوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاحراً من قلبه يأمره وينهاه وقد قال إذا أراد الله بعبداً خيراً

بصره يعيب نفسه فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزني لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

حب الله للعبد * (القول في علامة محبة العبد لله تعالى) * اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يقترب الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتجنى بالعلامات (٦١٥) ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة

شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وغارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على المحبة شجرة طيبة أصلها ثابت (و) على (اللسان) فتورث الذكر (و) على (الجوارح) فتثمر الاعمال (وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي) أي تلك العلامات (كثيرة) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال (فإنها أحب لقاء الحبيب بطريق العيان) (الكشف والمشاهدة في دار السلام) ومحل القرب (فلا يتصور أن يحب القلب محباً وبالأولى يحب مشاهدته ولقاءه وإذا علم أنه لا وصول) إلى لقائه (إلا بالارتحال من الدنيا ومقارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه فإن المحب لا ينقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمة وروى المارقاني من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله) ومن كره لقاء الله كره لقاء الله قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الأولي حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم بن اسحق الحر بن حدثنا محمد بن يزيد الدمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد بن أبي عمار قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم ثم مات وجه الله الثانية بالسند إلى إبراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتناء وأعوذ بها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار (وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه حقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوه في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معير اللهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة أخذ مال محبوه وبولفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا نفر من

حب الله تعالى (للعبد والله الموفق) * (القول في علامات محبة العبد لله تعالى) * (اعلم) وفعل الله تعالى (أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى) فكل يدعي وصلاً بليلي * وليلي لا تقر لهم بذلك

(فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس) المكاراة (مهما ادعت محبة الله تعالى) والشوق إليه والانس به (ما لم يتجنى بالعلامات) الدالة على دعواها (و) ما (لم يطالبها بالبراهين) الكشفية (والدالة) العقلية (والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت) في أرض القلوب (وفرعها في السماء) أي في سماء الأرواح (وغارها تظهر على القلب) فتولد المعرفة (و) على (اللسان) فتورث الذكر (و) على (الجوارح) فتثمر الاعمال (وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي) أي تلك العلامات (كثيرة) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال (فإنها أحب لقاء الحبيب بطريق العيان) (الكشف والمشاهدة في دار السلام) ومحل القرب (فلا يتصور أن يحب القلب محباً وبالأولى يحب مشاهدته ولقاءه وإذا علم أنه لا وصول) إلى لقائه (إلا بالارتحال من الدنيا ومقارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه فإن المحب لا ينقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمة وروى المارقاني من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله) ومن كره لقاء الله كره لقاء الله قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الأولي حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم بن اسحق الحر بن حدثنا محمد بن يزيد الدمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد بن أبي عمار قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم ثم مات وجه الله الثانية بالسند إلى إبراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتناء وأعوذ بها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار (وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه حقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوه في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معير اللهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة أخذ مال محبوه وبولفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا نفر من

كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الامريب لان الحبيب على كل حال (٦١٧) لا يكره لقامحبيبه وقال البويطي

لبعض الزهاد أتجيب
الموت فمكانه توقف
فقال لو كنت صادقا
لاحييته وتلاقوه تعالى
فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فقال الرجل
فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يمتن
أحدكم الموت فقال انما
قاله لاضرزله لان
الرضا بضا الله تعالى
أفضل من طلب الفرار
منه فان قلت فن لا يحب
الموت فهل يتصور أن
يكون محبته فاقول
كره الموت قد تكون
لحب الدنيا والتأسف
على فراق الاهل والمال
والولد وهذا ينبغي كمال
حب الله تعالى لان
الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب
ولكن لا يبعد أن يكون
له مع حب الاهل والولد
شائبة من حب الله تعالى
ضعيفة فان الناس
متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت
ما روي ان أبا حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة عبد بن
شمس لما زوج أخته
فاطمة من سالم مولا
عائشة قرين في ذلك
وقالوا أنكحت عيلة
من عقائل قرين فولي
فقال والله لقد أنكحته
اياها واني لاعلم أنه خير
منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله

قسمه كما أثر أوله وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبد الله بن جحش فذكر
نحوه قال الحافظ وهذا أخرجه عبد الله بن المبارك في الجهاد مرسلا (وقد كان) سفيان (الثوري وبشر) بن
الخرث (الحافي) رحمه الله تعالى (يقولان لا يكره الموت الامريب) أي شاك (لان الحبيب على كل حال
لا يكره لقامحبيبه) نقله صاحب القوت (وقال) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري (البويطي) بضم الموحدة
وفتح الواو نسبة إلى بويط قرية بمصر بالصعيد الأدنى وهو صاحب الشافعي وخليفته على أصحابه بعده كان
زاهدا متعبدا قال له الشافعي اما أنت فتموت في الحديد فان مقيدا ببغداد سنة ٢٣١ في محنة القرآن (لبعض
الزهاد أتجيب الموت فمكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحييته وتلاقوه تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمتن أحدكم الموت فقال انما قاله لاضرزله لان الرضا بقضاء
الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه) نقله صاحب القوت وقال هذا كما قال البويطي لان التائب اذا صدقت
توبته طلب الموت خشية الحول عن حاله فاذا كان كذلك كان هو التائب الذي هو حبيب الله الآن مقام الرضا
أعلى من مقام غنى الموت فلذلك قال لا يمتن الموت للضر ينزل به أي فرضه بقضائه أفضل من غنى لقائه ليقبض
على مقام الرضا اهـ والحديث المذكور بهذا اللفظ رواه البواردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم
ابن عمر والغفاري ورواه أحمد من حديث عيسى الغفاري ورواه أيضا هو والطبراني وصاحب الخليفة من
حديث خباب وروى زيادة اما محسنا فاعلمه أن يعي شزاد خيرا وهو خير له واما مسينا فاعلمه أن يستعبر رواه
النسائي بمذهبه زيادة من حديث أبي هريرة ورواه أحمد والشيخان نحوه ورواه الشيخان من حديثه زيادة
ولا يدعيه من قبل أن يأتي به انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر
من حديثه زيادة حتى يثق بعمله ورواه ابن أبي شيبة من حديث عمر بن عتبة بلفظ الا أن يثق بعمله ورواه
الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فانه لا يدري ما قدم لنفسه وما قول البويطي انما قاله لاضرزله فقد رواه
الطحاوي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من
حديث أنس لفظه لا يمتن أحدكم الموت لاضرزله فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة
خير الي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وأفضل (فان قلت فن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محبته تعالى
فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينبغي كمال حب الله
تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من
حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب) تفاوتهم في المعرفة (ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة)
هشيم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس (بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس) بن عبد مناف القرشي العنسي من
السابقين هاجر المهاجرين وصلى الى القبلتين كان طوا الاحسن الوجه استشهد يوم البصرة وهو ابن ست
وخسين سنة (لما زوج أخته فاطمة) ابنة عتبة (من سالم مولا) هكذا هو نص القوت والذي في الاصابة في ترجمة
سالم وكان أبو حذيفة قد تبنا كما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد بن حارثة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه
فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله ادعواهم لآبائهم رد كل أحد تبني ابنان أولئك الى
آبائهم لم يعرف الى مواليه قال أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بن زبير عن عتبة بن ربيعة بنت
الوليد بن عتبة هذه انها من المهاجرات الفضلات زوجها معها أبو حذيفة بن عتبة سلم الذي يقال له مولى أبي
حذيفة وذكري في ترجمة فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة انها أخت هند أم معاوية بن أبي سفيان ونقل عن
ابن سعد انه قال تزوجها قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له الوليد وهشام ومسلم وعتبة وأممية
وفاخته ثم أسلمت وبايعت وتزوجها عقيل بن أبي طالب وذكر له امعه قصة وقد ظهر بما ذكرنا ان التي تزوجها
سالم هي فاطمة بنت الوليد لابنة عتبة فتأمل (عائشة قرين في ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قرين مولى)
يعنون به سالم الرضى الله عنه (فقال والله لقد أنكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله عليهم أشد من فعله

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فليكنظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمران السالمي يحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له ان السالمي شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اه قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حنبل بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عباد بن سفي عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الأرقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السالم مولى أبي حذيفة فقال ان السالمي شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم حدثت عن سعيد بن سالم قال حدثنا فوس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأثبت عبد الله بن الأرقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السالمي شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ماعصاه فليقتل ابن عباس فذكر ذلك فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى نحدثك به فجلسنا للمسور فقلت ان عبد الله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لا تسأل عنه بعد عبد الله بن الأرقم حدثنا أبو حماد بن جيلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداس حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت السالمي مولى أبي حذيفة فسألتني عن مربي ما جئت على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقاً من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأمّا السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فليكنظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمران السالمي يحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له ان السالمي شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اه قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حنبل بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عباد بن سفي عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الأرقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السالم مولى أبي حذيفة فقال ان السالمي شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم حدثت عن سعيد بن سالم قال حدثنا فوس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأثبت عبد الله بن الأرقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السالمي شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ماعصاه فليقتل ابن عباس فذكر ذلك فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى نحدثك به فجلسنا للمسور فقلت ان عبد الله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لا تسأل عنه بعد عبد الله بن الأرقم حدثنا أبو حماد بن جيلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداس حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت السالمي مولى أبي حذيفة فسألتني عن مربي ما جئت على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقاً من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأمّا السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل وطاباعته من أيا الدراجات كما يطلب الحب (٦١٩) مزيد القرب في قلب محبوبه وقد

وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى
فأترك ما أريد لما يريد
بل الحب إذا غلب فع
الهوى لم يبق له تنعم بغير
المحبوب كما روى ابن زليخا
لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام
أنفردت عنه وتخلت
للعادة وانقطعت إلى
الله تعالى فكان يدعوها
إلى فراشه ثم أفتدفعه
إلى الليل فإذا دعاها ليل
سوفت به إلى النهار
وقالت يا يوسف إنما كنت
أحبك قبل أن أعرفه
فأما إذا عرفته فما أبت
محبة محبة لسواء وما
أريد به بدلا حتى قال إن
الله جل ذكره أمرني
بذلك وأخبرني أنه يخرج
منك ولدين وجاعلهم
نبيين فقالت أما إذا
كان الله تعالى أمرك

أن يكون مؤثرا ما يحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه) لأن المحبة لا تدع لغير المحبوب موضعاً في القلب والآثار وهو ميزان العقل والصدق للمحبة فعلى قدر ما يشارك له تعرف بمحبتك له فلا تعترفان المحبة تحفة لا تعرف إلا بالآثارها وقد أشار إلى غسرة الآثار بقوله (فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل) أي راحته (ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل) كما ورد به الخبر لأن عمل المحبة لا يدخله سأم ولا ملالة وهو أحد الأسباب المشرفة لأعمال المحبين (و) لا يزال (طاباعته من أيا الدراجات) أي خواصها (كما يطلب الحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي احتياج وفقر وقال صاحب القوت أول علامات المحبة الآثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف الله تعالى المحبين بالآثار و وصف العارفين بذلك فقال في صفة المحبين يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال في وصفه تعالى بالله لقد آثر الله علينا اه (ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه) واليه يشير قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهمة هواه (بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فأتارك ما أريد لما يريد)

أورده القشيري في الرماله وقال صاحب القوت أنشدني بعض الأشياخ لبعض المحبين

أذجيل الصبر كما أله * وأهوى لمن أهواه تركا فتركه

(بل الحب إذا غلب) على القلب وغمره (فغلب الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كجروى) في الأخبار السالفة (ان زليخا) بنفق فكسر وهي امرأة العزيز (لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام أنفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه ثم أفتدفعه إلى الليل فإذا دعاها ليل سوفت به) أي أخرجت إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما إذا عرفته فما أبت محبة محبة لسواء وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله عز وجل أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدين وجاعلهم نبيين فقالت أما إذا كان الله أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه) هكذا نقله صاحب القوت فكأنما كانت طاعته امتثالاً لأمر الله تعالى وهو دليل المحبة (فأذا من أحب الله لا يعصيه) بخالفة أمره (ولذلك قال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (فيه

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع)

وهي أبيات سائرة من جملة قصيدة له نسبها إليه غير واحد من العارفين وروى البيهقي في الشعب عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال من أحب حبيبته لم يعصه ثم قال

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * عار عليك إذا فعلت شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن أحب مطيع

ثم قال ما ضر من كانت الفردوس منزله * ما كان في العيش من بؤس واقتار

تراه بمشي خزيناً حائفا شعثا * إلى المساجد يسعى بين أطمار

ونسب السهر وردى البيتين المذكورين إلى رابعة وقد ظهر من مجموع كلامهم أن ابن المبارك ورابعة كانا ينشدان ذلك وأصل الانشاد لابن الحنفية فتأمل (وفي هذا المعنى قيل أيضا)

(وأترك ما أهوى لما قد هويته * وأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي)

بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه فإذا من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال المبارك فيه

نعصى الإله وأنت ما تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا وأترك ما أهوى لما قد هويته * فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة (٦٢٠) الحب اشارة على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وانما الحبيب من

اجتنب المناهى وهو
كما قال لان محبة الله تعالى
سبب محبة الله له كما قال
تعالى يحبهم ويحبونه
واذا احبه الله تولاه ونصره
على اعدائه وانما عدوه
نفسه وشهواته فلا يخذله
الله ولا يكله الى هواه
وشهواته ولذلك قال تعالى
والله اعلم باعدائكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا فان قلت فانه صيان
هل يضاد اصل المحبة
فاقول انه يضاد كما لا اول
يضاد اصلها فكم من
انسان يحب نفسه وهو
مريض ويحب الصحة
وبكل ما يضره مع العلم
بانه يضره واذلا لا يدل
على عدم حبه لنفسه
ولكن المعرفة قد تضعف
والشهوة قد تغلب فيعجز
عن القيام بحق المحبة
ويدل عليه ما روى أن
نعيمان كان يؤتي به
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كل قليل فيحده
في مصيبة يرتكبها الى
ان اتي به يوما فحده فلغته
رجل وقال ما أكثر ما يؤتى
به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلغنه فانه
يحب الله ورسوله فلم
يخترجه بالمصيبة عن المحبة
فتم تخرجه بالعصية عن
كمال الحب وقد قال بعض

هكذا أنشده صاحب القوت لبعضهم (وقال سهل) التستري (رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك) ولفظ القوت الايثار يشهد للحب فعلامه حبه ايثاره على نفسك (و) قال (ليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وانما الحبيب من اجتنب المناهى) ولفظ القوت وكل من اجتنب ما نهى عنه صار حبيباً (وهو كما قال لان محبة الله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحب الله عبداً تولاه ونصره على أعدائهم وانما عدوه نفسه وشهوانه فلا يتخذ له ولا يكله الى هواه وشهوانه ولذلك قال تعالى وانه أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) ولفظ القوت بعد ان أورد كلام سهل وهذا كما قال لان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تستبين بكثرة الاعمال كما قيل أعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصي لا يتركها الا الصديق وقيل أفضل منازل الطاعات الصبر عن المعاصي ثم الصبر على الطاعة وان الصبر على الطاعة يضاعف الى سبعين ضعفاً والصبر على المصيبة يضاعف الى سبع مائة كانه أقيم مقام المجاهد في سبيل الله لان نفسه عدوة لله وله فخر الفقه هو اها هو جهادها في سبيل الله لانه يقع اختيار من الله وضرورة لامن كرامة النفس فاذا ترك هواه فقد ترك نفسه فاقبل ماله في ذلك الزهد في الدنيا والجهاد في سبيل الله ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته الى سبع مائة ومن أجله ثبت له المحبة لدخوله في أهل هذه الآية ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وأيضاً فقد اندرج الخوف في حاله وهو مقام ثان يفضل جنة ثانية لغير المخالفة فان ذلك قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال عيش نفوسهم الفاني وهو عاجل حظوظهم من الشهوات (فان قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة فاقول انه يضاد كما الهزل لا يضاد أصلها) واليه ذهب أبو طالب المكي وتبعه المصنف وقال (فمكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويجب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة) قال (و يدل عليه ما روى) في الصحيح (ان نعمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري) كان يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في كل معصية يرتكبها) وهي انه كان يصيب من الشراب كما ذكره الزبير بن بكار في كتاب الفسكاة والمزاح (الى ان أتى به يوماً فغده) حد الشرب (فلعنه رجل) يقال اسمه غير كليلته الحافظ في الفتح (وقال ما أكثر ما يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعه) وعند الزبير ابن بكار لا تفعل (فانه يحب الله ورسوله) رواه البخاري من طريق وهيب عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالنعمان أو ابن النعمان كذا بالشك والراجح النعمان بلا شك كما عند أحمد ورواه بالشك أيضاً ابن سعد في الطبقات وقد تقدم ما يتعلق به (فلم يخرج به بالمعصية عن المحبة) أي عن أصلها قال السكيت محمد بن اسحق الصوفي وقد رأيت أيضاً في كتاب الله ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة الآية فلم يخرج به الكبيرة عن اسم الهجرة (نعم يخرج به المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين) مشيراً الى ذلك (اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سو بداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي) ولفظ القوت اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على النفوذ كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سويدائه أحبه الحب البالغ ومحبة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر حب الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى يصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو يحب الله حقا كما انه مؤمن به حقا عن مشاهدة اليقين الذي يغلب رؤيته على رؤيه الحق فيشاهده في كل شيء ويكون واجدا به دون كل شيء اذ قد تجلى لمن أيقن بكل شيء فان رأيت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبة سواء بقدر مالك من شرب اليقين بمز وجاب شهادة الخلق والوجدان منهم دون الخالق وذلك أيضاً عن خالص شهادة التوحيد ومن المحبة بقدر ذلك له في مقامات الخالصين أو مشوبا بالسرك الخفي بالنظر الى الاواسط والثواني في اخلاص عموم المخلصين وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه محل الايمان فمن ههنا تفاوت المحبوب في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق

العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي بعض

بعض علماء ثنائين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة في القلب تجويفان التجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فحجة الاسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فالماحبة المقربين ففي مشاهدة معاني الصفات بعدم معرفة أخلاق الذات فعبادة اولئك بالعبادات وللحاجات وعبادة المحبين للاجلال والتعظيم وهي مخصوصة لمخصوصين والاصل في هذا ان المحبة عن المعرفة وان المعرفة عموم وخصوص فلهذا العارفين خاصية المحبة والعمومهم عموم المحبة انتهى وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفي والذي ترجع عندي ان العاصي يكون مجابحاً لحقيقة كما يطلق اسم الايمان على النائم فانه مؤمن حكماً لا حقيقة وبهذه القاعدة ينكشف سر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لان دخان الشهوة يحجب نظره عن الوعد والوعيد فصار كالغافل عن الايمان كالنوم فالغافل يسمى مؤمناً حكماً لا حقيقة لان حقيقة الايمان حضور العبد مع الله أو شهوده للآيات الدالة على وجوده فالغافل العاصي عن هذا يعزل والانسان خلق في الاصل مجبولاً على الغفلة وعلى الرجوع الى الاحوال البشرية وانما رحمة الشرع جاءت بتشريع العبادات وترتيبها في اوقات متقاربة ليرجع القلب بذلك الى الله تعالى فانقسم الناس في رجوعهم الى الله تعالى اولى الدنيا هذا الانقسام (و بالجله في دعوى المحبة خطر) عظيم وقد قال بعض العلماء اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا جافت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقيناً (ولذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى في فرض المحبة (اذا قيل لك أنتحب الله تعالى فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت) نقله صاحب القوت (ولذا قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك) نقله صاحب القوت وزاد فقال وقال عالم فوفقه كل أهل المقامات برحى انه يعفى عنهم ويسمى جمع لهم الامن ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظارة وخطرة لله تعالى وبالله تعالى وفي الله تعالى ومع الله تعالى (ومنها) أى من علامات حب العبد لله تعالى (ان يكون مستهتراً بذكر الله تعالى) أى مولعاً به (لا يفتري عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه) بل يكون القلب موافقاً للسانه في حال الذكر (فن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره) كقول في الخبر من أحب شيئاً أكثر من ذكره رواه صاحب الحلية من حديث عائشة وقد تقدم وكثرة الذكر دليل محبة المذكر ولذا ذكر وهو من أفضل منته على خلقه وفي الخبر ان الله تعالى في كل يوم صدقة بمن اعلى خلقه وما تصدق على عبيد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله وروي أكثر وأمن الذكر حتى يقول المنافقون انكم مراءون وفي حديث أبي سلمة عن أبيه عن جده ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (و) كذلك من أحب شيئاً أكثر من (ذكر ما يتعلق به علامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه) وتكرره على الاسماع والقلوب (وحب رسوله صلى الله عليه وسلم) الذي هو جسيمه وصفه وكذا حب سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام لان الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة ويجب حب الملائكة لشرافهم في ذواتهم ولما أصلح الله بهم الانبياء ونفع بهم العباد ويستحب حب الطاعة التي هي خدمة ويتأكد الاستحباب للاولياء الذين هم خاصة وكذا للمؤمنين على حسب درجاتهم قال تعالى يحبون من هاجر اليهم (و) كذا (حب كل من ينسب اليه) أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولادة وكذا اليهم بالنسب الظاهر أو الباطن (فان من يحب انساناً يحب) كل ما يتعلق به حتى يحب (كل محبته) وقصة مجنون بنى عامر مع كلب وقع بصره عليه فاحبه وجوابه لمن سأله عن ذلك بانه رآه مرة في حى ايملى وقوله * أحب لها سود الكلاب * مشهورة فهذا الذى ذكره كله مما يتعلق بحب الله تعالى

وبالجله في دعوى المحبة
خطر ولذا قال
الفضيل اذا قيل لك أنتحب
الله تعالى فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم فليس وصفك
وصف المحبين فاحذر
المقت ولقد قال بعض
العلماء ليس في الجنة
نعيم أعلى من نعيم أهل
المعرفة والمحبة ولا في
جهنم عذاب أشد من
عذاب من ادعى المعرفة
والمحبة ولم يتحقق بشئ
من ذلك ومنها أن يكون
مستهتراً بذكر الله
تعالى لا يفتري عنه لسانه
ولا يخلو عنه قلبه فن
أحب شيئاً أكثر بالضرورة
من ذكره وذكر ما يتعلق
به علامة حب الله حب
ذكره وحب القرآن
الذى هو كلامه وحب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحب كل من ينسب
اليه فان من يحب انساناً
يحب كلب محبته

فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب (كلامه لانه جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (٦٢٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى وقال

(فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة) وكلام المحبة يقتضي رفع الاشتراك (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب (كلامه لانه جميع خلق الله لانهم خلقه) وتصنيفه وابداعه (فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين) الا ان المحبة في بعض الافراد المذكورة بالوجوب كالقرآن والرسول وسائر الانبياء والملائكة وفي بعضها بالاستحباب كجميع المؤمنين على درجاتهم والطاعة وفي بعضها يتأكد الاستحباب كحب خواص العباد من الاولياء والصالحين (وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فان قلت فلم لا كانت محبة الطاعة واجبة وكذا محبة الاولياء فاقول الوجوب مبنى على أصل الايمان لا على كمال الايمان ولا تتقوى المحبة حتى تتعدى الى ما يتعلق بالمحبوب الا بكمال الايمان وذلك لو وقعت الطاعة بماعت الخوف أو الرجا فقام الاجماع على صحته او قبولها وفيها ذكرناه نظرا لتجاذب المسئلة بين ما قلناه وبين أن الطاعة فرع المحبة والمحبة واجبة وعسى الله أن يكشف عن الحق في ذلك فان قلت هذا يدل على أن بغض المؤمنين ليس بحرام فاقول نفس البغض مكروه وبعضه أشد كراهة من بعض على حسب درجة الولي لكن للبغض آثار باطنة وآثار ظاهرة فلو طلب زال النعمة عنه بسبب بغضه حرم عليه ذلك ولو تسكاه بما ينقصه أو يقدح في عرضه حرم عليه ذلك وبعض هذه المهلكات أفع من بعض (وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ وأحبوني لله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقد تقدم (وقال سفيان من أحب بالله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم بكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى) نقله صاحب القوت الأتية قال وقال سفيان وغيره من أحب الله تعالى فانما أحب الله الخ (وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة) أي في أول السلوك ونشاطه (فادمنت) أي داومت على (قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة) أي سكون (فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما بدت) ولفظ القوت أما ترى (ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي) الاولى من الادمان على التلاوة نقله صاحب القوت زاد وقال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل) التستري (رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة) نقله صاحب القوت (ومنها) أي ومن علامات المحبة (أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد) وهو قيام الليل (ويغتم هذه الليل) أي سكونه (وصفاء الوقت بانقطاع العلائق) أي الموانع (وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته) وفي الحديث القدسي

سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانتبهت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما بدت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة حب الاخوة وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة ومنها أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد وهو قيام الليل ويغتم هذه الليل أي سكونه وصفاء الوقت بانقطاع العلائق أي الموانع وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب

وعلمة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة ومنها أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العلائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عنى الان بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه فذكر له هذا الخبر فقال
ذلك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وآواه بالانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال
رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وأما المحبون وسيد المحبون بزر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان ينام مثلي ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن تأتي عليه ايلة حتى ينام فيها (قيل
لابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الانس بالله) بشيرا لي انه كان في
خلوته مع الله تعالى ومناجاته به وقال أحد بن أبي الحواري دخلت على أبي ساجد المدائني فرأيت يبيكي فقلت
ما يبكيك زحك الله قال ويحك يا أحد اذا جئ هذا الليل وافتش أهل المحبة أقدامهم وجدت دموعهم على
خدودهم أشرف الجليل الجبار جل جلاله عليهم فقال بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي وانى مطالع
عليهم في خلوتهم أسمع أنيهم وأرى مكانهم بأجبريل نادفهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم هل خبركم عني بخبر
ان حبيبا يعذب أحبائه بالنار بل كيف يحمل بي ان أرى هربا قوما بالاعذاب اذا جئهم الليل فلقوا بي في حلفت اذا
وردوا القيامة ان اسهر لهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي (و) بروي (في أخبار داود عليه السلام) قال
الله تعالى يا داود (لاتأنس الى أحد من خلقي فاني انما أقطع عنى رجلين رجلا استبطأ ثوابي فانه قطع ورجلا
نسبني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان أكله الى نفسه وان أدعته في الدنيا حيران) نقله صاحب القوت (ومهما
أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله متوحشا من الله تعالى ساقطاعن درجة محبته) وقالوا الاستبحاش من
الخلق علامة الانس بالخلق وقال سهل رحمه الله تعالى جناية المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو ان
يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه (و) بروي (في قصة برخ) يضم الموحدة وسكون الراء وآخوه خاء معجمة
وهو اسم سرياني (وهو العبد الاسود الذي استقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى) عليه السلام
(ان برخ نعم العبد) (وهو لي الان فيه عيبا قال) موسى (يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى شيء) نقله صاحب القوت وقال فالتسكون في هذا الموضع الاستراحة الى الشيء والانس
به والتسكون في غير هذا الموضع النظر الى الشيء والادلال به والطمانينة والقطع به قال وذكرت هذه الحكاية
لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد هذا برخ انما أراد به موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أي
وهو قد سمع لبرخ بذلك اذ لم يوافق عليه فعرض عليه ببرخ أي لانه عالم وكان هذا جوابا لمنه ثم أتى سأله لم أخبر
موسى بعيبه وهو يعجبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فاجاب بهذا قال فالقرن من المحبين انما انعمهم بالله
وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك في سواه كانت ذنوبهم عن غفلة أدخلت
عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفر لهم (و) بروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيبة دهر اطويلا) أي زمانا والغيبة
المكان الملتف شجرة (فنظر الى طائر وقد عشن في شجرة) أي اتخذ عليها عشا (ياؤى اليها) أي الى تلك الشجرة
(ويصفر عندها) أي بصوت بالصغير (فقال لو حلت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا
الطائر قال ففعل) أي حوّل مسجده اليها (فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست
بمخلوق لا حطنتك درجة لاتنالها بشئ من عملك أبدا) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي في الشعب عن أحد بن
أبي الحواري قال سمعت أني يقول تعبد رجل من بني اسرائيل في غيبة في جزيرة في البحر أربعين سنة فطال
شعره حتى اذا كان في الغيبة تعلق بأغصانه ببعض شعره فبينما هو ذات يوم يدور اذ مر بشجرة فيها وكر طائر
فنقل موضع مصلاه الى قريب منها قال فنودي أنست بغيري وعزقي وجلالي لا حطنتك مما كنت فيه مدرجتين
(فاذا علامة المحبة) الصادقة الخالصة (كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم به بالخلوة به) والاقطاع
اليه بوجوه نسيم الانس به ومصادقة الاستراحة والروح منه بمحادثته في المحاسبة ومناجاة في الخلوة
وتعلق في السريّة (وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة) ثم ذوق حلاوة
النعم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة ثم الطمانينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر

السلام لاتستأنس
الى أحد من خلقي فاني
انما أقطع عنى رجلين
رجلا استبطأ ثوابي
فانه قطع ورجلا نسبي
فرضي بحاله وعلامة
ذلك ان أكله الى
نفسه وان أدعته في
الدنيا حيران ومهما
أنس بغير الله كان بقدر
أنسه بغير الله متوحشا
من الله تعالى ساقطاعن
درجة محبته وفي قصة
برخ وهو العبد الاسود
الذي استقى به موسى
عليه السلام ان الله تعالى
قال لموسى عليه السلام
ان برخ نعم العبد هو لي
الان فيه عيبا قال يارب
وما عيبه قال يعجبه نسيم
الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى
شيء وروي أن عابدا
عبد الله تعالى في غيبة
دهرا طويلا فنظر الى
طائر وقد عشن في
شجرة يابى اليها وبصر
عندها فقال لو حوّل
مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت أنس بصوت
هذا الطائر قال ففعل
فاوحى الله تعالى الى نبي
ذلك الزمان قل لفلان
العابد استأنست بمخلوق
لا حطنتك درجة لاتنالها
بشئ من عملك أبدا فاذا
علامة المحبة كمال

الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة

وعلاوة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت وجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم (٦٢٤) الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته فالحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله

تعالى الذين آمنوا ونطمئن
قلوبهم بذكر الله ألا
بذكر الله تطمئن
القلوب قال هشت اليه
واستأنست به وقال
الصادق رضي الله تعالى
عنه من ذاق من خالص
محبة الله شغله ذلك عن
طلب الدنيا وأوحشه
عن جميع البشر وقال
مطرف ابن أبي بكر المحب
لا يسأم من حديث
حبيبه وأوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام
قد كذب من ادعى محبتي
اذا جئته الليل نام عني
أليس كل محب يحب
لقاء حبيبته فها أنا ذا
موجود لمن طلبني وقال
موسى عليه السلام يا رب
أين أنت فاقصدك فقال
اذا قصدت فقد وصلت
وقال يحيى بن معاذ من
أحب الله أبغض نفسه
وقال أيضا من لم تكن
فيه ثلاث خصال فليس
بمحب يؤثر كلام الله
تعالى على كلام الخلق
ولقاء الله تعالى على لقاء
الخلق والعبادة على
خدمة الخلق ومنها أن

الى الرقيب فن عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى وانظر الى الهلك الذي ظلت عليه عاكفا (وعلاوة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه) ويناجيه (وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به) تقدم في كتاب الصلاة (وقطعت رجل بعضهم بسبب علة) الاكلة (اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر بشئ برده عليه (بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا) فيظن الناس به بلها وغفلة (مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته) وما يتعلق به (فالحب) الصادق (من لا يطمئن الا بمحبوبه) ولا يستأنس الا بذكره (وقال قتادة) ابن دعامه السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي (في قوله تعالى الذين آمنوا ونطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وقال مجاهد ألا بذكر الله تطمئن القلوب بمحمد وأصحابه رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وفي حديث أنس هل تدرون ما معنى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أصحابي رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادق غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدوا غائباً ألا بذكر الله يتحابون (وقال) أبو بكر (الصادق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر) فقد تقدم (وقال مطرف بن أبي بكر) هكذا في سائر نسخ الكتاب والصواب مطرف أبو بكر وهو مطرف بن طريف الحارثي كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (المحب لا يسأم من حديث حبيبته وأوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذ جئته الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فها أنا ذا موجود لمن طلبني وقال) وكذلك رواه كعب الاحبار من التوراة وروى عن أبي الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت فاقصدك) ولفظ القوت فاقصدك (فقال) ولفظ القوت فأوحى الله اليه (اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها) أي ومن علامات المحبة (ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل) أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل (ويعظم التأسف على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات) الى الله تعالى (بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة) ونسيان حظوظ النفس بتذكر حقوق الرب تعالى (وقال) أبو الفضل الشكلي وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان الله عباداً أحبوه وأطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملكاً ملكهم تاماً وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم) لالحالة (وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم) ولفظ القوت فما كان لهم فهو موصل اليهم من جميع الاشياء وما فات من ادراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

قطعت

لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله

تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان الله عبداً أحبوه وأطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملكاً ملكهم تاماً وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

تساعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
من الغفلة وتكون هفوته سببا للتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما
لم يراحب الا المحبوب ولم يرشأ الا

(٦٢٥)

منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا
وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته
قوله وعسى أن تكرهوا
شيأ وهو خير لكم ومنها
أن ينعم بالطاعة ولا
يستقلها ويسقط عنها
نعمها كما قال بعضهم
كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين
سنة وقال الجنيد علامة
الحبسة دوام النشاط
والدرب بشهوة تغتر
بدنه ولا تغتر قلبه وقال
بعضهم العمل على
الحبة لا يدخله الفتور
وقال بعض العلماء والله
ما شئتني بحبته من
طاعته ولو حل بعظيم
الوسائل فكل هذا
وأمثاله موجود في
المشاهدات فان العاشق
لا يستقل السعي في هوى
معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان
شاقا على بدنه ومهما عجز
بدنه كان أحب الاشياء
اليه ان تعاوده القدرة
وان يفارقه العجز حتى
يشغل به فهكذا يكون
حب الله تعالى فان كل
حب صار غابا قهرا لا محالة
ما هو دونه فمن كان
محبوبه أحب اليه

قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا للتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم يراحب الا
المحبوب ولم يرشأ الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته
ويذكر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ولغظ القوت وقد يحسن بالمريد المتحجب أن يكون
يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهابت عنه قلبا قليلا في غير ذكره فاما المحب المحبوب فقد لاحت له الاعلام
فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته فالواجب عليه أن يرجع الى واديه فبئسأله لم قطع برك عني ولم لم
تدملنى ولم تشو به بالسكر ولم تدخل ببنى وبينك الخلق فان كان صادقا في محبته فيستعمله محبوبه في الخير فيكون
مكان الاستغفار من الغفلة معاتبة يستخرج بها أكثر من الذي فاتته من الذكرك فتكون تلك الهفوة عليه بركة
ان كان عاقبتها الاتصال والزيادة في القرب والعبد المحب لله عز وجل مأسور معلق هناك لا يدري ما حقيقة
التوحيد غير انه اذا أسف على فقد وحدانية التوحيد فرجع فوجد بقائه الواحد بالوحدانية
وانفراده في الصمدية فينسى نفسه وذهب طعم كل ذكر كان ينعم به ولم يفرق كل شئ وذهب استيعاده في هذا
الموضع حتى يستبعد المحب من مكان آخر فيرده الى علم التوحيد والتوحيد والحب بلاء كثير والعبادة قد ألفوا
العبادة والذكر الطيب الذي يعقلون به وأول التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حبالة لا خوف من
ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم حتى يرجع لهم على التعظيم والاحلال
فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق
والانس فاما الصدق والصبر والاخلاص والزهد فهذه الاخلاق الشريفة كائنة معهم في سرهم ووصفهم
لا تغارهم ولا يخلهم منها محبوبهم ولو أدخلهم مولا لهم ماذا طعم شئ من هذه الخصال ولبطلت العبادات
وانقطعت الطرق وسكافوا مكنته في به ولو كنه يدبرهم بامرهم ويردهم الى هذه الاحوال فيذوقون طعمها كما ردهم
الى مصالح الجسم ومرافق العقل فلذلك اسمهم الموحدون المشفقون المحبون لانهم عبدوه وحده وأحبوه
دون غيره واشتاقوا اليه لا سواه ولم يريدوا منه شيأ اذ كان الله تعالى هو الغالب على همهم القاهر لقلوبهم
الموجود في سرهم المسالك لعقولهم فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم أعلى
الخلقة وليس فوقهم أحد هذا نقلته من كلام الشكلى وغيره من العارفين انتهى سياق صاحب القوت
والشكلى بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس يوسف بن اسمعيل البغدادي روى عن
السري وعنه محمد بن اسمعيل الشكلى وعنه أبو بكر القطيعي وأبو حفص بن شاهين منسوب الى شكلة اسم
امراء والمعروف به البراهيم بن شكلة الامير الذي امتدحه أبو تمام وقد تقدم له ذكر في هذا الكتاب (ومنها)
أى ومن علامات الحبسة (ان ينعم بالطاعة ولا يستقلها ويسقط عنه تعها) لان عمل المحبة لا يدخلها سائمة
ولامالة وهذا احد الاسباب المشرفة للمحبين (كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)
وهو قول ثابت البناني وقال مرة كابدت القرآن وقد سبق في كتاب ترتيب الاوراد (وقال) أبو القاسم (الجنيد)
قدس سره (سلامة المحبة دوام النشاط والدرب بشهوة تغتر بدنه ولا يفتر قلبه) كذا في القوت (وقال بعضهم
العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء ما شئتني بحب الله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل) كذا
في القوت (فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز
حتى يشغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غابا قهرا لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه أحب اليه
من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان أحب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فإيش تنفق على قال يا سيدى أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد (٦٢٦) فكيف بعبد له ود فكل هذا بسببه ومنا ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم شديدا

على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى أشداء على الكفار رجاء بينهم ولا تأخذهم لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكرة ويغضبون لمحاربي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس أو أكثر وانظر الى هذا

المثال فان الصبي اذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام أخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتسلط به ومهما فارق به بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصطفى

بذل نفسه وماله حتى (لم يبق له شيء) منها (ما سبب حاله هذه في المحبة فقال) كلمة سمعتها من خلق علمت في هذا البلوغ قبل وما هي قال (سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فإيش تنفق على قال يا سيدى أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد فكيف بعبد له ود فكل هذا بسببه) نقله صاحب القوت وقال فقد دخلت الاموال في الانفس ودخلت الانفس تحت الشراء وقد باعوه نفوسهم فسادوا ثم المحبة اياه وقد اشتراها منهم لنفاسها عنده فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شراؤها طمأنينة عنهم فاذا طواها فلم يكن عليهم متابعة هوى في سواء فقد اشتراها (ومنها) أى ومن علامات المحبة (أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم) يضافهم ويؤددهم ويجب لهم أكثر مما يحب لنفسه لانه في نفسه راض بما يجري عليه من أحكام به فلا يختار لنفسه حال من الاحوال وهو يختار للمسلمين أحسن الاحوال وأكمل الحالات وهذه الحالة اذا وجدها المحب في نفسه يتحقق ان الله تعالى منحه مقام الراتبين المتخلفين باخلاق الله (و) يستحب أن يكون (شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه) على حسب درجاتهم في البعد من الله تعبد الامر الله سبحانه مع مشاهدته كمال علم الله وحكمته فيهم (كما قال الله تعالى) في وصف المحبين (أشداء على الكفار رجاء بينهم) فرصة فهم بالشدة على أعداء الله والترحام فيما بينهم (و) يتأكد ان (لا تأخذهم في الله لومة لائم) ولا عذل عاذل (ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه اذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكرة ويغضبون كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس أو أكثر) وأورد صاحب القوت وقد رواه الطبراني ومن طريقة أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن منصور والمدايني حدثنا محمد بن اسحق المسيبي حدثنا عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام قال يا رب اخبرني باكرم خلقك عليك قال الذي يسرع الى هوى اسراع النسر الى هوى والذي يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبي الناس والذي يغضب اذا انتهكت محاربي غضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لم يبالي أقل الناس أو أكثر (فاذا انظر الى هذا المثال) وتذكره (فان الصبي اذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فاذا نام أخذه معه في ثيابه فاذا انتبه (عاد) اليه (وتسلط به ومهما فارق به بكى ومهما وجده ضحك) اليه (ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب) لنفسه (حتى يباع من شدة غضبه انه يهلك نفسه) وذلك ان يغيب الخلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل فلذلك ضرب الله هذا المثل في قوله لا يبالي قل الناس أو أكثر والحقيقة الاخلاص بغيبته عن مداراة الناس (فهذه علامات المحبة) يعنى الكاف بالحب والالواء الى الذكر والغضب للمحارم (فن تمت فيه هذه العلامات) المذكورة (فقد تمت محبته وخلص حبه) لله تعالى (فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه) وهو من المقربين ونعيمه في الجنان صرف لانه كان بعبد له لاجله صرفا (ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه) وهو من أصحاب اليمين (اذمزج شرابه بقدر) ما (من شراب المقربين كما قال الله تعالى في الاربار) أى في وصف نعيمهم (ان الاربار لنى نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ثم قال في نعت شراب المقربين (ومزاجه) يعنى مزاج شراب الاربار (من تسنيم عينا بشراب المقربون) أى بشراب المقربون صرفا وعزج لاصحاب اليمين (فانما طاب شراب الاربار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين) ولفظ القوت فطاب

الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الاربار ان الاربار لنى نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا بشراب المقربون فانما طاب شراب الاربار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين

والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقر بون وكان الابرار يجدون المزيدي حالهم ومعرفتهم بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء اعمالهم فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب (٦٢٧) وشوب كل شراب على قدر ما سبق

الشوب في حبه وأعماله

فمن يعمل مثقال ذرة

خيبره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره وان

الله لا يغير ما بقوم حتى

يغيروا وما بانفسهم وان

الله لا يظلم مثقال ذرة

وان تلك حسنة بضاعها

وان كان مثقال حبة

من خردل آتيناها او كفي

بناحاسين فمن كان حبه

في الدنيا رجاء لنعيم

الجنة والخور والعين

والقصور ممكن من الجنة

ليتبوا منها حيث يشاء

فيلعب مع الولدان ويتنعم

بالنسوان فهناك تنتهي

لذته في الآخرة لانه

انما يعطى كل انسان

في الجنة ما تشتهي نفسه

وتلذذ عينه ومن كان

مقصده رب الدار

ومالك الملك ولم يغلب

عليه الاحبة بالاخلاص

والصدق أنزل في مقعد

صدق عند ملك مقتدر

فلا يبرر برتعون في

البناتين ويتنعمون في

الجنان مع الخور والعين

والولدان والمقربون

ملازمو للحضرة

شراب الابرار الانجاء شراب المقر بين (والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال) ولفظ القوت فعبر عن جل نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب (فقال) في نعت الابرار مثله (ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده) فاحسن عملهم ولا صفت اعمالهم ولا علا كتابهم الاشهادة المقر بين لما قرب منهم وحضره (وكان الابرار) في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم وترتفع اعمالهم بمشاهدتهم و (يجدون المزيدي) نفوسهم و (حالهم ومعرفتهم) بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم (غدا في الآخرة) وقد قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء اعمالهم) أو وافق اعمالهم جزاءهم (فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله) قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بانفسهم) قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة بضاعها وان كان مثقال حبة من خردل آتيناها او كفي بناحاسين) وقال تعالى سيجزى بهم وصفهم أى يعطيهم غدا كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم (فمن كان حبه في الدنيا اليوم) ور جازة لنعيم الجنة (وطيبات الملك) وللخور والعين والقصور ممكن (غدا) من الجنة ليتبوا منها حيث يشاء وهو أحر العالمين لاجلها (فيلعب مع الولدان ويتنعم بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهي نفسه وتلذذ عينه) فنعلم الاجر آخرة (ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك) دون الدار والملك (ولم يغلب عليه الاحبة بالاخلاص والصدق أنزل) غدا في مقعد صدق عند ملك مقتدر (وشتان بينهم ما فالابرار يرتعون في البناتين ويتنعمون في الجنان مع (الخور والعين والولدان) وغير ذلك من أنواع النعيم) والمقربون ملازمو للحضرة (على بساط المشاهدة) عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب) قال العراقي رواه البرازم حديث أنس بسند ضعيف مقتصر على الشطر الاول وقد تقدم والشرط الثاني من كلام أحمد بن أبي الخوارى ولعله أدرج فيه انتهى قلت قد تقدم الكلام فيه وان سهلا التسع ترى فسرهم فقال هم الذين ولهت قلوبهم ثم وشغلته بالله عز وجل (ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظيم) الله تعالى (أمره فقال وما أدراك ما عليون) كتاب مرقوم يشهده المقر بون (كما قال تعالى القارعة ما القارعة) وأصله ما هي أى أى شئ هي على التعظيم لشأنها وانتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما القارعة) أى أى شئ هي أعلمك ما هي لانك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن يباخ دركها أحد ومثل هذا قوله تعالى الخافاة ما الخافاة وما أدراك ما الخافاة (ومنها) أى من علامات المحبة (ان يكون في حبه خائفا) وجلا (متضائلا) أى متصاغرا (تحت الهيبة والتعظيم) فشراف العباد كلهم وقربهم من ربهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم بحقه لينتدوا ويتصاغروا عبودية له واجلالا لعظمته ومهابته وصغار الكبير يائه (وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك) وقال صاحب القوت بعد ان فسر ابيات رابعة قدس الله سرها التي ذكرت في المحبة بلزوم خوف

عاكفون بطرفهم علم يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظيم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة وممنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك

بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجلال يوجب الحب وخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الخجل وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى ألبعدا لثمود ألبعدا لمدن كما بعدت غرد وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القريب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد ولا يبيخ لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيدي فانا قدمنان درجات القرب لانهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرامن أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة

التقصير وجوب الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرض به من حبه مانصه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدرك بحبته ولا يقتضي الجزاء عليهما من محبو به ولا يوجب على حبيبه شيئا الا لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحبوب بالنظر اليها وانما ذلك ما قام الرجاء الذي ضده الخوف ليس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة الا بخوف المقت في المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه (بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجلال يوجب الحب) وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فلنذكره اعلم ان التعظيم المعهود هو مافات البصائر اكره والرب تعالى منزّه عن ادراك حس تعلو ذاته عن الاجسام والاعراض ومساومة المحدثات والتعظيم بطريق الاستعارة والتجوز مافات البصائر اكره أما المانع في البصيرة أوفى الذات المبصرة والرب تعالى تدفان الابصار والبصائر اكره على ما هو عليه للمانع وضعه الله اذا تمكن رفع ذلك المانع ولكن لصفته التي هي حقه وهي قيمته بنفسه واستغناؤه عن الموجب والموجد والكيف والظنير لاعلم سبق ولا الحكم قدر بل لاجل ان عظمت ازاره وكبرياءه رداؤه ولما كان عظيم في ذاته وكان ناظرا لذاته بعين الكبرياء وكان محتجبا بهم الذين الوصفين عن عبادته وقع الاخبار عنهم بالازار والرداء الحاجبين للابصار ان تظهر ذاته اذ بصفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لان بينه وبين العقول العالمة به حجابا انما الحجب المخلوق مما تصنع من الاكتمة في قلوب الجهلة وأما العلماء فيا يحتجب عنهم الابانوار صفاته ولهذا الكلام بقية تقدمت الاشارة اليها في مواضع من هذا الكتاب (ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة) من نسبة أحوالهم (ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض) ولفظ القوت وللمحب سبع مخاوف ليست لشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض (فأولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الخجل وأشد منه خوف الابعاد) من حضرة القرب (وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين) صلى الله عليه وسلم (اذ سمع قوله تعالى) (الابعدا لثمود ألبعدا لمدن كما بعدت غرد) وقال شيبته هو واخوانها وقد تقدم الكلام عليه (وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القريب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد ولا يبيخ لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب) ولم يعهده (ثم) أشد منه (خوف الوقوف) عن التحديد (وسلب المزيدي) وهذا يكون للخصوص في الاظهار والاخبار منهم فيسلبون المزيدي من نوعه ان كان من الآيات وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون لا عموم عندا يثار الشهوات على أوامر الطاعات (فانا قدمنان درجات القرب لانهاية لها) كما ان درجات المعرفة لانهاية لها (وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرامن أمسه فهو ملعون) قال العراقي لأعلم هذا الا في مقام لعب العز يزب أني واد قال الرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد اه قلت بل رواه الديلمي من حديث محمد ابن سودة عن الحارث عن علي بن مرفوعا وسنده ضعيف قاله الحافظ السخاوي في المقاصد ولفظه من استوى يومه فهو مغبون ومن كان آخر يومه شرامن فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في نقصان فالموت خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات قلت والشرط الاخير هو أول حديث رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار من حديث علي بن زيادة ولفظه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقد تقدم (وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة) روى ذلك من حديث الاغر بن يسار المزيدي بلفظ انه ليغان على قلبي والي لاسنغفر الله في اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن حديد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان والبخاري وابن قانع والباوردي والطبراني وأما حديث الاستغفار سبعين مرة فقد روى من حديث أبي هريرة وأنس وأبي موسى فلفظ حديث أبي هريرة اني لاسنغفر الله

(159)

حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا آواد الله المكربه واستدراجة أخفى عنه ماورد
عليه من السلوقة يف مع الرجاء

وهو أحد المحبين (قائل يقول وهو في سياحته وكان على جبل

كل شيء منك مغفور * رسوى الاعراض عنا * قد وهبنا لك ما فانا * تبقى ما فات منا

حيث لا يشعر أن هذه التقلبات لها أسباب خفية مما يولد في قوة البشر الاطلاع عليها فإذا أراد الله المكربه و
 لا يهمن من السلوقة مع الرجاء

لو يغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر
والبين وكان من أوصاف الله تعالى (٦٣٠) ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن

و يغتر بحسن الظن الذي كان يعهده منه (أو تغلبه الغفلة أو الهوى) والشهوة (أو النسيان فكل ذلك
من جنود الشيطان) في الأرض (التي تغلب) اضدادها من (جنود الملائكة) في السماء (من العلم والعقل
والذكر والبيان) قال الله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءكم اليقينات الآية عز يزلا يوصل اليه الاله حكيم
عليكم بالزلل منه الا انه يدرج في ذلك استدراجا بلطائف الحكمة على معهود الاسباب ومألوف المعتاد (وكان
من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة) فاجبته وأنت
لا تدري كيف أجبته لانه أشهد وصفه به باطلاع القدرة عن حنان الرحمة واللطف فاقتضاه الحب له فوجدت
نفسك محبته (فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء) فترجع المحبة كما
جاءت فخسبك عنه عن فعل مكروه يبدرك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتحذ قلبك سالكه بانه بلا حول
ولا قوة منك ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يصفه الاعراف بدقيق بلائه ولا يحذره الاخائف من خفي مكره وبلائه
فاذا سلوت به عنه كان ذلك دليلا منه على انه قد رفضك واطرحك كما انك اذا كنت تحبه انما أحبيته به (وذلك
من مقدمات المكر) الذي يحجب بالهكور (و) هودرك (الشقاء والحرمان) الذي أدرك المغرور (ثم)
أشد من هذا كله (خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره) وانما كان أشد لانه لا تنويه
فيه (وذلك هو المقت) وهذا هو حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعده
(والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو) أي بداية ذلك كله (وضيق الصدر بالبرد
وانقباضه عن دوام الذكر وملايه لوظائف الاراد أسباب هذه المعاني) البعده والمدارج المدرجة اذا قويت
وترزايد أخرحت الى هذا كله واذا تناقضت وبدل بها الصالحات والخسائر أدخلت في مقام المحبة والقربات
كإجابه الخبر النائب حبيب الله كذلك في تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله (وظهور هذه
الاسباب) فيك ووجد هذه الاوصاف منك (دليل على) ما غاب عنك من الاستبدال والاستقاط الذي هو
(النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله منه وملازمة الخوف) من هذه المعاني (لهذه الامور وشدة
الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب) وعلامة المعرفة باخلاقه الميكونة المقلبة (فان من أحب
شيئا خاف لاحتاله ففسده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من
عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة
انقطاع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعلمه) نقله
صاحب القوت الا أنه قال من عرف الله بدل من عبدي المواضع الثلاثة ثم قال وليس العجب من خوف المحبين
مع ما عرفوا من اخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه والطافة لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبههم بها بونه وعلى
أنسهم به يحبونه وفي فرغهم منه يشتاقون اليه وفي بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفي اعزازه لهم يذلون له لان
من قبض فانقبض فليس بجيب ولكن من بسط فانقبض فهو العجب ومن امتنن فذل فلا يحب ولكن من أعز
وأكرم فتواضع وذل فهو عجب فالعجبين الانقباض في البسط واللغائفين الانقباض في القبض وللمعجبين الذل مع
العز والكرامة واللغائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذا كانت
أوائل أحوالهم المخاوف (فالحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة
حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعدم المحبين) فكل محب لله خائف منه
وليس كل خائف بمحب يعني محبة المقر بين لانه لم يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المعترضة لا يقع بها اعتبار في
مقامات الخصوص لانه لا توجد عندها مواجيد الاحوال ولا يعلى بها في مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان
منوطة بصحته وموجودة بوجوده فاشبهت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التي عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف

أو أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم يخوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرد وانقباضه عن دوام الذكر وملايه لوظائف الاراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لاحتاله ففسده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطاع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعلمه فالحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعدم المحبين

وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى في بعض الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال (٦٣١) ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من

معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله الجزء وبقى معه عشر معشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف قريب الوجد ذو مرمى بعيد

الازل والقدم والسرمدية والابدية وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمذكر وهذا قد أحكمه في اسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف المحبين في شئ والمحبون عرفوه بصفات التجلي ومعاني المعاني ونعوت الاخلاق وفي هذا سائر الغيوب وشاهدات المحبوب (وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب) قال صاحب القوت والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان كل محب خائفاً لان المحبوب مهيب والخوف قد يفيض عن المحبة يشغل الخائف بوصلة السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقرين الا ان المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفين لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما تقول في الرجاء والخوف لانها وصف الایمان لان الخائف يندرج الرجاء في حاله والراجي ينطوي الخوف في رجائه كذلك المحب يصير الخوف في عقده ويظهر الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده ويظهر الخوف في وجده ان ربي لطيف لما يشاء هذا الظهور والطرق ومباني الدرجات اذ كان لابد من تجرعه ما في قلب لانها من شرط الایمان وحقيقته فتلطفت سبحانه لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادته ان سبق الى العبد مقام المحبة كان محباً لمحبة أصحاب اليمين ولم تكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا اشتاقين في مقام المقرين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محباً لمحبة المقرين هم درجات عند الله والله بصير بما يصور وبما كانت المحبة ثواباً للخوف ومزيد له وهذا في مقام العاملين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المقرين المحبوبين ومن كان الخوف مزيده محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين (فقد نقل من وصف من أذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه انه (روى في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال) وفي بعض النسخ في الحال وهو لفظ القوت (وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصاً) صره الى السماء (سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ) فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله (الجزء وبقى معه عشر معشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه وعلمه (ورجاءه وسكن وصار كسائر العارفين) فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيبه أحسن من نشره لان العقول تنسكه والقلوب تمجده والهـم لا تسربه والقلب لا يجذبه ولا يحببه الله تعالى من العموم (وقد قيل في وصف حال العارف المحبوب من بحر المتقارب

(قريب الوجد ذو مرمى بعيد * على الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب
كان فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه فغابت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعداد في الارقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد * ولا احباب افسراح بعيد
* ولا يجدر السرور له بعيد)

هكذا أنشد هذه الايات صاحب القوت لانه بتقديم البيت الاخير على الذي قبله وأنشد أيضاً في هذا المقام ظهرت لمن أفنيت بعد بقاءه * فكان بلا كون لانك كنته لبعضهم

عن الاحرار منهم والعبيد * كان فؤاده زبر الحديد * غريب الوصف ذو علم غريب
عن الابصار الا للشهيد * ولا احباب افسراح بعيد * ولا يجدر السرور له بعيد
يرى الاعداد في الاوقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أرباباً يشيرون إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات
سرت باناس في الغيوب قلوبهم * (٦٣٢) فلو باقرب الماحد المتفضل عراصا بقرب الله في نزل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز
والنهي

ومصدرهم عنها الماهو

أكل

تروح بعزم مفرد من صفاته

وفي حلل التوحيد تمشي

وترفل

ومن بعده هذا مائق

صفاته

وما كتمه أولى لديه

وَأَعْدِل

سأ كتم من على به ما

يصونه

وَأَبْذِلْ مِنْهُ مَا أَرَى الْحَقَّ

يَبْذِلْ

وَأَعْطَى عِبَادَ اللَّهِ مِنْهُ

حَقُّوهُمْ

وَأَمْنَعُ مِنْهُ مَا أَرَى الْمَنْعَ

يَفْضُلْ

عَلَى أَنْ لَرَجْنِ سِرَا

وَصُونَهُ

أَتَى أَهْلَهُ فِي السِّرِّ وَالصَّوْتِ

أَجَلْ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ

الَّتِي إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ لَا يَجُوزُ

أَنْ يَشْتَرِكَ النَّاسُ فِيهَا

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَهَا

مَنْ أَنْكَشَفَ لَهَا شَيْئاً مِنْ

ذَلِكَ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهَا

بَلْ لَوَ اشْتَرَكَ النَّاسُ فِيهَا

لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا بِالْحِكْمَةِ

تَقْتَضِي شُمُولَ الْغَفْلَةِ

لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا بِلَوْ أَنَّ كُلَّ

النَّاسِ كُلِّهِمْ الْخِلَالِ

فَنَسَكَ بَدَا عَزْلُهَا تَحْزَانًا * بِمَاءٍ وَصَالٍ كُنْتُ أَنْتَ وَصَلْتَهُ * وَابْدَأْتُ وَصَفَا بِالْعُلُومِ تَخْبِرَا
فَشَتَّ قَلْبِي بِالْعُلُومِ جَعَمَتُهُ * وَأَفْرَدَتْ حَبَائِيكَ مِنْكَ بِمَشْهَدٍ * بِلَاءٌ - لَمْ فِي الْعِلْمِ حِينَ بَسَطْتَهُ
تَعَزَّزْتُ بِالْعَزْلِ الْمُنِيعِ وَكُلِّ مَنْ * أَشَادَ إِلَى عِزِّكَ خَدَعْتَهُ

قال وذكري هذه الآيات لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى (قال) صاحب القوت (و) قد (كان الجنيد)
رحمه الله تعالى (ينشد أرباباً يشيرون إلى أسرار أحوال العارفين) وأوصاف المتقربين المحبوبين (وإن ذلك)
لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات (من بحر الطويل

(سرت باناس في الغيوب قلوبهم * فلو باقرب الماحد المتفضل * عراصا بقرب الله في نزل قدسه
تجول بها أرواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهي * ومصدرهم عنها الماهو أكل
تروح بعزم مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل * ومن بعده هذا مائق صفاته
وما كتمه أولى لديه وأعدل * سا كتم من على به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع أفضل * على أن لا رجن سرا يصونه
إلى أهله في السر والصوت أجل)

هكذا أنشد هذه الآيات الجنيد صاحب القوت (وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك
الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من أن يكشفه شيء منها لم ينكشف له شيء منها بل لو أشرك الناس فيها
لخربت الدنيا) واختل نظامها (فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أن كل الناس كلهم الخلال
أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش) ولفظ القوت ومثل هذا المقام في الأحوال
مثل أكل الخلال في الماء كقول لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدار لان الأمة كلها لو أكلوا خللاً
أربعين يوماً لخربت الأسواق لهدم فيها ذلك من الحكمة (بل لو أن كل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم) ولفظ القوت ولوان العلماء كلهم أكلوا خللاً لم
تسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيئاً أشغلهم بنفوسهم وأعراضهم عن أبحاثهم في ترك ذلك حكمة حسنة
ورجة واسعة (ولكن الله تعالى فيما هو شرفي الظاهر) حسبما يبدو لنا (أسرار وحكم) كان لنا في الخبر أسراراً
وحكماً ولا تنتهي لحكمته كإلغائه لقدرته) وذكري صاحب القوت بعد أن أورد المقامات السبعة للمعجبين
في الخوف ما نصه فالخوف من هذه المعاني علامة المعرفة بالخلافة المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات
في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما يشمرح في قلب بيقينه قد شرح ويفصل لبعده من نفسه قد فصل فاما قلب
مشتري وعبد في هواه مرتبك فليس لذلك أهلاً والله المستعان قال ونم خوف نام عن شهادة حب عال يقرب
اسمه ويلتبس ويخفي وصفه لقله اشتهاره في الاسماع فيجمل أنسه لانه خوف عن مقامه اسم من المحبة يتشنع
على كثير من سامعيه فيمكروهم بتشجيع أو هام غير مشاهديه فيملؤه بالخلاق فان ذكرنا خوفه ثم على ذكر
مقامه فظاهر باظهاره فكان طيبه أفضل من نشره الى أن يسئل عنه من ابتلى به ثم صدر عنه بعد ان شرب منه
لان مقامات المحبة كلها الى جنب مقامه كنهز أضيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب
شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يقرب لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو من معنى قول رابعة
رحمها الله تعالى أحب الهوى ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع
الى هوالك (ومنها) أي ومن علامات المحبة (كتمان الحب) للغيرة والستر لنفس الذخيرة (واجتناب
الدعوى) فانها كما قالوا فضيحة ولو كانت نصيحة (والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب واجلالاً

أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش بل لو أن كل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيما هو شرفي الظاهر أسراراً وحكم كان له في الخبر أسراراً وحكماً ولا
تنتهي لحكمته كإلغائه لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب واجلالاً

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه (٦٣٣) حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير عمل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور ورعما تشغل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا

صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فإلى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار

ويظهر الوجد عليه النفس ويتول أيضا ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة كانه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذوالنون المصري على بعض أشرانه ممن كان يذكركر المحبة رآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا) وقد قرن الله الدعوى بفرية الكذب لانها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان في قوله ومن أطلم بمن افتري على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ونسب عنها كنهيه عن التولى عنه في قوله ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك منه من غير عمل) أي تكلف (أو اكتساب فانه معذور لانه مقهور) قال بعض المحبين ورد على حال من التعظيم أخرسى عن الكلام والتفهيم بما لا يصفه صفة من الاجلال والعظمة فحكم على فلما تحكم وملاكني فلم أتكلم ولم أتكلم فلو شئ من حق الله تعالى كان الى وقدرت عليه لم آذن لاحد من أهل السموات والارضين من ملائكة مقرب ولانبي مرسل أن يقول الله اذ كل قائل فيما قول وكل قريب من حيث قرب وكل عارف فيما عرف وكل الكل محجوب عن كنهه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم فلان يستطيع أحد أن يقول الله في كنت سنة لأتكم وسمعت رجفان قلبي في صدري وزواله عن مستقره الى تحري ويحك أمامه يهتدي يقول انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه فكيف بذكر ذا كر ذكره فإما قال التوحيد الا الواحد وما قال الله الا الله ثم ذكر الباقي فهذا الذي حال في مقام بعينه بمشاهدة عين من عظمتهم منفردا منفردا وقرب عن وصف قريب متحد بحد والتوحيد والتعز يدوراء هذا والاتحاد والاحدية والانفراد والوحدانية قوت ذلك والاتحاد والافراد المفردون بما أفرادوا وما وحدوا بما وحدوا اذا كرون بذكره الذي به ذكر واو المسجون بسجانه التي بها سجنوا هم محجوب هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر وهو منهم كفر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فوق قوامع الامر لغلبة القهر وسكنوا الاجل الحد فرسموا له الحد واليه أشار المصنف بقوله (ورعما تشغل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فإلى منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار * ويظهر الوجد عليه النفس ويتول أيضا ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم وقد قال بعض العارفين) من المحبين (أكثر الناس من الله عز وجل بعدا أكثرهم إشارة كانه أراد) ان (من يكثر التعريض به في كل شيء ويكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل) لنقص مقامه في المحبة (ودخل ذوالنون المصري) رحمه الله تعالى (على بعض اخوانه ممن كان يذكركر المحبة) ويشير اليها يتعرض لها بالاشارة والعبارة (فراهم مبتلى ببلاء فقال) ذوالنون (لا يحبه من وجد ألم ضره) كانه رآه مضطربا من ذلك البلاء (فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره) كانه أشار الى انه غير مضطرب باطنا (فقال ذوالنون ولكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل) لما سمع ذلك منه (استغفر الله وأتوب اليه) فقد أرشده الى كتمان الحب وعدم افشائه (فان قلت المحبة منتهى المقامات) وبها تكمل المقامات (واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر) ويؤمر بالكتمان (فاعلم ان المحبة

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحبان يتم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشر في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحز بك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعم بذلك غير بك فاطهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان (٦٣٤)

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار (على الاخوان) (وحق المحب) الصادق (ان يتم على حبه الخفي) في صدره (أفعاله وأحواله دون أقواله) (بصرح العبارات والاشارة فانها لا تخلو من الدعوى) (وأفعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب) (المذموم) (ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشر في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحز بك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعم بذلك غير ربك) (روي أحمد في الزهد عن هلال بن يساف قال كان عيسى عليه السلام يقول اذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى فليدن عليه ستر بابه فان الله يقسم الشئ كما يقسم الرزق وروي عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من طريق مسروق عن ابن مسعود قال اذا أصبح أحدكم صائما أو قال اذا كان أحدكم صائما فليترجل واذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى صلاة أو صام تطوعا فليصلها في داخله وقد تقدم (فاظهار الفعل والقول كله مذموم الا اذا غلب عليه سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه) (فانه مقهور عليه) (حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه) (أي عدم جهلا وجنونا) (فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله تعالى فتبسم) (معروف) (ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم) (فلم يخرجهم من حد المحبة اذ طاش عقله من سكره وتسكهم بما يعيب عليه سامعه) (فالاولى الادب معهم ولا يفتيس حالهم بسواهم كما أرشد اليه معروف رحمه الله تعالى) (ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا) (بأنه تعالى ولا بد أن يكون كذلك فان المحبة ثمرة المعرفة) (وعرف أحوال الملائكة) (عليهم السلام) (في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار ولا يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح) (أي من الذكر والمراقبة والاعمال الظاهرة) (على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا) (أي مقام مقربا بسبب تلك الطاعات) (فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات) (أي آيات ملكوتها) (في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرا غير قال فاستحييت من أعمالى) (واستحققتها بحسب أعمالهم) (فوهبتها ان حق عليه الوعيد) (أي كلمة العذاب) (تخفيها عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى) (فلا يدعى لنفسه مقام ولا حال) (نعم) (يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد) (قدس سره) (انه قال مرض استاذنا السري) (السطي) (رحمه الله تعالى فلم نجد له لمة دواء ولا عرفنا لها سببا) (حتى نهتدي به الى الدواء

بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب ان كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة

طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرا غير قال فاستحييت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيها عنه في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف له لمة دواء ولا عرفنا لها سببا

(فوصف لنا طبيب حاذق) أي ماهر في صناعته (فأخذنا) إليه (قار وورته مائه فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر ملياً ثم قال لي أراه بول عاشق) قد فتت كبده (قال الجنيد فصعقت وغشي عليّ) من سماع ذلك القول (ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم) لأن الشوق والعشق يؤثران في الكبد فيفتتانه فينزل الماء أبيض صافياً براقاً ومن هنا قال الجنيد قال رجل للسرى كيف أنت فأنشد يقول

من لم يبت والحب حشوفواده * لم يدرك كيف تفتت الأكباد

قال ودفع إلى السرى رقعة مرة وقال احفظ هذه الرقعة فإذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتي * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلمص الجنب بالخصا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك في الهوى * سوى مقلة تمكئ بها وتناديا

(وقد قال السرى مرة ولوشئت أقول ما أيسر جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه) واغظ البهيقي في الشعب عن الجنيد قال سمعت السرى يقول وقد كئبه يوماً بشئ من المحبة فضرب يده إلى جلدته ذراعاً فدها ثم قال والله إن قلت إن هذا جف على هذا من محبة الله لصدقت ثم أغشى عليه ثم توردد وجهه حتى صار مثل القمر (وتدل الغشبية على أنه أقصع في غلبة الوجد ومقدمات الغشبية) وإن كان مقهوراً (فهذه أربع مجامع علامات الحب وغمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي) فريباً وحاصلاً أن يكون المحب مستأناً ساراً ضابطاً بضعاء الله وكلما كان أحب كان أَرْضَى فأول درجات الرضا الداخلة تحت التكليف أن يكره المصيبة بطبعه ورضى بفعله والثانية أن يرضى بطبعه وعقله من غير سرور والثالثة سروره بما يجرى موافقة لمحبة الله فيما أبدع وحكم والرابعة أن لا يحس بما يجرى عليه لفناء صفاته في صفات محبوبه وهذه أشرفها وأعزها وقواً فلهذه عشر علامات أو ردها المصنف وهي على عدد معاني المحبة العشرة التي ذكرها الخليلي في شعب الإيمان حيث قال بحمد الله تبارك وتعالى اسم لمعان كثيرة أحدها اعتقاده تعالى محمود من كل وجه لا شيء من صفاته إلا وهو مدحه والثاني اعتقاده بحسن لعباده منعم متفضل عليهم والثالث اعتقاده أن الإحسان الواقع منه أجل وأكثر من أن يحصى قول العبد وعمله وإن كثرت شكره والرابع أن لا يتبعه يستقل العبد قضاءه ولا يستكثر تكليفه والخامس أن يكون في عامة الأوقات مشفقاً وجلالاً من أعراضه عنه وشكر معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به والسادس أن تكون آماله معقودة به لا يراه في حال من الأحوال إلا غنى عنه والسابع أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره باحسن ما يقدر عليه والثامن أنه يحرص على أدائها فيه والتقرب إليه في نوافل الخير وما يطيقه والتاسع أنه إن سمع من أحد ثناء عليه وعرف منه تقرباً إليه وجهاداً في سبيله سرا وعلانية مالا له والعاشر أنه إن سمع من أحد ذكره بما يحمله عنه أو عرف منه غياعاً في سبيله سرا وعلانية ناداه فاذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد اجتماعها هو المشار إليه باسم محبة الله تعالى وهي إن لم تذكر مجتمعة في موضع فقد جاءت منفردة من النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونه انتهت وقد بقيت للمحبة دلالات وعلامات لم يذكرها المصنف صراحة وإن كان بعض منها مذكوراً ضمنها في ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس ومنها المبادرة بأوامر المحبوب ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس ومنها التعرز على أبناء الدنيا المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع قال التكبر على المتكبرين وقال علي رضي الله عنه لنفع الموصلي في منام رأماً أحسن تواضع الأغنياء للفقراء جاء ثواب الله وأحسن من ذلك ثبته الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ومنها المجاهدة في طريق المحبوب بالمأل والنفس ليقرّب منه ويباغ مرضاهه ويقطع كل قاطع يقطع عنه بالمسارعة إلى قربيه كما قال تعالى مخبراً عن محبيه وعلمت إليك رب اترضني وكأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتبذل إليه بتبذلاً أي انقطع إليه

فوصف لنا طبيب حاذق

فأخذنا قارورة مائه

فنظر إليها الطبيب

وجعل ينظر إليه ملياً ثم

قال لي أراه بول عاشق

قال الجنيد فصعقت

وغشي عليّ ووقعت

القارورة من يدي ثم

رجعت إلى السرى

فأخبرته فتبسم ثم قال

قاتله الله ما أبصره قلت

يا أستاذ وتبين المحبة في

البول قال نعم وقد قال

السرى مرة ولوشئت

أقول ما أيسر جلدي

على عظمي ولا سل

جسمي إلا حبه ثم غشي

عليه وتدل الغشبية على

أنه أقصع في غلبة الوجد

ومقدمات الغشبية فهذه

بمجامع علامات الحب

وغمراته * ومنها الانس

والرضا كما سيأتي

انقطعا عما سواه بالاخلاص له أو قاطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ومنها ان لا يخاف في حبه لومة لائم من الخلق لانه على محبته على السلوك اليه بشيق النفس وهجر الدار ورفض المال ولا يرجو في محبته مدح ماذح ولا يرغب في شناعه العباد بايثاره على الال والدار والمال والدار وفيه البلاء منه نعمة كما قال قائلهم فلو قطعتني في الحب اربا * لما احن الفؤاد الى سواك

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حباله كما قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا ولم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنع من مخالفتهم من غير خيفة فهو بطبعه حباله وكان صهيب يقول انه لا يستخرجه غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرجوة ومنها جود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكنتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من اللطاف والقوائد وكثرة الشكر في نعماته ونفي ألفتافه وغرائب صنعته وبخائب قدرته وحسن الثناء عما به في كل حال ونشر الآلاء منه والافضل والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبائه لئلا ينفك منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس لهم بغية في سواه ولالهم همه الا اياه وقال بعضهم في هذا المقام يا بلاني وبابلاء البلاء * أنت داني فكيف أكره داني

وقال آخر في معناه لا تطلبن شفاء عندي غيرهم * لا تحببك الا من توفاك
وقال الحب في معناه ان شئت جودي واما شئت فامتنع * كلاهما منك منسوب الى الكرم
فانت عندي وان أورتني سقمما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها المسارعة الى مآذب اليه من أنواع البر بوجد الخلاوة وشرح الصدر ودوام التشبكي والحنين اليه وسبق النظر الى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ومنها التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك ومنها أن لا يطالب بخدمته سواه وان يجتمع في محبته وهو هو فلا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضى عليه مولاة الا بما يهوى قال بعضهم اذ رأيت يوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار موسى عليه السلام اذ رأيت النقي مشغولا في طلب الرب فقد دله الله على ما سواه وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول من علامة الحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطاف من مولاة وقيل القرية الى محبوبه وقلة التأذي بكل بلا يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصفي ما أكون ذكر اذا كنت محبوما (و بالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق غرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين) والحب في معناه ان شئت جودي واما شئت فامتنع * كلاهما منك منسوب الى الكرم فانت عندي وان أورتني سقمما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حباله كما قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا ولم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنع من مخالفتهم من غير خيفة فهو بطبعه حباله وكان صهيب يقول انه لا يستخرجه غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرجوة ومنها جود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكنتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من اللطاف والقوائد وكثرة الشكر في نعماته ونفي ألفتافه وغرائب صنعته وبخائب قدرته وحسن الثناء عما به في كل حال ونشر الآلاء منه والافضل والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبائه لئلا ينفك منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس لهم بغية في سواه ولالهم همه الا اياه وقال بعضهم في هذا المقام يا بلاني وبابلاء البلاء * أنت داني فكيف أكره داني

الله في أرضه موكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يادوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن العادل سرا لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا (٦٣٧) فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب

النخشي في علامات المحبة

الله في أرضه فهم عن محبة الله بعزل (وكان سهل) التسترى رجه الله تعالى (اذا تكلم مع انسان قال يادوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو والسين المهدلة والتاء فارسية (أي حبيب) من ذلك عوتب مرة في العلة التي كانت به وكان يداوى الناس منها ولا يداوى نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع كما نقله صاحب القوت (فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا) أي كيف تقول لسلك من تخاطبه بهذا اللفظ وقد لا يكون بعضهم من يتصف بالمحبة (فقال في اذن القائل سرا) هذا الذي أقول له يادوست (لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا) يكتم إيمانه (فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس) فهو على كل حال يصح ان يطلق عليه هذا اللفظ وهذا نظير ما كان يقول لنا شيخنا المرحوم لقطب السيد عبد الله بن ابراهيم الحسيني زيل الطائف قدس سره في معنى قوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين أي الثواب والعقاب اذ كل منهما صالح أما للثواب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وأما للعقاب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشي) رجه الله تعالى (في علامات المحبة) ودلائلها الخاصة (أبياتا وهي هذه) من مشطور الرجز

(لا تتخذ عن فلحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب رسائل * منها تنعمه بمربلائه وسروره في كل ماهو فاعل * فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان يرى في غرمة * طوع الحبيب وان ألح العادل * ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل * ومن الدلائل ان يرى متفهما * متفهما من كل ماهو قائل)

(وقال يحيى بن معاذ) الرازي رجه الله تعالى في هذا المعنى الا انه خفض القافية

(ومن الدلائل ان تراه مشمرا * في خرقتين على شطوط الساحل * ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فخاله من عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا ان قد رآه على قبج فاعمل * ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل)

وقد ذيلت على هذه الايات عند تشطيري لها زدت فيها ذكر بعض الامارات التي أشرت اليها آنفا فقلت

ومن الدلائل خوفه من محبه * وبعاده وعن السلوا الحاصل * ومن الدلائل ان تراه عابدا حباله من غير خوف حائل * ومن الدلائل ان تراه آنسا * بوليته المولى وليس بغافل ومن الدلائل ان تراه مبادرا * لاوامر المحبوب قبل العاجل * ومن الدلائل ان تراه جامعا كل الهوم لهم يوم آجل * ومن الدلائل ان تراه موافقا * لمحاب مولا به غير تغافل ومن الدلائل ذله بين الوري * لذوى الولا والبغض للمجاهل * ومن الدلائل ان تراه واثقا في تبه في الله فوق الجاهل * ومن الدلائل ان تراه مجاهدا * بالنفس والمال النفيس الحاصل ومن الدلائل انه في حبه * لم يخف لومة لائم أو عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسارعا للحق ثم يجانب الباطل * ومن الدلائل ان تراه نائرا * افضال مولا به محمد واصل ومن الدلائل ان تراه صابرا * لبلائه في كل أمر نازل * ومن الدلائل ان تراه ناعسا متواصيا بالحق غير مخناتل * ومن الدلائل ان تراه هاجرا * مألوفه في حب مولى كامل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا * أن قد رآه على قبج فاعل

ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل * ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل

ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل

أبياتا

لا تتخذ عن فلحبيب دلائل

ولديه من تحف الحبيب

وسائل

منها تنعمه بمربلائه

وسروره في كل ماهو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة

والفقر اكرام وبر عاجل

ومن الدلائل ان يرى من

عزمه

طوع الحبيب وان ألح

العادل

والقلب فيه من الحبيب

بلابل

ومن الدلائل ان يرى

متفهما

ومن الدلائل ان يرى

متبسما

لكلام من يحظى لديه

السائل

ومن الدلائل ان يرى

متشققا

متحفظا من كل ماهو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه

مشمرا

في خرقتين على شطوط

السواحق

ومن الدلائل حزنه ونحيبه

جوف الظلام فخاله من

عاذل

ومن الدلائل ان تراه

مسافرا

نحو الجهاد وكل فعل فاضل

* (بيان معنى الانس بالله تعالى) * قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب (١٣٨) عليه التطاع من وراء حب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع

على كنهه الجلال انبعث

القلب الى الطلب وانزعج

له وهاج اليه وتسمى

هذه الحالة في الانزعاج

شوقا وهو بالاضافة الى

أمر غائب واذا غلب

عليه الفرح بالقرب

ومشاهدة الحضور بما

هو حاصل من الكشف

وكان نظره مقصورا

على مطالعة الجمال

الحاضر المكشوف غير

ملتفت الى ما لم يدركه

بعد استبصار القلب بما

يلاحظه فيسمى استبصاره

انسا وان كان نظره الى

صفات العز والاستغناء

وعدم المبالاة وخطر

امكان الزوال والبعث

تألم القلب بهذا الاستشعار

فيسمى تألمه خوفا وهذه

الاحوال تابعة لهذه

الملاحظات والملاحظات

تابعة لاسباب تقضيها

لا يمكن حصرها فالانس

معناه استبصار القلب

وفرحة بمطالعة الجمال

حتى انه اذا غلب وتجرد

عن ملاحظة ما غاب عنه

وما يتفارق اليه من خطر

الزوال عظم نعيمه لذته

ومن هنا نظر بعضهم

حيث قيل له أنت مشتاق

فقال لا انما الشوق الى

غائب فاذا كان الغائب

* (بيان معنى الانس بالله عز وجل) *

اعلم انا (قد ذكرنا) فيما سبق (ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة) ومن غرائها (الان هذه آثار

مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطاع من وراء حب الغيب الى

منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه الجلال) لصعوبته (انبعث القلب الى الطلب وانزعج له

وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب) نظره (واذا غلب عليه الفرح

بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف) والمعاناة (وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال

الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبصار القلب بما يلاحظه فيسمى استبصاره انسا) الا ان

الشوق أفضل من الانس لان الانس قصر نظره على ما انكشف له من الجمال ولم يمتد نظره الى اشكال ما غاب عنه

والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لم يعرفه بان الذي انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ما غاب

عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه (وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم

المبالاة وخطر امكان الزوال والبعث تألم القلب بهذا الاستبصار فيسمى تألمه خوفا) وقد تقدم تحقيقه في كتاب

الخوف (وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقضيها لا يمكن حصرها) لكن ثمرتها

(فالانس معناه استبصار القلب وفرحة بمطالعة الجمال) والكآل والقرب مما انكشف له منها (حتى انه اذا غلب

وتجرد) وقصر نظره (عن ملاحظة ما غاب عنه) من مزيد اللطاف (وما يتفارق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه

و) قويت (لذاته) واستحق في جنب لذته وتنعمه لقرب حبيبته جميع ما سواه حتى لو انفهقت له الجنان

جميعها لم تنذهله ولم تشغله عن التذاذب بجمال محبوبه لانا اذا رأينا صفة جميلة محكمة أحببنا الصانع لذلك فان

رأينا ما هو أجل منه وأحسن وأشرف واحكم ازدادنا فيه حبا - ذاق دار الاختبار ومحل الاستدلال فكيف

بالعارفين في دار القرار ومحل الكشف والعيان ويطل حكم الدليل والاستدلال ويرجع الحق تعالى مشهودا

للعباد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فينبذ لذاته تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (ومن هنا

نظر بعضهم) وهو الانطواء كما صرح به صاحب العوارف (حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا انما الشوق الى

غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق) نقله القشيري في الرسالة وقد تقدم وحكاها صاحب العوارف

فقال وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب من الحبيب حتى يشتاق

ولهذا سئل الانطواء عن الشوق فقال انما يشتاق الغائب وما غبت عنه منذ وجدته قال وانكار الشوق

مطلقا لا اري له وجه الا ان ترتب العطايا والمنع من أنصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من

الحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يجد من أنصبة القرب وكيف

يمنع حال الشوق والامر هكذا وجه آخر ان الانسان لا بد له من أمور يرد بها يحكم الحال لموضع بشرية وطبيعته

وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الامور مثيرة لنار الشوق ولا نغنى بالشوق الا

مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من أنصبة القرب وهذه المطالبة كائن في المحبين فالشوق اذا

كان لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوقا المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيوبة فيكون في حال الغيوبة

مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى الزوال ومباد من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي

أرادوه واختاره انتهى (وهذا كلام) غريب الحال (مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان

من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد) عن الخلق (والخالوة) مع الله تعالى

(كما حكى ان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى اذ (نزل من الجبل) وكان محتليبا به (فقيل من أين أقبلت فقال من

حاضر فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غاب عليه

حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخالوة كما حكى ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من

الانس

الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلزم التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما تكلم به مكث دهر لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القاب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتسني بذكره (٦٣٩) وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لا داود عليه

السلام كن لي مشاقا
وبني مسنأنا ومن
سواي مستوحشا وقيل
لرابعة بمثل هذه المنزلة
قالت بتر كي ما لا يعنيني
وأنسى بمن لم يزل وقال
عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت له
ياراهب لقد أعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو
ذقت حلاوة الوحدة
لاستوحشت اليها من
نفسك الوحدة رأس
العبادة فقلت ياراهب
ما أقل متجدة في الوحدة
قال الراحة من مداراة
الناس والسلامة من
شرهم قلت ياراهب متى
يذوق العبد حلاوة
الانس بالله تعالى قال
اذا صفا الود وخلصت
المعاملة قلت ومتى يصفو
الود قال اذا اجتمع الهم
فصارها واحدا في
الطاعة وقال بعض
الحكماء عجب الخ لائق
كيف أرادوا بك بدلا عجا
للاقلوب كيف استأنست
بسؤالك عنك فان قلت
فما علامة الانس فاعلم
ان علامته الخاصة ضيق
الصدر من معايشة

الانس بالله) يشير الى مقام الانفراد واه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الصمد عن أبيه قال روى ابراهيم ابن أدهم خازن الجبل فذكره (وذلك لان الانس بالله يلزمه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى) في بعض الاخبار (ان موسى عليه السلام لما تكلم به) عز وجل (مكث دهر) أي زمانا طويلا (لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان) وهو تلاعب النفس من باطن وهو من مبادئ النية (لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء) من المحبين (في) جملة (دعائه يا من آتسني بذكره وأوحشني من خلقه) وما أوحشه من خلقه الا وقد أراد منه أن يأتس به (و) في الاخبار (قال الله عز وجل لا داود عليه السلام) يا داود (كن لي مسنأنا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة) العذوبة رضي الله عنها (بمثل هذه المنزلة) يعني في المحبة (قالت بتر كي ما لا يعنيني) أي لا يهمني (وأنسى بمن لم يزل) قال عبد الواحد ابن زيد (البصري رحمه الله تعالى) مررت (براهب) فقلت ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت ياراهب ما أقل متجدة في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة) أي عن شوب المشاركة (قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصارها واحدا في الطاعة) قال الخطابي في كتاب العزلة ولولم يكن في العزلة الا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس وما يدفع اليه الانسان اذا كان فيهم من استعمال المداينة معهم وخداع الماورية في رضاهم لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويجرك اليها انتهى وقد تقدم شيء من هذا في كتاب العزلة (وقال بعض الحكماء) من المحبين في مناجاته (عجب الخ لائق كيف أرادوا بك بدلا عجا للقلوب كيف استأنست بسؤالك عنك فان قلت فما علامة الانس) وشواهد (فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معايشة الخلق) ان لم يمكنه الهروب منهم (والتبرم بهم) أي التضرع من مخالطتهم (واستهتاره بعذوبة الذكر) حتى يمزج به لحسه ودمه بحيث لو طرقت ساعة وهو لم يذكر تغير حاله ويتأسف عليه (فان خالط) وهو هكذا (فهو كمن فرد في جماعة) وحي في أموات (ويجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضر وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر) وهو آخر المقامات الثمانية التي عليها مبنى طريقة السادة النقشبندية ويعبرون عنها بالهم خلوة وراء تجمر يعني الخلوة في الخلوة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق اليد بالشغل والقلب بالحق وأنشدوا ومن داخل كن صاحباً غير غافل * ومن خارج خالط كبعض الاجانب والى هذا أشارت رابعة رضي الله عنها حيث قالت

اني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأجعت جسمي من أراد جلولي
فالجسم مني للجليس مؤانس * وجيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وحكى البيهقي في الشعب عن علي بن سهل الانس بالله أن يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله عز وجل فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله تعالى (كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم) وذلك فيما رواه أبو نعيم في الحلية من طرق عن كميل بن زياد قال أخذ علي بن أبي طالب بيدي فاخرجني الى ناحية الجبان فلما أبحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية تغيرها أوعية فاساق الحديث الى ان قال أولئك هم الاتلون عدا الاعظمون عند الله قدراهم يدفع الله عن حبه حتى يؤدوها الى نظائرهم ويزرعها في قلوب أشباههم (هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر) منه (المتفرقون

الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمن فرد في جماعة ويجمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر المتفرقون

والدعاة إلى دينه فهذا
معنى الانس بالله وهذه
علامته وهذه شواهد
وقد ذهب بعض
المتكلمين إلى إنكار
الانس والشوق والحب
لأنه إن ذلك يدل على
التشبيه وجهه بأن جبال
المدركات بالبصائر كل
من جبال المبصرات
ولذته معرفتها أغلب على
ذوى القلوب ومنهم
أحمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل أنكر على
الجنيد وعلى أبي الحسن
النوري والجماعة
حديث الحب والشوق
والعشق حتى أنكروا
بعضهم مقام الرضا وقال
ليس الاصبغ فالرضا
فغير متصور وهذا كله
كلام ناقص قاصر لم يطالع
من مقامات الدين الأعلى
القشور فظن أنه لا وجود
للقشور فان المحسوسات
وكل ما يدخل في الخيال
من طريق الدين فشر
بمجرد ورواه الأب المطلوب
فن لم يصل من الجوز إلا
إلى قشره بظن أن الجوز
خشب كما ويستحيل
عنده خروج الدهن منه
للمحالة وهو معذور
ولكن عذره غير مقبول
وقد قيل

وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآيدان وأراحها معلقة بالحل الأعلى (وفي رواية بالملا الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه) هاهنا شوق إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم وقد ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيد وشرح ألفاظه واختلاف رواياته في أول كتاب العلم فراجع إن شئت (فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهد) ولذا كرقاعة تجمع ما أشار إليه المصنف في هذا الفصل فنقول اعلم أن معرفة العارفين بقر بالله تعالى منهم سبب لقربهم من الله واتصالهم به وعنه تشعب جملة أحوالهم لأن الأحوال نتيجة الصفة المشهودة مع القرب فالقرب أصل لا يفارقه العارفون فإن اقترن به شهود الجمال أثمر المحبة والانس وإن اقترن بالقرب شهود الجلال أثمر الهابة وإن اقترن به شهود الكبرياء أثمر الصغار والاحقاق وإن اقترن به ترك المبالاة وشهود السلاطين أثمر الخفاقة وإن كان معه العلم أثمر الامان وإن اقترن به شهود الغيوب أثمر الغنى عن الاكوان وإن اقترن به شهود دمر أيا الاطراف خيف على عقله من فرجه بالجود والافضال وأما الأبرار وأحوالهم تنشأ عن العلم بجود الرب مطلقا مع اقتران العلم باقتداره على المنع والعطاء والسعادة والاشقاء فيتولد من ذلك ما يحثهم على خوفه ورجائه وإذا كان القرب بهذه المتزلة العظيمة فلا بد من ذكر لمة منه يستعان به على ادامة الأحوال نقل القشيري عن أبي سعيد الخراز أنه قال إن حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهذا الضمير إلى الله تعالى قال الكل محمد بن اسحق وهذا الذي ذكره هو الوسيلة لنيل القرب لأنفس القرب لانه سبق ان الطهور شرط الايمان والذي ذكره طهوا للقلب عما سوى الله تعالى وإذا تطهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد وربه الاحجاب نفسه وعوارضها فإذا فني عن نفسه وعن عوارضها عرف قرب الله وجهه ذلك ان كل ذرة من بدن العالم وبدن الانسان قد تعلق العلم بها كشافا لارادة تخصيصها والقدرة ليجادا وابقاء الصفات لا تفارق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته فاذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه وان سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم فهذا انظر العارف المقرب ولذلك قال تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون جاءت الآيات على وزن أفعال للمبالغة في القرب لعسر الفرق ودقته بين الدال والمدلول فالعارفون يرون ربه في الدنيا بعين الايقان والبصائر ورونه في الاخرى بالابصار رأى العين فهو قريب منهم في الدارين وليس قربه في الاخرى بخلاف القرب في الدنيا لا يميز بين اللطف والعطف والافتقار تفتت ههنا وهناك قرب المسافة ولم يكن بينهم وبين مخلوق اضافة لافي الدنيا ولا في الآخرة وهذه المعرفة مثمرة لانسان بشرط الصفات لا لمحالة (وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الانس والشوق والرضا والحب لانه إن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جبال المدركات بالبصائر كمل من جبال المبصرات) بالحواس (ولذته معرفتها أغلب على ذوى العقول) كما تقدمت الإشارة إليه في أول هذا الكتاب (ومنهم أحمد بن غالب) وكان من أئمة النحو والكلام (يعرف بغلام الخليل) هو الخليل بن أحمد النحوي شيخ النحاة وناما عرف بالغلام لانه لزم الخليل فاكثر القراءة عليه ولولم يخدمه (أنكر على) أبي القاسم (الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة) ممن نحا نحوهم (حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكروا بعضهم مقام الرضا وقال ليس الاصبغ فالرضا فغير متصور) كما سيأتي في باب الرضا (وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطالع من مقامات الرضا الاعلى القشور فظن أنه لا وجود للقشور فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين فشر بمجرد ورواه المطلوب فن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره بظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عذره خروج الدهن منه للمحالة وهو معذور) لعدم اطلاعه والوقوف على الكنه (ولكن عذره غير مقبول) عند ذوى التحقيق (وقد قيل) في ذلك (الانس بالله لا يحويه بطل * وليس يدرکه بالحول محتمل) والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله تعالى

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) * اعلم أن الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلة الشوق ولم ينغصه خرفة التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة كما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس ومن لم يقيم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل (٦٤١) بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام

ليستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقال له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم عشى في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني مذبحين أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حملك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنتك غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال الراوي (فسأرح) مكانه (حتى) اجتمع السحاب في أكاف السماء و اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال برخ (كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به) ليؤدبه (فأوحى الله اليه) لا تفعل (ان برحا يفضح كني كل يوم ثلاث مرات) بشير الى انه من ضنائر أوليائه (و) روى (عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) *

(اعلم) أرشدك الله (ان الانس) يثمر السكينة والطمأنينة والانبساط والادلالات وذلك لان لذة الانس تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لان الانسان يطغى عند الغنى فمدهم الله بعنايته وتوفيقه ينزل عليهم سكينه فيثبتهم بها وتوقفهم على حد الاعتدال في آداب الحضرة قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه سعادة لا يعطاهها كل أحد لان الادب يزيد في القرب من المحبوب قال الله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ولفظ السكينة ورد في كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لا شترأ كما في نفس السكون والطمأنينة فوق السكينة لان السكينة صولة تعدل طغيان القلب وتثبت الطمأنينة وجود من بعد اعتدال بفرح واستمثار معرفة القلب بالزبد والطمأنينة مستحبة مع الانس لانها مقصودة في نفسها والسكينة وسيلة تحته على الادب والاعتدال وأما الانبساط والادلالات فان الانس (اذا دام وغلبه واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق) لقصور نظره على طيب حاله (ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة) لا يلبق بحال التعظيم والاحلال الموحين للهيبة (لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس) وقد يلبق بالمستأنس المنبسط ما يلبق بالنائب المتضائل وذلك مثل قول عائشة رضي الله عنها لما سمعت قوله تعالى ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء قالت ان ربك ليسارع في رضاك أو هو الك (ومن لم يقيم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل هلك به وأشرف على الكفر) ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين) ومنع عنهم المطر (وخرج موسى) عليه السلام (ليستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أطلت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام) بنى اسرائيل (فلم يعرف) لانه كان مجهولا عندهم لا يؤبه به ولا يشار اليه (فبينما موسى) عليه السلام (ذات يوم عشى في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني أي مطالوبنا (منذ حين أخرج) الى الصحراء (فاستسقى لنا) ركب (نخرج) مطيعا له ورفع يديه ودعا (فقال في) جملة (كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حملك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم فقد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنتك غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال) الراوي (فسأرح) مكانه (حتى) اجتمع السحاب في أكاف السماء و اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال برخ (كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به) ليؤدبه (فأوحى الله اليه) لا تفعل (ان برحا يفضح كني كل يوم ثلاث مرات) بشير الى انه من ضنائر أوليائه (و) روى (عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى

(٨١ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)

المذنبين ألسنتك غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال فما برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه ان برحا يفضح كني كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن

قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخصب قال فأتني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك (٦٤٢) لم يحترق قال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه اني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرههم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فبقى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزمت عليها فطفئت وكان أبو حفص يعيش ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل جاري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم ترد عليه جواره قال فظهر جواره في الوقت ومرا أبو حفص رحمه الله فهذا وأمثاله يحرق لذيوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لعموم الكفر وهم

(قال احترقت اخصاص) جمع خص بالضم اسم لما يبنى من القصب (بالبصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (يومئذ أمير البصرة) كان ولاة عمر رضي الله عنه بعد عزل المغيرة بن شعبة وأقره عثمان على عمله قليلا ثم عزله بعد الله بن عامر وسكن أبو موسى الكوفي وولاه عثمان اياها بعد عزل سعيد بن العاص (فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخصب قال فأتني بشيخ فقال له) (يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى) رضي الله عنه صدق الشيخ (اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرههم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء وفيه انقطاع اه قات ورواه أيضا الديلمي ولنظفه يكون في أمتي رجال طلس رؤسهم دنس ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرههم وأشار بالانقطاع بين الحسن وأبي موسى لما ذكرنا أنه حين ولي أميرا بالبصرة لم يكن الحسن قد ولد والمشهور في الباب حديث أنس ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ورواه الجماعة الا الترمذي (قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة) (الخواص) ترجمه أبو عبيدة في الحلية وهكذا اسمه وكناه وفي رجال أبي داود رجل هكذا بعينه اسمه عباد بن عباد وكنيته أبو عتبة فقيل هو هو وقد روى صاحب الحلية في الترجمة من طريق ردا بن الجراح حدثنا عباد بن عباد أبو عتبة عن الاوزاعي فسان حديثا وروى من طريق أبي مسهر قال حدثني أبو عباد الخواص حدثني أبو بكر بن أبي مريم فسان حديثا وروى من طريق جاد بن واقد قال سمعت أبا عبيدة يقول فسان قولاه ومن طريق أبي مسلم الصوري قال كتب عباد ابن عباد الخواص الى اخوانه فسان كلامه وكل هذا الاختلاف في ترجمة واحدة فاعله كان يكنى بكل منها وقرأت في ديوان الضعفاء للذهبي بخطه عباد بن عباد أبو عتبة الارسوفي الخواص وثقه ابن معين وقال ابن حبان كان يأتي بالنا كير فاستحق الترك وقال الحفاظ ابن حجر في تهذيب التهذيب عباد بن عباد الرمي الارسوفي أبو عتبة الخواص صدوق يتهم أخش ابن حبل فقال يستحق الترك والذي يظهر ان هذا غير الذي ذكر في القصة فانه بصري وهذا رمل (فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فبقى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزمت عليها فطفئت) في الحال (وكان أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد النيسابوري شيخ الجنيد تقدم ذكره (يعيش ذات يوم فاستقبله رستاقي أي سوادى مدهوش) أي ذاهل العقل (فقال له أبو حفص ما أصابك قال ضل جاري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم ترد عليه جواره قال فظهر جواره في الوقت ومرا أبو حفص رحمه الله تعالى) في شأنه (فهذا وأمثاله مما يحرق لذيوى الانس) من الانبياء والادلال (وليس لغيرهم أن يتشبه بهم) قال الجنيد قدس سره (أهل الانس يقولون في كفهم ومناجاتهم وخلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لعموم الكفر وهم وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وذلك بحتمل منهم ويليق بهم) قال صاحب القوت فلورأيت أبا المستمع ما يكون بينه وبينهم في سرهم وما يحاسبهم به ويحادثهم في هذه المواطن لا كنت تعذرهم في كل قول وفعل فهو لا يحكمهم عليه في أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول ما أوجدتهم مأخوذ بالعلم الجهول عند ذوي العقول فراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبة في الامور منقوصة والخليفة منه في حيرة (واليه أشار القائل

قوم تتخالجهم زهو بسيدهم * والعبد زهو على مقدار مولاه
ناهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما ناهوا

ولا تستبعد رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وكذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه أشار القائل قوم تتخالجهم زهو بسيدهم والعبد زهو على مقدار مولاه ناهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما ناهوا ولا تستبعد رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لوفظنت وفهمت جميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذرى الاعتبار من الاسماء فاول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتناب والعصمة أما ابليس فأبليس عن رحمة وقيل انه من المبعدين وأما آدم عليه السلام فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبدا والاقبال على عبده وهما في العبودية سياتن ولكن (٦٤٣) في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر أما من استغنى فانت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقال سلام عليكم وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض في انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني وقوله انا تخاف أن يفرط علينا وأن يطاق وهذا) وأمثلة (من غير موسى عليه السلام) معدود (من سوء الادب) في الحضرة الالهية (لان الذي أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لبونس عليه السلام ما) هو (دون هذا) بكثير وهو ذهابه مغاضبا لقومه قبل أن يؤمر وقيل بالعذاب فلم ياتهم لمعادهم يتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك (لما أن أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث) بطن الحوت والبحر والليل وكان مدة مكثه في بطن الحوت أربع ساعات وقيل ثلاثة أيام (ونودي عليه الى يوم القيامة لولأن تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها (لنبيذ) أي طرح (بالعراء) أي بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) أي ملهم مطرود من الرحمة والكرامة (قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقبل له فاصبر لحكم ربك) وهو امها لهم وتأخير نصرته عليهم (ولا تسكن كصاحب الحوت) يونس (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) ملء غيظا من الضجرة فتبلى بيلائه وقال قتادة أي لا تعجل كما يعجل ولا تغضب كما غاضب ربه وأحد في الزهد وقال وهب كان في خلق يونس ضيق فلما جلت عليه أنقال النبوة تعسف منها تعسف الربع فقد نهض من يديه وهرب ربه وأما الحاكم وقال ابن عباس وهو مكظوم أي مغموم وأما ابن أبي حاتم (وهذه الاختلافات بعضها باختلاف الاحوال والمقامات

لوفظنت وفهمت جميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذرى الاعتبار من الاسماء) أي الحكايات التي يسر بها في المجالس (فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة) للاوامر الالهية (ثم تباينا في الاجتناب والعصمة أما ابليس فأبليس عن رحمة وقيل انه من المبعدين) ولذلك سمي ابليسا وشيطانا من شطن اذا بعدد (وأما آدم) عليه السلام (فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى) أي ضل عن رشده (ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى) فكلم بين جناية تسببت الى الطرد من الحضرة الالهية وجناية تسببت الى التقرب منها (وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبدا والاقبال على عبده وهما في العبودية سياتن) ولكن في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى (وهو يخشى) أي يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو اذابه الكفار في آياتنا أو كبوة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فانت عنه تلهى) أي تتشاغل (وقال في الآخر أما من استغنى فانت له تصدى) أي تتعرض بالاقبال عليه وفي ذكر التلهى والتصدى اشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي لك والمراد بالاول عبد الله بن أم مكتوم وبالثاني أمية بن خلف وروى ابن أبي حاتم عن ابن زيد لوان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي كتم هذا عن نفسه (وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) كتب ربكم على نفسه الرحمة (وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وهم أهل الصفة وقد تقدم الكلام عليه (فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض في انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني) (وقوله انا تخاف أن يفرط علينا وأن يطاق وهذا) وأمثلة (من غير موسى عليه السلام) معدود (من سوء الادب) في الحضرة الالهية (لان الذي أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لبونس عليه السلام ما) هو (دون هذا) بكثير وهو ذهابه مغاضبا لقومه قبل أن يؤمر وقيل بالعذاب فلم ياتهم لمعادهم يتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك (لما أن أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث) بطن الحوت والبحر والليل وكان مدة مكثه في بطن الحوت أربع ساعات وقيل ثلاثة أيام (ونودي عليه الى يوم القيامة لولأن تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها (لنبيذ) أي طرح (بالعراء) أي بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) أي ملهم مطرود من الرحمة والكرامة (قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقبل له فاصبر لحكم ربك) وهو امها لهم وتأخير نصرته عليهم (ولا تسكن كصاحب الحوت) يونس (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) ملء غيظا من الضجرة فتبلى بيلائه وقال قتادة أي لا تعجل كما يعجل ولا تغضب كما غاضب ربه وأحد في الزهد وقال وهب كان في خلق يونس ضيق فلما جلت عليه أنقال النبوة تعسف منها تعسف الربع فقد نهض من يديه وهرب ربه وأما الحاكم وقال ابن عباس وهو مكظوم أي مغموم وأما ابن أبي حاتم (وهذه الاختلافات بعضها باختلاف الاحوال والمقامات

أولاً يطاق وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذي أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لبونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم القيامة لولأن تداركه نعمة من ربه لنبيذ بالعراء وهو مذموم * قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقبل له فاصبر لحكم ربك ولا تسكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها باختلاف الاحوال والمقامات

وبعضهم الماسبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كان الله ورفعه بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلان سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف (٦٤٤) احتمل الاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى

اذ قالوا يوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى وأمن العشر من من اخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العز في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قبل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزني وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده فلما دخل آصف

وبعضها الماسبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال (منهم من كان الله ورفعه بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلالة) وانبساطه (سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما أخبر الله تعالى عنه (وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام) قاله أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه (يوم ولدت ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وانظر كيف احتمل الاخوة يوسف (عليهم السلام) ما فعلوه بيوسف (عليه السلام) وهم يهودا وروبل وشمعون ونكشل ووابي وعبادوا وملون وأساحر واسترو جادر ولاوي (وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى اذ قالوا يوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى رأس العشر من) آية (من اخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث) منها (والاربع فغفر لهم وعفا عنهم) وقبل شفاعة أبيهم واستغفاره فيهم ومنهم من شرفه بالنبوة (ولم يحتمل لعزير) بن شاروخا (في مسألة واحدة سأل عنها في القدر) وقصته في القرآن أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها الآية وكان يحفظ التوراة على ظهر قلبه فلما أحياه الله تعالى بعد مائة عام وكان مختصر قد أحرق نسخ التوراة كلها فجدد لهم التوراة عن ظهر قلبه ولذلك قالوا فيه عزير ابن الله وقد أخرج قصته ابن عساكر من طرق عن كعب بن وهب والحسن وابن عباس (حتى قبل محي من ديوان النبوة) بسبب ذلك (وكذلك بلعم بن باعوراء) في بنى اسرائيل (من أكابر العلماء) ومن كان يعرف الاسم الظاهر (فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك) فغضب الله عليه وكان ما كان وقصته في القرآن وقد تقدم ذكرها في كتاب ذم الدنيا (وكان آصف) بن برخيا بن شعويل بن خالة سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه قيل هو المراد بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب قيل كان يعرف الاسم الاعظم لكنه كان (من المسرفين) على نفسه (وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزني وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده) أى ليعتبر به المعثرون (فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج) آصف (حتى علا كتيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت) أى فى كمال عز لئلا يورب بيتك (وأنا أنا) أى فى كمال ذلى وعبوديتي (فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصني لا عودن) أى الى المعصية (فأوحى الله تعالى اليه) بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام (صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم) وبقي على رتبته التى كان عليها وقد رويت عنه العلوم الغريبة من الفلك والاسم واليه ينتهى اسنادها (وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه مناظر به اليه وتم الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه) بتوقيفه وعصيته وحفظه (بعد ان كان أشقى) أى أشرف (على الهلكة) وقال (كم من ذنب واجهته به غفرته لك) ما (قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كتيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصني لا عودن فأوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه بعد ان كان أشقى على الهلكة كم من ذنب واجهته به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلون من قبلها (٦٤٥) في القرآن شيء الا وهو هدى ونور

وتعرف من الله تعالى
الى خلقه فتارة يتعرف
اليهم بالتقديس فيقول
قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفو أو أحد وتارة يتعرف
اليهم بصفات جلاله فيقول
الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر وتارة يتعرف
اليهم في أفعاله الخفية
المرجوة فيتلو عليهم سنة
في أفعاله وفي أنبيائه
فيقول ألم تركب فعل
ربك بعد ارم ذات العمداء
ألم تركب فعل ربك
بأصحاب الفيل ولا بعد
والقرآن هذه الاقسام
الثلاثة وهي الارشاد
الى معرفة ذات الله
وتقديسه أو معرفة صفاته
وأسمائه أو معرفة
أفعاله وستمتع عباده
ولما اشتملت سورة
الاخلاص على أحد
هذه الاقسام الثلاثة وهو
التقديس وازنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلاث
القرآن فقال من قرأ
سورة الاخلاص فقد قرأ
ثلث القرآن لان منتهى
التقديس أن يكون
واحد في ثلاثة أمور
لا يكون حاصل منه من
تظيره وشبهه ودل
عليه قوله لم يلد ولا يكون
حاصل من هو نظيره
وشبهه ودل عليه قوله لم

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا (أي مضوا) من قبل فما
في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو أو أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله (وكلاهما يتعاقب بذات الله تعالى
من سلب نقص واثبات كمال (فيقول) في الاثبات أفنى يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويقول الله لا اله الا هو
الحى القيوم ويقول هو الله الذى لا اله الا هو (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وأما
السلب فكقول الله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها وقوله ما أشهدنهم خالق السموات والارض ولا خلق
أنفسهم وما كنت متخذ المضامين عضدا وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ما عبادي واصطبر لعبادته هل
تعلم سمياى مثيلا ونظيرا فهذه هي المعرفة الخاصة (وتارة يتعرف اليهم في أفعاله الخفية والمرجوة فيتلو
عليهم سنة في أفعاله وفي أنبيائه فيقول ألم تركب فعل ربك بعد ارم ذات العمداء ألم تركب فعل ربك بأصحاب
الفيل ولا بعد والقرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه
أو معرفة أفعاله وستمتع عباده (ولذلك انقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد
الافعال (ولما اشتملت صورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس) أعني به تزييه الرب
تعالى عن الجسمية وتوابعها (وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد
قرأ ثلث القرآن) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخارى من حديث أبي
سعيد ومسلم من حديث أبي البرداء نحوه اه قلت لفظ أحمد من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن
وهكذا رواه أبو عبيد والنسائي وابن منبغ ومحمد بن نصر والدارقطني في الافراد وابن مردويه والضيياء ولفظ
البخارى قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان ورواه
البخارى أيضا من رواية أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي البرداء
وقدرى كذلك بهذا اللفظ من حديث أنس رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط والضيياء من حديث أبي
أوبير رواه النسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذى وصححه وابن
ماجه ومن حديث ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أبي مسعود الأنصارى رواه أحمد وابن ماجه
ومن حديث معاذ رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رواه أحمد والطبراني
والبيهقي وقدرى أيضا من حديث ابن عمر بزيادة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الطبراني
والحاكم وروى من حديث علي رضي الله عنه بلفظ من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن
ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله رواه الزاقي في تاريخه
وروى العقيلي من حديث ربه الغنوي من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع وروى
البيهقي من حديث سعد بن عبد الله من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكأنما
قرأ ثلث القرآن ورواه ابن السني من حديث أبي هريرة بلفظ كانت له كعدل ثلث القرآن وروى أبو نعيم من
حديث ابن عباس من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن (لان منتهى التقديس في أن
يكون واحد في ثلاثة أمور) أحدها (لا يكون حاصل منهم من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد)
فقوله لم يلد أي لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يتخلف عنه لا امتناع الحاجة والفناء عليه (و) الثاني (لا يكون
هو حاصل من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم (و) الثالث
(لا يكون في درجته وان لم يكن أصلا ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد) أي ولم يكن
أحد يكافئه أو يماثله من صاحبه وغيرها (ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد) فاحد بدل على جميع
صفات الجلال والله يدل على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزلة الذات عن اتحاد التركيب
والتعهد ما يستلزم أحدهما كالجسمية والتخبر والمشاركة في الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتية
يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن أصلا ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد

وجلته تفصيل قول لا اله الا الله فهذه أسرار القرآن ولا تنهاى أمثال هذه الأسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه نور والقرآن والنسوا غرائب فيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفها له فهمه حتى تشهد كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حدا استطاعة البشر وأكثراً سرار القرآن معبادة في طي القصص والاخبار فيمكن جريصا على استنباطها لينكشف لك فيه من الجباب ما تستحق معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس والانيساط الذى هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

(القول فى معنى الرضا بقاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته)

اعلم أن الرضا ثمر من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين

والحكمة الالهية التامة المقتضية للالوهية (وجلته) أى معرفته افرادا (تفصيل قول لا اله الا الله) وقوله -م العلم بالشيء على الاجمال يناقض العلم على التفصيل على معنى ان الاجمال هو عدم الاطلاع على دقائقه لا بمعنى معرفة الاشياء افرادا ثم جمعها عدا فهذا الامانع منه قاله دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها جلالا وجمالا وكلا حتى لا يشذ منها شيء وسائر الاسماء لا يدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم وقدرته أو فعل أو غيره وقد فهم منه انه الوجود الحقيقى الحق وكل ما سواه فانه هالك وباطل الابه (فهذه أسرار القرآن) وجواهره (ولا تنهاى أمثال هذه الأسرار فى القرآن فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه نور والقرآن والنسوا غرائب فيه علم الأولين والآخرين) وقد روى الديلمي من حديث أنس من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن (وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفها فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حدا استطاعة البشر وأكثراً سرار القرآن معبادة فى طي القصص والاخبار) وهى المراتبة من قول ابن مسعود والنسوا غرائب فيه (فيكن حريصا على استنباطها) من معانها (لينكشف لك فيه من الجباب ما تستحق معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا أن نذكره من معنى الانس و) معنى (الانيساط) والادلال الذى هو ثمرته (وبين تفاوت عباد الله تعالى فيه) وظهور ما ذكرنا من أفعال الله تعالى الجائزة أن يرضى على قوم بفعل وبغضب به على غيرهم لاختلاف أحوالهم والحكمة السابعة فيهم بالتقريب والابعاد ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه الأهل خاصة قال الله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا لانهم لم ينتفعوا بما سمعوه من الآيات ولا بالنظر الى ما كوت السموات والأرض للاكنة التى منع الله بها انتفاعهم وعبر عن الستر فى ذلك فقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لآسمعهم وهذا حجاب الغيرة وحقيقته حفظ الوقت مع الحق أن يشوبه مشقوش شجاعليه فاذا الغيرة من ثمرات الانس وهذه الاحوال لها بالنسبة الى العبد ثلاثة أحوال ان وجدها فى الملائكة والخلاء فهو معلول يجب عليه المحاسبة وأن يطالب نفسه بالعلامات وان وجدها فى الخلاء دون الملائكة فهو حسن ولكنه ناقص من ذروة السكالك اذ السكالك أن يستوى فى ذلك الخلاع والملا والخصر والسفر والفرار والشغل لان الفراغ شرط فى البداية لا فى النهاية ومن استقرأ أحوال الانبياء والاولياء وجدها كما وصفنا والله الموفق

(القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته)

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان الرضا ثمر من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين) وهو الثامن من مقامات اليقين وجعل صاحب القوت المحبة حالا من مقام الرضا فلذلك قدم الرضا على المحبة وأما صاحب مقاصد المنجيات فذكر الرضا فى آخر مقام التوكل وجعله من لواحقه وهذا لفظه الرضا هو الغاية القصوى فى الدنيا والاخرى بعد النظر الى وجه الله تعالى وله بالنسبة الى السالك منازل ثلاثة الاولى نهاية العبر أول مقام الرضا والسالك يرتقى من الصبر اليه الثانية بعد التوكل والتفويض والتسليم لان الرضا لا يصلح الا بعد القضاء فاذا توكل العبد على مولاه واستسلم لقضاه به فحينئذ تجرى عليه المقادير بما حكم الله فى الازل فحينئذ يجب الرضا الثالثة يكون ثمر المحبة وهو الاغلب فى الوقوع والاشرف عند الله تعالى لان بذلك تحلوا البلايا والرزاي وما سوى هذا حديث نفس لو طوب النفس بالامتحان فيه لم يجده الطالب شيئا فلما رأى انه يليق به من المنازل الثلاثة توسط الامر وجعلته بعد التوكل لان الحاجة اليه فى هذه الحالة مما تتم به المايوى وهو أيضا كغيره من المقامات ينتظم من علم وحال وعمل أما العلم فاعلم ان العلم الذى يورث حال الرضا هو العلم بكل صفات الله تعالى وجمالها وجلالها فيما حكم به فى الازل من شقاء واسعاد وتقریب وابعاد وشدة وارتخا وان ذلك على أكل الحالات وأرفع الدرجات وهذا العلم بعينه هو الذى يوجب التسليم والتفويض الآن الفرق بينهما وبين الرضا ان التفويض والتسليم قبل وقوع المقضى به والرضا بعد وقوع المقضى به وبالرضا يظهر صدق المقامات كلها واعتقاد هذا العلم واجب لانه من الايمان بالله يراد لذاته وبغيره اما كونه مراد لذاته فلا نية معرفة بالله مقصودة فى نفسها واما كونه يراد

لغيره فلا يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط ويحبب اضدادها من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عد الانفاس مع الله والسلامة من اضاعه الاوقات وقال القشيري قد اختلف العراقيون واخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال او من المقامات فاهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يؤل الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه وأما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسب العبد بل هو نازلة تحصل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين القولين فيقال بداية الرضا مكتسب للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليس بمكتسبة (و) اما (حقيقته) فانها (غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرين قصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بشئ لانه فعل الله تعالى فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي واتخذ بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولوانه كشفت هذه الاسرار ان اقتصر على سماع طواهر الشرع لمادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضى الله عنه (حيث قال اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل) هكذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقد تقدم في كتاب العلم وقد روى البخاري من حديثه بالشعار الاول فقط ورواه أحمد أيضا والطبراني وأبو نعيم بلفظ اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل ورواه كذلك ابن سعد والحاكم وروى من حديث ابن عمر اللهم بارك فيه وانشر منه قاله لابن عباس رواه صاحب الحلية وروى ابن ماجه وابن سعد والطبراني من حديث ابن عباس اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب وقال صاحب القوت واعلم أن الرضا من مقامات اليقين واحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل أفعال الله تعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الاما قضاءه فعلى العارفين به الرضا بالقضاء ثم رد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضى به العبد وأحببه شرعا وفعلوا وجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقد روى بسمله لولاه حكمته وحكوا عليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبوا يعترف به انفسه ظمأوا يرضى بعود الاحكام عليه بالعقاب وان اجترحه بجوارحه اكتسابا ويرضى بان الله سبحانه عليه الحجة البالغة وأن لا عذره فيه ويرضى بانه في مشيئة الله من عفوه عنه برحمته وكرمه أن شاء أو عقوبة بعدله وحقه ان شاء لان الموقنين والمحبين لا يقطعون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصي وكرهاتها باللسنة والقلوب من قبل ان الايمان بفرضه والشرع وردم اولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين فمن رضى بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها ووالى وانصر عنها او ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى عليه أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم ثم ذكر جملة من الآيات والاحبار والاسماء ثم قال وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين لحمل الرضا على ما يكون منه من معصية وهوى فعمله بالتفصيل وقلة فقهم بعلم التأويل ولا يتبعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتهد اعانى القول والفعال ولهواه في العصبية والفسوق وأراد أن يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له ونظر يقاليه ولوعصم من الهوى لاستراح ولوزهد في الدنيا لاراح ولو كان علمه للتأويل الله الفتح العليم لافلح ولعلم الناس من علمه فرج وأرج وانى له بذلك والهوى يقبله والبلاء المعقود به بعمره وانما يعلم التأويل منزل التنزيل ألم تسمع الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده فكفونا عن مناظرته بطرده وابعاده والاستغفال بالباطل بطلاله لان أوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها ثم قال وقد يحتاج أيضا بطلان لخبلة وقلة مواساته وبذله أو يعطل لاتساعه في أمر الدنيا واستثنائه على الفقراء ان الذي يمنعه من البذل

وحقيقته غامضة على
الاكثرين وما يدخل
عليه من التشابه والابهام
غير منكشف الا لمن علمه
الله تعالى التأويل
وفهمه وفقهه في الدين
فقد أنكر منكرين
تصور الرضا بما يخالف
الهوى ثم قالوا ان أمكن
الرضا بكل شئ لانه فعل
الله فينبغي أن يرضى
بالكفر والمعاصي
واتخذ بذلك قوم فرأوا
الرضا بالفجور والفسوق
 وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء
الله تعالى ولوانه كشفت
هذه الاسرار لمن اقتصر
على سماع طواهر الشرع
لمادعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن
عباس حيث قال اللهم
فقهم في الدين وعلمه
التأويل

والإيثار أو الزهد فيما في يديه والاخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا من مقام الرضا خاص به
عند نفسه وهذا قول لأعبدى هوى وهو من خدح النفوس وأمانها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضا
لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة معرفة الراضى بفضل الزهد وأوصافه كيف تكون ولحب مولاهم الفقر ولحقته على
التكاثر فالرضا لا يأمر بالاستئثار والاستعاضة كثر لان الرضا يأمر بما أمر الأيمان به
إذا كان مقامه فيه فهو لا يوقف عما تدب اليه العبد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا إنما يوقف من ذلك
غلبة الهوى ويدخل فيه بحجة الدنيا وهما مذمومتان في العلم وعند العلماء تأمر به النفس الأمارة بالسوء
ويوسوس به العدو وبأهمز والخطم وهذه مذمومتان وأحاليها يجعله على الرضا وهذه أغترارات من النفس لها
وتغويه على الخلق ليسلم منه ولا عذوله فهذا عند مالكة ولا سلامة له فيه من خالقه ولا مقام له في الرضا عند
العلماء من أهل الرضا اهـ (فلنبداً ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية
تصوره فيما يخالف الهوى ثم بذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي)
والنا كبر

(بيان فضيلة الرضا) *

(أما من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه) فرضا الرب سبحانه سبب لرضا العبد عن الله ورضا
العبد بالله وعن الله سبب لرضا الله عن عبده والرضا الأول ذاتي لعلقه بتخصيص الإرادة والرضا الثانى فعل لانه
ثواب الله يفيضه على عبده الراضى زيادة على جزائه ثم قال ذلك لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الأمر والباعث
على كل خير (وقد قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب
رضا العبد عن الله تعالى) وروى البيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدرى قال فى معنى الآية هل جزاء من انقلع
من نفسه الاتعاق بر به وهل جزاء من انقطع عن أنس المخوفين إلا الانس برب العالمين وهل جزاء من صبر
علينا الا الوصول بنا ومن وصل إلينا هل يحمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب فى الدنيا والنصب فيها
الا الراحة فى الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى الا التقرب الى الكون وهل جزاء من سلم قلبه اليانا نجعل
نوليه الى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق الا التقرب الى الحق وفى حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة تفرد به ابراهيم بن محمد الكوفى وهو منكر وسئل ذو النون
المصرى عن هذا فقال معناه هل جزاء من أحسنت اليه الا ان احفظ احسانى عليه فيكون احسانا الى احسان
(وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر) وناهيك به شرفا انه يثمر رضوان الله
(فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن) وهى من أعلى الجنات (كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) والذكر عندنا كرمين المشاهدة (فكما ان مشاهدة
الذكر فى الصلاة أكبر من الصلاة) وهذا أحد الوجهين (فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنة) والوجه الثانى ذكر الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى (و) قد رفع الله تعالى الرضا
منه فوق ما أعطى من النظر كما (فى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك) قال
العراقى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس فى حديث طويل يسند فيه لين وفيه فيجلى لهم
فيقول أنا الذى صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا ورواه أبو
يعلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون فيقولون ربنا رضوانك الحديث ورجاله رجال الصحيح اهـ قلت وبخط الحافظ
ابن حجر وفى الباب عن جابر فى الشعب البيهقي وحذيفة فى مسند البزار قلت لفظ حديث جابر يقول الله تعالى
يا أهل الجنة بقی اسكنم شئ تنالونه فيقولون وما هو يا بنافى يقول رضوانى واه كذا الحكيم فى النوادر وروى
القشيرى فى الرسالة بسنده الى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع لهم نور على
باب الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضا عنا
قال رضائى أحلكم دارى وأنيلكم كرامتى هذا أدناها فسلونى قالوا نسألك الزيادة قال فيقولون نجائب من

فلنبداً ببيان فضيلة
الرضا ثم بحكايات أحوال
الراضين ثم بذكر حقيقة
الرضا وكيفية تصور
فما يخالف الهوى ثم
بذكر ما يظن انه من
تمام الرضا وليس منه
كترك الدعاء والسكوت
على المعاصي

(بيان فضيلة الرضا) *
(أما من الآيات) فقوله
تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقد قال تعالى
هل جزاء الإحسان إلا
الإحسان ومنتهى
الإحسان رضا الله عن
عبده وهو ثواب رضا
العبد عن الله تعالى وقال
تعالى ومساكن طيبة
فى جنات عدن ورضوان
من الله أكبر فقد رفع
الله الرضا فوق جنات
عدن كما رفع ذكره فوق
الصلاة حيث قال ان
الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر
ولذكر الله أكبر فكم
مشاهدة الذكر فى
الصلاة أكبر من الصلاة
فرضوان رب الجنة أعلى
من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان وفى
الحديث ان الله تعالى
يتجلى للمؤمنين فيقول
سلونى فيقولون رضاك

فسؤا لهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقة عنه وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقة ما ذكره أقصا فهم الخلق عن دركه ومن يقوى (٦٤٩) عليه فيستقل يادرا كه من نفسه

وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فأنما سأل الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما طفر وابتغى النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الادوامه وعلما أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولاً من ربهم والاشارة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا افضل رضا الله تعالى وهو ثرة

ياقوت ثم ساق الحديث وفيه حتى تنتهي بهم الى جنة عدن قال فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل الحديث بطوله ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والاحمد في الشريعة وابن مردويه أيضا بلفظ بينا أهل الجنة في نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله تعالى سلام قولاً من ربهم فينظرون اليه وينظرون اليه حتى يحجب عنهم ويبقى نورهم وبركتهم عليهم في ديارهم (فسؤا لهم الرضا بعد النظر) اليه (نهاية التفضيل) ومن ذلك ما روي في حديث أبي سعيد الخدري ان الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبسنا ربنا وسعديك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيك أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان (وأما رضا العبد) بالله وعن الله وفي الله (فسنذكر حقيقة) فيما بعد (وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقة) اذ تقصر افهام الخلق عن دركه (وغاية ما يقال ان العصمة طاهر الرجة والرجة أول الرضا من الله فالعصمة من الله تعالى لعبده دليل الرجة منه ثم تدخله الرجة في مقام المحبة وهذه رجة المحبوبين ثم ترفع المحبة الى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصرف البنية والمطالب (ومن يقوى عليه فيستقل يادرا كه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فأنما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما طفر وابتغى النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الادوامه وعلما أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب) أي بالرضا دام لهم النظر فلما كان الرضا موجب النظر سألوا دوام الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوا تمام النعمة من حيث بدايتها قال صاحب القوت ولا يصلح ان يظهر معنى قولهم رضاك أكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر عن كشف وصف من صفاته الذاتية موجبة على العبد هيبة الربوبية وخوف هذاعن القلوب محجوب في حكمه من سائر الغيوب وهو في الدنيا ثواب لاهل الخشمة عن معرفة خاصة قال الله تعالى ذلك لمن خشي ربه (وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولاً من ربهم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه) نقله صاحب القوت (فهذا افضل رضا الله تعالى) عن العبد (وهو ثرة رضا العبد) عن الله تعالى وقد قيل في قوله تعالى ورضوان من الله أكبر ان الرضا من جلاء أهل الذكرا لا كبر وهو أحد المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين في الرضا عنه لان السائلين سألوه لهم فاعطاهم العفو والذاكرين ذكره فاعطاهم الرضا منه ويكون أيضا معناه النظر الى الله كرى يخرج الى النظر فقابل النظر اليه اليوم بالنظر اليه غدا كما راجه الوصف بالوصف في قوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة وفي حديث أبي موسى ان الله عز وجل يجلي لنا ضاحكا والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان (وأما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة) تقدم في كتاب العلم (وفي خبر آخر انه قال حكاء علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء) تقدم أيضا في كتاب العلم فاشهد لهم بالايمان الابعاد

(٨٢) - (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقال مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة وفي خبر آخر انه قال حكاء علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء

وفي الخبر طوبى لمن هدى للإسلام (٦٥٠) وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق

رضي الله تعالى عنه
بالقليل من العمل وقال
أيضا إذا أحب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر
اجتبه فان رضى اصطفاه
وقال أيضا إذا كان يوم
القيامة أنبت الله تعالى
أطائفة من امتي أجنته
في طيرون من قبورهم
إلى الجنان يسرحون
فيها ويتنعمون فيها
كيف شاؤا فتقول لهم
الملائكة هل رأيتم
الحساب فيقولون ما رأينا
حسابا فتقول لهم هل
جزتم الصراط فيقولون
ما رأينا صراطا فتقول
لهم هل رأيتم جهنم
فيقولون ما رأينا شيئا
فتقول الملائكة من أمة
من أتم فيقولون من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم
فتقول نشدناكم الله
حدثونا ما كانت أفعالكم
في الدنيا فيقولون
خلصنا كائنا فإنا بغنا
هذه المنزلة بفضل رجة
الله فيقولون وماها
فيقولون كما إذا خلونا
نستحي أن نعصيه ورضي
باليسير مما قسم لنا
فتقول الملائكة يحق لكم
هذا وقال صلى الله عليه
وسلم يا معشر الفقراء
اعطوا الله الرضا من
قلوبكم تظفروا بثواب

وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته للايمان أربعة
أركان لا يصلح الا بهن كمال يصلح الجسد الا بالدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله تعالى (وفي الخبر طوبى
لن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به) رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقع به وقد تقدم
(وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل) قال
العراقي ورويناه في أمالي المحاملي بأسناده ضعيف من حديث علي ومن طريق المحاملي رواه الديلمي في مسند
الفردوس اه قات هذا اللفظ ساقه البيهقي في الشعب من حديث علي وفي اللفظ له من رضى بالله باليسير من
الرزق الخ وقد رواه المحاملي من طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده ولفظه انتظار
الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقبيل من العمل ورواه كذلك ابن أبي
الدنيا في الفرج وابن عساكر (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه
وان رضى اصطفاه قال صاحب القوت ورويناه من طريق أهل البيت وقد تقدم قريبا نحوه من حديث أبي
عتبة الخولاني أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه الحديث رواه الطبراني وابن
عساكر وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من حديث أبي سعيد بسندين أن الله إذا أحب عبدا ابتلاه
وإذا ابتلاه صبره (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله أطائفة من امتي أجنته في طيرون
من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون
ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا
شيئا فتقول الملائكة من أمة من أتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا
ما كانت أفعالكم في الدنيا فيقولون خصلنا كائنا فإنا بغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمة فيقولون
وماها فيقولون كما إذا خلونا نستحي أن نعصيه ورضي باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا نقله
صاحب القوت فقال ورويناه حديثا حسنا عن جاد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا كان يوم القيامة فساقت وقال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث
أنس مع اختلاف وفيه جيد بن علي القيسي ساقط هالك والحديث منكر يخالف للقرآن والاحاديث الصحيحة في
الورود وغيره اه قلت جيد بن علي القيسي لم أجده ذكر في ديوان الضعفاء للذهبي ولا في ذيله فليست وقال أبو
نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا عبيد بن غنام حدثنا جعفر بن أبي الحسن الخوارزمي حدثنا عبد الله
ابن عبيد الله بن اسحق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثني أبي عن الحصين بن حذيفة
عن أبيه عن أبي صفي عن أبيه صهيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون هم السابقون
الشافعون المدلون على ربهم والذي نفسي بيده أنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب
الجنة فيقول لهم الخزنة من أتم فيقولون نحن المهاجرون فيقول لهم الخزنة هل حوسبتم فيحبثون على ركبهم
وينثرون ما في جعباتهم ويرفعون أيديهم فيقولون ألا يارب هذه نحاسب لقد خسر جناواتكم المال والأهل
والولد فيجعل الله لهم أجنته من ذهب نحوصة بالبرجد والياقوت فيطيطون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله الحمد لله
الذي أذهب عنا الحزن إلى قوله لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم بمنزلهم في الجنة أعرف
منكم بمنزلكم في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقرم والافلا) تقدم
في كتاب الفقر والزهد بلفظ يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث وانه رواه الديلمي في مسند
الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أبان منهم بالكذب (وفي أخبار موسى
عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي
قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

الخبر

فقرم والافلا وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به
عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله (٦٥١) عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى

ينزل العبد منه حيث
أترله العبد من نفسه وفي
أخبار داود عليه السلام
مالا ولياى والهم بالدنيا
ان الهم يذهب حلوة
مناجاتى من قلوبهم
يادود ان محبتي من
أولياى أن يكونوا
روحانيين لا يغمثون
وروى أن موسى عليه
السلام قال يارب دلتنى
على أمر فيه رضاك حتى
أعمله فأوحى الله تعالى
اليه ان رضى فى كرهك
وأنت لا تصبر على ما
تكبره قال يارب دلتنى
عليه قال فان رضى فى
رضاك بقضائى وفى مناجاة
موسى عليه السلام
أى رب أى خلقك أحب
اليك قال من اذا أخذت
منه المحبوب سألنى قال
فاى خلقك أنت عليه
ساخط قال من يستخيرنى
فى الامر فاذا قضيت له
سخط قضائى وقد روى
ما هو أشد من ذلك وهو
ان الله تعالى قال أنا الله
لا اله الا أنا من لم يصبر على
بلاى ولم يشكر نعمائى
ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى ومثله فى
الشدة قوله تعالى فيما
أخبر عنه نبينا صلى الله
عليه السلام انه قال
قال الله تعالى قدوت
المقادير ودبرت التدبير
وأحكمت الصنع متى حتى يلغاني

الخبر (ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل
عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أترله العبد من نفسه) قال وحده ثانياً أبو بكر أحمد بن جعفر بن همدان
ابن مالك القطعي بهذا الحديث فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال العراقى رواه الحارث بن جابر
وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اه قلت ورواه الدارقطنى فى الافراد وابن النجار من حديث أنس بلفظ من
أراد أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل عنده ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة (وفى
أخبار داود عليه السلام) أوحى الله تعالى الى داود يادود (مالا ولياى والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلوة مناجاتى من قلوبهم) نقله صاحب القوت ورواه البيهقى فى الشعب عن بشر بلفظ يادود انما خلقت
الشهوات واللذات لضعفاء عبادى أما الأبطال فبالهم والشهوات واللذات يادود فلا تعلق قلبك بشئ منها فادنى
ما أعقبك به ان أسلب حلوة حبي من قلبك وقد تقدم وفى لفظ آخر (يادود ان محبتي من أولياى أن يكونوا
روحانيين ولا يغمثون) اياك والغم ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى كذا فى القوت وقال فى موضع آخر وقد روى بناتى
أخبار داود عليه السلام ان الله عز وجل أوحى اليه تزعم انك منقطع الى وتدعى عشقى وتسمى الظن بى الق
كنفك بين يدي أكن أختارك فان محبتي من عبادى أن يكونوا روحانيين لا يغمثون مصابيح القلوب كن
واحدا نبيا مع العباد الى هنالك أرفع النور لك شاهد المخلوقين بعدك وقلبك فاذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي
ما على فى كلام نحوه قال فى آخره ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى أن تهوى على هوالك واغضب لى أشد مما تغضب
لنفسك وقد تقدم بعضه قريباً (وروى ان موسى عليه السلام قال يارب دلتنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله
فأوحى الله اليه ان رضى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكبره قال يارب دلتنى عليه قال فان رضى فى رضاك
بقضائى) نقله صاحب القوت وقال القشيري وقيل قال موسى عليه السلام الهى دلتنى على عمل اذا علمته رضىت
عنى فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا فأوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضى فى رضاك بقضائى
اه وقال صاحب القوت وروى بنا هذا على وجه آخر ان بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا لو علمنا فى
أى شئ رضا ربنا عز وجل لفعلناه فأوحى الله اليه قل لهم رضى ان ترضوا بقضائى (وفى مناجاة موسى عليه
السلام يارب أى خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سألنى قال فاى خلقك أنت عليه ساخط
قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى) نقله صاحب القوت قال (وقد روى ما هو أشد من ذلك)
كاه (وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلاى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبي هند الدارى عن أبيه عن
قوله من لم يرض بقضائى ويصبر على بلاى فليتمسك برباسوائى واسناده ضعيف اه قلت وكذلك رواه أبو نعيم فى
الصحابة وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن زياد بن أبي هند الدارى عن أبيه عن ياد كشداد عن
أبيه فائد بالقاء عن أبيه زياد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه
قال الحافظ فى الاصابة فائد وولده ضعيفان وروى الشيرازى فى الالقاب من حديث على قال لى جبريل قال الله
عز وجل يا محمد من آمن بى ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتمسك برباغيرى وفيه محمد بن عيسى الكرماني وروى
البيهقى وابن النجار من حديث أنس قال الله عز وجل من لم يرض بقضائى وقد روى فليتمسك برباغيرى ورواه
الخطيب بلفظ من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليتمسك باله أغير الله عز وجل (ومثله فى الشدة قوله
تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن
رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني) نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجده
بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبي امامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين
الحديث واسناده ضعيف اه قلت وتعمم حديث أبي امامة وعرضه على الماء فاخذ أهل اليمن بيمينه وأخذ
أهل الشمال بيده الاخرى وكذا يدي الرحمن عني فقال يا أصحاب اليمن فاستجابوا لله فقالوا اليك ربنا وسعديك

وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني

عشر سنين فما أجيب
الى ما أرا دتم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكو
هكذا كان بدوك عندي
في أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني
وهكذا قضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أفتر يد أن أعيد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ما قدرته
عليك فيكون ماتحب
فوق ما أحب ويكون
ما تريد فوق ما أريد
وعزتي وجلالي لمن تلجج
هذا في صدرك مرة أخرى
لا يحونك من ديوان النبوة
روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
ويترلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاعه كهيشة
الدرج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
لا ينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده ما أبنت
أما ترى ما يصنع هذا بك
لونهيته عن هذا فقال
يا بني اني رأيت ما لم تروا
وعلمت ما لم تعلموا اني
تحركت حركة واحدة
فاهبطت من دار الكرامة

عشر سنين فما أجيب
الى ما أرا دتم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكو
هكذا كان بدوك عندي
في أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني
وهكذا قضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أفتر يد أن أعيد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ما قدرته
عليك فيكون ماتحب
فوق ما أحب ويكون
ما تريد فوق ما أريد
وعزتي وجلالي لمن تلجج
هذا في صدرك مرة أخرى
لا يحونك من ديوان النبوة
روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
ويترلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاعه كهيشة
الدرج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
لا ينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده ما أبنت
أما ترى ما يصنع هذا بك
لونهيته عن هذا فقال
يا بني اني رأيت ما لم تروا
وعلمت ما لم تعلموا اني
تحركت حركة واحدة
فاهبطت من دار الكرامة

الى دار الهوان ومن دار النعم الى دار الشقاء خاف أن أعجزك أخرى فصيغني ما لا أعلم وقال أنس بن مالك رضي الله عنه

لم يكن لبنته كان وكان اذا جاءني فخاصم من أهله يرد دعوى لو قضى شيء كان

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود انك تريد أن يدوانما يكون مأز بدفان سلت لما أريدك فبذلك ما تريد ان لم تسلم لما أريد أن تعبلك فيما تريد أن لا يكون الاما أريد* (وأما الآثر) * فقد قال ابن عباس رضى (٦٥٣) الله عنهم ما أول من يدعى إلى الجنة يوم

القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقى سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تستهى فقال ما يقضى الله تعالى وقال ميمون ابن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقد بر الله لم تصبر على تقد بر نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في كل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول شئى كان لبتى لم يكن أو شئى لم يكن لبتى كان ونظر رجل الى فرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لارجلك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عيني وروى فى الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهر اطويلا فارى فى المنام فسلانة

النسيان وهذا ايضا فيه لطيفة يحتملها التاويل أن يريد كل ذلك مجموعهم الم يكن فهذا يرجع بمعنى قوله فيما قضى لوقضى أن لا يقضى كما ان ما لم يقض قد قضى أن يقضى رجوع القضاء عليهم ما ساء كان صلى الله عليه وسلم رضى بما قضى كيف قضى على ما تصوره الوهم أو بخلافه و رضى بما لم يقض لان القضاء فيهما سواء فينبغى أن يكون الرضا بهما سواء في النظر في هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القدم عند الله تعالى الى مقام المقر بين وبالتهاون بهما والغفلة تعلقت القلوب ففسدت حين لم يصلح للعجبة والرضا اه و قول أنس المذكور خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ تقدم له في كتاب أخلاق النبوة بلفظ والذي بعثه بالحق ما قال فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا لاني أحدم من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدرى الشيخان من حديث أنس ما قال لشيئ صنعت لم صنعت ولا لاني تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب الاخلاق من حديث له فيه ولا أمرنى بامر فتوانيت فيه فعابني عليه فان عابني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئى كان وفى رواية له كذا قضى وروى الخراطى فى مكارم الاخلاق من حديثه دعوه فانه لو قضى شئى لكان وعند الدارقطنى فى الافراد وأبى نعيم فى الحلية لو قضى كان أو قدر كان (ويروى) فى بعض الاخبار (ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود تريد أن يدوانما يكون مأز يد) نقله صاحب القوت (وأما الآثر فقد قال ابن عباس) رضى الله عنه (أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة) أى ليدخلها (الذين يحمدون الله تعالى على كل حال) أى فى السراء والضراء (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى لقد أصبحت و (ما بقى سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تستهى فقال ما يقضى الله تعالى) وقال أبو عبد الرحمن البناجى من عباد الله خلق يستحبون من الصبر ينلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفا (وقال ميمون بن مهران) انخر جرحى رحمه الله (من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ان لم تصلح على تقد بر الله تعالى لم تصلح على تقد بر نفسك وقال) أبو عبد الرحمن (عبد العزيز بن أبي رواد) بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابدى روى له الاربعة أسند عن كبار التابعين (ليس الشأن فى كل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشأن فى الرضا عن الله عز وجل) وقد كان ذهب بصر عبد العزيز بهذا منذ عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده فتأمله ابنة ذات يوم فقال يا أبت ذهب عينك قال نعم يا بنى الرضا عن الله أذهب عين أبك (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه (لان الحس جرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول شئى كان لبتى لم يكن أو شئى لم يكن لبتى كان) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبي الحكم أو الحكم عن أبي وائل عنه قال ما أحدم من الناس اليوم الا يفتنى فساقه وفيه ولا يعض أحدكم على جرة حتى تطفأ خير من ان يقول لامر قضاء الله لبت هذا لم يكن (ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن واسع) البصرى رحمه الله تعالى (فقال انى لارجلك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عيني) رواه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن مصعب قال سمعت يحيى بن سالم يذكر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت فى يد محمد بن واسع قرحة وكأنه رأى ما قد شق على منها فقال لى أئدرى ما ذا الله على فى هذه القرحة من نعمة قال فسكت فقال حيث لم يجعلها على حد قتي ولا على طرف لسانى ولا على طرف ذكرى قال فهانت على قرحتى (وروى فى الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهر اطويلا فارى فى المنام فلانة الراعية رفقتك فى الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لى نظر الى عملها فكان بيت قائما وبيت نائمة وبطل صائد وظل مظرة فقال امالك عمل الاما رأيت فقال ما هو والله الاما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن ان أكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن ان أكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن ان أكون فى الظل

فسأل عنها الى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لى نظر الى عملها فكان بيت قائما وبيت نائمة وبطل صائد وظل مظرة فقال امالك عمل غيرا رأيت فقال ما هو والله الاما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن ان أكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن ان أكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن ان أكون فى الظل

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا (٦٥٤) بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي

على أي حال أصبحت
وأُصيب من شدة أورخاء
وقال الثوري يوما عند
رابعة اللهم ارض عنا
فقلت أما تستحي من
الله أن تسأله الرضا
وأنت عنه غير راض فقال
استغفر الله فقال سليمان
ابن جعفر بن سليمان
الضبي فتي يكون العبد
راضيا عن الله تعالى
قلت اذا كان سروره
بالمصيبة مثل سروره
بالنعمة وكان الفضيل
يقول اذا استوى عنده
المنع والعطاء فقدرضى
عن الله تعالى وقال أجد
ابن أبي الحواري قال أبو
سليمان الداراني ان الله
عز وجل من كرهه قد
رضى من عبده بما رضى
العبيد من مواليهم قلت
وكيف ذلك قال أليس
مراد العبد من الخلق
أن يرضى عنه مولاه قلت
نعم قال فان محبة الله من
عبده ان يرضاه
وقال سهل حظ العبد
من اليقين على قدر حظهم
من الرضا وحظهم من
الرضا على قدر عيشهم مع
الله عز وجل وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يحكمه
وجلاله جعل الروح

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد (كذا لفظ القوت وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا عبد الله بن محمود عن عبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس حدثني أبي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال بلغني ان عابدا في بني اسرائيل يتعبد فاتي في منامه ان فلانة زوجتك في الجنة قال فلانة وما علمها فاجابها فقال لها اني أحب أن أضيفك ثلاثة أيام مع لياليهن فقالت بالرحب والسعة قال فكان عندها تلك الثلاثة ليالي بيت قائما وتبيت نائمة و يصبح صائما وتصبح مفطرة فلما مضت قال مالك عمل غير هذا ما أوثق عملك عندك قالت يا أخي ما هو الا ما رأيت الا خصيلة واحدة قال وما تلك الا خصيلة قالت اني ان كنت في شدة لم أتمن اني كنت في رخاء وان كنت جائعة لم أتمن اني كنت شبعانة وان كنت في شمس لم أتمن اني كنت في فيء وان كنت في مرض لم أتمن اني كنت في صحة فقال وأي خصيلة هذه والله خصيلة يعجز عنها العباد (وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه) كذا في القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) ولفظ القوت بما قسم الله له وقدره رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هرون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقرعة حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأُصيب من شدة أورخاء) رواه ابن عيينة عن أبي السواعم عن أبي مجلز قال قال عمر ما أبالي على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أي لا أدري الخير في فيما أحب أو فيما أكره وقد تقدم (وقال) جعفر بن سليمان الضبي قال سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (كنت يوما عند رابعة) العذوبة المتوفية سنة ١٣٥ (فقلت اللهم ارض عنا فقلت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال) الثوري (استغفر الله) فهي ذكرته بان رضا الله انما هو غرة رضا العبد عن الله تعالى فتذكر الثوري ورجع الى نفسه واستغفر (فقال) أبو سليمان (جعفر بن سليمان الضبي) البصري صدوق زاهد احدثني به مسلم وروى له البخاري تعليقا والاربعة مات سنة ١٧٨ (فتي يكون العبد راضيا عن الله تعالى قلت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) كذا في القوت ولفظ القشيري وسئل رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا أسرته المصيبة كما أسرته النعمة (وكان الفضيل) بن عياض (يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقدرضى عن الله تعالى) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي القمشقي ثقة زاهد روى له أبو داود وابن ماجه مات سنة ١٤٦ (قال) لي (أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل من كرمه قدرضى من عبده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبده ان يرضاه) نقله صاحب القوت (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحكمه والفرح في الرضا واليقين وجعل النعم والحزن في الشك والسخط) قال صاحب القوت رواه عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وقال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان من قال) من البطالين (ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فائما أتى) فيما توهمه (من ناحية انكار المحبة) وقد تقدم بيان مذهبه والاحتجاج عليه (فاما اذا

ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما ان ينال الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثال الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدلل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل (٦٥٥) قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا

يحس بالذات لشغل قلبه

بل الذي يحجم أو يحلق

رأسه بحديدة كاله يتألم

به فان كان مشغول

القلب بهم من مهماته

فرغ المزمن والحمام وهو

لا يشعر به وكل ذلك لان

القلب اذ صار مستغرقا

بامر من الامور مستوفى

به لم يدرك ما عداه

فكذلك العاشق

المستغرق الهم بمشاهدة

معشوقه أو يحبه قد

يصيبه ما كان يتألم به أو

يغتم له لولا عشقه ثم لا

يدرك غمّه وألمه لفرط

استيلاء الحب على قلبه

هذا اذا أصابه من غير

حبيبه فكيف اذا أصابه

من حبيبه وشغل القلب

بالحب والعشق من

أعظم الشواغل واذا

تصور هذا في ألم يسير

بسبب حب خفيف تصور

في الألم العظيم بالحب

العظيم فان الحب أيضا

يتصور تضاعف في القوة

كما يتصور تضاعف الألم

وكما يقوى حب الصور

الجميلة المدركة بحاسة

البصر فكذا يقوى حب

الصور الجميلة الباطنة

المدركة بنور البصيرة

ثبت) بمآذ كرهناه (تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب) اذ هو غاية الحب (ويكون) تصوير (ذلك من وجهين أحدهما) أعلى من الثاني فالأعلى الذي لا يتصور وقوعه الا بعد كمال المحبة (ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى على المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها) وهذا غاية التي وصل اليها هذا موجود في الاحوال المعتادة من الصفات البشرية لان حكمة الله في الصفات البشرية أي قوة غلبته حكمته على سائر القوى (ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه) وقد تقوى القوة الغضبية (أو في حال خوفه) وقد تقوى اماراته (قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها) ولا يدرك لها ألما (حتى اذا رأى الدم) بارزاً من موضع الجراحة (استدل بها على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالذات لشغل قلبه) بما هو فيه (بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كاله) أي باردة الحسد (يتألم به) لا محالة (فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزمن) من حالته (والحجم) عن حجامته (وهو لا يشعر به) ولهذا أمثلة كثيرة وفيما ذكره المصنف كفاية (وكل ذلك) لان (القلب اذا صار مستغرقاً بامر من الامور مستوفى به) أخذ ابكيت (لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمّه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة (الظاهر) المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهر به بحيث يدهش) عن عقله (ويعشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه) لان الالتذابه يذهب الاحساس (فتدري ان امرأة فطح) بن شخرف (الموصل) وكانت من الحبيبن (عثرن) برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذته ثوابه ازالته عن قلبي مراة زوجة) نقله صاحب القوت وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت فضيلاً يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابنتي ان الله قد بسط لي من ثوابه امالا أودى شكره عليه أبدا فتعجبت من حسن يقينها قال الفضيل فانا عدها فاعدها اذ انى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضمته الى صدرى فقالت لي يا ابنتي سألتك بالله اتحبه قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لي سوءة لك من الله يا ابنتي ظننت انك لا تحب مع الله غير الله فقالت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فاطم الفضيل على رأس نفسه وقال يا رب هذه ابنتي هجنتي في حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التسترى (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك) وعوتب (فقال يا دوست) أي يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكارة والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطيف من مولا ومن نسل القرية الى محبوه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض الحبيبن يقول اصفي ما أقول ذكر اذا كنت محموا هذا الذي ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجه فرجوه بالجارية وهو ساكت لا يتأق له اخوته وكانت من العارفان فرجته بحصاة صغيرة فقال آه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا وجه حيث انه صدر

وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهر به بحيث يدهش ويعشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه فتدري ان امرأة فطح الموصل عثرن فانه قطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذته ثوابه ازالته عن قلبي مراة زوجة وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع

وَأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك المولى لكن يكون راضيا به بل راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقدم من الفصاد به مله بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بما هو مهمل أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه (٦٥٦) الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحببه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ

ذلك بعدم معرفة العذر (وأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك ألمه) ويكرهه بطبعه (واسكن يكون راضيا به) بل (راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها) له (بطبعه) وهذا (كالذي يلتمس من الفصاد الفصد) (و) (من الحجام) (الحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقدم من الفصاد) (والحجام) (به منة بفعله) لما يجد فيه الشفاء والراحة (فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم) وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر (لا محالة) (واسكن حبه لثمره سفره) التي هي الربح (طيب عنده مشقة السفر) (وسهلها عليه) (وجعله راضيا بها) وهذه الدرجة واجبة وهي الإيمان بالله يجب كسبها بما ورد فيها من الفضائل ومقابلها موهبة من الله تعالى لا يوجد بالكسب لكن مقدما لها مكسوبة وهي التخلق بالاخلاق المحمودة فالخلق من جانبك لا من جانب الله فتنى تخلت من المذمومات وتحليت بالمحمودات أفاض الله عليك من نوره ومعرفة ماله لا يمكن وصفه ولا يمكن العبارة عنه وكما ازددت معرفة ازددت رضا إلى ما لا يتناهى (ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحببه وشكر الله عليه هذا إذا كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبة ورضاه لا معنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبته ورضاه محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون) من المحبين والعشاق (في نظمهم ونثرهم) ورتبوا في ذلك مؤلفات (ولامعنى له الملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجلال فما مشحون بالاقذار والانبثاب بدايته) ان نظر إليها فانها (من نطفة مذنرة) كما قال تعالى من منى غنى (ونهايته) ان تأملها فانها (جيفة مذنرة) من أتنا الجيف (وهو فيما بين ذلك) أي بين البداية والنهاية (يحمل العذرة) في بطنه وهذا فيه عبرة لمن اعتبر هذا إذا نظر إلى المدرك (وان نظر إلى المدرك للجمال) المذكور (فهى العين الحساسة) الناقصة (التي) ركب فيها حاسة الإدراك وهي (تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا) والسالك من متحرك والمتحرك ساكنا ومن نقصها انما تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ومن الموجودات بعضها دون كلها تبصر غيرها ولا تبصر نفسها وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك (فاذا تصور استبلاء هذا الحب فن أين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا ينتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التى لا يعثر بها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بخلاف العين فانها أول ما تنسبل على الخدين في القبر (بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فانها تحمل المعرفة والحمية (مستغفدة بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) اذا توصل فيه (وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (من يرى ثواب الشدة) وما يترتب عليها من حسن الجزاء (لا يشتهى المخرج منها وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (سألت) استأذنى (سرى السقلى) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام المستغرق بالحب فان نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجارى الاقدار (وقال بعضهم أحبيت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار) وهذا مقام الراضى المحب كما قال ابن خفيف الرضا

الثواب والاحسان الذى يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبة ورضاه لا معنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبته ورضاه محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون ولا معنى له إلا ملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر إلى الجلال فما مشحون بالاقذار والانبثاب بدايته من نطفة مذنرة ونهايته جيفة مذنرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر إلى المدرك للجمال فهى العين الحساسة التى تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا فاذا تصور استبلاء هذا الحب فن أين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا ينتهى لكماله

المدرك بعين البصيرة التى لا يعثر بها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستغفدة سكوت بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها وقال الجنيد سألت سري السقلى هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم أحبيت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار

وقال بشر بن الحرث مررت برجل - ل وقد ضرب ألف سوط في شرقية - بعد ادولم يتكلم ثم جل الى الحبس فثبته اثنتان لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى فقلت فلو نظرت الى (٦٥٧) المعشوق الاكبر قال فزعت زعقة خرميتا

وقال يحيى بن معاذ الرازى

رجه الله تعالى اذا نظرت

اهل الجنة الى الله تعالى

ذهبت عيونهم في قلوبهم

مثل لذة النظر الى الله

تعالى غائمانه سنه لا

ترجع اليهم فاطنك

بقلوب وقعت بين جماله

وجلاله اذا لاحظت

جلاله هابت واذا لاحظت

جماله تاهت وقال بشر

قصدت عبادان في بدايتي

فاذا برجل اعشى مجذوم

مجنون قد صرع والنمل

يا كل لجه فرفعت رأسه

فوضعت في حجرى وأنا

أردد الكلام فلما أفاق

قال من هذا الفضولى

الذى يدخل بينى وبين

ربى لوقطعتى ارباربا

ما زددت له الاحبا قال

بشر فزاريت بعد ذلك

نقمة بين عبد وبين ربه

فانكرتم اوقال أبو عمر و

محمد بن الاشعث ان اهل

مصر مكثوا أربعة أشهر

لم يكن لهم غذاء الا النظر

الى وجه يوسف الصديق

عليه السلام كانوا اذا

جاعوا انظر والى وجهه

فشغلهم جماله عن

الاحساس بالم الجوع

بل فى القرآن ما هو أبلغ

من ذلك وهو قطع النسوة

سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى واختار وأنشد صاحب مصارع العشاق لسهنون

ولو قيل طأفى النار اعلم انه * رضاك أو مدن لنا من وصالك

لقد مررت جلى نحوها فوطئتها * سرور الانى قد خطرت بيبالك

(وقال بشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (مررت برجل) من العيارين (وقد ضرب ألف سوط في شرقية

بغداد) في جنابة جناها (ولم يتكلم) أى لم يتأوه من الضرب (ثم جل الى الحبس فثبته فقلت له لم ضربت

فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى) فلم أجذب سببه ألم الضرب (فقلت) له

هذا فى الخلق (ولو نظرت الى المعشوق الاكبر) كيف كان حالك (قال فزعت زعقة خرميتا) نقل القشيري نحوه

وهذا كان محبا محجوبا فلما انكشف له الحجاب لم يتحمل فكان سبب زهاق روحه (وقال يحيى بن معاذ الرازى

رجه الله تعالى اذا نظرت اهل الجنة الى الله تعالى) حين يتجلى عليهم غشى عليهم و (ذهبت عيونهم في قلوبهم من

لذة النظر الى الله تعالى غائمانه سنه لا ترجع اليهم فاطنك بقلوب وقعت بين جماله و جلالة) فى الدنيا (اذا

لاحظت جلالة هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر) الحافى رحمه الله تعالى (قصدت عبادان) وهى قرية

في جزيرة قرب البصرة (في بدايتي) أى أول سلو كى (فاذا أنا برجل أعشى مجذوم قد صرع) على الارض (والنمل

ياكل لجه فرفعت رأسه) من الارض شفقة عليه (فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام) وادعوله (فلما أفاق)

من غشيته (قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى) ثم رجع الى ربه وقال (لوقطعتى ارباربا) أى

قطعة قطعة (ما زددت له الاحبا قال بشر فزاريت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانهكرتمها) ولفظ القوت وحدوثنا

عن بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطع البلى وقد سالت حد فتد على حده وهو فى ذلك

كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل قال واذا هو قد صرع عن جنة قال فوضعت رأسه في حجرى وجعلت

أسأل الله كشف ما به وادعوله فافاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى ويعترض

عليه في نعمه على ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعتراض على عبدى في نعمة أراها عليهم من البلاء وقال أبو محمد

السراج فى مصارع العشاق حدثنا أحمد بن على بن ثابت حدثنا عبد الرحمن بن فضالة أخبرنا محمد بن عبد الله بن

شافان سمعت طيبا الحملى بالبصرة يقول سمعت على بن سعيد العطار يقول مررت بعبادان بمكفوف مجذوم واذا

الزنبور يقع عليه فيقطع لجه فقلت الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه به وفخ من عيني ما أغلق من عينه قال فيينا أنا

أردد الحمد اذ صرع فيينا هو يتخطب فنظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فاستتممت

كلامي حتى صاح يا مكاف ما دخولك فيما بينى وبين ربى دعه يعمل بى ماشاء ثم قال وعزتك وجلالك لوقطعتى

ارباربا أو صبيت على العذاب صبا ما زددت لك الاحبا (وقال أبو عمر ومحمد بن الاشعث) السكونى وهو شيخ

لابن عدى قدامهم كذا ذكره الذهبى فى الدوان وامحمد بن الاشعث الكندى فتابعى ثقة ويكنى أبا القاسم

(ان اهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام) وذلك حين

أصابهم القحط سبع سنوات متواليات (كانوا اذا جاعوا وانظر والى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم

الجوع بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة) زوجة الحاجب والساقى والحبار والسجان وصاحب

الدواب (أيدى بن) بالسكاكين (لاستهترهن بملاحظة جماله حتى) دهشن و (ما أحسن بذلك) الجراح

(وقال سعيد بن يحيى) الكوفى العابد روى عنه ابنه أحمد (رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسالم) موضع

معروف هناك (شباب فى يده مديدة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى
فني لبعض الملوك يحب عنه يوما واحدا يروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت ألت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب يا وصول
و يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله (٦٥٨) تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد

خشينا على هذا الشيخ
ان حدث بهذا الغلام
حدث فأتى الغلام فخرج
ابن عمر في جنازته وما
رجل أشد سرورا أبدا
منه فقيل له في ذلك فقال
ابن عمر انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله
رضينا به وقال مسروق
كان رجل بالبادية له
كلب وجمار وديك
فأليك يوقظهم للصلاة
والجمار ينقلون عليه
الماء ويحمل لهم
خباءهم والكلب
يجرهم قال فجاء الثعلب
فأخذ الديك فخرنوله
وكان الرجل صالحا فقال
عسى أن يكون خيرا ثم
جاء ذئب فخرق بطن
الجمار فقتله فخرنوله
فقال الرجل عسى أن
يكون خيرا ثم أصيب
الكلب بعد ذلك فقال
عسى أن يكون خيرا
ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا
فاذا قد سبي من حولهم
وبقوا هم قال وانما
أخذوا أولئك لما كان
عندهم من أصوات
الكلاب والجر والديكة
فكانت الخيرة لهؤلاء في

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فني لبعض الملوك يحب عنه يوما
واحدا) رواه أبو محمد السراج في كتاب مصارع العشاق (ويروى) في بعض الاخبار (ان يونس) النبي
(قال لجبريل عليه السلام دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب
ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب
يا وصول و يروى عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه) وقلق
(حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث) أى أمر حادث من الموت) فأتى
الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجلا) في القوم (أشد سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله رضينا به) وهذا هو الرضا بعد القضاء الذي جاء ذكره في الخبر المتقدم (وقال مسروق)
ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبوعائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٣ (كان رجل
بالبادية له كلب وجمار وديك فأليك) كان (يوقظهم للصلاة والجمار) كانوا (ينقلون عليه الماء ويحمل لهم
خباءهم والكلب) كان (يجرهم) من بغية العدو قال (فجاء الثعلب فأخذ الديك فخرنوله وكان الرجل
صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الجمار فقتله فخرنوله عليه فقال الرجل عسى ان يكون
خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم)
من العرب (وبقوا هم قال وانما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والجر والديكة فكانت الخيرة
لهؤلاء في هؤلاء هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى) واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الرضاع عن سعيد بن المسيب
قال لقمان لابنه يا بني لا يترن بك أمر رضىته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك فخرج على جمار
وابنه على جمار وترود اللقاء نبي قد بعث فسار أيا ما وقد استقبلتهم مفازة فسار فيها ما شاء الله حتى ظهر اوقد
تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الزاد واستبطأ حمارهما فنزلا فغلا يشدان على سوطهما فبينما هما كذلك اذ نظر
لقمان أمامه فاذا هو يسود ودخان فقال في نفسه السواد والشجر والدخان العمران فيبينهما كما كذلك اذ وطئ
ابن لقمان على عظم فأنى على الطريق فخرم غشيا عليه فوثب اليه لقمان وضمه الى صدره وقال لعلى هذا خير لي
واستخرج العظم باسنانه فذرفت عيناه فقال يا أبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لي وقد نفذ الطعام والماء
وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وان أقيمت معي متناجيا فقال يا بني اما
بكأنى فرقة الوالدين واما ما قلت فكيف يكون هذا خير الى فعل ما صرته عنك أعظم مما تبليت فيه ولعل ما تبليت
به أيسر مما صرف عنك ثم نظر امامه فلم يرد ذلك الدخان والسواد واذا شخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض
حتى اذا كان قريبا منه توارى عنه ثم صاح انت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك قال من أنت قال أنا جبريل
أمرني ربى بحسف هذه المدينة وأخبرت انك تريد انما فادعوت ربى ان يحسبك كما يشاء فحيثما كنت كما ابتلي به
ابنك ولولا ذلك لحسف بك معهم ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ورجل بهما الى موضعهما
كما يرسل الطير (فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروى) في الاسرائيليات (ان
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول
الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاء أراه مصروفا عنك فقال

هلاك هذا الحيوان كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروى أن
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به
كبيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاء أراه مصروفا عنك فقال

ياروح الله أناخير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) يده فاذا هو احسن الناس وجها

وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعد معه وقطع عروة بن الزبير رجلاه من ركبته من اكلته خرجت بها ثم ركبته من اكلته خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة واعك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقير والغني مطيتان ما أبالي أيتهما ركبته ان كان الفقير فان فيه الصبر وان كان الغني فان فيه البذل وقال اوسليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فإلى منه الامشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارفي آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلت لو جعلني جسر على جهنم يعبر الخلائق على إلى الجنة ثم ملائي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليفته لاجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرقهم حتى منعه الاحساس بال النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته

ياروح الله أناخير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) فابراه الله مما كان به (فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به) ببركة رضاه عن ربه (فصحب عيسى) عليه السلام مدة (وتعبد معه وقطع) أبو عبد الله (عروة بن الزبير) بن العوام القرشي الاسدي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة (رجله من ركبته من أكلة خرجت بها) وكان قد خرج إلى الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله الا اكلته فقطعها وسقط ابن له عن ظهر بيت مشرف على موضع خيل الوليد فوق تحت أرجل الدواب فوطئته (ثم قال) وقد أثار رجل بعزبه ولم يدربا بته وقال له ان ابنك قطعته الدواب (الحمد لله الذي أخذ مني واحدة واعك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت فقد عافيت) وقال لقد اقيمتان سفرنا هذا انصبا هكذا رواه هشام بن عروة ومن طريق آخر لما أصيب برجله وبأبنته محمد قال اللهم كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت ستة وكن أربعا فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثة واعك لئن كنت أخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وعن هشام أيضا قال وقعت الاكلة في رجله فقيل الاندعو لك طبيبا قال ان شئتم فإني اطيب فقال اسقيل شرابا يزول فيه عقلك فقال امض لشأنك ما ظننت ان خلعا يشرب شرابا يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه قال فوضع الميشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فمأسه هناله حسا فلما قطعها جعل يقول لئن أخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت (ثم لم يدع ورده) من القراءة (تلك الليلة) وكان ورده ربع القرآن كل يوم نظرا من المحصف ويقوم به الليل وذكر الزبير بن بكار ان عيسى بن طلحة جاء إلى عروة حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطع برجله فقال لبعض بنيته اكشف لعمرك عن رجلي ينظر اليها فظفر فقال عيسى يا أبا عبد الله ما أعددت لك للصراع ولا السباق ولقد أبقي الله عز وجل لنا مكانا يحتاج اليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد على رجلي مثلك (وكان ابن مسعود) رضى الله عنه (يقول الفقير والغني مطيتان ما أبالي أيتهما ركبته ان كان الفقير فان فيه الصبر وان كان الغني فان فيه البذل) رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا عمر بن حفص حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي حدثنا علي بن بزيمة عن قيس بن جابر عن عبد الله قال الاحبذا المكر وهان الموت والفقروايم الله ان هو الا الغني والفقير وما أبالي بأيهما ابتليت ان كان الغني ان فيه للعطف وان كان الفقير ان فيه للصبر (وقال اوسليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فإلى منه الامثال الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقال بعض العارفين وساقه وقال في موضع آخر ومن الناس من كان يقدم سليمان بن أبي سليمان الداراني على أبيه وكان عارفا فقام من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد ومن رضى عن الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا فانما قال هذا كالدرا على أبيه لما قال ثلاث مقامات لاحد لها الورع والزهد والرضا اه وقد تقدم في كتاب الزهد عن أبي سليمان نحو هذا انه ليس له منه الامشام الريح وتقدم الكلام هناك (وقيل لعارفي آخر) فوجه (هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام) من (الرضا قد نلت لو جعلني جسر على جهنم يعبر الخلائق على إلى الجنة ثم ملائي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليفته لاجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه) نقله صاحب القوت واراد بقوله تحلة لقسمه ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وان منكم الاواردها كان على ركب حتما مضميا وقد روي هذا القول بوجه آخر قال القشيري سمعت السلي يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابن أبي حسان الانماطى يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول ارجو ان أكون عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلني النار لكنت به راضيا انتهى (وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرقهم حتى منعه الاحساس بالنار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشهاده حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

في استشهاده حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري [قلت لابي عبد الله بن الجلاء الماشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا إن كان هذا من طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف وان (٦٦٠) كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فأعرف قال ثم غشى عليه وقد كان عمر ابن

الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نزل في سري من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تملك فإن أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان ينفعك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسببها وتسلم على فاسمع تسليما فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساطننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا الأظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة طفر * ولما قدم سعد بن أبي وقاص (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال (الروذباري) بغدادى أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ صاحب الجنييد والنورى وابن الجلاء والطبقة (قلت لابي عبد الله) أحمد بن يحيى (بن الجلاء) (البغدادى الاصل) (الدهشقي) الاقامة صاحب أبا تراب الخشبي وذا النون وأبا عبيد اليسرى وأبا يحيى الجلاء (قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا إن كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فأعرف وان كان من طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف قال ثم غشى عليه) نقله صاحب القوت (وقد كان عمر ابن الحصين) (قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة) (سليما) (لا يقوم ولا يقعد وقد نزل في سري من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته) غاظه ووله (فدخل عليه مطرف) ابن عبد الله بن الشيخير العامري الحرشي البصري أبو عبد الله من ثقات التابعين وعبيداهم روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين (وأخوه العلاء) كذا في النسخ وفي القوت وأخوه أبو العلاء والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبد الله بن الشيخير العامري البصري مات سنة إحدى عشرة ومائة ومولده في خلافة عمر روى له الجماعة (فجعل) أي مطرف وأخوه (يبكي لما يرى من حاله فقال) عمر ان (لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحال العظيمة قال لا تملك فإن أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان ينفعك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسببها وتسلم على فاسمع تسليما فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة) وما فيه مثل هذه الآية انما هو كرامتورحة وذلك ان بلاء العقوبات لا تكون معه الا آيات ولانه قد كان حزن عليه فاراد ان يسره (فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة) هكذا في النسخ بفتح الميم وسكون المثناة وعين مهملة وفي بعض النسخ سويد بن شعبة وهو تصحيف (نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساطننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحراقيف) أي عظام الجنين (وأصبحت نضوا) أي هزى يلامثل الثوب الخلق (لا أظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما) مضت عليه (وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة طفر) نقله صاحب القوت وهذا مقام الراضى بما أبلاه ربه قال صاحب القوت واعتل حذيفة رضى الله عنه علة الموت فجعل يقول اخنقني خناقك فوعزتلك انك تعلم اني أحبك فلما حضرو الموت جعل يقول جيب جاعلى فافقلا فافق من ندم قال وروى أيضا مثل هذا عن أبي هريرة وأشدوا يا حبيبيا بذكره يتسواى * وصفوه لسلك داء حبيب من أراد الطبيب سرى اذا أع * قل اشتياقا الى لقاء الطبيب من أراد الحبيب سار اليه * وجفا لاهل دونه والقريب ليس داء المحب داء مداوى * انما برده لقاء الحبيب *

(ولما قدم سعد بن أبي وقاص) رضى الله عنه (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

انه قال اني اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العباداة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان لبيته لم يكن وقال بعض السلف لو مرض جسمي بالمقار يضرك لكان أحب الي من أن أقول لشيء قضاء الله بجهنم لبيته لم يقضه وقيل بعد الواحد بن زياره هذا رجل قد بعدت حسنين سنة فقصده فقال له يا حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال أنسبت به قال لا قال هل رضيت عنه قال لا قال فما مضى يدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال ولأني استحيي منك لاخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مذخولة به عنه بانك لم يرفع لك باب القلب فسترتقي الى درجات القرب باعمال لقلب وانما أنت تعد طبقات أصحاب اليمين من يدك منه في أعمال الجوارح التي هي مريد أهل العموم ودخل

(وقال بعض عباده أهل الشام) وعلمائهم وهو أبو يحيى بزوجه الله تعالى كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل فان كان قد فسر هافا لم يكشف معناها الفهم السامعين منه الحاضرين عنده فيحتاج تفسيرها الى تفسير حتى عنه انه قال (كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا واولعه قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب نطل يشير بها ولو كان بها مثل) أى عيب ونقص (نطل نوارها يعنى بذلك ان

جاءة من الناس على الشبلى رحمه الله تعالى في ما رستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا نحملوك فاقبل عليهم ورمهم بالحجارة فنهروا فقال ما بالكم ادعيتهم بحبتي ان صدقتهم فاصبروا على بلائي وللشبلى رحمه الله تعالى ان المحبة للرجن أسكرني *

وهذه رأيت محبا غير سكران وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصداقوا لعله قد كذبه وذلك ان أخذكم لو كان له أصبح من ذهب ظل بشيرهم اولو كان بهما مثل ظل لوارهم ايعني بذلك ان

الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه * وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل
للسرى احترق السوق وما احترق ذلك قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الخانوت بقيمة
عمرة توبة واستغفار من قوله (٦٦٢) الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام

عظيم من مقامات أهل
الدين ومهما كان ذلك
ممكنا في حب الخلق
وحظوظهم كان ممكنا
في حق حب الله تعالى
وحظوظ الآخرة قطعا
وامكانه من وجهين
أحدهما الرضا بالآلام
لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد
والجمامة وشرب الدواء
انتظارا للشفاء والثاني
الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب
ورضاه فقد يغاب الحب
بحيث ينغمر مراد
الحب في مراد المحبوب
فيكون ألد الأشياء عنده
سرور قلب محبوبه
ورضاه ونفوذ ارادته
ولو في هلاك روحه كما قيل
فما الجرح اذا أرضاكم
ألم * وهذا يمكن مع
الاحساس بالآلام وقد
يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الآلام
فالقياص والتجربة
والمشاهدة دالة على
وجوده فلا ينبغي أن
ينكره من فقد من
نفسه لانه انما يفقد
لفقد سببه وهو فرط حبه

الذهب) زينة الدنيا وهو (مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة الآخرة وهم يستنكفون
منه) أي فانت اذا أعطاك زينة الدنيا التي ذمها عندك أظهرت سننها وغرت بها واذا أعطاك زينة الآخرة
التي مدحها عندك وهو المصائب والبلايا والفقر تكذيبا لله تعالى ورداعا به ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي
الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء وتكذيبا لله تعالى ورداعا به ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي
الخلق ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعم الله تعالى فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا
كذا في القوت (وقيل انه وقع الحريق في السوق) بيغداد (فقيل للسرى) السقطي رحمه الله تعالى وكان له
دكان في ذلك السوق يتجر فيه فخرج في قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن (احترق السوق) واحترقت
دكاكين الناس (وما احترق ذلك) وسلم (فقال الحمد لله ثم) تفكرو (قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي)
أي سلامة مالي (دون المسلمين) لانها كملت رضا ظهرت منه في مكان الاسترجاع للمصيبة (فتاب من التجارة)
وتصدق بجميع ما في دكانه من السفط والآلة (وترك الخانوت بقيمة عمرة توبة) الى الله وكفارة (واستغفارا
من قوله الحمد لله) فشكر الله فعله فزهد في الدنيا ورفع الى مقام المحبة فواصله بذلك الرضا الى الرضا قال صاحب
القوت وبلغني انه كان يقول قلت كلمة فانا أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة يعني قوله الحمد لله وفي الخبر
من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين (فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى
ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان
ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالآلام لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد والجمامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء) والراحة (والثاني الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب ورضاه فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحبوب في مراد المحبوب فيكون ألد الأشياء
عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل

* فالجرح اذا أرضاكم ألم * وهذا يمكن مع الاحساس بالآلام) الحاصل في الحال (وقد يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الآلام فالقياص والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقد من نفسه
لانه انما يفقد لفقد سببه وهو فرط حبه * ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف عجائبه) كما قيل

ولو يذوق عاذلي صابقي * صابمعي لكنه ماذا قها

(فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي) منسوب الى الرافقة مدينة بجانب
الرقبة بناها المنصور وأتمها المهدي ونزلها الرشيد وهي الآن تعرف بالرقبة (قال كنت في مجلس بالرقبة عند
صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب) أي العود (وغنت)
البيتين (علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى
فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة
وأطبق فيه ونغض عينيه فركاه فاذا هو ميت) وأخرج أبو محمد السراج في مصارع العشاق من طريق أبي
الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفي قال رأيت ببغداد صوفيا حاضرا عند جارية بالكركخ تقول بالغضب

ومن لم يذوق طعم الحب لم يعرف عجائبه فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه * وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي قال
كنت في مجلس بالرقبة عند صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى * على العاشقين البكي ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن
أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه ونغض عينيه فركاه فاذا هو ميت

وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا قلت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا * وقال سمعون الحب كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية بفلس الرجل (٦٦٣) ليصلح لها حبسا فيبنيها هو يحرك القدر

اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هـ ذا مكان قولك آه * وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا فلهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولي لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدون ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

يأبديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا أنت ساكنه غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتي الناس بالهج فتواجد وصالح ودق صدره الى ان اغشى عليه فسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا وذلك في سنة ٣٩٠ وحدث العتيبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه قال وليت صدقات بني عذرة قال فدفعنا الى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فاذا رجل لم يبق منه الا رأسه فقلت ما بك فقال كان قطاة علفت بجناحها * على كبدي من شدة الخفتان جعلت لعراف اليمامة حكما * وعراف نجدان هما شفياني ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ثم خدفاذا هو قد مات فاصلح من شأنه وصليت عليه فقبل لي أندري من هذا هذا عروة بن حوام (وقال الجنيد) قدس سره (رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو) أي الرجل (يتضرع اليه) ويتذلل له (ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال) الرجل (قد علم الله اني صادق فيما اورده) من المحبة (حتى لو قلت لي مت) يا فلان (لمت فقال ان كنت صادقا) فيمات يقول (فمت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا وقال سمعون) بن جرة البغدادي (الحب) رجه الله تعالى (كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية أي مرضت بفلس الرجل ليصلح لها حبسا) وهو تمر ينزع فواه ويدق مع أقط ويحجن بالسنن ثم يذلل باليد حتى يبقى كالثر يدور بما جعل معه السويق (فيينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه) ولم يحس بها (فقالت الجارية ما هذا قال هـ ذا موضع قولك آه وحكى عن) أبي جعفر (محمد بن عبد الله) بن المبارك المحمري (البغدادي) نقه حافظ مات سنة بضع وخسين روى له البخاري وأبو داود والنسائي (قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا * لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا) ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ان شابا أشرف على الناس في يوم عيد وقال من مات عشقا فليت وألقى نفسه من سطح عال فرفع ميتا (فهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولي لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدون ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب) والله الموفق * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا) * ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في ازالته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض الباطنيين المغترين (من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين) وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا منه (جهل بالتأويل) والتفصيل واتباع لما تشابه من التزويل (وغفلة عن أسرار الشرع) وبطلان قول هذا أوضح من ان يدل على فساده كما تقدم قريبا (فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلنا في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاما الدعاء فقد أعبدناه
 وكثرة دعوات رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 وسائر الانبياء عليهم
 السلام على ما نقلناه في
 كتاب الدعوات يدل عليه
 ولقد كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في
 اعلى المقامات من الرضا
 وقد اثني الله تعالى على
 بعض عبادته بقوله يدعوننا
 رغباً ورهباً واماناً كآ
 المعاصي وكرهتها وعدم
 الرضا بها فقد تعبد الله
 به عبادته وذمهم على
 الرضا به فقال ورضا
 بالحياة الدنيا واظمأنا
 وقال تعالى رضا بان
 يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم
 وفي الخبر المشهور من
 شهد منكر افرضى به
 فكأنه قد فعله وفي
 الحديث الدال على الشر
 كفاعله وعن ابن مسعود
 ان العبد ليغيب عن
 المنكر ويكون عليه
 مثل وزر صاحبه قبل
 وكيف ذلك قال يبلغه
 فيرضى به وفي الخبر لو أن
 عبداً قتل بالمشرك ورضى
 بقتله آخراً بالمغرب كان
 شركاً في قتله وقد أمر
 الله تعالى بالحسد
 والمنافسة في الخيرات
 وتوفى الشرور فقال تعالى
 وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون

وسلم في أعلى المقامات من الرضا ولقد اثني الله تعالى على بعض عبادته بقوله يدعوننا رغباً ورهباً وقال صاحب
 القوت ولا ينقص الراضي من مقام الرضا عن مسألة مولاهم زيد الآخرة وملاح دنياه تعبد الله بذلك افتقار اليه
 في كل شيء لأن في ذلك رضاه ومقتضى تحديه بمسألة الخلائق فان صرف مسأله الى طلب النصيب من المولى
 وابتغاء القرب حبالة وأثرة على ما سواه كان فاضلاً في ذلك لانه قد دخل قلبه اليه وجع همه بذلك وهذا مقام
 المحر بين وهو على قدر مشاهدته الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله
 كما يسأل عن جله أعماله بعلمه مدته عمره فهذا أصل فاعرفه فعليه عمل العاملون وهو طريق العارفين من السلف
 فلم يضرهم عندهم خلاف من خالف وان كان دعاؤه تمجيد السبيد وثناء عليه شغلاً بذكره ونسياناً للغيره ولها
 بحبه لانه يستوجب ذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عمله فهذا أفضل وهو مقام
 المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه في مقتضى حاله بالعمل فعلمه في وقته (وأما انكار
 المعاصي وكرهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عبادته وذمهم على الرضا به فقال ورضا بالحياة الدنيا
 واظمأنا) فذمهم على رضاهم بالدنيا بالمعاصي وبالتخلف عن السوابق وقال ولتصغي اليه أئمة الذين
 لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون فعابهم بذلك (وقال تعالى رضا بان يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم) يعني مع الناس في القعود عن القيام بالجهد وهو جع التأنيت في رضى بالمعاصي
 والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها والى ونصر عنها أو ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى
 عليه بالرضا وأنه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت (وفي الخبر
 المشهور من شهد منكر افرضى به فكأنما قد فعله) كذا في القوت وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف والنهي
 أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما من شهد منكر افكره كان كمن غاب عنه ومن غاب عن
 أمر فرضى به كان كمن شهد (وفي الحديث الدال على الخير كفاعله) رواه الامام أبو حنيفة عن علقمة بن
 مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً ومن طر يقهر واه العسكرى في الامثال ورواه البراء من حديث
 أنس ورواه ابن منيع من حديث ابن عباس بزيادة في أوله وآخره وقد تقدم في كتاب العلم ووجد في بعض نسخ
 الكتاب الدال على الشر كفاعله وهكذا هو في القوت أيضاً وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث
 أنس باسناد ضعيف جداً (وعن ابن مسعود) رضى الله عنه (ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر
 صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به) نقلاً صاحب القوت (وفي الخبر لو ان عبداً قتل بالمشرك ورضى بقتله
 آخراً بالمغرب كان شركاً في قتله) كذا في القوت قال العراقي لم أجده أصلاً بهذا اللفظ ولا بن عدي من حديث
 أبي هريرة من حضر معصية فكرها فأكفأ غاب عنها ومن غاب عنها أو اجها فكأنما حضرها وتقدم في كتاب
 الامر بالمعروف انتهى قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الامر بالمعروف والنهي وضعفه (وقد أمر الله تعالى
 بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوفى الشرور فقال تعالى) سابقوا الى مغفرة من ربكم (قال وفي ذلك فليتنافس
 المتنافسون) وقال يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون فتدب الى المسارعة والسباق وذم التخلف عنها بما
 حبس وعاق فعلى هذا طريق المؤمنين وفيها مقامات الموقنين وروى من طريق مرسل عن النبي صلى الله عليه
 وسلم من نظر الى من فوقه في الدين والى من دونه في الدنيا كتب الله صابراً شاكراً ومن نظر الى من دونه في الدين
 ومن فوقه في الدنيا لم يكتب الله لاصبر ولا شاكراً قال صاحب القوت فقيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد
 وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها لانه لا يتخلو أن يرى بعينه أو بقلبه عن معرفة بسيرة المتقدمين فيرى من فوقه
 في باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه فيكون صابراً شاكراً بمعرفة ما تنفع به ورضى وباختياره
 صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يتخلو أن يرى من فوقه في أمر الدين من العاملين
 والعالمين والزاهدين فيسارع الى ذلك ويسابق فيه اذ قد تدب الى ذلك فيكون حبالة وحضاً على افتعال
 الخيرات واعمال الصالحات وأقل ما يفيد ذلك الازراء على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الامرين

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد في اثنين رجل اتاه الله حكمته فهو يبينها في الناس (٦٦٥) ويعلمها ورجل اتاه الله مالا فسلطه

على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بعض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الإعراف والنهي عن المنكر فلا نعيد

الاخيرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه في أمر الدين من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صونه ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجسد أيضاً في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والرائعين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضاً صابراً شاكراً فيكون العبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله له من التبصرة والاعتبار (و) يشهد لما ذكرناه ما (قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمته فهو يبينها في الناس ويعلمها ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان ومسلم من طريق ابن نمير ومحمد بن بشر ثلاثتهم عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه ورواه النسائي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد ولفظهم جميعاً لاحسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله حكمته فهو يقضي بها ويعلمها وقد تقدم في كتاب العلم (وفي لفظ آخر) لاحسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه آتاء الليل وآتاء النهار (ورجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاء الليل وآتاء النهار) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً لكن بتقديم الشطر الثاني على الاول زاد صاحب القوت (فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل) فندب صلى الله عليه وسلم الى الحسد في أعمال البر وفضل الحسد على ذلك لان الله تعالى ندب الى التنافس في أعمال الخير فن حسد في هذه الثلاث ونحوها للغبطة بها والطلب لها لم يخرج منه ذلك من الرضا وكان له مزيد بعد أن لا يحب زوالها من أهلها ولا ينقصهم منها ولا أن لا يذكروا ولا يحبها هو أيضاً ليدكر كذا ذكرنا وادعج كما مدحوا فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شيء آفة ومن وقع فيها خسراناً خبيره لانه أسلم ولا فضل الا بعد حوز السلامة (وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منكم (وقال تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) (وقال تعالى) في مثله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) ثم قال ومن يتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما نولي ونصله جهنم فبغض المبتدع والفاجر والظالم المعتدي وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين (وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن) ولفظ القوت وقدر وينا في خبر ان الله أخذ على كل مؤمن من الميثاق والباقي - واهو قال العراقي لم أجده أصلاً (وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) وله ما احتسب رواه الترمذي من طريق أشعث عن الحسن عن أنس وقد تقدم والشطر الاول متفق عليه من حديث شعبة عن قتادة عن أنس ومن حديث الأعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما ووالاهم حشر في زمنهم وفي لفظه بزيادة يوم القيامة وفي طريقه اسمعيل بن يحيى التيمي ضعيف انتهى قلت وفي بعض نسخ الكامل لابن عدي على أعمالهم بدل ووالاهم وقال الذهبي في الديوان اسمعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ ابن المبارك متروك هالك (وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شبة والبيهقي من حديث البراء بلفظ ان أوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله (وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الاسرار بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيد) وقال

فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجهه ويرضى به من وجهه اذ قد عوت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

صاحب القوت بعد ان ذكر حديثاً وثق عري الايمان ما لفظه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كالا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد الايمان بروح منه بعد كتبه في القلوب برحمته وفي الحب في الله الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والقول وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمناذرة بالمباينة ولاجل ذلك صارت الموالاة لا ولياء الله والمعاداة لا عدايته من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتحالف مولاك لتسليط العدو وغلبة هؤلاء الأتاك تبغض العصاة ولا تواليهم على المعاصي ولا تحبهم من أجلهم من قبل ان العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على المراقبة والمحافة منك ولم يسلط أيضاً عليك في استحلال المحارم واستحسانها ولا التزين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقتراحها فان سلط على مثل هذا منك العدو وحتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما يرتكبون من الحرام أو ترضى به أو تدن به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل لان هذه العقود مربطة بعري الايمان وهي وهو في قرن واحد مقرونان فهذان كثر البكائر التي تنحل عقد الايمان معها وتنتقض عراها به من قبل ان الموالاة والمحبة لا عدا الله تعمل في أصل الدين وتجوذب اليقين فلا تبقى منه نوراً لانه ليس من عصي امامه فيما أمره مثل من قلب دولته وخروج عليه بالسيف وليس من وافق هوى نفسه فيما به نهى الله مثل من وافق ما وفق الله فيما كتب وأرسل فنبذ كتبه ورديده في أفواه الرسل مسكافان تكن مقامات هؤلاء الظالمين والفساقين توجب عليهم الرضا باحوالهم أو الشكر عليها فرفضوا وشكروا الزهم أيضاً أن يصبروا ويشتبوا على ما شكروا عليه ورفضوا به فيصير ذلك مقاماً لهم في الشكر والرضا عند القائل بهم واهم ووجبت عليه أيضاً لهم أن يحبهم عليها بوالهم فاذا وجب عليه ذلك لزمه أن يعينهم عليها يا مريضهم وفي هذا تكذيب الكتب كلها ورد الرسل كلهم نعوذ بالله من رضا لا ينفع ومن حب لا ينفع كأن عودته من عمل لا ينفع ومن علم لا ينفع ثم ذكر الاخبار المتقدمه فقلادرو ويتأعن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهم ما دخل لفظ أحدهما في الآخر لوان عبد الصنفين بين قدميه عند الركن والمقام بعد الله عز وجل عمره يصوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل وليس في قلبه محبة وموالاة ولا ولياء الله ولا بغض ولا معاداة لا عداً لمنا نفعه ذلك شيئاً وقد جاء نحوه وبعناه عن عمر وغيره ان أحدهم ليشيب في الاسلام ولم يوال في الله تعالى ولم يعاد فيه عدواً وذلك نقص كبير وفي معنى قوله أوثق عرى الايمان الخ وجهه خفي هو ان يحبك المؤمنون ويغضك المنافقون فتكون ذلك علامة وثيقة عروء ايمانك لان قوله الحب في الله يصلح ان تحب أنت ويصلح ان يحبك المؤمنون وكذلك البغض في الله يصلح ان يغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكذلك تحب الى المؤمنين حتى يحبوك وتبغض الى المنافقين حتى يبغضوك بالتباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبضلك اياهم فبدل ذلك على قوة ايمانك لانك لم تأخذك في الله لومة لائم منهم كما وصف بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعدك من المداينة والنفاق وأقرب الى الصدق والاخلاص والورع فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتولك فتظفر بما تريد وتترك ما تحب داخل عليك بوصفهم فهذا على معنى قوله عز وجل أشد اعلى الكفار رجاء بينهم أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين (فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى) وانه مطلوب (فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم) العاجزين عن فهمها (وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق) وليس منه (وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجهه ويرضى به من وجهه اذ قد عوت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعل فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبirk في ايداع هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأى أنك وتدبirk وفعلا وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان (٦٦٧) من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك

بشتمه ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبirk الذي يدبرته فانا راض به ولولم يحصل لك ان كان ذلك نقصانا في تدبirk وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوان مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك اذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث انه وصف له لامن حيث هو مرادك ومقتضى تدبirk وأما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحبه له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضك فاني أراضه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلط عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأما مقتته اياك وبغضه ومقتته لك أيضا مكرهه عندي من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضي ومن حيث انه مرادك مكره فاما اذا كان مكره والامن حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا الاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكرهه من وجه ويرضيه من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى على الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الى الشتم الى الغضب والغضب الى الشتم

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعل فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبirk في ايداع هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأى أنك وتدبirk وفعلا وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبirk الذي يدبرته فانا راض به ولولم يحصل لك ان كان ذلك نقصانا في تدبirk وتعويقا في مرادك وأنا كاره لفوان مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك اذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث انه وصف له لامن حيث هو مرادك ومقتضى تدبirk وأما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحبه له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضك فاني أراضه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلط عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأما مقتته اياك وبغضه ومقتته لك أيضا مكرهه عندي من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضي ومن حيث انه مرادك مكره فاما اذا كان مكره والامن حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا الاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكرهه من وجه ويرضيه من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى على الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الى الشتم الى الغضب والغضب الى الشتم

مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضك فاني أراضه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلط عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأما مقتته لك أيضا مكرهه عندي من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضي ومن حيث انه مرادك مكره فاما اذا كان مكره والامن حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا الاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكرهه من وجه ويرضيه من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى على الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الى الشتم الى الغضب والغضب الى الشتم

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت (٦٦٨) من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته

ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطر ودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضي به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطر ودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضي به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

فالاولى السكون والتأديب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة الرضا وغرضنا الا أن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انهم من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السرفيه

وهم هذا يعرف أيضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعالى
 العباد بالدعاء يستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر
 مزاييا اللطف كما أن جل الكور وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب
 رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا ان التمسك (٦٦٩) بالاسباب جريا على سنة الله تعالى

لا يناقض التوكل
 واستقصائه في كتاب
 التوكل فهو أيضا لا
 يناقض الرضا لان الرضا
 مقام ملاصق للتوكل
 ويتصل به نعم اظهار
 البلاء في معرض الشكوى
 وانكاره بالقلب على
 الله تعالى مناقض للرضا
 واظهار البلاء على سبيل
 الشكر والكشف عن
 قدرة الله تعالى لا يناقض
 وقد قال بعض السلف
 من حسن الرضا بقضاء
 الله تعالى أن لا يقول
 هذا يوم حار أي في
 معرض الشكاية وذلك
 في الصيف فاما في الشتاء
 فهو شكر والشكوى
 تناقض الرضا بكل حال
 وذم الاطعمة وعيها
 يناقض الرضا بقضاء الله
 تعالى لان مذمة الصنعة
 مذمة لاصانع والكل من
 صنع الله تعالى وقول
 القائل الفقر بلاء ومحنة
 والعيال هم وتعب
 والاحتراف كدومشقة
 كل ذلك قاذح في الرضا بل

الرضا والسخط محالان في حق الله تعالى انتهى (وهم هذا تعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي
 وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليس يخرج
 الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا
 لتواتر مزاييا اللطف كما أن جل الكور وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء
 طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا
 أن التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل وقد استقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض
 الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به) وهذا عذر من جعل الرضا من لواحق التوكل وحال من
 احواله ولم يعبه خاصا كما تقدم الكلام عليه (نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله
 تعالى مناقض للرضا) ولذلك قال أبو علي الدقاق ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء انما الرضا أن لا تعترض على
 الحكم والقضاء (واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض) ولفظ القوت
 والتحدث بالاجماع والاختيار عن المصائب لا ينقص حال الراضي اذا رآها نعمة من الله عليه موثقا لله عليها
 وكان القلب مسلما غير متسخط ولا متبرم بمعرض القضاء (وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله
 تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في أيام الصيف فاما في الشتاء فهو شكر
 والشكوى تناقض الرضا وذم الاطعمة وعيها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة لاصانع
 والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كدومشقة كل ذلك قاذح
 في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير بآدبه والمملكة لما لكهاو يقول ما قال عمر رضي الله عنه لا بألى أصبحت
 غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي) ولفظ القوت ومن الرضا عند أهل الرضا أن لا يقول العبد هذا يوم
 شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا العيال هم وتعب ولا الاحتراف كدومشقة ولا
 يعقد قلبه من ذلك مالا يفوقه به بل يرضى بالقلب ويسلم ويسكن القلب ويستسلم بوجود حلاوة التدبير
 واستغسانه بحكم التقدير وروينا عن عمر رضي الله عنه قال ما بألى على أي حال أصبحت من شدة أو رخاء اه
 وقال السكال الصوفي في المقاصد ومن عاب صورة من الصور أو طعم ما من الاطعمة أو تبرم بحر أو يبرد أو أنكر
 بقلبه أو اسائه ما يصب الله على عباده من المحن والبلايا والزياد ووجه أنواع ما خسر الله به العباد من الامر
 والنهي وما يقع في الآخرة من الثواب والعقوبات بطل رضاه ووجبت عليه التوبة والله الموفق
 *) (بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا) *

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان الضعيف) القاصر النظر (قد يظن ان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الخروج من بلد يظهر به الطاعون) كما تقدم ذلك في الاخبار الواردة فيه (يدل على النهي عن الخروج من بلد
 ظهرت فيه المعاصي) ونشت (لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله) وهو مذموم منهى عنه (وذلك بحال
 بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون) منه (انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقى
 فيه المرضى مهملين لا متعهدين لهم) في غرضهم (فيها يكون هزا الاوضرا) ولا يوجد من يجهرهم بعد موتهم

ينبغي أن يسلم التدبير بآدبه والمملكة لما لكهاو يقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا بألى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي
 *) (بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا) * اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن الخروج من بلد يظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله
 تعالى وذلك بحال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقى فيه المرضى مهملين لا
 متعهدين لهم فيها يكون هزا الاوضرا

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن ابن قارب

البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واطهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً شر من بغداد قبل وكيف قال هو بلدت زدرى فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قبله كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطي اغضب ان تاجر الهقان أو قارئ حيران ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف) تشديداً في أمره وزجراً في ذلك واستدل به من ذهب الى ان النهي فيه نهى تحريم كإهم مذهب الشافعي وقد تقدم ذلك في كتاب التوكل وذكرنا هناك ان تلك العلة التي أبدعها المصنف قد سبقه فيها الامام أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار (ولو كان ذلك للفرار من القضاء) كما يفهم بظاهره (لما أذن ابن قارب البلدة في الانصراف) والرجوع (وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل) فارجع اليه (واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي بها مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه) ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه لما أمر الناس بالانصراف عن الشام وقد قاله بعضهم أتفر من قضاء الله فقال نعم نفر من قضاء الله الى قضاء الله (وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذمومة) وقال السكال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثرة فيه الفساد خوفاً من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضاً اذا فرغ من قضاء الله تعالى (فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم) دار السلام (بغداد) وهي المدينة المشهورة بالعراق بناها أبو جعفر المنصور وفيها الغلات أشهرها بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المحممة ودالين مهملتين ثم بغداد بالنون بدل الدال وروى بدل في آخره وروى بدل أولى مهملة والثانية مجمعة وهذا هو المغرب وعند المحدثين والكتاب ويقال بعكس ذلك ويقال مقعدان بالميم بدل الباء والنون آخره وقد استوفيت ذلك في شرحي على القاموس والاسم أعجمي والعرب تختلف في ذلك وزعم بعضهم ان تفسيره بستان العدل وقيل عطية الصنم وهو على اللغة المشهورة الاولى التي ذكرناها ولذا كره ابن المبارك هذه التسمية وسماها المنصور دار السلام لان دجلة كان يقال لها وادي السلام وكان بناها في سنة خمس وأربعين ومائة في الوقت الذي اختاره له توجت المنجم وكان قد جمع لبناً مائة ألف رجل من جميع الاقاليم من أهل المعرفة بالبناء واحكامه ويقال لا تعرف في أقطار الارض مدينة مدورة سواها وقد استوفى أخبار بنائها وما يتعلق بها الخطيب في أول تاريخه لها (واظهارهم ذلك) أي الذم (وطلب الفرار منها) قال صاحب القوت وكذلك يجب ابن آدم عن عامله الاعتراف والتواضع وهو أيضاً أحد المعاني في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خاضوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً قبل هو الاعتراف عقيب العمل السيئ لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه فاما من قبلت عليه هذه المعاني فخلل مواقيت الامور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من فوقه في الدنيا في غبطة على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه في استغفار نعمة الله عليه ويزدري بيسير ما قسم به ثم ينظر الى من هو دونه في الرزي من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويحسب ذلك معذرة له وحجة وتأسياه في غبطة عن اتساعه الى القربات أو لعله أو يدخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر الى نفسه باهماله لتقصير غيره عن مثل فعالة فهذا أيضاً يكتب جزوعاً من الصبر كفوراً للنعمة باضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكراً وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين وروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين والذين منهم وان أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوق في ذلك أجدر أن لا أزدري نعمة الله علي وقد وصف هذا البلد الذي نحن فيه بمثل هذه المعاني والله المستعان (نقال ابن المبارك) فيما حدثننا عنه (قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً أشد من بغداد قبل وكيف هو) يا أبا عبد الرحمن (قال هو بلدت زدرى) أي تحتقر (فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله) أي تعدص صغيرة قال (و) وحدثننا عنه انه (لما قدم خراسان قبله) يا أبا عبد الرحمن (كيف رأيت) الناس في (بغداد فقال ما رأيت بها الا شرطي اغضب ان تاجر الهقان أو قارئ حيران) نقله صاحب القوت (ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس) عن سكاها (وكان) ابن المبارك (يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لمقامه) ولفظ القوت ويقال انه كان يتصدق في كل يوم بدينار

وقد ذم العراق جماعة كعمر بن العز وركعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهم المولى له أين تسكن فقال العراق قال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء وذكر ركعب الاحبار يوماً (٦٧١) العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر

وفي الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقابلاً بينا أحدهم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بهما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أجد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريهم شريهم فلهذا يدل على أن من بلى ببلدة

لاجل مقامه ببغداد الى ان يخرج الى مكة فبلغني انه كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً كقارة لمقامه ثم قال وقد وصفها الشافعي رضي الله عنه انها هي الدنيا وريناعنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرة لها وحدثنا عن يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس اه وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن اسمعيل بن أحمد الضرير أخبرنا أبو عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى الطحلي يقول سمعت أجد بن عباس يقول خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يحسف باهلها فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبوراً أربعة من الاولياء هم حصن من جميع البليات قلت من هم قال الامام أجد بن حنبل ومعرفة الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اه (وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العز وركعب الاحبار) رحمه الله تعالى (وقال ابن عمر رضي الله عنهما) كذا في سائر النسخ وهو غلط ولفظ القوت فر وبناعن عمر بن عبد العز بناته قال (لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء) كذا في القوت (وذكر ركعب الاحبار يوماً العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال) قال صاحب القوت وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهأ عن الخروج الى العراق قلت رواء كذلك أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب (وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك) أي تسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام نقله صاحب القوت قلت وهذا قدر وي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان رواه الخطيب في المتفق والمفترق وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطية قال أجد ما كان به بأس ولينه غيره وروى ابن عساكر من حديث بسند فيه مجاهد ان الله خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء خلق الجذب وأردفه الزهد وأسكنه الحجاز وخلق العفة وأردفها الغفلة وأسكنها اليمن وخلف الريف وأردفه الطاعون وأسكنه الشام وخلق الفجور وأردفه الوهم وأسكنه العراق (وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه) بوجهه بحادثه (ثم قال أين تسكن) اليوم (فقال بغداد فأعرض عنه) الفضيل (وقال يا تينا أحدكم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة) نقله صاحب القوت (و) قد (كان بشر بن الحرث) رحمه الله تعالى (يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش) نقله صاحب القوت (وكان) رحمه الله تعالى (يقول لا تقتدوا بي في المقام بها) أي ببغداد (من أراد أن يخرج فليخرج) نقله صاحب القوت (وكان أجد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور) نقله صاحب القوت قال وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى فكان يفصح بها فيقول أما أنا فاني أصرت أن أموت ببغداد فهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من ابدال الصديقين (وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريهم شريهم فلهذا يدل على أن من بلى ببلدة) أي بسكنها (تكثر فيها المعاصي) والنيكرات (و) يقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر منها (قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فائلاً على الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فائلاً على الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة واذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلني اصادف يوما اتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لو هيب ايش تقول أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى أحبه

البلاء ودمر) على (الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة) ولفظ القوت ومن سكن بلدا كثيرا المنكر ناطرها المعاصي وكان فيه من عجايب مطعته الى به رغبت الى الله في اخراجه منه بحسن اختياره له أو كان مضطرا في المقام فيه لعله أو قلة ذات يد لا يستطیع حيلة في الخروج ولا يمدى طريقا لغلبة الفساد في أكثر الامصار فانه معذور عند الله بحسن نيته وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمان ورضى بحاله أو كان مقامه على هوى أو لاجتلاب أسباب الفتنة والدنيا قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها اذا اختلفت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحوّل منه الى غيره وقبل اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر أضعف أو أقل من أهل المعروف ثم لم ينكر واذل فقد وجب الخروج منه ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون سنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها الآية ألا ترى كيف أخبر بترك رضاهم بالمقام وباتخاذهم وطلبهم الخروج فبذلك عذرهم ولا يصلح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى اه وقال السكّال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثير فيه الفساد خوفا من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضا اذا فرغ من قضاء الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان عاقبة عجز أو عيلة وجب عليه كراهة ذلك بباطنه بعد الله عز وجل (فأذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث) أي أيهم أفضل (رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء) (لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى) (ان شاء أحباني أبدا وان شاء أماتني غدا) (ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين) وتحاكموا اليه (فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا) قال صاحب القوت وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار فكذلك ينبغي ان يكون خروجه منها عن معنى دخوله بلا اختيار ولان مقام الرضا أعلى من مقام الشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى اللقاء وهذا مقام في المحبة وهو حقيقة الزهد في الحياة والذي يحب البقاء لخدمة وكثرة المعاملة فهو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن القان في العصمة وله أيضا مظاهر العات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنه سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه ففي الخبر أفضل المؤمنين إيمان من طال عمره وحسن عمله هذا لان الاعمال مقتضى الإيمان اذ حقيقة الإيمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء وخدمة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتحتفي فيها علمته وهو أن يحب البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعته عليه من حب الحياة ويكره الموت لمنافرة الطبع فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله تعالى ولا لاجل طاعته وخدمته وهذا من الشهوة الخفية التي لا يخرجها الا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث الاعارف واحد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتدل بوصفه وهواه فليس به اعتبار في طريق ولا مقام (و) قد كان (اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد) المسكي تقدم التعريف به مرارا (وسفيان) بن سعيد (الثوري) ويوسف بن أسباط (الشييباني) رجعهم الله تعالى (فقال الثوري) قد (كنت اكره موت الفجأة قبل اليوم وأن يوم وددت اني مت فقال له يوسف) بن أسباط (لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم) (تكره الموت) قال لعلني اصادف يوما اتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لو هيب ايش تقول أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى أحبه الى الله تعالى قال (فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة) قال صاحب القوت يعني مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان فهم ذروا المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الانس والحب وأيضاً انه تعالى لما ذكر انه لا يحب البينين من كل شدة وهول وحباه لشهادتهم القريب وفي كل

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) * قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما يحبني وبوالعجب متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لا رأيتم أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى (٦٧٣) الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس

العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الاعرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم أعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال وليكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قبل خدشنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه قبل خدشنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله فخرجت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك * ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطفرف قال ثم مجد عند البحر فأطال في سجوده (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك) وأطمانوا به (واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض) وقربت لهم البعيد

كربير بحانمته لقرب الحبيب فبذل كل علوا وبذل كل فضلا وكان بعض هذه الطائفة يقول سر العارف في الاشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام وان أخرج خراج أي ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين حكمين أيهما أمد به مال به وقال آخر قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد أي لا يقف على وصف اه وقد وجدت في الخلية لابي نعيم في ترجمة وهيب بن الورد ما يخالف ما ذكره صاحب القوت وتبعه المصنف قال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سعد بن محمد البصري حدثنا ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لو هيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلني أن أوتب فقال وهيب فانت قال ورزبه هذه البنية ثلاثا وددت اني مت الساعة

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) *

(قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما أنا محبوب والمحب متعوب) أشار بذلك الى ان المحب لا يقره قرار دون لقاء محبوبه فهو أبدا في تعب بخلاف المحبوب فانه مطلوب فهو أبدا في سكون وراحة وقرار (وقيل له أيضا الناس يقولون فيك) (انك واحد من السبعة) يعني الاوتاد (فقال أنا كل السبعة) أي في رأيي كأنما أرى السبعة (وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف ذلك وأنت شخص واحد قال لا في رأيتم أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه) فاجتمعت في أخلاق أربعين رجلا (وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحجب عنه) وهذا كما نقله القشيري عن بعضهم انه أراد منه الخضر ان يصحبه فابى فستل عن ذلك فقال خفت ان يفسد علي توكلني (وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا) (قد عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم شيئا لم أعرفه) قبل ذلك (وقيل لابي يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) رحمه الله تعالى (مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويحكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك) لان المشاهدة أسرار بين الله تعالى وعبيده ولا ينبغي كشفها للغير غير عليهما (قيل خدشنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه) فان العقول ربما لا تتحمل ذلك فيقع الانكار فيكون سببا للمقت أولان السامع ربما يحتمل نفسه على مثل ذلك من غير تدريج فيقع في حرج (قيل خدشنا عن رياضة نفسك) وتهذيبها (في بدايتك) أي أول سلوكها (فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فخرجت على فعزمت عليها ان لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك) وانما فعل ذلك لانه رأى فيها بقايا شهوة فنظر الى أجل لذاتها فاذا هي شرب الماء والنوم فتركهما ليسأصل الشهوة بالكلية وأعظم أسباب النوم شرب الماء فترك شرب الماء لينقطع عنه النوم ومن ذلك أهدي رجل الى الامام أبي بكر بن النور رحمه الله تعالى وكان من الزاهد من خيارنا في أول ظهوره فقبله منه ووضع عنده ثم أتاه الرجل ثاني يوم فوجدنا خياره عنده كما كان وضعه فلامه على عدم أكله فقال يا هذا خفت اني ان أكلته غلبت الرطوبة على الدماغ فكان سببا للنوم (وحكى عن) أبي زكريا (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (انه رأى أبا يزيد البسطامي) رحمه الله تعالى (في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره قد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطفرف قال ثم مجد عند البحر فأطال في سجوده) (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك) (واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض) وقربت لهم البعيد

لا يطفرف قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض

فرضوا بذلك وانى أعوذ بكم من ذلك وان قومًا طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بكم من ذلك حتى عذبهوا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدى فقال مدمتى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدى حدثنى بشئ فقال أحدك بما يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملائكة السفلى وأرانى الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بي فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدى ما رأيت شئاً استحسنته فأسألك اياه فقال أنت (٦٧٤) عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك

وامتلائت به وبعبثت منه فقلت ياسيدى لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة سلنى ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه منى حتى لأحب أن يعرفه سواء حكى ان أبا تراب الخشبى كان محببا لبعض المردين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجده فقلت له أوترب يومالو رأيت أبا يزيد فقال انى عنه مشغول فلما أكثر عليه أوترب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبى زيد قال أوترب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله تعالى فأغثنى عن أبى زيد قال أوترب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فهت الفتى من قوله وأنكره

(فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (وانى أعوذ بكم من ذلك وان قومًا طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض) وزخارف الدنيا (فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (وانى أعوذ بكم من ذلك قال) ولم يزل يذكر مثل ذلك (حتى عذبهوا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء) مما يكرم الله تعالى به اياهم قال (ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدى فقال مدمتى أنت ههنا فقلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدى حدثنى بشئ) أى من أحوالك (فقال أحدك بما يصلح لك) اعلم انه تعالى (أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملائكة السفلى وأرانى الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بي فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت) مما يحببك (حتى أهبه لك فقلت ياسيدى ما رأيت شئاً استحسنته فأسألك اياه) ونفى الاستحسان هنا بالنسبة الى استغراقه فى جمال مولاه (فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وامتلائت به وبعبثت منه فقلت ياسيدى لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة) جل وعز (سلنى ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه منى حتى لأحب أن يعرفه سواء) ومقام الغيرة من نتائج المحبة فان المحب يتخلى بأخلاق محبوبة فلا يبدى من أسرار محبوبة شئاً الا لاهله والا يكون فتنة عليهم ويشع على نفس من أنفاسه أن يصرفه لغير محبوبة (وحكى ان أبا تراب) عسكر بن الحصين (الخشبي) رحمه الله تعالى (كان محببا لبعض المردين فكان يدينه) أى يقربه (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجده) التى كان يجدها فى مراقباته (فقال له أوترب يومالو رأيت أبا يزيد) البسطاوى (فقال المريد) انى عنه مشغول (أى فلا أشغل وقتى بغير الله تعالى) فلما أكثر عليه أوترب من قوله لورأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى زيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبى زيد (عن سواء ولم يبق فى رغبة لغيره) قال أوترب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت وياك تغتر بالله عز وجل (فى تقر به لك لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال (فهت الفتى من قوله وأنكره) عليه (فقال وكيف ذلك قال له وياك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف) المريد (ما قلت) فوطن نفسه على رؤية أبى زيد (فقال اجلنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل) أى محل مرتفع مشرف على بمره (نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان) أبو يزيد (ياؤى الى غيضة فيها سباع) ووحوش (قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق) فى الحال وغشى عليه (فركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لأبى يزيد ياسيدى نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا) فى حبه (واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكسفت له سر قلبه) فاستغفره (فضاق عن جله لانه فى مقام الضعفاء المردين فقتله ذلك) فلذلك شرطوا للمريد فى تربيته أن يكون بالتدريج فلا يصل الى مقام هو أرفع مما كان فيه الا وقد آتس فى مبادئه حتى يكون مطيعا لجله والافان ورد عليه مرة واحدة لم يتحمل بل وبما أهلكه وقد ينكشف للمريد فى محبة العارفين والنظر الى وجوههم فى لحظة واحدة ما لا ينكشف لهم بالاجتهاد فى مدة متطاولة ولذلك جعل مشايخ

الطريقة فقال وكيف ذلك قال له وياك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال اجلنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان يادى الى غيضة فيها سباع قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لأبى يزيد ياسيدى نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكسفت له سر قلبه فضاق عن جله لانه فى مقام الضعفاء المردين فقتله ذلك

* ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا النفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قبل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقيمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة واسعة والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول ان أعطاك

(٦٧٥)

مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثاهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة ففوقت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي به اذا لم ازل انضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمنون لانها من مآثرها المأمون لا فلاسه عن مثاهم فلو لم يؤمن كل واحد واحدا لا بما يشاهده

الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم الرابطة بالشيخ الكامل من جملة أركان الطريق (ولما دخل الزنج) وهم السودان الاحابيش من اللغائف (البصرة فقتلوا النفس ونهبوا الاموال) وأحرقوا الدور وارحل منهم من قدر وأطاق (اجتمع الى) أبي محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وكان اذذاك بالبصرة في دار خاله محمد بن سوار (اخوانه) وأصحابه (فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم) عن المسلمين (فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون) أي لا يدعون عليهم (قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى) اشياء (لا يستطاع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقيمها) وكذلك لما دخل التتار الى خوارزم فقتلوا وسلبوا ونهبوا وكان اذذاك أبو الخطاب الخيري المعروف بالنجم الكبري قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقال له أصحابه الاندعوا لله أن يدفعهم عنا فاني وسلم الامر الى الله تعالى فكان ممن استشهد مع أصحابه اذ ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة) الالهية (واسعة) لاحد لها (والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم) عليهم السلام (فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة) مما لارآته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر (فان سكنت الى ذلك) الذي أعطيت به (حجبك به) أي فمكت ان ذلك حجبك (وهذا بلاء مثاهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل) لما في الخبر أشد الناس بلاء الانبياء والصالحون ثم الامثل فالامثل وقد تقدم (وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة ففوقت اربعين يوما) على عدد هن (ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال) والزمي (وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي به اذا لم ازل انضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمنون لانها من مآثرها المأمون لا فلاسه عن مثاهم فلو لم يؤمن كل واحد واحدا لا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال) لا (تظهر) الا (بعد مجاوزة عقبات) كؤدة (ونيل مقامات كثيرة أدناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى مختصنا بمحض الجول فهذه أوائل سلوكهم) ومبادئ ارادتهم (وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن العامة (وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين) فيطمئن قلبه ويستعجبه الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة (وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألوك الطريق) على بدشيخ كامل (يجري مجرى انكار من أنكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شكك) شكلا

من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة اذا نالها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى مختصنا بمحض الجول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شكك

ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق كما قيل لبشر باى شئ باغت هذه المنزلة قال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمرى وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسرّها عليك فقبل معناه سرّها عن الخلق وقبل معناه سرّها عنك حتى لا تلتفت أنت (٦٧٦) اليها وعن بعضهم أنه قال أقلقني اشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن

يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيتنه فما غلب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كفيف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم حتى كان أهل الزمة يستخرونه ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامته حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيآت الغربية (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها (وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

خاصا (ونقيت) عن أوساخها (وصقلت) بادامة العمل عليها (وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة) أى قطعة (خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها) بعد الصقل (وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء) قدس الله أسرارهم (اذلا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق) وأوائله (كما قيل لبشر) الخافى رجا الله تعالى (باى شئ باغت هذه المنزلة فقال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي) ويخفي أمرى (على الخلق حتى لا يطلعون عليه) (وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسرّها عليك) واختلف فيه (فقبل معناه سرّها عن الخلق) فلا يطلعون عليه (وقبل معناه سرّها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها) فيكون التفاتك حجاباً لك (و) حكى (عن بعضهم أنه قال أقلقني الشرب الى) ملاقة (الخضر) عليه السلام (فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيتنه فما غلب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر) أى منزلة (ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كنف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب) عني (فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم) أي يحتقر (حتى كان أهل الزمة يستخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به) ويؤذونه (فكانت راحته ركود قلبه واستقامته حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيآت الغربية (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها (وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

ذله وخوله فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تآبي الاخفاء هم كما قال تعالى أولياي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم فغسي أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبي اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي وهو أستاذ الجنيد دعا رجلا الى طعام ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال (٦٧٧) قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة

الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشنت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فلحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بأص الحام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى وفليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله تعالى ومناجياهم (مصدقاهم في أقوالهم مسلما لا حوالهم) (فغسي أن يحشر مع من أحب) فمن أحب قوما حشر معهم كافي الخبر وتقدم قريبا (ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبي اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله عز وجل في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي) بفتح الكاف والراء وسكون النون وكسر الموحدة أبو خليفة الصوفي (وهو أستاذ الجنيد) خرج الى عبادان ترجمه الخطيب في التاريخ وكرنا بالبحر اسان وقد وقع هنا في نسخ الكتاب تعفيف فليحذر (دعا رجلا الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت (و) حكى (عنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح) والديانة (فتشنت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فلحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بأص الحام فسكنت نفسي) وقد اعترض ابن القيم وغيره على المصنف في تقريره هذا الكلام والتسليم له وان هذا لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه العارفون منهم سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية وأثرونا الى بعضه في خطبة كتاب العلم (فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى أن شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعلمه قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعلم قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس) الذي عليه (واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيتة جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود) وهم الرفقاء له في صنعة (وعند من يعرفك) ويعظمك (وأنت على ذلك) الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (قولك سبحان

حائل وانما بعد القلوب شغلا بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعلمه قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعلم قال اذهب الساعة الى الرجل المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيتة جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد بقولك سبحان

الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدي بهم هذا قبل كل شيء فقال لا أطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينبغي أن ينكر امكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أولم عرض بمثل هذا المرض أصلا فقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جليلة في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من (٦٧٨) علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون فله الشئ

أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وقال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشئ من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخرة وآخرة أولى الأمر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلاث من أوتين فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولي الايمان فالعجب من يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة

الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله (واكن دلني على غيره فقال ابتدي بهم هذا) الذي قلته لك (قبل كل شيء فقال لا أطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد) رحمه الله تعالى (هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينبغي أن ينكر امكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أولم عرض بمثل هذا المرض أصلا فقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جليلة في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فله الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وهو انما سمع من التابعين فهو معضل وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخرة وآخرة أولى الأمر الآخرة على أمر الدنيا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم المرادي ضعفه ابن معين والنسائي وثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد اه قلت وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ وسالم هذا يكتفي بأب العلاء كوفي شيعي روى له الترمذي وهو مقبول الرواية (وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى تكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له) قال العراقي رواه الطبراني في المعجم من حديث أنس بلفظ ثلاث من أخلاق الايمان واستاده ضعيف اه قلت لفظه من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل ومن اذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وفيه بشر بن الحسين كذاب (وفي حديث آخر) قال صلى الله عليه وسلم (ثلاث من أوتين فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية) قال العراقي غريب هذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات فذكرهن بنحوه وقد تقدم اه قلت ليس بغريب بل رواه هكذا الحكيمة في النوادر من حديث أبي هريرة (فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لا ولي الايمان فالعجب من يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشرع وطم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الايمان وفي الاخبار الاعور ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما اتخذ خلتي من لا يفر عن ذكرى ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر على شي من خلقي وان حرق النار وجعا وان قطع بالنار شير لم يجد الحسد الايمان في الزيادة والنقصان لا حصر له وذلك قال عليه السلام

من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الايمان وفي الاخبار الاعور ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما اتخذ خلتي من لا يفر عن ذكرى ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر على شي من خلقي وان حرق النار وجعا وان قطع بالنار شير لم يجد الحسد الايمان في الزيادة والنقصان لا حصر له وذلك قال عليه السلام

الاعور عن علي مع تقديم وتأخير والحديث ضعيف (وفي حديث آخر أن الله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق
منهم مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق من أقال كلهم فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله
السجاء) قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس من فروع عن أنس عن الله تعالى خلق بضعة عشر
وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة
شريعة وثلاثمائة عشرة شريعة وفيه وفي الكبير من رواه المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه
بلفظ الإيمان وللإيمان من حديث عثمان بن عفان أن الله مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض
لسؤال أبي بكر وكلها ضعيفة اه قلت وتعام حديث عثمان عند البزار من وأفاه بخلق منها دخل الجنة ورواه
الطبراني والحكيم وأبو يعلى بلفظ أن الله مائة خلق وسبعة عشر خلقا في أنى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وأما
حديث أنس الذي رواه الطبراني في الأوسط فلفظه عنده أن الله عز وجل لو كان من زبرجدة خضراء جعله تحت
العرش كتب فيه أنى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم مع شهادة
أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقدرناه كذلك أبو الشيخ في العظمة وروى الحكميم من حديث أبي سعيد الخدري أن
الله تعالى ثلاثمائة وخمسة عشر شريعة يقول الرحمن وعزى لا يأتيني عبد من عبادي لا يسألني شيئا أبو واحدة منهم
الأدخلة الجنة ولفظ حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة شريعة وثلاثمائة عشرة شريعة ليس منها شريعة يلقى الله
بها صاحبها الا وهو يدخل بها الجنة هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط وأما لفظ حديث المغيرة بن عبد
الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده فلفظه الإيمان ثلاثمائة وثلاثون شريعة من وافى بشريعة منهم دخل الجنة ورواه
الطبراني هكذا في حواشي البيهقي وابن النجار قال الحافظ في الإصابة قال ابن حبان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن
ابن عبيد من كتاب الثقات روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام وقال ابن
عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان حديثه عند جابر بن سلمة انتهى وأخرج ابن السكن وابن
شاهين والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق المنهال بن بحر عن جابر بن سلمة عن المغيرة بن عبد الرحمن حديث أبي
عن جدي وكانت له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة الحديث
وسمى ابن السكن جده في روايته عبيد فقال وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى وأما حديث
السجاء خلق الله الأعظم فقد رواه أبو الشيخ وابن عباس من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال صلى الله عليه
وسلم رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضع أممي في كفة فربحت بهم ووضع أبو بكر في كفة
وحيي بأممي فوضعت في كفة فربحتهم) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف انتهى قلت
ورواه الطبراني نحوه ولفظه رأيت البارحة كافي أدخلت الجنة فربحت من إحدى أبواب الثمانية فإذا أنا
بأممي قيام فعرضا على رجلار جللا وإذا الميزان منصوب فوضعت أممي في كفة الميزان ووضعت في الكفة
الآخرى فربحت بهم ثم وضع جميع أممي في كفة الميزان ووضع أبو بكر الصديق في الكفة الأخرى فربحتهم ثم
وضع جميع أممي في كفة الميزان ووضع عمر بن الخطاب في الكفة الأخرى فربحتهم ثم رفع الميزان وروى أحمد عن
رجل من الصحابة رفعه رأيت الليلة في المنام كان ثلاثة من أصحابي وزوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن
ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر وأبي امامة وزنت بأممي فوضعت
في كفة وأممي في كفة فربحت بأممي ثم وضع أبو بكر مكانه فربحتهم ثم وضع عثمان مكانه
فربحتهم ثم رفع الميزان وروى ابن عدي من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ وزنت بالخلق كلهم فربحت
بهم ثم وزن أبو بكر فربحتهم ثم وزن عمر فربحتهم ثم وزن عثمان فربحتهم ثم ارتفع الميزان وروى الشيرازي
في الألقاب وابن منسدة وقال غريب وابن عساكر من حديث عرنجة الأشجعي وزن أصحابنا الليلة فوزن أبو بكر
فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص وهو رجل صالح قلت عرنجة بن شريح الأشجعي صحابي نزل الكوفة
وروى أيضا عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبو حازم الأشجعي وأبو يعقوب العبدى وغيرهم وروى

وفي حديث آخر أن الله
تعالى ثلاثمائة خلق من
لقيه بخلق منها مع
التوحيد دخل الجنة
فقال أبو بكر يا رسول
الله هل في منها خلق
فقال كلهم فيك يا أبا بكر
وأحبها إلى الله السجاء
وقال عليه السلام رأيت
ميزانا دلى من السماء
فوضعت في كفة ووضع
أممي في كفة فربحت
بهم ووضع أبو بكر في كفة
وحيي بأممي فوضعت في
كفة فربحتهم

الطبراني في الكبير من حديث أسامة بن شريك وزن أحماد بن الليث فوزن أبو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان ورواه ابن قانع وابن منده من طريق رجمة بن مصعب عن شريك عن الأشعث بن سليم عن الأسود بن هلال قال كان فينا عراقي يؤذن بالحيرة يقال له جبر فقال ان عثمان ان يموت حتى يلى هذه الامة فقبل له من أين تعلم فقال اني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما سلم استقبلنا بوجهه فقال ان ناسا من أحمادنا وزنوا الليث فوزن أبو بكر فوزن عمر فوزن عثمان فوزن قال ابن منده هذا حديث غريب بهذا الاسناد قال أبو موسى ذكره ابن منده في آخر ترجمة جبر بن عتيك والصواب انه غيره قال الحافظ وكذلك أفرد أبو عمر وقال فيه جبر الاعرابي المحاربي (ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه) قال العراقي متفق عليه قاترواه مسلم من حديث ابن مسعود بلغة لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي واقد كذلك وفي لفظ لمسلم لو كنت متخذاً من أهل الارض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقالوا اتخذ الله خليلاً ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن الزبير لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخى في الدين وصاحبي في الغار ورواه البخاري كذلك من حديث ابن عباس والبيهقي في الالقاب من حديث سعد ورواه ابن عساكر من حديث جابر لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن قولوا كما قال الله صاحبي وروى عبد الرزاق من حديث البراء لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله سوى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة) روي عن علي بن عيسى (يتنفع بها) قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة يتنفع بها) قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

للسبلي رحمه الله تعالى

صف لنا العارف والمحِب

فقال العارف ان تكلم

هناك والمحِب ان سكت

هناك وقال السبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم

حبك بين الحشامتين

يارافع النوم عن جفوني

أنت بما صرني عالم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرك

أنني

وهل أنسى فأذكر ما نسيت

نسيت

أموت إذا ذكرتك ثم

أحيا

ولولا حسن ظني ما حيت

فأحيا بالمني وأموت شوقا

فكم أحيا عليك وكم

أموت

شربت الحب كأسا بعد

كأس

فما نفذ الشراب وما

دريت

فليت خياله نصب لعيني

فان قصرت في نظري

عجبت

وقالت رابعة العدوية

يوما من يدلنا على حبيبنا

فقال خادمها حبيبنا

معنا ولكن الدنيا قاطعتنا

عنه وقال ابن الجلاء رحمه

الله تعالى أوحى الله إلى

عيسى عليه السلام أني

إذا طلعت على سر عبد

فلم أجذ فيه حب الدنيا

والآخرة ملائمة من حبي

وتوليته بغير غفلي

للسبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحِب فقال العارف ان تكلم هناك والمحِب ان سكت ههنا (نقله القشيري في الرسالة يشير به الى ان المحِب لما انكشف له من قرب الله وجهه وكاله فتقوى لذنه ويزيد نعيمه ثم ذلك طولا في اللسان وانبت اطال القصور ونظره عن طيب حاله فلو سكت ههنا بخلاف العارف فانه أبدا يتطلع الى ما تاب عنه وما سيأتي فيكون غالب حاله السكون والقبض فلو تكلم كاد أن يم لك ومن هنا قولهم من عرف الله كل لسانه (وقال السبلي رحمه الله تعالى) حين كان بالمارستان ودخل عليه جماعة فسألهم من أنتم قالوا نحن أحباؤك فرماهم بالحجارة فهر بوا فإل كذبتم لو كنتم أحبائي ما هربتم ثم أنشد

(يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشامتين يارافع النوم عن جفوني * أنت بما صرني عالم) هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدمت الإشارة اليه (ولغيره) في هذا المقام قبل هو السبلي لماسياقي (عجبت لمن يقول ذكرك ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت)

أي لان الذكرك انما يكون بعد النسيان والغفلة أما دائم الذكرك فلا يقول ذكرك فان الحاصل لا يطالب بتحصيله ومن هنا قال الشيخ سعد الدين الكاذبي سألني الشيخ عبد الكريم الحصري وقال ما الذي ذكرت لا اله الا الله فقال ما هذا ذكر هذا عبادة فقلت له أفدأت فقال الذكرك ان تعلم انك لا تقدر على وجدانه

(أموت إذا ذكرت ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حيت * فأحيا بالمني وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفذ الشراب وما رويت فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عجت)

وقرآن في آخر المسلسلات للحافظ أبي مسعود الاصبهاني أنشدني أحمد بن علي الحافظ قال أنشدني عبد الله بن يحيى الزمن أنشدني محمد بن علي الصوفي عن أبي بكر السبلي

أموت إذا ذكرت ثم أحيا * ولولا ما أوصل ما حيت * وفي موق حياي ما كفاي فكم أحيا عليك ولا أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفذ الشراب وما رويت

انتهى وقال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السبلي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابن عبيد ية قول كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب اليه أبو يزيد غيرك شرب يحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه خارج يقول هل من مزيد وأنشدوا

عجبت لمن يقول ذكرك ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفذ الشراب وما رويت

وقال القشيري في باب الذكرك كان السبلي ينشد في مجلسه

ذكرتك لاني نسيتك لحظة * وأيسر ما في الذكرك ذكر لساني * وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان * فلما أراني الوجدانك حاضري * شهدتك موجودا بكل مكان

نقاطبت موجودا بغير تكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

(وقالت) أم الخير (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية قدس سرها المتوفية سنة ١٣٥ (يوما من يدلنا على حبيبنا فقال خادمها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قاطعتنا) اعلم ان رابعة قدس سرها كانت رأسا في المعرفة والمحبة كلهم ومشهور من حالها ولا يخفى عليها مقام المعية وانما قالت ما قالت وهي في مقام الاستغراق الذي هو من نتائج المحبة وغلب عليها الشوق الى المشاهدة والمحِب في مقام القرب وقد يتقلب من يأخذ بيده ويتعلق بالاذيال فنهتها الخادمة على أن الوصول الى مقام المشاهدة لا يكون الا بعد المفارقة من هذا العالم فتمتنع عنه القواطع فما أدق نظرها رحمه الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (ابن الجلاء) الدمشقي رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (اني اذا طلعت على سر عبد) وهو داخل القاب (فلم أجذ فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفلي) يشير به الى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وان لا يكون في القلب

وقيل تكلم سمعون يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين
يديه فلم يزل ينقر بمنقاره
الارض حتى سال الدم
منه فبات وقال ابراهيم
ابن ادهم الهى انك
تعلم ان الجنة لا ترن عندى
جناح بعوضة في جنب
ما أكرمتنى من محبتك
وأنتى بذكرك
وفرغتنى للتفكر في
عظمتك وقال السرى
رحم الله من أحب الله
عاش ومن مال الى الدنيا
طاش والاحق يغدو
وبروح فى لاش والعاقل
عن عيوبه فتاش وقيل
لرابعة كيف حبك
لرسول صلى الله عليه
وسلم فقالت والله انى
لا حبه حبا شديدا
ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخواين
وسئل عيسى عليه السلام
عن أفضل الاعمال فقال
الرضا عن الله تعالى
والحبه وقال أبو يزيد
الحب لا يحب الدنيا ولا
الآخرة إنما يحب من
مولاه مولاه وقال الشبلى
الحب دهش فى لذة
وحيرة فى تعظيم وقيل
المحبة ان تمحوا تركك
حتى لا يبقى فيك شئ
راجع منك اليك وقيل
المحبة قرب القلب من
المحبوب بالاستبشار
والفرح

حمل اسواه ولفظ القشيري فى الرسالة وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطاعت على قلب عبد فلم
أجده حبه الدنيا والآخرة ملائمة من حبه (وقيل تكلم سمعون) بن حجرة المحب رحمه الله تعالى (يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فبات) قال القشيري سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت احدا بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فائق يقول سمعت سمعون وهو جالس في
المسجد يتكلم في المحبة اذ جاء طير صغير فربب منه ثم قرب ثم لم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الى
الارض حتى سال منه الدم ثم مات وفيه دلالة على ان الحيوان يسمع ويفهم وانما يمنع عليه الكلام الاعلى من
أفهمه الله كلامه (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى مشيرا الى عظم مقام المحبة (الهى انك تعلم ان الجنة
لا ترن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتنى من محبتك وأنتى بذكرك وفرغتنى للتفكر في عظمتك) رواه
أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مقسم حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجند قال سمعت المنصورى
يقول سمعت بشارا يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة اذا
أنت أنتى بذكرك ورزقتنى حبك وسهلت على طاعتك فاعط الجنة لمن شئت حدثنا أبو أحمد الحسين بن
علي التميمي النيسابورى حدثنا محمد بن المسيب الارغفاني حدثنا عبد الله بن خبيب حدثنا محمد بن بحر قال قال
ابراهيم بن ادهم اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة فسادونها اذا أنت وهبت لى حبك
وأنتى بذكرتك وفرغتنى للتفكر في عظمتك (وقال السرى السقطي) رحمه الله تعالى (من أحب الله
عاش) عيشة أبدية (ومن مال الى الدنيا طاش) عقله وتحير أمره (والعاقل عن عيوبه فتاش والاحق) الذى
نقص جوهر عقله (يغدو وروح فى لاش) أى فى لاشي تقدم ذلك فى كتاب ذم الدنيا (وقيل لرابعة) العدوية
قد سرها (كيف حبك لرسول صلى الله عليه وسلم فقالت انى والله أحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخلقين) وحكى عن أبي سعيد الخراز قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله
اعذرني فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني نقله القشيري (وسئل موسى عليه
السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله) فى أفعاله (والحبه) لجلاله وإكباره (وقال أبو يزيد) البسطامى
رحم الله تعالى (الحب لا يحب الدنيا والآخرة) أى لا يعمل بقلبه اليهما (انما يحب من مولاه مولاه) أى ذاته
ويقتصر نظره عليه (وقال الشبلى) رحمه الله تعالى (الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم) أشار بالجملة الاولى الى
أوائل الحب فان الحب فى أوائل امره اذا لاحظ جلال المحبوب يدهش ويغيب عن عقله فاذا لحقت العناية أصبح
من دهشه فيلتذع بما قام به من الحال وأشار بالجملة الثانية الى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغره بالعبودية المحضة
اجلالا لعظمته ومهابة لكبريائه لا يفارقه فى هذا المقام الحيرة ولفظ القشيري فى الرسالة سمعت الاستاذ أبا
علي الدقاق يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش انتهى والمعنى ان المحبة فى أول أمرها لذة يلتذ بها المحب فاذا
غلب على قلبه شغفه بالله وغمره دهش (وقيل المحبة ان تمحوا تركك عنك حتى لا يبقى فيها شئ راجع منك اليك)
ويقرب منه قول أبي عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تمحوا كل ما كان أحببت فلا يبقى لك منك شئ وقول الشبلى
سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ما سوى المحبوب نقلهما القشيري (وقيل ان المحبة قرب القلب من المحبوب
بالاستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجند المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستنارة والفرح انتهى
والمراد باقرب قرب مكانة لا قرب مكان وأشار بالاستبشار والفرح الى الانس الذى تنتجه المحبة فان المستأنس
بالقرب يستبشر ويفرح لانه غير متطلع الى فائت وقد يكون اشارة الى مقام الصفاء الذى هو احدى منازل
العبودية سلوكة وهو ان يكون القلب خاليا عن سائر الكدورات فينشئ يجد الرب تعالى القلب محلا قابلا للقرب
فيماؤه من أنواره ومعرفته وتحفه فعند ذلك يعمل القلب الى القرب من المحبوب بكل المعارف وينقض عليه
انقضاض الطائر الجاف الكبد من عدم الماء اذا رآه فى السماء وهو بغاية الفرح والاستبشار فعلى هذا يعلم
يقينان محبة عبد الله تعالى هى الميل اليه بالفرح والابتهاج كما قال الجند المحبة هى الميل بلانيل وأى نيل أشرف

وقال الخواص المحبة بحر الارادات واحترق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لشاهدته بعد الفهم
لامراده منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان مع
أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهم وقال هرم بن حيان المؤمن اذا (٦٨٣) عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه

أقبل عليه واذا وجد
حلاوة الاقبال عليه لم
ينظر الى الدنيا بعين
الشهوة ولم ينظر الى
الآخرة بعين الفكرة
وهي تحسر في الدنيا
وتروح في الآخرة وقال
عبد الله بن محمد سمعت
امراة من المتعبدات
تقول وهي باكية
والدموع على خدها
جارية والله لقد سئمت
من الحياة حتى لو وجدت
الموت يباع لاشتريته
شوقا الى الله تعالى وحبا
للقائه قال فقلت لها
فعلى ثقة أنت من عملك
قالت لا ولكن لحبي اياه
وحسن ظني به افتراه
بعذبي وأنا أحبه وأرجى
الله تعالى الى داود عليه
السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري
لهم ورفقي بهم وشوقي
الى ترك معاصيهم لما نوا
شوقا الى وتقطعت
أوصالهم من محبتي يا داود
هذه ارادني في المدبرين
عني فكيف ارادني في
المقبلين على يا داود أجوج
ما يكون العبد الى اذا
استغنى عني وارحم ما
أكون بعدي اذا أدبر

من الميل اليه والقرب منه (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (المحبة بحو الارادات واحرق)
وفي نسخة واحترق (جميع الصفات والحاجات) و يقرب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته واثبات المحبوب
بذاته وقول الخلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلق أوصافك وقول أبي يعقوب السوسى حقيقة المحبة ان
ينسى العبد حظ من الله وينسى حوائجه اليه كفى الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن
المحبة فقال) هي (عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم لامراده منه) والمشاهدة تكون بالقلب كال
الرؤية تكون بالبصر فاذا عطفه كذلك لا يميل لغيره أبدا وهذا هو معنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على
أربع منازل على المحبة والهبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين تبقيا مع أهل الجنة في الجنة
ويرفع عنهم غيرهما) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه جماله لا خوفا من ناره ولا
رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاحلال فلا يرون
نفوسهم تصلح للقاءه فتختس القلوب وترجع بالهبة والرغبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق والانس
وسئل سهل الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء منه افضل والحب الذي يورث منه
الحياء افضل من الحياء وهو الشوق (وقال هرم بن حيان) العبد يرضى الله عنه له محبة ويعد من كبار التائبين
(المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد
حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أى لم يمل قلبه اليها (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفكرة) أى
السكران عن القيام بالخدمة (وهي تحسر في الدنيا وتروح في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبد الله
ابن محمد) البصري (سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت
من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك
قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه بعذبي وأنا أحبه) روى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخبيري
قال الشوق ثمرة الحب ومن أحب الله اشتاق لقاؤه وقال أيضا بقدر ما يصل الى قلب العبد من السرور بانتهى اشتاق
اليه وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده وقولها افتراه بعذبي وأنا أحبه يستفاد من قوله تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (وأوحى الله الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما نوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود
هذه ارادني في المدبرين عني فكيف ارادني في المقبلين على يا داود أجوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم
ما أكون بعدي اذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي اذا رجعت الى (وقال القشيري في الرسالة مختصرا) (وقال
أبو خالد) محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد الاصبهاني (الصفار) سكن نيسابور وقيل انه لم يرفع رأسه الى السماء
نيفا وأربعين سنة وصنف كتابا في الزهد وروى عن أبي اسحق الترمذي وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو علي
النيسابوري الحافظ مات سنة ٣٣٩ (لقى نبي من الانبياء عابدا) من العباد (فقال انكم معاشر العباد تعملون
على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق)
ولا يخفى ان العمل على المحبة والشوق أفضل من العمل على الرجاء والخوف لرفعة مقام المحبة على غيره من
المقامات (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كرى لذا كرى) (لذا كرى)
لانه تعالى قال فاذا كروني أذكركم (وجنتي للمطيعين) فان الجنة لمن أطاع (وزيادتي للمشتاقين) الى أى
زيادة النعيم (وأنا خاصة للمعجبين) الذين يعبدون خاصة لا خوفا من نار ولا طمعاني جنة (وأوحى الله تعالى

عني وأجل ما يكون عندي اذا رجعت الى وأبو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر
الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
يا داود كرى لذا كرى وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وأنا خاصة للمعجبين وأوحى الله تعالى

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق اليه جدى مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه (٦٨٤) لمن يرانى ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عى وقام حتى اتحنى

وصلى حتى اتعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار خلصته اليك شوقاً مني اليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيق والعلم سلاحى والصبر دأى والرضا غنى جنى والزهد حرقى واليقين قوتى والصدق شفىعى والطاعة حسى والجهاد خلقى وقرعة عيى فى الصلاة وقال ذوالنون سبحان من جعل الارواح جنوداً مجنده فارقوا الى الله تعالى جلاله قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح الغافلين هوائية فلذلك ملوا الى الدنيا فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رأيت فى جبل الحكم رجلاً أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى صيرانى كاترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أحبائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فلا يكون لها ممر بها أبداً فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ولنذكر ما يتعلق بهذه المقامات مما فى الشعب للبيهقى وقوت القلوب وغبرهم قال البيهقى فى الشعب قدروا ينالون بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً قال حبك الشئ يعمى وبصم قال الحليمي قد يفهم من هذا ان من أحب الله تعالى لم يعتد بالمصائب التى يقضيها عليه اساعته منه اليه ولم يستقل وطائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه كما ان من أحب أحدًا من جنسه لم يكد يبصر منه الا ما يستحسنه ويزيد إعجاباً به ولا يصدق من خبر المخبرين عنه الا ما يتخذ سبباً للولوع به والعلو فى محبته وعن عبد الله بن ابراهيم القرشى عن أبيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه يا عبد الله انى موصيك بحب الله عز وجل وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته فانك اذا كنت كذلك لم تذكر الموت متى أتاك وانى مستوصيك الله يا بنى ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم شخص ببصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بنى اسرائيل انى لا أقبل قولكم ولكن أقبل هممكم وهواكم من كان همهم وهواهم فى محبتي كان صميمته عندي تغدو يساوت سبجاً و قاروا عن محمد بن سعيد الخوارزمي قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة قال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وان لا تخاف فى الله لومة لائم مع العطف المؤمنين والغلظة على الكافرين واتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وعن أبي زيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

من الشوق والهوى * صيرانى كاترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والانس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق

من يحبه الله عز وجل فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجدا أو راكعا فان عجز عن ذلك استروح الى ذكر اللسان والثناء فان عجز استروح الى ذكر القاب والتفكير فاما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاء كسخاء البحر وشهقة كشهقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض وعن يحيى بن معاذ الرازي قال المحبة لا تصح الا من جهة المحبوب وليس من أحب يحبه وعن ابراهيم بن علي المديني قال من المحال أن تعرفه ولا تحبه ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طمذ كرهه ومن المحال أن يوجدك طمذ كرهه ولا يشغلك به عن سواه وعن سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول من علامة الحب ترك ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله وحده وقال يحيى بن معاذ حقيقة الحب أن لا يرى شيأ سوى محبوبه ولا ترى سواه لك ناصرا ولا معيناً ولا تستغنى بغيره عنه وعن وهب بن أبي حفاظ الأبي قال قال لي راهب من الرهبان اذا استقرت المحبة في القاب ذهل عن الاهل والولد وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت راهبا في درخا يقول للحسن بن شاذب لا يكون الحب لله محبا حتى يحبه بكل الكل فصاح الحسن بن شاذب وعن محمد بن أحمد المهدى قال سمعت علي بن الموفق مالا أحصيه وهو يقول اللهم ان كنت تعلم اني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت تعلم اني أعبدك حبا مني لجناتك وشوقا اليهم فأحرمنيها وان كنت تعلم انما أعبدك حبا مني لك وشوقا الي وجهك الكريم فأحبني مرة واحدة في ما شئت وقال ضيغ الجلاب ان حبه شغل قلوب مرديه عن التاخذ بمحبة غيره فليس لهم في الدنيا مع حبه لذة ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكثر عندهم من النظر الى وجهه وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذي النون قال من قتلته عبادته فديته جنته ومن قتلته الشوق فديته النظر اليه وعن عبد الله بن سهل قال سمعت يحيى بن معاذ يقول كم بين من يريد الوليمة للوليمة وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقي الحبيب في الوليمة ودخل سفيان الثوري على رابعة فقالت له يا سفيان ما تعدون السخاء فيكم قال اما عند أبناء الدنيا فالذي يجود بماله وأما عند أبناء الآخرة فهو الذي يجود بنفسه فقالت يا سفيان أخطأتم فهم افعال في السخاء عندك رجل الله فقالت ان تعبدوه حباله لا تطلب جزاء ولا مكافأة ثم أنشأت تقول

لولاك ما طابت الجنان ولا * طاب نعيم الجنة الخلد

قوم أرادوك للجنان فنا * لوها وقلبي سواك لم يرد

وعن ابراهيم بن الجنيد حدثنا سمعنا عبد الرحمن الكوفي وكان من العباد قال لقيني به لول الجنون يوما فقال لي أسألك قال قلت سل قال أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قال هذا السخاء في الدنيا وفي السخاء في الدين قالت المسارعة الى طاعة السيد قال فتر يد منه الجزاء قلت نعم بالواحد عشرة قال هذا في الدين فبيع ولكن المسارعة الى طاعة سيدك أن لا يطالع على قلبك وأنت تريد منه شيأ سواه وعن جامع بن أحمد قال سمعت يحيى بن معاذ يقول العارفون رجالان رجل مسرور بانه عبده ورجل مسرور بانه ربه فالاول يفرح بالله من نفسه لنفسه والآخرة يفرح بالله من الله الله وقال هذا سرور الخبير فكيف سرور النظر وعن علي بن محمد بن حاتم قال سمعت الجنيد يقول بت ليلة عند السري فلما كان في بعض الليل قال يا جنيد أنت قائم قلت لا قال الساعة أوقفني الله بين يديه وقال يا سري لم تدرى لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق فادعوا كلهم في وادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بهم من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقي ألف خلقت الجنة فاشتغل من الالف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة فسلطت عليهم شيأ من البلاء فاشتغل عني بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة فقلت لهم ما أنتم لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم فقالوا فانك لتعلم ما تريد فقال اني أتزل بكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسي فتنبهون لذلك قالوا ألسنت الفاعل بنا قدر ضينا قلت فأنتم عبدي حقا وسئل يحيى بن معاذ عن أشهى المجالس والذها قال الجلوس في ميدان التوحيد يشم من رائحته المعرفة ويسقي من كأس المحبة سبحان الله ما أله من مجلس وأعذبه من شراب قيل فاي الطعام أشهى قال لقمة من ذكراته عز وجل في فم الصبي بتوحيد الله إرفعهما من مائدة الرضا عن الله عند النظر لكرامة الله تعالى قبل فم عبيد المؤمنين قال

السرور بالايمن والنزعة بالقرآن قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال السري السرور بالله هو السرور والسرور بغير الله هو الغرور وعن أويس الاعور قال رأيت رجلاً مجنوناً يلهو تدهو وتقول في دعائها أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وعيت عينان لا يبكيان شوقاً اليك وجفت كفان لا يبتلان بالتضرع اليك ثم أنشأت تقول

يا حبيب القلوب أنت حبيبي * لم تزل أنت مني وسروري

وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول كنت في الطواف فرأيت ولها من المحنون وهو يقول حبك قتلتني وشوقك أتلقتني والاتصال بك اسقمني فبعت قلوب تحب غيرك وتلك خواطراً أنت بسؤالك وقال ذو النون الانس بالله نور ساطع والانس بالناس سم قاطع وقال صالح المري رأيت رجلاً مجنوناً وقد كتبت من وراء جيبها

أنت أنسى ومنيتي وسروري * قد أوى القلب أن يحب سؤالك

يا عز رزي ومنيتي واشتياقي * طال شوقي متى يكون لقاءك

ليس شوقي من الجنان نعيمها * غـيراني أريد لها لاراك

وإذا على صدر جيبها مكتوب

حسب المحب من المحب بعلمه * ان الحبيب بيباه مطروح

والقلب منه ان تنفس في الدجا * بسهام لوعات الهوى مجروح

وعن علي بن سهل قال الانس بالله ان يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله فان الانس بهم هو الانس بالله تعالى وقال الفضيل كفي بالله محبوا بالقرآن ونساو بالموت واعظوا وكفي بخشية الله علماء بالاغترار بالله جهلاً وعن ابراهيم الخواص قال لا تطمع في لبن القلب مع فضول الكلام ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشوق ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالخلق وقال منصور بن عبد الله الاصمعي سئل الشبلي ما علامة صحة المعرفة قال نسيان كل شيء سوى معروفه فقيل ما علامة صحة المحبة فقال العجى عن كل شيء سوى محبوبه وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن قتادة يقول سمعت علي بن عبد الرحيم وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال الحب لئلا تغمي عن رؤية غير المحبوب فاذا تناهى سمي عشقاً وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول الشوق أعلى البرجات وأعلى المقامات اذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقاً الى ربه وحبال لقائه والنظر اليه وقال أبو عثمان في قوله تعالى ان أجل الله لا ت هذه تعزية للمشتاقين معناه اني أعلم ان اشتياقكم الى غالب وانى أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشاققون وعن عبيد الله بن مسلم قال قال مالك بن دينار خرجت يوماً الى المقابر فاذا شابان بالسان يكتبان شيئاً فقلت لهما نشدتكم الله أن أمان كنتم ما فقالا لا فسط مالك مغشياً عليه ثم أفاق فقال نشدتكم بالله ما كنتم تمانى في أسفل سطر مالك بن دينار طفيلي يحب المحبين لله فلما كان الليل أتيت في منامي فقال قد كتبت فيهم المرء مع من أحب وقال أبو علي الجوزجاني ثلاثة أشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة فزيادة الخوف في ترك الذنوب لرؤية المحبوب وزيادة الرجاء في اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة في كثرة الذكر لرؤية المنفعة الخائف لا يستريح من الهرب والراجي لا يستريح من الطامع والمحبة لا يستريح من ذكر المحبوب فالخوف نار منور والرجاء نور منور والمحبة نور الانوار وقال أبو الحسن الوراق المحبة شعبة من الايمان بالله وهو أصل الجميع مراتب الاولياء وقال تشعب المحبة من دوام ذكر احسان الله في ذكر على الدوام احسان الله اليه تنسرح المحبة عن قريب وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فقال كيف لا يحبهم وما انفكت من تواتر نعمته قط ولا تنفك أبداً ولكن ضعف اليقين وكثرة المعرفة ونقص الايمان بحبك عن محبته والميل اليه وقال أبو سعيد الخزاز في هذا الحديث واعجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يحبل بكليته اليه وقال أبو عمر والزهري سألت الجنيدي عن المحبة قال تريد الإشارة قلت لا قال

تريد الدعوى قلت لا قال فايش تريد قلت عين المحبة قال ان تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده وعن بشر بن السري قال ليس من اعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سالم بن الداراني بم نال أهل الجنة المحبة من الله عز وجل قال بالعفاف وأخذ الكفاف وقال أبو عبد الله النباجي سال رجل الفضيل متى يباغ الرجل غاية حب الله قال اذا كان عطاؤه اياك ومنعه سواء وقال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيئا من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة وقال بعض القراء رأيت عتبة الغلام ذات ليلة فصارا يقول حتى أصبح ان تعذبني فاني محب لك وان ترجني فاني محب لك وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي وسئل عن المحبة فقال ما لك الى الشيء بكيتك محبة له ثم اشارك له على نفسك وما لك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه ثم وفيما قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي قال وقال قوم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب قال وسئل روي عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قال لي ميت من سمعوا طاعة * وقلت لداي الموت أهلا ومرحبا

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سئل الحسن البوشنجي عن الحب فقال بذل المجهود مع معرفتك بالمحبوب والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء وقال أبو عبد الله المغربي تفكر ابراهيم عليه السلام ليلة من الليالي في شأن آدم عليه السلام فقال يارب خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس حتى يقولوا وعصى آدم ربه فآوى الله اليه أن يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديد وقال وهيب أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك غير انه ليس لك عندي ذلك الوالد الذي كان وقال سعيد بن عثمان بن عباس سمعت ذا النون وقد قيل له متى يانس العبد بربه فقال اذا خاف أنس بربه أما علمت انه من واصل الذنوب نجى عن باب المحبوب وقال أيضا ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا اليه ما رجعوا فازهد في الدنيا ترا العجب وقال أيضا وجدت حفرة بيت المقدس عليها أساطير مكتوبة فبحثت الى من ترجمها فاذا هو كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل ففكرت في هذه فاذا هي أصول لكل ما استعبد الله الخلق به وقال أحمد بن عيسى الكلابي سمعت يحيى بن معاذ الرازي ينشد

ان المليك قد اصطفى خداما * مشوّد دين موصلين كراما * ورزقوا المحبة والخشوع لربهم
فترى دموعهم تسبح سبحاما * يحبون لباهم بطول صلاتهم * لا يسأمون اذا انجلي ناما
قوم اذا رقد العيون رأيتهم * صفوا الشدة خوفهم أقداما * وتخالهم من طول سجودهم
يخشون من نار الاله ضراما * شغفوا بحب الله طول حياتهم * فتجنّبوا لوداده الاثاما

وقال الجنيد قال رجل للسري كيف أنت فأنشأ يقول

من لم يبيت والحب خشوفأوده * لم يدرك كيف تفتت الاكباد

وقال محمد بن العباس الضبي سمعت أبا بكر بن أبي عثمان يقول وقام في مجلسه رجل من أهل بغداد فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا في حب مولاه قال اذا خلعا عن خلافه كان صادقا في حبه قال فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح فقال كيف ادعى حبه ولم أخل طرفه عين من خلافه قال فيكي أبو عثمان وأهل المجلس قال فجعل أبو عثمان يبكي وهو يقول صادق في حبه مقصر في حقه اه سياق الشعب وقد تركت منه كثيرا مما أوردته في أثناء كلام المصنف وفي كطب مصارع العشاق لابي محمد السراج في مصارع محبي الله عز وجل أنبأنا أبو القاسم الأزجي سنة ٤٤٠ أنبأنا أبو الحسن علي بن جعفر السيراني بحكمة قال حكى عن الجنيد انه قال أعرف من قتلته المحبة ولم يعرف المحبة فقلنا يقول الشيخ فقال قتله ما تحب فيه أخبرنا أبو القاسم الأزجي أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جعفر بحكمة سنة ٣٩٦ سمعت أحمد بن محمد يقول كان سهل يقول الناس ثلاثة صنوف مصنف منهم

مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف منهم مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة حدثنا أبو القاسم الأزجي حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة حدثنا محمد بن عبد الله الشكلى حدثني محمد بن جعفر القنطري قال ذوالنون بينا أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها طمار شعر واذا هي ناحلة ذابلة قد نوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاخران بالاشجان وعصفت الريح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقنا بحث ثم قالت سيدى بك تقرب المنقربون فى الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات والجلال قد سكت تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى القهار

يا مؤنس الاررار فى خلواتهم * يا خير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متبها * فرح الفؤاد متبها بابه
من ذاق حبك لا يرى متبها * فى طول حزن فى الحشا اشعال

فقلت لها زينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك جبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحبيب حتى أراك
فما الجدى ذاولا ذاك لى * ولكن لك الجدى ذاولا ذاك

ثم شغقت شهقة فاذا هي قد فارقت الدنيا بقيت أتعب مما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها الى أكفانهما فقلن لى تقدم فصل عليها فقدمت وصليت عليها وهن خافى ثم احتملنها ومضين وأنشد محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ

أموت بدائى لا أصيب مداويا * ولا فرجا مما أرى من بلائيا
إذا كان داء العبد حب مليكه * فمن دونه يرجو طيب ما مداويا
مع الله يمضى دهره مثل هذا * مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحيى جن من بعد صحة * وما بى جنون بى خليل لى ما بيا

أخبرنا القاضي أبو الحسن التوزى أخبرنا بن يحيى حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال نظرت رابعة الى رباح القيسى وهو يقبل صبيما من أهله ويضمه اليه فقالت أتجبه يا رباح قال نعم قالت ما كنت أحسب ان فى قلبك موضعافارنا المحبة غيره قال فصاح رباح وسقط مغشيا عليه ومن طريق أبي القاسم بن مروان سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول دعتنى امرأة لى غسل ولدها ذكرت انه أوصى بذلك فلما كشفت عنه الثوب قبض على يدي فقلت يا سبحان الله حياة بعد موت فقال ان المحبين لله تعالى أحياء وان قبرا ومن طريق الحسين بن علي بن يحيى بن سلام قال قىما ليحيى بن معاذ زوى عن رجل من أهل الخبر قد كان أدرك الاوزاعى وسفيان انه سئل متى تقع الفراسة على الغائب قال اذا كان محبا لما أحب الله مبعضا لما أبغض وقصت فراسته على الغائب فقال ليحيى

كل محبوب سوى الله سرف * وهجوم وغموم وأسف
كل محبوب فعنه خلف * ما خلا الرحمن مامنه خلف
ان للحب دلالات اذا * ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه * دائم الغصة محزون دنف

أشعث الرأس خيصر بطنه * أصفر الوجه والطرف ذرف
 دائم التذكير من حب الذي * حبه غاية غايات الشرف
 فإذا أمعن في الحب له * وعلاه الشوق من داء كنف
 بأشر المحراب يشكوه * وإمام الله مولاة وقف
 قائما قدما منه متصبيا * لهجائيتا لوبايات الصنف
 راكعا طور او طور اساجدا * باكا والدمع في الارض يكف
 أورد القلب على الحب الذي * فيه حب الله حقا فعرف
 ثم جالت كفه في شجر * ينبت الحب فسمي واقتطف
 ان ذا الحب لمن يعنى له * لالدار ذات لهو وطرف
 لا ولا الفردوس لا بالفها * لا ولا الحوراء من فوق عرف
 أخبرنا أبو الحسن بن النورى حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي حدثني علي بن أحمد بن جعفر قال أنشدنا ابن فراس
 لسمنون الحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
 فلما دعا قلبي هــ والـ أجابه * فليست أراه عن فتائل يبرح
 رميت بين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
 فان شئت واصلني وان شئت لم تصل * فليست أرى قلبي لغيرك يصلح
 أخبرنا أبو بكر الخطيب حدثنا الحسن بن أبي بكر قال ذكر أبو عمر الزاهد أن سمنون الحب أنشده
 يامن فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه معروف
 يا حسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن اليك معروف
 أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم أنشدني عثمان بن محمد العثماني أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي
 لسمنون
 ولو قبل طأفي النار اعلم انه * رضالك أو مدنت لئامن وصالكا
 لقد مت رجلي نحوها فوطئتها * سرور الافي قد حطرت ببالكا
 أخبرنا أبو بكر الارستاني أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال قال منصور بن عبد الله دخل قوم على السبلي في
 مرضه الذي مات فيه فقالوا كيف تجد يا أبا بكر فأنشأ يقول

ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا فساووه فديته * لم تعنى لحرشا
 أخبرنا عبد العزيز بن علي أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني بكهنة حدثني محمد بن ابراهيم الاصمعياني بطرسوس
 سمعت أبا طالب يقول كنت مع سمنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقناديل معلقة فرأيت القناديل تشقق بعضها
 بعضها حتى تكسرت وقال جعفر الخاردي حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله
 ابن الفرج العباد قال قلت لأبي اسمعيل الموصلي وكان نصرانيا قد أسلم على يدي فخرج الموصلي وحسن حاله أخبرني
 ببعض أسرار فبكي ثم قال أنحسبك عنه كان والله كهيئة الرومانين معلق القلب هناك ليست له في الدنيا راحة
 قلت على علي ذلك قال شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه فنظرت الى الدخان
 يهوى من نواحي المدينة فبكي ثم قال لقد قرب الناس قربا منهم شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب
 ثم سقط مغشيا فحنت بجماء فمسحت به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه الى السماء ثم
 قال قد علمت طول غمي وخزي وتردادي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسن أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فحنت بجماء
 فمسحت به وجهه فافاق فهاش بعد ذلك الا أياما حتى مات رحمه الله تعالى اه وقال القشيري في رسالته في باب
 المحبة فاما آقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ايثار المحبوب على جميع

المحجوب وقيل مواطاة القلب اراد ان الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال أبو زيد المحبة استغلال
الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن
المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار به هذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون
الغالب على قلب المحب الا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والاحساس بها وقال أبو علي
الروذباري المحبة الموافقة وقال أبو عبد الله القرني حقيقة المحبة أن تهب كل من أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقال
السبلي سميت المحبة محبة لانها تخرج عن القلب ما سوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام
سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت السبلي يقول المحبة أن تغار على
المحجوب أن يحبه مثلك وسميته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة
فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول وسميته يقول سمعت النصر باذي يقول محبة توجب حقن
الدماء ومحبة توجب سفك الدماء وسميته يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفر ابي يقول سمعت
سمعون يقول ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم
مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالحقاء ولا يزيد بالبر وقال ليس بصديق من ادعى محبته
ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط شروط الادب وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد

اذا صلت المودة بين قوم * ودام ولاؤهم سمع الشاء

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الارجاني يقول سمعت بندار بن الحسين يقول يرى مجنون بنى عامر
في المنام فقبل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قيل
لنصر باذي ليس لك من المحبة شيء فقال صدقوا ولكن لي دسراهم فهو داء احترق فيه وسميته يقول قال
النصر باذي المحبة في مجانبة السوء على كل حال ثم أنشد

ومن كان في طور الهوى ذاق سآوة * فاني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء تلقى ممن وصالها * أمانى لم تصدق كل كلمة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب ويقال المحبة تشويش في القلب يقع من
المحجوب ويقال المحبة فتنة تقع في القواد من المراد وأنشد ابن عطاء

غرست لاهل الحب غصنا من الهوى * ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصانا وأينع ضوءه * وأعقب لي مرا من الثمر المحلى

فكل جميع العاشقين هواهم * اذا نسبوه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب أوله نخل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك للناس يعمى
وبهم فقال يعمى عن الغير غيرة وعن المحجوب هية ثم أنشد

اذا ما بدالى تعاطفته * فاصدر في حال من لم يرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول
سمعت الحارث المحاسبي يقول المحبة يلك الى الشيء بكائيتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك
له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وسميته يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت عباس بن عصام يقول
سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصنع المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد لا آسرا أنا وقيل المحبة نار
في القلب تحرق ما سوى مراد المحجوب وقيل المحبة بذلك الجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النوري المحبة
هتك الاستار وكشف الاسرار وقال أبو يعقوب السوسي لا تصنع المحبة الا بالخرج عن رؤية المحبة الى رؤية
المحجوب بقائه علم المحبة وجدته بخط الاستاذ أبي علي ان في بعض الكتب المنزلة ان الله يقول عبدى أنا وحقق
لك محب فبحق عليك كن لي محبا وقال ابن المبارك من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع

وقيل المحبة ما يمتحق أن ترك وقيل المحبة سكر لا يصحوصاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود
لا يوصف وأنشدوا فاسكر القوم دور كاس * وكان سكرى من المدير
وكان الأستاذ أبو علي ينشد كثيرا

لى سكرتان وللذمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى
وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام وكان للأستاذ أبي علي جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت
تخدمه كثيرا فسمعه يقول كانت فيروز تؤذيني يوما وتستطيل على ناسنهم فقال أبو الحسن القارى لم تؤذين
هذا الشيخ فقالت لاني أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب
وحكى ان بعضهم عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى
فغمض التي لم تدمع أربعين سنة لم يفتحها عقوبة لانها لم تبك على فراق حبيبته وفي معناه أنشدوا

بكت عيني غداة البين دمعاً * وأخرى بالبكاء بخلت علينا
فعاقت التي بخلت بدمع * بان أنغمضتها يوم التقينا
وقال بعضهم كلما ندنى النون المصرى فنذاكرنا المحبة فقال كفوا عنى هذه المسئلة لأن سمعها النفوس فتدعيها
ثم أنشأ يقول الخوف أولى بالمسئى * اذا ناله والحرزن
والحب يحمل بالتقى * وبالنقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعى وقيل ادعى رجل الاستهلاك في محبة شاب فقال له
الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجهها وأتم جلالا فرفع الرجل رأسه يلهفت وكانا على سطح فألقاه من
السطح وقال هذا جزاء من يدعى هو أنا وينظر الى سوانا وقال أبو بكر البكائي حوت مسئلة في المحبة بمكة أيام الموسم
فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم
قال عمدا ذهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا مشر به
من كائن وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فبالله وان تحرك فبأمر الله وان
سكن فمع الله فهو بالله والله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا من يدجرك الله يا تاج العارفين وقال أوحى الله
الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى أخبرنا حزة بن يوسف السهمي
أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم حدثنا هشيم بن همام حدثنا إبراهيم بن الحرث حدثني عبد الرحمن بن عفان حدثني
محمد بن أيوب حدثني أبو العباس خادم الفضيل قال احتبس بول الفضيل فرفع يده وقال اللهم بحبي لك ألا طلقته
عننى قال فصار حنا حتى شفى وقبل قالت رابعة في مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فتهفبها هاتف ما كفا
نفعك هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء وقيل الحب حرفان عامو باء فلاشارة فيه ان من أحب فليخرج عن روحه وبدنه
وبالاجتماع من اطلاقات القوم ان المحبة هي الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقاب والمحبة توجب انتفاء
المباينة فان الحب أبد مع محبوبه سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت
أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أباحفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة أشياء فسق العارفين وخيانة
المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين اطلاق الطرف والاسان والسمع الى أسباب الدنيا ومنافعها
وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورويتهم
يغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورويته هذا ما أوردته في باب المحبة وقال في باب الشوق سمعت الأستاذ أباعلى يفرق
بين الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء وفي معناه أنشدوا

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتافا
سمعت أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت النضر باذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق
ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وقيل جاء أحمد الاسود الى ابن المبارك فقال رأيت

في المنام كأنك تموت الى سنة فاستعد للخرج فقال ابن المبارك لقد أحلستنا على أم عبد أعيش أنا الى سنة
لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقي يعني أباعلى رحمه الله تعالى
يا من شكاشوقه من طول فرقته * اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح من الشهوات سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول خرج داود
عليه السلام يوما الى بعض الصحارى منفردا فأوحى الله اليه مالى أراك وحدانيا فقال استأثر بالشوق الى لقاءك
على قلبي فخال بيني وبين صحبة الخلق فأوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتني بعبد أبى أثبتك في اللوح
المحفوظ جهنما وقيل كانت عجوز قدم بعض أفارها من السفر وأظهر قومه السرور والعجوز تسكى
فقبل لها وما يبكيك قالت ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله عز وجل وسئل ابن عطاء عن
الشوق فقال احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأتجاد وسئل أيضا الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان
الشوق منها يتولد وقال بعضهم للشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسبح على الملهقة فاذا وقع اللقاء طفي وإذا كان
الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقال فارس فلو لم يستأقن منورة بنو الله فاذا تحرك
اشتباقتهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى
أشهدكم اني اليهم أشوق وسمعت الأستاذ أباعلى يقول في قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقاءك
قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق في الناس فاذا كان يكون ذلك الجزء أيضا فغاران
يكون شطبة من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أنهم من شوق المحبوبين ولهذا قيل
وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وقيل ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهادة سمعت
ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت جعفر ايقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول
الشوق أجل مقام العارف اذا تحقق فيه واذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عن اشتاق اليه وقيل أوحى
الله الى داود عليه السلام قل لشبان بني اسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق اليكم ما هذا الجفاء سمعت
الأستاذ أباعلى يقول بكى شعيب عليه السلام حتى عوى فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عوى فرد الله عليه بصره ثم
بكى حتى عوى فأوحى الله اليه ان كان هذا البكاء لاجل الجنة فقد أبغتهالك وان كان لاجل النار فقد أعدتلك منها
فقال لا بل شوقا اليك فأوحى الله اليه لاجل ذلك أخذ منك نبي وكليمي عشر سنين وقيل من اشتاق الى الله اشتاق
اليه كل شيء وفي الخبر اشتاقت الى ثلاثة على وعمار وسلمان وسمعت الأستاذ أباعلى يقول قال لنا بعض المشايخ
أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حرم سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن
فرحان يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من أي شيء يكون بكاء المحب اذا ألقى المحبوب فقال انما يكون ذلك
سرورابه ووجدا من شدة الشوق اليه ولقد بلغني ان أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر
واجده فهذا ما يتعلق بالشوق وقال في باب الرضا ما نصه قد تكلم الناس في الرضا وكل عبر عن حاله وشربه فهم
في العبارة عنه مختلفون كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فاما شرط العلم والذي هو لا بد منه فالراضي
بالله هو الذي لا يعترض على تقديره سمعت الأستاذ أباعلى يقول ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء انما الرضا ان
لا تعترض على الحكم والقضاء وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا سمعت الأستاذ أباعلى
يقول قال تلميذ لاستاذ هل يعرف العبد ان الله راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاء غيب فقال التلميذ يعلم
ذلك فقال كيف قال اذا وجدت قلبي راضيا عن الله علمت انه راض عني فقال الأستاذ أحسنت يا غلام وقال
النصر ياذي من أراد ان يباغ محل الرضا فليزج ما جعل الله رضاء فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين رضا
به ورضاء عنه فالرضاء مدبرا والرضاء عنه فيما يقضى وسمعت الأستاذ أباعلى يقول طريق السالكين أطول
هو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو ان يكون ذلك بالرضا والرضا بالقضاء وقال رومي

الرضا لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل ان يحولها الى يساره وقال الواسطي استعمل الرضا جهنم ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجور بالذنه ورويته عن حقيقة ما اطالع أي لان السكون عندهم الى الاحوال محجوب عن محو الاحوال فاذا استلذ رضاه وجد بقلبه راحة الرضا فحجب بحاله عن شهود حقه واقد قال الواسطي أيضا يا كرم واستحلاء الطاعات فاتهم سبهم قاتله وقيل قال الشيبلي بين يدي الجنة دلا حول ولا قوة الا بالله قال الجنة يد قولك ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء وقال أبو سليمان الرضا ان لا تسأل الله الجنة ولا تستعذب به من النار وقال ذوالنون ثلاثة من اعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب في حشو البلاء سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول سمعت اسمعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبردي يقول قيل للحسين بن علي بن أبي طالب ان اباذر يقول انظر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة فقال رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يمتن غير ما اختار الله له وقال أبو عمر الدمشقي الرضا ارتفاع الخزع في أي حكم وقال ابن عطاء الرضا انظر القلب الى قديم اختيار الله لعبده وهو ترك الخط والروم الرضا استقبال الاحكام بالفرح وقال المحاسبي الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام وقال النوري الرضا سرور القلب بمر القضاء وقال الجري من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقال أبو تراب الخشبي ليس ينال الرضا من الدنيا في قلبه مقدار وقال أبو عثمان الجري منذ أربعين سنة ما أفمنى الله في حال فكرهته وما تقبلي الى غيره فسخطته اه ما قاله القشيري في الرسالة ومما نقلته من كتاب قوت القلوب قال الرضا هو حال الموفق واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا نذب النبي صلى الله عليه وسلم لم ابن عباس في وصيته له فقال اعلم بالله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعته الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال ابن عمر اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك نذبه الى المشاهدة وهو الاحسان ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهو مكان العلم بان الله تعالى براه وايس بعد هذا مكان يوصف وكان سهل يقول أعرف في الموتى مقبرة عظيمة ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم وبعدي عليهم وراح برزقهم من الجنة وهم في هموم وكر وب في البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لما تواجدوا جميعا قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقال لقمان في وصيته ومن يفوض أمره ورضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه اكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره من الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الامور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شيء من اغتيابه بمقامه من ربه وفرحه بقيام الله مولاه عليه واستسلام الفعل للمولى في كل ورثه منه بآذني شيء وتسليمه الاحكام والقضايا باعتماد حسن التدبير وكال التقدير فيها وتسليم العبد لمولاه ما في يده رضا بحكمه عليه وأن لا يشكو السيد الكريم الى العبد اللئيم ولا يتبرم به بل الحبيب ولا يفقد في كل شيء حسن صنع القريب وذكر عند رابعة رجها الله تعالى عابده عند الله تعالى منزلة وكان قوته ما ينقسم من ضربه لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فاضر هذا اذا كانت له منزلة أن يسأله فيجعل قوته في غير هذا فقال له اسكت يا بطال اما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه أن يتخيروا عليه أن ينقلهم من معيشته حتى يكون هو الذي يختار لهم وقد قال أيضا وليس القرني رحمه الله تعالى فيمار ويناه عنه وقال الامام قال الى أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعنا ما عصانا وقال الله تعالى في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة وحكي لئان بعض العارفين يحبه رجل في الطريق فعبث بشئ فتجاء عن مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحدثت في الملائكة غير ضرورة ولا سنة لا تعجبني أبدا وأعمال طلاب الرضا من الله تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبع مائة ضعف وتضعف طالبي الرضا لا يحصى قال الله عز وجل يضاعف ابن يساعو قال تعالى فيضاعفله أضاعفا كثيرة قبل الحسنة الى ألف حسنة وقد قال الله

تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال وهو
أصدق القائلين مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل حبة بريرة في هذه
الجنة من سنبلة وحبة فهو هؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم يضاعف لمن يشاء هم أهل الرضاعة وهم الذين اقترضوا
الله قرضاً حسناً لاجله فضاعف لهمضاعفاً كثيراً وهم الذين يغفر لهم لاجل حاله دخلوا في قوله تعالى يغفر لمن يشاء
من عسى أن الله تعالى حكمته كان مع الله في حكم مسأله ما شهدانه تعالى باختيار انشاء الاشياء وبمشيئته
بدأها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور ولا يكون مع نفسه فيماتن هو ولا مع معتاده وعرفه فيما
يعقل وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة اني كثير الغفلة قليل المسارعة الى مرضاته فافوض بشئ
أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا فقال يا أخي ان استطعت أن تحبب الى أولياء الله وتقرّب من قلوبهم فافعل
لعلهم به يحبونك فان الله ينظر الى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظرة فلعله ينظر اليك في قلوبهم لمحبتهم لك
فيحبوك حياة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحاً وكذلك يقال ان الله تعالى ينظر الى قلوب
الصدقين والشهداء فهو هؤلاء الذين عرفوه به اقرّبهم منهم ولدوام نظرهم اليه فهو وجههم ثم ينظر الى
قلوب قوم من قلوب قوم آخرين فهو هؤلاء الذين عرفوه بهم وأحبوه من محبتهم فهم وجههم اليه وأدلّتهم عليه
فيعطهم نصيباً من نصيبهم كما أعطاهم شهادة ووجدان علمهم ورويان عن بعض الجبارية من العناية في فرط
كرم الله وغاية حلمه ان جباراً من الملوك قطع رعيته سنين فسكوا ذلك اليه فخرج بهم الى الصحراء فرفع رأسه
الى السماء وقال يا ساكن السماء اتسقين الغيث أو لنؤذيك فقال له وزراؤه كيف تؤذيه وهو في السماء
وأنت في الارض فقال اقول أولياءه من أهل الارض فيكون ذلك أذى له فارسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه
وجوده ومن حسن الادب والمعاملة اذا علمت صالحاً فقل أنت استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك
أطعك لان جاري جنودك واذا علمت سيئاً فقلت طمت نفسي وهو اى وشهو في اجترحت بجوارحي وهي
صفاتي ثم تعتقد في ذلك انه بقدره ومشيئته كان ما قضى فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون
في الحالين عاملاً مرضيه بالقول والعقود وينتفي عنك العجب في أعمالك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك
بظنك وقد تغلب هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسناً شاهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فاذا عمل سيئاً لم
يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبه ولم يرض له عمل نعوذ بالله من مشاهدة الضلال هذا
ما أورده في باب الرضا وقال في احكام المحبة ووصف أهلها اعلم أن المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق
تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لحسن أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم مائة أولي قرب ذلك الى الله
تعالى فهذه حدود الشئ الذي شبه الشئ والله تعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشئ منه اذ ليس كمثل شئ في كل
شئ ولان هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخله وقد تتغير لتغير
الاقوات وتقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله تعالى سابقة للاسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن
عناية العلية لا تتغير أبداً ولا تتقلب لاجل ما بدأ القول تعالى ان الذين سبقتم من الحسنى يعنى الكلمة الحسنى
وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكلمه عالمين وقال لهم قدم صدق عند ربهم وقال في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا
يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه به منهم علم لان علمه سبق العلوم ومحبة
لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم ينتهى مع ذلك خاصية حكم من أحكامه في يد من فضل اقسامه خالصة
لخالصين وموزنة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤل الى مقعد صدق عند صادق للسالكين ليس لذلك سبب
معمول ولا لاجل عمل معمول بل يجري مجرى سر القدر واطف القادر وافشاء سر القدر وكفر فلا يعلمه الا نبى أو
صديق ولا يطلع عليه من يظهر وما ظهر في الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب
من أولى الالباب وانما هى تبصرة وذكرى للمنيبين وتزودو بلاغ للعابدين وانما تستبين المحبة وتظهر

للعبد بحسن توفيقه وكلاعة عصمة مولائهم تعاليمه من غرائب علمه وخفايا عظمته وفي سرعة رد هم اليه في كل شيء ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شيء وكثرة استعمالهم بحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صلواته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسرارهم وقبوحه لافكارهم عن بواطن انعامه واستخراجهم منهم خالص شكره وحقيقة ذكره من عين اليقين فهذه طرقات المحبين له عن تشويق اطلاعهم بالحجة مزبذارة من المحب الأول وهو الله سبحانه لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته وأحققيقة علم بهب له كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله عليهم بالله لقد أترك الله علينا ثم قالوا وان كنا لخاطئين فذكر واسالف خطاياهم وأنه آثره بمالم يؤثرهم وقال الله تعالى في موهبة له آتيناها حكموا علما وكذلك تجزي المحسنين فذكر ما سالف من احسانه لما آثره وذكر بعض من يتمي الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرايت هذا الذي تذكر محبته اهتمت بسواه قال نعم قال فهل رأيت في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني استحيي لآخذ بترك ان محبتك معاوله نتم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك قال لكن أعرف من لا يدعي محبته وعلى ذلك ما أهتم بسواه منذ عرفه ورى آثاره في ليلة سبع مرات وانما لم يهتم المحب بسواه من قبل انه لا ينساه فكيف يذكره من لا ينساه بل هو منذ كوربذا كرا لا ذا كرتبذا كبرأوتبذا كروهنا افضح المدعون وانكشف المستورون ان اهتم بغيره فقد نسبه والحبيب لا ينسى لانه لازم لهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والسموع وهو الشاهد والمشهد وهو الواحد والوجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعا * موضع فارغ غير الحبيب

وهو سقمى وصحنى وشغافى * وبه العيش ما حبيت يعايب

فن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح فمحال أن ينسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف يحول بغيره اللهم كيف وقد روي في الخبر المناق لا يذ كر حتى يذ كرواذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود اذا قرئت عليهم التوراة مادوا لها فاذا رفعت لم يكن وراء ذلك شيء اه ما في القوت

* (فصل) قد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب ان المحبة ثمرة المعرفة فلزم أن ننسكهم على مقام المعرفة ونذكر آفاقا ويل الشيوخ فيه وقد ذكر صاحب القاموس منها جملة في كتاب البصائر والقشيري في الرسالة فلنذكر سياق البصائر أولا فانه مشتمل على أكثر ما أورده القشيري مع زيادة توضيح وبيان فاقول قال صاحب البصائر الفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبيه ومقتضاه فلا يطلعون المعرفة على مدلول العلم وحده بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاقها وقواطعها وحال مع الله يشهد له بالمعرفة فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملاته ثم أخلص له في قصوده ونياته ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تظاهر من أوساخه وادارائه ونخالقاته ثم صبر على أحكامه في نعمه وبلبانه ثم دعا الله على بصيرة بدينه وإيمانه ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشهد بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ولم يزن بها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة واذا سمى به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تسكاهموا في المعرفة بآثارها وشواهد هافة قال بعضهم من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة فن ازدادت معرفته ازدادت هيبة وقال أيضا المعرفة توجب السكينة وقيل علامتها أن يحس يقرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريبا منه قال الشبلي ليس لعارف علاقة ولا لمحبة شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف فرار ولا لاحد من الله فرار وهذا كلام جيد فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بغيره فلا يتبقى فيه علاقة بغيره ولا تمر به العلائق الا وهي مجتازة وقال أحمد بن عاصم من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ويدل على هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم لله خشية وقال آخر من عرف الله ضاقت عليه الارض بسعتها وقال غيره

من عرف الله اتسع عليه كل ضيق ولا تنافي بين هذين الكلامين فإنه يضيق عليه كل مكان لا تساعه فيه على شانه ومطلوبه ويتسع له ماضق على غيره لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه فقلبه غير محبوس فيه والاول في بداية المعرفة والثاني في غايتها التي يصل اليها العبد وقال آخر من عرف الله تعالى صفاته العيش وطاب له الحياه وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخاوف وأنس بالله قال غيره من عرف الله فرت عينه بالله وقرت به كل عين ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه وعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي دعى الى الايمان به فعلى قدر جلاء تلك المرآة يترأى له فيها سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل كما قبل

اذا سكن الغدير على صفاء * فيشبهه ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء بالامراء * كذا الشمس تبدو والنجوم
كذا قلوب أرباب التجلي * يرى في صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة أن يبذل الشاهد وتفنى الشواهد وتنجلي العلائق وتنقطع العوائق ويجلس بين يدي الرب ويقوم ويضطجع على التأهب للقائه كما يجلس الذي قد شد أجماله وازمع السفر على تاهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ومن علامات العارف ان لا يطالب فلا يخاصم ولا يعاقب ولا يرى له على أحد حق أو ان لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت لانه ينظر في الأشياء بعين الفناء والزوال وانها في الحقيقة كالظلال والخيال وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطوهر البر والفاجر كالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين بكائه على نفسه وثنائه على ربه وهذا من أحسن ما قيل لانه يدل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لهيئ الشاء على ربه وقال أبو يزيد بن عطاء نالوا المعرفة بتضييع مالههم والوقوف مع ماله يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله تعالى وقال الآخر لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطى ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفه عين وهو هذا يحتاج الى شرح فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن اذا كان اشغاله بغير الله فذلك اشغال بالله وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة اركان الهيبة والحياء والانس وقيل العارف ابن وقته وهو ذا من أحسن الكلام وأخصره فهو مشغول بوظيفة وقته عمامضى وصار في العدم عمام يدخل بعد في الوجود فهمه عماره وقته الذي هو مادة حياته الباقية ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه ولهذا قيل العارف من أنس بالله فو حشيه من الخلق واقتصر الى الله فاغناه عنهم وذلك لله فاعزة فيهم وتواضع لله فرفعه بينهم واستغنى بالله فاحوجهم اليه وقيل العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول يعنى ان العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره وقال أبو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي وقال ذو النون لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله وقال بعضهم رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وهذا كلام ظاهر منكر يحتاج الى شرح فان العارف لا يرائى الخلق طلبا للمنزلة في قلبه وانما يكون ذلك منه نصيحة وارشاد وتعليم فهو يدعو الى الله بعلمه كما يدعو الى الله بقوله واخلاص المريدين مقصور على نفسه وقال ذو النون الزهاد مملوك الآخرة وهم فقراء العارفين وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لون انائه وهذه كلمة رتبها الى حقيقة العبودية وهو أنه يتلون في أقسام العبودية فبينما تراه مصليا اذا رأته ذكر أو قارئا متعلما ومجاهدا وحاجا ومساعد الضعيف ومعيننا للمجاهد في كل غنيمة بسهم فهو مع المنسبين منسب ومع المتعلمين متعلم ومع الغزاة غاز ومع المسلمين متصل ومع المتصدقين متصدق وهكذا ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية وهو مستقيم على عبوديه واحدا لا ينتقل عنه الى غيره وقال يحيى بن معاذ العارف كائن بان وقد فسر كلامه على وجوده منها انه كائن مع الخلق بظاهرة بان عن نفسه ومنها انه كائن مع ابتناء الآخرة بان عن ابتناء الدنيا ومنها انه كائن مع الله بموافقته بان عن الناس بمخالفته

ومنها انه داخل في الاشياء خارج عنها يعني المراد لا يقدر على الدخول فيها والعارف داخل فيها خارج منها وقال
 ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ولا يعتد باطن من العلم ينقص عنه ظاهرا من
 الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله على هنك أستار محارم الله وهذا أحسن ما قيل في المعرفة وقال ليس بعارف من
 وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا يريدانه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء
 كانوا عبادا أو من أبناء الدنيا وسئل ذو النون عن العارف قال كان ههنا وذهب فسهل الجنيد عن معناه
 فقال لا يحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن السفل في المنازل فهو مع أهل كل منزل على الذي هم فيه يجد
 مثل الذي يجدون وقال بعض السلف نوم العارف يقظة وأنفاسه تسبح ونومه أفضل من صلاة الغافل وإنما
 كان نومه يقظة لأن قلبه حي فمينه ثمان وروجه ساجدة تحت العرش بين يدي ربه وإنما كان نومه أفضل
 من صلاة الغافل لأن بدنه في الصلاة واقف وقلبه يسبح في خشوش الدنيا والاماني وقيل بحالسة العارف تدعوك
 من ست الى ست من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الغفلة الى الذكر ومن الرغبة في الدنيا
 الى الرغبة في الآخرة ومن الكبر الى التواضع ومن سوء الظن به الى النصيحة انتهى كلام صاحب البصائر
 وزاد القشيري في الرسالة وقال السبلي وقد سئل عن المعرفة أولها الله وأخرها ما لا نهاية له وقال أبو حفص
 الحداد منذ عرف الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل وهذا في ظاهره اشكال واجل ما يحتمله ان عند
 القوم المعرفة فوجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع الى غيره كما
 ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسخره من أمر ويستقبله من حال فالعارف رجوعه الى ربه
 فاذا لم يكن مشغولا به لم يكن راجعا الى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه
 وبين من عاش بربه وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها
 أذلة وهذا معنى ما أشار اليه أبو حفص وقال أبو زيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لانه محيى رسومه
 وفنيت هويتة لهو به تغيبه وغيب آثاره بآثار غيره وقال الواسطي لانصح المعرفة في العبد استغناء
 بالله وافتقار اليه أراد بهذا ان الافتقار والاستغناء بالله من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لانها من صفاته
 والعارف محيى في معرفته فكيف يصح له ذلك وهو لا يستهلاكه في وجوده أولا استغراقه في شهوده وان لم
 يبلغ الوجود مخنطف عن احساسه فكل وصف هو له ولهذا قال الواسطي أيضا من عرف الله انقطع به بل خرس
 وانقطع وقال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك هذه صفات الذين بعد مرماهم فاما من تزول عن هذا
 الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا وقيل من عرف الله ذهب عنه رغبة الاشياء وكان بلا فصل ولا
 وصل وقيل المعرفة فوجب الحياء والتعظيم كما ان التوحيد فوجب الرضا والتسليم وقال ذو النون معاشره
 العارف كما معاشره الله تعالى يحملك عنك تعلقا باخلاق الله عز وجل وسئل ابن بزدا ينار متى يشاهد العارف
 الحق فقال اذا بدأ الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحلت الاخلاص وقال الخلاج علامة
 العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل غاية المعرفة شيان الدهش والخبرة وقال ذو النون
 اعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه وقال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب
 البر والتقوى فقال هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندي عظيم والذي يسرقو زني أحسن حالا
 من الذي يقول هذا ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرزرة وقيل لابي يزيد بما ذالت هذه المعرفة
 فقال يبطن جائع وبطن عار وقال أيضا العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه
 وقيل العالم يقتدي به والعارف يمتدى به وقال السبلي العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا كلام غيره لافظا
 ولا يرى لنفسه غير الله حافظا وقال أبو الطيب المسامري المعرفة طلوع الحق على الاسرار بمواصلة الانوار وقال
 أبو بكر الوراق سكرات العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى في نومه
 غير الله ولا في يقظته غير الله وسئل أبو تراب النخعي عن العارف فقال الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء وقال

أبو عثمان المغربي العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب وقال بعضهم المعرفة أمواج تغط وترفع
وتغط وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود وقال محمد بن الفضل المعرفة تحية القلب
مع الله انتهى وبه تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما قال مؤلفه نجرت من
تسويده في الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني محرم الحرام افتتاح
سنة ١٢٠١ أرانا الله خبرها وكلما ناضرها
قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى
الحسيني غفرت ذنوبه وسترت
عبوبه بمنه وكرمه آمين
حامدا لله ومصليا
ومسلما

* (تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر أوله كتاب النية والاخلاص والصدق) *

﴿ فهرست الجزء التاسع من كتاب اتحاف السادة المتقين شرح أسرار أحياء علوم الدين ﴾

صحيفة	صحيفة
١٧٤ الفن الثاني إستقراء الآيات .	٢ كتاب الصبر والشكر .
١٩٦ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف	٣ الشطر الأول في الصبر
بيان حقيقة الخوف	٤ بيان فضيلة الصبر
٢٠١ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	٨ بيان حقيقة الصبر ومعناه
٢٠٤ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه	١٤ بيان كون الصبر نصف الإيمان
٢٠٨ الطبقة الثانية من الخائفين	١٦ بيان الاسامي التي تتجدد للصبر
٢٠٩ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه	١٧ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف .
٢١٦ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما	٢٠ بيان مظان الحاجة إلى الصبر .
٢٢١ بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف	٣٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٢٣٤ بيان معنى سوء الخاتمة	٤٦ الشطر الثاني من الكتاب في الشكر
٢٤٤ بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبيا عليهم السلام في الخوف	الركن الأول في نفس الشكر
٢٥٠ بيان أحوال الصعابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف رضى الله عنهم	بيان فضيلة الشكر
٢٦٣ كتاب الفقر والزهد	٤٩ بيان حد الشكر وحقيقته .
٢٦٥ الشطر الأول في الفقر	٥٥ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر
٢٦٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميهِ	٦٣ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٢٧٢ بيان فضيلة الفقر مطلقاً	٧٨ الركن الثاني من أركان الشكر
٢٨٢ بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين	٧٨ بيان حقيقة النعمة وأقسامها
٢٨٥ بيان فضيلة الفقر على الغنى	٩٩ بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها
٢٩٤ بياب آداب الفقير في فقره	١٢٩ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر
٢٩٦ بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال	١٣٥ الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر
٣٠٢ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة	١٣٥ بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
٣٠٩ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال	١٤٧ بيان فضل النعمة على البلاء
٣١١ بيان أحوال السائلين	١٥٠ بيان الأفضل من الصبر والشكر .
	١٦٣ كتاب الرجاء والخوف
	١٦٤ الشطر الأول في الرجاء
	١٦٤ بيان حقيقة الرجاء والترغيب فيه
	١٦٨ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
	١٧٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء

صحيفة

٣١٧	الشرط الثاني من الكتاب في الزهد
	بيان حقيقة الزهد
٣٢٤	بيان فضيلة الزهد
٣٣٧	بيان درجات الزهد وأقسامه .
٣٤٩	بيان فضيلة الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٣٧٢	بيان علامات الزهد
٣٨٤	كتاب التوحيد والتوكل
٣٨٦	بيان فضيلة التوكل
٣٩٠	بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل
	وهو الشرط الأول من الكتاب
٤٦٠	الشرط الثاني من الكتاب في أحوال التوكل
٤٦٠	بيان حال التوكل
٤٦٨	بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل
٤٧٣	بيان أعمال المتوكلين
٤٧٤	الفن الأول في جلب النافع
٤٩٢	بيان توكل المعيل
٤٩٩	بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب
٥٠٠	الفن الثاني
٥٠٦	الفن الثالث مباشرة الاسباب الدافعة للضرر
٥١٠	بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم
٥١٥	الفن الرابع في ازالة الضرر
٥٢١	بيان ترك التداعي قد يحمي في بعض الاحوال
٥٣٠	بيان الرد على من قال ترك التداعي أفضل
	بكل حال
٥٣٦	بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكماته
٥٤٤	كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

صحيفة

٥٤٦	بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى
٥٥٠	بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى
	محبة العبد لله تعالى
٥٥٩	بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده
٥٧١	بيان ان أجل اللذات وأعلاها معرفة الله
	تعالى والنظر الى وجهه الكريم
٥٧٩	بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة
	على المعرفة في الدنيا
٥٨٥	بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى
٥٩٤	بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٥٩٥	بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن
	معرفة الله تعالى
٦٠٢	بيان معنى الشوق الى الله تعالى
٦٠٩	بيان محبة الله للعبد ومعناها
٦١٥	القول في علامات محبة العبد لله تعالى
٦٣٨	بيان معنى الانس بالله عز وجل
٦٤١	بيان معنى الانبساط والادلالات الذي تثمره
	غلبة الانس
٦٤٦	القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى
٦٤٨	بيان فضيلة الرضا
٦٥٤	بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
٦٦٣	بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا
٦٦٩	بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان
	المعاصي وان مذمتها لا يقدر في الرضا
٨٧٣	بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم
	ومكاشفاتهم
٦٨٠	خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق
	ببنتفع بها